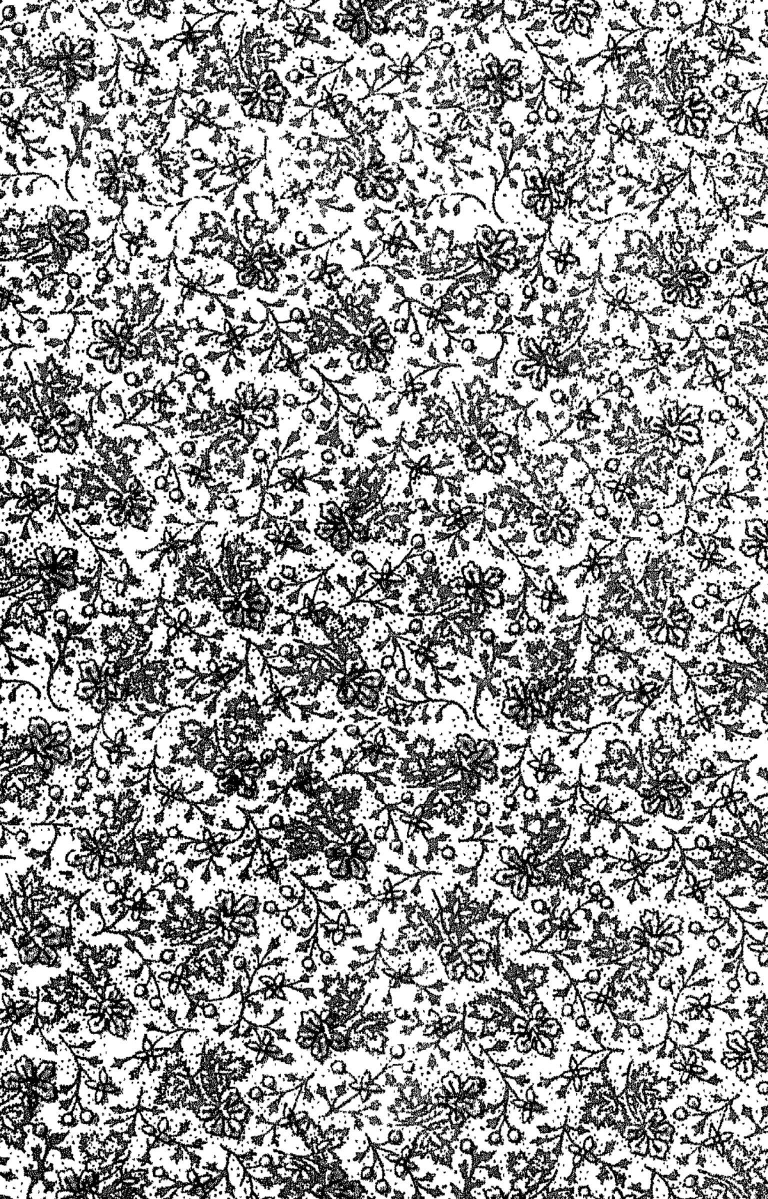
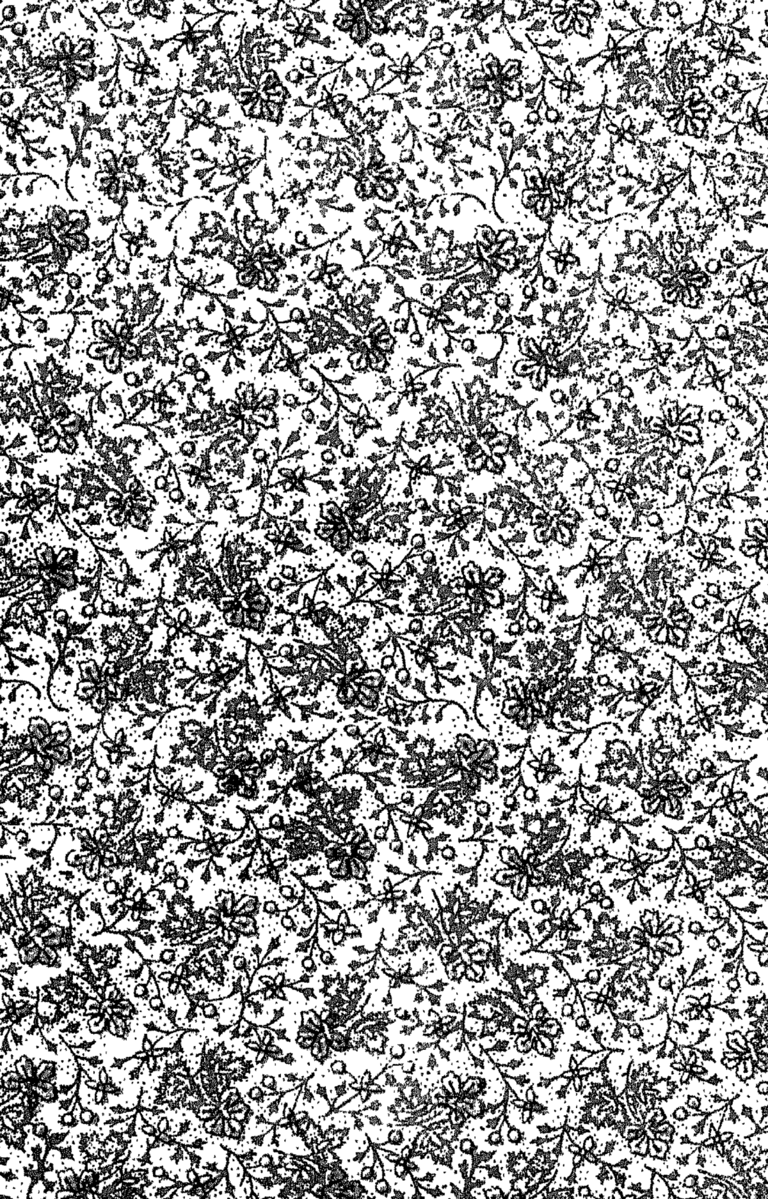






والله يفعل ما يشاء

رسالة

فى

الفعل والانفعال واقسامهما

للشيخ الرئيس ابى علی الحسين بن عبد الله بن سينا
البخارى المتوفى يوم الجمعة من رمضان
سنة ثمان وعشرين
واربع مائة



الطبعة الاولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
بحيدرآباد الدكن صانها الله
عن الشرور والفتن
(سنة ١٣٥٣ ھ)

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ان الافعال والانفعالات تتفاوت بحسب تفاوت الامور العقلية النفسانية منها والجسانية فمن ذلك انه كلما كان الشيء اقوى واتم من غيره كان التأثير الصادر عنه ابلغ واظهر وكلما كان الشيء اتم استعدادا واشد تهيؤا كان قبوله للأثر الصادر عن غيره فيه ابلغ واظهر ولما كان كل فعل وانفعال فانما يكون بحسب القياس والاضافة اعنى انه تأثير من شيئ فى آخر وتأثر فى شيئ عن آخر وكان الموجود اما نفسانيا او جسانيا كان اقسام الفعل والانفعال — اما نفسانيا فى نفسانى — او نفسانيا فى جسانى — او جسانيا فى نفسانى — او جسانيا فى جسانى اما مثال الفعل النفسانى فى النفسانى فكتأثير العقول المفارقة بعضها فى بعض وتأثر بعضها عن بعض على ما ذكر فى علم الآلهيات وكتأثير هذه العقول فى النفوس البشرية فى النوم مرة وفى اليقظة اخرى —

واما مثال الفعل النفسانى فى الجسانى فكتأثير القوى النفسانية فى العناصر الاربعة من امتزاج بعضها ببعض لتحدث المركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ثم تأثيراتها فى تلك المركبات من تغذيتها وتنميتها وتربيتها واتمامها الى غير ذلك مما عرف وشرح فى موضعه —

واما مثال الفعل الجسانى فى النفسانى فكتأثير الصور المستحسنة فى النفوس البشرية من استمالتها اليها مرة وتنفرها عنها اخرى —

واما مثال الفعل الجسانى فى الجسانى فكتأثير العناصر بعضها فى بعض واحالة بعضها لبعض واستحالة بعضها عن بعض وذلك كاستحالة الماء الى الهواء

والهواء

والهواء الى الماء واستحالة الماء الى النار والنار الى الهواء واستحالة الماء الى الارض وبالعكس ـ

واما تأثير المركبات بعضها فى بعض فكتأثير الادوية والسموم فى الابدان الحيوانية وغير ذلك مما لو شرع فى احصائه لطال الكلام جدا ـ

واعلم انه تدخل تحت هذه الاقسام ضروب الوحى والكرامات وصنوف الآيات والمعجزات وفنون الالهامات والمنامات وانواع السحر والاعين المؤثرة واقسام النيرنجات والطلسمات ـ

اما الوحى والكرامات فانها داخلة فى تأثير النفسانى فى النفسانى اذ حقيقة الوحى هو الالقاء الخفى من الامر العقلى باذن الله تعالى فى النفوس البشرية المستعدة لقبول مثل هذا الالقاء اما فى حال اليقظة ويسمى الوحى واما فى حال النوم ويسمى النفث فى الروع كما قال صلى الله عليه وآله وسلم (ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الا فاتقوا الله واجملوا فى الطلب) وقال (ان الرؤيا الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة) وهذا الالقاء عقلى واطلاع واظهار كما قال الله تعالى (وعلمناه من لدنا علما) وقال عز من قائل (نزل به الروح الامين على قلبك) وقال جل شأنه (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول) والحال فى الكرامات يقرب من ذلك والفرق بينهما ان الوحى مختص بمدعى النبوة والرسالة وانذار الخلق والكرامات لا تقترن بذلك ـ

واما الآيات والمعجزات فان قسمين من اقسامها يدخلان تحت تأثير النفسانى فى النفسانى وقسما واحدا منها يدخل تحت تأثير النفسانى فى الجسمانى وذلك ان اصناف المعجزات ثلاثة صنف يتعلق بفضيلة العلم وذلك بان يؤتى المستعد لذلك كمال العلم من غير تعليم وتعلم بشرى حتى يحيط علما بما شاء الله تعالى بقدر الطاقة البشرية بالاله الحق وطبقات ملائكته وسائر اصناف خلقه وكيفية المبدأ والمعاد الى غير ذلك على ما دل عليه قوله تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم)

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (اوتيت جوامع الكلم) وما اجتمعت الامة عليه من انه صلى الله عليه وآله وسلم قد اوتى علوم الاولين والآخرين مع ما اشتهر من امره انه الرسول الامي ودل عليه قوله تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) وفى مثل هذه النفس قال الله تعالى (يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار) وكأن مثال هذه النفس كبريت والعقل الفعال نار فيشتعل فيها دفعة واحدة ويحيلها الى جوهره—
وصنف يتعلق بفضيلة تخيل القوى وذلك ان يؤتى المستعد لذلك ما يقوى على تخيلات الامور الحاضرة والماضية والاطلاع على مغيبات الامور المستقبلة فيلقى اليه كثير من الامور التى تقدم وقوعها بزمان طويل فيخبر عنها وكثير من الامور التى تكون فى الزمان المستقبل فينذر بها—

وبالجملة يحدث عن الغيب فينتصب بشيرا ونذيرا وخاصيته الانذار بالكائنات والدلالة على المغيبات على مادل عليه قوله تعالى (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك) وقوله عزوجل (رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم) وقوله تعالى (الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) واخباره صلى الله عليه وآله وسلم بموت النجاشى وقوله عليه السلام لرسول كسرى (ان ربى قتل ربك البارحة) فكان كما قال الى غير ذلك مما نطق به القرآن العزيز واشتمل عليه الاحاديث الصحيحة وشهدت بصحته الآثار والاخبار وقد يكون هذا المعنى لكثير من الناس فى النوم ويسمى الرؤيا—

واما الانبياء عليهم السلام فانما تكون لهم فى حالتى النوم واليقظة معا فهذان الصنفان يتعلقان بالقوة المدركة من النفس الانسانية وهما داخلان تحت تأثير النفسانى فى النفسانى—

قالت الحكماء وبهذين الصنفين من المعجزات يتعلق اعجاز القرآن وذلك لما يتضمنه مع الفصاحة والبلاغة والشأن العجيب والنظم البديع الغريب من الدلالة على العلوم العقلية المتعلقة بمعرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

والعلوم

والعلوم الغيبية المتعلقة بمعرفة صنفي الغيب اعني الامور الماضية والمستقبلة ـ

واما الصنف الثالث من اصناف المعجزات فانه يتعلق بفضيلة قوة النفس المحركة التي تبلغ من قوتها الى القدرة على الاهلاك وقلب الحقائق من تدمير على قوم بريح عاصفة وصاعقة وطوفان وزلزلة وقلب العصاء حية ـ

وتلحق بهذا الصنف انواع من الكرامات التي شرف الله تعالى بها قوما من عباده المخصوصين فيقدمون على هذه الاشياء بمايستجيب من دعواتهم وتظهر منهم امور تخرج عن المجرى الطبيعي كما يحكى عن بعضهم انه اطاق بقوته فعلا يخرج عن وسع مثله من البشر وعن بعضهم انه كان يستسقى للناس فيسقون او يدعو عليهم فيخسف بهم و يزلزلون او يدعو لهم فيخلصون عن الوباء والقحط والامراض الصعبة المزمنة ومن هذا القسم معجزات عيسى عليه السلام وكما يحكى عن بعضهم انه تنقاد له السباع ولا تنفر عنه الوحوش والطيور وينبغى ان لا تستبعد شيئا من ذلك وقد اذعن الحكماء الكبار بهذا واخبروا عن السبب الذى فيها كلها ـ

وهذا الصنف من المعجزات يدخل تحت تأثير النفسانى فى الجسمانى ومن استقرى معجزات الانبياء عليهم السلام وكرامات الاولياء امكنه ان ينسب كل واحدة منها الى واحد من هذه الاصناف المذكورة والله المرشد للصواب ـ

واما الالهامات والمنامات فانها داخلة تحت تأثير النفسانى فى النفسانى وتكثر هذه الالهامات وتقل وتصدق هذه المنامات وتكذب بحسب قوة استعداد النفوس البشرية وضعف استعدادها بموجب صفائها وكدورتها وخلوصها عن المحسوسات وتدنسها بها اما فى بد وحدوثها فى الابدان واما بعد ذلك بمقتضى السير والعادات التى يتفق ان يسير بها ويتعود بها وقد تصدق المنامات تارة بان يرى الامر على ما هو عليه وبصورته من غير حاجة الى تعبير وتأويل وتارة بان يرى محاكيا للشىء وهذا يتفاوت فربما كانت بمحاكيات قريبة من الشىء جدا وربما كانت بمحاكيات بعيدة وهذه يحتاج فيها الى تعبير وتأويل والسبب فى هذه الحالة للانبياء واصحاب الكرامات ان القوة المتخيلة خليت محاكية لكل مايلقاها

من هيئة ادراكية او هيئة مزاجية سريعة النقل من الشيء الى شبهه او ضده فالاثر الروحاني السانح للنفس فى حالتى النوم واليقظة قد يكون ضعيفا فلا يحرك الخيال والذكر فلا يبقى له اثر وقد يكون اقوى من ذلك فيحرك الخيال الا ان الخيال يعين فى الانتقال ويحكى عن الصريح فلا يضبط الذكر بل انما يضبط انتقالات المتخيل ومحاكياته وقد يكون قويا جدا فترستم فيه الصورة ارتساما قويا ولا يتشوش بالانتقالات فما كان من الاثر الذى ذكرنا مضبوطا فى الذكر فى حالتى النوم واليقظة كان الهاما او وحيا ولا يحتاج الى تأويل وتعبير وما كان قد بطل هو وبقيت محاكياته فانه يحتاج اليهما اما الوحى الى التأويل واما الرؤيا الى التعبير هذا اذا لم تكن الرؤيا من اضغاث الاحلام التى يكون سببها امزجة الابدان وغلبة احد الاخلاط وحديث النفس او غير ذلك مما يخرج الرؤيا عن الحكم بصحتها ان كانت على وجهها او لحاجتها الى تأويل وتعبير ان كانت على سبيل المحاكات فى صورة الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ــ

واما انواع السحر والاعين المؤثرات فان قسما من السحر يدخل تحت تأثير النفسانى فى النفسانى وقسما منه يدخل تحت تأثير الجسمانى فى النفسانى ــ

اما الصنف الاول فكتأثير النفوس البشرية القوية فى قوتى التخيل والوهم فى نفوس بشرية اخرى ضعيفة فى هاتين القوتين كنفوس البله والصبيان والذين لم تستول قوتهم العقلية على قمع قوة التخيل وترك عادة الانقياد فتخيل اليها وتوهمها انها موجودة فى الخارج او تخيل اليها وتوهمها فى امور موجودة حاصلة على ضد تلك الاحوال فيخيل اليها فى اشياء متحركة انها ساكنة وفى اشياء ساكنة انها متحركة الى غير ذلك من احوال بديعة وهذا كما كان شأن سحرة موسى عليه السلام حين القوا حبالهم وعصيهم حتى صار موسى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى حتى ابطل الله تعالى ذلك بما اظهر على رسوله من الصنف الثالث من المعجزات فانقلبت عصاه ثعبانا يلقف مايأفكون وفى هذا الوقت قال الله تعالى (سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا

وجاء وابسحر عظيم) وذلك لما ارتاضوا به ونسو(١) على مؤاخذة انفسهم من القوة على تصريف الاعين والخيالات من الناس، واقتدارهم على نقلهم اياها من حال الى حال ثم انهم قد يستعينون فى تشييد هذا العمل والبلوغ الى الغرض الاقصى منه بافعال وحركات تعرض منها للحس حيرة وللخيال دهشة كابراز شيء شفاف مرعش للبصر بو جرجته او مدهش اياه بشقيقه واشياء تترقرق واشياء تمور وجميع ذلك مما يشغل الحس بضرب من السحر واكثر ما يؤثر هذا فى من هو بطباعه الى الدهش اقرب ولقبول الاحاديث المتخيلة اميل كالبله والنساء والصبيان ـ

وقد يعين فى ذلك الاسهاب فى الكلام المختلط والايهام بتسيس الجن بكل ما فيه تحيير وتدهيش ـ

واما الصنف الثانى من اصناف السحر فكتأثير القوة الوهمية من النفوس البشرية التى قويت هذه القوة منها فى الخلقة الاصلية او ولعت بتقويتها بالعادة واستعمال الرياضة والتصريف فانه قد يبلغ تأثير هذه القوة الى ان تزيل الطبائع عن حالها اما الى جودة واما الى رداءة وذلك لما فى جبلة النفس او العقل من طاعة المواد العنصرية لها الا ان هذه الازالة تكون من الساحر لا على سبيل ايثار الخير وصلاح النظام الطبيعى ولا لاغراض صحيحة كلية متعلقة بصلاح العالم وبقاء النوع بل على سبيل تحرى الشر وفساد النظام ولاغراض خسيسة جزئية متعلقة بالاشخاص فيسلط الواحد من اوباب السحر قوته الوهمية المرتاضة بذلك على التأثير فى انسان آخر بعزيمة قوية بالغة موجبة على ما عرف فى كتاب النفس من تعلق تمام فعل النفس ووجوب تحريكها بقوة العزم المولد بقوة الشوق فاذا صحت فيها تلك العزيمة وقويت انهكت الشخص المقصود واثرت فيه الاثر المطلوب واكثر ذلك على سبيل العناد وقصد الخلل والانتشار الا انه تقوى هذه القوة الوهمية بما يعلقها به ويقصدها (٢) بسببه ويسددها نحو العمل لاجله من شيء جسمانى يعرف همتها وعزيمتها به فيضم اجساما الى اجسام ويشد البعض بالبعض

---

(١) كذا ولعله نشئوا (٢) ن صف ـ يقيدها ـ

يقيد بذلك القوة الوهمية ويثبتها بتصورها لها ويذكرها على الثبات على ما همت به وعزمت عليه من الامر المقصود كما حكى عنهم من غرز ابر فى اجسام ومن دفن بعض الاجسام القابلة للفساد بسرعة فى موضع من الارض تصل اليه النداوة اما الخرزات فتوقع القوة الوهمية من نفس الساحر بتذكارما همت به من الامور بتوسط هذه الاشياء بتذكيرها وحفظها اياها فى ذاتها فيحملها ذلك على الثبات على العزيمة فتكون هذه الحالة داعية الى بلوغ كنه الامر المقصود من التأثير المطلق وقد يوجد مثله بمثل هذا الضبط يتعلق بقوى اخرى نفسانية فى امور تشد بها القوى ويستعان به على ثباتها على عزيمتها فى مقاصدها ومطالبها وذلك مثل ما كان طائفة من المتقدمين المتعبدين يثبتون قوى انفسهم على عبادة الله تعالى وتذكيره واستمداد اصناف المعونة من جهة هيا كل رقيقة واتخاذ اصنام من جواهر نفيسة ويجعلون انفسهم وقفا على ملازمتها ومعتكفة على الاقبال عليها متذكرة بتوسطها امر الله عز وجل ومضبوطة عن تغير العزيمة وفترتها عن طاعة الله تعالى واستمداد المعونة والرحمة من جهتها وكانوا يقولون (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) ويتخذون امورا مناسبة لذلك من بناء المساجد والبيع والصوامع ونصب المحاريب والقناديل فيها كل ذلك يعد النفس ويثبتها على الطاعة واستفراغ الجهد والطاقة فى الانابة والعبادة ومن اجل ذلك تتخذ القبور وتبنى عليها الابنية تذكارا الميت ودعاء له بالرحمة والمغفرة وتصدقا عنه رجاء خلاصه من عذاب لو كان فيه ولولا ذلك لنسوه فى اقرب مدة وانقطع عنه الدعاء والصدقة ولولا مخافة ملال القارى لهذا الفصل لاوردت من ذلك مايطول به الكلام ويزيد الناظر بصيرة فيه الا ان الفطرة تستدل(١) مع اللعة على ما وراءها ومن يسير الاشارة على كثيرها(٢) بهذا النمط من التأثير والفرق بينهما ان قوة العين عامة طبيعية فى مبدأ الخلقة واصلها واما الاخرى فمكتسبة بعد الامر الاصلى ومن هذا القبيل استدفاع اثر العين التى يخاف مضرتها تارة بالرقى

---

(١) كذا ولعله باللعة (٢) ههنا بياض بالاصل ولعل موضعه - وقوة العين - وبالنمط

وبالنمط من الكلام المسمى بالعزائم وتارة يتعلق بالتعاويذ والتمائم —
واما الصنف الثالث من اصناف السحر وهو داخل تحت تأثير الجسمانى فى النفسانى فكتأثير الصور والالوان والاشكال وضروب التحريكات والتسكينات فى الانفس البشرية —
اما تأثير الصور والاشكال فكتأثير المعشوق فى العاشق حتى يهتم به ويصفق (١) قلبه اليه وتحركه التحريكات المتنوعة من القبض مرة والبسط اخرى ومن الوجد مرة والشغف الموجب للعناء والنصب اخرى وكتأثير صور الدواب واشكال الحيوانات الفاضلة المستحسنة فى نفوس اصحابها وارباربها كالفرس والبازى والصقر والحمام وغير ذلك حتى تولعوا وتشغفوا بالنظر اليها بحيث يفوت بالاشتغال بها كثير من حاجاتهم ومهماتهم —
واما التحريكات والتسكينات فكتأثير اصناف الاغانى والمعازف والملاهى والرقص فى نفس المشغوفين بها بل تأثير الكلام فى نفس السامع كما جاء فى الاثر (ان من البيان لسحرا) حتى يكاد يحكم بان هذه الاشياء تسحر الناس وتقلبهم عن احوالهم بحيث لا يوجد مخلص من تأثيراتها ويدخل تحت هذا القسم مايسميه الحكماء بالسحر الطبيعى وذلك ان عندهم ان هذه الامور الطبيعية واصناف الحكم والعجائب فى خلقتها سحر من الطبيعة للناظرين فيها والمتأملين لها والمعتادين بها تسحرهم وتقلبهم عما هم عليه من اتباع الهوى والقوى البدنية الى الشغف بتأمل العبر والآيات فى الامور السماوية والارضية كما قال عز من قال (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) والكلام فى ذلك ايضا يفضى الى ملالة القارى واضجاره وان كان قرة عين الفاضل الحكيم وايثاره —
واما انواع النيرنجات والطلسمات فانها تدخل تحت تأثير الجسمانى فى الجسمانى وان لم تخل الامور الجسمانية من القوى النفسانية فيها ولم يخل ذلك التأثير من قوى وهمية عاملة فيها عملها فى ملائمها ومنافيها وذلك انها تتعلق بخواص الاجسام

(١) كذا ولعله ويخفق —

الارضية العنصرية منها والمركبات الطبيعية وتأثير بعضها فى بعض بخواص تخص كل واحد منها فتتبع حدوث آثار غريبة فى غيرها وقد تتم بمناسبات وضعية من هذه الاجسام السماوية ومناسبات بين قواها وقوى الاجسام ومضادات بين قوى الاجسام يوجب جميع ذلك افعالا وانفعالات بديعة يكاد يحكم بانها خارجة عن المجرى الطبيعى كجذب المقناطيس للحديد وهرب حجر باغض الخل من الخل واجتذاب الكهرباء للتبن الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة من اقسام النيرنجات وكما تتخذ صور واشكال فى اوقات مخصوصة على اوضاع معلومة من مقابلات آفاق السماء من المشرق والمغرب والجنوب والشمال فيكر (١) بها كثير من ازمة الحيوانات المفسدة الى غير ذلك مما اشتهر ذكره عند الجمهور وخفى عنهم سره وهذا من علم الطلسمات ــ

ويلحق بهذا النمط تأثير الاجسام المعدنية بعضها فى بعض الذاتية منها وغير الذاتية والمنطرقة منها وغير المنطرقة والمسماة بعضها بالارواح وبعضها بالاجساد واحالة بعضها لبعض واستحالة بعضها الى بعض فى الوانها وقوامها وقواها المشهورة عند الجمهور والمعلوم اكثرها عند اهل الصناعة المسماة بالكيميا وتدخل تحت هذا النمط تأثيرات بعض الاجسام فى بعض مما تركب وتفصل وتتخذ الآلات منها ولها طريقة عجيبة يسمى ذلك علم الحيل فمنها ما يسمى علم الحيل الهندسية ــ

ولولا ان المقصود من هذه الرسالة ابراز القدر المذكور من جميع هذه الابواب لحملنى فرط العناية باهل الفضل على ابراز جملة من هذه العلوم بل على شرح تفاصيلها والابانة عن كل علم بقوانينها الكلية والمسائل الجزئية ولكن العذر فى الامساك عن تفاصيلها واضح ــ وعند هذا نختم الرسالة والحمد لله واهب العقل ــ

---

(١) كذا ــ ولعله فيكسر بها كثير من اذية ــ

خاتمة الطبع

الحمد لوليه الرحيم البار والصلوة والسلام على نبيه المختار وآله الاطهار واصحابه الاخيار ـ اما بعد فقد وقع الفراغ من طبع هذه الرسالة الفائقة يوم الثلاثاء ثامن عشر من شهر ربيع الثانى سنة ثلث وخمسين وثلثمائة بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام بعونه تعالى وحوله وقوته ـ

وقد نقلنا هذه الرسالة عن النسخة القديمة المحفوظة بمكتبة رامفور فى الهند تحت رقم (٨٢) فى الحكمة ـ وقابلنا ها على نسخة المكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن صانها الله عن جميع البلايا والفتن ـ

وقد اعتنى بمقابلتها وتصحيحها الحقير والفاضل النحرير العالم الخبير مولانا السيد عبدالله بن احمد العلوى سلمه الله القدير ـ

وآخر دعوانا ان الحمد لله العلى الكبير والصلوة
والسلام على رسوله البشير النذير وآله
الاتقياء واصحابه النجباء فقط

السيد زين العابدين الموسوى
رفيق دائرة المعارف

سبحان من يسبح الرعد بحمده

رسالة

فى

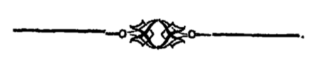
ذكر اسباب الرعد

للشيخ الرئيس ابى على الحسين بن عبدالله بن سينا

البخارى المتوفى يوم الجمعة من رمضان

سنة ثمان وعشرين

واربع مائة



الطبعة الاولى

بمطبعة دائرة المعارف العثمانية

بحيدرآباد الدكن صانها الله

عن الشرور والفتن

(سنة ١٣٥٣ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه رسالة فى ذكر اسباب الرعد وغيره منتسبة الى الشيخ الرئيس أبى على رضى الله عنه يقول ان الارعاد تكون من اسباب سبعة ـ

الواحد منها اذا تصادمت غماماتان جوفا آن تقرع احداهما الاخرى ونظير ذلك ما نجده (١) عندنا اذا نزعنا ايدينا وصككنا بالاخرى كان لذلك صوت شديد ـ

والسبب الثانى اذا دخلت فى غمامة جوفاء ريح فدارت فيها ونظير ذلك ما نجده عيانا انها اذا هبت ريح فدخلت فى المغارة (٢) كان لها صوت ـ

والسبب الثالث اذا سقطت نار فى غمامة رطبة وطفيت ونظير ذلك ما نجده عيانا ان الحداد اذا القى الحديد المحمي فى الماء كان له صوت شديد ـ

والسبب الرابع اذا قرعت الريح غمامة عريضة جليدة قرعا شديدا ونظير ذلك ما نجده عيانا ان الريح اذا قرعت القرطاس جاء لها صوت عظيم ـ

والسبب الخامس اذا دخلت الريح فى غمامة مطلولة ملوية مجوفة ونظير ذلك ما نجده عيانا ان القصابين اذا نفخوا المصارين سمع لنفوذ الريح فيها صوت ـ

والسبب السادس اذا ما اختفت ريح كثيرة فى غمامة مجوفة وانفتقت ونظير ذلك ما نجده اذا نفخنا فى مثانة ثم ثقبت جاء لها صوت شديد ـ

السبب السابع اذا ما احتكت غمامات خشنة بعضها على بعض ونظير ذلك ما نجده عيانا ان الرحى اذا حك بعضها بعضا جاء لها صوت شديد ـ

(١) كذا والظاهر عيانا ههنا وفيما يأتى (٢) فى الاصل بياض ومحله فى صف الجوانى ـ ولعله الخوابى ـ

كيف

فمن هذه الاسبـاب التى ذكرناها يمكن ان تكون الارعاد ـ
فان شك شاك وقال كيف يمكن للغام صوت اذ ليست هى صلبة مثل الحجـارة والاخزاف بل هى متخلخلة شبيهة بالصوف والصوف لايكون له صوت لانه لو قرع الانسـان جزز الصوف بعضها ببعض لم يكن لها صوت ـ
قلنا انا نحن ايضا لسنا نقول ان الغام يكون فيها الصوت لانها صلبة شبيهة بالحجارة بل نقول انها وان كانت متخلخلة مشفة فان فيها امكانا لاعطاء الصوت الكثير كما انا نرى فيما نشاهده من الاشياء اشياء صلبـة لا يكون لها صوت قدر الطين والرصاص وذلك لان هذه الاشياء ليس فيها الاسباب المؤيدة لاعطاء الصوت الـكثير ومن الاشياء اشياء متخلخلة لها صوت شديد مثل المـاء والورق اليابس واما الصوف فانه اذا كان متخلخلا لا يعمل صوتا لا نه متخلخل بل لان الاسباب المولدة للصوت ليست بموجودة فيه وهذا جوابنا فى هذا الشك والله علم بالصواب ـ

(ذكر اسباب البرق)

واما الابراق فانا نقول انها تكون من اربعة اسباب السبب الاول والثانى منها على جهة القرع والاحتكاك ونظير ذلك ما نجده عندنا ان الحجارة اذا قرع بعضها بعضا خرجت منها النار والخشب إذا حك بعضه ببعض اشتعلت منه النار كما انا نجد الذين يأوون القفر يقدحون النار بحك الخشب بعضه ببعض وذلك يكون اما لانهم يجمعون الهواء الذى فيما بين الخشب ويحيلونه الى النار واما لانهم يستبصرون ما فى ذلك الخشب من اجزاء النار ويخرجونه ـ
والسبب الثالث اذا طفئت نار فى غمامة رطبة واستبرح اللطيف منها ونظير ذلك ما نجده عندنا ان الحدادين اذا غمسوا الحديد المحمى فى الماء استبرحت منه نار ـ
والسبب الرابع اذا كانت فى الغام نار مستكنة فـانضغطت الغامة وانعصرت اوتفرقت ونظير ذلك الاسفنج وجزز الصوف التى فيها الماء قد يخرج منها الماء اذا انضغطت واذا تفرقت وكذلك الغام ايضا اذا تكاثفت وانعصرت واذا

تحللت و تقطعت خرج منها البرق فهذه التى يمكن ان يكون البرق منها و من الله التوفيق –

ذكر اسباب الرعد الكائن بغير برق

فاما الارعاد فتكون فى بعض الاوقات بلابرق لثلاثة اسباب اما لانه ليس فى الغمام نار مستكنة – واما لان فيها نارا يسيرة لا تجزى بعمل البرق – واما لانها تكون كثيرة الا انها لا تستطيع الخروج لكثافة الغمام فان ذلك اذا كان كذلك حدث الرعد لتحدث (١) الغمامة واحتكاكها ولم يحدث البرق –

ذكر اسباب البرق بدون الرعد

واما البرق فيكون بلارعد لعلتين اما لان قرع الغمام واحتكاكها يكون يسيرا فتزلق النار وتخرج ويكن الصوت واما لان الغمام يتخلخل او يتكاثف فيخرج ما فيها من النار فيتولد برق ولا يتولد صوت ونظير ذلك الاسفنج اذا تفرق واذا اعتصر خرج ما فيه من الماء ولم يكن له صوت –

ذكر الاسباب التى بها يسبق البرق الرعد

والبرق يسبق الرعد لعلتين اما لان النار تخرج من الغمام اسرع واما لان البرق والرعد يكونان معا الا انا نحن نرى البرق اسرع مما نسمع الرعد ونظير ذلك انا اذا رأينا من بعد انسانا يشق حطبا ونحن نعلم ان الصوت يكون مع الضربة ونحن نرى الضربة اولا ونسمع الصوت آخره وذلك ان المبصر يؤدى الى الناظر اسرع من مجيء الصوت الى السمع (فهذا ما فى الارعاد والابراق) –

ذكر اسباب الصواعق

فانا نقول فيها ان الصاعقة اما نار ريحية واما ريح نارية وذلك انها اذا وقعت على الخشب

---

(١) كذا

الخشب احرقته والهبته واذا وقعت على ذهب او فضة صلبة اذا بته وهذه الافعال من افعال النار —

ثم نقول بعد ذلك إن الصاعقة وان كانت نارا فليست بالجمرية بل النار الملهبة وذلك انها اذا سقطت على الارض لم توجد جمرة بل رؤى ذلك الموضع الذى تقع فيه الصاعقة كثير الدخان متقلعا وهذه من خواص النار والريح —

والصاعقة ايضا الطف من جميع النار اللهبة التى عندنا وذلك ان النيران التى عندنا لاتنفذ فى الحيطان ولا فى الارض والصاعقة تنفذ فى كل جوهر محسوس وهى لاتبصر لانها تفوت ابصارنا للطافتها ولذلك ليس يرى الصاعقة احد ولكن افعالها تبصر وهى لا تبصر للطافتها ولسرعة حركتها صارت سرعة حركتها تجاوز الوقت الذى يمكن ان يكون فيه البصر لان البصر يحتاج الى زمان حتى يثبت المبصر —

والصاعقة تكون لعلتين اما اذا اكتمنت فى الغمام ريح والتزمت لاحتكاكها بالغمام وشدة خروجها بغتة ومجيئها الينا وقد صارت نارا كما ترى ذلك للرصاص اذا رمى فى المقلاع فانه يسكن بمحاكة الهواء ويلتهب ويذوب واما ان تتولد فى غمامة عظيمة واما فى غمامات كثيرة صغار اذا اجتمع بعضها الى بعض صارت فيها صاعقة واحدة وكما انه يكون من عيون كثيرة اذا اجتمع الماء الخارج منها الى موضع واحد كذلك يكون من غمامات كثيرة وان لم تكن عظاما صاعقة واحدة اذا اجتمعت النار الخارجة من كل واحد من الغمام والتفت وصارت واحدة وعن هذه الجملة تتولد الصاعقة — وهذا ما اردنا ان نبين ومن الله التوفيق —

تمت الرسالة

خاتمة الطبع

الحمد لوليه الرحيم البار والصلوة والسلام على نبيه المختار وآله الاطهار واصحابه الاخيار — اما بعد فقد وقع الفراغ من طبع هذه الرسالة الفائقة يوم الخميس فى عشرين من شهر ربيع الثانى سنة ثلث وخمسين وثلثمائة بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام بعونه تعالى وحوله وقوته —

وقد نقلنا هذه الرسالة عن النسخة القديمة المحفوظة فى مكتبة رامفور من الهند تحت رقم (٨٢) فى الحكمة — وقابلناها على نسخة المكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن صانها الله عن جميع البلايا والفتن —

وقد اعتنى بمقابلتها وتصحيحها الحقير والفاضل النحرير العالم الخبير مولانا السيد عبدالله بن احمد العلوى سلمه الله القدير —

وآخر دعوانا ان الحمد لله العلى الكبير والصلوة

والسلام على رسوله البشير النذير وآله

الاتقياء واصحابه النجباء

السيد زين العابدين الموسوى

رفيق دائرة المعارف

والله يقضي بالحق

رسالة

في

سر القدر

عن معنى قول الصوفية (من عرف سر القدر فقد الحد)

للشيخ الرئيس ابي علي الحسين بن عبد الله بن سينا

البخارى المتوفى يوم الجمعة من رمضان

سنة ثمان وعشرين

واربعمائة



الطبعة الاولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية

بحيدرآباد الدكن صانها الله

من الشرور والفتن

(سنة ١٣٥٣ ﻫ)

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل بعض الناس الشيخ الرئيس اباعلي بن سينا عن معنى قول الصوفية (من عرف سر القدر فقد الحد) فقال في جوابه ان هذه المسئلة فيها ادنى غموضة وهي من المسائل التي لا تدون الا مرموزة ولا تعلم الا مكنونة لما في اظهارها من افساد العامة والاصل فيه ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال (القدر سر الله ولا تظهروا سر الله) وما روى ان رجلا سأل امير المؤمنين عليا عليه السلام فقال (القدر بحر عميق فلا تلجه) ثم سأله فقال (انه طريق وعر فلا تسلكه) ثم سأله فقال (انه صعود عسر فلا تتكلفه) —

واعلم ان سر القدر مبنى على مقدمات منها نظام العالم ومنها حديث الثواب والعقاب ومنها اثبات المعاد للنفوس فالمقدمة الاولى هي ان تعلم ان العالم بجملته واجزائه العلوية والسفلية ليس فيه ما يخرج عن ان يكون الله سبب وجوده وحدوثه وعن ان يكون الله عالما به ومدبرا له ومريدا لكونه بل كله بتدبيره وتقديره وعلمه وارادته هذا على الجملة والظاهر وان كنا نريد بهذه الاوصاف ما يصح في وصفه دون ما يعرفه المتكلمون ويمكن ايراد الادلة والبراهين على ذلك فلولا ان هذا العالم مركب من ما تحدث فيه الخيرات والشرور ويحصل من اهله الصلاح والفساد جميعا لما تم للعالم نظام اذ لو كان العالم لايجرى فيه الا الصلاح المحض لم يكن هذا العالم عالما بل كان عالما آخر ولكان (١) يجب ان يكون العالم

ص (١) ف — واما ما كان مركبا الخ — مركبا

مركبا على هذا الوجه والنظام فانه يجرى فيه الصلاح والفساد جميعا ـ

والمقدمة الثانية ان القدماء عندهم ان الثواب حصول لذة للنفس بقدر ما حصل لها من الكمال وان العقاب حصول ألم للنفس بقدر ما يحصل لها من النقص فكان بقاء النفس فى النقص هو البعد عن الله وهو اللعنة والعقوبة والسخط والغضب فيحصل لها ألم بذلك النقص وكما لها هو المراد بالرضى عنها والزلفى والقرب والولاية فهذا معنى الثواب والعقاب عندهم لا غير ـ

والمقدمة الثالثة هى ان المعاد انما هو عود النفوس البشرية الى عالمها ولهذا قال الله تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية) وهذه جمل تحتاج الى اقامة البراهين عليها ـ

فاذا تقررت هذه المقدمات قلنا ان الذى يقع فى هذا العالم من الشرور فى الظاهر فعلى اصل الحكم ليس بمقصود من العالم وانما الخيرات هى المقصودة والشرور اعدام ـ

وعند افلاطن ان الجميع مقصود ومرادوان ماورد به الامر والنهى فى العلم من افعال المكلفين فانما هو ترغيب لمن كان فى المعلوم انه يحصل (١) فى المامور والنهى تنفير لمن كان فى المعلوم انه ينتهى عن المنهى فكان الامر سببا لوقوع الفعل ممن كان معلوما وقوع الفعل منه والنهى سببا لانزجار من يرتدع عن القبيح لذلك ولولا الامر لكان لا يرغب ذلك الفاعل ولولا النهى لكان لا ينزجر عهذا فكان يتوهم ان مائة جزء من الفساد كان يمكن وقوعها لولا النهى واذا دخل النهى وقع خمسون جزأ من الفساد ولو لم يكن نهى وقع مائة جزء وكذلك حكم الامر لو لم يكن امر لكان لايقع شيء من الصلاح فاذا ورد الامر حصل خمسون جزأ من الصلاح ـ

فاما المدح والذم فانما ذلك لامرين احدهما حث فاعل على الخير على معاودة مثله

(١) كذا

الذى هو المراد منه وتوعه والذم زجر من حصل منه الفعل عن معاودة مثله ولمن يحصل منه ذلك ان يحجم عن فعل ما لم يرد منه وتوعه مما فى وسعه ان يفعله ـ

ولا يجوز ان يكون الثواب والعقاب على ما يظنه المتكلمون من اجزاء الزانى مثلا بوضع الانكال والاغلال واحراقه بالنار مرة بعد اخرى وارسال الحيات والعقارب عليه فان ذلك فعل من يريد التشفى من عدوه بضرر اولم يلحقه بتعديه عليه وذلك محال فى صفة الله تعالى او قصد من يريد ان يرتدع عن المتمثل به عن مثل فعله او ينزجر عن معاودة مثله ولا يتوهم ان بعد القيامة تكوين تكليف وامر ونهى على احد حتى ينزجر او يرتدع لاجل ما شاهده من الثواب والعقاب على ما توهموه ـ

واما الحدود المشروعة فى مرتكبى المعاصى فانها تجرى مجرى النهى فى انه ردع لمن ينتهى عن المعصية مما لولاه لتوهم وقوعه منه وقد تكون منفعة الحدود فى منعه عن فساد آخر ولان الناس ينبغى ان يكونوا متقيدين باحد قيدين اما بقيد الشرع واما بقيد العقل ليتم نظام العالم الا ترى ان المحلول من القيدين جميعا لا يطاق حمل ما يرتكبه من الفساد ويختل نظام احوال العالم بسبب المنحل عن القيدين والله اعلم واحكم ـ

تمت الرسالة بعونه

خاتمة الطبع

الحمد لوليه الرحيم البار والصلوة والسلام على نبيه المختار وآله الاطهار واصحابه الاخيار۔ امابعد فقد وقع الفراغ من طبع هذه الرسالة الفائقة يوم السبت فى الثلاثى والشرين من شهر ربيع الثانى سنة ثلث وخمسين وثلثمائة بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام بعونه تعالى وحوله وقوته ـ وقد نقلنا هذه الرسالة عن النسخة القديمة المحفوظة بمكتبة رامفور فى الهند تحت رقم (٨٢) فى الحكمة ـ وقابلنا ها على نسخة المكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن صانها الله عن جميع البلايا والفتن ـ

وقد اعتنى بمقابلتها وتصحيحها الحقير والفاضل النحرير العالم الخبير مولانا السيد عبدالله بن احمد العلوى سلمه الله القدير ـ

وآخر دعوانا ان الحمد لله العلى الكبير والصلوة
والسلام على رسوله البشير النذير وآله
الاتقياء واصحابه النجباء

السيد زين العابدين الموسوى
رفيق دائرة المعارف

لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا

الرسالة العرشية

فى

توحيده تعالى وصفاته

للشيخ الرئيس ابى علی الحسين بن عبدالله بن سينا
البخارى المتوفى يوم الجمعة من رمضان
سنة ثمان وعشرين
واربعمائة



الطبعة الاولى

بمطبعة دائرة المعارف العثمانية
بحيدرآباد الدكن صانها الله
عن الشرور والفتن
(سنة ١٣٥٣ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والحمد من نعمه واعول فى جميع احوالى على كرمه
اما بعد فقد سألنى بعض من ينتمى الى ان اذكر له رسالة مشتملة على حقائق علم التوحيد على الوجه الذى يجب ان يعتقد فى الله وصفاته وافعاله مجانبا جانب التقليد مائلا الى محض التحقيق على سبيل الاختصار فاجبته الى ملتمسه مستعينا بالله ربنا وهذه الرسالة مشتملة على ثلثة اصول الاصل الاول فى اثبات واجب الوجود الاصل الثانى فى وحدانيته الاصل الثالث فى نفى العالم عنه ـ

الاصل الاول فى اثبات واجب الوجود

اعلم ان الموجود اما ان يكون له سبب فى وجوده اولا سبب له فان كان له سبب فهو الممكن سواء كان قبل الوجود اذا فرضناه فى الذهن او فى حالة الوجود لان ما يمكن وجوده فدخوله فى الوجود لا يزيل عنه امكان الوجود وان لم يكن له سبب فى وجوده بوجه من الوجوه فهو واجب الوجود فاذا تحققت هذه القاعدة فالدليل على ان فى الوجود موجودا لا سبب له فى وجوده ما اقوله ـ

فهذا الوجود اما ممكن الوجود او واجب الوجود فان كان واجب الوجود فقد ثبت ما طلبناه وان كان ممكن الوجود فممكن الوجود لا يدخل فى الوجود الا بسبب يرجح وجوده على عدمه فان كان سببه ايضا ممكن الوجود فهكذا تتعلق الممكنات بعضها ببعض فلا يكون موجودا لبتة لان هذا الوجود الذى

فرضنا

فرضناه لايدخل فى الوجود مالم يسبقه وجود مالايتناهى وهو محال فاذا الممكنات تنتهى بواجب الوجود ــ

الاصل الثانى فى وحدانيته تعالى

اعلم ان واجب الوجود تعالى لايجوز ان يكون اثنين بوجه من الوجوه وبرهانه انه لو فرضنا واجب الوجود آخر فلا بد ان يتميز احدهما عن الآخر حتى يقال هذا او ذاك اما ان يكون بذاتى او عرضى فان كان التميز بينهما بعرضى فهذا العرضى لايخلوا ما ان يكون فى كل واحد منهما او فى احدهما فان كان فى كل واحد منهما عرضى يتميز به عن الآخر فكل واحد منهما معلول لان العرضى مايلحق الشيء بعد تحقق ذاته وان كان العرضى من قبل ما يلزم الوجود ويكون فى احدهما دون الآخر فيكون الذى لا عرضى له واجب الوجود والآخر لايكون واجب الوجود وان كان التميز بينهما بذاتى فالذاتى ما يتقوم به الذات وان كان لكل واحد منها ذاتى غير ما للاخر تميز به عنه فيكون كل واحد منهما مركبا والمركب معلول فلا يكون كل واحد منهما واجب الوجود وان كان هذا الذاتى لاحدهما والآخر واحد من كل وجه لا تركيب فيه بوجه من الوجوه فالذى ليس له ذاتى هو واجب الوجود والآخر لايكون واجب الوجود فاذا ثبت بهذا ان واجب الوجود لا يجوز ان يكون اثنين بل كل حق فانه من حيث حقيقته الذاتية التى هو بها حق فهو متفق واحد لايشاركه فيه غيره فكيف ما ينال به كل حق وجوده به ــ

الاصل الثالث فى نفى العلل عنه

وهو نتيجة الاصل الاول ــ اعلم ان واجب الوجود لاعلة له البتة والعلل اربع مامنه وجود الشئ وهو العلة الفاعلية وما لاجله وجود الشئ وهو العلة الغائية التمامية وما فيه وجود الشئ وهو العلة المادية ومابه وجود الشئ وهو العلة الصورية ــ

ووجه حصر هذه العلل في هذه الا ريب ان السبب للشئ اما ان يكون داخلا في قوامه وجزأ من وجوده او يكون خارجا عنه فان كان داخلا فاما ان يكون الجزء الذي يكون الشئ فيه بالقوة لا بالفعل وهو المادة واما ان يكون الجزء الذي يصير فيه الشئ بالفعل وهو الصورة وان كان خارجا فلايخلو اما ان يكون ما منه وجود الشئ وهو الفاعل واما ان يكون ما لاجله وجود الشئ وهو المقصود والغاية — فاذا ثبت ان هذه هي الاصول فلنعطف عليها ولنبين المسائل التي هي مبنية عليها — فنقول برهانه انه لاعلة له فاعلية وهو ظاهر لانه لو كان له سبب في الوجود لكان هذا حادثا وذاك واجب الوجود واذا ثبت انه لاعلة له فاعلية فبهذا الاعتبار لا تكون ماهيته غير انيته اي غير وجوده ولايكون جوهرا ولا عرضا ولايجوز ان يكون اثنان كل واحد منهما مستفيد الوجود من الآخر ولايجوز ان يكون واجب الوجود من وجه وممكن الوجود من وجه آخر —

بيان انه لا تكون ماهيته غير انيته بل يتحد وجوده في حقيقته انه اذا لم يكن وجوده نفس حقيقته فيكون وجوده (١) نفس حقيقته وكل عارض فمعلول وكل معلول محتاج الى السبب فهذا السبب اما ان يكون خارجا عن ماهيته او يكون هو ماهيته فان كان خارجا فلا يكون واجب الوجود ولايكون منزها عن العلة الفاعلية وان كان السبب هو الماهية فالسبب لا بد وان يكون موجودا تام الوجود حتى يحصل وجود غيره منه والماهية قبل الوجود لاوجود لها ولو كان لها وجود قبل هذا لكان مستغنيا عن وجود ثان ثم كان السؤال عائدا في ذلك الوجود فانه ان كان عرضيا فيها فمن اين عرض ولزم فثبت ان واجب الوجود انيته ماهيته وانه لاعلة له فاعلية وكان وجوب الوجود له كالماهية لغيره ومنه يظهر ان واجب الوجود لا يشبه غيره بوجه من الوجوه لان كل ما سواه فوجوده غير ماهية —

وبيان انه ليس بعرض ان العرض هو الموجود في الموضوع فيكون الموضوع

(١) كذا ولعله فيكون وجوده غير نفس الخ —

متقدما

مقدما عليه ولا يمكن وجوده دون الموضوع وقد ذكرنا ان واجب الوجود لاسبب له فى وجوده -

وبيان انه لايجوز ان يكون واجبا الوجود كل واحد منهما مستفيد الوجود من الآخر لان كل واحد منهما من الوجه الذى يكون مستفيد الوجود من الآخر يكون متأخرا عنه ومن الوجه الذى يكون مفيد الوجود يكون مقدما عليه والشئ الواحد لايكون متقدما ومتأخرا بالنسبة الى وجوده وايضا لوفرضنا عدم ذلك الآخر فهل هذا يكون واجب الوجودام لافان كان واجب الوجود فلا تعلق له بالآخر وان لم يكن واجب الوجود فهو ممكن الوجود فيحتاج الى غير واجب الوجود فاذا واجب الوجود واحد غير مستفيد الوجود من واحد فهو واجب الوجود من كل الوجوه وغيره مستفيد الوجود من الآخر -

وبيان انه لايجوز ان يكون واجب الوجود من وجه ممكن الوجود من وجه انه من الوجه الذى هو ممكن الوجود يكون متعلق الوجود بالغير ويكون له سبب ومن الوجه الذى هو واجب الوجود يكون منقطع العلائق فيكون الوجود له ولا يكون له وهذا محال -

وبرهان انه لاعلة له مادية وقابلية ان العلة القابلة هى العلة لحصول المحل المقبول له اى هو المستعد لقبول وجودا وكمال وجود فواجب الوجود كمال بالفعل المحض لا يشوبه نقص وكل كمال له ومنه ومسبوق بذاته وكل نقص ولو بالمجاز منفى عنه ثم كل كمال وجمال من وجوده بل من آثار كمال وجوده فكيف يستفيد كمالا من غيره واذا ثبت انه لا علة له قابلة فلا يكون له شئ بالقوة ولا تكون له صفة منتظرة بل كماله حاصل بالفعل ولا تكون له علة مادية وقولنا بالفعل لفظ مشترك اى كل كمال يكون لغيره معدوم ومنتظر وهوله موجود حاضر فذاته الكاملة المتقدمة على جميع الاعتبارات واحدة وبهذا يظهر ان صفاته لا تكون زائدة على ذاته لانها لوكانت زائدة على ذاته لكانت الصفات بالنسبة الى الذات بالقوة وتكون الذات سبب تلك الصفات فان تلك الصفات تكون متقدمة عليها

فتكون من وجه فاعلة ومن وجه قابلة وكونها فاعلة غير جهة كونها قابلة فتكون فيها جهتان متباينتان وهذا مطرد فى كل شئ فان الجسم اذا كان متحركا فيكون التحريك من وجه والتحرك من وجه آخر ـ

فان قيل ان صفته ليست زائدة على الذات بل هى داخلة فى تقويم الذات والذات لايتصور وجودها دون تلك الصفات فتكون الذات مركبة فتنخرم الوحدة ويظهر ايضا من نفى العلة القابلة انه يستحيل عليه التغير لان التغير معناه زوال صفة وثبوت اخرى فيكون فيه بالقوة زوال وثبات وهذا محال فتبين منه انه لاضد له كما لا ندله لان الضدين هما ذاتان متعاقبتان على محل واحد بينهما غاية الخلاف وهو تعالى غير قابل للاعراض فضلا عن الاضداد وان جعل الضد عبارة عن المنازع فى الملك فتبين ايضا انه لا ضدله وتبين انه يستحيل عليه العدم لانه لما ثبت وجوب وجوده استحال عدمه لان كل مايكون بالقوة لا يكون بالفعل فيكون فيه جهتان وكلما يكون قابلا لشئ فاذا حصل القبول لايرتفع القابل فيؤدى الى ارتفاع الوجود والعدم وهو مطرد وهذا فى كل ذات وفى كل حقيقة متحدة كالملائكة والارواح البشرية فانها لاتقبل العدم اصلا لبراءتها عن لواحق الاجسام ـ

واما برهان انه لا علة له صورية ان العلة الصورية الجسمية انما تكون وتتحقق اذا كانت له مادة فتكون للمادة شركة فى وجود الصورة كما ان للصورة حظا فى تقويم المادة فى الوجود وبالفعل فيكون معلولا ويظهر من انتفاء هذه العلة عنه انتفاء جميع العوارض الجسمانية من الزمان والمكان والجهة والاختصاص بمكان وعلى الجملة فكل مايجوز على الاجسام يستحيل عليه ـ

واما بيان انه لاعلة له غائية وكمالية ان العلة الغائية مايكون لاجلها الشئ والحق الاول لا يكون لاجل شئ بل كل شئ لاجل كمال ذاته وتابع لوجوده ومستفاد من وجوده ثم العلة الغائية وان كانت فى الوجود متأخرة عن سائر العلل فهى فى الذهن متقدمة على سائر العلل والعلة الغائية تصير العلة الفاعلية علة بالفعل اعنى

فيما

فيما يكون علة غائية —

واذا ثبت انه منزه عن هذه العلة ايضا فتبين انه لاعلة لصفته وبه يظهر انه جواد محض وكمال حق وبه يظهر معنى غنائه وانه لا يستحسن شيئا ولا يستقبح شيئا لانه لو استحسن شيئا او استقبح شيئا اوجد ذلك المستحسن ودام ولا نعدم ذلك المستقبح وبطل وباختلاف هذه الموجودات تبطل هذه القضية لان الشئ الواحد من كل وجه لا يستحسن الشئ وضده وانه لايجب عليه رعاية الاصلح والصلاح كما هذى به جماعة من الصفاتية اذ لو كان ما يفعله من الصلاح واجبا عليه لما استوجب بذلك الفعل شكرا ولا حمدا الانه يكون قاضيا لما وجب عليه ويكون فى الشاهد كمن قضى دينه فانه لايستوجب به شيئا بل افعاله منه وله كما سنبين بعد —

القول فى الصفات على الوجه الذى تلقيناه من هذه الاصول الممهدة

اعلم انه لما ثبت انه واجب الوجود وانه واحد من كل وجه وانه منزه عن العلل وانه لا سبب له بوجه من الوجوه وثبت ان صفاته غير زائدة على ذاته وانه موصوف بصفات المدح والكمال لزم القول بكونه عالما حيا مريدا قادرا متكلما بصيرا سميعا وغير ذلك من الصفات الحسنى ووجب ان يعلم ان صفاته ترجع الى سلب واضافة ومركب منهما واذا كانت الصفات على هذه الصفة فهى وان تكثرت لاتخرم الوحدة ولاتناقض وجوب الوجود واما السلب فكالقدم فانه يرجع الى سلب العدم عنه اولا والى نفى السببية ونفى الاول عنه ثانيا وكالواحد فانه عبارة عمالا ينقسم بوجه من الوجوه لاقولا ولا فعلا واذا قيل واجب الوجود فمعناه انه موجود ولا علة له وهو علة لغيره فهو جمع بين سلب واضافة واما الاضافة فككونه خالقا بارئا مصورا وجميع صفات الافعال واما المركب منهما

فكالمريد والقادر فانهما مركبان من العلم والاضافة الى الخلق ـ

واذا عرفت هذا فنحن نذكر بعض صفاته لتهتدى بمعرفتها الى مالم نذكره ـ

الصفة الاولى

إعلم انه عالم بذاته وان علمه ومعلوميته وعالميته شيء واحد وانه عالم بغيره و بجميع المعلومات وانه يعلم الجميع بعلم واحد وانه يعلمه على وجه لا يتغير علمه لوجود المعلوم وعدمه ـ

وبيان انه عالم بذاته ماذكرناه إنه واحد وانه منزه عن العلل فإن معنى العلم هو حصول حقيقة مجردة عن الغواشى الجسانية واذا ثبت انه واحد مجرد عن الجسم وصفاته فهذه الحقيقة على الوجه حاصلة له وكل من تحصل له حقيقة مجردة فهو عالم ولا يقتضى ان يكون هذا ذاته اوغيره ولانه لا تغيب عنه ذاته فهوعالم بذاته ـ

وبيان انه علم وعالم ومعلوم ان العلم عبارة عن الحقيقة المجردة فاذا كانت هذه الحقيقة مجردة فهو علم واذا كانت هذه الحقيقة المجردة له وحاضرة لديه وغير مستورة عنه فهو عالم واذا كانت هذه الحقيقة المجردة لاتحصل الابه فهو معلوم بعبارات مختلفة وإلا فالعلم والعالم والمعلوم بالنسبة الى ذاته واحد ـ

ونفسك قابل فانك اذا علمت نفسك فمعلومك غيرك اوانت فان كان معلومك غيرك فما علمت نفسك وان كان معلومك نفسك فالعالم والمعلوم هو النفس واذا كانت صورة نفسك مرتسمة فى نفسك كانت النفس هى العلم فانك اذا راجعت نفسك بالتأمل فلاتجد من نفسك ارتسام حقيقتها وماهيتها فيها مرة اخرى حتى يحصل لك الشعور بتعددهافاذا ثبت انه يعقل ذاته وعقله ذاته لايزيد على ذاته كان عالما وعلما ومعلوما من غير تكثر يلحقه بهذه الصفات ولافرق بين عالم وعاقل لانهما عبارتان عن سلب المادة مطلقا ـ

وبيان انه عالم بغيره ان كل من يعلم نفسه فبعد ذلك ان لم يعلم غيره فيكون لمانع

 والمانع

والمانع ان كان ذاتيا فيجب ان لايعلم نفسه ايضا وان كان المانع خارجيا فالخارج يمكن رفعه فاذا يجوز ان يكون عالما بغيره بل يجب كما ستعلم من هذا الباب ــ
وبيان انه عالم بجميع المعلومات انه ثبت أنه واجب الوجود وانه واحد وان الكل منه يوجد وعن وجوده حصل وانه عالم بذاته واذا كان عالما بذاته فعلمه على الوجه الذى هو عليه وهو انه مبدء لجميع الحقائق والموجودات فاذا لايعزب عن علمه شئ فى الارض ولا فى السماء بل جميع ما يحصل فى الوجود انما يحصل بسببه وهو مسبب الاسباب فيعلم ماهو سببه وموجده ومبدعه ــ
وبيان انه يعلم الاشياء بعلم واحد وانه يعلمها على الوجه الذى لايتغير بتغير المعلوم انه قد ثبت ان علمه لايكون زائدا على ذاته وهو يعلم ذاته وهو مبدء لجميع الموجودات وهو منزه عن العرض والتغيرات فاذا يعلم الاشياء على الوجه الذى لايتغير فان المعلومات تبع لعلمه لاعلمه تبع للمعلومات حتى يتغير بتغيرها لان علمه الاشياء سبب لوجودها ومن ههنا ظهر ان العلم نفسه قدرة وهو يعلم الممكنات كما يعلم الموجودات وان كنا نحن لا نعلمها لان الممكن بالنسبة الينا يجوز وجوده ويجوز عدمه وبالنسبة اليه يكون احد الطرفين معلوما له فعلمه بالاجناس والانواع والموجودات والممكنات والجلى والخفى واحد ــ

الصفة الثانية

كونه حيا قد ثبت انه واحد وانه لاعلة لذاته واذا عرفت ان حيوته ليست صفة عارضة لذاته بل معنى الحىّ هو العالم بنفسه على ماهو عليه واذ قد ذكرنا انه واحد لاتعزب ذاته عن ذاته فاذا هو حىّ لانه العالم بذاته لذاته وكل ما سواه وان كان عالما به فعلمه به بواسطة علمه تعالى بذاته تقدس وايضا الحىّ يعبر به عن المدرك والفاعل فمن له علم وادراك وفعل فهو حىّ ومن يكون له جميع المعلومات وجميع المدركات وجميع الافعال فهو اولى بان يكون حيا ــ

الصفة الثالثة

كونه مريدا فقد ظهر انه واجب الوجود وانه واحد وان اليه تنتهى الموجودات في سلسلتي الترقي والتنزل فمنه وجود الكل واليه رجوع الكل وبه قوام الكل فاذا كل ما سواه فهو فعله وهو فاعله وموجده والفاعل لايخلو اما ان يكون له بالفعل الصادر منه شعور او لم يكن فان لم يكن له شعور فلا يخلو اما ان يكون فعله مختلفا او متفقا فان كان فعله متفقا فذلك المبدء والسبب هو الطبع وان كان فعله مختلفا فذلك المبدء والسبب هو النفس النباتى وان كان له بفعله شعور فلايخلو اما ان يكون معه تعقل وعلم اولم يكن فان لم يكن فهو المبدء الذى تصدر عنه الافعال الحيوانية وان كان معه تعقل وعلم فلا يخلو اما ان يكون فعله متحدا او مختلفا فان كان مختلفا فهو المبدء الذى يسمى النفس الانسانية وان كان فعله متحد الا انه لايختلف عليه فهو النفس الفلكية ــ

فاذا عرفت هذا فتعرف ان فعل الله تعالى صادر عن العلم الذى لايشوبه جهل ولا تغير وكل فعل صادر عن العلم بنظام الاشياء وكما لا تها على احسن ما يكون فذلك يكون بارادة فاذا هو من ذاته عالم بوجود الاشياء الصادرة عنه على احسن النظام والكمال وذلك الاختلاف الذى فيها لازم لذواتها اذ لو فارق والطبع طبعه لم يكن ذلك طبعا وهو له ذاتى فلا تكون الشمس شمسا مع ان الصورة الشمسية لها ذاتية وكذلك الكلام فى النفس النباتى والحيوانى والانسانى والفلكى اذ كل ما يحصل لها من التغير والاختلاف راجع الى اختلاف موادها فهو ذاتى لها ورفع ما هو ذاتى محال فاذا اول الاشياء فارق الاشياء بعلمه الذى هو سبب لوجود جملة تامة كاملة على احسن النظام من احكام واتقان ودوام واستمرار وهو المسمى بالارادة لان صدورهذه الافعال من آثار كمال وجوده فيلزم ان يكون مريدا لها ــ

ومن ههنا يعلم معنى الغاية من انها لا تحتاج الى ميل وقصد بتخصيص واحد من الخلق لخير دون غيره فانا ذكرنا انه منزه عن العلة الغائية فاذا العناية تصور نظام

الخير

الخير في الكل فيدخل في الوجود على حسب ماعلم فذلك التصور المتعالى عن التغير هو العناية وتلك الكمالات من آثار عنايته وارادته ــ

الصفة الرابعة

كونه قادرا انا بينا انه عالم وان الفعل الصادر عنه على وفق العلم فيه وان العلم بنظام الخير على وجه يعلم انه من آثار كمال وجوده هو الارادة ــ

فاذا عرفت ذلك فتعلم ان القادر هو الذي يصدر منه الفعل على وفق الارادة وهو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ولايلزم من هذا انه لابد ان تكون مشيئته وارادته مختلفة حتى يشاء تارة ولايشاء اخرى لان اختلاف الارادات لاختلاف الاغراض وقد ذكرنا انه لاغرض له في فعله فاذا مشيئته وارادته متحدة ولان هذه القضية شرطية ولايلزم من قولنا ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل انه لابد (۱) وان يشاء وان يفعل وان لايشاء وان لايفعل لانه علم نظام الخير على الوجه الابلغ الاكمل فلاتتغير ارادته ومشيئته ــ

الصفة الخامسة والسادسة

كونه سميعا وبصيرا وذلك ان الموجودات مختلفة فبعضها مسموع وبعضها مبصر وكونه عالما بالمسموعات هو كونه سميعا وكونه عالما بالمبصرات هو كونه بصيرا فالعلم واحد وانما تختلف اسماؤه لاختلاف متعلقاته فاذا تعلق ببواطن الاشياء يسمى خبيرا واذا تعلق بظواهر الاشياء سمي شهيدا واذا تعلق بالمعدودات سمي محصيا واذا تعلق بالمسموعات سمي سميعا واذا تعلق بالمبصرات سمي بصيرا واذا تعلق بدقائق الاشياء مع حفظ تلك ورعايتها سمي لطيفا واذا جمع فيقال عالم الغيب والشهادة لايعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ــ

---

(۱) ن صف ــ لابدون لايشاء وان لايفعل كما يلزم من قولنا ان شاء فعل انه لابد وان يشاء وان يفعل

الصفة السابعة

كونه متكلما قد ذكرنا انه واحد وانه منزه عن العلل الاربع فوصفه بكونه متكلما لايرجع الى ترديد العبارات ولا الى احاديث النفس والفكرة المتخيلة المختلفة التى العبارات دلائل عليها بل فيضان العلوم منه على لوح قلب النبى صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة القلم النقاش الذى يعبر عنه بالعقل الفعال والملك المقرب هو كلامه فالكلام عبارة عن العلوم الخاصة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والعلم لا تعدد فيه ولا كثرة (وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر) بل التعدد اما ان يقع فى حديث النفس والخيال والحس فالنبى صلى الله عليه وآله وسلم يتلقى علم الغيب من الحق بواسطة الملك وقوة التخيل تتلقى تلك وتتصورها بصورة الحروف والاشكال المختلفة وتجد لوح النفس فارغا فتنتقش تلك العبارات والصور فيه فيسمع منها كلاما منظوما ويرى شخصا بشريا فذلك هو الوحى لانه القاء الشئ الى النبى بلا زمان فيتصور فى نفسه الصافية صورة الملقى والملقى كما يتصور فى المرآة المجلوة صورة المقابل فتارة يعبر عن ذلك المنتقش بعبارة العبرية وتارة بعبارة العرب فالمصدر واحد والمظهر متعدد فذلك هو سماع كلام الملائكة ورؤيتها وكلما عبر عنه بعبارة قد اقترنت بنفس النصور فذلك هو آيات الكتاب وكلما عبر عنه بعبارة نقشية فذلك هو اخبار النبوة فلا يرجع هذا الى خيال بذهن محسوس مشاهد لان الحس تارة يتلقى المحسوسات من الحواس الظاهرة وتارة يتلقاها من المشاعر الباطنة فنحن نرى الاشياء بواسطة القوى الظاهرة والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يرى الاشياء بواسطة القوى الباطنة ونحن نرى ثم نعلم والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ثم يرى — فاذا عرفت هذه الصفات وعلمت انه واجب الوجود وانه لا علة له داخلة ولا خارجة يسهل عليك معرفة بقية الاشياء والصفات التى اطلقت عليه تعالى فانه اذا قيل حق فمعناه يرجع الى وجوب وجوده فان الشئ اما ان يكون واجب الوجود او ممتنع الوجود او ممكن الوجود فواجب الوجود هو الحق المطلق وممتنع

الوجود

الوجود هو الباطل المطلق وممكن الوجود هو باعتبار نفسه باطل وبالنظر الى موجبه واجب وبالنظر الى رفع سببه ممتنع فيمتنع و يعدم فيكون بالالتفات الى السبب وعدم السبب ممكنا —

واذا قيل انه جواد فمعناه انه يفيد الوجود من غير عوض ولاغرض من المدح والتخلص من الذم ولايقصد به نفع الغير —

واذا قيل ملك فهو المستغنى الذى يستغنى عن كل شئ ولا يستغنى عنه شئ فى شئ فان الاستغناء يعتبر فيه ثلاثة امور لا توجد فى غيره اصلا — الاول انه لاتتوقف ذاته على الغير — الثانى انه لاتتوقف صفاته العرية عن الاضافة الى الغير — الثالث ان لاتتوقف على الغير صفاته التى تعرض لها الاضافات لان ذاته مبدأ للمضافين فهى اذا متقدمة عليهم و اذا كانت متقدمة عليهم لم تكن حينئذ فقيرة الى ما به استغنى فاذا غناه لذاته وليس لغيره عنه غنى —

و اذا قيل اول فهو باعتبار ذاته هو الذى لا تركيب فيه وانه منزه عن العلل وباضافته الى الموجودات هو الذى يصدر عنه الأشياء —

وعلى الجملة هو الذى يكون ولا يكون شئًا البتة ولم يكن الآخر وقد كان قبله فهو ذلك الشئ اولا وبعد كونه آخرا فاذا كل كمال وجمال ووجود يكون لغير الحق فهو للحق الاول اولا ومستفاد منه ولايكون لما عداه —

واذا قيل آخر فهو الذى يرجع اليه الموجودات فى سلسلتى الترقى والتنزل وفى سلوك السالكين وهكذا تطلق عليه جميع الصفات بشرط ان لا تتكثر ذاته ولاتنخرم وحدته ولا تتطرق اليه علة من العلل فاذا ثبت انه واجب الوجود وانه واحد وانه لا علة له وانه تام الوجود ولا يفوت منه كمال —

فاذا عرفت هذا فتعلم ان جميع ماسواه هو فعله وانه صدر عنه لذاته وانه لايشترط ان يسبقه عدم وزمان لان الزمان تابع للحركات وهو من فعلها نعم يشترط سبق العدم الذاتى لان كل شئ هالك ومنعدم فى نفسه وانما وجوده منه تعالى والذى لذاته يكون سابقا على مايستفيد من غيره فاذا كل شئ سوى البارى تعالى يسبقه العدم

على الوجود سبقا ذاتيا لازما لازمانيا والفاعل الذى يفعل لذاته اشرف واجل من الفاعل الذى يفعل بسبب طار او عارض ـ

وتحقيق هذا ان الذات اذا لم يصدر منه شئ وبقى على ما كان فلا يصدر عنه اذا واذا صدر فلابد من تغير لذاته بحدوث ارادة او طبع او شئ مما يشبه هذا وهذا محال وهو كامل فى ذاته والافعال صادرة عنه فيعلم انه لا يتوقف على زمان واستعلام وقت هو اولى بالفعل فيه وحدوث علة غائية وباعث وحامل فان الذات اذا لم يصدر منه شئ وكان يعرض ان يصدر فهو فى فاعليته ممكن الفعل والممكن لا يترجح احد طرفيه الا بسبب فاذا كل من لم يكن فاعلا ثم صار فاعلا فانما يكون بسبب والسبب اما ان يكون خارجا او داخلا ولا جائز ان يكون خارجا لانه لا موجود الا هو فلا يجوز ان يؤثر فيه غيره وان كان داخلا فيه فيكون تغير وانفعال فى ذاته وكيف يكون قابلا للتغير والانفعال وهو الذى (يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) اشارة الى الحق (١) الاشخاص النوعية بنسخ بعضها بعضا واقامة غيرها مقامها حيث لم يكن دوامها ابدا او ام الكتاب هو تعلق علمه على الوجه الكلى العالى عن التغير والزوال ـ

وهو الصانع الازلى والقادر الابدى الذى بيده مفاتح الغيب ومنه عنصر الوجود فاذا قد ثبت ان وجود الازلى ضرورى وعلمه ملازم لوجوده وفعله ملازم لعلمه اما بالنسبة اليه فعلى سبيل الاتحاد فظاهر واما بالنسبة الى الموجودات فعلى سبيل الاعتبار حتى لا يستدل بتغيرها على تغيره وبعدمها على عدمه فيكون الاستدلال بالكائن الفاسد على الدائم الباقى بل هو الدليل اليه اولا والمرشد اليه ثانيا تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا ـ

فاذا القديم هو الله تعالى لافتقار الموجودات الى القديم كافتقار المعدومات الى الموجد ولما التغيرات المحسوسة فهى فى المادىات دون الابداعيات واذا كان هو الفاعل فيها على الحقيقة حالتى الوجود والدوام لزم من تلك الفاعلية الحقيقية

(١) كذا ولعله الى محو او محق

داومه ابدا والمحدث كل ماسواه لان وجوده ليس بذاته بل بالاول جل وعلا فالكلام الملخص واللفظ المفصح ان يقال ان الله تعالى هو القديم لحسب لانه غير مسبوق بعدم وليس وجوده من غيره والحادث ماسواه لانه مسبوق بالعدم ووجوده بالاول عظمت قدرته ـ

القول فى صدور الافعال عنه

فقد عرفت انه واجب الوجود وانه واحد وانه ليس له صفة زائدة على ذاته تقتضى الافعال المختلفه بل الفعل آثار كمال ذاته واذا كان كذلك ففعله الاول واحد لانه لو صدر عنه اثنان لكان ذلك الصدور على جهتين مختلفتين لان الاثنينية فى الفعل تقتضى الاثنينية فى الفاعل والذى يفعل لذاته ان كانت ذاته واحدة فلا يصدر منها الا واحد وان كانت فيه اثنينية فيكون مركبا وقد بينا استحالة ذلك فيلزم ان لا يكون الصادر الاول عنه جسما لان كل جسم مركب من الهيولى والصورة وهما محتاجان الى علتين اوالى علة ذات اعتبارين واذا كان كذلك استحال صدورهما من الله تعالى لما ثبت انه ليس فيه تركيب اصلا فاذا الصادر الاول منه غير جسم فهو اذا جوهر مجرد وهو العقل الاول والشرع الحق قد ورد بتقرير ذلك فانه عليه السلام قال (اول ماخلق الله العقل) وقال عليه السلام (اول ماخلق الله القلم) ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا والاول اشارة الى دوام الخلق والثانى الى دوام الامر نعم الكل صادر عنه فى سلسلتى الترتيب والوسائط ونحن اذا قلنا هذا الفعل صادر عنه بسبب والسبب منه ايضا فلانقص فى فاعليته بل الكل صادر منه وبه واليه فاذا الموجودات صدرت عنه على ترتيب معلوم ووسائط لايجوز ان يتقدم ماهو متأخر ولايتأخر ماهو متقدم وهو المقدم والمؤخر معانعم الموجود الاول الذى صدر عنه اشرف وينزل من الاشرف الى الادنى حتى ينتهى الى الاخس فالاول عقل ثم نفس ثم جرم السماء ثم مواد العناصر الاربعة بصورها فموادها مشتركة وصورها مختلفة ثم

يترقى من الاخس الى الاشرف فالاشرف حتى ينتهى الى الدرجة التى توازى درجة العقل فهو بهذا الابداء والاعادة مبدئ ومعيد ـ

القول فى قضائه وقدره

على سبيل الاختصار قد عرفت انه واحد وانه لا يتغير وعرفت صفاته فينبغى ان تعرف من جملة ماعرفت ان قضاءه هو علمه المحيط بالمعلومات مبدعاته ومكوناته وان قدره ايجاب الاسباب للمسببات وانه لاعلة له غائية حاملة وانه اذا وجد السبب وجد المسبب وبذكر السبب والمسبب وتفصيلها يظهر اثبات الحكمة الآلهية فى وجود هذه الموجودات وانها وجدت على اكمل مايمكن ان يكون وانه لم يختلف عنها شيئ من كمالها الممكن لها فى نفس الامر ولو كان فى الامكان وجود اكمل مما هى عليه لما وجدت على غيره وان هذه الشرور الحاصلة فى بعض الموجودات وان كان حصولها على سبيل الوجوب واللزوم لكنها غير خالية عن حكمة تامة بها يكون قوام العالم ولولا تلك الحكمة لما وجدت هذه الشرور لان الخيرات هى مبادى الشرور فعند استيفاء الخيرات وانتهائها ربما ظهرت الشرور وربما خفيت هذا فى الشيئ الواحد وفى المصادرات امور شريرة لاجل المنافرات والمنافيات ولكنها نادرة جدا بالاضافة الى الوجود اذ هو خير كله او الغالب خيره واما الشرور فيجب اضافتها الى الاشخاص والازمان والطبائع وسيأتى لذلك زيادة شرح ـ

وانه متى حصل حينئذ نقص فى آحاد نوع ما كان ذلك النقص عائدا الى ضعف فى القابل وقصور فى المستعد والا فالفيض عام من غير بخل به ولا منع عنه فلاينبغى ان يتوهم الاغمار وضعفاء العقول ان هذا التعليل يرجع الى افعاله تعالى لان افعاله نتائج صفاته وصفاته لذاته والذات موجبة ابدا فلو كان لافعاله علة لكان لصفاته علة لان صفاته مصادر افعاله ولو كان كذلك لكانت ذاته مركبة وقد سبق انه محال فاذا كل ما فى الوجود فهو كما ينبغى فعدله فضل وفضله عدل ـ

وليعلم انه لامعقب لحكمه ولاراد لقضائه نعم ينبغى ان يتلطف فى اضافة الخير والشر اليه وهذا انما يعلم بعد ان يوسط بتقسيم حاصر —

فنقول المعلوم لايخلو اما ان يكون خيرا محضا او شرا محضا اوشرا من وجه وخيرا من وجه والذى هو خير من وجه وشر من وجه اما ان يكون خيره غالبا او يكون الخير والشر فيه متساويين فاما الخير المطلق فقد وجد وهو الحق تعالى وكذلك العقول الفعالة ومن يقرب منهم اذ هى اسباب الخيرات والبركات —

واما الشر المطلق والغالب والمساوى فلم يوجد لان احتمال الشر الكثير لاجل ان يحصل خير يسير شر كثير هذا فى الغالب والمساوى — واما الشر المطلق فممتنع الوجود اصلا فلا تقتضى الحكمة ايجاده واما الخير الغالب فيجب فى الحكمة ايجاده ولا يليق بالجواد اهماله لانه نتيجة العلم السابق بنظام الكل على الوجه التام وهو لازم للوجود ولان احتمال الشر اليسير لاجل ان يحصل الخير الكثير (١) فهذا القسم كالمقابل لما قبله فاذا اضيف الشر اليه فاضفه (٢) على العموم مثل (الله خالق كل شئ — والله خلقكم وما تعملون)—

واذا اضيف الخير اليه فعلى الخصوص مثل (بيده الخير وهو على كل شئ قدير — يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) لان الحق الاول تعالى مفيض الخيرات ومنزل البركات فالخير مقتضى بالذات وبالقصد الاول والشر مقتضى بالعرض وبالقصد الثانى ولست اريد بالقصد ههنا القصد والاختيار اللذين هما من موجبات الكمال ومخصصات الزمان لان ذلك فى الحق الاول محال لما سبق ان فيضان الخير منه على سبيل اللزوم فاذا كان كذلك لزم من ذلك اللزوم ان يكون له مقابل هو اثر لذلك الفيض ومثاله من المحسوسات الضياء للشمس والظل للشخص —

وهو الموجود المطلق فمنه ما وجوده بغير وسط وهو العقل الاول الذى وجوده ابداعى وتتلوه العقول الفعالة فذلك السلوك العقلى الآخذ من المبدأ الاول وذلك الاثر الذى هو المعلول الاول يسمى قصدا اولا وذلك لضرورة الترتيب

---

(١) كذا ولعل ههنا سقطا — وهو — خير كثير (٢) كذا ولعله فاحمله —

الحاصل بغير وسط وضيق العبارة عن كنه هذا السلوك والترتيب العقليين (١) وهذا هو الخير المحض الذى لا يشوبه شر البتة وهو المراد بالقضاء فى لسان الشرع لانه الحكم الثابت المستمر على سنن واحد وعلى هذا الترتيب ما حصل من العقول التالين له اولا فاولا —

واما ما بعده (٢) عن الفيض وقبول الامر فان الخير فيه غالب من حيث دخوله فى الوجود لكن ذلك الخير الغالب لما كثرت مباديه وتباينت اسبابه لزم من ذلك التباين والكثرة شر ما على سبيل المصادفات وصار للزومه كأنه مقصود ولكنه مقصود ثانيا ليتميز عن الاول هو وسائر المعلولات الصادرة عن العقل الاول الجارية مجرى تفصيل الجملة الواقعة تارة والمرتفعة اخرى وهو المراد بلفظ القدر قال الله تعالى (وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسيّ كثيرا) ولكن استقصاء الكائنات وعلى الجملة فجميع ما فى الكائنات من الخير لا يتأتى بدون الماء ولكن علم قطعا انه اذا وقع فيه ناسك غرق وكذلك النار وما فيها من المنافع واصلاح العالم مع احراقها ماتقارنه وعلى هذا جميع ما فى العالم فاذا قد ثبت ان الخير مقصود بالقصد الاول وبالذات وان الشر داخل بالعرض والقصد الثانى وان كان كل بقدر والحمد لله واهب العقل وملهم الصواب والصلوة على محمد سيد الابرار وآله الاطهار وصحبه الاخيار —

---

(١) صف — العقلى (٢) صف — ما بعد

تمت الرسالة بعونه

خاتمة الطبع

الحمد لوليه الرحيم البار والصلوة والسلام على نبيه المختار وآله الاطهار واصحابه الاخيار — اما بعد فقد وقع الفراغ من طبع هذه الرسالة الفائقة يوم الاثنين في اربع وعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ثلث وخمسين وثلثمائة بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام بعونه تعالى وحوله وقوته — وقد نقلنا هذه الرسالة عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة رامفور من الهند تحت رقم (٨٢) في الحكمة — وقابلناها على نسخة المكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن صانها الله عن جميع البلايا والفتن —

وقد اعتنى بمقابلتها وتصحيحها الحقير والفاضل النحرير العالم الخبير مولانا السيد عبدالله بن احمد العلوى سلمه الله القدير —

وآخر دعوانا ان الحمد لله العلي الكبير والصلوة
والسلام على رسوله البشير النذير وآله
الاتقياء واصحابه النجباء

السيد زين العابدين الموسوى
رفيق دائرة المعارف

يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية

رسالة

في

السعادة والحجج العشرة

على ان النفس الانسانية جوهر

للشيخ الرئيس ابي علي الحسين بن عبد الله بن سينا
البخاري المتوفى يوم الجمعة من رمضان
سنة ثمان وعشرين
واربعمائة



الطبعة الاولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
بحيدر آباد الدكن صانها الله
عن الشرور والفتن
(سنة ١٣٥٣ ه)

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة للشيخ الرئيس الى بعض اخوانه

في السعادة والحجج العشرة على ان النفس الانسانية جوهر وانها لا تقبل الفساد وفي استمدادها من الفيض الالهي وفي ان الاجرام العلوية ذوات نفس ناطقة وفي احوالها عند مفارقتها —

لو طرق(١) العاقل الى صرف المعروف عن المعارف خصوصا اذا كان المعروف افضل عصمة يتمسك بها من سعد بالحيوة والمصروف به عنه من المعارف اولى من تخلص له الفطنة لطويت العزم دون ما ارومه وقصرت الهمة عما احاوله وما من معروف اشد في نفسه من الهداية الى السعادة التي هي البقاء السرمدي في الغبطة الخالدة في جوار من له الخلق والامر تبارك وتعالى وبين ان تناسب الهدايات بعضها الى بعض بحسب تناسب الغايات بعضها الى بعض وما من غاية يتجرد لها الانسان افضل في ذاتها من السعادة اذا كانت الغاية ما خلاها اذا طلبت على سنن الخيرية على الحقيقة او على الحسبان انما يقصد بها السعادة او علة موصلة اليها كيف ما كان حقيقية او حسبانية وظاهر انه ليس شئ منها مطلوبا لذاته واما عين السعادة فلو اثرت لشئ آخر كانت المرتبة الاخرى والغاية الثانية هي السعادة وقد وصفنا ان الاولى هي السعادة وذلك خلف ولكانت الغايات مترتبة الى ما لا يتناهى وذلك محال فمن البين ان السعادة على الحقيقة هي المطلوبة لذاتها

(١) كذا — ولعله طرف وهذه العبارة الى ابتداء الحجة الاولى مضطربة في كلا النسختين فتأملها

والمستاثرة

والمستأثرة بعينها ومن الظاهر ان ما يستأثر لذاته وسائر الاشياء يستأثر لاجله افضل فى حقيقة ذاته مما يستأثر لغيره لا لذاته فقد تبين ان السعادة هى افضل سعى الحىّ لتحصيله وقد كنا وصفنا ان تناسب الهدايات بعضها الى بعض على حسب تناسب الغايات فاذا الهداية الى السعادة افضل هداية وازكى معروف وهدية وما من احد من المعارف افرض فى الهداية من الاخ الشفيق بحدير على العاقل ان يبقى افضل ولى بافضل سعادة ـ

ثم السعادة قد يظن بها انها الفوز باللذات الحسية والرياسات الدنيوية وبيّن لمن تحقق الامور ان اللذات العاجلة ليس شئ منها بسعادة اذ كل واحد منها لايخلو من نقائص جمة منها ان كل واحد منها لن يصفو لمتعاطيها عن شوب المكروه ـ

ومنها ان كل واحد منها لن يأمن مترجيها وتائلها عن وشك التقضى ومنها انها لن تعرى عن تعقب الملال اما فى ذاتها اوفى الخصائص المستفادة بها فان الملك وان لم يمل بذاته فانه لن يخلص عن الاملال فى المعانى التى يطلب الملك لاجلها مثل تعاطى لذة صادرة عن تقاضى الشهوة او تنفيذ مقدرة صادرة عن ذات الغضب وماضاهاها ـ

ومنها ان كل مرتبة نيلت من جملتها ان يقنع (١) المطمئن الى زخارفها دون المقدار الى حوز ما هو فوقها ـ

ومنها ان كل واحدة يمكن التقاصر عنها من غير اخلال فى محض الانسانية فى العاجل ونيل الفوز فى الآجل ومنها ان كل من يتعاطاها وينهمك فيها انقطعت السكينات الالهية عن صدره وامتنع الفيض الربوبى عن الحلول فيه لامتناعه عن قبوله كما قال عليه السلام (ان الحكمة لتنزل من السماء فلاتدخل قلبا فيه هم غد) وبين حقيقة ذلك لمن تأمل حال تجريد نفسه بشئ من النيات الخالصة الالهية التى تزكو نفسه بها بقوتها العملية اوبداره الى تحقيق مسئلة حكمية تقربها عين نفسه التى بها يبصر وهى قوتها النظرية فانه مهما سعى لاحدهما لم يتأت له وصوله الابعد قطع

(١) كذا ولعله من جبلتها ان يسعى ـ

الهمة عن جميع العلائق الدنياوية والدواعي الشهوانية ـ

ومعلوم ان ما خالطته هذه النقائص فليس بمطلوب لذاته وما ليس مطلوبا لذاته فليس بالسعادة الحقيقية فقد اتضح ان هذه المطالب ليست بالسعادة الا على الحسبان. واذا كانت المطالب التي من حق المرء في ذاته ان يسعى فيها ويقوم لها غير منخدع في قيامه ولا مقصر في سعيه منقسمة الى قسمين احدهما السعادة التي انبأنا بها والثاني السنة المؤدية اليها والظاهر ان السعادة ليست بداخلة تحت المطالب التي اقتصصناها فيجب ان نفحص هل هي سنة مؤدية الى السعادة. واي سنة تكون لذلك ومن البين ان من انهمك في شيء منها تعذر عليه اخلاص النية الالهية الصادرة عن شق النفس النطقيه من غير معاوقة همة دنياوية او مصادمة طلبة عاجلة البتة الى التي ترجى بها نيل السعادة واختيارها على ما سنبينه بعد ويصعب عليها حينئذ الاتصال بالفيض العلوى الالهي الذي يقارن الكمال ويزيل به من حدقة نفسه النطقية الكدرة الموجودة فيها من انحصارها في البدن ووجودها في محل القرنية. فتبين ان هذه المطالب خارجة عن السعادة وليس لها مواصلة اليها ـ

ولا حاجة لنا بعد هذا الى ايضاح مقالتها وانها لن تستحق ان تنصب طلبه او يقرر من حالها ان حقيقتها البطل وان وجودها الغرور لقمين ان يتسع روع الحر لرفضها بل ان يضيق صدره بنيلها ويستبشر بها ابقى موادها منحسمة عنه واغراضها متباينة عليه وعراها منفصمة دونه وان يتفرغ بكافته لنيل السعادة التي هي كماله فان اقصى غاية يتأتى لاحد الموجودات الوصول اليها هو الكمال المختص به وما انحط عنه فهو نقصان بالحقيقة وان كان كمالا بالاضافة الى حال ما دونه ان كانت ـ

وما اخس المرء ان رضي بالنقص دون الكمال وما من دابة فما دونها الا ومن شأنها الاطراد الى اقصى حالها في ذاتها من الكمال ما لم يعقها عائق وبالحرى ان تكون السعادة المطلوبة غير محصلة بذاتها في العالم الحسي اذ النفس فيه ليست مستعدة للفوز بافضل احوالها فتقتدر على تحصيل افضل غاياتها فاذا السعادة

المطلوبة

المطلوبة فى دار اخرى غير هذه الدار —
وانت ايها الاخ الشفيق لما اعرف من تحننك و تعطفك على حقيق بان اجازيك على كفاء المقدرة فامحض لك النصيحة فى تعريف الحيله الموصلة الى الخير الآجلى كما تمحض لى النصيحة فى تسد يدى لكسب الخير العاجلى واهديك الى ما تحوز به الزلفى عند مالك العقبى الباقية كما تتجرد لهدايتى الى ما اجترح به الزلفى الى هول الدنيا الفانية لعلى اكافيك كان الله مرشدك وكافيك —
سنفسر (١) عليك تحقيق ما اقوله الابعد ان اوضح لك ان صورتك الموسومة بالنفس الناطقة غير فاسدة ولا فانية وان لها دارا اخرى افضل من دار الدنيا وان لها لذة فى مقرها اكرم من اللذة التى تطلبها فى دار غربتها ببراهين واضحة وحجج شافية رجاء نيل الرضى من الملك الاعلى —

الحجة الاولى فى ان النفس جوهر

يجب ان يتحقق ان الانسان فيما هو انسان يباين سائر الحيوانات بقوة تخصه من بين جملتها له بها ادراك المعقولات الكلية وقد جرت العادة بتسمية هذه القوة العقل الهيولانى والنفس الناطقة وبها يسمى الانسان ناطقا وهذه القوة موجودة فى كل واحد من الناس طفلا كان اوبالغا مجنونا كان اوعاقلا مريضا كان اوسليما فاول مايحصل فى هذه القوة من المعقولات هى المسماة بداية العقول والآراء العالية اعنى المعانى المتحققة بغير حاجة الى قياس وتعلم اذ لو كان لكل واحد من المعقولات حاجة الى تقدم تعلم وقياس لوصل الامر الى مالا يتناهى وذلك محال فظاهر ان من المعقولات معقولات اول لا تحتاج الى قياس وتعلم فى ان تكون معقولات ويجب ان يكون حصولها فى النفس فى اول مرتبة لانها يجب ان تكون العلة لسائر المعقولات فى ان تكون معقولات فان كل واحد لما هو اول فى كل واحد من المعانى علة لما هو الثانى فى ذلك المعنى من حيث هو ذلك المعنى ولا بد من تقدم وجود هذه المعانى فى القابل لها من الانسان —

---

(١) كذا ولعله ولا نستعيد

ثم لا يخلو اما ان تكون هذه المعانى جواهر او اعراضا حالة فيها وكل من نفى كون النفس الناطقة داخلة في حقيقة الجوهر فانه يسمى هذه المعانى اعراضا ـ

ثم من المعلوم المقبول عند كل واحد من الفرق ان العرض لايستتم قوامه مالم يحط حامل جوهرى الذات يحمله اذا سم العرض موضوع لهذا المعنى ولابدان يكون لهذه المعانى على هذا الوضع حامل من ذات الانسان يحملها وهذه المعانى كلية لان من حكم بان الشيء لا يصدق عليه نعم ولا معا ولا يكذب بان عليه معا بل يصدق احدها ويكذب الآخر فليس يطاقه الا اطلاقا كليا وكذلك من قال ان الكل اعظم من الجزء وكذلك من قال ان الاشياء المساوية لشيء واحد متساوية فلينظر من هو حامل هذه المعانى الكلية من ذات الانسان وهل هو جسم اوجوهر غير جسم ومن البين ان حاملها لوكان جسما لامتنع ان يقبل شيئا من المعانى المعقولة الكلية وذلك انه ليس شيء من هذه ينقسم الا الى الاجزاء الجزئية ان كانت له والاجزاء الرسمية الوهمية ان كانت له والاجزاء القولية ان كانت له واما من جهة الكمية فكلا وتبين ذلك آنفا ـ

ثم من البين ان كل صورة لابست جسما من الاجسام فانها تنقسم بانقسام الجسم ـ ثم من الممتنع ان يكون انقسامها من جهة الكمية وذلك ان الاجزاء التى تنقسم اليها الصورة المعقولة لا يخلو اما ان يكون لها اولبعضها شيء من معنى الكل اولا يكون لها اولبعضها شيء من معنى الكل فان كان هذا القسم فالصورة الكلية اذا تتركب من اجزاء ليس لها شيء من معنى الكل واذا كانت اجزاء خالية عن صورة وانما تحصل فيها الصورة عند اجتماعها فليست باجزاء لصورة تقبل هى اجزاء قابل الصورة فاذا ليست الصورة التى وصفناها بمنقسمة وهذا خلاف فبقى ان كانت الصورة الكلية منقسمة ان تنقسم الى اجزاء لها معناها وذلك على قسمين اما ان يكون لكل واحد منها اولبعضها تمام صورتها ومعناها فتكون الصورة الكلية محمولة على هذه الاشياء وهذه الاشياء اما اشخاص تحتها اوانواع ومن البين انا اذا وضعنا الصورة الكلية نوعا من الانواع الاخران هذه الاجزاء تكون

اشخاصا

اشخاصا يحمل عليها معنى الصورة الكلية ثم عند تركبها يحصل المعنى الكلى وذلك محال على ما بين على لسان المنطقيين ولسان الفاحصين عن الفلسفة الاولى ثم مع ذلك لا يكون الانقسام عارضا لها بل اوضوعا تها التى تحمل هى عليها وذلك غير الموضوع فبقى انما اذا انقسمت فانما تنقسم الى اشياء ليس لها تمام معناها ولاهي ايضا عربية عنها وتلك هى اجزاء الحد والرسم فاذا انما تنقسم الى اجزاء حدية اورسمية ولا يخلو اما ان تكون هذه الاجزاء كلية او شخصية فان كانت شخصية لحد الكلى مركب من اجزاء شخصية وذلك محال على مابينه المنطقيون وان كانت كلية فالمسئلة راجعة من الرأس فى كل واحد من الاجزاء فاما ان بلغت القسمة الى ما لا نتناهى فتكون صورة كلية مركبة من مباد صورية كلية لا تنقسم فى ذاتها الى الاجناس الاولى وبين ان هذه الصورة الكلية ليس من شأنها الحلول فى جسم من الاجسام لاجل امتناعها عن الانقسام فاذا الصورة التى هذه الصورة مبدؤها وجزؤها وحدها بحالة فى الجسم والافيكون الانسان موجودا ولاحيوانا وهذا محال تبين ان الصورة الكلية لن تحل جسما من الاجسام البتة ولا ايضا فى قوة جسمانية اذ حال القوة الملابسة للجسم فى الانقسام كحال الجسم فقد اتضح ان محل الحكمة من ذات الانسان جوهر غير جسمانى قائم بذاته وذلك ما اردنا ان نبين ـ

الحجة الثانية

من البين انه ليس شئ من الاجسام من حيث هو جسم محلا للحكمة والالزم ان يكون كل جسم من الاجسام محلالها وذلك خلاف المشاهدة ـ

اللهم الا ان يقول قائل ان الفيض الالهى يصيب بالقصد منها واحدا دون آخر واما جميعها فمهيئ لقبوله الا ان الجواب عن هذا ان مثل هذا القصد لن يصدر الا عن تقدم العلم والعلم لا يتصور فاذا القصد لا يقتصر على واحد دون آخر بل الفيض فيض كلى وعلى ان هذا يؤدى ايضا الى نسبة الامور الالهية الى حرمان المستعدات لكمالاتها كمالاتها والبخل بها عليها وهذا محال بل الجود الالهى

الى حرمان (١) مستعدات ـ فائض على كل موجود والرحمة واسعة والبخل منفى الذات عنه الا ان الاشياء متفاوتة فى قبول الجود على حسب تفاوتها فى الاستعدادات ولهذا البحث كلام خاص ليس هذا موضعه ـ

فقد تبين كذب من ظن ان الافاضة تتناول واحدا واحدا من الجزئيات دون واحد واحد على القصد بل انما التفاوت من قبل القوابل فالجسم اذا لايمكنه قبول شيء من تلك الاشياء بذاته مالم ينضم اليه قوة او معنى او صورة او شيء يتأتى الفيض بالقبول ثم ذلك المعنى او القوة ان كانت تحتاج فى ادراكها وتصورها الى جسم من الاجسام فبين انها مهما ادركت معقولا قويا لم تقو عندالرجوع عنه على ادراك معقول اضعف منه فاذا من شأن الانفعال القوى المقرر فى الجسم عن الحس بعد ادراك القوى لما هو اضعف عنه مثل القوى الحسية انها اذا كانت متمكنة من ادراك المعارف الخاصة بها لابمشاركة الجسم صار ادراك القوى منها يضعفها عن ادراك ماهو دونه بل ربما ادى ذلك الى فسادها ونحن نشاهد الجوهر الذى هو محل الحكمة بها (٢) قويت الصورة الحالة فيه ازداد بذلك قوته ولو كان جسما او جسمانيا لكان الامر بالضد فاذا ليس الجوهر الذى يعقل به الانسان جسما بل هو جوهر غير جسمانى وذلك ماأردنا ان نبين ـ

الحجة الثالثة

لو كانت الصورة المعقولة تحتل جسما من الاجسام وتلابسه لامتنع ادراك المتضادين بادراك واحد معا لان صورتى الضدين هكذا ـ

وبالجملة المتقابلات لا تحل فى جسم معا ولكن الجسم فى محل هذه الصورة مخالف لهذا فانه مهما حل فيه صورة احد المتقابلين وجب ضرورة ان تحل معه صورة المقابل الثانى اذ علم المتقابلات يكون معا فتبين ان هذا الجوهر اعنى القابل للعلم غير جسم بل هو جوهر غير جسمانى وذلك ماأردنا ان نبين ـ

---

(١) كذا ولعل هذين اللفظين تكرار لما قبلهما (٢) كذا ولعله مهما قويت الخ ـ

الحجة الرابعة

الجسم اذا وضعناه محلا للحكمة بذاته او بمشاركة معنى ما فيه فمن الواجب ان يكون منفعلا عنه قبول الصورة الحكمية اذ كل جسم من الاجسام مهما قبل صورة من الصور صح عليه جزم انقبول بالانفعال ثم الجوهر الذى يعقل النتائج انما يعقلها بالاستخراج منه لها بالتركيب و التحليل للصورة التى فى ذاته وذلك فعل لا انفعال ولو كان جسما لكانت هذه المعانى اما غير موجودة واما انفعالات و قد تبين انها افعال موجودة فاذا ليس بجسم بل جوهر غير جسمانى وذلك ما اردنا ان نبين ــ

الحجة الخامسة

من البين ان الاجسام الواقعة تحت النمو تأخذ فى سن الشيخوخة فى الضعف وكذلك جميع القوى الملابسة لها ولو كان محل العلم جسما او قوة جسمانية تتعلق تنميتها بكمال الجسم وقوتها بقوته لكانت الشيخوخة على الاضطرار تضعف القوة المميزة او الجوهر التميزى عن تعقل الحكمة فلا يوجد احد من الناس الا وهو فى تلك الحال اضعف منه فى الاحوال التى كان الجسم والقوى الجسمانية فيها قوية جدا وقد نرى من يكبر سنه ويأخذ جوهره الجسمانى فى الذبول يكون اقوى تميزا مما كان اولا بل ذلك على الاكثر ولو كان الموضوع جسما حقا لما كان يوجد هذا فى حال ابدا فاذا موضوع العلم جوهر غير جسمانى وذلك ما اردنا ان نبين ــ

الحجة السادسة

قد تبين من الآراء الطبيعية وغيرها ان بدن الانسان مؤلف تأليفا لا يقع به ممانعة بين اجزائه فى افعالها الصادرة عنها وانفعالاتها ــ
وبالجملة فى كمالاتها بل كل واحد منها من اجزائها فى حال الصحة اما ان يقوى الآخر على خالص كمالها ويميل عنه رأسا برأس ليحصل به النظام فى امر حياته وذلك

بين اذا تصفح كل واحد منها (١) وتركيبه وبذلك يتضح ان بعضها غير معاوق لبعض فى حال الصحة فى شيء من ذلك ثم الشيء الذى به يفعل الانسان مهما اراد ان يفعل فعله الخاص من تعقل او اخلاص نية اما امتناع عن القوى المفسدة او المسخرة اياه على مطابقتها لم يقو على ذلك الا بممانعتها و مغالبتها لتمكنها عن مغالبة و ممانعة فتبين ان هذا الجوهر غير جسمانى و ذلك ما اردنا ان نبين ـ

الحجة السابعة

الاجسام مهما بقيت على قواها الخاصة و كانت على اجتماع ما يتصل بذلك قوى منبعثة عن بعضها فى بعض تؤدى الى فعل بعضها فى بعض و انفعال بعضها عن بعض لم يتمكن المنفعل عن التخلص عما عرض له الا بمفارقة مكانه و مباينة الجسم الفاعل و من الظاهر ان الجوهر الذى به يعقل الانسان مهما انفعل عن القوة القوى الجسمانية الاخر ثم دافع ما عداه منها لم يضطر الى حركة اذقد يصدر هذا المعنى من العاقل و جميع اجزائه لازمة محلها وبين ان الجوهر العاقل غير جسمانى و ذلك مما اردنا ان نبين ـ

الحجة الثامنة

الصور الهندسية والعددية والحاصلة من تركيب ذوات الموجودات القابلة له على المناسبات غير متناهية فى ذواتها والشيء الذى يعقل به الانسان له قوة ان يعقل ايما واحد منها كان و مهما ازداد منها زاد فى القوة وليست الصورة التى من شأنها ان يعقلها بمفردة الذوات عن جملتها فتبين ان قوته غير متناهية اذ القوة الغير المتناهية غير منتصفة و كل قوة جسمانية منتصفة بتنصف الجسم الذى هي فيه فاذا محل الحكم جوهر غير جسمانى و ذلك مما اردنا ان نبين ـ

(١) كذا ولعل الصواب منا تركيبه ـ

الحجة التاسعة

لو كان العلم عرضا حالا فى الجسم لوجب من ذلك انه متى زال عنه بنسيان او غيره ان يعود لا كما حصل اولا اذ فراغ الجسم القابل فى الحالتين بمرتبة واحدة ولكنا نرى المرء يعرض له ما يزيل عنه الصورة المعلومة ثم اذا روّيت عادت بغير حاجة الى استئنا ف الجسد فتبين ان محل العلوم ليس بجسم بل هو جوهر غير جسمانى ولا يلزم هذا على الجوهر الذى نصفه نحن فان هذا الجوهر اذا ليس بجسمانى فليس بمحال ان تتزاحم الامور عليه والصورة المعلومة فيه وانه ربما تزول عنه هذه الاسباب لاقباله على تصور شئ من الامور العاجلة البدنية عند مرض اوشغل قلب لم يعرض له ولا تزول عنه هذه الصورة المستحفظة فى ذاته على الاطلاق لاجل انه روحانى النسج بل يكون فى ذاته بنوع قوة لا كقوة الصبى على الكتابة بل كقوة الكاتب الممنوع او الممسك عن الكتابة ثم اذا اردنا اشغاله عنها عاود بنوع فعلى بتلك الصورة المستحفظة مهما اراد —

واما الجسم فلا يمكن عليه تزاحم صورة مختلفة مدركة ولا استحفاظها بوجه من الوجوه الا ترى ان الحواس لا يمكن ان تستحفظ فى ذاتها صورة و تقبل اخرى لان الجسم مالم ينحل عن احدى الصورتين لم تحل المباينة فيه ولا معاودته للصورة وقبولها بنوع فعلى بل بنوع انفعالى فاذا لا يتقرر هذا القدر فاذا ليس هذا الجوهر المذكور بجسم ولا قوة جسمانية لانها ان احتاجت الى وقوع الصورة تعلقها فالمسئلة قائمة وان كفت بذاتها فليست بجسمانية بل هو الجوهر الذى فى الجسم نصف وذلك ما اردنا ان نبين —

الحجة العاشرة

الشئ الذى يعقل به الانسان ليس يعقل بما هو جسم ان وضعناه جسما لما تقدم بل ان كان يعقل فانما يعقل بقوة فاعلة هى فيه وقوامها به فظاهر ان هذه القوة قد تعقل ذاتها غير خارجة عن ذاتها بل من داخل ذاتها لا كما يقولون انها تعقل المعقول

بان يتصور فى الجسم خارجا من ذاتها وكذلك هذه القوة اذا عقلت شيئا من الاشياء فانها تعقل من ذاتها انها عقلت مع ما عقلت بذاتها فيها لا المعقول شيئ من ذاتها راجعة فى ذلك على ذاتها والى ذاتها بذاتها فان هذه القوة قد تصدر عنها افاعيل من ذاتها بمجردها لا لشئ آخر خارج عن ذاتها وكلما صدر عنه فعل بذاته لا بشىء خارج عن ذاته فهو جوهر قائم بذاته والا فالعقل افضل من الجوهر والذات وقد وصفت هذه القوة غير قائمة بذاتها ولا فعالة بذاتها وذلك خلف فاذا هذه القوة فى ذاتها جوهرية الحقيقة وذلك ما اردنا ان نبين ـ

بيان ان النفس لا تقبل الفساد

وبعد ما تقرر من هذه البراهين انها جوهر واذ قد اوضحنا ان النفس الانسانية جوهر لا حاجة له الى الجسم فى قوامها للذات ولا استحفاظ الصورة العقلية ولا فى الافعال الخاصة بها الا انه ربما يقوم لها فى اكتسابها المعقولات مقام الآلة ثم اذا اكتسبها لم يحتج اليها البتة واما اذا قويت فى ذاتها فقد تبلغ من الكمال مالا يقع لها حينئذ حاجة عند التعقل الى شيء جسمانى ولا قوة جسمانية بل تكره اعراض شيء منها عليها ويتجرد بتصريح ذاتها لاصداد فعلها فليس اذا فساد البدن يوجب بطلان ذاتها ولايمتنع فعلها ولازوال الصورة العقلية عنها ولن يعرض بها البطلان ماوراء ذلك بوجه من الوجوه لان الجوهر لن يبطل الا بفساد عارض لموضوعه اعنى ضعفا يفرق بينه وبين صورته الممسكة له على القوام ولوكان موضوع القوة العقلية عقلية مما يقبل الضعف والفساد وكان ذلك فى اضعف احوالها حين كونها مغلوبة فى البدن مقصورة ممنوعة عن نفس كمالها عرية عنه فاذا تمكنت من الصورة المعقولة فلبستها ثم تجردت بذاتها وزال عنها الدنس الملابس لها فليست بقابلة للفساد اصلا من جهة ضعف الذات اذ ليس هذا حال يعرض لموضوعها فى ضعف ذاته على ان اعراض الضعف عليه ليس مما يفسد وكيف جهة زوال الصورة عنه بمعاوقة ضد اذ الصورة المعقولة لا تنافى الا ضداد فى الحلول

فى الموضوع واذا اتضح ان علمها واحد وحلولها فى الجوهر الناطق معا فان لم تكن النفس الانسانية بفاسدة وهى فى البدن فليست بفاسدة ابدا وذلك ما اردنا ان نبين —

القول فى الايضاح

فى ان النفس الانسانية انما تستمد من فيض آلهى يتصل بها ويثبتها طبيعته وهو فى ذاته جوهر وهو مما جرت العادة بتسميتها العقل الكلى والنفس الكلى —

والمعانى الكلية الاولية المتعقلة بما حصلت فى النفس فاما ان تحصل بتصفح الجزئيات اوبفيض يتصل بها علوى على طريق الالهام لكن المعانى الكلية الاولية لو كانت مستفادة باستقراء الجزئيات لما كانت بها ثقة بل وما كانت كليات بالحقيقة —

ومن البين ان هذه المعانى هى فى غاية الصحة والثقة وهى علة الثقة لغيرها فاذا حصولها بفيض علوى ونور الهى يتصل بها فيخرجها من حد القوة الى حد الفعل وبالاتحاد بالفيض يعقل مثل النور اذا اتصل بالبصر فاخرجه عن حد كونه مبصرا بالقوة الى حد الفعل وبالاتحاد به يبصر ثم من الظاهر ان هذا الفيض ان كان اتصاله بالنفس يطبع فيها صور المعقولات فان هذه الصورة موجودة فى ذاته فاذا هو عقل بالفعل ولا كذلك النور فانه باتصاله وحده لا يطبع فى البصر صورة شئ من المحسوسات مالم ينضف الى ذلك معنى آخر فلذلك لم يجب ان تكون فى ذاته صور المحسوسات فتبين من ذلك ان هذا الفيض عقل بالفعل وقد اتضح ان العقل بالفعل يجب ان يكون جوهرا فواضح ان العقل جوهر وذلك ما اردنا ان نبين —

اصول القول فى ان الاجرام العلوية ذوات انفس ناطقة

وكل متحرك فاما ان يتحرك بالقسر اوبالطبع اوبالنفس والحركة القسرية لن

تدوم فى ذاتها بل يعرض لها البطلان وكذلك كل شئ قسرى اذ الطبيعى اول ميول القسرى ولن يستولى القسرى على الطبيعى فى الدوام وقد تبين من آراء الطبيعة ان الحركة الفلكية غير منضافة الى حركة اخرى اوسكون ما دام العالم ومذ دام فتبين انها ليست بقسرية فهى اما طبيعية اونفسانية ولكن الحركة الطبيعية هى حركة الشئ الى مركزه الطبيعى مهما يأته شوقا الى السكون فيه ومن البين ان هذه الحركة ليست على هذه الصفة فليست بطبيعية فبقى ان تكون نفسانية —

ثم ان النفس الفلكية لن تكون نباتية لمعنيين احدهما ان النفس النباتية ليست مبدأ للحركة النقلية والثانى ان الفلك غير مغتذ ولا نام ولا مولد ولو كانت النفس النباتية موجودة له لكانت معطلة ولا تعطل فى الطبيعة ولا النفس الحيوانية لان النفس الحيوانية اما دراكة واما فعالة والدراكة اما الحواس الظاهرة والحاجة اليها لاجل التوقى عن المضار الخارجة والبدار الى المنافع الخارجة الواقعتين تحت الحس وهذه المعانى غير متقررة فى الجوهر الفلكى فاذا لو كانت له الحواس الظاهرة لكان وجودها فيه معطلا واما الحواس الباطنة فمن الظاهر ان وجودها متعلق بسبق الاولى ولو لم توجد الاولى لم توجد واعنى بالاولى الحواس الظاهرة —

واما القوة الفعالة الموسومة بالشوقية فانها تتعلق فى افعالها بالتخيل والحس المشترك وقد بينا خلو الجوهر الفلكى عنها فاذا وجودها فى الجوهر الفلكى معطل فاذا هى غير موجودة فيه فبقى ان النفس الفلكية هى النفس الناطقة —

ومما يوضح ان الاجرام العالية ذوات نفوس ناطقة ان المانع للاجسام عن قبول الفيض الالهى الذى ذكرناه لبسها الصورة المتضادة واكتسابها الكثافة الطبيعية بذلك والبعد عن الاعتدال الابدى وان الاجسام البسيطة اذا تركبت ازدادت فى قبول الفيض الالهى لان التركيب ينقص من التضاد حتى اذا تركبت على غاية الاعتدال اوغاية البعد عن التضاد استعدت لقبول ذات الفيض اكمل ما يمكن قبوله والتأثيرات الالهية من البين انها تظهر اولا فى الاجرام العلوية وتبتدئ عن

الجرم

الجرم الاقصى والمتحرك الاقصى الموسوم عند ارباب الشرائع بالعرش وبتوسط هذه الاجرام العلوية تبلغ الى الاجرام الارضية على ما اوضحته البراهين الشافية العيانية المعدودة عندالمتشرعين والفلاسفة فتبين ان بهذه الافاضة اول ما تنال الاجرام العلوية فى ذواتها على اقصى غاية الصفاء والتهيؤ لقبولها لبعدها عن التضاد اقصى بعد ولاعتدالها فى ذواتها ولولا ذلك فى جوهرها لما صلحت ان تكون اقرب الاشياء من الامر الالهى واول الاشياء قبولا حتى جرى على لسان اكثر الامم ان الله تعالى على السماء وعلى العرش واليه ترفع الايدى فى الدعاء فتبين ان هذه الاجسام لن تخلو عن قبول هذا الفيض وان هذا الفيض انما يحصل اولا فيها ويصل الينا بتوسطها وكلما قبل من الفيض جرم اعلى فهو ازكى فى ذاته حتى ينتهى قبول الفيض الى فلك القمر واما الاجرام البسيطة التى دون فلك القمر فانها لما كانت بعيدة عن الصفو متضادة فى الصورة لم تصلح لقبول ذات ذلك الفيض وهو الصورة المكملة لذوات الاجسام الارضية الطبيعية ثم كلما تخلص منها من المواد صلاحيته ابقى ذاتا منها وابعد من التضاد قبلت زيادة من الفيض حتى تنتهى المواليد الى باب العالم الارضى وهذا الانسان فلانه اصفى جواهر الارضى واعدلها وابعدها عن التضاد وصار لمشابهته بهذه الصفات للاجرام العلوية مستعد القبول الفيض الالهى فمن هذه الاقاويل اتضح ان الاجرام العالية ذوات نفوس ناطقة وذلك ما اردنا ان نبين ـ

القول فى احوال النفس عند مفارقتها

النفس الانسانية اذا فارقت وهى هيولانية لم تتصور بعد بشئ من الصور المعقولة التى بها تقوم بالفعل عقلا فقدا ختلف العلماء والحكماء فى قوامها دون البدن فاما الاسكندر الافروديسى المفسر فانه كان يرى ان هذه القوة (١) تبطل عند فساد البدن وعليه يؤل قول ارسطاطاليس واماثامطيوس فانه يخالفه فى هذا الظن ويرى ان القوة باقية بعد فساد البدن وعليه يؤل قول الفيلسوف وهذا القول هو الصحيح

(١) صف ــ الصورة هنا وفيما بعد

وبه نأخذ فلنذكر الآن مايعرض لهذه القوة فانها بذاتها مستعدة لقبول المعقولات الاولى من الفيض الالهى من غير حاجة الى شئ من الاشياء دون ذواتها وانما كان يمنعها عن ذلك اول ماتقع فى الجسم الانسانى بود الجسم لها وقصوره عن التهيؤ لذلك لكونه غير مستحكم الترتيب بعد واذا زال عنها هذا المعنى سواء كانت فى الجسم او مباينة له وقعت فيها صور المعقولات الاولية والتذت بذلك على حسب النيل ولم تتمكن من نيل المعقولات الثانية لانها محتاجة فى ذلك الى تقديم الحواس الباطنة والظاهرة واستعمال القياسيات والبراهين ولن تستعد لذلك الا فى الجسم الانسانى فاذا هذه العلة التى تنالها وان كانت قليلة بحسب النيل فهى لذة ما وحالة عرية عن الألم لاجل عدم المعانى المولمة التى نذكرها بعد فهذه لاعرية عن اللذة بالاطلاق ولا قابلة لها على الاطلاق ولذلك قيل ان نفوس الاطفال بين الجنة والنار اى انها لا عديمة السعادة على الاطلاق ولا مصيبة لها على الاطلاق ـ

واما النفوس الغائية (١) اعنى التى تصور المعقولات الاولى فقط فانها اذا فارقت لفتن حالها قسمين فاما ان تكون عارفة بشأن العقائد ومعتقدة منها عقائد وهمية فاسدة كانت اوغير فاسدة مستعدة بالعقائد العقلية فحكمها انها اذا فارقت البدن وبطلت القوى الوهمية بجميع عقائدها وبقيت مجردة عن العقائد التى كانت لها وفى ذاتها ان لها عقائد وانها فوق العقائد الاولى الا انها غير معروفة عند ها بذواتها حثها الشوق الغريزى على تحصيلها واشتاقت اليها اذ هى كمالها وكل واحد من الاشياء مشتاق الى كماله الطبيعى غير متوان دونه مالم يعقه عائق واذا زالت العوائق عاد الامر الطبيعى كذلك النفس فان كانت فى البدن غير متعطشة الى الاشواق الى الكمالات الخاصة بها لاجل العوائق فانها اذا فارقت البدن وزالت العوائق عاودت الشوق الطبيعى الى كمالها اذ عرفت انيته وانى لها به وقد بطلت العقائد الوهمية ولا سبيل الى العقائد العقلية لنيلها الا بالقوى البدنية فهى متشوقة على الابد الى الكمال وغير نائلة فى حال فهى سقيمة فى ذاتها مريضة فى جوهرها عمياء فى

(١) كذا ولعله العانية . بصرها

بصر هاصم فى سمعها لاقرار لها ولا راحة ابد الآبدين ودهر الداهرين مشتاقة الى خالقها الاولى كما قال الله تعالى حاكيا عنهم (رب ارجعونى لعلى اعمل صالحا فيما تركت) نعوذ بالله من هذه الحالة وكذلك اذا كانت طابقت القوى البدنية فى افعالها الخبيثة حتى استلذت بها واعتادتها فانها اذا فارقت البدن نزعت اليها وطلبتها ومن لها بها وقد بطلت القوى والآلات الموصلة اليها والى هذا يصرف قوله تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) فهى اذ ذاك حليفة المكروه ورفيقة الفجيعة الا ان هذا الخطب ايسر لاذا لعادة مما تزايل واما الحالة الاولى فهى الباقية العظيمة والبادية الالمية اذ الطبيعة مما لاتباين واما ان تكون غير محبة بشيء بشأن العقائد فانها اذا فارقت مع الصورة الاولى كان القول فيها كالقول فى نفوس الصبيان ولذلك قيل ان اكثر اهل الجنة البله وان دامت اعتادت الامور البدنية فانها تتالم لذلك الالم لما بينا لانها فى عاقبة الامر تفارقها ـ

واما النفس الكاملة فى العلم المواظبة على العمل الصالح الراغبة عن الزخارف الدنياوية فانها لكمال ذاتها ناجية لانها متألمة بما يفوتها من المطالب الدنياوية على حسب ما بينا ولكن الراحة من هذا الالم آتية لامحالة ولذلك لم ير اهل السنة خلود اهل الكبائر من المؤمنين ـ

واما اذا كانت النفس زكية فى ذاتها غير اليفة لعادات السوء متعهدة فى حال غربتها للاوضاع الشرعية التى بها تصفو النية الخالصة التى هى تجرد ذات النفس للاطلاع على عالمها والشوق الى خالقها كما نوضحه بعد وكانت مع ذلك بالغة فى العلم مرتبة بتجريد ذاتها لتصور المعقولات وكانت عقلت مبادى الموجودات والصور المفارقة فانها اذا فارقت اتصلت بالفيض الالهى عند سدرة المنتهى تحت عرش الرحمة وفى جواره وفى عالمه الاولى ناظرة الى ذاتها كما قال تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وقد انكشف لها جميع الحقائق وقد كانت تلتذ فى دار الغرور والغربة بين ايدى الاعداء باصابة حقيقة واحدة فكيف عند انكشافها جميع الحقائق ثم هى مع ذلك لانقلابها فى ذاتها الى جوهر الفيض الالهى الذى

ذكرناه لاتصالها به وهو مدبر هذا العالم تنال رياسة العالم وتدبره فتصير ملكا للعالم وقد وصف الله تعالى هذه الحالة فقال عز من قائل (واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) ثم الشأن الاعظم والسعادة الكبرى التى تنالها هنالك هو ارتفاع الوسائط بينها وبين معشوقها ومعشوق جميع الموجودات واليه حركتها وبسبب الوصول اليه سكونها وبالعشق له قوامها اعنى الحق المحض والخير المحض والمعشوق لذاته والمعقول الحق بذاته جل ذكره فاى فرحة ولذة تنالها النفس مثل هذه اللذة والفرحة بل اى نعمة كهذه النعمة بل اى ملك كهذا الملك فما اولى بالعاقل ان يسعى لتحصيلها ويجد فى اقتنائها ويحترز عن الاحوال المضادة لها المهروب عنها لذاتها كما ان هذه مرغوب فيها لذاتها وهى السعادة التى كنا لوحنا بذكرها صدر هذه الرسالة —

القول فى الطرق المؤدية

الى هذه السعادة ومباينة الحال المقابلة لها

جملة ما يلزم النفوس من العوارض الضارة بها الحائلة لها عن مرتبتها مما قدمنا ذكرها انما هى لمطابقتها القوى الفاسدة اطمئنانا بها اليها وهذه القوى على قسمين اما عرافة واما فعالة والعرافة الفاسدة اذا اطمأنت النفس اليها فى عقائدها ثم فارقتها عرض لها من السوء ما قدمنا ذكره والنفس الانسانية غير متخلصة من حالة هذه القوة الا بعد تقديم يعرف بالحقائق باتقان العلم الفلسفى فالواجب ان لا يتقاعد عن تحصيل الفلسفة التى هى المنجاة عن خدعة هذا القسم من القوى النفسانية الضارة بذات النفس النطقية —

فاما القوة العاقلة وهى المسماة بالشوقيه فانها تنقسم الى شهوانية وغضبية وقوة مدبرة وقد تصدر عن القوة الغضبية والشهوانية افعال بالاشتراك مثل الطمع وما اشبهه وقد يصدر عنها افعال مختصة بالاضافة الى واحدة منها دون الآخرى فان النفس النطقيته اذا طابقت هذه القوى فى افعالها الذاتية فانها وان لم تكن فى ذاتها دنية اذهى غير مستقبحة فيما خلا السببين فانها دنية بالاضافة الى افعال القوة

النطقية

النطقية كذناءة ذواتها عندذات اكسبتها عادات تقدم ذكر اضرارها بها فيجب ان تخالف هذه القوى فى افعالها الصادرة عنها بالاشتراك والانفراد ولم يمكنها التخلص عن ضررها اذا سكنت عنها فـان احد المتمانعين اذا كان متحركا نحو مقصده وتلقاه الآخر ساكنا او شك ان يقهر الساكن بل الواجب ان يقابلها ايضا بالتحريك الى قهرها وقمعهـا واذا كانت هذه القوة غير معطلة فى ذات الانسان اذ لاتعطل فى الطبيعة فلا يجب ان يعطلها ايضا كل التعطيل —

ايضا من البين ان افعالها الصادرة مستفادة من الجود الالهى اذ كمال كل شيء بجوده وحرمان الأشياء من الاتصال بفيض جود الله تعالى الواسع مالم يضر ذلك بما فوقها من المرتبة فحينئذ تقصير ايديها اصوب —

وايضا لابد فى بقاء العالم من استعمال القوى الشهوانية اذا اتصل بقاء الانواع بها ومن استعمال القوى الغضبية فى الذب عن المدن الفاضلة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فاذا ليس بواجب ان تعطل هذه القوى كل التعطل بل الواجب ان تتوسط بين طرفى الافراط والتفريط فلا يكون خامل الشهوة ولا فاجرا بل يتوسط بينهما فيكون عفيفا ولا جبان القلب ولا متهورا بل يتوسط بينهما فيكون شجاعا ولامدبرا بقوته المدبرة عن تدبير الامور الدنياوية فيكون غبيا ولا مقبلا اليها كل الاقبال فيكون جبارامكارا بل يتوسط بين الامرين ليكون ذكيا فطنا —

واذا غلب على الانسان احد طرفى الافراط والتفريط عالجه بالثانى حتى يعود الى التوسط فاذا حصل للانسان هذه المعالى الثلاثة صارعدلا واذا انضم الى الثلاثة كمال القوة النظرية كان حكيما فيلسوفا ثم اذا تعهد مع ذلك تعويد نفسه الشوق الى عالمه والنزاع الى مبدعه بقطع الهمة عن هذا العـالم والامتناع عن جميع عوارضها الضـارة ورفع الهمة والنية الخالصة التى هى تجريد ذاتها للاطلاع الى عالمهـا ومبدعها حتى يصير ذلك ملكة فيها ومقطعة عما سوى ذلك فتصير كالمجرد بذاتها ويصير لها بذلك قوة على اشتياق الصور المعقولة والاشواق الفعلية بنوع فعل غير نوع قوة كما وصفنا فيما سلف وذلك لا يمكن الا باستعمال حركات مشقات اذا

تجردت النفس لاضدادها عن ذاتها تنبهت لخلوص النية وشغلت بها عن الامور البدنية وكانت النية الخالصة عنها آكد وقمعها بتلك الامور البدنيه اقهر وهي الاوراد الشرعية لتغلبها على الطبيعة والنفوس الحيوانية لعودا لاستيلاء عليها بالقهر والنية الخالصة ولذلك وضعت كلها شاقة مثل الحركات الصلاتية والالم الجوعي والمشقة الغريبة عند قطع البلاد القاصية قصدا نحوا لهيا كل الالهية واذا تعهدت النفس هذه الاحوال صارت فاضلة بالفعل دائمة الشوق الى ما من حقها ان تشتاق اليه وصلحت للفرار عما من حقها ان تفارقه وشاكلت في طبعها الملائكة وصلحت لصحبتها اعني الملائكة المدبرة للجزئيات في الارض شوقها اياها الى كما لاتها بالهام الطبيعة الجزئية لذلك ـ

وبين ان هذه الملائكة وان كان جوهر الملائكة غير مدرك للجزئيات مدركة لها بمعنى عارض عليها لا من حيث جوهرها وذلك المعنى يعقله في واحد واحد من الجزئيات لشوق الطبيعة الملابسة لها الى ابراز كما لها الخاص بها ـ

وظاهر ما تكلم فيه الالهيون ان صورة بعض الملائكة لا تلتبس على بعض بل بعضها لبعض كالمرايا فلذلك تدرك بعضها افاعيل بعض وتعرف بذلك الغايات الحاصلة من افاعيلها في الامور الجزئية ثم ان هذه النفس الزكية اذا اطلعت على ما في ذاتها فثبت بذلك مقدمة المعرفة بالامور الجزئية وصدق الغرابة سنحت للوحى والالهام في حال النوم واليقظة في الدنيا ثم تصير بذلك مشاكلة الصورة لصورتها الحاصلة عند النشأة الثانية في الآخرة فتستزيد بذلك الكمال في الصورة في العاقبة فيجب ان لايتوانى الحكيم عن استعمال الاوضاع الشرعية واما الجهال فلن يحصل لهم باستعمال الاوراد الشرعية اخلاص نية وهو المقصود منها ـ

وكيف ليت شعري يتشوقون الى الدار الآخرة والمبدع الاول وماعر فوهما الابالتوهم فاى نفس جمعت هذه المناقب فقد فازت بالسعادة العظيمه في الآخرة واى نفس صارت هذه الافاعيل افاعيلها فهي ممتحنة في الآخرة بالشقاوة العظمى التي قررنا امرها فيما سلف وبمفارقة الملائكة في الدنيا واعراضهم عنها لاجل

مضادة طباعها لطباعهم بل ربما قصدت الملائكة الاضرار بها ـ

فاستعمل ايها الاخ الشفيق الفاضل هذه السيرة الفاضلة واحترز عن اضدادها واكتسب السعادة الحقيقية واحذر من الشقاوة الحقيقية فبالحرى ان تخاف الالم الابدى وترغب فى الغبطة الابدية وتقبل نصيحة اخيك ووليك وتترك الاغترار بزخارف هذه الدار وتقبل على كسب خيرات الدار الآلهية ـ

اقول قولى هذا واسئل الله ان يرشدك لما ارتجيه فيك بفضله واحسانه انه ولى ذلك ـ

تمت الرسالة بحمد الله ومنه والحمد لله

وصلوته على سيدنا محمد وآله

الطيبين الطاهرين

خاتمة الطبع

الحمد لوليه الرحيم البار والصلوة والسلام على نبيه المختار وآله الاطهار واصحابه الاخيار ـ اما بعد فقد وقع الفراغ من طبع هذه الرسالة الفائقة يوم الخميس فى سبع وعشرين خلت من شهر ربيع الثانى سنة ثلث وخمسين وثلثمائة بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام بعونه تعالى وحوله وقوته ـ وقد نقلنا هذه الرسالة عن النسخة القديمة المحفوظة فى مكتبة رامفور من الهند تحت رقم (٨٢) فى الحكمة ـ وقابلناها على نسخة المكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن صانها الله عن جميع البلايا والفتن ـ

وقد اعتنى بمقابلتها وتصحيحها الحقير والفاضل النحرير العالم الخبير مولانا السيد عبدالله بن احمد العلوى سلمه الله القدير ـ

وآخر دعوانا ان الحمد لله العلى الكبير والصلوة

والسلام على رسوله البشير النذير وآله

الاتقياء واصحابه النجباء

السيد زين العابدين الموسوى

رفيق دائرة المعارف

الا بذكر الله تطمئن القلوب

رسالة

في الحث على الذكر

للشيخ الرئيس ابى على الحسين بن عبد الله بن سينا
البخارى المتوفى يوم الجمعة من رمضان
سنة ثمان وعشرين
واربعمائة



الطبعة الاولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
بحيدر آباد الدكن صانها الله
عن الشرور والفتن
(سنة ١٣٥٣ﻫ)

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان من شمر عن ساق الجد للبلوغ الى مرتبة الواصلين فليقصد بسلاح ذكر الله تعالى الى قمع هو اجس النفس وايقاظ القلب عن سنة الغافلين ويزداد با الفكر على الذكر استخلاصا لنية الذكر عن عادة المداجلين ويسلط الذكر على الفكر لاذابة تخييل الواردين ويتبرأ (١) عن احوال الذكر وقوة الفكر بالانابة الى رب العالمين وكل ذلك داخل فى قوله تعالى(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وان الله لمع المحسنين) وخلاصه فى نسيان الخلق بالاستغراق فى ذكر الله الا ان الذكر لا يخلص عن النسيان مع انتشار الحواس فى شهواتها فلزم ذمها ولا يصفو الذكر مع هواجس النفس فوجب حفظها ولا يدوم مع الاصغاء الى حديث النفس فتعين مراقبتها ولايستحلى الذكر والسر ملتفت الى غير المذكور نتحتم قبضه(٢)ـ فاذا حضرت هذه الشرائط فى الذكر برهة من الزمان نبت الذكر فى السر وبرزت عروقه فى القلب وطلعت اغصانه من الغيب واثمرت المعارف وطلع كل عرق وغصن فى اللسان والسمع والبصر واليد والرجل وفاز بقوله تعالى (لنهدينهم سبلنا) وهذا محل الكفاية وموضع النصرة والرعاية وخرج العبد عن حراسته ووقع فى حفظ الله وحرزه لقوله تعالى(وان الله لمع المحسنين) فينبغى ان يفتتح الامر بذكر اللسان علي سبيل الحرمة وهو مجاهدته فيفتح الله القلب بالذكر ومراقبة القلب مجاهدته ـ

---

(١) كذا او تأمل هذا اللفظ وما قبله (٢) كذا ولعله فيحرم فيضه

ثم

ثم يفتتح الاستغراق فى الذكر والتطلع الى تجلى المذكور ومشاهدته ثم يتجلى المذكور فالمراقبة لما يبدو من فيضه واحسانه مجاهدة وكل مجاهدة يتم فى درجتها نوع من المشاهدة وفقنا الله تعالى لكل ذلك حتى نبلغ منه منزل السكينة بمنه وجوده وسعة رحمته ـ

والحمد لله رب العالمين وصلوته على سيدنا

محمد النبى الامى وآله الطيبين

واصحابه الطاهرين



خاتمة الطبع

الحمد لوليه الرحيم البار والصلوة والسلام على نبيه المختار وآله الاطهار واصحابه الاخيار – اما بعد فقد وقع الفراغ من طبع هذه الرسالة الفائقة يوم الخميس فى سبع والعشرين خلت من شهر ربيع الثانى سنة ثلث وخمسين وثلثمائة بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام بعونه تعالى وحوله وقوته –
وقد نقلنا هذه الرسالة عن النسخة القديمة المحفوظة بمكتبة رامفور فى الهند تحت رقم (٨٠٢) فى الحكمة – وقابلناها على نسخة المكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن صانها الله عن جميع البلايا والفتن –
وقد اعتنى بمقابلتها وتصحيحها الحقير والفاضل النحرير العالم الخبير مولانا السيد عبد الله بن احمد العلوى سلمه الله القدير –

وآخر دعوانا ان الحمد لله العلى الكبير والصلوة
والسلام على رسوله البشير النذير وآله
الاتقياء واصحابه النجباء

السيد زين العابدين الموسوى
رفيق دائرة المعارف

اعلان

جس کتاب پر مجلس دائرۃ المعارف کی مہر یا عہدہ دار متعلقہ کے
دستخط نہ ہون خریدار اسکو مال مسروقہ سمجھین اور ایسی کتاب کو
بمقتضاء احتیاط ہرگز خرید نہ فرمائین

المعلن

مہتمم مجلس دائرۃ المعارف العثمانیۃ

صنع الله الذى اتقن كل شيء

رسالة

في الموسيقي

للشيخ الرئيس ابى على الحسين بن عبدالله بن سينا
البخارى المتوفى يوم الجمعة من رمضان
سنة ثمان وعشرين
واربعمائة



الطبعة الاولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
بحيدرآباد الدكن صانها الله
عن الشرور والفتن
(سنة ١٣٥٣ ﻫ)

بسم الله الرحمن الرحم

قال (١) ان صناعة الموسيقى تشتمل على جزئين

احدهما يسمى التأليف وموضوعه النغمة وينظر فى حال اتفاقها وتنافرها —
والثانى الايقاع وموضوعه الازمنة المتخللة بين النغم والنقرات المنتقل بعضها الى بعض وينظر فى حال وزنها وخروجها عن الوزن والغاية منها جميعا صنعة اللحن —

والنغمة صوت لابث على حد من الحدة والثقل زمانا والبعد مجموع نغمتين مختلفتين بالحدة والثقل والبعد منه منافر ومنه غير منافر والمنافر هو الذى لا يفعل اجتماع نغمتيه معاوتتاليها (٢) اللذ اذا للنفس بل نفرة منه والسبب فيه سوء النسبة بين نغمتيه والمتفق هو الذى يعمل هذا الالذاذ وذلك بفصله فيه بين نغمتيه —
الاصوات يقال لها ثقيلة وحادة بقياس بعضها الى بعض وتجعل متساوية فيها ومتفاوتة وتجعل لتفاوتها زيادة ونقصانا يعنى اذا قيس نغمتان الى ثالثة فكانتا ثقيلتين بالقياس اليها كان احداها مع ذلك اثقل من الاخرى —

الاشياء التى تتفاوت وتتساوى بينهما نسبة ماترجع بوجه الى الكمية فالابعاد لنغمتها نسبة ما من باب الكمية والتساوى والتفاوت فى تلك الكمية يعرض فيهما التشابه والتخالف —

للثقل اسباب وللحدة اسباب فاسباب الثقل اذا حصلت كانت هذه طول

---

(١) هذه الرسالة كثيرة التحريف والتصحيف والاغلاط ولم نظفر بنسخة صحيحة نعتمد عليها فى التصحيح — فليتأ ملها الناظر وليعذرنا (٢) صفتنا فيها —

الوتر

الوتر وغلظه واسترخاؤه وسعة الثقب فى المزامير وبعدها من المنفخ ورخاوة المقروع وتخلخه وخشونته وللحدة اضداد هذه فمن هذه الاسباب ما يسهل تقديره وهو ثلثة مقدار الوتر ومقدار الثقب فى سعته وضيقه ومقداره فى قربه وبعده —

نسب النغم بعضها الى بعض فى الحدة والثقل بسبب (١) اسبابها بعضا الى بعض مثاله النغمة الحادثة عن نقرة وترفانها فى الثقل ضعف النغمة التى تحدث عن نصف ذلك الوتر اذا كان تمدده فى الحدة نصف حدة النغمة التى تخرج عن نصفها فانه كلما زاد السبب زاد المسبب وكلما نقص السبب نقص المسبب فنسبة السبب الى المسبب كنسبة المسبب الى السبب —

الامور المتخالفة فى نسب المقادير لا تتساوى درجات تخالفها فان الضعف يخالف النصف غير خلاف الزائد نصفا مثلا وذلك ان احدهما يخالف مخالفه بمثل مخالفه والآخر لا يخالف بمثله بالفعل فان زيادة النصف على النصف ليس الا بمثل النصف فهو يخالف بمثل ما اذا ما خالفه بمثل هذه الزيادة —

واما الثلاثة فتخالف الاثنين لا بالاثنين بل بنصف الاثنين وايضا فليس كل ما يخالف لا بالمثل فانه يخالف على درجة واحدة فانه يجوز ان لم يخالفه بالمثل بالفعل ان يخالفه بالمثل بالقوة كالزائد جزءا فان ذلك الجزء بالقوة يكون تحته (٢) كلا المتخالفين كالزائد نصفا فان النصف يكون عنه الاثنان والثلاثة بالتضعيف فهو يعد مما عدا مشتركا ولا كالسبعة اذا خالفها التسعة بالاثنين ويكون الاثنان لا يتقومان منه معا ولا بعدهما وليس ايضا خلاف ما يخالف لا بالمثل ولا بالجزء الذى هو مثل بالقوة خلافا واحدا فان بعض ذلك يكون حاله مع الضعف او النصف للذين تفاوتهما بمثل احدهما على نسبة الخلاف بالمثل او بالقوة مثاله الثمانية للثلاثة وتسعة لسبعة عشر وبعضه يخالف هذا فقد علمت ان تفاوت المتخالفات على درجات واقربها الى الوفاق ما خالف بالمثل فكل نغمتين تكون نسبة ما بينهما هو فى غاية الاتفاق فله خصوصية دون غاية الابعاد وهو ان النغمة الواحدة فى قوة البعد المتفق الذى هو هذا البعد نفسه

---

(١) هذه الجملة ليست فى صف (٢) فى الاصل يتكون عنه —

وليس فى الابعاد بعد الا من نغمتين مختلفتين الا هذا البعد فانه من نغمتين مختلفتين (١) وسنبين هو ايا هو بالقوة وايضا ليس اتفاق قوة بعد واحد ذى نغمتين متساويتين فقط بل فى قوة بعدين بهذه الصفة يتكون كل واحدة منهما من احدى نغمتيه ومرجع هذا الى ان كل واحدة من نغمتيه هى الاخرى بالقوة وتقوم عنها به لا نسبة الاعداد المتفاوتة احدى نسب خمس نسبة الاضعاف ونسبة الزائد جزءا ونسبة الزائد اجزاء ونسبة الاضعاف والزائد جزءا ونسبة الاضعاف والزائد اجزاء وقد ثبت فى الارثماطيقى ان كل ما على نسبة الضعف فهو المتفق وما على نسبة الزائد جزءا فهو المختلف واما النسب الاخرى فلا يتفق فيها الا على سبيل البدل —

والمتفقات منها على سبيل البدل اربعة احدها الزائد اجزاء من مخرج على نسبة الاعداد المتتالية كالزائد ثلاثة ارباع او خمسة اسداس يكون بدلا عن اصل هو بعد يزيد بجزء وينسب الى مخرج هو مجموع العددين مثل السبعة والاربعة فان السبعة تزيد على الاربعة بثلاثة ارباعه وهو بدل الزائد سبعا —

والثانى ان يكون زائد اباجزاء من مخرج على نسبة الافراد المتتالية مثل الزائد ثلاثة اخماس ويكون هذا بدلا عن اصل يزيد بجزء وهو يسمى الزوج المتوسط بين الفردين مثل الثمانية للخمسة للثمانية بقوة الزائد ربعا لان الخمسة للاربعة كالعشرة للثمانية —

والثالث ان يكون على نسبة الضعف والجزء فيكون قوته قوة الزائد جزءا مضموما الى نصف فيسمى الجزء المقرون بالضعف مثاله التسعة للاربعة فانه على نسبة الضعف والربع فى قوة الزائد ثمنا —

والرابع ان يكون على نسبة الضعف وجزءين وتكون قوته قوة وفى قوة الزائد سبعا وما سوى هذا من النسب فغير متفق اصلا ولا بدلا الا ان يكون قربه من المتفق قربا لا يميزه السمع فاخذه مكان المتفق مثل نسبة البعد الذى يسمى التسعة فانه على نسبة الزائد ثلثة عشر من مائة وثلثة واربعين جزءا وقد زاد على الزائد جزءه من ستة عشر لقربه منه فالمتفق على انحاء ثلثة متفق حقيقى اصلى

(١) كذا ولعله متفقتين هنا وفيما قبل

ومتفق

و متفق بدل انما يفعله علی انه مکان شیٔ متخیل فی الطبع و خلیفة له و متفق غیر حقیقی ولا بدل ولکنه قریب من الحقیقی یقبله الطبع علی انه الحقیقی بعینه لقربه منه و لیس کل الابعاد المتفقة تستعمل فی تألیف اللحن فان الکبیر منها ترک استعماله و الصغیر جدا صار الحس لایشعر بالاتفاق لشدة التشاکل بل بعد النغمتین نغمة واحدة فالمعتدل فی ان یکون غایة الصغر ان یکون علی نسبة الزائد جزءا من خمسة و ثلاثین وربما استعمل ما هو اصغر من هذا الی قریب من الزائد جزءا من خمسة و اربعین الی ثمانیة و اربعین الزائد علی نسبة اربعة اضعاف الذی بالکل مرتین الزائد علی ثلثة اضعاف الذی بالکل والخمسة الزائد بالضعف الذی بالکل الزائد بالنصف الذی بالخمسة الزائد بالثلث الذی بالاربعة —

اعظم اللحن تؤلف نغمتاه المحیطتان بطرفیه علی نسبة الذی بالکل مرتین فلیودعه الابعاد التی تلیه من الکبار ما امکن حتی یکون بعدا موقع(۱) بین طرفیه واسطة یقع فیه ثلثة نغم و بعد ان الثقیلة مع الواسطة علی نسبة التی بالکل و کذلک الوسطی مع الحادة ثم یعمد الی الذی بالکل الواحد موقع بین طرفیه واسطة تالیفیة تکون الثقیلة مع الواسطة علی نسبة الذی بالخمسة والواسطة مع الحادة علی نسبة الذی بالاربعة لان الذی بالخمسة اکثر من الذی بالاربعة فینقص منها نسبة الذی بالاربعة فتبقی نسبة الزائد ثمنا فتقع بواسطة نسبتها الی الثقیلة نسبة الستة و یضیف ربع الی تسعة والی الحادة نسبة الستة و نصف و ربع الی ستة و هو ثمن ستة وهذا البعد الزائد ثمنا یسمی الطنینی —

و اذا فعلت بالذی بالکل الآخر هذا الفعل حصلت اربعة ابعاد الذی بالاربعة و طنینان و الابعاد التی بالاربعة کبار و الکبار احادها نغم فلا یتألف منها اللحن تألیفا یعتدل فی النفس بل اللحن یتألف عن نغم اشد تقاربا منها و اسهل علی الحلوق للانتقال من بعضها الی بعض فوجب ان تحشی الفرج الاربعة التی بالاربعة بابعاد اصغر منها و اما الطنین فهو من الصغار فکان حشو کل واحد منها ببعدین فقط مما یصعب مساوقة الحلوق ایاه و مما یصعب فی الحلوق محاکاته فان

---

(۱) صنف نهی —

كانت الطبيعة لا تشتبهه و وجدوا حشوها بالوفق ابعاد بقيت روتق اللحن متقاربها ثلاثة فاصطلحوا على حشوها بثلثة ابعاد اختيار الا حسن لا اتباعا للضرورة ثم كان الذى بالاربعة يحتمل عدة ثلاثيات من ابعاد لا يتغير عليها منها شئ و لا للواحد منها من وجوه ترتيبه ترتيب فصار الذى بالاربعة يثبت ع. لى نسبة واحدة او يختلف بما يتضمنه من الثلاثيات ووضعا كالجنس لانواعه فسمى الذلك جنسا واذا اشتمل على اربعة نغم تحيط بثلثة ابعاد سمى الذى بالاربعة واذا زيد عليه بعد نسبة الطنيني اجتمع الزائد نصفا من خمس نغم فسمى الذى بالخمسه ـ

وكل جنس اما ان لا يكون شئ من ابعاده اعظم نسبة من مجموع الباقيين ويسمى جنسا مقوما او يكون بعد ذلك لكنه اصغر نسبة من ضعف مجموع الباقيين ويسمى ملونا واما ان لا يكون مع ذلك اصغر نسبة من ضعف مجموع الباقيين ويسمى باخلنا وتاليفا ورخوا فالابعاد الذى ثمن وثمن وطنيني فمن الاجناس القوية ما ابعاده على هذه النسبة الزائد سبعا ثم الزائد جزءا من ثمانية واربعين وجنس آخر الزائد سبعا الزائد تسعا الزائد جزأ من سبعة وعشرين واجزاء الزائد سبعا الزائد تسعا الزائد جزءا من عشرين واصطلحوا على نسبة الزائد سبعا الزائد جزءا من ثلثة عشر الزائد جزءا من اثنى عشر وجنس آخر يستعمل الزائد ثمنا ثم البقية ويسمى الجنس الطبيعي وجنس آخر الزائد ثمنا الزائد جزءا من خمسة عشر وايضا الزائد ثمنا الزائد عشرا الزائد جزءا من ثلثة وعشرين وايضا الزائد سبعا الزائد جزءا من اثنى عشر ونغمته متفقة بالتقريب على نسبة مائة وستة وعشرين الى مائة وسبعة عشر وهو قريب من الزائد جزأ من احد عشر وجنس الزائد تسعا الزائد عشرا الزائد جزءا من احد عشر ـ

واما الاجناس الملونة فمنها الزائد خمسا الزائد جزءا من تسعة عشر و الزائد جزءا من ثمانية عشر واجزاء الزائد خمسا الزائد جزءا من اربعة عشر الزائد جزءا من سبعة عشر واجزاء الزائد سدسا الزائد جزءا من خمسة عشر الزائد جزءا من اربعة عشر واجزاء الزائد سدسا الزائد جزءا من احد عشر الزائد

جزءا

جزءا من احد وعشرين —

واما الوجوه فمنها جنسان الزائد ابعاد الزائد جزءا من احد عشر الزائد جزءا من ثلثين الزائد ربعا الزائد جزءا من ثلثة وعشرين الزائد جزءا من خمسة واربعين —

فهذه هى الاجناس التى نعتدبها وغيرها عدت فى الكتب وابعاد الملون قد عدت وابعاد الرخو قد عدت والجمع هو جملة ابعاد مقصور على نغمها تاليف اللحن فمنه كامل ومنه غير كامل فالكامل هو الذى بالكل مرتين ويشتمل على اربعة عشر بعدا ومنه دون الكامل مثل الذى بالكل والخمس والذى ما بالكل والاربعة والذى بالكل وغير ذلك على سبب مايتفق والجمع الكامل اما متصل واما منفصل والمتصل هو الذى يتصل اجزاء الذى بالاربعة فى احد الذين بالكل ينظره من الذى بالكل بالآخر والمنفصل هو الذى يفصل بينهما الطنينى وكل ذلك اما مستحيل واما غير مستحيل والمستحيل من وجهين اما مستحيل بحسب الاجناس او مستحيل بحسب الانواع والمستحيل بحسب الاجناس بان يكون فى الاجناس انفسها بان يختلف فى قربها ملونها ورخوها واما فى ترتيبها ترتيبا بجنسين والطنينى فى احدهما مخالف لما فى الآخر والمستحيل فى الانواع ان لاتكون الاجناس الاربعة نوعا واحدا ولايكون ترتيب الابعاد كل جنسين على وضع واحد وان كان من نوع واحد والذى ليس بمستحيل فانه لايكون هكذا —

وكل نقرة منتقل فيها الى نقرة اخرى فاما ان تنتقل فى مدة لا تمحى فى مثلها عن الخيال صورة الاولى فيكونان فى الخيال كالمتوافقين واما ان لايكونا والايقاع انما يؤلف من نقرات فيها مدد على القسم الاول كل زمان بين نقرتين فاما ان يكون بحيث تحتمل السرعة والبطؤ المبنى عليهما الانتقال ان يوقع فيه نقرة اولايمكن الاعلى سبيل يتصل فى الحس ولاينفصل كما فى الترعيدات بجعل النغم كأنها ممدودة لا كأنها متصلة فالذى لايمكن فيه هوا قصر ازمنة الانتقال وبذلك يمكن السرعة والبطؤ كالزمان بين التاء والنون من قولنا ، تن ، والذى يمكن اما ان يمكن فيه

ايجاد نقرة واحدة فقط كالزمان الذى بين تاء، تن، واما ان يمكن فيه ايجاد نقرتين بين الطرفين كما بين تاء — تن تن — واما ان يمكن فيه ايجاد ثلث نقرات كما بين — تنن تنن تنن — وكل ايقاع مؤلف من الازمنة الاولى يسمى خفافا ومن الثانية ثقال الخفاف ومن الثالثة خفاف الثقال ومن الرابعة الثقال ثم التاليف اما ان يقع بادوار منفصلة اوباد وار متصلة والذى بلا تفصيل يسمى الموصل وهو الهزج —

اما الخفيف المبنى على حروف متحركة متتالية واما ثقيل الخفيف التى تتولى نقراته ولا واحدا وبينهما ازمنة متساوية نقرات ومنه خفيف ثقيل الهزج وهو ما كان بهذه الصفة وازمنته ثوابت وكذلك ثقيل الهزج وعندى ان الهزج باب واحد فانك اذا علمت معنى التضعيف والطى علمت ان كل واحد منهما يرجع الى الآخر بالطى والتضعيف نقرتها واحدة واما المنفصل فمنه ما يتوالى نقرتين ثم تجئ الفاصلة ومنه ما يتوالى ثلثا ثلثا ومنه فوق ذلك والمنفصل يتميز من الهزج بالفاصلة زمان ثانى الازمنة التى يتميز بها الدور الواحد لايتميز زمانه عند النقرة الاخيرة يلى نغمة كل نقرة زمان من حق تلك النقرة فيه عند نغمة تلك النقرة وخصوصا فى التامات (١) والرباب ولابد من ان تكون النقرة الاخيرة يتبعها زمان كاحد ازمنة ما بين النقرات فى الدور الذى يسمى ارجلا ثم بعد ذلك تجئ الفاصلة التى لولم تجئ لكان الايقاع موصلا فاول المنفصلات الثانية هى التى من نقرتين نقرتين من اصغر الازمنة ثم فاصلة والثانى الذى يتوالى نقرتين نقرتين وبينهما الزمان الثانى وبعدهما فاصلة والثالث من نقرتين نقرتين وبينهما الزمان الثالث وبعدهما فاصلة والرابع من نقرتين نقرتين وبينهما الزمان الرابع ثم فاصلة —

واما الثلاثى فاما ان تكون ازمنته ما بين الارجل متساوية او تكون متخالفة فان كانت متساوية فاما ان تكون من الازمنة الصغرى ثم فاصلة واما من الازمنة الثوانى ثم فاصلة واما من الازمنة الثوالث ثم فاصلة واما من الازمنة الروابع ثم فاصلة —

واما المختلف الزمانى ان يكون اصغر الزمانين الزمان الاول فلايخلو اما ان

(١) صف الهامات —

 يكون

يكون المقدم واما ان يكون التالى واما ان يكون اصغر الزمانين هو الزمان الثانى وهذا ايضا اما مقدم واما مؤخر وقد يكون الزمان الثانى اعظم من هذا فيكون الزمان الرابع —

واما الرباعى فاما من اصغر الازمنة ثم فاصلة واما من الازمنة الاخرى فلا يستعمل لطول دوره —

واما الخماسيات فلا تستعمل الا خفافها ثم فاصلة واللحن يؤلف من نغم تفرض ما فى جماعة كاملة وغير كاملة ثم يوجد بالفعل بالانتقالات عليها وبسائط الانتقالات اثنان طافر ومتصل والطافر هو الذى ينتقل فيه من نغمة الى غير تاليتها والمتصل هو الذى ينتقل فيه من نغمة الى تاليتها وكل ذلك اما صاعد واما نازل وليس كل ايجاد النغم فى اللحون بالانتقال بل قد يكون بالاقامة وهو ايجاد نغمة مرارا كثيرة —

واما الانتقالات المركبة فهى بالعودات اما على الانتقال واما على الطفر —
والعودات اما متشابهة او غير متشابهة والمتشابهة هى التى تكون بينة الانتقال فيه من الكم والكيف واحدة وغير المتشابهة اما ان تكون غير متشابهة فى الكم او فى الكيف او فيهما جميعا والمتشابهة فى الكم هى التى عدد نقراتها متساوية لكن بالانتقالات الجزئية غير متساوية وذلك بان تكون اطرافها مختلفة فى المآخذ او يكون حشوها مختلفا بالطفرة بالاتصال واما المتشابهة بالكيف فهو عكس هذا واما المتشابهة فيهما جميعا فهو بالغلبة والغير المتشابهة اما حافظ النسبة او غير حافظ والحافظ النسبة فى الكم مثلا ان يكون الاول اربع نقرات ثم يرجع فيجعل ثلاثة وكذلك على الولاء او يرجع فتجعلها خمسة وعلى الولاء ومبادى العودات اما ان تجعل نغما متتالية فاذا اتفق ان كان مع هذه العودات متشابة او متناسبة سمى انتقالا دائرا وتجمع هذه بعدين تكون ازمنة الانتقالات محفوظة فيها ايقاع واحد وايقاع مؤلف كالواحد وان تكون الطفرات على نغم متفقة فان الاتصالات لا يمكن الا على المتفق وكل نغم توجد بالفعل فى جماعة متفقه الابعاد بانتقالات مكررة متفقة بايقاع متفق

فهو لحن والواحد منه ليس من ايقاعات مختلفة ـ

فاما الآلات فبعضها اعداد النغمة والواحدة منها آلة واحدة كالصنج والشامرود ومنها جعل آلة واحدة منها بعدة نغم مثل اوتار البربط والطنبور وثقب المزامير وهو على قسمين اما ان تكون الآلة الواحدة تستعمل فى نغم كثيرة بدستانين كثيرة ومنها تستعمل الآلة الواحدة لنغم كثيرة بهيئات من الاستعمال مختلفة مثل ثقب المزامير فانها تخرج من الواحدة منها نغم مختلفة باختلاف اللس بالاصبع واختلاف النفخ بالشدة والضعف والآلة المشهورة هى البربط وقد علق عليه اربع طبقات كل طبقة منها فى قوة وتر واحد وانما يكثر عددها ليكون امد صوتا وتكون ممكنا عليه من اصناف النحاس التى سنذكرها وشددستان بالخنصر منها على ربع الآلة لتكون النغمة المطلقة على نسبة المثل والثلث للنغمة الخنصرية التى فيه وابعاده فى تسويتها ان يجعل المطلق المثلث مساويا لخنصر البم لتكون نغمة مطلق المثلث على نسبة الثلاثة الاربعاع من البم وكذلك كل سافل عند العالى الى الزير فيكون مطلق الزير (١)الارباع البم وهو على نسبة سبعة وعشرين من اربعة وتسعين وسبابة كل وتر على نسبة الطنينى من المطلق فيكون على التسعة من الآلة مطلق كل وتر مع سبابته التى تحته على نسبة الذى بالخمسة والوسطى العالية من الخنصر على نسبة الطنينى فانه مثل الخنصر ومثل ثمنه فالخنصر على التسع منه الى المشط فلذلك تكون وسطى كل وتر عالى من الخنصر الوتر الذى تحته على نسبة الذى بالخمسة واما البنصر فهو على التسع من السبابة فلذلك سبابة كل وتر مع بنصر الذى تحته فهو على نسبة الذى بالخمسة وهذا كله لان نسبة كل دستان فوق الى نظيره من تحت نسبة الذى بالاربعة وكذلك مطلق كل عال مع سبابة كل ثالث سافل وسبابة كل عال هو مع بنصر كل ثالث سافل ووسطى كل عال مع خنصر كل سافل على نسبة الذى بالكل ـ

واما وسطى زلزل فانها من الوسطى الاولى والبنصر على قريب من النصف حتى تكون السبابة زائدا عليه بقريب جزء من اثنى عشر والذى يلى السبابة من فوق على

(١) كذا ـ وفى الاصل النحاستن ـ

نسبة الطنبى من هذا الوسطى فلذلك تكون نسبة كل تالى السبابة الى الوسطى الذى يليه من تحت على نسبة الذى بالخمسه والى وسطى الثالث السافل على نسبة الذي بالكل واما اجزاء الدستانين فالصحيح هو انه علي نسبة الزائد سبعا من هذه الوسطى فتكون مطلق البم مع سبابة الوتر على نسبة التى بالكل والاربعة و مع بنصره على نسبة الذى بالكل والخمسه وهو ثلاثة اضعاف ولا يوجد فى هذه الآلة البعد الاعظم الابان ينزل عن خنصرالزير اذ يعلو وتر خامس من تحت الزير وقد يستعمل وقتا و يستمر الحال فكان يتعطل منه بعد واحد وهو القيه ـ

فنقول انما تألف اللحن منه ما هو تحسيني والاصل هو ما ذكرنا فى تعليمنا تاليف اللحن واما التحسين فمنه ما يختص بالنغم ومنه ما يختص بالايقاع والذي يختص بالنغم فمنة الترعيد ومنه التمريخ ومنه التبديل ومنه التركيب والترعيد هو ان يشتمل زمان النغمة بنغمة تتوالى لايحسن وصلها وتحكى النغمة الواحدة المهرورة ويسمى المرغلة والتمريخ اصناف فمنه يدرج الى الحدة ومنه يدرج الى الثقل ومنه بلا تدريج ويسمى التشقق وهو ان يوضع احد الاصبعين عـلى جملة وترين وترين متساوي الطبقة ويرعد بالاصبع الباقية على احدها ويمسك من غير ترعيد والترعيد هو ان يخلط بالنغم الاصلية فى نقرة واحدة نغمة موافقة لها وافضل ذلك ان يكون من الابعاد الكبار وافضله الذي بالـكل ثم الذي بالخمسة ثم الذي بالاربعة ـ

واما الابدال فان يكون لنغمته موضع من الجمع فتنقل الى فوقها وتترك هى فان كان حق النغمة فى اللحن ان لايكون جزءا من بعد ولـكن يكون مقا وما عليها ابدا لها على وجهين احدهما ان تجدب هي اصلا والثاني ان توجد في نقرة نقرة اخرى وهذا يسمى التضعيف ـ

واما ما يختص بالايقاع فهو اما زيادة واما نقصان والزيادة اما فى المقادير واما فى الاعداد وكذلك النقصان والزيادة عـلى مقادير الازمنة بابطاء الحركة ويسمى ترتيلا والنقصان فيها عـلى الاتصال ويسمى جنسا واما الذى يختص بالفواصل فيسمى حذفهـا اصلا و تطويلها تقصيرا واما الـذي يختص بالعدد فمن ذلك

لنقصان نقرات مع حفظ زمانها ويسمى طنا (١) واما بنقل الازمنة الكبار بالنقرات التى فيها بالقوة فما كان من ذلك فى نفس دوره يسمى تضعيفا وما كان فى آخر الايقاع يسمى نقرة المحاز وما كان قبل الدور يسمى تصديرا وما يغلب به ازمنة الفواصل المتخللة يسمى احماد او التضعيف فى الثقال احسن والطي فى الخفاف احسن والاقامة على نمط واحد من الجنسين مستحسن وتبديلها الى المختلفات المتضادات احسن وبالله التوفيق —

تمت الرسالة الموسيقية بحمد الله ومنه من
املاء الشيخ الرئيس على
سبيل المدخل



(١) حذف طيا —

خاتمة الطبع

الحمد لوليه الرحيم البار والصلوة والسلام على نبيه المختار وآله الاطهار واصحابه الاخيار — امابعد فقد وقع الفراغ من طبع هـذه الرسالة الفائقة يوم الاحد غرة جمادى الاولى سنة ثلث وخمسين وثلثمائة بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام بعونه تعالى وحوله وقوته —

وقد نقلنا هذه الرسالة عن النسخة القديمة المحفوظة بمكتبة رامفور فى الهند تحت رقم (٨٢) فى الحكمة — وقابلناها على نسخة المكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن صانها الله عن جميع البلايا والفتن —

وقد اعتنى بمقابلتها وتصحيحها الحقير والفاضل النحرير العالم الخبير مولانا السيد عبدالله بن احمد العلوى سلمه الله القدير —

وآخر دعوانا ان الحمد لله العلي الكبير والصلوة
والسلام على رسوله البشير النذير وآله
الاتقياء واصحابه النجباء

السيد زين العابدين الموسوى
رفيق دائرة المعارف

فهرست الكتب الجديدة التي تحت التصحيح

١ ـ حلية الاولياء

قد جمع العلامة ابو نعيم المتوفى سنة ـ ٤٣٠ ـ فيه احوال الصحابة الكرام و الائمة التابعين لهم باحسان رضوان الله عليهم و الصوفية و السالكين رحمهم الله بطرز المحدثين و تكلم باعاجيب احوال زهدهم و تقواهم ـ

٢ ـ صفة الصفوة

هذا من التصانيف النادرة للعلامة ابن الجوزى المتوفى ـ سنة ـ ٥٩٧ قد نقح فيه الاخبار الواردة فى حلية الاولياء و حققها غاية التحقيق ـ

٣ ـ الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع

هذا من تصانيف الامام السخاوى ـ ولما طبعنا فيما قبل الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة اردنا طبع هذا الكتاب المشتمل على اعيان المائة التاسعة ـ

٤ ـ النور السافر في اعيان القرن العاشر

من تصانيف العلامة السيد عبد القادر بن الشيخ عبد الله العيدروسي ثم الاحمد آبادي ذكر فيه احوال العلماء و الفضلاء و السلاطين الذين كانوا فى القرن العاشر اردنا طبعه لتكميل سلسلة القرون كما نبهنا على ذلك فيما تقدم ـ

٥ ـ احكام الوقف

هذا الكتاب نادر الوجود فى مسائل الوقف من تصانيف العلامة هلال بن

يحيى بن سلمة الرائى المتوفى سنة (٢٤٠) ـ

٦ ـ كتاب المعتبر

هذا من تصانيف العلامة ابى البركات البغدادى الذى كان من مشاهير الحكماء فى القرن الخامس وهو كتاب مستند فى المعقولات مشتمل على ثلثة اقسام المنطقيات والطبيعيات والآلهيات ـ

٧ ـ جوامع اصلاح المنطق

من تصانيف العلامة زيد بن رفاعة فى علم اللغة وهو تلخيص كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت والمؤلف المذكور من مصنفى اخوان الصفا الذين كانوا ائمة فنونهم واكابر زمانهم ـ



اعلان

جس کتاب پر مجلس دائرة المعارف کی مهر یا عهده دار متعلقه کے
دستخط نه هون خریدار اسکو مال مسروقه سمجهین اور ایسی کتاب کو
بمقتضاء احتیاط هرگز خرید نه فرمائین

المعلن

مهتمم مجلس دائرة المعارف العثمانية

(هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى)

شرح رسالة

زينون الكبير اليوناني

للحكيم الفيلسوف المعلم الثانى ابى نصر محمد بن محمد

ابن طرخان بن اوزلغ الفارابى رحمه الله

وجعل الجنة مثواه المتوفى سنة

تسع وثلاثين وثلاث

مائة هجرية

الطبعة الاولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة

بحيدرآباد الدكن صانها الله عن الشرور

والفتن فى شهر صفر المظفر

سنة ١٣٤٩ ھ

علامات النسخ التي قابلنا عليها هذا الاصل

(١) — هذا الاصل منقول عن نسخة حديثة العهد محفوظة في المكتبة العالية لرياسة رامفور تحت رقم — ٧٠ —

(٢) ق — هي عبارة عن نسخة قديمة الكتابة وهي محفوظة ايضا في هذه المكتبة المذكورة تحت رقم ١٥٠ —

(٣) ج — هي عبارة عن نسخة جديدة الكتابة في سنة — ١٢٧٦ تحت رقم — ١٥١ —

(٤) ن — وهي عبارة عن نسخة قديمة الخط محفوظة في خزينة الكتب لندوة العلماء الواقعة ببلدة لكناؤ تحت رقم — ١٤٩ —



بسم الله الرحمن الرحيم

(قال المعلم الثانى ابو نصر الفارابى) رأيت لزينون الكبير تلميذ ارسطا طاليس وللشيخ (١) اليونانى رسائل قد شرحها النصارى شروحا تركوا بعضها وزادوا فيها فشرحت انا كما وجب على الشارح شرح فص فاول هذه رسالة لزينون الكبير اليونانى *

(قال زينون) الاول فى الدلالة على وجود المبدأ الاول (الثانى) فى الكلام فى صفاته (الثالث) فى نسبة الاشياء اليه (الرابع) الكلام فى النبوة الخامس فى الشرع السادس فى المعاد *

الاول فى الدلالة على وجود المبدأ الاول

(ان كان) كل شئ فى عالم الكون والفساد مما لم يكن فكان قبل الكون ممكن الوجود اذ لو كان ممتنع الوجود لما وجد ولو كان واجب الوجود لكان لم يزل ولا يزال موجودا وممكن الوجود يحتاج فى الوجود الى علة تخرجه من العدم الى الوجود فكل ماله وجود لا عن ذاته فهو ممكن الوجود وكل ممكن

---

(١) كذا فى ولعله — الشيخ *

الوجود فوجوده عن غيره وذلك الغير ان كان ممكن الوجود فالكلام فيه كالكلام فيما نتكلم فيه فلا بد وان يكون وجود ماهو ممكن الوجود يستند الى الواجب الوجود بذاته ولا يجوز ان يكون الشيء علة نفسه لان العلة تتقدم على المعلول بالذات وذلك اذا قلنا (ا) علة (ب) فانا نعني بذلك ان وجود (ب) من وجود (ا) بالفعل و قضية هذا تقتضى ان يكون وجود العلة متقدما على المعلول ولا يكون للشيء وجودان احدهما متقدم وعلة والآخر متأخر ومعلول حتى يكون للشيء علة نفسه *

(وبهذا) الطريق يعلم انه لا يجوز ان تكون ماهية الشيء سببا لوجوده العارض للماهية لان وجود العلة هو سبب فى وجود المعلول وليس للماهية وجودان احدهما مفيد والآخر مستفيد ولا يجوز ان يكون شيئان كل واحد منهما علة للآخر مثلا (ا) و (ب) فيكون (ا) علة لوجود (ب) و (ب) علة لوجود (ا) فان وجود (ب) اذا كان من (ا) وجب ان يكون وجود (ا) متقدما على وجود (ب) فلا يكون معلوله وذلك يقتضى ان يكون (ا) من حيث هو علة (ب) متقدما فى وجوده على (ب) ومن حيث هو معلول (ب) متأخرا فى وجوده عن وجود (ب) فيكون فى اعتبار واحد موجودا معدوما ويكون (ب) علة نفسه لان علة العلة علة فاذا كان (ب) علة (ا) ويكون (ا) علة (ب) كان (ب) علة نفسه ويؤدي ذلك الى ان وجوده متقدم على وجوده وذلك باطل *

(وليس) كذلك حال المتضايفين فان لهما ثالثا او قع علاقة التضايف بينهما ولا يجوز ان تكون علل ممكنة لا نهاية لها لان لكل واحدة منها خاصية الوسط فتكون معلولة باعتبار وعلة باعتبار وكل ما يكون له خاصية الوسط

فله

فله بالضرورة طرف والطرف نهاية فيكون استناد الممكنات الى وجود واجب الوجود بريئا عن العلل المادية والصورية والغائية والفاعلية *

الثانى فى صفاته

فيجب ان يكون واحدا اذ كل اثنين فالواحد متقدم والثانى متأخر وهذا تقدم طبيعى وهو تقدم الواحد على الاثنين واذا كانا معا فلهما ان يشتركا فى جميع الاشياء فان اشتركا لم يكن بينهما اثنينية وان اختلفا فلابد وان يكون احدهما سببا والآخر مسببا لان احدهما واجب الوجود فان كان الآخر ايضا واجب الوجود لم يتخصص احدهما ولم يتعين لوجوب الوجود بل يتخصص بشئ آخر ولا محالة من ان يتخصص ما وجوده واحد فى مفهوم ماهيته بوجوب الوجود — ولا يجوز ان يكون جسما وسطحا وخطا ونقطة لان الجسم مركب من المادة والصورة فالمادة والصورة علتان للجسم وقيام السطح والخط والنقطة بالجسم وقوام الجسم بالمادة والصورة وكل ذلك ينافى وجوب الوجود بذاته فهو واحد من جميع الوجوه وقد عقل ذاته بل عقل ذاته هو بذاته لا بشئ آخر سوى ذاته يكون ذلك الشئ سببا فى تعقله ذاته بل عقل ذاته بذاته وكان من حيث انه عقل عاقلا ومن حيث انه معقول ذاته معقولا ومن حيث انه عقل ذاته بذاته لا بشئ آخر خارج ومباين عقلا *

(ويتعجب) من يقول هو عقل وعاقل ومعقول فانه لا يقتضى التكثر فى مفهومه قولنا عقل ذاته بذاته *

(وهو حي) لان احدنا يوصف بانه حي ينسب (١) العقل اليه فهو نفس العقل والعالم بجميع الاشياء اولى ان يكون حيا والحى والحيوة كالعقل والعاقل

(١) ق — لنسب — ج ن د نسب*

فى حقه شيء واحد *

و هو عالم لا يتغير علمه لانه يعلم الاشياء بالاسباب العقلية والترتيب الوجودى لا بالحواس والعلم العقلى لا يتغير والمستفاد من الحس يتغير *

وهو الحكيم المطلق لان حكمته من ذاته *

وهو مريد لانه ليس فيه ضدية للاشياء *

الثالث فى نسبة الاشياء اليه

ولم يصدر منه مالا يلا ئمه ولولاه لما بقى شيء من الموجودات ولا يقال انه فعل ليكمل بفعله يعنى ان الفعل اولى له واليق به فان ذلك يقتضى ان يكون ناقصا استكمل بفعله وذلك لا يجوز على البارى تعالى والعقل الاول عقل نفسه فصدر عنه عقل له امكان وجود من ذاته ووجوب وجود من غيره وهو الاثنينية لهذا الطريق وذلك الثانى عقل الاول وعقل ذاته وبعقله الاول وجب عنه اشراق (١) وبعقله نفسه صدر عنه صورة لها تعلق بالمادة ونفس الفلك *

ولا يتعجب فانا بتخيلنا (٢) المشتهى اللطيف يحدث لنا فى بعض اعضائنا شيئا وبتخيلنا للحموضة يحدث لنا انفعالا وقشعريرة وتجريد صرف (٣) فهو يتعجب من ان العقل المجرد اذا اعقل شيئا يحدث فى الوجود من تعقله اثر و فى المبدع الاول اثنينية وربما يعتبر فيه تثليث فانه حصل منه عقل ونفس للفلك وصورة علة لوجود المادة بالفعل والفاعل لا تنفك (؟) احدهما بالآخر وجسم الفلك مع مادته وصورته لا يصدر عن الواحد الا واحد وان صدر عن واحد اثنان مختلفان

(١) ن — اشرقه (٢) — ق — فالا تخيلنا (٣) ق — سوب — ن — شوب ج — موت*

مختلفان فى الحقائق لم يكن حقيقة العلة واحدة محضة يعرفه من له ادنى تامل *
وسمعت معلمى ارسطاطاليس انه قال اذا صدر عن واحد حقيقى اثنان لايخلوا ما ان يكونا مختلفين فى الحقائق اومتفقين فى جميع الاشياء فان كانا متفقين لم يكونا اثنين وان كانا مختلفين لم تكن العلة واحدة ثم عقل المبدع الاول الذى علامته (ب) ذاته كما ذكرنا وذات مبدعه فحصل منه عقل بتعقله المبدع الاول ونفس فلك بتعقله ذاته وذاته ليست واحدة بل لها جهة(١) عرضت اما الوجود عن الاول تبارك وتعالى فانه عقل مبدعه واحدا حقيقيا وعقل ذاته بهيئة لها وجود ثم عقل العقل الثالث الذى علامته(ج) المبدع الاول تعالى وذاته فحصل منه عقل ونفس الفلك الذى فيه الثوابت وجرم الفلك وليس العجب ان العقل الثانى عقل شان خالقه وذاته وحصل منه ثلثة اشياء وسائر العقول يعقلون اشياء وليس يصدر منهم ايضا ثلثة اشياء بل العجب ممن لم يعرف كيفية صدور هذه الاشياء على وجه عقلى سببى ومسببى وبذلك تلتفت (٢) ههنا الى ان الكلى الموجب لا ينعكس مثل نفسه حتى يسهل ذلك عليك بادنى تأمل *
ثم عقل العقل الرابع الذى علامته (د) الاول والثانى والثالث فحصل منه عقل علامته (ه) ونفس علامتها (ح) وهو فلك زحل وجرم الفلك حتى انتهى ذلك الى العقل الفعال الذى يقال له معطى الصور وهو يعقل الاول على الدوام ويعقل مادون الاول على الدوام فتصدر عنه النفوس الناطقة بعقله الاول ويعقله مادون الاول على الدوام يجب عنه الصور والنفوس الفلكية تعاضده بان يهيىء للقبول منه اسبابا كما ان الطبيب لا يعطى الصحة

(١) ن – ق – ج – ماهية (٢) ن – يلتفت *

بل يهيىء لقبول الصحة اسبابا *

الرابع فى النبوة

والنفس القدسية النبوية تكون فى ابتداء الغاية فى ابتداء نشوها تقبل الفيض فى دفعة واحدة ولا يحتاج الى ترتيب قياسى والنفس التى لا تكون قدسية تقبل العلوم البديهية بالواسطة وتقبل غيرها من العلوم بطريق قياسى النبي يضع السنن والشرائع ويأخذ الامة بالترغيب والترهيب يعرفهم ان لهم الهامجازيا لهم على افعالهم يثيب الخير ويعاقب على الشر ولا يكلفهم بعلم مالا يحتملونه فان هذه الرتبة التى هى رتبة العلم اعلى من ان يصل اليها كل احد * قال معلمى ارسطاطاليس حكاية عن معلمه افلاطن ان شاهق المعرفة اشمخ من ان يطير اليه كل طائر و سرادق البصيرة احجب من ان يحوم حوله كل سائر *

الخامس فى الشرع

ويوجب النبي عليهم منبهات الافعال كالصلوة والزكوة ففى الصلوة تضرع وتجريد واستعداد لقبول فيض الرحمة وتذكر الله ورسوله وفى الزكوة عدل وانصاف وامداد للفقراء وبه يبقى النظام الكلى المحفوظ فى العالم فى سائر العبادات مافيه صلاح للاخلاق وتجريد للنفس وتنزيه عن العوائق وفوائد يطول الكلام فى وجه الحكمة فى واحدة منها فقد ورد الشرع به ونحن نبينه على وفق ما امر به الشرع والنبي وهو منقسم الى لذات عقلية ولذات حسية كما قال افلاطن (لكل امرئ كما فى غده ما يرجوه فى يومه) *

واعلم

واعلم انى سمعت معلمى ارسطاطا ليس انه قال سمعت افلاطن انه قال سمعت ملمى سقراط انه قال ينبغى لمن يتكلم بعلم الحكمة ان يكون شابا فارغ القلب غير ملتفت الى الدنيا صحيح المزاج محبا للعلم بحيث لايختار على العلم شيئا من اسباب الدنيا ويكون صدوقا لا يتكلم بغير الصدق وان يكون محبا للانصاف بالطبع لا بالتكلف و يكون امينا متدينا عاملا بالاعمال البدنية والوظائف الشرعية غير مخل بواجب منها فمن اخل بواجب من الواجبات التى امر نبى من انبياء الله تعالى به ثم ورد على الحكمة فهو اهل لان يهجر و يترك *

السادس فى المعاد

و يحرم على نفسه ما كان حراما فى ملة نبيه و يوافق الجمهور فى الرسوم والعادات التى يستعملها اهل زمانه ولا يكون فظا سيئ الخلق فان الحكمة تنافى سوء الخلق ويترحم على من دونه فى الرتبة ويحترم لمن فوقه اومثله فى الرتبة ولا يكون اكولا ولا متهتكا ولا خائفا من الموت و لا جماعا للمال الا بقدر الحاجة فان من اورث بعد الموت ما يحتاج اليه فى حال البقاء اكيس من ان تصير نفسه مشغولة فى حال الحيوة بما يحتاج اليه فان الاشتغال بطلب اسباب المعاش مانع عن العلم وتوريث مافضل من النفقة و العمر لا يكون مانعا عن العلم ولاعائقا عن نيل الرتبة فى الآخرة لعل غيره من اصحاب صناعته وشركائه ينتفع به بعد موته فيكون خيرا فى حال حيوته و بعد وفاته لغيره *

ولا يستنكف من التعلم فان سقراط كان كثيرا ما يستفيد من تلامذته

وافلاطن كذلك وارسطاطاليس كذلك فان العلم كنز مدفون يفوز به من سهل الله طريقه اليه فكما انك لا تستنكف من التعلم ان تستمرض من غلامك وممن دونك فى الرتبة وممن فوقك اومثلك لتصلح به اسباب المعاش فانك احوج الى امور المعاد ونظامها *

وتدع الوقيعة فى الناس فان اردت تؤدبهم فأدبهم بنصائح غير مؤلمة *

وان خالطهم يبدنه خالقهم بخلقه الحسن فله ذلك *

(و يعود) لسانه قول الخير والصدق و يغني الاخوان بما يفضل منه فمن فعل ذلك فهو حكيم حقيقى يتمتع بالحكمة و اسرارها ومن كان بخلاف ذلك يتبهرج مثله كمثل نحاس مطلى بالذهب فاذا فارقته نفسه بقيت فى حيرة و بلاء نعوذ بالله من عذاب الآخرة *

تمت الرسالة

فى العلم الاعلى بعون الله تعالى فالحمد لله العلى العظيم والصلوة و السلام على رسوله النبي الكريم وآله الطيبين واصحابه المنتجبين

٢٢٢٢٢٢٢

٢٢٢٢٢

٢٢

اعلان

جس کتاب مطبوعہ پر دائرۃ المعارف کی مہر یا دستخط عہدہ دار متعلقہ نہ ہوں خریدار اسکو مال مسروقہ سمجھین اور ایسي کتاب کو بمقتضاء احتیاط ہرگز خرید نہ فرمائین ٭

المعلن
مہتمم مجلس دائرۃ المعارف

وَمَنْ يُؤتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ اُوْتِيَ خَيراً كَثِيراً

رسالة

فى اثبات المفارقات

للمعلم الثانى الحكيم ابى نصر محمد بن محمد
ابن اوزلغ بن طرخان الفارابى رحمه الله
وجعل الجنة مثواه المتوفى
سنة تسع وثلاثين
وثلاث مائة
هجرية



طبع في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
الكائنة بحيدر آباد الدكن حرسها الله
عن الشرور و الفتن في شهر
ربيع الاول سنة
(١٣٤٥)
هجرية



بسم الله الرحمن الرحيم

المفارقات على مراتب مختلفة الحقائق (الاول) الوجود(١) الذى لا سبب له وهو واحد (الثانى) العقول الفعالة وهى كثيرة بالنوع (الثالث) القوى السماوية وهى كثيرة بالنوع (الرابع) النفوس الانسانية وهى كثيرة بالاشخاص *

والصفات العامة لها اربع (الاولى) انها ليست باجسام وهو معنى سلبي ولا يوجب ان لا تختلف حقائقها لاشتراكها فى هذا السلب *

(الثانية) انها لا تموت ولا تفسد والا وجب ان تكون فيها قوة الموت والفساد ولو جاز هذا لوجب ان تجتمع فيها قوة الوجود والفناء وفعلهما فتكون موجودة ومعدومة معاً فتبين ان البسائط اذا صارت بالفعل لم تبق فيها القوة والامكان بل انما يصح ذلك فى المركبات

(١) ن الموجود —

التى لها امكانان فيبطل احدهما عند كونه بالفعل و يبقى الآخر فى المادة ثم لامتناع الفساد فى واجب الوجود لذاته بيان خاص وكذلك فى المادة بيان خاص *

(الثالثة) انها مدركة لذواتها بعد ان يعلم أن ادراكها لذواتها مختلف بالانواع فان ادراكها لذواتها هو نفس وجوداتها و وجوداتها مختلفة والاول يدرك ذاته ولوازم ذاته لامحالة لانه لو لم يدرك لوازم ذاته لكان ادراكه لذاته ناقصاً و ادراكه للوازم ذاته هو ادراكه لذاته

(الرابعة) ان لكل منها سعادة فوق سعادة الملابسات للمادة على انها ايضا من المفارقات *

(البراهين على اثبات هذه المفارقات) فمن البراهين تتضمن اثبات مفارق ومنها ما يثبت اولا به امر ثم ببرهان آخر ثان يعلم ان ذلك الامر مفارق

(البرهان) على اثبات الموجود الذى لاسبب له وهذا يحتاج الى برهان آخر فى انه مفارق لما كانت الممكنات و اجبافيها ان تنتهى الى موجود لا سبب له و الا كان يلزم اذا وضع طرفان و واسطة وكان موضع الطرف الاخير معلولا و الاول علة ان يكون الاول ايضا حكمه حكم الواسطة المحتاجة الى طرف ليس حكمه حكم الواسطة فيما كان يصح وجود ما حكمه حكم الواسطة سواء كانت عدة الوسائط متناهية او غير متناهية فوجب ان يكون فى الموجودات موجود لاسبب له وذلك بعد ان توضع العلل و المعلولات موجودة معا اذ المعلول لايصح ان يوجد من

دون العلة واذا حصل وجوده فانه ان استغنى بعد وجوده عن العلة صار واجب الوجود بذاته بعد ان كان ممكناً و محتاجاً الى العلة و الحدوث لا يفيد وجود المعلول الواجب لذاته فان الحدوث ايضا لعلة هذه صفته *

و بالجملة فلا تأثير للفاعل اى فى الحدوث اى فى سبق العدم ان يكون مثل هذا الوجود مسبوقا بالعدم بل هذا له من ذاته وماله من ذاته فلا سبب له *

البرهان على انه مفارق ـ انه لوكان جسما لكان له مادة وصورة وكانا سببين لوجوده وما لا سبب له لا يجب بسبب ذاته و انه لوكان جسما لكانت له ماهية و لو كانت له ماهية للزم ثلاث محالات (الاول) ان المعدوم كان يلزمه الوجود اى كان سببا لوجود ذاته (الثانى) ان الموجود الذى لا سبب له لا يكون من لوازم تلك الماهية فيكون معلولا صادرا عنه (الثالث) ان يكون وجوب الوجود متعلقا بتلك الماهية قائما بها وكان وجوبه لها *

اثبات العقول الفعالة *عليه بسته براهين و تتضمن اثبات انها مفارقة

(الاول) اللازم عن الاول يجب ان يكون احدي الذات لان الاول احدي الذات من كل جهة و يقتضى الواحد من كل جهة واحدا و يجب ان يكون هذا الاحدي الذات امرا مفارقا لما اقوله من البراهين*

معلوم ان الاجسام و المفارقات كثيرة فلا يجوز ان يكون الصادر عن الاول اولا صورة جسم او مادة و ذلك لان الصورة الجسمية تفعل بواسطة المادة الموجود فيها لان وجود الصورة الجسمية فى المادة

لا يستغنى عنها و مصدر فعل كل شيء بعد وجوده فتكون مادة الجسم الاول علة لما بعدها من الصور و المواد والمفارقات ولكن ليس للمادة الا القبول الثانى للصورة الجسميه للمادة و الصورة الجسمية لا محالة تفعل بعد وجودها ولا محالة وجودها وجود شخصي و تشخصها بوضع ففعلها اذن وضعي ولو كان سببا لوجود جسم آخر لكان وجب ان يكون او لا سببا لوجود مادته وصورته لكن ليس بين الصورة الجسمية و بينها وضع فلا يجوز ان يكون سببا لوجودها فلا يصح ان يكون سببا لما بعدهما اعنى الجسم و الاستحالة لكونهما سبباً للمفارق اظهر *

(البرهان الثانى) الجسم مؤلف من مادة و صورة و لا الصورة مستغنية فى وجودها عن المادة ولا المادة عن الصورة فلابد فى وجودهما من ثالث ليس بجسم و تؤدى هذه البراهين الى انه لو كان المعلول الاول غير مفارق لكانت الصورة الجسمية و المادة سببا لوجود الجسم و المفارق لكن هذا محال *

(البرهان الثالث) لوكان جسم فلكي سببا لوجود جسم محوي لكان يلزم ان يكون لعدم الخلاء سبب والخلاء محال و المحال لا سبب له فعلم من هذا ان لكل فلك مفارقا *

(البرهان الرابع) ان النفوس الانسانية مفارقة فعلتها يجب ان تكون مفارقة لان الجسم متأخر فى درجة الوجود عن المفارقات فلوكانت صورة جسمية سببا لوجود مفارق لكانت تفيد وجوداً فوق وجودها

واتم من وجودها فكان وجوذ مثل النفس الانسانية بغير سبب والصورة الجسمية لا تفيد وجوداً اكمل من وجود ذاتها *

(البرهان) الخامس النفوس الانسانية مخرجها من القوة الى الفعل فى المعقولات عقل ببراهين (الاول) الصور المتخيلة والمحسوسة والمتوهمة* (وبالجملة) الاجسام بالقوة معقولة فلابد من امر يجردها ويصيرها معقولة فان كان ذلك الامر ايضا بالقوة معقولا اتسلسل فينتهى لا محالة الى معقول بذاته *

(الثانى) الصورة الجسمانية تفعل بوضعها ولا وضع لها الى نفوسنا فلا يصح ان تخرج عقولنا من القوة الى الفعل (الثالث) مكمل عقولنا لا محالة يكون اتم وجودا منها والمعقولات هى التى تكملها فمفيدها عقل بالفعل *

(البرهان) السادس الحركة الدائمة لابد لها من محرك مفارق فاثبات النفوس السمائية بثلاثة براهين (الاول) الحركة الطبيعية تصدر عنها عند حالة غير طبيعية فهى مؤدية الى حالة طبيعية اى السكون وذلك عند ارتفاع الحالة الغير الطبيعية ولا يصح فى الحركة المستديرة السكون* (الثانى) الحركة الطبيعية تطلب امرا تسكن عنده وذلك على اقرب الطرق فهى اذاً مستقيمة (الثالث) الطبيعة لا تقتضى مهر وباعنها مطلوبا ولا تهرب عن مطلوباتها والمستديرة بخلافها فهى اذن غير طبيعية فهى نفسانية اختيارية ولانها تختار جزئيا فلا يصح ان تكون عقلا صرفا والا ما كانت تعدم اجزاء الحركات وما كانت تتعين حركة من دون اخرى مما كان يجب وجود ما لا تتعين

فكانت

فكانت لا توجد حركة *

(البرهان) على انها مفارقة ـ مطلوبها لا يصح ان يكون حسيا ومن باب الشهوة والغضب والا كانت تسكن عند اصابته *

(البرهان) على اثبات النفوس الانسانيه ـ الاجسام الانسانية تصدر عنها افعال لا تصدر عن سائر الاجسام فهو لا من الجسمية لان الجسم المطلق لا وجود له فهذا الامر مقوم له فهو جوهر وليس سبيل هذه الاجسام سبيل المعاجين لان لها خصوصية وجود اذ لها نمو واغتذاء وادراك وحركة من تلقائها *

البراهين على انها مفارقة * الاول انها تدرك المعقولات والمعقولات معان مجردة عما سواها كالبياض لا كالبيض وكل مدرك فانه يحصل فى المدرك وكل ما يحصل فى جسم فانه مؤثر فيه ما لا بد للجسم فى وجوده منه مثل الشكل والوضع والمقدار فلو حصل معقول فى الجسم لكان يحصل له مقدار وشكل ووضع فكان يخرج من ان يكون معقولا * (الثانى) انها تشعر بذاتها ولو كانت موجودة فى آلة لكانت لا تدرك ذاتها من دون ان تدرك معها آلتها فكانت بينها وبين آلتها آلة ويتسلسل بل ما يدرك ذاته فذاته له وكل موجود فى آلة فذاته لغيره (الثالث) انها تدرك الاضداد معا بحيث يمتنع ان توجد على ذلك الوجه فى المادة * (الربع اقناعي) ان العقل قد نقوى بعد الشيخوخة واذا كانت مفارقة لم يجب ان تفسد بفساد المادة الموجبة لحدوثها المتكثرة بعددها المعينة لوجود نفس من دون

اخرى مثلها *

(البرهان) على ان لها سعادة بعد المفارقة من جنس سعادة المفارقات و ان اتمها ما يكون للنفوس الفاضلة ـ قد عرفت انها بسيطة وانها يجب اذا وجدلها ما كان فى قوتها ان تقبله من الكمالات ان لا تزول عنها لما بان من البرهان المتقدم حين بين ان البسيط اذا خرج الى الفعل لم يبق فيه الامكان و الذى يختص بهذا الامكان انه لو كان العقل الهيولانى باقيا مع العقل بالفعل لكانت النفس بشىء واحد عالمة و جاهلة معا و هذا الكمال هو العقل بالفعل اعنى الاستعداد التام للاتصال بالمفارق الباقى الثابت فهى تتصل بالعقل بالفعل بعد المفارقة و العقل الهيولانى و ان كان قد نسيا فانه مستعد لان يصير عقلا بالفعل اتم و اذا كان العقل الهيولانى قد يتصل بالمفارق من دون تعلم اعنى من دون استعمال فكر و لا خيال فلأن يتصل به العقل بالفعل اوجب واولى ـ و بالجملة لا بد للنفس فى ان يحصل لها العقل بالفعل من البدن فان العقل بالملكة يستفاد بالبدن لامحالة و ليس للاوساط من البواقى قسط من القصد والحس *

تمت بعونه

الله لا اله الا هو الحى القيوم

تجريد رسالة

الدعاوى القلبية

للحكيم الفيلسوف المعلم الثانى ابى نصر محمد بن محمد

ابن طرخان بن اوزلغ الفارابى رحمه الله

وجعل الجنة مثواه المتوفى سنة

تسع وثلاثين وثلاث

مائة هجرية

الطبعة الاولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة

بحيدرآباد الدكن صانها الله عن الشرور

والفتن فى شهر صفر المظفر

سنة ١٣٤٩ ه



بسم الله الرحمن الرحيم

الدعاوى القلبية

المنسوبة الى ارسطو مجردة عن الحجج لابى نصر الفارابى

(قال) ان الوجود والوجوب والامكان من المعانى التى تتصور لا بتوسط تصور آخر قبلها بل هى معان واضحة فى الذهن وان عرفت بقول فانما يكون على سبيل التنبيه عليها لا على سبيل انها تعرف بمعان اظهر منها وان الامور الداخلة فى الوجود تنقسم قسمين منها ما اذا اعتبر بذاته وجب وجوده وهو الذى يسمى واجب الوجود وان الممكن الوجود متى فرض غير موجود لم يلزم منه محال وانه لا بد من ان تكون له علة وان الممكن الوجود بذاته واجب الوجود بغيره وانه يلزمه ان يكون دائما باعتبار ذاته ممكن الوجود فيعرض له ان يكون وجوده بغيره فاما ان يكون ذلك عارضا له دائما واما ليس دائما بل وقتا دون وقت وان الامور الممكنة الوجود لا يجوز بان تترقى فى العلية والمعلولية الى ما لا نهاية له ولا ان يكون دور بل ينتهى الى امر واجب

الوجود بذاته هو الموجود الاول وان الواجب الوجود بذاته متى فرض غير موجود لزم منه المحال وانه هو السبب الاول لوجود سائر الموجودات فيكون وجوده اقدم الوجود وانه برئ من جميع انحاء النقص فيكون وجوده اكمل وانه لا علة له فاعلية ولا غائية ولا صورية ولا مادية وان وجوده ليس لاحقا لماهية غير الوجود وانه لا ماهية له غير انه واجب الوجود وهي انيته فيكون لا جنس له ولا فصل له ولا حد له ولا برهان عليه وانه دائم الوجود بذاته لا يشوبه عدم ولا ان يكون بالقوة فانه لا يمكن ان لا يوجد وانه لا يحتاج الى شئ آخر يمد بقاءه وانه واحد بمعنى انه لا يمكن ان يكون لشئ آخر وجود مثل وجوده فيكونان واجبي الوجود وانه واحد بمعنى انه لا يجوز ان يجتمع وجوده عن كثرة وانه واحد بمعنى ان الحقيقة التي له لا يجوز ان يجتمع وجوده عن كثرة (١) وانه واحد بمعنى ان الحقيقة التي له لا يجوز ان يكون مشتركا فيها بل هي له وحده وانه واحد بمعنى انه غير منقسم انقسام الاعظام وسائر الكميات فيلزم ان يكون لا كمية له وان يكون لا اين له ولا متى وانه ليس بجسم وانه واحد بمعنى ان وجوده الذى هو في ذاته وجود ليس هو غير وجوده الذى به يمتاز عن الموجودات الاخر وانه لا ضد له وانه خير محض وهذه الثلاثة فيه بمعنى واحد وانه حكيم وحي وقادر وانه على غاية الكمال والبهاء وانه اجل مبتهج بذاته وانه العاشق الاول والمشوق الاول وانه عنه توجد سائر الموجودات على جهة فيض وجوده بوجود هذا وعلى ان وجود هذا فائض عن وجوده وانه يترتب عنه الموجودات الفائضة عنه مراتبها ويحصل عنه لكل موجود قسطه الذى هو وجوده ومرتبته منه وان يكون الكل عنه لا يجوز ان يكون على سبيل

---

(١) كذا في الاصل

قصد منه شبيه بقصد نافيكون قاصد الاجل شئ غيره وان كونه عنه لايجوز ان يكون على سبيل الطبع الخالى من المعرفة والارادة وان كونه منه على سبيل انه يعقل ذاته التى هى المبدأ لنظام الخير فى الوجود الذى ينبغى ان يكون عليه فيكون هـذا التعقل علة للوجود بحسب ما يعقله فان عقله للكل ليس بزمانى بل على انه يعقل ذاته ويعقل ما يلزمه على الترتيب معاً وليس يلحقه تكثر فى ذاته لتعقله للكل والكثرة وانه علة لوجود الكل على معنى انه يعطى الكل وجودا دائماً ويمنع العدم مطلقا لا على ان يعطى الكل وجودا جديدا بعد تسلط العدم عليه الا العدم الذى يستحقه الكل بذاته فيكون علة على انه مبدع والابداع هو ادامته تأييس ماهو (١) بذاته ليس ادامة لا يتعلق بعلة غير ذات المبدع وانه ليس فى ذاته مايضاد صدور الكل عنه فهو بهذا المعنى مريد لوجود الكل فى انه لايجوز ان يتجدد له ارادة لم تكن له فى الازل وان نسبة الكل اليه انه مبدع لما لا واسطة بينه وبينه وبتوسط ذلك تكون علة للاشياء الاخر وان القديم بذاته واحد وماسواه محدث فى ذاته وانه ليس لفعله لمية ولا يفعل فعله لاجل شئ آخر غير ذاته وان اول المبدعات عنه يكون واحدا وهو العقل الاول وانه يجب ان يحصل فى هذا المبدع كثرة عرضية على سبيل انه بذاته ممكن الوجود وبالاول واجب الوجود وعلى انه يعقل ذاته ويعقل الاول وان الكثرة التى فيه تلزمه من الاول فان امكان وجوده هو امر له بذاته لا لسبب الاول بل له من الاول وجوب الوجود وانه يلزم عن هذا العقل الاول من حيث هو واجب الوجود عاقل للحق وجود عقل ثان وهو ايضا واحد لا كثرة فيه الا على الوجه المذكور ويوجد عنه من حيث

هو

(١) كذا والله اعلم *

هو ممكن الوجود عاقل لذاته الفلك الاعلى بمادته وصورته التى هى نفسه و انه يوجد عن هذا الثانى عقل آخر وفلك دون الفلك الاعلى وذلك لما وجد فيه من الكثرة المرضية وانه على هذا يوجد من كل عقل عقل وفلك الى ان ينتهى الى آخر العقول و بفاعله المفارقة وهناك تستو فى عدد الافلاك ولا يمر ترتيب العقول والافلاك الى ما لا نهاية له وان هذه العقول مختلفة بالنوع وان العقل الاخير يصير سببا للنفوس الارضية من جهة هى جهة مايعقله من الاول والاسطقسات بتوسط السماوية من جهة هى جهة ما يعقله من ذاته وانه يجب فى الاسطقسات بحسب نسبتها من السماويات ومن امور منبعثة من السماويات ان يحدث فيها امتزاجات مختلفة تستعد بها بقبول النفوس النباتية والحيوانية والناطقة من الجوهر العقلى الآخر وان الكون والفساد وغيرهما انما يكون بقرب العالى وبعدها وذلك هو الحركة وانه يجب ان تكون الافلاك التى تتحرك على الاستدارة متحركة على شىء ثابت ويلزم من محاكتها له على الترتيب الاسطقسات الاربعة وان لكل واحد من هذه العقول ان يعقل النظام الذى يجب ان يكون عنه فيصير بذلك سببا و مبدأ لوجود مايوجد عنه لا عالم غير هذه الكثرة المجتمعة من الاجرام السماوية والاسطقسات الاربعة وان الاجرام السماوية لها تعقلات كلية وتعقلات جزئية وهى قابلة لنوع من التغير التخيلى يتبعه التخيل الجسمانى وهى الحركة فيكون اتصال تخيلاتها سببا لاتصال حركاتها الجسمانية ثم تصير هذه التغيرات سببا للتغيرات فى الاسطقسات وفى العالم الكون والفساد(١) وان اشتراك هذه الاجرام السماوية فى معنى واحد وهو اقتضاء الحركة المستديرة يكون سببا لاشتراك

(١) كذا فى الاصل

الاسطقسات في مادة واحدة وان اختلافها يكون سببا لاختلاف الاسطقسات في صورها وان تغيراتها يكون سببا لتغيرات الاسطقسات وكون الكائنة منها وفساد الفاسدة وان الاجرام السماوية وان كانت مشاركة للاسطقسات والكائنات في كون كل واحد منها ذا مادة وصورة فان مادة السماويات مخالفة لمادة الاسطقسات والكائنات كما ان صور تلك مخالفة لصور هذه وانها تشترك في الجسمية التي معناها انها كمال اول لما هو بالقوة من جهة ما هو كذلك وان العارضة للسماويات من الحركات هي الحركة الوضعية فقط والعارضة للاجرام الكائنة الفاسدة هي الحركة المكانية والكمية والكيفية وان اصناف الحركات في هذه الاربعة وانه لا حركة في الجوهر وان الحركات المستقيمة لازمة للبسائط منها وهي اثنتان الحركة الى اسفل والحركة الى فوق واما العارضة للمركبات فيجب (١) الغالب من الاسطقسات وانه لا يجوز ان يوجد بالفعل هيولى بلا صورة ولا صورة طبيعية بلا هيولى وانه لا يجوز ان يكون احدهما سببا للآخر في الوجود بل ههنا سبب يقيم كل واحد منهما مع الآخر وانما يوجد عن الاسباب دائما فهو طبيعي وارادي وانما يوجد عنها على سبيل العرض فهو اتفاق وان الامر الوجودي سببه امر وجودي والعدمي سببه عدم السبب الوجودي وان مبدأ الحركة والسكون اذا لم يكن من خارج فاما ان يكون لحركة لا تتبدل وبلا ارادة ولسكون كذلك ويسمى طبيعية واما ان تكون لحركات مختلفة متبدلة وبلا ارادة ويسمى نفسانية واما ان يكون لحركات بارادة وكيف كانت وهذا اما نفس حيوانية واما نفس فلكية وانه يتبع الحركة ويعرض لها عارض يسمى الزمان وقطعه الآن وسطح الجسم الحاوي للجسم المحوي

(١) كذا ولعله — بحسب *

المحوى يسمى المكان وان الخلاء لا وجود له وانه لا ابتداء زماني للحركة ولا انتهاء زماني لها وان الجسم السماوى هو المحدد للجهات بكونها ذا احاطة ومركز وانه لا ينتهي المقادير فى قسمتها الى جزء لا يتجزى ولا تركيب الاجسام من مثل هذه الاجزاء وانه لا يأتلف مما لا ينقسم جزء ولا حركة ولا زمان وانه لا يمتد بعد وملاء اوخلاء ان جاز وجوده الى غير نهاية وانه لا اتصال الا للحركات المستديرة والتعلق للزمان بها وحدها والمستقيمات لا يتصل امتدادها بانعطافها ولا بامتداد تحدث الزاوية منها وان الاجسام السماوية هي محددة للجهات وان كل جسم فانه يختص بحيز يحويه اويتحيز فيه اويسكن فيه ويختص بتشكل به وانه ان كان بسيطاً اقتضى حيزاً واحداً وشكلا غير مختلف فى اجزائه وذلك هو المستدير وان كل واحد من الاسطقسات الاربعة كرى الشكل وانه ينتظم بسائط العالم فى امكنة منتظمة ليس لجزء منها مكانان متباينان وان العالم مركب من بسائطه كرة واحدة وليس له شيء خارج فلا يكون فى مكان وينتهي لا الى خلاء ولا الى ملاء وان العالم محدث لا على انه كان قبل العالم زمان لم يخلق الله فيه العالم ثم بعد انقضاء ذلك الزمان خلق العالم (١) على ان العالم وجوده بعد وجوده بالذات وان كل جسم ففيه قوة هى مبدء حركة بالذات وان الانواع انما اختلفت لاختلاف هذه المبادى المحركة فيها وان كل جسم طبيعى بسيط اذا حصل فى مكانه الطبيعى لم يتحرك الا قسراً فاذا فارقه يتحرك اليه طبعا وان الفلك ليس له مبدء حركة مستقيمة وانه لاضد لصورته ولا ضد لحركته وانه لا يجوز ان يكون للجسم البسيط مبدأ حركة مستقيمة وحركة مستديرة معا وان الجسم الذى لا ميل له

---

(١) كذا ولعله — بل على —

طبيعي فانه لا يقبل ميلا قسريا وان الجسم الذى في طباعه ميل مستدير يستحيل ان يكون في طباعه ميل قسرى اوميل مستقيم وان كل كائن فاسد ففيه ميل مستقيم وان الفلك يلزم بطباعه الميل المستدير وان طبيعته طبيعة خامسة وليس بحار ولا بارد ولا خفيف ولا ثقيل وانه لايقبل الانخراق وان حركته نفسانية لاطبيعية وان ليس تحركه لداع شهوانى اوغضبى بل للشوق الى التشبه بالمبادى العقلية المفارقة فيما يمكن من البقاء على الفعل فيلزم عن ذلك تكوين مابعده وان لكل واحد من الاجرام الفلكية عقل مفارق خاص متشوقه الخاص وانه لايجوز ان يكون متشوق جميعها واحد وانه وان كان لكل واحد منها معشوق خاص مخالف لمعشوق الآخر فانها تشترك في معشوق واحد هو المعشوق الاول وانه يجب ان تكون القوة المحركة لكل واحد منها قوة غيرمتناهية وانه يجب ان تكون قوة كل واحد منها الجسدانية قوة متناهية وانه لايجوز ان تكون قوة متناهية تحرك جسما زمانا غيرمتناه ولا يجوز ان يكون جسم غير متناه بحركة قوة متناهية وانه لايجوز ان يكون جسم علة لوجود جسم آخر ولا علة لنفس اوعقل وان حقيقة الجوهر هو انه لا في موضوع وحقيقة العرض هو انه في موضوع وان الاجسام الاسطقسية توجد فيها قوى مهيأة نحو الفعل وهو الحرارة والبرودة وقوة مهيأة نحو الانفعال السريع والبطيء وهو الرطوبة واليبوسة وان القوى الاخر الفعلية منها والانفعالية هي كلها تابعة لتلك الامور الاربعة الاول وانه ليس ولا واحد من هذه الاربعة بصورة للاسطقس بل هي اعراض تابعة للصور الحقيقية وان الجسم البالغ في الحرارة بطبعه هو النار والبالغ في البرودة هو الماء والبالغ في الميعان هو الهواء والبالغ في الجمود هو الارض

وان هذه الاسطقسات الطبيعية التي هي اصول الكون والفساد وان الكون هو حدوث صورة جوهرية في المادة والفساد بطلانها وانها هي قابلة لاستحالة بعضها الى بعض وان الكائنة الفاسدة تحدث بامزجة تقع فيها نسب مختلفة بعدة نحو خلق مختلفة وبصور مقومة وان من هذه الصور تنبعث الكيفيات المحسوسة وقد تتبدل الكيفية وتحفظ الصورة وان الكائنة عن مزاج الاسطقسات فان قوى الاسطقسات وصورها باقية فيها لم تفسد وان الاسباب الطبيعية اربعة الفاعل والقابل والصورة والغاية وان حقيقة المزاج ان تستحيل الاسطقسات في كيفياتها المتضادة المنبعثة عن قواها الاصلية متفاعلة فيها حتى يكتسب كيفية متوسطة فانه اذا اشتدت الكيفية في اسطقس ادى الى فساد الصورة وحدث استعداد تام لمادة صورة اخرى فهنالك توجد عن المبادي الصورة التي استعد لها وان حكمة الصانع هي البالغة اذ قد كان اصولا ثم خلق منها امزجة شتى واعد كل مزاج لنوع ما وجعل اخراج الامزجة عن الاعتدال لاخراج الانواع عن الكمال وجعل اقربها من الاعتدال مزاج الانسان ليستعد لقبول نفسه الناطقه وان لكل واحد من الانوع النباتية نفسا هي صورة النوع وعنها تنبعث القوى التي يبلغها كمالاتها بالآت يفعل بها وان كل واحد من الانواع الحيوانية كذلك وان الانسان مخصوص من بينها بان له نفسا عنها تنبعث القوى التي يفعل فيها افاعيلها بآلات جسمانية وزيادة قوة يفعل بغير آلة جسمانية هي العقل وان من قواها القوة الغاذيه والقوة المربية والقوة المولدة ولكل واحد منها رواضع وخوادم لها وان من قواها المدركة الحواس الظاهرة والباطنة والقوة المتخيلة والقوة الوهمية والقوة الذاكرة والقوة

المفكرة ومن قواها المحركة للاعضاء وان كل واحد من هذه القوى المعدودة تفعل فعلها بآلة لا يمكن غير ذلك وانه ليس ولا واحدة فيها بمفارقة وان من قواها القوة العقلية العملية التى يستنبط الواحد فيما يجب ان يفعل من الامور الانسانية ومن قواها القوة العقلية العملية وهى التى جعلت لها بسبب حاجتها الى تكميل جوهرها عقلا بالفعل ولها مراتب فتارة يكون عقلا هيولانيا و تارة عقلا مستفادا وان هذه القوة التي لها اصابة المعقولات هي غير جسم ولا في جسم وان النفس الناطقة التي لها هذه القوة المذكورة جوهر واحد هو الانسان عند التحقيق وله فروع وقوى مبثة منها فى الاعضاء وانها حادثة عن واجب الصور عند حدوث الشيء المستعد لقبوله المستحق لوجوده فيه وهو البدن او ما فى قوته ان يكون بدنا وان الروح من جملة اجزاء البدن هو الموضوع الاول لاستعمالها اياها ثم البدن بتوسطة الروح و ان النفس لا يجوز ان تكون موجودة قبل وجود البدن وانها لا يجوز ان تكرر فى ابدان مختلفة وانه لا يجوز ان يكون لبدن واحد نفسان وانها مفارقة باقية بعد موت البدن ليس فيها قوة قبول الفساد وان لها بعد المفارقة احوالا اما احوال سعادة او احوال شقاوة و ان المعقولات لا يجوز ان تحصل و ترسم فى شيء منقسم ولا فى شيء ذى وضع وان النفس انما تخرج قوتها العقلية الى الفعل والى ان يكون عقلا كاملا بالفعل بشيء آخر يخرجها من القوة الى الفعل وهو العقل الفعال وان ذلك انما يكون باتصال يحصل بين النفس الناطقة و بين العقل الفعال وان الامور الكلية ليس لها وجود في الاعيان وان التعليمات بذواتها مفارقة وان المثل والصور الطبيعية لا يجوز ان توجد مفارقة قائمة بذواتها

وان

وان الخير والنظام المقصود بالذات فاما الشر فانه لاحق لامور لم يكن بد من وجودها وعلى سبيل العرض لكونها خيرا ولم يكن من اتباع البشر لها وان المعجزات حق ممكنة الوجود فى الانبياء وان الدعاء حق واجب ومشفع به وان الرؤيا والمنامات حق وان ما يوصف به الانبياء من احاطتهم بالعلوم لا على سبيل التعليم الشاق فهو حق وان اخبارهم بالمغيبات حق وان العبادات واجبة وان ما يأتى به الانبياء من الشرائع والاحكام والامر والنهى حق واجب وان الكمال التام للانسان انما هو بالعلم والعمل معا وان الدرجة الرفيعة السعادة العظمى انما هو معد لاولى الحكمة الحقيقية *

والحمد لله كما هو اهله ومستحقه

تمت الرسالة

بعون الله وحسن توفيقه فصلى الله على
نبيه خير البرية وعترته
الطاهرة الزكية

٢٢٣



اعلان

جس کتاب مطبوعه پر دائرة المعارف کی مہر یا دستخط عهده دار متعلقة نه هون خریدار اسکو مال مسروقه سمجهین اور ایسي کتاب کو بمقتضاء احتیاط هرگز خرید نه فرمائین *

المعلن
مهتمم مجلس دائرة المعارف

هو العليم الحكيم

كتاب السياسات المدنية

للمعلم الثانى الحكيم ابى نصر محمد بن محمد
ابن اوزلغ بن طرخان الفارابى رحمه الله
و جعل الجنة مثواه المتوفى
سنة تسع وثلاثين
و ثلاث مائة
هجرية

طبع فى مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
الكائنة بحيدر آباد الدكن حرسها الله
عن الشرور و الفتن فى شهر
جمادى الاولى سنة
(١٣٤٦)
هجرية



بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابو النصر — المبادى التى بها قوام الاجسام و الاعراض التى لها ستة اصناف لها ست مراتب عظمى كل مرتبة منها تحوز صنفا منها السبب الاول فى المرتبة الاولى الاسباب الثوانى فى المرتبة الثانية العقل الفعال فى المرتبة الثالثة النفس فى المرتبة الرابعة الصورة فى المرتبة الخامسة المادة فى المرتبة السادسة فما فى المرتبة الاولى منها لا يمكن ان يكون كثيراً بل واحدا فردا فقط و اما فى كل واحدة من سائر المراتب فهو كثير *
و ثلاثة منها ليست هى اجساما ولا هى فى اجسام و هى السبب الاول و الثوانى و العقل الفعال *

و ثلاثة هى فى اجسام وليست ذواتها اجساما و هى النفس و الصورة والمادة — و الاجسام ستة اجناس الجسم السماوى و الحيوان الناطق والحيوان

والحيوان الغير الناطق والنبات والجسم المعدني والاسطقسات الاربع *
والجملة المجتمعة من هذه الاجناس الستة من الاجسام هي العالم فالاول هو الذي ينبغي ان يعتقد فيه انه الاله تعالى وهو السبب القريب لوجود الثواني ولوجود العقل الفعال والثواني هي اسباب وجود الاجسام السماوية وعنها حصلت جواهر هذه الاجسام *
وبكل واحد من الثواني يلزم عنه وجود واحد من الاجسام السماوية فالاعلى الثواني رتبة يلزم عنه وجود السماء الاولى والادنا هما يلزم عنه وجود الكرة التي فيها القمر والمتوسطات التي بينها يلزم عن واحد واحد منها وجود واحد واحد من الافلاك التي بين هذين الفلكين وعدد الثواني عدد الاجسام السماوية والثواني هي التي ينبغي ان يقال فيها الروحانيون والملائكة واشباه ذلك *
والعقل الفعال فعله العناية بالحيوان الناطق والتماس تبليغه اقصى مراتب الكمال الذي للانسان ان يبلغه وهو السعادة القصوى وذلك ان يصير الانسان في مرتبة العقل الفعال وانما يكون ذلك بان يحصل مفارقا للاجسام غير محتاج في قوامه الى شيء آخر مما هو دونه من جسم او مادة او عرض وان يبقى على ذلك الكمال دائماً *
والعقل الفعال ذاته واحدة ايضاً ولكن رتبته تحوز ايضاً ما تخلص من الحيوان الناطق وفاز بالسعادة — والعقل الفعال هو الذي ينبغي ان يقال انه الروح الامين وروح القدس ويسمى باشباه هذين من الاسماء ورتبته يسمى الملكوت واشباه ذلك من الاسماء *

والتى فى مرتبة النفس من المبادى كثيرة ـ منها انفس الاجسام السماوية ومنها انفس الحيوان الناطق ـ ومنها انفس الحيوان الغير الناطق والتى للحيوان الناطق هى القوة الناطقة و القوة النزوعية و القوة المتخيلة والقوة الحساسة فالقوة الناطقة هى التى بها يحوز الانسان العلوم والصناعات وبها يميز بين الجميل و القبيح من الاخلاق و الافعال و بها يتروّى فيما ينبغى ان يفعل او لا يفعل و يدرك بها مع هذه النافع و الضار و الملذ والموذى *

والناطقة منها نظرية ومنها عملية والعملية منها مهنيّة ومنها مروية فالنظرية هى التى بها يحوز الانسان علم ما ليس شأنه ان يعلمه انسان اصلا والعملية هى التى بها يعرف ما شأنه ان يعلمه الانسان بارادة والمهنية منها هى التى بها يحاز الصناعات والمهن والمروية هى التى يكون بها مأخذ الفكر والروية فى شىء مما ينبغى ان يعمل او لا يعمل والنزوعية هي التى بها يكون النزاع الانسانى بان يطلب الشىء او يهرب منه و يشتاقه او يكرهه و يؤثره او يجتنبه و بها يكون البغضة والمحبة والصداقة والعداوة والخوف والامن و الغضب والرضا والشهوة والرحمة و سائر عوارض النفس ـ و المتخيلة هى التى تحفظ رسوم المحسوسات بعد غيبتها عن الحس و تركب بعضها الى بعض وتفصل بعضها عن بعض فى اليقظة والنوم تركيبات وتفصيلات بعضها صادق و بعضها كاذب ولها مع ذلك ادراك النافع و الضار واللذيذ والموذى دون الجميل والقبيح من الافعال والاخلاق *

والحساسة بيّن امرها وهى التى تدرك المحسوسات بالحواس الخمس المعروفة

عند

عند الجميع وتدرك الملذ والموذى ولا يميز الضار والنافع ولا الجميل ولا القبيح واما الحيوان الغير الناطق فبعضه يوجد له القوى الثلاث الباقية دون الناطقة والقوة المتخيلة فيه تقوم مقام القوة الناطقة في الحيوان الناطق و بعضه يوجد له القوة الحساسة و القوة النزوعية فقط *

واما انفس الاجسام السماوية فهى مباينة لهذه الانفس فى النوع مفردة عنها فى جواهرها وبها تتجوهر الاجسام السماوية وعنها تتحرك دورا وهى اشرف و اكمل و افضل وجودا من انفس انواع الحيوان التى لدينا ـ وذلك انها لم تكن بالقوة اصلا ولا فى وقت من الاوقات بل هى بالفعل دائما من قبل ان معقولاتها لم تزل حاصلة فيها منذ اول الامر وانها تفعل ما تفعله دائما واما انفسنا نحن فانها تكون اولا بالقوة ثم تصير بالفعل وذلك انها تكون اولا هيأت قابلة معدة لان تعقل المعقولات ثم من بعد ذلك تحصل لها المعقولات و تصير حينئذ بالفعل وليس فى الاجسام السماوية من الانفس لا الحساسة ولا المتخيلة بل انما لها النفس التى تعقل فقط وهى مجانسة في ذلك بعض المجانسة للنفس الناطقة والتى تعقلها الانفس السماوية هى المعقولات بجواهرها و تلك هى الجواهر المفارقة للمادة وكل نفس منها يعقل الاول و يعقل ذاتها و يعقل الثوانى ذلك الذى اعطاها جواهرها *

واما جل المعقولات التى يعقلها الانسان من الاشياء التى هى مواد فليست تعقلها الانفس السماوية لانها ارفع رتبة بجواهرها عن ان تعقل المعقولات التى هى دونها فالاول تعقل ذاتها وان كانت ذاته بوجه ما هى الموجودات كلها

فانه اذا عقل ذاتها فقد عقل بوجه ما الموجودات كلها لان سائر الموجودات انما اقتبس كل واحد منها الوجود عن وجوده والثوانى كل واحد منها يعقل ذاته ويعقل الاول*

و اما العقل الفعال فانه يعقل الاول والثوانى كلها و يعقل ذاته و هو ايضاً يعقل الاشياء التى ليست بذواتها معقولات و المعقولات بذواتها هى الاشياء المفارقة للاجسام التى ليس قوامها فى مادة اصلا وهذه هى المعقولات بجواهرها فان جواهر هذه تعقل وتعقل فانها تعقل من جهة ما تعقل و المعقول منها هو الذى يعقل وليس سائر المعقولات كذلك وذلك ان الحجارة والنبات مثلاهى معقولة وليس ما يعقله منها وهو ايضاً يعقل والتى هى اجسام اوهى فى اجسام فليست هى بجواهرها معقولة و لاشىء جوهره عقل بالفعل ولكن العقل الفعال هو الذى يجعلها معقولات بالفعل ويجعل بعضها عقلا بالفعل ويرفعها عن الطبيعة التى هى عليها من الوجود الى رتبة فى الوجود ارفع مما اعطته بالطبيع *

القوة الناطقة التى بها الانسان انسان ليست هى فى جوهرها عقلا بالفعل ولم يعط بالطبع ان يكون عقلا بالفعل ولكن العقل الفعال يصيرها عقلا بالفعل ويجعل سائر الاشياء معقولة بالفعل للقوة الناطقة فاذا حصلت القوة الناطقة عقلا بالفعل صار ايضا ذلك العقل الذى هو الاول بالعقل شبيها بالاشياء المفارقة يعقل ذاته التى هى بالفعل عقل وصار المعقول منه هو الذى يعقل منه ويكون حينئذ جوهر ما يعقل ان يكون معقولا من جهة ما يعقل فيكون العاقل و المعقول و العقل فيه شيئاً واحداً بعينه فهذا يصير فى رتبة

العقل

العقل الفعال وهذه الرتبة اذا بلغها الانسان كانت سعادته *

و منزلة العقل الفعال من الانسان منزلة الشمس يعطى البصر الضوء فيصير البصر بالضوء الذى استفاده من الشمس مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة و بذلك الضوء يبصر الشمس نفسها التى هى السبب فى ان بصر بالفعل وبالضوء ايضا يصير الالوان التى هى مرتبة فى القوة مرتبة بالفعل ويصير البصر الذى هو بالقوة بصيرا بالفعل. وكذلك العقل الفعال يفيد الانسان شيئا يرسمه فى قوته الناطقه منزلة ذلك الشىء من النفس الناطقة منزلة الضوء من البصر فبذلك الشىء يعقل النفس الناطقة العقل الفعال و به تصير الاشياء هى التى معقولة بالقوة معقولة بالفعل و به يصير الانسان الذى هو عقل بالقوة عقلا بالفعل والكمال الى ان يصير فى قرب من رتبة العقل الفعال فيصير عقلا بذاته بعد ان لم يكن كذلك ومعقولا بذاته بعد ان لم يكن و يصير آلهيا بعد ان كان هيولانيا فهذا هو فعل العقل الفعال و لهذا سمى العقل الفعال*

و الصورة هى في الجوهر الجسمانى مثل شكل السرير فى السرير و المادة مثل خشب السرير فالصورة هى التى بها يصير الجوهر المتجسم جوهرا بالفعل و المادة هى التى بها يكون جوهرا بالقوة فان السرير هو سرير بالقوة من جهة ما هو خشب و يصير سريرا بالفعل متى حصل شكله فى الخشب ـ والصورة قوامها بالمادة والمادة موضوعة لحمل الصور فان الصور ليس لها قوام بذواتها وهى محتاجة الى ان تكون موجودة فى موضوع و موضوعها المادة و المادة انما وجودها لاجل الصور*

وكأن الغرض الاول انما كان وجود الصور ولما لم يكن لها قوام الا في موضوع ما جعلت المادة موضوعة ليحمل الصورة فلذلك متى لم توجد الصور كان وجود المادة باطلا وليس في الموجودات الطبيعية شيء باطلا فلذلك لا يمكن ان توجد المادة الاولى خلوا من صورة ما فالمادة مبدأ وسبب على طريق الموضوع لحمل الصورة فقط وليست هي فاعلة ولا غاية ولا لها وجود وحدها بغير صورة والمادة والصورة كل واحد منهما يسمى بالطبيعة الا ان احراهما بهذا الاسم هو الصورة *

مثال ذلك البصر فانه جوهر وجسم العين مادته والقوة التي بها تبصر هي صورته وباجتماعهما يكون البصر بصرا بالفعل وكذلك سائر الاجسام الطابعية *

واما الانفس فانها ما دامت لم تستكمل ولم تفعل افعالها وكانت قوى وهيآت معدة لان تقبل رسوم الاشياء مثل البصر قبل ان يبصر وقبل ان تحصل فيه رسوم المبصرات والمتخيلة قبل ان تحصل فيها رسوم المتخيلات والناطقة قبل ان تحصل فيها رسوم المعقولات تكون صورا فاذا حصلت فيها الرسوم بالفعل اعني رسوم المحسوسات في القوة الحاسة والمتخيلة في القوة المتخيلة ورسوم المعقولات في القوة الناطقة باينت حينئذ هذه الصورة وان كانت هذه الرسوم الحاصلة في الهيآت شبيهة بالصور في المواد وليست تسمى هذه صورة الا على طريق التشبيه وابعدها من الصور رسوم المعقولات الحاصلة في القوة الناطقة فانها تكاد ان تكون مفارقة للمادة ويكون وجودها في القوى الناطقة بعيدة

الشبيه جداً الوجود الصورة في المادة فاما اذا حصل العقل بالفعل شبيها بالعقل الفعال فحينئذ لا يكون العقل صورة ولا شبيها بالصورة و على ان قوما يسمون الجواهر الغير المجسمة كلها صورا ايضاً باشتراك الاسم و يجعلون الصور منها ماهي مفارقة للمادة غير محتاجة اليها يلزم منها و منها ما هي غير مفارقة للمادة التي ذكرناها وهذه القسمة قسمة الاسم المشترك ٭

والصور المحتاجة الى المادة هي على مراتب فادناها رتبة هي صور الاسطقسات الاربع و هي اربع في اربع مواد والمواد الاربع نوعها واحد بعينه فان التي هي مادة للنار هي بعينها يمكن ان تجعل مادة للهواء كسائر الاسطقسات وباقي الصور هي صور الاجسام الحادثة عن اختلاط الاسطقسات و مزاجها و بعضها ارفع من بعض فان صور الاجسام المعدنية ارفع مرتبة من صور الاسطقسات و صور النبات على تفاصيلها ارفع مرتبة من صور الاجسام المعدنية و صور انواع الحيوان الغير الناطق على تفاصيلها ارفع من صور النبات ثم صور الحيوان الناطق وهي النشأت الطبيعية التي له بما هو ناطق ارفع من صور الحيوان الغير الناطق و الصورة و المادة الاولى هما انقص من هذه المبادى وجوداً و ذلك ان كل واحد منهما مفتقر في وجوده و قوامه الى الآخر فان الصورة لا يمكن ان يكون لها قوام الا في المادة و المادة هي بجوهرها و طبيعتها موجودة لاجل الصورة و انيتها هي ان تحمل الصورة فمتى لم تكن الصور موجودة لم تكن المادة موجودة اذ كانت هذه المادة هي متخصصة لا صورة لها في ذاتها اصلا فلذلك يكون وجودها خلوا من الصورة

وجوده باطلا ولا يمكن ان يوجد في الامور الطبيعية شيئا باطلا اصلا ولذلك متى لم تكن المادة موجودة لم تكن الصورة موجودة من جهة ان الصورة تحتاج في قوامها الى موضوع ثم لكل واحد منهما نقص يخصه وكمال يخصه ليس هو للآخر من قبل ان الصورة بها يكون اكمل وجودي الجسم وهو وجوده بالفعل والمادة بها تكون انقص وجودي الجسم وهو وجوده بالقوة والصورة توجد لا لان توجد بها المادة ولا لانها فطرت لاجل المادة والمادة موجودة لاجل الصورة اعني ليكون قوام الصورة بها فبهذ انتفضل الصورة المادة والمادة تفضل الصورة بانها لا تحتاج في وجودها الى ان يكون في موضوع والصورة تحتاج ذلك والمادة لا ضد لها ولا عدم يقابلها والصورة لها عدم او ضد وما له عدم او ضد فليس يمكن ان يكون دائم الوجود والصور تشبه الاعراض اذ كانت قوام الصور في موضوع وقوام الاعراض ايضا في موضوع ويفارق الصور الاعراض بان موضوعات الاعراض لم تجعل لاجل وجود الاعراض ولا لتحمل الاعراض *

واما موضوعات الصور وهي المواد فانما جعلت لتحمل الصور والمادة موضوعة لصور متضادة فهي قابلة للصورة ولضد تلك الصورة اوعدمها فهي تنتقل من صورة الى صورة دائما بلا فتور وليست بصورة اولى من ضدها بل قبولها للمتضادات على السواء *

واما الجواهر الغير الجسمانية فليس يلحقها شيء من النقص الذي يخص الصورة والمادة فان كل واحد منها قوام لا في موضوع ووجود كل

واحد منها لا لاجل غيره ولا على طريق المادة ولا على الآلة لغيره ولا على طريق الخدمة لغيره ولا به حاجة الى ان تتزيد وجوداً يستفيده في المستقبل بفعله في غيره او بفعل غيره فيه وانه ايضاً لا ضد للشيء منها ولا عدم يقابله وهذه اولى ان تكون جواهر من الصورة والمادة والثواني والعقل الفعال دون الاول وان كان ليس يلحقها هذه الوجود من النقص فانها ليس تتعرى من نقص ايضاً عن غير هذه وذلك ان جواهرها مستفادة عن غيرها ووجودها تابع لوجود غيرها وجواهرها لم يبلغ من الكمال الى حيث يكتفي انفسها عن ان تستفيد الوجود عن غيرها بل وجودها فائض عليها فيما هو اكمل وجوداً منها وهذا نقص يعم كل موجود سوى الاول *

ومع ذلك فان الثواني والعقل الفعال ليس واحد منها يكتفي في ان يحصل له بهاء الوجود وزينته ولا الغبطة والالتذاذ والجمال بان تقتصر على ان يعقل ذاته وحدها لكن لا يحتاج في ذلك الى ان يعقل مع ذاته ذات موجود آخر اكمل منه وابهى منه ففي ذات كل واحد منها عن هذا الوجه كثرة ما اذا كان ما يعقل شيئاً ما فان ذاته من وجه ما يصير ذلك الشيء على ان لها مع ذلك ذاتاً تخصها وكان فضيلة ذاته لا تتم الا بتعاون كثرة ما فلذلك صارت الكثرة فيما يتجوهر به الشيء نقصاً في وجود ذلك الشيء الا ان الاول ان هذه ليس في طباعها ان يكون لها بها الوجود وجماله وزينته بان يعقل ما هو دونها في الوجود ومما يوجد عن كل واحد منها او ما يتبع ويتجوهر كل واحد من الموجودات فليس شيء منه يقترن به او يحل فيه ولا ايضاً ذاته مفتقرة في

ان يوجد عنه غيره الى آلة اوحال اخرى سوى ذاته و جوهره كافية بانفرادها على ان يستعين في ايجاد غيره بآلة اوبحال ما غير جوهره بل ذاته *

واما الانفس التي هي للاجسام السماوية فانها متبرية من انحاء النقص التي في الصورة وفي المادة الا انها في موضوعات و هي تشبه الصور من هذه الجهة غير ان موضوعاتها ليست موادبل كل واحدة منها مخصوصة بموضوع لا يمكن ان يكون ذلك موضوعا لشيء آخر غيرها فيفارق الصورة بهذه الجهة ويوجد بها من انحاء النقص جميع ما يوجد للثواني و تزيد عليها في النقص ان الكثرة التي بها تجوهرها ازيد مما تجوهر به الثواني بانها انما تحصل لها الجمال والغبطة بان تعقل ذاتها و تعقل الثواني وتعقل الاول ثم مع ذلك يتبع وجودها الذي به تجوهرها ان يوجد وجودات اخر غير خارجة عن جواهرها ـ و ايضا فانها لا يكتفى في ان يفيض عنها وجود الى غيرها من غير آلة و من غير حال اخرى يكون وهي مفتقرة في الامرين جميعا الى اشياء اخر غير خارجة عن ذواتها *

اعنى بالامرين قوامها وان يعطى غيرها الوجود والثواني بريئة عن كل ما خرج عن ذاتها وذلك في الامرين جميعا غير انها ليست تستفيد البهاء و الجمال بان تعقل ما دونها من الموجودات و لا بان يكون وجودها مقصورا عليه دون ان يفيض منه وجود الى غيره *

و اما الانفس التي في الحيوان فان الحساسة والمتخيلة اذا استكملتا بما يحصل فيها من رسوم الاشياء المحسوسة و المتخيلة صار فيها شبه

تما

تما بالاشياء المفارقة الاان هذا التشبه لا يخرجها عن طبيعة الوجود والهيولى عن طبيعة الصور *

واما الجزء الناطق من النفس فانه اذا استكمل وصار عقلا بالفعل فانه يكون قريب الشبه بالاشياء المفارقة الاان كمال وجوده ومصيره بالفعل وبهاؤه وزينته وجماله انما يستفيد بان يعقل ليس الاشياء التى فوقه فى الرتبة فقط بل وبان يعقل الاشياء التى هى دونه في الرتبة ويعظم الكثرة فيما يتجوهر به جدا ويكون ايضا وجوده مقصورا عليه وجودا غير فائض الى ما سواه حين مايصير مفارقتها مفارقة تامة بجميع اجزاء النفس سواء اما حين ما يكون مفارقا للنزوعية والمتخيلة والحساسة فانه يعطى من سواه الوجود ويشير ان يكون ما يحصل عنه لغيره انما هو لتزيد عما يفعله من ذلك وجودا اكمل فاذا فارقته الآلة لم يمكن ان يكمل منه فعل غيره وبقى مفتقرا على وجوده لانه يشبه ان لا يكون فى جوهره ان يفيض منه وجود الى غيره بل حسبه من الوجود ان يبقى بجوهره محفوظ الوجود دائما ويكون من الاسباب سببا على انه غاية لا على انه فاعل *

واما الاول فليس فيه نقص اصلا ولا بوجه من الوجوه ولا يمكن ان يكون وجودا اكمل وافضل من وجوده ولا يمكن ان يكون موجودا اقدم منه ولا فى مثل رتبة وجوده لم يتوقف عليه فلذلك لا يمكن ان يكون استفاد وجوده عن شىء آخر غيره اقدم منه وهو ان يكون استفاد ذلك عما هو انقص منه ابعد ولذلك هو ايضا مباين بجوهره لكل شىء سواه مباينة تامة ولا يمكن ان يكون ذلك الوجود الذي هو له لاكثر

من واحد لان كل ما وجوده هـذا الوجود لا يمكن ان يكون بينه
وبين امر آخر له ايضا هذا الوجود نفسه مبائنة اصلا لانه ان كانت بينهما
مبائنة كان الذى تباينا به شيئا آخر غير ما اشتركا فيه فيكون الشيء الذى
به باين كل واحد منهما الآخر جزأ مما قوام وجودهما به فيكون وجود
كل واحد منهما منقسما بالقول فيكون كل واحد من جزئيه سببا لقوام
ذاته فلا يكون اولا بل يكون هناك موجود اقدم منه قوامه وذلك
محال فيه اذ هو اول وما لا تباين بينهما لا يمكن ان يكون كثرة
لا اثنين ولا اكثر وايضا ان امكن ان يكون شيء غيره له هذا الوجود
بعينه امكن ان يكون وجود خارجا عن وجوده لم يتوقف عليه وفي مثل
رتبته فاذن وجوده دون وجود ما يجتمع له الوجود ان معا فوجوده
اذن وجود فيه نقص لان التام هو ما لا يوجد خارجا عن ذاته شيء ما اصلا
ولذلك لا يمكن ان يكون له ضد اصلا وذلك ان وجود ضد الشيء هو في
مثل رتبة وجوده ولا يمكن ان يكون في مثل رتبة وجود اصلا لم يتوقف عليه
والا كان وجوده وجودا ناقصا ــ وايضا فان كل ما له ضد فان كمال
وجوده هو لعدم ضده وذلك ان وجود الشيء الذى هو ضد انما يكون
مع وجود ضده بان يحفظ باشياء من خارج وباشياء خارجة عن ذاته
وجوهره فانه لشيء يكون في جوهر احد الضدين كفاية في ان يحفظ
ذاته عن ضده فاذن ما يلزم من ان يكون للاول سبب ما اخر به وجوده
فلذلك لا يمكن ان يكون في مرتبة بل يكون هو وحده فردا فهو واحد
من هذه الجهة ــ وايضا فانه غير منقسم في ذاته بالقول واعني انه لا ينقسم

الى

الى اشياء بها تجوهره وذلك انه لا يمكن ان يكون القول الذى يشرح ذاته يدل كل جزء من اجزاء القول على جزء مما يتجوهر به فانه اذا كان كذلك كانت الاجزاء التى بها تجوهره هى اسباب وجوده على جهة مايكون المعانى التى تدل عليها اجزاء الحد اسبابا لوجود الشيء المحدود وعلى جهة ماتكون المادة والصورة اسبابا لوجود ما يتقوم بها وذلك غير ممكن فيه اذ كان اولا فاذا كان لا ينقسم هذا الانقسام فهو من ان ينقسم انقسام الكم وسائر انحاء الانقسام ابعد فهو ايضا واحد من هذه الجهة الاخرى *

ولذلك لا يمكن ايضا ان يكون وجوده الذي به ينحاز عما سواه من الموجودات غير الذى هو به في ذاته موجود فلذلك يكون انحيازه عما سواه لوحدة هى ذاته فان احد معانى الوحدة هى الوجود الخاص الذى به ينحاز كل موجود عما سواه وهى التى بها يقال لكل موجود واحد من جهة ماهو موجود الوجود الذى يخصه وهذا المعنى من معانيه يساوق الموجود فالاول ايضا بهذا الوجه واحد واحق من كل واحد سواه باسم الواحد ومعناه ولانه لا مادة له ولا بوجه من الوجوه فانه بجوهره عقل لان المانع للشيء من ان يكون عقلا وان يعقل بالفعل هو المادة وهو معقول من جهة ماهو عقل فان الذى هو منه عقل فكذلك هو معقول لذلك الشيء هو منه عقل وليس يحتاج فى ان يكون معقولا الى ذات اخرى خارجة عنه تعقله بل هو نفسه يعقل ذاته فيصير مما يعقل من ذاته عاقلا وبان ذاته يعقله معقولا ــ وكذلك ليس يحتاج في ان يكون عقلا وعاقلا الى

ذات اخرى يستفيده من خارج بل يكون عقلا وعاقلا بان يعقل ذاته فان الذات التى يعقل هى التى يعقل *

وكذلك الحال فى انه عالم فانه ليس يحتاج فى ان يعلم الى ذات يستفيد بعلمها الفضيلة خارج عن ذاته ولا في ان يكون معلوما الى ذات اخرى بعلمه بل هو مكتف بجوهره في ان يعلم وليس علمه بذاته غير جوهره فانه لعلم ذاته معلوم وانه علم ذات واحدة وجوهر واحد *

وكذلك فى انه حكيم فان الحكمة هو ان يعقل افضل الاشياء بافضل علم وبما يعقل من ذاته ويعلمها بعلم افضل الاشياء بافضل علم والعلم الافضل هو العلم التام الذى لا يزول لما هو دائما لا يزول فكذلك هو حكيم لا بحكمة استفادها بعلم شيء خارج عن ذاته بل فى ذاته كفاية في ان يصير حكيما بان يعلم ذاته والبهاء والجمال والزينة فى كل موجود هو ان يوجد وجوده الافضل ويبلغ استكماله الآخر واذا كان الاول وجوده افضل الوجود فجماله اذن فائق لجمال كل ذى جمال وكذلك زتبته وبهاؤه وجماله له بجوهره وذاته وذلك فى نفسه وبما يعقله من ذاته واذا كانت اللذة والفرح والسرور والغبطة انما تنبع وتحصل من اكثر بان يدرك الاجمل بالادراك الاتقن واذا كان هو الاجمل على الاطلاق والابهى والازين وادراكه لذاته الادراك الاتقن والعلم الافضل فاللذة التى يلتذ بها الاول لذة لا نفهم نحن كنهها ولا ندرى مقدار عظمها الا بالقياس والاضافة الى يسير ما نجده نحن من اللذة عندما نظن ان ادركنا ما هو عندنا اجمل وابهى ادراكا اتقن اما باحساس

 او تخيل

ا وتخيل او علم عقلي *

واذ كنا نحن عند هذه الحال يحصل لنا من اللذة ما يظن انه فائق لكل لذة في العظم ونكون نحن عند انفسنا مغبوطين بما نلنا من ذلك غاية الغبطة فقياس علمه و ادراكه الافضل و الاجمل الى علمنا نحن وادراكنا الاجمل والابهى هو قياس سروره بذاته واغتباطه بنفسه الى ماينالنا نحن عند ذلك من اللذة و السرور والاغتباط بانفسنا وان كان لا نسبة لادراكنا نحن الى ادراكه ولا لمعلومنا الى معلومه وان كانت له نسبة فهي نسبة ما يسيرة فاذن لا نسبة للذتنا و سرورنا و اغتباطنا لانفسنا الى ما للاول من ذلك وان كانت نسبة فهي نسبة يسيرة جدا فانه كيف تكون نسبة لما هو جزء يسير الى ماهو مقداره غير متناه في الزمان ولما هو انقص نقصانا كثيرا الى ماهو في غاية الكمال واذا كان ما يلتذ بذاته اكثر و يسر به ويغتبط به اغتباطا اعظم فهو يحب ذاته و يعشقها اكثر فانه بين ان الاول يعشق ذاته ضرورة و يحبها و يعجب بها عشقا واعجابا نسبة الى عشقنا لما نلتذ به من فضيلة ذاتنا كنسبة فضيلته هو وكمال ذاته الى فضيلتنا نحن وكمالنا الذى نعجب به من انفسنا و المحب منه هو المحبوب بعينه و المعجب منه هو المعجب بعينه فهو المحبوب الاول والمعشوق الاول *

ومتى وجد للاول الوجود الذى هو له لزم ضرورة ان يوجد عنه سائر الموجودات الطبيعية التى ليست الى اختيار الانسان على ما هي عليه من الوجود الذى بعضه مشاهد بالحس و بعضه معلوم بالبرهان و وجود ما وجد عنه على جهة فيض وجوده لوجود شيء آخر وعلى ان وجود

غيره فائض عن وجوده فعلى هذه الجهة يكون وجود ما يوجد عنه ليس سببا له بوجه من الوجوه لا على انه غاية لوجوده ولا على انه يفيده كمالا ما كما يكون ذلك في جل الاشياء التي تكون منا فانا كنا معدين لتكون عنا كثرة من تلك الاشياء فتكون تلك الاشياء هي الغايات التي لاجلها وجودنا وكثير من تلك غايات تفيدنا كمالا لم يكن لنا فالاول ليس الغرض من وجوده هو وجود سائر الاشياء فيكون تلك غايات لوجوده ويكون لوجوده سبب آخر خارج عنه ولا ايضا باعطائه الوجود ينال كمالا آخر خارجا عما هو عليه ولا كمال ذاته كما ينال ذلك من يجود بالمال او بشيء آخر فيستفيد بما يبذل من ذلك لذة او كرامة او رياسة او شيئا غير ذلك من الخيرات والكمالات فيكون وجود غيره سببا لخير يحصل له ووجود لم يكن له وهذه الاشياء كلها محال ان يكون في الاول لانه يسقط اوليته ويوجب تقدم غيره اقدم منه وسببا لوجوده بل انه موجود لاجل ذاته ويلحق جوهره ويتبعه ان يوجد عنه غيره فهو في جوهره فلذلك وجوده الذي به فاض الوجود الى غيره هو في جوهره ووجود الذي به تجوهر في ذاته بعينه وجوده الذي به يحصل وجود غيره عنه ولا ينقسم الى شيئين يكون باحدهما تجوهر ذاته وبالآخر حصول شيء آخر غيره *

ولا ايضاً يحتاج في ان يفيض عن وجوده وجود شيء آخر الى شيء غير ذاته وغير جوهره كما يحتاج نحن وكثير من الموجودات الفاعلة الى ذلك وليس وجوده بما يفيض عنه وجود غيره اكمل من وجوده الذي به تجوهره

فذلك

فاذلك ضار وجودما يوجد عنه غير متأخر عنه بالزمان اصلا بل انما يتأخر عنه بسائر انحاء التأخر *
والاسماء التي ينبغي ان يسمى بها هى الاسماء التي يدل من الموجودات التي لدينا على الكمال وفضيلة الموجود من غير ان يدل شيء من تلك الاسماء منه هو على الكمال الذي يخصه هو في جوهره وايضاً فان انواع الكمالات التي جرت العادة ان تدل عليها بالاسماء الكثيرة كثيرة *
وليس ينبغي ان يظن ان انواع كمالاته التي تدل عليها باسمائه الكثيرة انواع كثيرة ينقسم اليها ويتجوهر بجميعها بل ينبغي ان يدل بتلك الاسماء الكثيرة على جوهر واحد ووجود واحد غير منقسم اصلا وايضا فمتى اتفق في اسم من تلك الاسماء ان كان يدل من بعض ما لدينا على فضيلة وكمال خارج عن جوهره فينبغي ان يجعل ما يدل عليه ذلك الاسم من الاول كمالا وفضيلة في جوهره مثل الجميل الذي يدل به في كثير من الموجودات على كمال في لون او شكل او وضع لا في جوهر ذلك الشيء *
والاسماء التي تدل على الكمال والفضيلة في الاشياء التي لدينا منها ما يدل على ما هو له في ذاته لا من حيث هو مضاف الى شيء آخر مثل الموجود والشيء الواحد واشباه ذلك ـ ومنها ما يدل على ما هو له بالاضافة الى شيء آخر خارج عنه مثل العدل والجور وهذه الاسماء اما فيما لدينا فانها تدل على فضيلة وكمال جزء ذاته هو الاضافة التي له الى شيء اخر خارج عنه حتى تكون تلك الاضافة جزأ من جملة ما يدل عليه ذلك الاسم

وبان تكون تلك الفضيلة وذلك الكمال تقوامه بما هو مضاف الى غيره *
وامثال هذه الاسماء متى نقلت وسمي بها الاول قصد الى ان يدل بها على
الاضافة التي له الى غيره بما فاض منه من الوجود فينبغي ان لا تجعل الاضافة
جزءا من كماله الذي يدل عليه بذلك الاسم ولا على ان ذلك الكمال
تقوامه بتلك الاضافة بل ينبغي ان يجعل ذلك الاسم دالا على جوهره
وكماله وتجعل الاضافة تابعة ولاحقة لذلك الكمال وعلى ان قوام تلك
الاضافة بجوهره وبذلك الكمال الذي له وتحصل الاضافة تابعة ولاحقة
لذلك الكمال اضطرارا لما جوهره ذلك الجوهر الذي ذكر * والاسماء التي
يشارك الاول فيها غيره منها ما يعم جميع الموجودات ومنها ما يشارك بعض
الموجود كثير من الاسماء التي يشارك فيها غيره يتبين فيه ان ذلك الاسم يدل
اولا على كماله هو ثم ثانيا على غيره بحسب مرتبته من الاول في الوجود مثل
اسم الموجود واسم الواحد فان هذين انما يدلان اولا على ما يتجوهر به
الاول ثم يدلان على سائر الاشياء من جهة انها متجوهرة عن الاول
وانها مقتبسة عن الاول ومستفادة عنه وكثير من الاسماء المشتركة التي
تدل على جوهر الاول وعلى وجوده فانها اذا دلت على غيره فانما
تدل على ما يتمثل فيه من الشبه في الوجود الاول اما شبه كثير
او شبه يسير فيكون هذه الاسماء تقال على الاول بالتقدم الانحاء واحقها
وتقال على غيره بانحاء متأخرة ولا يمتنع ان تكون تسميتنا الاول
بهذه الاسماء متأخرة في الزمان عن تسميتنا بها لغيره فانه بين ان كثيرا
منها انما سمينا به الاول على جهة النقل من غيره اليه وبعد ان سمينا به

غيره

غيره في زمان ما ولان الاقدم بالطبع وفي الوجود لا يمتنع ان يكون متأخرا في الزمان ولا يلحق ذلك الاقدم نقص فانه لما كانت عندنا اسماء كثيرة تدل على كمالات مشهورة لدينا وكان كثير منها انما نستعملها دلالة على تلك الكمالات من حيث هي كمالات لا من حيث هي تلك الانواع من الكمالات وكان من البين ان لا كمال افضل منه اولى بذلك الاسم ضرورة وكلما شعرنا نحن بكمال في الموجودات انم جعلناه احق بذلك الاسم الى ان يرتقي بالعلم الذي هو نهاية الكمال فجعله هو المسمى الاول بذلك الاسم بالطبع ثم يجعل سائر الموجودات حالها من ذلك الاسم احوال مراتبها من الاول في ذلك مثل الموجود ومثل الواحد وبعضها يدل على نوع من الكمال دون نوع فمن هذه الانواع ما هو في جوهر الاول بافضل الانحاء التي يكون عليها ذلك النوع ومرفوعا في الوهم الى اعلى طبقات كمال ذلك النوع حتى لا يبقى وجه من وجوه النقص اصلا *

وذلك مثل العلم والعقل والحكمة ففي امثال هذه يلزم ضرورة ان يكون اولى واحق باسم ذلك النوع وما كان من انواع الكمالات يقترن به نقص وخسة ما في الوجود ثم كان افراده عما تقترن به يزيل جوهره على التمام فانه لا ينبغي ان يسمى باسم ذلك النوع من الكمال فاذا كان كذلك فهو من ان يسمى بالاسماء التي يدل على خسة الموجود ابعد *

ثم بعد الاول توجد الثواني والعقل الفعال والثواني على مراتب في الوجود غير ان كل واحد منها ايضاً صفة يتجوهر به ذاته التي يخصه

هو بعينه وجوده الذى يفيض عنه وجود شىء آخر و ليس يحتاج بان يحصل عنها شىء آخر غيرها الى اشياء خارجة عن ذواتها وهى كلها اقتبست الوجود عن الاول وكل واحد منها يعقل الاول و يعقل ذاته وليس فى واحد منها كفاية فى ان يكون مغبوطاً عند ذاته بذاته و حدها بل انما يكون مغبوطا عند نفسه بان يعقل الاول مع عقله لذاته و يحب فضل الاول على فضيلة ذاته و يكون فضل اغتباطه نفسه بان عقل الاول على اغتباطه بنفسه بان عقل ذاته وكذلك قياس التذاذه بذاته بان عقل الاول الا لتذاذ بذاته بان عقل ذاته يحب زيادة فضيلة الاول على فضيلة ذاته *

وكذلك اعجابه بذاته و عشقه لذاته فيكون المحبوب الاول و المعجب الاول عند نفسه هو مايعقله من الاول و ثانيا ما يعقله من ذاته فالاول اذن يحب الاضافة الى هؤلاء ايضاً هو المحبوب الاول و المعشوق الاول فهذه كلها اذن ينقسم انقساماً الى الكمال الذى فى كل واحد منها و النقص الذى فيه *

و مما ينبغى ان يسمى به كل واحد منها على هذا المثال وذلك باقتباسنا له الى ما قيل فى الاول و هذه الثوانى قد ولى كل واحد منها من اول الامر وجوده الذى له على التمام و لم يبق له وجود يمكن ان يصير اليه فى المستقبل فيسعى نحو غير ما اعطيه من الاول فلذلك صارت هذه لا تتحرك و لا تسعى نحو شىء اصلا و لكن يفيض من وجود كل واحد منها وجود سماء سماء فاولها يلزم عنه وجود السماء الاولى

الى

الى ان ينتهى الى السماء الآخرة التى فيها القمر و جوهر كل واحدة من السموات مركب من شيئين من موضوع و من نفس و النفس التى فى كل وحدة منها موجودة فى موضوع هى مع ذلك اجزاء النفس عقل بالفعل بانها تعقل ذاتها و تعقل الثانى الذى عنه وجودها وتعقل الاول *

و جواهر الاجرام السماوية تنقسم بماهى جواهر الى اشياء كثيرة وهى مراتب الموجودات فى اول مراتب العقل لاجل حاجة الشيء الذى به يتجوهر بالفعل الى موضوع ما فهى لذلك تشبه الجواهر المركبة من مادة و صورة ومع ذلك فانها غير مكتفية بجواهرها فى ان يحصل عنها شيء آخر غيرها و ليس تبلغ من كمالها و فضيلتها الى ان يفيض عنها فعل فى غيرها دون ان يحصل لها وجود آخر خارج عن جواهرها و عن الاشياء التى بها تجوهرها و الخارج عما تجوهر به الشيء من الموجودات هو كم او كيف وغير ذلك من المقولات و لذلك صار كل واحد من الجواهر ذوات اعظام محدودة و اشكال محدودة وذوات كيفيات آخر محدودة وسائر مايتبع هذه ضرورة من المقولات غير انه انما صار له من كل ذلك افضلها ويتبع ذلك ان ما صار المكان الذى لها افضل الامكنته اذ كان يلزم ضرورة ان يكون كل جسم محدود فى مكان *

و هذه الجواهر ايضا قد وفيت اكثر وجوداتها على التمام وبقى منها شيء يسير ليس من شأنه ان يوفوها دفعة من اول الامر بل انما شأنها ان يوجد بها شيئا فشيئا فى المستقبل دائما فهى لذلك تسعى لها نحوه لينالها

وانما تناله بدوام الحركة فلذلك تتحرك دائما ولا تنقطع حركتها وانما تتحرك وتسعى الى احسن وجودها*

واما اشرف وجوداتها وما هو اقرب الى الاشرف فقد وفيت من اول الامر وموضع كل واحد منها لا يمكن ان يكون قابلا لصورة اخرى غير الصورة الحاصلة له منذ اول الامر ومع ذلك فليس لجواهرها اضداد*

واما الموجودات التي دون الاجسام السمائية فانها في غاية النقص في الوجود وذلك انها لم يعط من اول الامر جميع ما يتجوهر به على التمام بل انما اعطيت جواهرها التي لها بالقوة البعيدة فقط لا بالفعل اذ كانت انما اعطيت مادتها الاولى فقط ولذلك هي ابدا ساعية الى ما يتجوهر به من الصورة والمادة الاولى هي بالقوة جميع الجواهر التي تحت السماء فمن جهة ما هي جواهر بالقوة تتحرك الى ان تحصل جواهر بالفعل ثم بلغ من تأخرها وتخلفها وخساسة وجودها ان صارت لا يمكنها ان ينهض ويسعى من تلقاء نفسها الى استكمالاتها الا بمحرك من خارج هو الجسم السمائي واجزاؤه ثم العقل الفعال فان هذين جميعا يكملان وجود جميع الاشياء التي تحت الجسم السمائي فان جوهره وطبيعته وفعله ان يلزم عنه اولا وجود المادة الاولى ثم من بعد ذلك يعطى المادة الاولى كلها في طبيعتها وامكانها واستعدادها ان يقبل من الصور كائنة ما كانت والعقل الفعال معد بطبيعته وجوهره ان ينظر في كل ما وطأه الجسم السمائي واعطاه فاي شيء ناله قبل بوجه ما التخلص من المادة ومفارقتها دام بتخليصه من المادة ومن

العدم

العدم فيصير في اقرب مرتبة اليه وذلك ان تصير المعقولات التى هى بالقوة معقولات بالفعل فمن ذلك يحصل العقل الذى كان بالقوة عقلا بالفعل وليس يمكن ان يصير كذلك شيء سوى الانسان فهذه السعادة القصوى التى هى افضل ما يمكن للانسان ان يبلغه من الكمال ففى هذين يكمل وجود الاشياء التى بقيت متأخرة واحتيج الى اخراجها الى الوجود بالوجوه التى شأنها ان تخرج الى الوجود بها وبالوجود التى شأنها ان يدوم وجودها بها *

والاجسام السمائية كثيرة وهى تتحرك باستدارة حول الارض اصنافا من الحركات كثيرة ويلحق جميعها قوة السماء الاولى وهى واحدة فكذلك يتحرك كلها بحركة السماء الاولى ولها قوى اخر تتباين فيها وتختلف بها حركاتها فالقوة التى يشترك فيها علة جملة الجسم السمائى يلزم عنها وجود المادة الاولى المشتركة لجميع ما تحت السماء ويلزم عن الاشياء التى تتباين بها وجود الصور الكثيرة المختلفة فى المادة الاولى ثم تلحق الاجسام السمائية لاجل اختلاف اوضاع بعضها من بعض ولاجل اختلاف اوضاعها من الارض ان تقرب احيانا عن الشيء وتبعد احيانا وان تجتمع احيانا وتفترق احيانا وتظهر احيانا وتستتر احيانا ـ ويعرض لها ان تسرع احيانا وتبطىء احيانا وهذه متضادات ليست فى جواهرها ولكن فى اضافاتها بعضها الى بعض او فى اضافاتها الى الارض او فى اضافاتها الى الامرين جميعا ـ وغير هذه المضادات التى تلحق اضافاتها ضرورة تحدث فى المادة الاولى صورا متضادة وتحدث فى الاجسام

التى تحت الجسم السمائى اعراض متضادة و تعاير متضادة فهذاهو السبب الاول فى المتضادات الموجودة فى المادة الاولى و فى الاجسام التى تحت السماء *

و ذلك ان الاشياء المتضادة توجد فى المادة اما عن اشياء متضادة واما عن شيء واحد لا يضاده فى جوهره و ذاته الا انه من المادة على احوال ونسب متضادة ـ والاجسام السمائية ليست متضادة فى جواهرها و لكن نسبها من المادة الاولى نسب متضادة وهى فيها باحوال متضادة فالمادة الاولى والصور المتضادة التى يلزم وجودها فيها هى التى تلتئم بها الاشياء الممكنة الوجود و الموجودات الممكنة هى الموجودات المتأخرة التى هى انقص وجودا وهى مختلطة من وجود ولا وجود *

وذلك ان بين ما لا يمكن ان لا يوجد و بين ما لا يمكن ان يوجد الذين هما طرفان متباعدان جدا شيئا و يصدق عليه نقيض كل واحد من هذين الطرفين وهو ما يمكن ان يوجد و يمكن ان لا يوجد فهذا هو المختلط من وجود و لا وجود و هو الموجود الذى يقابله العدم ـ و يقترن به ايضاً عدم فان العدم لا وجود ما يمكن ان يوجد فلما كان الممكن وجوده هو احد نحوى الموجود و الوجود الممكن احد نحوى الوجود فان السبب الاول الذى وجوده فى جوهره ليس انما افاض لوجود ما لا يمكن ان يوجد فقط بل بوجود ما يمكن ان لا يوجد حتى لا يبقى شيء من انحاء الوجود الا اعطاه ـ والممكن ليس فى نفس طبيعته ان يكون له وجود واحد محصل بل هو يمكن ان يوجد كذا وان لا يوجد و يمكن ان لا يوجد شيئا

شيئا وان يوجد مقابله وحاله من الوجودين المتقابلين حال واحدة وليس بان يوجد هذا الوجود اولى من ان يوجد المقابل له و للمقابل ههنا اما عدم واما ضد واماهما معا فلذلك يلزم ان يوجد الموجودات المتقابلات معا وانما يمكن ان يوجد الموجودات المتقابلة على احد ثلاثه اوجه اما فى وقتين اوفى وقت واحد من جهتين مختلفتين اويكونا شيئين يوجد كل واحد منهما وجودا مقابلا لوجود الآخر والشيء الواحد انما يمكن ان يوجد الوجودين المتقابلين بوجهين فقط اما فى وقتين او من جهتين مختلفتين فقط والوجودات المتقابلة انما تكون بالصور المتضادة وحصول الشيء على احد المتضادين وهو وجوده على التحصيل الذى به يمكن ان يوجد الوجودين المتضادين هو المادة وبالمادة يكون وجوده الذى يكون له على غير تحصيل وبالصورة يكون وجوده المحصل فله وجود ان وجود محصل بشيء ما ووجود غير محصل بشيء آخر فلذلك وجوده بحق مادته ان يكون مرة هذا ومرة ذاك وبحق صورته ان يوجد هذا وحده دون مقابله فلذلك يلزم ضرورة ان يعطى الوجودين جميعا وذلك بحسب حق هذا حينا وبحسب مقابله حينا *

والممكن على نحوين احدهما ما هو ممكن ان يوجد شيئا ما وان لا يوجد ذلك الشيء وهذا هو المادة والثانى ما هو ممكن ان يوجد هو فى ذاته وان لا يوجد وهذا هو المركب من المادة والصورة *

والموجودات الممكنة على مراتب فادناها مرتبة مالم يكن له وجود محصل ولا يواحد الضدين وتلك هى المادة الاولى — والتى فى المرتبة الثانية

ما حصلت لها وجودات بالاضداد التي تحصل في المادة الاولى وهي الاسطقسات وهذه اذا حصلت موجودة بصور ما حصل لها لحصول صورها امكان ان يوجد وجودات اخر متقابلة ايضاً فتصير مواد الصور اخر حتى اذا حصل لها ايضاً تلك الصور حدث لها بالصور الثواني امكان ان يوجد ايضا وجودات اخر متقابلة بصور متضادة اخر فيصير تلك ايضا موادا للصور اخر حتى اذا حصلت لها تلك ايضا حدث لها بتلك الصور امكان ان يوجد ايضا وجودات اخر متقابلة فيصير مواد الصور اخر ولا يزال هكذا الى ان ينتهي الى صور لا يمكن ان تكون الموجودات المتحصلة بتلك الصور موادا لصور اخر فتكون صور تلك الموجودات صور الكل صور تقدمت قبلها وهذه الاخيرة اشرف الموجودات الممكنة والمادة الاولى اخس الموجودات الممكنة *

والمتوسطات بينهما ايضا على مراتب وكل ما كانت اقرب الى المادة الاولى كان اخس وكل ما كان اقرب الى صورة الصور كان اشرف فالمادة الاولى وجودها هو ان يكون وجودها لغيرها ابدا وليس لها وجود لاجل ذاتها اصلا فلذلك اذا لم يوجد ذلك الذي هي مفطورة لاجله لم توجد هي ايضا ولهذا اذا لم توجد صورة من هذه الصور لم توجد هي ايضا فلذلك لا يمكن ان توجد المادة الاولى مفارقة لصورة ما في وقت اصلا واما الموجودات التي صورتها صورة الصور فهي لاجل ذاتها ابدا ولا يمكن ان تكون صورها مفطورة لاجل غيرها اعني ليتجوهر بها شيء آخر وتكون موادا لشيء آخر *

و اما

و اما المتوسطات فانها قد تكون مفطورة لاجل ذاتها وتكون مفطورة لاجل غيرها ثم كل واحد منها له حق و استيهال بمادته و استيهال بصورته والذي له حق بمادته هو ان يوجد شيء آخر مقابلا للوجود الذي هو له وماله حق بصورته هو ان يبقى على الوجود الذي هو له ولا يزول و اذا كان استيها لان متضادان فالعدل ان يؤتى كل واحد من قسطيه فيوجد مدة ما ثم يتلف ويوجد شيئا مضادا للوجود الاول ثم ذلك ايضا يبقى مدة ثم يتلف ويوجد ايضا شيئا آخر مضادا للاول وذلك ابدا *

و ايضا فان كل واحد من هذه الموجودات المتضادة مادته مادة للمقابل له فعند كل واحد منها شيء هو لغيره و عند غيره شيء هو له اذ كانت موادها الاولى مشتركة ويكون لكل واحد عند كل واحد من هذه الجهة حق ما ينبغي ان يصير الى كل واحد من كل واحد و العدل في ذلك بين وهو انه ينبغي ان يوجد ما عند كل واحد لكل واحد فيوفاه *

والموجودات الممكنة لما لم يكن لها في انفسها كفاية في ان تسعى من تلقاء انفسها الى ما بقي عليها من الموجودات اذ كانت انما اعطيت المادة الاولى فقط و لا اذا حصل لها وجود كان فيها كفاية ان تحفظ وجوداتها على انفسها و لا ايضا اذا كان لها قسط وجود عند ضده امكنه من تلقاء نفسه ان يسعى لاستيفائه لزم ضرورة ان يكون لكل واحد منها من خارج فاعل يحركه وينهضه نحو الذي له والى حافظ يحفظ عليه ما حصل له من الوجود والفاعل الاول الذي يحركها نحو صورها و يحفظها عليها اذا حصلت لها هو الجسم السمائي واجزاؤه *

ويعقل ذلك على وجوه منها ان يحرك بغير وسط وبغير آلة شيئا منها الى الصورة التى بها وجوده ـ ومنها ان يعطى المادة قوة ينهض بها من تلقاء نفسه فيتحرك بها نحو الصورة التى بها وجوده ـ ومنها ان يعطى شيئا ما قوة تحرك ذلك الشيء بتلك القوة شيئا آخر غيره الى الصورة التى بها وجود ذلك الآخر و منها ان يعطى شيئا ما قوة يعطى ذلك الشيء شيئا آخر قوة تحرك بها ذلك الآخر مادة ما الى الصورة التى شأنها ان توجد في المادة وفى هذا يكون قد حرك المادة بتوسط شيئين ـ وكذلك قد يكون تحريكه لمادة بتوسط ثلاثة اشياء واكثر على هذا الترتيب وكذلك يعطي ايضاً كل واحد ما يحفظ به وجوده اما ان يجعل مع صورته التى بها وجوده قوة اخرى واما ان يجعل ما يحفظ به وجوده فى جسم آخر خارج عنه فينحفظ وجوده بان يحفظ عليه ذلك الجسم الآخر المجعول لهذا وذلك الآخر هو الخادم لهذا فى حفظ وجوده عليه ويكون حفظ وجوده عليه اما بخدمة جسم واحد له واما بتعاون اجسام كثيرة معدة لان تحفظ بها وجوده وكثير من الاجسام تقترن اليها مع ذلك قوة اخرى تفعل بها عن المواد اشباهها بان يعطيها صوراً شبيهة بالصور التى لها وهذه المواد بها صادفها الفاعل وفيها اضداد الصور التى نحوها شأن الفاعل ان يحركها فيحتاج عند ذلك الى قوة اخرى تزيل بها تلك الصور المتضادة ولما كان ايضاً ليس يمتنع ان يكون غيره يفعل منه مثل فعله هو فى غيره فيلتمس ابطاله كما يلتمس هو ابطال غيره يلزم ان يكون فى هذه قوة اخرى تقاوم المضاد الذى يلتمس ابطال وجوده والذى به تزيل وجود غيره ويسلخه

ضورته

صورته التي بها وجوده قد تكون قوة في ذاته مقترنة الى صورته التي بها وجوده وربما كانت تلك القوة في جسم آخر خارج عن ذلك فتكون تلك اما آلة واما خادمة له في ان تنتزع المادة المعدة له من اضداد الجسم * مثال ذلك الافاعي فان هذا النوع آلة للاسطقسات او خادم لها في ان تنتزع من سائر الحيوانات مواد الاسطقسات وكذلك القوة التي بها يفعل من المواد شبيهة في النوع قد تكون مقترنة بصورته في جسم واحد وقد تكون في جسم آخر خارج عن ذاته مثل المني للحيوان الذكر فانه آلة له * وهذه القوى هي ايضاً صور في الاجسام التي لها هذه القوى وامثال هذه الاشياء هي لغيرها اعني انها مفطورة لان لا تكون آلات او خادمة لغيرها وهذه الآلات اذا كانت مقترنة بالصور في جسم واحد كانت الآلات غير مفارقة واذا كانت في اجسام اخر كانت آلات مفارقة فهذه الموجودات لكل واحد منها استيهال بحق مادته لمادته واستيهال بحق صورته. وما يستاهل بمادته هو ان يوجد ضد الوجود الذي هو له وما يستاهل بصورته فبان يوجد الوجود الذي هو له اما لذاته فقط واما ان يكون وجوده بحق صورته لاجل غيره واما ان يكون استيهاله بحق صورته ان يكون له غيره اعني ان يكون شيء آخر مفطوراً لاجله هو واما ان يكون له نوع واحد يجتمع فيه الامران جميعاً وذلك ان يكون لذاته وان يكون لغيره فيكون منه شيء يوجد لذاته وشيء يستعمل لاجل غيره وما هو لاجل غيره بحق صورته فهو اما مادة له واما آلة او خادم له والذي يفطر غيره لاجله فان الذي فطر لاجله اما ان يكون مادة له واما آلة

او خادما له فيحصل اولاً عن الاجسام السمائية وعن اختلاف حركاتها الاسطقسات اولاً ثم الاجسام الحجرية ثم النبات ثم الحيوان الغير الناطق ثم الحيوان الناطق ويحدث اشخاص كل نوع منها على انحاء من القوى كثيرة لا يحصى*

ثم لم يكتف بهذه القوى التي جعلت في كل نوع منها على ان تعطى او تحفظ وجودها دون ان صارت الاجسام السمائية ايضا باصناف حركاتها تعين بعضها على بعض ويعوق فعل بعضها عن بعض على تبادل وتعاقب حتى اذا اعان هذا في وقت ما على ضده عاقه في وقت آخر واعان ضده عليه وذلك بما يزيد من الحرارة مثلا او البرودة او ينقص منها فيما شأنه ان يفعل او ينفعل ماله بالحرارة او بالبرودة فانها تزيدها احيانا وتنقصها احيانا والاجسام التي تحتها لاجل اشتراكها في المادة الاولى وفي كثير من المواد القريبة ولتشاكل صور بعضها وتضاد صور البعض صار بعضها يعين بعضا وبعضها يعوق بعضا اما على الاكثر واما على الاقل واما على التساوى على حسب تشاكل قواها وتضادها فان المضاد يعوق والمشاكل يعين فتشتبك هذه الافعال في الموجودات الممكنة وتأتلف فيحصل عنها امتزاجات كثيرة الا انها عند اجتماعها على ائتلاف واعتدال وتقدير تحصل به لكل موجود من الموجودات قسط المقسوم له من الوجود بالطبع اما بحسب مادته واما بحسب صورته واما بحسب الامرين وما كان بحسب صورته فاما ان يكون لذاته واما ان يكون لغيره واما ان يكون

للامرين جميعا فالحيوان الناطق اما بحسب صورته فليس هو لاجل نوع آخر اصلا لا على طريق المادة ولا على طريق الآلة والخدمة — واما دونها فان كل واحد منها يحق صورته اما ان يكون لغيره فقط و اما ان يجتمع فيه الامران جميعا ان يوجد لذاته وان يوجد لغيره فالعدل ان يوفى بالطبع قسطاه جميعا وكل هذه الاشياء اما ان تجرى على التساوى واما على الاكثر واما على الاقل فالكائن على الاقل هو لازم الطبيعة الممكن لزوما ضروريا وليس يدخل عليه غريب فعلى هذا الوجه و بهذا النحو ضبطت الموجودات الممكنة وجرى امر العدل فيها حتى حصل لكل ممكن قسط من الوجود على حسب استيها له والاشياء التى فيها هذه القوى الفاعلة اوالحافظة ربما فعلت فيها الاجسام السمائية بعد ان حصلت فيها القوى افعالا مضادة للقوى فيمتنع من قبولها وكذلك قد تمتنع هذه من قبول فعل بعضها فى بعض و يضعف بعضها عن بعض فالممكنة التى فيها قوى فاعلة قد يمكن ان لا تفعل اما لضعفها و اما لامتناع اضدادها عليها واما لقوة اضدادها و اما لان اضدادها تعينها من خارج اشياء مشاكلة لها و اما ان يعوق فعل الفاعل عائق آخر مضاد من جهة اخرى *

واما الاجسام السمائية فانها قد يمكن ان لا تفعل و لا يحصل عنها فى الموضوعات التى تحتها فعل لا لاجل كلال يكون فيها من اقسها لكن لاجل امتناع موضوعاتها من قبول افعالها او بان يكون فاعل آخر من الممكنات ليس موضوعاتها ويقويها فان الممكنات لما اعطيت القوى منذ

اول الامر وحيث يفعل بعضها في بعض امكن ان تضاد افعال الاجسام السمائية او تشاكلها بان تكون الاجسام السمائية بعد اعطائها تلك القوى معينة لها او عائقة ٭

وهذه الاجسام الممكنة الموجودة بالطبع منها ما وجوده لا جل ذاته لا يستعمل في شيء آخر ولا يصدر عنه فعل ما ـ ومنها ما اعد ليصدر عنه فعل ما اما في ذاته واما في غيره ومنها ما اعد ليقبل فعل غيره ٭

والذي هو مفطور لاجل ذاته لا لاجل شيء آخر اصلا قد يصدر عنه فعل ما على جهة فيض وجوده لوجود شيء آخر وهذه كلها اذا كانت بحال من الوجود شأنها في تلك الحال ان يكون عنها الشيء الذي شأنه ان يكون عنها من غير عائق من ذواتها كانت تلك الحال من وجودها هي كمالها الاخير وذلك مثل حال البصير حين ما يبصر واذا كانت بحال من الوجود ليس من شأنها تلك الحال وحدها ان يكون عنها ما شأنه ان يكون عنها دون ان ينتقل الى وجود افضل من الوجود الذي هو له الآن كانت تلك الحال هي كمالها الاول ٭

وذلك مثل نسبة حال الكاتب النائم في الكتابة الى حاله فيها وهو منتبه او مثل حاله فيها وهو كال وعند الراحة من الكلال الى حاله فيها وهو يكتب والشيء متى كان على كماله الآخر وكانت ذلك مما شأنه ان يصدر عنه فعل ما لم يتأخر عنه فعله وحصل من ساعته بلا زمان وانما يتأخر فعل ما هو على كماله الآخر لعائق من خارج ذاته ٭

وذلك مثل ما يعاق ضوء الشمس على الشيء المستتر بحائط والاشياء المفارقة للمادة

السادة فانها بجواهرها على كمالاتها الاخيرة من اول الامر ولا ينقسم شيء منها الى حالين حال هو فيها على كماله الاول وحال هو فيها على كماله الاخير ولانها لا اضداد لها ولا لموضوعاتها فلا عائق لها بوجه اصلا فلذلك لا تتأخر عنها افعالها *

والاجسام السمائية فانها في جواهرها على كمالاتها الاخيرة وفعلها الكائن عنها اولا هو حصول اعظامها ومقاديرها واشكالها وسائر ماهو لها مما لا يتبدل عليها وفعلها الكائن عنها ثانيا هو حركاتها وهذا فعلها عن كمالاتها الاخيرة ولا تضاد فيها ولا لها اضداد من خارج فلذلك لا تنقطع حركتها ولا في وقت اصلا *

واما الاجسام الممكنة فقد تكون احيانا على كمالاتها الاول واحيانا على كمالاتها الاخيرة ولان لكل واحد منها مضاد اصارت تتأخر افعالها عنها لهذين السببين جميعا او لاحدهما فان الكاتب لا يصدر عنه فعل اما لانه نائم او مشغول بشيء آخر وان اجزاء الكتابة ليست خاطرة ببالِه في ذلك الوقت او لانهذه كلها على التمام ولكن له عائق من خارج *

والمقصود بوجود هذه كلها ان يكون على كمالاتها الاخيرة والشيء انما يكون بالطبع لا بالقسر على كماله الاول ليحصل عنه الكمال الاخير اما لانه طريق اليه وانما لانه معين عليه مثل النوم والراحة للحيوان بعقب الكلال عن الفعل يسترد به القوة على الفعل ثم ان هذه ايضا بلغ من بعضها الى ان صارت جواهرها غير كافية في ان يحصل لها

كمالاتها دون ان يوجد وجودات اخر خارجة عن جواهرها من سائر المقولات الاخر . وذلك بان يكون لها اعظام و اشكال و اوضاع وسائر المقولات من صلابة او لين اوحرارة اوبرودة اوغير ذلك من سائر المقولات وكثير من انواع هذه الاجسام فان ما تحت كل نوع منها من الاشخاص قوامه من اجزائه متشابهة و اشكاله غير محدودة مثل الاسطقسات والاجسام المعدنية وانما تكون اشكالها بحسب ما تتفق من فعل فاعلها او بحسب اشكال الاشياء المحيطة بها *

وكذلك مقادير اعظامها غير محدودة الا انها ليست غير متناهية في العظم و اجزاؤها تجتمع احياناً و تفترق احياناً ومنها ما اذا اجتمعت في مكان واحد اتصلت و منها ما اذا اجتمعت في مكان واحد تماست فقط و لم تتصل وليس انفصالها واتصالها على نظام محدود بل كيف اتفق بحسب الفاعل لاجماعها و افتراقها و لذلك ليس بالضرورة تحاز ما تحت كل نوع منها بعضها من بعض و لكن يجرى ذلك فيها كيف اتفق لان كمالاتها تحصل وان كانت هذه الاعراض فيها على اي حال مما اتفق فهذه الاشياء فيها من الممكنة على التساوى *

واما النبات والحيوان فان الذى تحت كل نوع منه تحاز بعضه بالطبع بعضه عن بعض متوحد بوجود ليس ذلك الوجود لغيره فلذلك لاشخاصها عدد بالطبع و كل واحد منها مؤلف من اجزاء غير متناهية محدودة بالعدد وكل واحد من اجزائه محدود العظم و الشكل و الكيفية والوضع و المرتبة *

واجناس

واجناس الاشياء الممكنة لها مراتب في الوجود على ما قلناه فالادنى منها للاعلى الوجود الممكن لكل واحد منها اما الاسطقسات فهي يعين سائرها باجزاءها كلها بالوجوه الثلاثة بطريق المادة وطريق الخدمة وبطريق الآلات *

واما المعدنية فتعين الباقية ليس لكل نوع منها ولا بكل نحو من انحاء الاعانة لكن نوع منه بطريق المادة ونوع منه بطريق الخدمة مثل الجبال في كون المياه السائحة من العيون ونوع منه بطريق الآلة وانواع النباتات قد تعين الحيوان لهذه الوجوه الثلاثة وكذلك الحيوان الغير الناطق يعين الحيوان الناطق بهذه الوجوه الثلاثة فان بعضها يعين على طريق المادة وبعضها على طريق الخدمة وبعضها على طريق الآلة *

فاما الحيوان الناطق فانه اذا لم يكن جنس آخر من الممكنة افضل منه لم يكن له معونة بوجه من الوجوه لشيء آخر افضل منه وذلك انه بالنطق لا يكون مادة لشيء اصلا لا لما فوقه ولا لما دونه ولا آلة لشيء آخر غيره اصلا ولا بالطبع خادما لغيره اصلا *

واما معونته لما هو ناطق بالنطق والارادة لا بالطبع لما سواه من الممكنة وبعضه لبعض فليترك ذكرها الآن فانه ربما فعل بالنطق افعالا تصير بالعرض خدمة لكثير من الاشياء الطبيعية مثل تفجير المياه وغرس الاشجار وبذر النبات وانتاج الحيوان ورعيها وما اشبه ذلك واما بالطبع فليس منه شيء يخدمه نوع آخر سوى نوعه ولا له ايضاً شيء يخدم به غير نوعه ولا شيء منه آلة لنوع آخر اصلا *

واما معونة الاشرف للادنى من اجناس الاشياء الممكنة فانه كما قلنا ليس شيء من الحيوان الناطق يخدم ولا يعين ما دونه من الانواع اصلا فذلك لصورته وهذا ينبغي ان نفهم عنا في معونة الانواع بعضها لبعض *

واما الحيوان الغير الناطق فانه بما هو حيوان لا تكون مادة شيء انقص منه اصلا فانه ليس شيء منه بصورته مادة للنبات ــ واما على طريق الخدمة او الآلة فانه غير ممتنع بل بعض الحيوان مفطور بالطبع ليخدم الاسطقسات بان يحل اليها الاشياء البعيدة عنها مثل الحيوانات ذوات السموم المعادية بالطبع لسائر انواع الحيوان التي تعادي سائر انواع الحيوانات مثل الافاعي فانها تخدم الاسطقسات بسمومها بان يحل انواع الحيوان اليها ــ وكذلك السموم التي في النبات وربما كانت هذه سموما بالاضافة فذلك النوع يخدم شيئين وينبغي ان يعلم ان الحيوانات السبعية ليست هي مثل الافاعي فان سموم الافاعي ليست هي لتصلح اغذيتها من سائر الحيوان بل انها تعادي بالطبع جميع انواع الحيوان وتقصد ابطالها *

واما السباع فليس افتراسها لعداوة بالطبع لكن لانها تلتمس بذلك الغذاء والافاعي ليست كذلك ــ والمعدنيات فانما هي كذلك ليست مادة للاسطقسات ولكن تعينها بطريق الآلة مثل الجبال في تكون المياه *

ومن انواع الحيوان والنبات ما لا يمكن ان ينال الضروري من امورها الا باجتماع جماعة من اشخاصه بعضها مع بعض ومنها ما قد يبلغ كل واحد منها الضروري وان انفرد بعضها عن بعض ولكن لا يبلغ الافضل من

احوالها

احوالها الا باجتماع اشخاصه بعضها مع بعض - ومنها ماقد يتم لكل واحد من اشخاصه امورها كلها الضروری والافضل وان انفرد بعضها عن بعض الا انها اذا اجتمعت لم يعق بعضها عن شیء مما هوله - ومنها ما اذا اجتمعت عاق بعضها بعضا اما عن الضروری و اما عن الا فضل من امورها فلذلك من انواع الحيو ان ما ينفرد اشخاصه بعضها عن بعض دائما فی كل اموره حتی فی التوليد مثل كثير من حيوانات البحر و ما لا ينفرد بعضها عن بعض الا عند التوليد فقط و منها مالا ينفرد بعضها عن بعض فی اكثر احواله مثل النمل والنحل و كثير من غير هما مثل الطيور التی ترعی و تطير قطيعا قطيعا ٭

و الانسان من الانواع التی لا يمكن ان يتم لها الضروری من امورها و لا ينال لا فضل من احوالها الا باجتماع جماعات منها كثيرة في مسكن واحد والجماعات الانسانية منها عظمی ومنها وسطی ومنها صغری والجماعة العظمی هی جماعة امم كثيرة تجتمع و تتعاون - والوسطی هی الامة والصغری هی التی تحوزها المدينة و هذه الثلاثة هی الجماعات الكاملة فالمدينة هي اول مراتب الكمالات - و اما الاجتماعات فی القری و المحال و السكك والبيوت فهی الاجتماعات الناقصة و هذه منها ماهو انقص جدا و هو الاجتماع المنزلی و هو جزء للاجتماع فی السكة و الاجتماع فی السكة هو جزء للاجتماع فی المحلة و هذا الاجتماع هو جزء للاجتماع المدنی و الاجتماعات في المحال و الاجتماعات فی القری كلتاهما لاجل المدينة غير ان الفرق بينهما ان المحال اجزاء للمدينة والقری خادمة للمدينة والجماعة

المدنية هى جزء للامة و الامة تنقسم مدناً و الجماعة الانسانية الكاملة على الاطلاق تنقسم امماو الامة تميز عن الامة بشيئين طبعيين بالخلق الطبيعية و الشيم الطبيعية و بشيء ثالث و صفي و له مدخل ما فى الاشيئا الطبيعية وهو اللسان اعنى اللغة التى بها تكون العبارة فمن الامم ما هي كبار و منها ما هي صغار *

و السبب الطبيعى الاول فى اختلاف الامم فى هذه الامور اشياء۔ احدها اختلاف اجزاء الاجسام السمائية التي تسامتهم من الكرة الاولى ثم من كرة الثوابت ثم اختلاف اوضاع الاكر المائلة من اجزاء الارض و ما يعرض لها من القرب و البعد ويتبع ذلك اختلاف اجزاء الارض التي هى مساكن الامم فان هذا الاختلاف انما يتبع من اول الامر اختلاف ما تسامتها من اجزاء الكرة الاولى ثم اختلاف ما يسامتها من الكواكب الثابتة ثم اختلاف اوضاع الاكر المائلة منها *

وتتبع اختلاف اجزاء الارض اختلاف البخارات التى تتصاعد من الارض وكل بخار حادث من ارض فانه يكون مشاكلا لتلك الارض *

و يتبع اختلاف البخار اختلاف الهواء واختلاف المياه فمن ثم قيل ان المياه فى كل بلد انما تتكون من البخارات التى تحت ارض ذلك البلد و هواء كل بلد مختلط بالبخار الذي يتصاعد اليه من الارض وكذلك يتبع ايضا اختلاف ما يسامتها من الكرة الكواكب الثابتة واختلاف في الكرة الاولى واختلاف اوضاع الاكر المائلة واختلاف الهواء و اختلاف المياه *
و تتبع هذه اختلاف النبات و اختلاف انواع الحيوان الغير الناطق

الناطق فتختلف اغذية الامم *

ويتبع اختلاف اغذيتها اختلاف المواد و الزرع التي منها يتكون الناس الذين يخلفون الماضي - ويتبع ذلك اختلاف الخلق و اختلاف الشيم الطبيعية - وايضاً فان اختلاف مايسامت رؤسهم من اجزاء السماء يكون سببا لاختلاف الخلق والشيم بغير الجهة التي ذكرت وكذلك اختلاف الهواء يكون سببا لاختلاف الخلق والشيم بغير الجهة التي ذكرت ثم تحدث من تعاون هذه الاختلافات واختلاطها امتزاجات مختلفة تختلف بها خلق الامم و شيمهم *

فعلى هذه الجهة و بهذا النحو ائتلاف هذه الطبيعيات و ارتباط بعضها ببعض ومراتبها و الى هذا المقدار تبلغ الاجسام السمائية في تكميل هذه فما تبقى بعد ذلك من الكمالات الاخر - وليس من شأن الاجسام السمائية ان يعطيه بل ذلك من شأن العقل الفعال وليس من هذه نوع يمكن ان يعطيه العقل الفعال الكمالات الباقية سوى الانسان و العقل الفعال هو فيما يعطيه الانسان على مثال ماعليه الاجسام السمائية فانه يعطى الانسان اولاً قوة و مبدأ به يسعى او به يقدر الانسان على ان يسعى من تلقاء نفسه الى سائر مايبقى عليه من الكمالات - وذلك المبدأ هو العلوم الاول والمعقولات الاول التى تحصل في الجزء الناطق من النفس وانما يعطيه تلك المعارف والمعقولات بعد ان يتقدم في الانسان و يحصل فيه اولا الجزء الحاس من النفس والجزء النزوعي الذي به الشوق والكراهة التابعة للحاس *

و الات هذين تكون من اجزاء البدن فبهذين تحصل الارادة فان الارادة انما هي اولا شوق عن احساس فالشوق يكون بالجزء النزوعي والاحساس بالجزء الحاس ـ ثم يحصل من بعد ذلك الجزء المتخيل من النفس والشوق التابع له فتحصل ارادة ثانية بعد الاولى فان هذه الارادة هي شوق عن تخيل فمن بعد ان تحصل هذا يمكن ان تحصل المعارف الاولى التي تحصل من العقل الفعال في الجزء الناطق فيحدث حينئذ في الانسان نوع من الارادة ثالث وهو الشوق عن نطق و هذا هو المخصوص باسم الاختيار و هذا هو الذي يكون في الانسان خاصة دون سائر الحيوانات و بهذا يقدر الانسان ان يفعل المحمود والمذموم والجميل والقبيح ولاجل هذا يكون الثواب و العقاب *

و اما الارادتان الاوليان فانهما قد تكونان في الحيوان الغير الناطق فاذا حصلت هذه في الانسان قد ربما على ان يسعى به نحو السعادة وان لا يسعى فيما يقصد و ان يفعل الخير و ان يفعل الشر و الجميل و القبيح والسعادة هي الخير على الاطلاق و كل ما ينفع في ان يبلغ به السعادة و ينال به فهو ايضا خير لا لاجل ذاته لكن لاجل نفعه في السعادة و كل ما عاق عن السعادة بوجه ما فهو الشر على الاطلاق *

و الخير النافع في بلوغ السعادة قد يكون شيئاً مما هو موجود بالطبع و قد يكون ذلك بارادة والشر هو الذي يعوق عن السعادة وقد يكون شيئاً مما يوجد بالطبع و قد يكون بارادة وما هو منه بالطبع فانما يعطيه الاجسام السمائية ولكن لا عن قصد منها لمعاونة العقل الفعال على غرضه و لا قصداً

لمانديه

لملائمة فانه ليس النافع فى غرض العقل الفعال مما اعطيه الاجسام السمائية هو عن قصد منها لمعاونة العقل الفعال على ذلك ولا العائق له عن غرضه من الطبيعيات هو عن قصد من الاجسام السمائية لمضادة العقل الفعال فى ذلك لكن فى جوهر الاجسام السمائية ان يعطى كل ما فى طباع المادة ان يقبله غير محتفظة فى ذلك لما ينفع فى غرض العقل الفعال ولا بما يضر ولذلك لا يمتنع ان يكون فى جملة ما يحصل عن الاجسام السمائية احيانا ما الملائم فى غرض العقل الفعال واحيانا ما المضادة ٭

واما الخير الارادي والشر الارادي وهما الجميل والقبيح فانهما يحدثان عن الانسان خاصة والخير الارادي انما يحدث بوجه واحد وذلك ان قوى النفس الانسانية خمس بعقلها الناطقة النظرية والناطقة العملية والنزوعية والمتخيلة والحساسة والسعادة التي انما يعقلها الانسان ويشعر بها هي بالقوة الناطقة النظرية لا بشيء آخر من سائر القوى وذلك اذا استعمل فى المبادي والمعارف الاول التي اعطاها العقل الفعال فاذا عرفها ثم اشتقا فيها بالقوة النزوعية ورؤي فيما ينبغي ان يعمل حتى ينالها بالناطقة العملية وفعل تلك التي استنبطها بالروية من الافعال بالآت القوة النزوعية وكانت المتخيلة والحساسة للناطق فيه مساعدتين ومعا وتين للناطقة ومعينتين لها فى انهاض الانسان نحو الافعال التي ينال بها السعادة وكان الذى يحدث حينئذ عن الانسان خيرا كله وبهذا الوجه وحده يحدث الخير الارادي واما الشر الارادي فانه يحدث بالذى اقوله وهو ان المتخيلة والحساسة ليس والحساسة منها تشعر

بالسعادة و لا الناطقة ايضاً تشعر بالسعادة فى كل حال بل انما تشعر الناطقة بالسعادة اذا سبحت نحو ادراكها *

وههنا اشياء كثيرة مما يمكن ان يخيل الانسان انه هو الذى ينبغى ان يكون هو المؤكد والغاية فى الحياة مثل اللذيذ والنافع ومثل الكرامة و اشباه ذلك ومتى تو انى الانسان فى تكميل الجزء الناطق النظري فلم يشعر بالسعادة فيسارع نحوها ونصب الغاية التى يقصدها فى حيوته شيئاً آخر سوى السعادة من نافع او لذيذ او غاية او كرامة واشتاقها بالنزوعية وروّى فى استنباط ما ينال به تلك الغاية بالناطقة العملية و فعل تلك الاشياء التى استنبطها بالآت القوى النزوعية و ساعدته المتخيلة و الحساسة على ذلك كان الذى يحدث حينئذ شراً كله *

و كذلك اذا كان الانسان قد ادرك السعادة و عرفها الا انه لم يجعلها وكده وغايته ولم يتشوقها او تشوقها تشوقاً ضعيفاً وجعل غايته التى يتشوقها فى حيوته شيئاً آخر سوى السعادة واستعمل سائر قواه فى ان ينال بها تلك الغاية كان الذى يحدث عنه شر اكله ـ واذا كان المقصود بوجود الانسان ان يبلغ السعادة و كان ذلك هو الكمال الاقصى الذى بقى ويعطاه ما يمكن ان تقبله من الموجودات الممكنة فينبغى ان تقال فى الوجه الذى به يمكن ان يصير الانسان نحو هذه السعادة وانما يمكن ذلك بان يكون العقل الفعال قد اعطى اولا المعقولات الاول التى هى المعارف الاول وليس كل انسان يفطر معداً لقبول المعقولات الاول لان اشخاص الانسان تحدث بالطبع على قوى متفاضلة و على توطيات متفاوتة فيكون فيهم من لا يقبل بالطبع شيئاً من المعقولات

المعقولات

المعقولات الاول ومنهم من يقبلها على غير جهتها مثل المجانين و منهم من يقبلها على جهتها فهؤلاء هم الذين فطرتهم الانسانية سليمة و هؤلاء خاصة دون اولئك يمكن ان ينالوا السعادة و الناس الذين فطرتهم سليمة لهم فطرة مشتركة اعدوا بها لقبول معقولات هي مشتركة لجميعهم يسعون بها نحو امور و افعال مشتركة لهم ثم من بعد ذلك يتفاوتون ويختلفون فتصير بهم فطر تخص كل واحد وكل طائفة فيكون فيهم من هو معد لقبول معقولات ما اخر ليست مشتركة بل خاصة و يسعى بها نحو جنس ما و احد معد لقبول معقولات اخر تصلح ان تستعمل فى جنس ما آخر من غير ان يشارك الواحد منها صاحبه في شيء مما هو به مخصوص و يكون الواحد معدا لقبول معقولات كثيرة تصلح لشيء مما فى جنس ما و آخر معدا لقبول معقولات كثيرة تصلح لجميع ما في ذلك الجنس وكذلك قد يختلفون ايضاً و يتفاضلون فى القوى التى يستنبطون بها الامور التى شأنها فى جنس ما ان تدرك بالاستنباط فانه لا يمتنع ان يكون اثنان اعطيا معقولات واحدة باعيانها يصلح لجنس ما و يكون احدهما طبع على ان يستنبط بتلك المعقولات من ذلك الجنس اشياء اقلّ ويكون الآخر له قدرة بالطبع على ان يستنبط جميع ما في ذلك الجنس*

وكذلك قد يكون يتساوى اثنان فى القدرة على استنباط اشياء باعيانها الا ان احدهما اسرع استنباطا والآخر ابطأ ويكون احدهما اسرع استنباطا لافضل ما فى ذلك الجنس والآخر لاخس ما فى ذلك الجنس وقد يكون ايضا اثنان يتساويان فى القدرة على الاستنباط و في السرعة ويكون احدهما مع

ذلك له قدرة على ان يرشد غيره ويعلم ما قد استنبط وبعضهم ليست له قدرة على الارشاد والتعليم وكذلك قد يتفاضلون في القدرة على الافعال البدنية *
والفطر التي تكون بالطبع ليست تقسر احداً ولا تضطره الى فعل ذلك لكن انما تكون هذه الفطر على ان يكون فعل ذلك الشيء الذي اعد وانحوه بالطبع ليسهل عليهم وعلى ان الواحد اذا خلي على هواه ولم يحركه من خارج على شيء بالطبع الى ضده نهض نحو ذلك الشيء الذي يقال انه معد له واذا حركه نحو ضد ذلك محرك من خارج نهض ايضا الى ضده ولكن بقسر وشدة وصعوبة الا ان يسهل ذلك عليه اعتياده له وآخر قد يتفق ان يكون في الذين هم مطبوعون على شيء ما ان يقسر جداً تغييرهم عما فطروا عليه بل عسى ان لا يمكن في كثير منهم وذلك يعرض لهم من اول مولدهم بمرض وزمانة طبيعية في اذهانهم *
وهذه الفطر كلها تحتاج مع ما طبعت عليه الى ان تراض بالارادة فتؤدب بالاشياء التي هي معدة نحوها الى ان يصير من تلك الاشياء على استكمالاتها الاخيرة او القريبة من الاخيرة وقد تكون فطر عظيمة فائقة في جنس ما يهمل ولا تراض ولا تؤدب بالاشياء التي هي معدة لها فيتمادى بها الزمان على ذلك فتبطل قوتها وقد يكون منها ما يؤدب بالاشياء الخسيسة التي في ذلك الجنس فيخرج فائقة الافعال والاستنباط في الخسائس من ذلك الجنس والناس يتفاضلون بالطبع في المراتب بحسب تفاضل مراتب الاجناس والصنائع والعلوم التي اعدوا بالطبع نحوها ثم الذين هم معدون بالطبع نحو جنس ما يتفاضلون بحسب اجزاء ذلك الجنس فان الذين هم

معدون

معدون بالطبع لجزء من ذلك الجنس الاخس دون الذين هم معدون لجزء منه افضل ثم الذين هم معدون بالطبع لجنس ما وبالجزء من ذلك الجنس تفاضلون ايضا بحسب كمال الاستعداد ونقصه *

ثم اهل الطبائع المتساوية يتفاضلون بعد ذلك بتفاضلهم فى تأديبهم بالاشياء التى هم نحوها معدون والمتأدبون منهم على التساوى يتفاضلون بتفاضلهم فى الاستنباط فان الذى له قدرة على الاستنباط فى جنس مّا رئيس من ليس له قدرة على استنباط ما فى ذلك الجنس ومن له قدرة على استنباط اشياء اكثر رئيس على من له القدرة على استنباط اشياء اقل ثم هؤلاء يتفاضلون بتفاضل قواهم المستفادة من التأدب على جودة الارشاد والتعليم او رداءته فان الذى له قدرة على جودة الارشاد والتعليم هو رئيس من ليس له فى ذلك الجنس قوة على الاستنباط وايضا فان ذوى الطبائع الذين هم انقص من ذوى الطبائع الفائقة فى جنس مّا متى تأدبوا بذلك الجنس فهم افضل ممن لم يتأدب بشيء من اهل الطبائع الفائقة والذين تأدبوا بافضل ما فى ذلك الجنس رؤساء على الذين تأدبوا باخس ما فى ذلك الجنس فمن كان فائق الطبع فى جنس ما فتأدب بكل ما اعد له بالطبع فليس انما هو رئيس على من لم يكن فى ذلك الجنس فائق الطبع فقط بل وعلى من كان فى ذلك الجنس فائق الطبع ولم يتأدب او تأدب بشيء يسير مما فى ذلك الجنس *

واذ كان المقصود بوجود الانسان ان يبلغ السعادة القصوى فانه يحتاج

فى بلوغها الى ان يعلم السعادة و يجعلها غايته ونصب عينيه ثم يحتاج بعد ذلك الى ان يعلم الاشياء التى ينبغى ان يعملها حتى ينال السعادة ثم ان يعمل تلك الاعمال ولاجل ما قيل من اختلاف الفطر فى اشخاص الانسان فليس فى فطرة كل انسان ان يعلم من تلقاء نفسه السعادة ولا الاشياء التى ينبغى ان يعلمها بل يحتاج فى ذلك الى معلم و مرشد فبعضهم يحتاج الى ارشاد يسير و بعضهم الى ارشاد كثير ولا ايضاً اذا ارشد الى هذين فهو لا محالة يعلم ما قد علم وارشد اليه دون باعث عليه من خارج و منهض نحوه و على هذا اكثر الناس فلذلك يحتاجون الى من يعرفهم جميع ذلك و ينهضهم نحو فعلها *

و ليس ايضاً في قوة كل انسان ان يرشد غيره ولا ايضاً فى قوة كل انسان ان يحمل غيره على هذه الاشياء و من لم يكن له قدرة على ان ينهض غيره نحو شئ من الاشياء اصلا ولا ان يستعمله فيه و كان اماله القدرة على ان يفعل ابداً ما يرشد اليه لم يكن هذا ريئسا اصلا ولا فى شئ بل يكون مرؤسا ابداً و فى كل شئ — و من كانت له قوة على ان يرشد غيره الى شئ ما او يحمله عليه او يستعمله فيه فهو رئيس فى ذلك الشئ على الذى ليس يمكنه ان يفعل ذلك الشئ نفسه و من لم يكن له قوة على ان يستنبط الشئ من تلقاء نفسه ولكن كان اذا ارشد اليه و علمه فعلمه ثم كانت له قدرة على ان ينهض غيره نحو ذلك الشئ الذى علمه وارشد اليه و يستعمله فيه كان هذا ريئسا على انسان ومرؤسا من انسان آخر فالرئيس قد يكون ريئسا اولا وقد يكون ريئسا ثانيا فالرئيس الثانى هو الذي يرؤسه انسان

و يرأس هو انسانا آخر — وقد تكون هاتان الرياستان في جنس ما مثل الفلاحة و التجارة و الطب و قد يكون ذلك بالاضافة الى جميع الاجناس الانسانية*

والرئيس الاول من هو على الاطلاق — هو الذى لا يحتاج و لا فى شيء اصلا ان يرأسه انسان بل يكون قد حصلت له العلوم و المعارف بالفعل و لا تكون به حاجة فى شيء الى انسان يرشده و لا تكون له قدرة على جودة ادراك شيء شيء مما ينبغى ان يعمل من الجزئيات وقوة على جودة الارشاد لكل من سواه الى كل ما يعلمه و قدرة على استعمال كل من سبيله ان يعمل شيئا ما فى ذلك العمل الذى هو معد نحوه وقدرة على تقدير الاعمال و تحديدها و تسديدها نحو السعادة جودة وانما يكون ذلك فى اهل الطبائع العظيمة الفائقة اذا اتصلت نفسه بالعقل الفعال و انما يبلغ ذلك بان يحصل له اولا العقل المنفعل ثم ان يحصل له بعد ذلك العقل الذى يسمى المستفاد فبحصول المستفاد يكون الاتصال بالعقل الفعال على ما ذكر فى كتاب النفس — و هذا الانسان هو الملك فى الحقيقة عند القدماء وهو الذى ينبغى ان يقال فيه انه يوحى اليه فان الانسان انما يوحى اليه اذا بلغ هذه الرتبة و ذلك اذا لم يبق بينه و بين العقل الفعال واسطة فان العقل المنفعل يكون شبه المادة والموضوع للعقل المستفاد و العقل المستفاد شبيه بالمادة و الموضوع للعقل الفعال فحينئذ يفيض من العقل الفعال على العقل المنفعل القوة التى بها يمكن ان يوقف الانسان على تحديد الاشياء و الافعال و تسديدها نحو السعادة

بهذه الاضافة الكائنة من العقل الفعال على العقل المنفعل بان يتوسط بينهما العقل المستفاد وهو الوحي *

ولان العقل الفعال فائض عن وجود السبب الاول فقد يمكن لاجل ذلك ان يقال ان السبب الاول هو الموحي الى هذا الانسان بتوسط العقل الفعال و رياسة هذا الانسان هي الرياسة الاولى و سائر الرياسات الانسانية متأخرة عن هذه وكائنة عنها وتلك هي بينة *

والناس الذين يدبرون برياسة هذا الرئيس هم الناس الفاضلون والاخيار و السعداء فان كانوا امة فتلك هي الامة الفاضلة وان كانوا اناسا يجتمعون في مسكن واحد كان ذلك المسكن الذى يجمع جميع من تحت هذه الرياسة هو المدينة الفاضلة وان لم يكونوا مجتمعين في مسكن واحد بل في مساكن متفرقة يدبر اهلها برياسات اخر غير هذه كانوا اناسا افاضل غرباء في تلك المساكن *

و يعرض تفرقهم اما لانهم لم يتفق لهم بعد مدينة يمكنهم ان يجتمعوا فيها او يكونوا قد كانوا في مدينة ولكن عرضت لهم آفات من عدو ووباء او جدب اوغير ذلك فاضطروا الى التفرق فاذا اتفق ان كان من هولاء الملوك في وقت واحد جماعة اما في مدينة واحدة اوفي امة واحدة او في امم كثيرة فان جماعتهم جميعا تكون كملك واحد لاتفاق هممهم واغراضهم وارادتهم وسيرهم و اذا توالوا في الاديان واحدا بعد آخر فان نفوسهم تكون كنفس واحدة ويكون الثاني على سيرة الاول والغابر على سيرة الماضي ــ وكما انه يجوز للواحد منهم على ان يغير شريعة قد شرعها

هو

هو في وقت اذا رأى الاصلح تغيرها في وقت آخر كذلك الغابر الذي يخلف الماضي له ان يغير ما قد شرعه الماضي لان الماضي نفسه لو كان مشاهدا الحال لغير *

ومتى لم يتفق انسان لهذه الحال احدث الشرائع التي رسمها اولئك فكتبت او حفظت ودبرت بها المدينة فيكون الرئيس الذي يدبر المدينة بالشرائع المكتوبة المأخوذة عن الائمة الماضين تلك السنة فاذا فعل واحد من اهل المدينة افعال بلاد ان يكون مفوضا اليه وذلك اما ان يكون علم ذلك من تلقاء نفسه او يكون الرئيس ارشده اليه وحمله عليه اكسبته افعاله تلك هيآت نفسانية جيدة كما ان المداومة على الافعال الجيدة من افعال الكتابة تكسب الانسان جودة صناعة الكتابة وهي هيآت نفسانية وكلما داوم عليها اكثر صارت جودة الكتابة فيه اقوى وكانت التذاذه بالهيئة الحاصلة في نفسه اكثر واغتباط نفسه على تلك الهيئة اشد *

وكذلك الافعال المقدرة المسددة نحو السعادة فانها تقوى جزء النفس المعدة بالفطرة للسعادة تصيره بالفعل وعلى الكمال فيبلغ من قوتها بالاستكمال الحاصل لها ان يستغني عن المادة فتحصل متبرية منها فلا تتلف بتلف المادة اذ صارت غير محتاجة في قوامها ووجودها الى مادة فتحصل لها حينئذ السعادة *

وبين ان السعادات التي تحصل لاهل المدينة تتفاضل بالكمية والكيفية بسبب تفاضل الكمالات التي استفادها بالافعال المدنية وبحسب

ذلك تتفاضل اللذات التي ينالها فاذا حصلت مفارقة للمادة غير متجسمة ارتفعت عنها الاعراض التي تعرض للاجسام من جهة ماهي اجسام فلا يمكن ان يقال فيها انها تتحرك ولا انها تسكن وينبغي حينئذ ان يقال عليها الاقاويل التي تليق بما ليس بجسم وكل ما وقع في نفس الانسان من شيء يوصف به الجسم من جهة ما هو جسم ينبغي ان يسلب عن الانفس المفارقة وتفهم حالها وتصورها عسير غير معتاد على مثال ما يعسر بصور الجواهر التي ليست باجسام ولا هي في اجسام فاذا مضت طائفة وبطلت ابدانها وخلصت انفسها وسعدت فخلفهم ناس آخرون بعدهم قاموا في المدينة مقامهم وفعلوا افعالهم خلصت ايضا انفس هؤلاء واذا بطلت ابدانهم صاروا الى مراتب اولئك الماضين من تلك الطائفة وجاوروهم على الجهة التي بها تكون تجاور ما ليس باجسام واتصلت النفوس المتشابهة من اهل الطائفة الواحدة بعضها ببعض*

وكلما كثرت الانفس المتشابهة المفارقة واتصل بعضها ببعض كان التذاذ كل واحد ازيد وكلما لحق لهم من بعدهم زاد التذاذ من لحق الآن لمصادفته الماضين وزادت لذات الماضين باتصال اللاحقين بهم لان كل واحد يعقل ذاتها ويعقل مثل ذاتها مرارا كثيرة وتزيد ما يعقل منها بلحاق الغابرين بهم في مستقبل الزمان فتكون تزيد لذات كل واحد في غابر الزمان بلانهاية وتلك حال كل طائفة فهذه هي السعادة القصوى الحقيقية التي هي غرض العقل الفعال*

فاذا كانت افعال اهل مدينة ما غير مسددة نحو السعادة فانها تكسبهم

هيآت

هيآت ردية من هيآت النفس كما ان افعال الكتابة ردية وكذلك افعال كل صناعة متى كانت ردية افادت النفس هيآت من جنس تلك الصنائع ردية وتصير انفسهم مرضى فلذلك يلتذون بالهيآت التي يكتسبونها بافعالهم كما ان مرضى الابدان مثل المحمومين لفساد جسمهم يستلذون الاشياء المرة ويستحلونها ويتأذون بالاشياء الحلوة وتظهر مرة في لهواتهم وكذلك مرضى الانفس لفساد تخيلهم يستلذون الهيآت الردية وكما ان في المرضى من لا يشعر لعلة وفيهم من يظن مع ذلك انه صحيح ومن هذه سبيله من المرضى لا يصغى الى قول طبيب اصلا كذلك في مرضى النفوس من لا يشعر بمرضه ويظن مع ذلك انه فاضل صحيح النفس فانه لا يصغى الى قول مرشد ولا معلم ولا مقوم فهوء لاء تبقى انفسهم هيولانية غير مستكملة استكمالا لا تفارق به المادة حتى اذا بطلت المادة بطلت ايضاً *

ومراتب اهل المدينة في الرياسة والخدمة تتفاضل بحسب فطر اهلها وبحسب الآداب التي تأدبوا بها والرئيس الاول هو الذى يرتب الطوائف وكل انسان من كل طائفة في المرتبة التي هي استيهالها له وذلك اما مرتبة خدمة واما مرتبة رياسة فتكون هنالك مراتب تقرب مرتبته ومراتب تبعد عنها قليلا ومراتب تبعد عنها كثيرا ويكون ذلك مراتب رياسات تنحط عن الرتبة العليا قليلا قليلا الى ان تصير الى مراتب الخدمة التي ليست فيها رياسة ولا دونها مرتبة اخرى فالرئيس بعد ان يرتب هذه المراتب فانه متى اراد ضد ذلك له ان يجد ذو صيئة

في امر اراد ان يحمل عليه اهل المدينة او طائفة من اهل المدينة و ينهضهم نحوها او غير ذلك الي اقرب المراتب اليه و اولئك الى من يليهم ثم لا يزال كذلك الى ان يصل ذلك الى من رتب للخدمة فى ذلك الامر فتكون المدينة حينئذ مرتبطة اجزاؤها بعضها ببعض وهو مؤتلفة بعضها مع بعض و مرتبة بتقديم بعض و تأخير بعض و تصير شبيهة بالموجودات الطبيعية و مراتبها شبيهة ايضاً بمراتب الموجودات التي تبتدى من الاول و تنتهي الى المادة الاولى و الاسطقسات وارتباطها وائتلافها شبيها بارتباط الموجودات المختلفة بعضها ببعض وائتلافها * و مدبر تلك المدينة شبيهه السبب الاول الذى به وجود سائر الموجودات ثم لا تزال مراتب الموجودات تنحط قليلا قليلا فيكون كل واحد منها رئيسا ومرؤسا الى ان ينتهي الى الموجودات الممكنة التي لا رياسة لها اصلا بل هى خادمة و توجد لاجل غيرها هى المادة الاولى للاسطقسات *

و بلوغ السعادة انما تكون بزوال الشرور عن المدن و عن الامم ليست الارادة منها فقط بل و الطبيعة و ان تحصل لها الخيرات كلها الطبيعية و الارادية *

و مدبر المدينة و هو الملك انما فعله ان يدبر المدن تدبيرا ترتبط به اجزاء المدينة بعضها ببعض و تأتلف و ترتب ترتيبا يتعاونون به على ازالة الشرور في تحصيل الخيرات و ان ينظر في كل ما اعطته الاجسام السمائية فما كان منها معينا بوجه ما فما لوجه ما في بلوغ السعادة استبقاه او زاد فيه

و ما

وما كان ضارا اجتهد في ان يصير نافعا ومالم يكن ذلك فيه ابطله وقلله *
وبالجملة يلتمس ابطال الشرين جميعا وايجاب الخيرين جميعا ويحتاج في كل واحد من اهل المدينة الفاضلة الى ان يعرف مبادى الموجودات القصوى ومراتبها والسعادة والرياسة الاولى التي للمدينة الفاضلة ومراتب رياستها ثم من بعد ذلك الافعال المحدودة التي اذا فعلت نلت بها السعادة — وان لا تقتصر على ان يعلم هذه الافعال دون ان يعمل ويوجه اهل المدينة لفعلها *

ومبادى الموجودات ومراتبها والسعادة ورياسة المدن الفاضلة اما ان يتصورها الانسان ويعقلها واما ان تخيلها — وتصورها وان يرتسم في نفس الانسان ذواتها كما هي موجودة في الحقيقة وتخيلها هو ان يرتسم في نفس الانسان خيالاتها ومثالاتها وتحاكيها — وذلك شبيه ما يمكن في الاشياء المرئية كالانسان مثلا بان يراه هو نفسه ويرى تمثاله ويرى خياله في الماء او يرى خيال تمثاله في الماء او في سائر المرايا — وان رؤيتنا له تشبه تصور العقل لمبادى الموجودات وللسعادة ولما سوى ذلك ورؤيتنا للانسان في الماء اورؤيتنا تمثاله تشبه التخيلات ورؤيتنا تمثاله او رؤيتناله في المرآة هي رؤيتنا لما يحاكيه وكذلك تخيلنا لتلك هو في الحقيقة تصور ما يحاكيها لا تصورها في انفسها *

واكثر الناس لا قدرة لهم اما بالفطرة واما بالعادة على تفهم تلك وتصورها فاولئك ينبغي ان تخيل اليهم مبادى الموجودات ومراتبها والعقل الفعال والرياسة الاولى كيف تكون باشياء تحاكيها ومعاني تلك وذواتها

هى واحدة لا تتبدل ـ واما ما تحاكى بها فاشياء كثيرة مختلفة بعضها اقرب الى المحاكاة وبعضها ابعد كما يكون ذلك فى المبصرات فان خيال الانسان المرئى فى الماء هو اقرب الى الانسان فى الحقيقة من خيال تمثال الانسان المرئى فى الماء و لذلك امكن ان تحاكى هذه الاشياء لكل طائفة ولكل امة بغير الامور التى تحاكى بها الطائفة الاخرى اوالامة الاخرى فلذلك قد تكون امم فاضلة و مدن فاضلة تختلف مللهم و ان كانوا كلهم يؤمنون بسعادة واحدة بعينها فان الملة هى رسوم هذه اورسوم خيالاتها فى النفوس فان الجمهور لما عسر عليهم هذه الاشياء انفسها و على ما هى عليه من الوجود التمس تعلمهم لها بوجوه اخر و تلك هى وجوه المحاكاة فتحاكى هذه الاشياء لكل طائفة اوامة بالاشياء التى هى اعرف عندهم * و قد يمكن ان يكون الاعرف عند كل واحد منهم غير الاعرف عند الآخر واكثر الناس الذين يؤمنون السعادة انما يؤمنونها متخيلة لامتصورة وكذلك المبادى سبيلها ان تقتبل و يقتدى بها و يعظم ويجل انما يتقبلها اكثر الناس و هى متخيلة عندهم لامتصورة *

و الذين يؤمنون السعادة متصورة يتقبلون المبادى و هى متصورة هم الحكماء الذين توجد هذه الاشياء فى نفوسهم متخيلة و يتقبلونها و يؤمنونها على انها كذلك وهم المؤمنون *

و الامور التى تحاكى هذه تتفاضل فيكون بعضها احكم و اتم تخيلاً و بعضها انقص تخيلا وبعضها اقرب الى الحقيقة و بعضها ابعدعنها وبعضها مواضع العناد فيه قليلة او خفية اويكون ما يعسر عنادها ـ و بعضها مواضع

العناد فيه كثيرة او ظاهرة او يكون ما يسهل عنادها و تزيفها ولا يمتنع ان تكون الاشياء التي تتخيل بها اليهم هذه الامور المختلفة و تكون على اختلافها متناسية وذلك ان تكون امور تحاكى تلك واشياء اخر تحاكى هذه الامور و امور ثالثة تحاكى هذه الاشياء اوتكون الامور المختلفة التي تحاكى تلك الاشياء اعنى مبادى الموجودات والسعادة ومراتبها في محاكاتها على السوا فاذا كانت كلها على السواء في جودة محاكاتها اوفي قلة مواضع العناد فيها وخفائها استعملت كلها اوايها اتفق وان كانت تتفاضل اختير اتمها محاكاة و التي مواضع العناد فيها اما غير موجودة اصلا واما يسيرة اوخفية ثم ما كان منها اقرب الى الحقيقة و يطرح ما كان غير هذه من المحاكاة *

والمدينة الفاضلة تضادها المدينة الجاهلة و المدينة الفاسقة و المدينة الضالة ثم النوابت في المدينة الفاضلة فان النوابت في المدن منزلتهم فيها منزلة الشيلم في الحنطة او الشوك النابت فيها بين الزرع او سائر الحشائش الغير النافعة او الضارة بالزرع او الغروس ثم البهيميون بالطبع من الناس فالبهيميون بالطبع ليسوا مدنيين ولا تكون لهم اجتماعات مدنية اصلا بل يكون بعضهم على مثال ما عليه البهائم الانسية و بعضهم مثل البهائم الوحشية فبعض هؤلاء امثال السباع فلذلك يوجد فيهم من يأوى البرارى متفرقين و يوجد فيهم من يأوى بها مجتمعين و يتسافدون تسافد الوحش ـ ومنهم من يأوى قرب المدن ومنهم من لا يأكل الا اللحوم النية و منهم من يرعى النبات ومنهم من يفترس مثل

مايفترس السباع وهؤلاء يوجدون في اطراف المساكن المعمورة اما في اقاصي الشمال واما في اقاصي الجنوب — وهؤلاء ينبغي ان يجروا مجرى البهائم فما كان منهم انسيا وانتفع به في شيء من المدن ترك واستعبد واستعمل كما تستعمل البهيمة وما كان منهم لا ينتفع به او كان ضاراً عمل به ما يعمل بسائر الحيوانات الضارة وكذلك ينبغي ان يعمل بمن اتفق ان يكون من اولاد اهل المدن بهيمية *

واما اهل الجاهلة فانهم مدنيون وتمدنهم واجتماعاتهم المدنية على انحاء كثيرة منها اجتماعات ضرورية ومنها اجتماع اهل النذالة في المدن النذله ومنها الاجتماع الخسيس في المدن الخسيسة ومنها اجتماع الكرامة في المدن الكرامية ومنها اجتماع التغلب في المدينة التغلبية ومنها اجتماع الحرية في مدينة الجماعة ومدينة الاحرار فالمدينة الضرورية والاجتماع الضروري هو الذي به يكون التعاون على اكتساب ما هو ضروري في قوام الابدان واحرازه *

ووجوه مكاسب هذه الاشياء كثيرة مثل الفلاحة والرعاية والصيد واللصوصة وغير ذلك وكل واحد منها اما مجابلة (١) او مجاهرة وقد يكون من المدن الضرورية ما يجتمع فيها جميع الصنائع التي يستفاد بها الضروري ومنها ما يكون الكاسب الضروري فيها بصناعة واحدة اما الفلاحة وحدها واما واحدة اخرى غير تلك — وافضل هؤلاء عندهم واجودهم احتيالاً وتدبيراً وتأتياً فيما يصل به الى الضروري من الوجوه التي بها مكاسب اهل المدينة ورئيس هؤلاء هو الذي له حسن تدبير وجودة احتيال

(١) كذا ولعله مخاتلة *

في

حتى انه يستعملهم فيما ينالونه به الاشياء الضرورية وحسن تدبير في حفظها عليهم او الذى يبذل لهم هذه الاشياء من عند نفسه *

و مدينة النذالة و اجتماع اهل النذالة هو الذى يتعاون على نيل الثروة و اليسار و الاستكثار من اقتناء الضروريات و ما قام مقامها من الدراهم و الدنانير و جمعها فوق مقدار الحاجة اليها لا بشيء سوى محبة اليسار فقط و الشح عليها و ان لا ينفق منها الا على الضرورى مما به قوام الابدان *

و ذلك اما من جميع وجوه المكاسب و اما من الوجوه التى تتأتى في ذلك البلد و افضل هؤلاء عندهم ايسرهم و اجودهم احتيالا في بلوغ اليسار *

و رئيسهم هو الانسان القادر على جودة التدبير لهم فيما يكسبهم اليسار و فيما يحفظه عليهم دائما و اليسار ينال من جميع الجهات التى يمكن ان ينال الضرورى و هى الفلاحة و الرعاية و الصيد و اللصوصية ثم المعاملات الارادية مثل التجارة و الاجارة و غير ذلك ـ و المدينة الخسيسة و الاجتماع الخسيس هو الذى يتعاونون على التمتع باللذة المحسوسة من اللعب و الهزل او هما جميعا و ذلك هو التمتع باللذة من المأكول و المشروب و المنكوح و تحرى الالذ من هذه لا طلبا لما به قوام البدن و لا لما ينفع البدن بوجه بل ما يلذ منه فقط و كذلك من اللعب و الهزل ـ و هذه المدينة هي المدينة السعيدة و المغبوطة عند اهل الجاهلية لان غرض هذه المدينة انما يظهر بلوغه بعد تحصيل الضرورى و بعد تحصيل اليسار و بالنفقات الكثيرة و افضلهم و اسعدهم و اغبطهم من كانت له اسباب اللعب اكثر و نال الاسباب الملذة اكثر *

و المدينة الكرامية و اجتماع الكرامة هو الذى به يتعاونون على ان

يصلوا الى ان يكرموا بالقول والفعل وذلك اما ان يكرمهم اهل المدن الاخر وبان يكرم بعضهم بعضا وكرامة بعضهم لبعض اما على التساوي واما على التفاضل. والكرامة بالتساوي هو انما تكون بان يتقارضوا الكرامة بان يبذل احدهم للآخر نوعا من الكرامة في وقت ليبذل له الآخر في وقت آخر ذلك النوع من الكرامة او نوعا آخر قوته عندهم قوة ذلك النوع *

والتي هي بالتفاضل هي ان يبذل احدهما للآخر نوعا من الكرامة ويبذل له الآخر للاول كرامة اعظم قوة من النوع الاول ويجري هذا كذلك استيهال بان يكون الثاني يستاهل كرامة الى مقدار ما هو الاول يستأهل كرامة اعظم وذلك على حسب الاستيهالات عندهم فان الاستيهالات عند اهل الجاهلية ليست الفضيلة لكن اما اليسار واما مواتاة اسباب اللذة واللعب وبلوغ الاكثر من هذين واما بلوغ اكثر الضروري وان يكون الانسان مخدوما مكفيا كل ما يحتاج اليه من الضروري واما ان يكون الانسان نافعا وذلك بان يكون حسن الفعال الى اخرى من هذه الثلاثة *

وههنا شيء آخر محبوب جدا عند كثير من اهل الجاهلية وهو الغلبة فان الفائز بها عند كثير منهم مغبوط ولذلك ينبغي ان يعد ذلك ايضا من الاستيهالات الجاهلية فان اجل ما ينبغي ان يكرم الانسان عليه عندهم ان يكون مشهورا بالغلبة في شيء او شيئين او اشياء كثيرة وان لا يغلب اما بنفسه واما لاجل كثرة انصاره او قوتهم

او بهما

او بهما جميعا وان لا يناله اذاً مكروه و ينال هو غيره بالمكروه اذا اراد فان هذه عندهم حال من احوال الغبطة و يستأهل بها الانسان الكرامة عندهم و الافضل فى هذا الباب يكرم اكثر *

و اما ان يكون الانسان ذا حسب عندهم و الحسب من جمع الى احد سلفت و ذلك ان يكون اباؤه و اجداده اما موسرين و اما ان يكون الاشياء التى اللذة و اسبابها واتتهم كثيراً واما ان يكونوا قد غلبوا من اشياء كثيرة واما ان يكونوا نافعين لغيرهم من هذه الاشياء اما لجماعة او لاهل مدينة و اما ان يكون قد تأتت لهم هذه من جمال اوجلد واستهانة الموت فان هذه من آلات الغلبة *

و اما الكرامة التى تتساوى فربما كان باستيهال عن شىء آخر خارج وربما كان نفس الكرامة هو الاستيهال حتى يكون الانسان الذى بدا و اكرم حاسدا ما كرامة ان يكرمه الآخر على مثال ما عليه المعاملات السوقية فالمستاهل للكرامة عندهم اكثر هو رئيس من يوجد بالاكرام له من سبيله ان يكرم ولا يزال هذا التفاضل يرتقى الى ان ينتهى الى من يستاهل من الكرامات اكثر مما يستأهله كل من فى المدينة سواه فيكون ذلك هو رئيس المدينة و ملكها ـ فاذا كان كذلك فينبغى ان يكون هو الذى يكون له من الاستيهال اكثر من استيهال كل من سواه والاستيهالات التى عندهم التى عددناها فاذا كان كذلك فينبغى ان يكون له الحسب اكثر مما لغيره ان كانت الرياسة عندهم بالحسب فقط وكذلك ان كانت الكرامة عندهم باليسار فقط ثم يتفاضل الناس و يترتبون على مقدار اليسار والحسب

ومن لم يكن له يسار او حسب لم يدخل في شيء من الرياسات والكرامات وكذلك ان كانت الاستيهالات امورا لاتتعداه غيره. وهؤلاء هم احسن رؤساء الكرامة *

وان كان انما كثر لاجل نفعه لاهل المدينة فيما هو اهل المدينة وهوا هم فذلك اما ان ينفعهم في اليسار واما في اللذات واما ان يصل اليهم من غيرهم كرامات او اشياء اخر مما هو من شهوات اهل المدينة اما بان يبذل لهم من نفسه هذه الاشياء او ينيلهم اياها من بحسن تدبيره و بحفظها عليهم *

وافضل هؤلاء الروساء عندهم من انال اهل المدينة هذه الاشياء ولم يتلبس هو بشيء من الكرامة فقط مثل ان ينيلهم اليسار ولايطلب اليسار او ينيلهم اللذات ولايطلب اللذات بل يطلب الكرامة وحدها والمدح والاجلال والتعظيم بالقول والفعل وان يشهر اسمه بذلك عند سائر الامم في زمانه و بعده و يبقى ذكره زمانا طويلا فهذا هو الذي يستأهل الكرامة عندهم *

وهذا في كثير من الاوقات يحتاج الى مال ويسار ليبذل ذلك فيما ينال به اهل المدينة الى شهواتهم من يسار اولذة اوهما وفيما يحفظ به عليهم واذا كان افعاله هذه اعظم فينبغي ان يكون يساره اعظم و يكون يساره ذلك عدة اهل المدينة فبعضهم يطلب اليسار لهذا ويرى ان انبعاثه هذه هي الكرم والحرية ويأخذ ذلك المال من المدينة اما على سبيل الخراج واما ان يغلب قوما آخر سوى اهل المدينة على اموالهم فيأتي بها الى بيت ماله فيجعله قنية

ينفق منها النفقات العظيمة فى المدينة لينال بها الكرامه اكثر ولا يمتنع من كان محبا للكرامة بان شيء ما اتفق ان يجعله لنفسه حياً ولولده من بعده وليبقى له ذكر بعد بولده فيجعل الملك فى ولده اوفي جنسه ثم لا يمتنع ان يجعل لنفسه يسارا يكره عليه وان لم ينفع به غيره ثم يكرم ايضاً قوما ليكرموه اولئك ايضا فيجتمع جميع الاشياء التي يمكن ان يكرم الناس عليه ثم يختص هو باشياء دون غيره مما له بهاء وزينة وفخامة وجلالة عندهم من بناء وملبس وشارة ثم احتجاب عن الناس ثم يسن سنن الكرامات اذا كثرت له رياسة ما ويعود الناس ان يكون هو وجنسه ملكهم ورتب الناس حينئذ على مراتب يحصل له من ترتيبه لهم بذلك الكرامة والجلالة ويبين لكل مرتبة نوعا من الكرامة وفيما يستاهل به الكرامة من يسار او بناء اولباس او شارة اومركب اوغير ذلك مما يجل به امره ويجعل ذلك على ترتيب ـ ومن بعد ذلك يكون امر الناس عنده من اكرامه اكثر اومن اعانه على جلالته تلك معونة اكثر فهو يكرم ويعطى الكرامات على قدر ذلك فالمحبون للكرامة من اهل مدينة يعاملونه مراراً اويذكر كراماتهم و ليبذلها لهم فيكرمهم من دونهم ومن فوقهم من اهل المراتب كذلك فيكون هذه المدينة لاجل هذه الاشياء مشبهة للمدينة الفاضلة وخاصة اذا كانت الكرامات و مراتب الناس من الكرامات لاجل الانفع فالانفع لمن سواه اما من اليسار او من اللذات اومن شيء آخر مما يهواه الطالب للمنافع *

و هذه المدينة هى خير مدن اهل الجاهلية وهى التى يسمى اهلها الجاهلية

واشباه هذه الاسامى الا ان الامر فى محبة الكرامة اذا افرط فيها جدا صارت مدينة الجلادين وكانت حرية ان ينتقل فتصير مدينة التغلب *

واما مدينة تغلب واجتماع التغلب فهم الذين به يتعاونون على ان يكون لهم الغلبة وانما يكون كذلك اذا عمهم جميعا محبة الغلبة ولكن تفاوتوا في محبتها بالاقل و الاكثر وتفاوتوا في انواع الغلبات و انواع الاشياء التي يغلب الناس عليها مثل ان يكون بعضهم يحب الغلبة على دم الانسان ويكون بعضهم يحب الغلبة على ماله و بعضهم يحب الغلبة على نفسه حتى يستعبده. ويترتب الناس فيها اتم ترتيب بحسب عظم ما يحبه الواحد من الغلبة وصغر ما يحبه الاكثر و تكون محبتهم لان يغلبوا غيرهم اما على دمائهم وارواحهم واما على انفسهم حتى يستعبدوهم و اما على اموالهم حتى تنزعوها منهم. وتكون محبتهم و غرضهم من كل ذلك الغلبة و القهر و الاذلال. و ان لا يملك المقهور من نفسه او من شيء آخر مما غلب عليه شيئا اصلا و تكون تحت طاعة القاهر فى كل ما فيه هوى القاهر حتى ان الواحد من المحبين للغلبة و القهر متى كانت له همة و هوى من شيء ما ثم قال ذلك بلا قهر لانسان ما على ذلك لم يأخذه و لم يلتفت اليه *

فنهم من يرى ان القهر بالمجاملة و منهم من يرى ان يقهر بالمصالبة و المجاهلة فلذلك كثيرا ممن يقهر على الدماء لا يقتل الانسان متى وجده نائما ولا يأخذ ماله حتى ينتبه بل يرى ان يأخذه بالمصالبة و بان يكون فله يقاوم به الآخر حتى يقهره و ينيله ما يكره فكل واحد من هؤلاء يحب الغلبة فلذلك يحب ان يغلب كل واحد غيره من

اهل المدينة *

و من سواهم انما يمتنعون من مغالبة بعضهم بعضا على دمائهم واموالهم لحاجة بعضهم الى بعض و ان يتبعوا احياء و لا يتماونوا ان يغلبوا غيرهم و لا يمتنعون من غلبة غيرهم لهم *

و رئيسهم هو اقواهم بجودة التدبير من ان يستعملهم في ان يغلبوا من سواهم واجودهم احتيالا واكملهم رأيا فيما ينبغي ان يعملوا حتى يردوا الغالبين ابدا وان يكونوا ممتنعين من غلبة غيرهم ابدا هو رئيسهم وهو ملكهم ويكونوا اعداء لكل من سواهم و تكون سننهم كلها سننا و رسوما اذا استنوا بها كانوا احرياء ان يغلبوا غيرهم ويكون تنافسهم و تفاخرهم اما في كثرة الغلبة اوفى عظمها و اما في الاستكثار من اخذ عدد الغلبة و آلاتها و عدد الغلبة و الآتها تكون اما في رأى الانسان و اما في بدنه و اما في ماهو خارج عن بدنه اما في بدنه فمثل ان يكون له جلد و خارج عن بدنه ان يكون له سلاح و في رائه ان يكون جيد الرأى فيما يغلب به غيره و هؤلاء يعرض لهم الجفاء و القسوة و شدة الغضب و البذخ و شدة النهم من التملي من المأكول والمشروب والاستكثار من النكاح و التغالب على جميع الخيرات وان يكون ذلك بالقهر و تذليل من يوجد منه ذلك و يرون ان يغلبوا على كل شيء و كل احد *

و هذه ربما كانت المدينة باسرها هكذا حتى يروا انهم الذين يقصدون غلبة من ليس من المدينة لحاجتهم الى الاجتماع لا لشيء آخر غير ذلك وربما كان المغلوبون مجاورين للقاهرين لهم في مدينة واحدة *

ثم القاهرون اما ان يكونوا على السواء فى محبة القهر و الغلبة و يكونوا متنساوى المراتب فيهما و اما ان يكونوا على مراتب لكل واحد منهم شيء قد غلب عليه من المقهورين المجاورين لهم اقل او اكثر مما للآخر من ذلك و كذلك يتقاربون فى القوى والاراء التى ينقلبون بها الى ملك رؤسهم و يدبر امر القاهرين فيما يصلون به من آلة القهر و ربما كان القاهر واحدا فقط وله قوم هم له الآت فى قهر سائر الناس ليس لاولئك همة فى ان يغلب على شيء يأخذه لغيره بل همته فى ان يغلب على الشيء ليكون ذلك الواحد و يكون ذلك الواحد يكفيه من امره ما يقيمه به حيوته و جلده التى يستعمله و ان يعطى و يغلب لغيره مثل الكلاب و البزاة وكذلك سائر اهل المدينة سواهم عبيدا يخدمون ذلك الواحد فى كل مافيه هوى ذلك الواحد اذلاء خاضعين لا يملكون لانفسهم شيئا اصلا فبعضهم يحرثون له و بعضهم يتجرون له و يكون قصده فى ذلك ليس شيئا اكثر من ان يرى قوما مقهورين مغلوبين اذلاء له فقط وان لم ينله نفع آخر من جهتهم ولا لذة سوى الذل و ان يكونوا مقهورين فهذه مدينة التغلب بتلكها فقط فاما سائر اهل المدينة فليسوا متغلبين و التى قبلها مدينة التغلب نصفها والاولى بجميع اهلها فمدينة التغلب قد يكون على هذه الجهة بان تكون همتها باحد هذه الوجوه الغلبة فقط والالتذاذ بها فاما ان كان انما يحب الغلبة ليحصل بها اما الضروريات و اما اليسار و اما التمتع باللذات واما الكرامات واما جميع هذه كلها فتلك مدينة التغلب على وجه آخر وهؤلاء داخلون فى تلك المدن الاخر التى سلفت *

وكثير

وكثير من الناس يسمى هذه المدن مدينة التغلب واحراها بهذا الاسم من ارادت جميع هذه الثلاثة بالقهر وتكون هذه المدن على ثلاثة انحاء وذلك اما ان يوجد من اهلها واما ان ينتصف اهلها واما باهلها كلهم فهولاء انما يقصدون القهر والنكال ليس لذاته لكن قصدهم وغرضهم شيئا آخر وهاهنا مدن اخر قصدها هذا مع الغلبة اما الاولى التي قصدها الغلبة كيف كانت وفي اى شيء كانت فقد يتفق فيها من يضر غيره بلا نفع يصل اليه من ذلك مثل ان يقتل لا بسبب آخر سوى اللذة بالقهر فقط وتكون فيها للغالبة على اشياء خسيسة مثل ما يحكى عن قوم من العرب واما الثانية فانه انما تكون محبته للغلبة لا لاجل اشياء هي عندهم محمودة عالية ليست خسيسة حتى اذا نالوا هذه الاشياء بلا قهر لم يستعملوا القهر *

واما المدينة الثالثة فانها لا تضر ولا تقتل الا حيث تعلم ان لها في ذلك نفعا من احد الاشياء الشريفة فاذا فاتته الاشياء التي هي مقصودة بالغلبة والقهر اما بوجود كثير اوان يكفي من غيره اويبذل له انسان ما ذلك الشيء طوعا لم يرده ولم يلتفت اليه ولم يأخذه منه فهؤلاء ايضا يسمون كبيرى الهمم وذوى آراء جليلة واهل المدينة الاولى انما يقتصرون على الضرر فيما يحصل له الغلبة وربما كانح وجاهد جهادا عظيما على مال يمتنع منه اونفس يمتنع منه وكالح في ذلك حتى ظفر به وصار منه بحيث ينفذ عليه حكمه وهواه وتركه ولم يأخذه فهؤلاء قد يمدحون ايضا ويكرمون على هذا ويجلون وكثير من هذه الاشياء يستعملها

محبوا الكرامة حتى يكرموا عليها *

و المدن المتغلبة هي مدن الجبارين اكثر من الكرامة وقد يعرض لاهل مدينة اليسار ولاهل المدينة اللعب والهزل ان يظنوا انهم هم الافضل من سائر اهل المدن و يعرض لهم لاجل ظنونهم بانفسهم استهانة من سواهم من اهل المدن وان من سواهم لاقدر لهم و محبة كرامة على ما اسعدوا به عند انفسهم فيعرض لهم صلف و بذخ و افتخار و محبة للمدح و ان من سواهم لايهتدون الى ما اهتدوا هؤلاء اليه و لانهم كذلك اغنياء عن احدى هاتين السعادتين و يولدون لانفسهم اسماء يحسنون بها سيرتهم مثل انهم المطبوعون وانهم الظرفاء وان غيرهم هم الجفاة فيظن بهم بذلك انهم ذوو نخوة و كبر وتسلط وربما سموا ذوي همم ـ و اما متى كانوا محبي اليسار و محبي اللذات و اللعب واتفق لهم ان لم يحصل لهم من الصناعات التي يكتسب بها اليسار الا القوى التي بها الغلبة و كانوا يصلون الى اليسار و الى اللعب بالقهر و الغلبة عرض لهم النخوة اشد و دخلوا في جملة الجبارين فاما الاولون فحمقى و كذلك لايمتنع ان يكون في محبي الكرامة من ليس يحبها لذاتها بل لليسار فان كثيرا منهم انما يريد ان يكرمه غيره لينال بذلك اليسار اما منه او من غيره فانه انما يريد الرياسة و مطاوعة اهل المدينة له ليصل به الى اليسار و كثير منهم يريد اليسار للعب و اللذة فيعرض لكثير منهم ان يطلب الرياسة و ان يطاع ليحصل له اليسار ليستعمل اليسار في اللعب فيرى ان رياسته و طاعة غيره له كل ما كان اكثر و اتم كان ازيد له في هذه الاشياء فيطلب التوجه بالرياسة على اهل المدينة لتحصل له الجلالة ليصل بها الى اليسار العظيم

الذي

الذى لايدانيه فيه احدمن اهلها ليستعمل ذلك اليسار فى اللعب ولينال من اللعب و اللذات من المأكول و المشروب و المنكوح مالا يناله غيره فى الكمية والكيفية معا

فاما المدينة الجماعية فهى المدينة التى كل واحد من اهلها مطلق مخلى بنفسه يعمل ما شاء و اهلها متساوون و يكون سننهم ان لا فضل لانسان على انسان فى شىء اصلا و يكون اهلها احرارا يعملون ما شاء و او هؤلاء لايكون لاحد منهم على احد منهم و من غيرهم سلطان الا ان يعمل فيما تزاد به حريتهم فتحدث فيهم اخلاق كثيرة وهمم كثيرة وشهوات كثيرة والتذاذ باشياء كثيرة لاتحصى كثرة وتجتمع كثرة وتكون اهلها طوائف كثيرة متشابهة و متباينة لا يحصون كثرة و يجتمع فى هذه المدينة التى كانت متفرقة فى تلك المدن كلها الخسيس منها و الشريف و تكون الرياسات باى شىء اتفق من سائر تلك الاشياء التى ذكرناها ويكون جمهورها الذين ليست لهم ماللرؤساء مسلطين على اولئك الذين يقال فيهم انهم رؤساؤهم و يكون من يرأسهم انما يرأسهم بارادة المرؤوسين ويكون رؤساؤهم على هوى المرؤوسين و اذا استقصى امرهم لم يكن فيهم فى الحقيقة لارئيس ولامرؤوس الا الذين هم محمودون عندهم *

و المكرمون هم الذين يوصلون اهل المدينة الى الحرية و الى كل ما فيه هواهم و شهواتهم و الذين يحفظون الحرية وشهواتهم المختلفة المتفاوتة عليهم بعضهم من بعض و من اعدائهم الخارجين عنهم و يقتصروا من

الشهوات على الضرورة فقط فهذا هو المكرم و الافضل و المطاع فيهم و من سوى ذلك من رؤسائهم فاما ان يكون مساويا لهم متى كان اذا اصطنع اليهم الخيرات التي هي اراداتهم وشهواتهم بذلوا له على ذلك كرامات واموالا تساوى ما فعله بهم فحينئذ لا يرونه على انفسهم فضلا و يكونوا افضل منه متى كانوا يبذلون له الكرامات و يجعلون له من اموالهم حظا ولا ينتفعون به فانه لا يمتنع ان يكون في هذه المدينة رؤساء هذه حالهم اتفقت لهم جلالة عند اهل المدينة اما بهوى هوته اهل المدينة واما بان كان لابائه فيهم رياسة محمودة فحفظ فيه حق آبائه فيرأس وحينئذ يكون الجمهور مسلطين على الرؤساء و يكون جميع الهمم و الاغراض الجاهلية من هذه المدينة على اتم ما يكون واكثر وتكون هذه المدينة من مدنهم هي المدينة المعجبة و المدينة السعيدة و تكون من ظاهر الامر مثل ثوب الوشي الذي فيه الوان التماثيل والوان الاصباغ وتكون محبوبة محبوب السكنى بها عند كل احد لان كل انسان كان له هوى وشهوة ما قدر على نيلها من هذه المدينة فيهرع الامم اليها فيسكنونها فيعظم عظما بلا تقدير و يتوالد فيها الناس من كل جيل و كل ضرب من ضروب التزاوج و التناكح و يحدث فيها اولاد مختلفي الفطر جدا و مختلفي التربية و التنشؤ فتحصل هذه المدينة مدنا كثيرة متميزة بعضها عن بعض السكن داخلة بعضها في بعض متفرقة اجزاء بعضها الى اجزاء البعض لا يتميز الغريب بها من القاطن و تجتمع فيها الاهواء والسير كلها فلذلك ليس يمتنع اذا تمادى الزمان بها ان ينشؤا فيها الافاضل فيتفق فيها

وجود

وجود الحكماء والخطباء و الشعراء فى كل ضرب من الامور و يمكن ان يتلفظ منها اجزاء للمدينة الفاضلة و هذا من حين ما نشؤا فى هذه المدينة ولهذا صارت هذه اكثر المدن الجاهلية خيرا وشرا معا و كل ما صارت اكبر واعم و اكثر اهلا وارحب و اكمل للناس كان هذان اكثر و اعظم *

و المقصود بالرياسات الجاهلية هو على عدد المدن الجاهلية فان كل رياسة اما ان يكون القصد بها اما التمكن من الضرورى و اما اليسار و اما التمتع باللذات واما الكرامة و الندى و المديح واما الغلبة واما الحرية فلذلك صارت هذه الرياسات تشترى شراءً بالمال و خاصة الرياسات التى تكون فى المدينة الجماعية فانه ليس احد هنالك اولى بالرياسة من احد فمتى سلمت الرياسة فيها الى احد فاما ان يكون اهلها متطولين بذلك عليه واما ان يكون قد اخذ وامنه اموالا او عوضا آخر و الرئيس الفاضل عندهم هو الذى يقتدر على جودة الروية وحسن الاحتيال فيما ينيلهم شهواتهم واهواءهم على اختلافها و تفننها ويحفظهم على ذلك من اعدائهم ولا يرزأ من اموالهم شيئا بل يقتصر على الضرورى من قوته فقط *

و اما الفاضل الذى هو بالحقيقة فاضل و هو الذى اذا رأسهم قدر افعالهم وسددهم نحو السعادة فهم يرأسونه و اذا اتفق ان رأسهم فهو بعد اما مخلوع و اما مقبول واما مضطرب الرياسة متنازع فيها وكذلك سائر المدن الجاهلية انما تريد كل واحدة منها ان يرأسها من يؤتى لها متجرها

و شهواتها ويسهل لهم السبيل اليها وينيلهم اياها ويحفظها عليهم فهم يأبون رياسة الا فاضل و ينكرونها الا ان انشاء المدن الفاضلة ورياسة الا فاضل تكون من المدن الضرورية و من المدن الجماعية من بين يد يهم امكن واسهل والضروري واليسار والمتمتع باللذات وباللعب والكرامة قد ينال بالقهر و الغلبة وقد ينال بوجوه اخر والمدن اربعة تنقسم وكذلك الرياسات التي مقصودها هذه الاربعة اواحدها منها يقصد الى بلوغ مقصودها بالغلبة و القهر و منها مايقصده بوجوه اخر غيره *

فالذين يستفيدون هذه الاشياء بالغلبة و القهر ويحوطون ما حصل لهم من ذلك بالمدافعة والقهر يحتاجون من ابدانهم الى شدة وقوة و من اخلاقهم الى قساوة وجفاء وغلظة واستهانة بالموت و ان لا يرى ان لا يحتازون نيل مايهمه و الى صناعة السلاح و جودة روية فيما يقهر به غيره فهذا يعم جميعهم *

و اما صاحب التمتع باللذات فيعرض له مع هذه شره و محبة للمأكول والمشروب و المنكوح فمن هؤلاء من يغلب عليه اللين والرقة فتنفسخ قوته الغضبية حتى لا يوجد فيه منها شيء اصلا او مقدار يسير و منهم من يستولى عليه الغضب وآلاته النفسانية والبدنية والشهوية و الآتها النفسانية والبدنية مما يقويها و يزيد فيها و يتأتى بها ان تفعل افعالها و تكون رويته مصروفة الى افعال هذين و نفسه ذليلة لهذين على السواء *

ومن هؤلاء من اقصى مقصوده افعال الشهوة فيجعل الارفع من قواه والاعلى فالاعلى منها خادما لما هو اخس وذلك انه يجعل قوته الناطقة خادمة

للغضبية و الشهوانية ثم قوته الغضبية خادمة لقوته الشهوانية وانما يصرف رويته الى استنباط ماتتم به افعال الغضب وافعال الشهوة ويصرف افعال قواه الغضبية وآلاتها فيما ينال به اللذة التى يستمتع من المأكول والمشروب والمنكوح وسائر الاشياء التى بلغت بها ويحفظها على نفسه مثل ما يرى ذلك فى اشرف اهل البرارى من الترك والعرب فان اهل البرارى يعمهم محبة الغلبة وعظم التهم فى المأكول والمشروب والمنكوح فلذلك يعظم عندهم امر النساء ويحسن عند كثير منهم الفسق ولا يرون ان ذلك سقوط ولا تحاش او كانت نفوسهم ذليلة للشهوات وترى كثيرا منهم يتجمل عند النساء بكل ما يفعل ليعظم شأنه عند النساء ويرى ما تعيبه النساء هو العيب وما تستحسنه النساء هو الحسن ويتبعون فى كل شىء شهوات نسائهم وكثير منهم تكون نساؤهم من المتسلطات عليهم والمستوليات على امور منازلهم *

وكثير منهم بهذا السبب يرفهون النساء ولا يشركوهن فى الكد بل يلزموهن الترفه والراحة ويتولون هم كل شىء يحتاج فيه الى التعب والكد واحتمال المشقة *

واما المدن الفاسقة فهى التى اعتقد اهلها المبادى وتصوروها وتخيلوا السعادة واعتقدوها وارشدوا الى الافعال التى ينالون بها السعادة وعرفوها واعتقدوها غير انهم لم يتمسكوا بشىء من تلك الافعال ولكن مالوا بهواهم وارادتهم نحو شىء ما من اغراض اهل الجاهلية منزلة ما وكرامة وغلبة او غير ذلك وجعلوا افعالهم كلها وقواهم مسددة نحوها وانواع

هذه المدن على عدد انواع مدن اهل الجاهلية من قبل ان افعالهم كلها افعال الجاهلية و اخلاقهم اخلاقهم وانما يباينون اهل الجاهلية بالآراء التي يعتقدونها فقط واهل هذه المدن ليس واحد منهم ينال السعادة اصلا *

و اما المدن الضالة فهي التي حوكيت لهم امور غير هذه التي ذكرناها بان نصبت المبادى التي حوكيت لهم غير تلك التي ذكرناها و نصبت لهم السعادة غير التي هي في الحقيقة سعادة و حوكيت لهم سعادة اخرى غيرها و رسمت لهم افعال و اراء لا ينال بشيء منها السعادة بالحقيقة *

واما النوابت في المدن الفاضلة فهم اصناف كثيرة منهم صنف متمسكون بالافعال التي ينال بها السعادة غير انهم ليس يقصدون بما يفعلونه من ذلك السعادة بل شيئاً آخر مما يجوز ان يناله الانسان بالفضيلة من كرامة ورياسة او يسار اوغير ذلك فهؤلاء يسمون ــ ١

و منهم من يكون له هوى في شيء من غايات اهل الجاهلية فمنعته شرائع المدينة و ملتها من ذلك فيعمد الى الفاظ واضع السنة و اقاويله في وصاياه فيتأولها على مايوافق هواه و يحسن ذلك الشيء بذلك التأويل و هؤلاء يسمون المحرفة

و منهم من ليس يقصد تحريفا لكن لسوء فهمه عن واضع السنة و نقصان تصوره لاقاويله يفهم امور شرائع المدينة على غير مقصد واضع السنة فتصير افعاله خارجة عن مقصد الرئيس الاول فيضل و لا يشعر فهؤلاء هم المارقة *

وصنف آخر يكونون قد يختلونها فيزيفونها عند انفسهم وعند غيرهم باقاويل

(١) بياض في الاصل

يا قاويل ويكونون بما يفعلونه من ذلك غير معاندين للمدينة الفاضلة ولكن مسترشدين وطالبين للحق فمن كان هكذا رفعت طبقته للتخيل الى اشياء لا تزيف بتلك الاقاويل التى يأتى بها فان قنع بما رفع اليه ترك وان لم يقنع بتلك ايضاً ووقف منها على مواضع يمكن أن يعاند رفع طبقة اخرى ولايزال هكذا الى ان يقنع ببعض تلك الطبقات فان لم يتفق له ان يقنع ببعض طبقات التخيل رفع الى مرتبة الحق وفهم تلك الاشياء على ما هي عليه فعند ذلك يستقر رأيه *

ومنهم صنف آخرين يفون ما يتخيلونه فكلما رفعوا رتبة زيفوها ولو بلغ بهم رتبة الحقيقة كل ذلك طلبا للغلبة فقط اوطلبا لتحسين شيء آخر يميلون اليه من اغراض اهل الجاهلية فهم يزيفونها بكل ما امكنهم ولا يحبون ان يسمعوا شيأ تقوى السعادة والحق فى النفوس ولا يحسنها ويرسمها فى النفوس ويتلقونها من الاقاويل المموهة بما يظنون انه يسقط السعادة ويقصد كثير منهم بذلك ان يجعلوا انفسهم معذورين فى الظاهر اذامالوا الى شيء آخر من اغراض اهل الجاهلية *

ومنهم صنف يتخيلون السعادة والمبادى وليس فى قوة اذهانهم ان يتصوروها اصلا ولايكون فى قوة افهامهم ان يتصوروها على الكفاية فهم يزيفون ما يتخيلون ويقفون على مواضع العناد منها وكلما رفعوا طبقة الى تخيل اقرب الى الحقيقة زيفت عندهم ولا يمكن ان يرفعوا الى طبقة الحقيقة لانه ليس فى قوة اذهانهم فهمها. وقد يتفق فى كثير من هؤلاء ان يزيف عندهم كثير مما يتخيلونه لا لان فيما يتخيلونه مواضع العناد في

الحقيقة لكن لكون تخيلهم ناقصا فيتزيف عندهم ذلك لسوء فهمهم له لا لان فيه موضعا ما للعناد وكثير منهم اذا لم يمكنه ان يتخيل الشيء تخيلا على الكفاية او كان يقف على مواضع العناد بالحقيقة في الامكنة التي فيها مواضع العناد ولم يمكنه ان يفهم الحقيقة وظن بالذي ادرك الحقيقة ممن يقول انه ادركها انه يكذب على عمد طلبا للكرامة او الغلبة ويظن به انه معذ ورمجتهد ويروم ان يزيف الحقيقة ايضا ويحسن امر من قد ادركها ويخرج ذلك كثيرا منهم الى ان يظنوا بالناس كلهم انهم مغرورون في كل شيء يزعمون انهم ادركوه ويخرج ذلك بعضهم الى الحيرة في الامور كلها وبعضهم يخرجه ذلك الى ان يرى انه ليس فيما يدرك شيء صادق اصلا وان كان ماظن ظان انه ادرك شيئا فهو في ذلك كاذب ❊

تم طبع هذه الرسالة بحمد الله وحسن

توفيقه في شهر جمادى الاخرى

سنة (١٣٤٦)

هجرية .

وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

مناظرات

جرت فى بلاد ما وراء النهر فى الحكمة والخلاف وغيرهما

بين الامام فخر الدين الرازى وغيره —

المتوفى سنة ست وست مائة من

الهجرية النبوية على

صاحبها افضل

التحية

الطبعة الاولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة بمدينة

حيدرآباد الدكن (الهند) لازالت

شموس افاداتها بازغة

الى يوم القيامة

سنة ١٣٥٥ هـ

وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

مناظرات

جرت فى بلاد ما وراء النهر فى الحكمة والخلاف وغيرهما

بين الامام فخر الدين الرازى وغيره

المتوفى سنة ست وست مائة من

الهجرية النبوية على

صاحبها افضل

التحية

الطبعة الاولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة بمدينة

حيدرآباد الدكن (الهند) لا زالت

شموس افاداتها بازغة

الى يوم القيامة

سنة ١٣٥٥ ھ

بسم الله الرحمن الرحیم

قال مولانا واستاذنا فخرالملة والدین الداعی الی الله تعالی أبوعبدالله محمد بن عمر ابن الحسین الرازی رضی الله عنه ـ

الحمد لله رب العالمین والصلاة علی محمد وآله اجمعین ـ

لما دخلت بلاد ماوراء النهر وصلت اولا الی بلدة بخارا ثم الی سمرقند ثم انتقلت منها الی خجند ثم انتقلت الی البلدة المسماة بناکت واتفقت لی فی کل واحدة من هذه البلاد مناظرات ومجادلات مع من کان فیها من الافاضل والاعیان ـ

اما بلدة بخارا فانی لما وصلت الیها تکلمت مع جماعة فالمرة الاولی تکلمت مع الرضی النیسابوری رحمه الله وکان رجلا مستقیم الخاطر بعیدا عن الاعوجاج الا انه کان ثقیل الفهم کلیل الخاطر محتاجا الی الفکر الکثیر فی تحصیل الکلام القلیل فلما وصلت الی تلک البلدة کلفونی ان اتکلم فی بعض المسائل الخلافیة واجتمع الجمع العظیم ـ

فقلت التوکیل بالبیع المطلق لا یملك البیع بالغبن الفاحش والدلیل علیه ان التوکیل بالبیع مایتناول هذا البیع لابلفظه ولابمعناه فوجب ان لایصح هذا البیع ـ انما قلنا ان التوکیل مایتناول هذا البیع لانه وکله بالبیع والتوکیل بالبیع لایکون توکیلا بهذا البیع اما انه وکله بالبیع فظاهر واما ان التوکیل بالبیع لایکون توکیلا بهذا البیع فلان مسمی البیع مفهوم مشترك بین البیع بثمن المثل وبین البیع بالغبن بالفاحش ومابه المشارکة مغایر لمابه المباینة وغیر مستلزم له فثبت ان التوکیل بالبیع لایتناول

التوکیل

التوكيل بالبيع بالغبن الفاحش بحسب اللفظ —

اما انه لا يتناوله بحسب المعنى فالدليل عليه ان الافادة بحسب المعنى عبارة عما اذا دل اللفظ على شيء ولذلك الشيء لازم خارج عن ماهيته اما لزوما دائما اولزوما أكثريا فاللفظ الدال على المستلزم يفيد ذلك اللازم افادة بحسب المعنى وههنا الامر ان مفقود ان اما ان فقد كونه واقعا بالغبن الفاحش ليس من لوازم مسمى البيع لزوما دائما فظاهر لان مسمى البيع مفهوم مشترك بين البيع بثمن المثل وبين البيع بالغبن الفاحش وما به المشاركة لا يستلزم مابه المباينة لزوما دائما والا لحصل ما به المباينة اينما حصل ما به المشاركة وحينئذ يصير ما به المباينة مشتركا فيه وذلك متناقض — واما ان فقد كونه واقعا بالغبن الفاحش ليس من لوازم مسمى البيع لزوما ظاهرا وغالبا فظاهر ايضا لان بناء المعاملات ومدار المبايعات على الشح والضنة وطلب الربح ورفع الخسران فكان القول بالرضا لمسمى البيع يستلزم الرضا بقدر وقوع ذلك البيع بالغبن الفاحش استلزاما ظاهرا وغالبا واقع (١) على ضد المعقول ونقيض المعتاد —

فثبت ان التوكيل بالبيع لا يكون توكيلا بخصوص كونه واقعا بالغبن الفاحش لابحسب اللفظ ولابحسب الاستلزام الدائم ولابحسب الاسلوب الظاهر الغالب ثبت ان التوكيل بالبيع لايتناول التوكيل بالبيع الواقع بالغبن الفاحش لا بحسب لفظه ولابحسب معناه —

فقال بعضهم ما الدليل على ان اللفظ لو دل على شئ لدل عليه اما بلفظه واما بمعناه وما الذى يدل على صحة هذا الحصر فقال الشيخ الرضى رحمه الله جوابا عن هذا الدخل النافى لحصول الرضا بالبيع قائم وهو اما الاستصحاب واما الضرر عدلناعنه فى هاتين الصورتين نفيا عداهما يبقى على اصل الدليل — فقلت هذا الوجه الذى ذكرته وان كان صالحا فى دفع هذا الدخل الاانى لاارضى به — فقال الرضى فاذا لم ترض بهذا الدليل فما الدليل على صحة هذا الحصر — فقلت الدليل عليه هو ان اللفظ اذا افاد معنى فاما ان يفيده ابتداء واما ان يفيده بواسطة معناه فان افاده ابتداء فهو الدلالة

---

(١) الظاهر — واقعا

اللفظية وهو المسمى بدلالة المطابقة وان افاده بواسطة معناه فذلك هو ان يكون معناه مستلزما لامر من الامور استلزاما قطعيا اوظاهرا فعند سماع ذلك اللفظ يصير معناه مفهوما ثم ينتقل الذهن من معناه الى لازمه واما ان لم يكن اللفظ موضوعا للشيء ولا يكون المفهوم من اللفظ مستلزما لشيء آخر لااستلزاما قطعيا ولاظاهرا كان اللفظ مع معناه منقطعا عن ذلك الشيء اجنبيا عنه ومثل هذا يمتنع ان يصير مفهوما من ذلك اللفظ والعلم به ضروری ـ وهذا هو الدليل القوی فی اثبات ماذكرته من الحصر ـ

ثم قلت فثبت ان الموكل وكله بالبيع وثبت ان التوكيل بالبيع لا يكون توكيلا بهذا البيع فثبت ان التوكيل بالبيع ما تناول هذا البيع ـ اذا ثبت هذا وجب ان لا يصح هذا البيع وذلك لان اهل النظر والجدل اذا ذكروا وصفا من الاوصاف وارادوا ان يفرعوا على ذلك الوصف اثبات ذلك الحكم فلهم فی تقريره طرق مضبوطة معلومة وكلها قائمة فی هذا المقام ـ

فالاول ان تقول الاصل عدم الانعقاد فی المبايعات عدلنا عنه فيما اذا تناول التوكيل بلفظه اوبمعناه فعند عدمهما وجب البقاء على الاصل وعلى هذا الطريق فلا حاجة بنا الى اقامة الدلالة على ان اللفظ لا يفيد المعنى الا اذا افاده بلفظه او معناه ـ

الطريق الثانی ان تقول تسليط المعنى على ازالة ملك المالك ضرر وبغی عدلنا عنه فيما اذا وجد التوكيل بلفظه اوبمعناه فعند عدمهما يبقى على الاصل ـ

والطريق الثالث ان نقول عصمة الملك والمالك تقتضی ابقاء ذلك الملك عدلنا عنه عند الرضا بازالته فعند عدمه يبقى على الاصل ـ

الرابع انا نقيس مابعد هذا التوكيل على ما قبله والجامع دفع الضرر الناشیء من حصول الغبن والخسران ـ

واعلم ان الدليل المذكور ينقسم الى قسمين احدهما ان يكون دليلا على اثبات المطلوب ومع ذلك يكون دافعا للدليل الذی عليه تعويل الخصم والثانی ان يكون مثبتا للحكم الا انه لا يكون دافعا لمعارضة الخصم والقسم الاول هو النهاية فی الحسن والكمال

هو الكامل والدليل الذي ذكرناه ههنا من القسم الاول لان اعتماد اصحاب أبي حنيفة رحمة الله عليه في هذه المسئلة على قولهم وكله بالبيع وهذا بيع فوجب ان يدخل تحت التوكيل فلما بينا في الدليل الذي قررناه ان التوكيل بالبيع لايكون توكيلا بهذا البيع كان هذا قدحا في دليلهم وابطالا للكلام الذي عولوا عليه في اثبات قولهم فكان هذا النوع من الدليل اكمل كلام يمكن ذكره —

فقال بعض الحاضرين على سبيل الدخل فهذا الكلام الذي ذكرته يقتضي انه اذا باع بثمن المثل ان لايصح لان خصوص كونه واقعا بثمن المثل امر يوجب امتياز احد نوعي البيع عن النوع الثاني فالتوكيل بالبيع الذي هو القدر المشترك لايكون توكيلا بهذا القيد فوجب ان لايصح منه ان يبيعه بثمن المثل —

فقلت اني ذكرت في دليلي ما يكون دافعا لهذا الكلام لاني قلت دلالة المعنى هو ان يدل اللفظ على معنى وذلك المعنى يستلزم سببا آخر اما استلزاما قطعيا واما استلزاما ظاهريا والرضا بالبيع يستلزم الرضا بالبيع بثمن المثل ظاهرا وغالبا لان مدار البياعات والمعاملات على هذا المعنى فالرضا بالبيع يكون رضا بهذا القول بحسب الظاهر العام الغالب فاما الرضا بالبيع لايكون رضا بوقوعه بالبيع بالغبن الفاحش لان هذا ضد قاعدة المعاملات ونقيض الامر الظاهر الغالب في البياعات فيصح ان يقال التوكيل بالبيع توكيل بالبيع الواقع بثمن المثل ولا يصح ان يقال التوكيل بالبيع توكيل بالبيع الواقع بالغبن الفاحش لان ذلك ضد المعلوم ونقيض الموجود والمشهور وعند تقرير هذه الكلمات انطلقت السنة القوم بالثناء والتعظيم —

ثم ان الشيخ الرضي النيسابوري رحمه الله شرع في الاعتراض وقد ذكرت انه كان رجلا مستقيم الخاطر بعيدا عن الاعوجاج فلم يجد في هذه المقدمات مقدمة يقدر على اظهار النزاع فيها وذكر كلمات غير مضبوطة مشوشة وكان يتركها سريعا ويعدل الى كلام آخر الى ان قال انك سلمت انه وكله بالبيع وسلمت ان البيع احد اجزاء الماهية لهذا البيع الذي وقع في صحته النزاع —

فنقول انه احد اجزاء ماهية هذا البيع وقد تناوله التوكيل فوجب ان يصح فاذا صح احد اجزاء ماهية هذا البيع وجب ان يصح هذا البيع لان كل من قال احد اجزاء ماهية هذا البيع يصح قال انه يصح هذا البيع ـ

ولما اورد هذا الكلام ظهر اثر الفرح والسرور على وجهه وكنت ساكتا الى ان تم هذا الكلام ـ

فلما خضت فى الجواب قلت هذا الكلام مدفوع من وجوه ـ

الاول انه لا نزاع فى ان التوكيل تناول مسمى البيع ولا نزاع ايضا فى ان البيع جزء من ماهية هذا البيع فهذا يدل على انه وقع الرضا بجزء من احد (١) ماهية هذا البيع الا انه تحت هذا اللفظ مغالطة وبيانها ان هذا الكلام يحتمل وجهين ـ

احدهما انه وقع الرضا بالماهية التى قد تعرض لها انها جزء من اجزاء هذا البيع محذوفا عنها هذا الاعتبار ـ

وثانيهما ان يقال انه وقع الرضا بالبيع من حيث انه جزء من اجزاء هذا البيع والفرق بين الاعتبارين ظاهر فان البيع من حيث انه بيع ليس لها (٢) انه بيع فاما اذا اخذ مسمى البيع من حيث انه جزء من اجزاء ماهية البيع بالغبن الفاحش فههنا ليس المأخوذ هو البيع من حيث انه بيع بل البيع مع فعل كونه جزءا من ماهية هذا البيع فان عنيت بقولك احد اجزاء ماهية هذا البيع وقع مرضيا به ان البيع من حيث انه بيع مرضى به فهذا مسلم الا ان على هذا التقدير لايصح قولك ان كل من قال بصحة احد اجزاء هذا البيع قال بصحة هذا البيع لان حاصله يرجع الى ان كل من قال بان ماهية البيع تصح قال بان هذا البيع يصح ومعلوم ان ذلك باطل ـ

واما ان عنيت بقولك احد اجزاء ماهية هذا البيع مرضى به هو ان البيع مع قيد كونه جزءا من ماهية هذا البيع الواقع بالغبن الفاحش مرضى به فهذا ممنوع لانا قلنا المرضى به هو البيع لا البيع مع هذا القيد ـ

---

(١) كذا ـ ولعله من اجزاء (٢) كذا

قلت ـ ان هذا الكلام مغالطة والوجه الثانى فى الجواب ان حاصل كلامك يصح (١) الى انه صح احد اجزاء الماهية فوجب ان يصح كل الماهية وهذا باطل لانه لا يكفى فى حصول الماهية حصول احد اجزائه ولا يكفى فى حسن الماهية حسن احد اجزائه ـ اما حاصل دليلى فيرجع الى انه فسد احد اجزاء هذا البيع الواقع بالغبن الفاحش وفساد احد اجزاء الماهية فانه يكفى فى فسادها وعند هذا تم الكلام وانقطع الخصام وانقطعت (٢) الالسن بالتعظيم والثناء والله اعلم ـ

المسئلة الثانية

كان فى بلدة بخارا رجل يقال له النور الصابونى رحمه الله وكان يزعم انه متكلم القوم واصوليهم واتفق انه كان قد ذهب الى الحج ورجع ثم صعد المنبر وقال يا ايها الناس ذهبت من هذه المدينة الى مكة ورجعت منها فما وقع بصرى على وجه شخص يستحق ان يسمى انسانا وذلك لانهم كانوا فى غاية البعد عن الفهم والادراك ولما ذكر هذا الرجل هذا الكلام على المنبر وكان قد حضر فى ذلك المجلس جمع عظيم من اهل العراق وخراسان تأذوا من هذا الكلام واستوحشوا بسببه ثم انهم حضروا عندى ونقلوا هذا الكلام منه الى وقالوا انه نسب اهل خراسان واهل العراق الى الجهل والبلادة وقلة الفهم وكثرة الحماقة وحين كانوا فى حكاية هذا الكلام دخل انسان الى وقال ان النور الصابونى دخل الى دارى لاجل الزيارة فقمت وذهبت الى الدار فلما رأيته اكرمته على مقتضى العرف والعادة ولما خضنا فى الاحاديث سألته عن كيفية سفره فاعاد ذلك الكلام الوحش بتلك العبارة وقال انى منذ خرجت من بخارا الى ان عدت اليها ما رأيت انسانا يعرف شيئا من علم الاصول او يخوض فى بحث من هذه المباحث ـ

فقلت له وكيف عرفت انه لم يكن فى تلك البلاد احد يعرف من هذا العلم شيئا وهل ناظرت مع احد منهم وهل خضت فى شىء من المباحث معهم فقال لا فقلت فكيف عرفت خلوهم عن هذا العلم ـ

فقال انى عقدت مجلس التذكير فلم يورد احد منهم سؤالا على فى تلك المسائل

---

(١) كذا ولعله يرجع (٢) ولعله ـ انطلقت

فقلت له هذا الاستدلال فى غاية الضعف وذلك لان العلماء يستنكفون من ايراد السؤالات فى مجالس الوعظ فسكوتهم عن ايراد السؤالات فى هـذه المجالس لا يدل عـلى عدم علمهم بهذه المباحث فظهر سقوط هذا الاستدلال لخجل الرجل ـ

ثم قلت وما تلك المسئلة التى ذكرتها على المنبر مع ان القوم ما اوردوا اسؤالا ولا بحثا فقال كنت اقرر مسئلة الرؤية والقوم كانوا حاضرين فما اوردوا اسؤالا ولا اشكالا فقلت ولعلك عولت على دليل الوجود فقال نعم فقلت له وهل انت من المثبتين للاحوال او من نفاتها فقال لى وما الحال واى تعلق لهذه المسئلة باثبات الحال و نفيها فقلت له لما صرحت بهذا الكلام فانا احكم عليك بانك لست من زمرة العقلاء فضلا عن ان تكون من العلماء والا فاضل فشق عليه هذا الكلام واضطرب فقلت له لاتضطرب واصبر فان قدرت على بيان ما التزمته وجب عليك السكوت وان عجزت فافعل ما تريده ـ

فقال وكيف هذا البيان فقلت له انك تقول السواد يصح ان يرى فهذه الصحة غير معللة بكونه سوادا بل هى معللة بكونه موجودا فان كان كونه سوادا عين كونه موجودا كان مورد النفى والاثبات امرا واحدا ومن جوزه كان خاليا عن العقل واما ان قلنا ان كونه سوادا مغاير لكونه موجودا فهذ ان المتغاير ان ان كانا موجودين لزم قيام العرض بالعرض وهذا عندك محال باطل وان كانا عدمين محضين وهذا ايضا محال لانه يلزم ان يقال السواد الموجود عدم محض ونفى صرف وان كانا لاموجودين ولا معدومين فهذا يقتضى اثبات واسطة بين الموجود والمعدوم وذلك هو الحال فلما ذكرت دليل الوجود فى مسئلة الرؤية وكنت غافلا عن هذا المعنى وعن هذه الدقيقة ثبت ذالك وحين قلت صحة رؤية السواد ليست لكونه سوادا بل لكونه موجودا مع انك ما عرفت التمييز بين هذين المعنيين كنت قد جمعت بين النفى والاثبات عـلى مورد واحد والعلم بفساد هذه القضية من اقوى العلوم الضرورية وفقدان العلم الضرورى يدل

على فقدان العقل فثبت بهذا البيان الظاهر الباهر انك خارج عن زمرة العقلاء واذا كنت خارجا عن زمرة العقلاء فكيف يليق بك ادعاء الحذق والكياسة ــ

ولما وجهت هذا الكلام على ذلك الرجل الغوى اضطرب وبقى مبهوتا ولم يجد البتة الى دفعه سبيلا وانتهى فى العى والسكوت الى اقصى الغايات ثم انه قام وخرج من الدار فقلت له واياك وان تظن فى انى ذكرت هذا الكلام على سبيل الايذاء والاهانة وانما ذكرته لك تنبيها لك لئلاترجع الى الطعن فى العلماء والافاضل ثم ودع كل واحد منا صاحبه وافترقنا ــ

المسئلة الثالثة

لما انقضت ايام بعد تلك الواقعة قال بعضهم الواجب ان تذهب اليه للزيارة تطييبا لقلبه وسعيافى ازالة الوحشة عن صدره فذهبت اليه ولما دخلت عليه اجتمع القوم العظيم فى الدار فشرع الرجل فى مسئلة ان الخلق غير المخلوق والتكوين غير المكون وكان قد اعد لنفسه كلمات ظن انه يستنقم بسببها عن المناظرة الاولى فقلت له ان قولنا ان التكوين عين المكون اوغيره يجب ان يكون مسبوقا بالبحث عن ماهية التكوين وعن ماهية المكون فان الشروع فى التصديق قبل تحصيل تصور طرفى المطلوب يجر الى الجهل العظيم والشوب الشديد فقال الامر كما تقول ــ

فقلت ان كان غرضك اظهار الفرق بين التكوين والمكون بحسب اللفظ والعبارة فانه يقال كون يكون تكوينا فهو مكون وذاك مكون فالتكوين مصدر والمكون مفعول والفرق بين المصدر وبين المفعول معلوم فى اللغات الا ان الفرق الحاصل بحسب اللغات لايوجب الفرق فى الحقائق والمعانى الاترى انه يقال عدم يعدم عدما فهو معدوم فالعدم مصدر والمعدوم مفعول وذلك لايوجب الفرق بينهما فى الحقيقة ــ

وان كان غرضك اظهار الفرق بين التكوين والمكون فى العقل وفى الحقيقة ــ فنقول لما دل الدليل على ان العالم حادث قلنا العالم حادث وكل حادث فله محدث

ومؤثرثم نقول ذلك المؤثرا ما ان يؤثر فيه علىسبيل الطبع اوعلىالاختيار والاول باطل والالزم من حدوث العالم حدوث الله تعالى اومن قدم الله تعالى قدم العالم ضرورة ان العلة الموجبة بالذات لا تنفك عن المعلول فتعين الثانى وهو انه تعالى اثر فىوجود العالم على سبيل الصحة والاختيار فكونه تعالى بهذه الصفة هو المسمى بالقدرة ثم رأينا فى العالم اتقانا واحكاما فكون القادر بحال يمكنه احداث الافعال المحكمة المتقنة هو المسمى بالعلم ثم رأينا ان كل حادث اختص بوقت معين مع جواز تقديمه وتأخيره والصفة المقتضية لاختصاص كل حادث بوقته المعين هى المسماة بالارادة ولما حكم صريح العقل ان القادر العالم القادر المريد يجب ان يكون حيا حكمنا بكونه تعالى حيا ولما علمنا ان اضداد السمع والبصر والكلام نقائص وان النقص على الله تعالى محال اثبتنا السمع والبصر والكلام —

واذا عرفت هذا فنقول هذه الصفة التى سميتها بالتكوين والتخليق ان كانت عبارة عن صفة من هذه الصفات المذكورة فنحن نعترف بثبوتها ولا ننازع فيها البتة الا ان على هذا التقدير يصير البحث لفظيا وان كان المراد من التكوين صفة اخرى سوى هذه الصفات المذكورة فلابد من بيانها وشرح حقيقتها حتى يمكننا ان نتكلم بعد ذلك فى نفيها اوفى اثباتها —

فلما تممت هذا الكلام وشرحت هذا البيان قال المراد من التكوين صفة سوى الصفات التىذكرتها وشرحتها وذلك لان القدرة عبارة عنالصفة المؤثرة فى صحة المخلوق والتكوين عبارة عن الصفة المؤثرة فى وقوع المخلوق وبهذا الطريق ظهر الفرق بين القدرة والتكوين —

فقلت له نعم ماذكرت الا ان الكلام باق كما كان وذلك لانك قلت القدرة عبارة عن الصفة المؤثرة فى صحة الفعل وهذا فيه مغالطة لان وجود المخلوق له نوعان من الصحة احدهما كونه فى نفسه وفى ماهيته بحيث لا يلزم من فرض وجوده ولا من فرض عدمه محال وهذا هو الامكان العائد اليه بحسب ماهيته وحقيقته فى نفسه وكون الممكن ممكنا بهذا التفسير ليس لاجل لجعل جاعل ولا لتأثير مؤثر لان

كل

كل ما كان معللا بالغير فعند عدم الغير يرتفع ذلك الاثر ولوكان كون الممكن ممكنا بهذا التفسير لاجل مؤثر وجاعل لزم عند ارتفاع ذلك المؤثر ان لا يبقى هذا الامكان واذا لم يبق هذا الامكان لزم ان ينقلب اما واجبا لذاته واما ممتنعا لذاته وذلك محال فثبت بهذا البرهان القاطع ان كون المخلوق ممكن الوجود وصحيح الوجود بهذا التفسير لايمكن ان يكون اثرا لقدرة الله البتة ـ

واما النوع من الصحة فهو الصحة العائدة الى القادر ومعناها كون القادر موصوفا بالصفة التى لاجلها لايمتنع صدور ذلك الاثر عنه وتلك الصفة هى القدرة وعلى هذا الاعتبار فقلت سلمت ان القدرة يصح كونها مؤثرة فى حصول الاثر فلما قلت بعد ذلك ان صدور الاثر منها محال بل مصدر الاثر هو الصفة المسماة بالخلق والتكوين كان هذا جمعا بين النقيضين لان الاول يقتضى صحة كون القدرة مؤثرة فى المقدور والثانى يقتضي امتناع ذلك وهذا يوجب الجمع بين النقيضين وهو محال ـ

فلما اوردت عليه هذا الكلام صعب على الرجل فهمه وادراكه الا انى اعدت هذا الكلام بالرفق والسهولة مرارا واطوارا حتى وقف عليه من بعض الوجوه ولما وقف عليه اخذ فى الاضطراب والشغب فتارة كان يقول القدرة مؤثرة فى الصحة بالتفسير الثانى فكنت اقول له فهذا انما يصح له اذا سلمت كون القدرة صالحة للتأثير فاذا قلت بعد ذلك المؤثر صفة آخرى مسماة بالتكوين وان القدرة غير صالحة للتأثير كان هذا الكلام متناقضا فبقى الرجل فى الاضطراب الشديد والشغب العظيم مدة مديدة واستحيى من كثرة اضطراباته وانتقالاته ـ

ثم فى اثناء ذلك الشغب قال يا ايها الناس انى اقول ان الله تعالى هو الخلاق البارى فوصف نفسه بالخلق وانا اقول انه صادق فى قوله وهذا الرجل يقول ليس الامر كما قال الله ـ

فقلت له انك الآن خرجت عن قانون البحث والنظر وشرعت فى تشغيب العوام والجهال الا ان هذه البلدة بلدة العلماء والاذكياء والاكياس فنحن نكتب هذه

المناظرة التی ذکرناها علی الوجه الذی مرثم نرسلها الی الاذکیاء والعقلاء فان قضوا فیها بانی انکرت کتاب الله عاملونی بما یلیق بهذا الکلام وان قضوا بانك عجزت عن الکلام وانتقلت من البحث والنظر الی الشغب والسفه عاملوك بما یلیق بك —

فلما شرعت فی کتبة المناظرة تضرع غایة التضرع واعترف بان ذلك الکلام کان خارجا عن قانون العقل والسداد وظهر انقطاعه وعجزه لجمیع الحاضرین —

المسئلة الرابعة

واتفق بعد هذه الواقعة بستین متطاولة انی انتقلت الی بلدة غزنة وکان قاضی هذه البلدة رجلا حسودا قلیل العلم کثیر التصنع ثم اتفق انا حضرنا فی بعض المجالس وکان ذلك القاضی قد جاء بجمع عظیم من عوالم غزنة وأمرهم بان یشغبوا عنه عند خوضی فی الکلام ثم ان ذلك القاضی القی مسئلة التکوین والمکون وکان فقهاء غزنة حاضرین بالکلیة فقلت له الصفة المسماة بالتکوین اما ان تؤثر علی سبیل الصحة اوعلی سبیل اللزوم والوجوب فان کان الاول فالصفة المؤثرة فی وقوع المخلوق علی سبیل الصحة هی المسماة بالقدرة فهذا الذی سمیته بالتکوین والتخلیق هو المسمی عندك بالقدرة فیصیر الخلاف لفظیا لامعنویا وان کان الثانی وهو ان یقال الصفة المسماة بالتخلیق والتکوین مؤثرة فی حصول المخلوق علی سبیل اللزوم والوجوب فنقول هذا باطل لان استلزام ذات الله لتلك الصفة المسماة بالتکوین والتخلیق استلزام ذاتی ضروری لایمکن زواله فاذا کان استلزام تلك الصفة لوقوع المخلوق استلزاما ذاتیا ضروریا فحینئذ تکون ذات الله تعالی تستلزم الصفة المستلزمة لوقوع المخلوق ومستلزم المستلزم مستلزم فیلزم ان تکون ذات الله تعالی مستلزمة لوقوع المخلوق استلزاما ذاتیا حقیقیا لایمکن زواله وکل مؤثر یکون کذلك فانه یکون موجبا بالذات لافاعلا بالاختیار فیلزم کونه تعالی موجبا بالذات وذلك عین الفلسفة ونقیض للقول بکونه قادرا —

ثم ههنا دقیقة اخری وهی ان اصحاب الفلسفة لما اعتقدوا کونه تعالی موجبا بالذات

نفوا

نفوا عنه كونه قادرا بالاختيار اما انتم لما وصفتم ذاته بهذا التكوين المستلزم لهذا المكون فقد حكمتم بكونه تعالى موجبا بالذات ثم قلتم انه مع ذلك ايضا موصوف بالقدرة التي هي عبارة عن كونه مؤثرا على سبيل الصحة لا على سبيل اللزوم فانتم قلتم بغير قول الفلاسفة الا انكم جمعتم بينه وبين ضده ونقيضه والفلاسفة لما قالوا بذلك القول لم يجمعوا بينه وبين نقيضه فانتم ما تميز تم عنهم الا بان جمعتم بين النقيضين فالقول بكونه موجبا بالذات يوجب القول بالدهر والالحاد والجمع بين كونه موجبا بالذات وبين كونه قادرا بالاختيار يوجب الجزم بالجمع بين النقيضين وذلك يدل على كون قائله خاليا عن العقل موصوفا بالعته ــ ولما اوردت هذه تحريك الحجة على هذا الوجه الظاهر وظهر للحاضرين كمال قدرتي أخذ القاضي في شفتيه وما كان يمكنه ان يذكر كلاما معلوما لانه كان قاصرا في النطق مقصرا في الفهم والادراك فانطلقت السنة الحاضرين بتقبيح صورته وتهجين حالته وعرف صاحب الدار انه جاء بالجهال والعوام لاثارة الشغب فقال لي انما سعيت في احضاركم لاجل الضيافة لالاجل المسئلة ثم وضع المائدة وشغلنا بالاكل فخرج القوم مطبقين على الطعن واللعن على ذلك القاضي والله اعلم ــ

المسئلة الخامسة

ولنرجع الى الوقائع الواقعة ببخارا فنقول ان النور الصابوني لما انكسر في ذلك اليوم وافتضح وبلغ في الخجالة الى الغاية القصوى قال لي اخوه بعد الفراغ من المناظرة التي ملتمس منك ان تكرمني بان تدخل داري وكان ذلك الرجل قد هيأ ضيافة حسنة تامة ولما دخلنا داره حلف بالله انكم لا تخرجون عن هذه الدار الا بعد ثلثة ايام ثم انه اجلسني في بيت لطيف وجاء بالنور الصابوني وبالخواص واجلسهم في ذلك البيت واما بقية الناس فانهم جلسوا في سائر البيوت فلما بقيت تلك الليلة في تلك الدار مع ذلك النور الصابوني شرع في مسئلة اخرى ــ وهي مسئلة ان البقاء هل هو صفة زائدة على ذات الباقي فنصر القول بانه صفة زائدة على ذات الباقي نقلت اجب عن هذا الدليل الذي حررته لنفاة البقاء

وهوان قيام البقاء بالجوهر فى الزمان الثانى من وجوده مشروط بحصول الجوهر فى الزمان الثانى والمشروط متأخربالرتبة عن الشرط فقيامها ايضا بالجوهر فى الزمان الثانى متأخربالرتبة عن حصول الجوهر فى الزمان الثانى فلو قلت ان حصول الجوهر فى الزمان الثانى معلل بقيام البقاء به لزم ان يكون حصول الجوهر فى الزمان الثانى متأخرا فى الرتبة عن ذلك البقاء لاجل ان المعلول متأخرعن العلة وهذا كون كل واحد منهما متأخرابالرتبة عن الآخر وذلك دور وباطل ومحال فثبت ان القول باثبات البقاء يفضى الى هذا المحال فيكون القول به باطلا ولما اوردت هذا الكلام عليه واتعبت نفسى فى تفهيمه وتوقيفه على هذه الدقيقة قال لى يا ايها الرجل انى كنت قد قرأت كتاب تبصرة الادلة لابى المعين النسفى واعتقدت انه لامزيد على ذلك الكتاب فى التحقيق والتدقيق واما الآن فلما رأيتك وسمعت كلامك علمت انى ان اردت الوقوف على هذا العلم احتاج الى ان اعود الى الاول واتعلم هذا العلم كما يتعلم المبتدئ الا انى فى زمان الشيخوخه لاقدرة لى عليه فالتمس منك ان لاتسعى فى اظهار قصورى وقصرى فى هذا العلم فلما سمعت منه هذا الكلام بالغت فى اكرامه و تعظيمه وقبلت منه انى لا اسعى الا فى تعظيمه واكرامه وكان هذا آخرالعهد بالمباحثه الجارية مع هذا الرجل والله اعلم ـ

المسئلة السادسة

لما دخلت بخارا اتفق ان الركن القزوينى نعمة الله دخل على وكان شافعى المذهب الا انه كان تلميذ الرضى النيسابورى وكان افضل اصحابه واجل تلامذته ومن عادة البخاريين انهم اذا قاسوا صورة على صورة قالوا الجامع بينهما تحصيل المصلحة الفلانية اودفع المفسدة الفلانية فلما دخل الركن القزوينى وخاض فى الكلام انتهى الكلام الى هذه المسئلة فقلت هذا بناء على ان التعليل بالمصالح والمفاسد جائز واكثر الاصوليين منعوا منه فقال وما الدليل على فساده فقلت الدليل على فساده انه لوجاز التعليل بنفس المصلحة والمفسدة لماجاز التعليل

بالوصف

بالوصف لكن التعليل بالوصف جائز فوجب ان لا يكون التعليل بالمفسدة والمصلحة جائزا –

اما بيان الملازمة فهو ان التعليل بالاوصاف المشتملة على المصالح والمفاسد انما جاز لاشتمالها على تلك المصالح والمفاسد فالمؤثر الحقيقى فى الاحكام هو رعاية تلك المصالح واما الاوصاف وهى فى الحقيقة غير مؤثرة فى الاحكام الا انها لا جل اشتمالها على تلك المصالح والمفاسد جاز التعليل بها فثبت ان تاثير المصالح والمفاسد فى الاحكام تأثير حقيقى جوهرى اصلى واما تأثير الاوصاف فى الاحكام فهو تأثير مجازى عرضى غريب –

اذا ثبت هذا فنقول لوكان التعليل بنفس المصالح والمفاسد ممكنا لوجب ان يكون التعليل بالاوصاف باطلا لان ذلك على وفق الدليل وهذا على خلاف الدليل ومتى كان الموافق للدليل فى جميع الوجوه كان العدول عنه الى ما يخالف الدليل من كل الوجوه ممتنعا فثبت انه لوكان التعليل بنفس المفاسد والمصالح ممكنا لكان التعليل بالاوصاف المصلحية ممتنعا باطلا واما بيان ان التعليل بالاوصاف المصلحية جائز فهذا متفق عليه بين العقلاء مثل ان يقال القتل بالمثقل قتل عمد عدوان فيوجب القصاص قياسا على المحدد فثبت انه لوكان التعليل بالمصالح جائزا لكان التعليل بالاوصاف المصلحية غير جائز لكن التعليل بالاوصاف المصلحية جائز فوجب ان يكون التعليل بالمصالح ممتنعا –

فاعترض وقال لم لا يجوز ان يقال كل واحد منهما اكمل من الآخر من وجه واضعف من وجه آخر فلاجرم حصل التعادل والستاوى وبيانه وهو ان المؤثر الحقيقى فى الاحكام هو رعاية المفاسد والمصالح الا ان ضبط مقاديرها صعب عسر واما الاوصاف الظاهرة فهى غير مؤثرة فى الاحكام على الحقيقة الا انها مضبوطة فثبت ان كل واحد منهما اكمل من الآخر من وجه وانقص من وجه آخر فلاجرم حصل التعادل –

فقلت فى الجواب لاشك ان ضبط مقادير المصالح والمفاسد والحاجات متعذر فى

عقولنا وانها منا فمن حاول تعليل الاحكام بالمصالح والمفاسد فاما ان يكون جواز
ذلك التعليل مشروطا بتقدير مقادير تلك المصالح والمفاسد بالمقادير المعينة واما ان
لا يكون مشروطا بذلك بل يكفى تعليلها بكونه مصلحة او مفسدة اعنى القدر
المشترك بين جميع الاقسام فان كان الحق هو القسم الاول امتنع تعليل الاحكام بها
لان مقاديرها المعينة لاتفى بمعرفتها عقول البشر بل الحق انه لايعلمها الا الله سبحانه
وان كان الحق هو الثانى لم يكن فى معرفة ذلك القدر صعوبة اصلا بل هو من اسهل
الاشياء وحينئذ يكون التعليل بالمصالح والمفاسد تعليلا بعلة اصلية جوهرية
لاصعوبة فى معرفتها اصلا واما التعليل بالاوصاف فانه يكون تعليلا بشىء غريب
اجنبى لاتأثير له فى الحكم اصلا وحينئذ يبطل ماذكرته فى تقرير التعادل والتساوى
بين التعليل بالوصف وبين التعليل بنفس المصلحة ـ

المسئلة السابعة

لما دخلت بخارا رأيت القوم يتمسكون بالقياس على طريقة اخرى سوى الطريقة
المذكورة فى كتب المتقدمين ومثاله ان تقول ثبت الحكم فى محل الوفاق فوجب
ان يثبت فى محل الخلاف ـ
وتقرير الجامع ان الحكم حيث ثبت فى محل الوفاق انما ثبت لاشتماله على انواع
من المصلحة الفلانية وبتقدير ثبوته فى محل الخلاف فههنا انواع من المصالح ولكل
واحد من هذين المذكورين من المصالح مقدار معين والمقداران المعينان لابد وان
يشتركا فى مقدار معين فالحكم الحاصل فى محل الوفاق مقارن للمصلحه المشتركة بين
الصورتين والمناسب مع الاقتران دليل العلية فوجب ان يكون المقتضى لحصول
الحكم فى محل الوفاق هو المصلحة المشتركة وتلك المصلحة المشتركة حاصلة فى محل
الخلاف فيلزم ثبوت الحكم فيه فبهذا الطريق يجمعون بين الاصل والفرع ـ
فاذا قال قائل ـ هذه المصلحة حاصلة فى الصورة الفلانية مع ان ذلك الحكم غير
حاصل فيها فعند هذا يجيبون ويقولون انا انما عللنا الحكم فى محل الوفاق بالقدر
المشترك بينه وبين محل الخلاف ونحن لانسلم ان القدر المشترك بين محل الوفاق
ومحل

ومحل الخلاف من المصلحة حاصل فی محل النقیض وبتقدیر ان یکون الامر کما قلناه لم یکن النقض متوجهاً۔

وبالجملة فالفائدة من الجمع بین الاصل والفرع بالطریق المذکور هو رفع النقیض بالطریق الذی ذکرناه۔

واعلم ان ذا احسن کلام رأیته فی مباحثهم هو هذا الوجه فعند هذا تفکرت بتدقیقه وقلت ان هذا الطریق ضعیف۔ وبیانه من وجهین۔

الاول ان الجنس الاعلی لجمیع المصالح هو کونه مصلحة وکل مقدارین یفرضان من المصلحة فلابد وان یشترکا فی کونه مصلحة فاما انه هل حصل تحت جنس المصلحة مرتبة اخری یقع فیها هذان النوعان فهو مجهول غیر معلوم۔

اذا عرفت هذا فنقول نسلم ان ثبوت الحکم فی الاصل مشتمل علی قدر من المصلحة وان بتقدیر ثبوت الحکم فی الفرع یحصل ایضاً قدر من المصلحة ونسلم ان المقدارین لابد وان یشترکا فی مقدار الا انا نقول ان کنتم تدعون ان ذلک المقدار المشترک هو اصل کونه مصلحة فهذا مسلم الا انه لا یجوز التعلیل به لان اصل کونه مصلحة حاصل فی صورة النقیض وان کنتم تدعون ان ذلک القدر المشترک مرتبة اخری اخص من اصل کونه مصلحة فنحن لا نسلم حصول هذه المرتبة فضلاً عن جواز التعلیل به۔

وبیانه انکم قلتم حصل مقدار من المصلحة فی الاصل ومقدار آخر فی الفرع ولابد من حصول قدر مشترک بینهما فنقول لم لا یجوز ان یکون ذلک هو اصل کونه مصلحة الذی هو ایضاً حاصل فی صورة النقض وما الدلیل علی انه حصلت مرتبة اخری بحیث یدخل فیها الاصل والفرع ولا یدخل فیها محل النقض۔ والحاصل انا نسلم انه لابد من القدر المشترک الا انا نقول ان ادعیتم ان ذلک المشترک هو اصل کونه مصلحة فالتعلیل به منقوض وان ادعیتم انه مرتبة اخری اخص من عموم کونه مصلحة فنقول لا نسلم ان هذه المرتبة موجودة وما الدلیل علی وجودها ولما لم یثبت بالدلیل وجودها کان القول بکون الحکم معللا بها قولا باطلا۔

الوجه الثانی فی ابطال هذا الکلام ان تقول لا شك فی انه حصل قدر مشترك بین محل النزاع ومحل الوفاق ومشترك بین محل النزاع ومحل النقض فنقول المشترك الاول ان کان عین المشترك الثانی کان النقض لازما وان کان مغایرا له فنقول ههنا مشترکان احدهما المشترك بین الفرع والاصل والثانی المشترك بین الفرع وبین صورة النقض ولابد لهذین المشترکین من مشترك فقد حصل بین هذین المشترکین مشترك فالحکم حصل عقیب ذلك المفهوم المشترك بین المشترکین فنقول لوکان احد المشترکین صالحا لعلیة ذلك الحکم لکان المشترك الثانی صالحا لعلیة ذلك الحکم وحیث لم یصلح المشترك الثانی لعلیة ذلك الحکم وجب ان یکون المشترك الاول غیر صالح لعلیة ذلك الحکم ثبت أن الطریق الذی به جمعوا بین الاصل والفرع یلزمهم القدح فی علیة القدر المشترك الحاصل بین الاصل والفرع۔

واعلم انی لما اوردت علیهم هذین السؤالین لم یقدروا علی الخروج عنه بکلام مفید۔

المسئلة الثامنة

لما دخلت بخارا فرأیت القوم مقبلین علی ترکیب القیاسات فی المسائل الفقهیة فقلت لهم اذکروا دلیلا علی ان القیاس حجة فذکروا کلاما عرفت منهم(۱) انهم لا یعرفون ان محل النزاع فی ان القیاس هل هو حجة ام لا ماهو وکیف هو وذلك لانهم قالوا انه اذا ثبت بالدلیل أن الحکم فی محل الوفاق معلل بالامر الفلانی وثبت ان ذلك الامر الفلانی حاصل فی محل النزاع فلم قلتم انه یلزم من تسلیم هذین المقامین ظن ان الحکم فی الفرع یساوی الحکم فی الاصل ورأیت القوم مطبقین علی ان معنی ان القیاس حجة هو ان بتقدیر تسلیم ان الحکم فی الاصل معلل بالصفة الفلانیة مع تسلیم ان تلك الصفة حاصلة فی الفرع فما الدلیل علی انه حصل ظن ان الحکم فی الفرع یجب ان یکون مساویا للحکم فی الاصل فهذا هو الذی اطبقوا علی جعله تفسیرا لقولنا القیاس حجة۔ فقلت للقوم هذا الکلام غلط من وجوه۔

(۱) الظاهر – منه –

الاول

الاول ان مطلوبکم ان قولنا الحکم فی الاصل معلل بالصفة الفلانیة مع قولنا الصفة الفلانیة حاصلة فی الفرع هل یفید ظن ان الحکم فی الفرع یساوی الحکم فی الاصل امر لا وهذا البحث بحث عقلی محض لان قولنا ان ظن هذین المقامین هل یفید ظن ذلک المقام الثالث بحث عقلی محض وقولنا القیاس هل هو حجة ام لا بحث شرعی محض فکیف یجعل احدهما عین الآخری(١) بل المراد من قولنا ان القیاس هل هو حجة ام لا هو انه بتقدیر حصول هذا الظن هل یجوز للمکلف ان یعمل بمقتضی هذا الظن وان یفتی لغیره بمقتضی هذا الظن فمحل النزاع فی ان القیاس هل هو حجة ام لا هذا الذی ذکرناه لا ما ذکرتموه ـ

الوجه الثانی ان المطلوب الذی ذکرتم مقرر ببرهان العقل وتقدیره(٢) انه اذا ثبت ان الصفة الفلانیة القائمة بمحل الوفاق موجبة للحکم الفلانی ثم ثبت ان مثل تلک الصفة قائمة بالفرع وجب ترتب مثل ذلک الحکم علیها وذلک لان بتقدیر ان تکون تلک الصفة مستلزمة لذلک الحکم فی محل الوفاق وغیر مستلزمة له فی محل الخلاف فاما ان یتوقف امتیاز احدی الصورتین عن الاخری فی کونه مستلزما لذلک الحکم وغیر مستلزم له فی صورة اخری علی ممیز اولا یتوقف ذلک الامتیاز علی ممیز فان توقف علی ممیز کان المستلزم لذلک الحکم فی محل الوفاق لیس مجرد تلک الصفة بل تلک الصفة مع ذلک الممیز الا انا کنا قد فرضنا ان المستلزم لذلک الحکم فی محل الوفاق مجرد تلک الصفة من غیر اعتبار قید آخر واما ان لم یتوقف ذلک الامتیاز علی ممیز البتة فحینئذ تکون تلک الصفة تارة مستلزمة لذلک الحکم واخری غیر مستلزمة له مع انه لم یتمیز احدی الصورتین عن الاخری بممیز وذلک یوجب رجحان احد طرفی الممکن علی الآخر من غیر مرجح اصلا وهو محال ـ

فثبت ان القول بان الصفة الفلانیه موجبة للحکم الفلانی مع القول بان تلک الصفة حاصلة فی هذه الصورة یوجب القول بحصول مثل ذلک الحکم فی هذه الصورة ان کانت المقدمتان قطعیتین کانت هذه النتیجة قطعیة وان کانتا ظنیتین او احداها

---

(١) لعله ـ الآخر (٢) ـ الظاهر ـ تقریره ـ

فكانت النتيجة ظنية —

واعلم انی قد قررت هذا الكلام بمحضر من العلماء وجماعة من المشهورين بالفضل والذكاء والتحقيق وكان الشيخ الامام شرف الدين محمد بن مسعود المسعودی حاضرا وكان شيخا مشهورا بالفلسفة والحذق فلما سمع منی هذا البرهان غضب وتغير وظهر اثر الغضب فی وجهه —

وقال ياسبحان الله مثل هذا الكلام انما يذكر فی القطعيات العقلية فكيف ذكرته فی الظنيات فقلت له العجب العجب منك فانك لما سلمت انه يورث القطع واليقين الجازم فبان يورث الظن الغالب كان اولی نعم الذی يفيد الظن لايجب كونه مفيد القطع اما الذی يفيد القطع فلا اقل من ان يفيد الظن فعند سماع هذا الكلام اشتد الغضب وعظم الشغب فرأيت الصواب قطع هذا الكلام لان من بلغ الی ضعف العقل الی هذا الحد كان قطع الكلام معه واجبا والله اعلم

المسئلة التاسعة

ضاق قلبی فی بعض تلك الايام جدا فدخلت علی الشرف المسعودی وكان ذلك سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة وهی السنة التی حكم المنجمون بوقوع الطوفان الريحی فيها وعظم خوف اهل العالم من وقوع تلك الواقعة فلما دخلت علی المسعودی رأيت الرضی النيسابوری عنده ورأيت جماعة آخرين من اهل العلم وكانوا يبحثون عن هذه المسئلة بجد عظيم وجهد شديد فقلت ان هذه المسئلة فرع من فروع علم الاحكام والفلاسفة اطبقوا علی ان ذلك العلم فی غاية الضعف وعلی هذا التقدير فلاموجب لهذا الخوف الشديد ولا حاجة الی البحث القوی ولا الی هذا الاحتراز العظيم فلما سمع الامام شرف الدين المسعودی هذا الكلام غضب غضبا شديدا وقال لم قلت ان علم الاحكام علم ضعيف ساقط وما الدليل عليه فقلت الذی يدل عليه وجهان —

الاول النقل عن اكابر الحكماء فان ابانصر الفارابی هو رئيس الحكماء علی الاطلاق والمادح الشيخ ابو علی بن سينا قال فی حقه يكاد ان يكون افضل من

كل

كل السلف وله تصنيف مشهور فى ابطال علم الاحكام وايضا الشيخ أبو سهل المسيحى كان من افاضل الحكماء وله تصنيف فى ابطاله والشيخ أبو على بن سينا ذكر فى آخر كتاب الشفاء وكتاب النجاة فصلا طويلا فى ابطال علم الاحكام فهؤلاء اعيان الفلاسفة واكابر الحكماء وكلهم اطبقوا على القدح فى هذه الصناعة واهل زماننا هذا وان بلغوا الدرجات العالية فهم بالنسبة اليهم كالقطرة بالنسبة الى البحر والسفلة (۱) بالنسبة الى البدر فهذا ما يتعلق بالنقل —

واما ما يتعلق بالعقل فهو ان المؤثر اما الكوكب واما البرج واما الكوكب بشرط حصوله فى البرج والقسمان الاولان يوجبان دوام ذلك الاثر بدوام الكوكب او البرج والقسم الثالث باطل لانه لو كان اثر الكوكب عند حصوله فى هذا البرج بخلاف اثره عند حصوله فى البرج الآخر لزم ان يكون هذا مخالفا بالطبع والماهية لذلك البرج الآخر اذ لو كانا مثلين لكان اثر الكوكب عند كونه فى هذا البرج مثلا لاثره عند كونه فى البرج الثانى ضرورة ان المثلين يجب استواؤهما فى جميع اللوازم ولو كانت طبيعة احد البرجين مخالفة لطبيعة البرج الثانى لزم كون الفلك مركبا لا بسيطا لكن الفلاسفة اقاموا البرهان على ان الفلك يجب ان يكون بسيطا لا مركبا فكان هذا القول باطلا فلما سمع المسعودى هذا الكلام قوى غضبه جدا بحيث اختل فهمه واختل نطقه وقال انك انما اوردت هذا الكلام لانك تظن انهم لما قالوا الحمل برج نارى فهو من النار ولما قالوا الثور برج ارضى فهو من الارض وليس الامر كذلك بل مرادهم ان ذلك البرج يوجب السخونة وهذا يوجب البرودة —

فقلت له ان العاقل يجب ان يصون فهمه ولسانه عن مثل هذا الكلام ومتى سمعت منى انى قلت ان القوم لما قالوا ان الحمل برج نارى يجب ان يكون جوهره من النار وان الثور لما كان برجا ارضيا وجب ان يكون جوهره من الارض معاذ الله ان اروى عنهم هذا الكلام الا انى قلت ثبت فى صريح العقل ان المثلين يجب استواؤهما فى جميع اللوازم وان اختلاف اللوازم يدل على اختلاف الملزومات

---

(۱) كذا — ولعله — الشعلة —

فلما اختلفت آثار الكوكب الواحد بسبب دخوله فى البروج المختلفة لزم القطع باختلاف طبائع تلك البروج فاى تعلق لهذا الكلام الظاهر القوى العقلى الذى ذكرته بذلك الكلام الضعيف الفاسد الذى تخيلته وليتنى مادخلت بلاد ما وراء النهر حتى لااستمع امثال هذه الكلمات العجيبة فلما قررت هذا الكلام وعرف الشيخ الرضى النيسابورى قوة هذا السؤال وفساد الجواب الذى ذكره المسعودى وكان الرضى النيسابورى تلميذ الشرف المسعودى فى الفلسفة حاول اصلاح كلامه فقال انك الزمت على القائلين بعلم الاحكام كون الفلك مركبا من الطبائع المختلفة وهولازم عليهم فى مواضع كثيرة منها ان الغزالى الزم عليهم هذا فقال ان النقطتين المتعينتين فى الفلك صارتا متعينتين للطبيعة دون سائر النقط فهذا يقتضى كونهما مختلفين (١) بالماهية لسائر النقط فهذا ايضا يوجب اختلاف اجزاء الفلك — فقلت ايها الشيخ الامام الذى ادعيته ان القول بصحة هذا الكلام يوجب عليهم كون الفلك مركبا لابسيطا وقد اثبت بالدليل هذا المدعى وما ادعيت ان هذا الالزام غير وارد عليهم فى سائر الصور فكيف يليق باستقامة خاطرك ادخال البحث الاجنبى فى هذا البحث فقال نعم ذلك البحث غير هذا البحث الا ان هذا الالزام وارد عليهم لا محالة فقلت ان سلمت ان القول بصناعة الاحكام يوجب تركيب الفلك خضت فى مسئلة القطب فقال سلمت ان الزامك وارد فما قولك فى مسئلة القطب فقلت سؤال الغزالى ليس بشىء وكلامه فى هذا البحث ضعيف جدا —

فلما سمع المسعودى قولى تنمر وقف (٢) وقال لم قلت ان هذا السؤال ضعيف والظاهر انه ليس تحت اديم السماء احد يقدر على الجواب عنه فقلت ان كان مدار هذا البحث على الشغب والغضب فالاولى قطعه وان كان مقصود منه البحث والنظر فلا يحصل هذا المقصود الابالثبات والسكوت فقالوا التزمنا هذا الشرط فبين وجه الجواب فقلت ان الحكما بينوا ان تعين القطبين (٣) والمنطقة تبع لتعيين الحركة للكرة بقى ان يقال وما السبب لحصول هذه الحركة فنقول ان الفيلسوف قال العالم ممكن وجوده

(١) لعله مختلفتين (٢) لعله — ووقف (٣) ن — النقطتين —

في الوقت الذي حصل فاما ان يقال انه كان قبل ذلك الوقت ممتنعا لذاته ثم انقلب ممكنا واما ان يقال انه كان قبل ذلك الوقت ممكنا لذاته والاول باطل والا لزم انقلاب الماهية من الامتناع الذاتي الى الامكان الذاتي وانه محال فبقي القسم الثاني وهو انه كان ممكن الوجود قبل ذلك الوقت فلو اختص ذلك الحدوث بذلك الوقت دون ما قبله وما بعده لزم رجحان الممكن لالمرجح وهو محال —

واذا عرفت هذا فنقول سؤال الغزالي انما يتوجه لو بين ان حركة الفلك على جميع الجهات المختلفة ممكنة فحينئذ يلزم ان تكون حركته على هذه الجهة المعينة رجحانا للممكن غير مرجح لكنه لم يبين ان حركة الفلك على جميع الجهات ممكنة فلعل جوهر الفلك يقبل هذا النوع من الحركة ولا يقبل سائر الانواع ولا يلزم من هذا القول الانتقال من الامتناع الى الامكان لان الفيلسوف يقول سائر الانواع من الحركة ممتنعة فبقيت على الامتناع ابدا وهذا النوع ممكن فبقي على الامكان ابدا بخلاف حدوث العالم فانه لو كان ممتنعا لذاته ثم انقلب ممكنا لذاته لزم الانتقال من الامتناع الى الامكان وهو محال فظهر ان المعارضة التي اوردها الغزالي على دليل الفلاسفة غير واردة البتة فلما سمع المسعودي هذا الكلام عظم غضبه واستولت الرعدة على اعضائه وقال ان هذا الذي ذكرته محض الجدل ودفع السؤال العقلي المحض بالجدل المحض غير معقول عند اهل العقل —

فقلت اني اسأل الله العظيم الرحيم ان يقيد عقلي ونفسي من مثل هذه الحكمة المعوجة وذلك لان الفيلسوف لما احتج بحجة على مطلوبه ثم ان السائل اورد عليه معارضة فهذه المعارضة انما تتم اذا بين السائل ان جميع ما ذكره المستدل حاصل في هذا السؤال فاما اذا لم يقدر عليه صارت تلك المعارضة كلاما فاسدا واهيا لايجب الالتفات اليه فلما سمع المسعودي هذا الكلام عدل الى جواب آخر فقال ان الحركات باسرها متساوية في كونها حركات فالجسم لما كان قابلا لنوع معين من الحركة وجب كونه قابلا لسائر الحركات فقلت له ان المتكلم لو ذكر مثل هذا الكلام لتوجه عليه انواع من الاشكالات فكيف وانت رجل من الحكماء الذين

من مذهبك ان الحركة مفهوم واحد تحته انواع اربعة الحركة فی الكم والكيف والوضع والاين وان الحركة الى الاين قسمان حركة فی الوسط كما للهواء والنار وحركة الى الوسط كما للماء والارض وان الحركة الفلكية الدورية مخالفة للحركة المستقيمة الصاعدة والهابطة فلما كان مذهبك ان هذه الحركات انواع مختلفة بالماهية لم يلزم من كون الجسم قابلا لصفة كونه قابلا لما يخالف تلك الصفة بالماهية لان الماهيات المختلفة لا يجب استواؤها فی جميع اللوازم فثبت انه لايلزم من كون الفلك المعين قابلا لحركة مخصوصة كونه قابلا لسائر الانواع ـ

فلما سمع هذا الكلام قال لما سلمت ان هذه الحركات متساوية فی كونها حركة وجب ان يكون امتياز كل نوع منها عن النوع الآخر بفصل مقوم فما تلك الفصول التی باعتبارها خالف بعضها بعضا قلت يا سبحان الله ان الفيلسوف اقام البرهان علی ان حدوث العالم فی كل الاوقات ممكن فاختصاص بعض الاوقات بذلك الحدوث يقتضی رجحان الممكن لالمرجح فقال الغزالی مثل هذا وارد عليك فی القطبين وفی الحركات ـ

فقال الفيلسوف هذه المعارضة انما تتوجه علی اذا ثبت بالدليل ان جوهر الفلك المعين قابل لجميع الحركات فاذكر ذلك الدليل ثم انك نصرت كلام الغزالی فقلت الدليل عليه ان جميع الحركات متساوية فی تمام الماهية فقال الفيلسوف هذه المقدمة ممنوعة فما الدليل علی صحتها فثبت ان الغزالی هو المحتاج الی اقامة الدلالة علی ان كل جسم قبل نوعا معينا من الحركة فهو قابل لجميع انواع الحركات اما الفيلسوف فانه يكفيه المطالبة بالدليل فثبت ان قولك ما الفصل الذی به امتياز نوع من الحركة عن نوع آخر مطالبة فاسدة وسؤال غير متوجه بل انت محتاج الی اقامة الدلالة علی حصول الاستواء فی تمام الماهية ـ

ولما انتهی الكلام الی هذا المقام فهم الرضی النيسابوری كيفية هذا الكلام ثم اخذ فی اعادة هذا الكلام علی النظم والترتيب قريبا من عشر مرات الی ان وقف المسعودی عليه ثم اخذ فی الثناء والتعظيم وانقطع الكلام فی هذا المقام ـ

المسئلة العاشرة

دخل المسعودى رحمه الله على يوما آخر وكان فى غاية الفرح والسرور فسألت عن سبب ذلك الفرح فقال وجدت كتبا نفيسة فاشتريتها فحصل هذا الفرح لهذا السبب —

فقلت وما تلك الكتب؟ ذكر شيئا كثيرا منها الى ان ذكر كتاب (الملل والنحل) للشهرستانى فقلت نعم انه كتاب حكى فيه مذاهب اهل العالم بزعمه الا انه غير معتمد عليه لأنه نقل المذاهب الاسلامية من الكتاب المسمى (بالفرق بين الفرق) من تصانيف الاستاذ ابى منصور البغدادى وهذا الاستاذ كان شديد التعصب على المخالفين ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه ثم ان الشهرستانى نقل مذاهب الفرق الاسلامية من ذلك الكتاب فلهذا السبب وقع الخلل فى نقل هذه المذاهب —
واما حكايات احوال الفلاسفة فالكتاب الوافى به هو الكتاب المسمى (بصوان الحكمة) والشهرستانى نقل شيئا قليلا منها واما اديان العرب فمنقول من كتاب اديان العرب للجاحظ نعم الذى هو من خواص كتاب الملل والنحل للشهرستانى الفصول الاربعة رتبها الحسن بن محمد الصباح بالفارسية نقلها الى العربية وتكلم فى ديانات تلك الفصول فلما سمع المسعودى هذا قال ان تلك الفصول الاربعة نقضها الشيخ الغزالى وبين فسادها بوجوه ظاهرة واضحة جليلة فهل رأيت كلام الغزالى فى هذا الباب وكنت قد رأيت ذلك الكلام واستحسنته فقلت نعم رأيته فقال ان ذلك الكتاب معى فاجىء به لتطالعه وترى قوة كلام الغزالى فقلت : لا حاجة الى ذلك الكتاب فاصر أنه لا بد من المجىء به ومن مطالعته ثم ذهب الى بيت كتبه وطلب ذلك الكتاب وجاء به فنقل اولا عن الحسن الصباح انه قال بالفارسية (عقل پسندیده است در معرفت حق یا پسندیده نیست اگر پسندیده است پس کسی را بعقل خویش یا زبا ید گزاشت واگر پسندیده نیست پس هر آینه از معرفت حق معلمی بباید) —
ثم ان الغزالى لما حكى عنه هذا الكلام فى كتابه اراد أن يعارضه فقال (دعوى

پسند یده است پس قبول یك دعوی اولی تر نیست از قبول ضد آن واگر دعوی پسند یده نیست پس هر آینه عقل باید)۔

ثم لما حررا لمسعودی هذا الکلام تهلل وجهه وظهر اثر الفرح والسرور وقال ما احسن هذا الکلام وما أدقه فبقیت ساکتا فقال ماذا تقول فیه فقلت إن کلام الحسن الصباح فاسد باطل الا ان الوجه الذی ذکره الغزالی لیس بشیء فغضب المسعودی وتغیر لونه وقال لم قلتم إنه لیس بشیء قلت لان الملحد المخالف لم یقل انه لاحاجة الی حصول العقل بل ادعی انه غیر کاف ولا بدمع العقل الفاهم من المعلم المرشد والمسلم یدعی ان العقل کاف ولاحاجة الی المعلم والغزالی بین أن المعلم غیر کاف بل لا بد معه من العقل وللخصم أن یقول انی لم اقل انه لا حاجة الی حصول العقل بل قلت ان العقل غیر کاف وانت ما بینت ان العقل وحده کاف بل بینت انه لا بد من العقل فانت ما ابطلت مذهبی وقولی البتة فکان سؤالك ساقطا وتقریره ان المخالف یقول ان العقل یجری مجری الحدقة السلیمة والتعلیم یجری مجری طلوع نور الشمس اوالنار فالحدقة السلیمة وحدها غیر کافیة فی حصول الابصار بل لابد من سلامة الحدقة ومن طلوع نور الشمس فکذا ههنا العقل وحده غیر کاف بل لابد من العقل ومن تعلیم المعلم المعصوم ۔

فالحاصل ان الخصم لا یدعی انه لا حاجة الی العقل بل یدعی انه لا بد معه من تعلیم المعلم والغزالی ظن ان الخصم یدعی ان العقل معزول بالکلیة فثبت ان سؤال الغزالی لیس بشیء ولما سمع المسعودی هذا الکلام قوی غضبه وخاض فیما یقرب من السفاهة فقلت العجب العجب منك انك تنسب الناس الی المیل الی اعداء الدین ولا تعرف ان إبطال شبهات الملحدین بالاجوبة الخسیسة الضعیفة سعی فی تقویة شبهاتهم بل الجواب الصحیح عن تلك الشبهات أن تقول العقل وحده یستقل بمعرفة کل واحدة من المقدمات ویستقل بالجمع بینها ومتی اجتمعت تلك المقدمات فی العقل حصلت النتیجة لا محالة فثبت ان العقل

مستقل

مستقل بمعرفة المطالب من غير حضور الامام المعصوم. ولما انتهى الكلام الى هذا المقام كثر القيل والقال من غير فائدة دينية علمية ـ

المسئلة الحادية عشر

جرى ذكر كتاب شفاء العليل للغزالى على لسان الشرف المسعودى فاطنب فى الثناء عليه وفى تعظيمه فقلت له هل طالعته الى آخره فتوقف فيه فقلت ان فيه اشياء كثيرة يجب البحث عنها وانا اذكر منها اثنين ـ

فالاول انه عقد بابا طويلا فى ان الطرد والعكس هل يدل على العلية ثم انه بعد الاطناب الكثير وايراد الامثلة الكثيرة قال والمختار عندى ان ثبوت الحكم عند ثبوت الوصف وعدم ذلك الحكم عند عدم ذلك الوصف لا يدل على كون ذلك الوصف علة لذلك الحكم اما اذا ثبت الحكم بثبوت الوصف وعدم بعدمه فهذا يدل على كون ذلك الوصف علة لذلك الحكم. هذا ما قاله الغزالى وهو عجيب لان الدليل الدال على العلية يجب كونه شيئا مغايرا لنفس العلية وكون الحكم ثابتا بثبوت ذلك الوصف ومعدوما بعدمه هو نفس العلية فلو جعلنا هذا المعنى دليلا على العلية لزم جعل الشىء دليلا على نفسه وهو محال فلما سمع المسعودى هذا تغير جدا ـ ثم قلت واما الثانى فهو أنه قال فى ذلك الكتاب انه عز على بسيط الارض من يعرف الفرق بين قياس الشبه وبين قياس المعنى ـ

فقلت هذا المعنى فى غاية الظهور فان قياس المعنى هو ان تبين ان الحكم فى الاصل معلل بالمصلحة الفلانية ثم نبين ان تلك المصلحة قائمة فى الفرع فيجب ان يحصل فيه مثل حكم الاصل ـ

واما قياس الشبه فهو ان تقع صورة واحدة بين صورتين مختلفتين فى الحكم ثم لما كانت مشابهتها لاحد الطرفين اكثر من مشابهته للطرف الآخر فيستدل بكثرة المشابهة على حصول المساواة فى الحكم ومثاله ان النية واجبة فى التيمم وغير واجبة فى غسل الثياب ، والوضوء واقع بينهما فلما تأملنا وجدنا المشابهة بين الوضوء وبين التيمم اكثر من المشابهة بين الوضوء وبين غسل الثياب وذلك لان المشابهة

حاصلة بين الوضوء وبين التيمم من وجوه كثيرة ـ

احدها ـ ان الوضوء والتيمم يشرعان لمقصود واحد وهو استباحة الصلاة واما غسل الثياب فليس كذلك ـ

وثانيها ـ ان الوضوء والتيمم يشرعان فى اعضاء معينة وغسل النجاسات ليس كذلك ـ

وثالثها ان الوضوء والتيمم ينتقضان باحداث معينة وغسل النجاسات ليس كذلك فثبت ان المشابهة بين الوضوء والتيمم اكثر من المشابهة بين الوضوء وبين غسل الثوب عن النجاسات فكان الحاق الوضوء بالتيمم اولى من الحاقه بغسل الثوب عن النجاسات ـ

اذا ثبت هذا فنقول ان علية المشابهة تدل على استوائهما فى المصالح الموجبة لذلك الحكم فلهذا قياس المعنى هو الذى يكون الجامع فيه رعاية المصالح والمفاسد وقياس الشبه هو الذى تكون علة المشابهة دالة على استواء الاوصاف المصلحية وقياس الطرد هو الذى لا اشعار فيه بالمصالح لا ابتداء ولا بواسطة فثبت ان الفرق بين هذه الانواع الثلاثة فى غاية الظهور فالقول بانه عز على بسيط الارض من يعرف الفرق تهويل لا فى الموضع ـ

فلما سمع الشيخ المسعودى هذا الكلام قال هب ان شفاء العليل فيه هذه الاشياء الا ان كتاب المستصفى برىء من هذه العيوب ـ

فقلت انى فى بعض الاوقات حضرت بطوس فانزلونى فى صومعة الغزالى واجتمعوا عندى فقلت انكم افنيتم اعماركم فى قراءة كتاب المستصفى فكل من قدر على ان يذكر دليلا من الدلائل التى ذكرها الغزالى من اول كتاب المستصفى الى آخره ويقرره عندى بعين تقريره من غير ان يضم اليه كلاما آخر اجنبيا عن ذلك الكلام اعطيته مائة دينار فجاء فى الغد رجل من اذكيائهم يقال له امير شرفشاه وتكلم فى مسئلة الصلاة فى الدار المغصوبة لظنه ان كلام الغزالى فيه قوى فقلت له ان كلام الغزالى فى هذه المسئلة فى غاية الضعف وذلك لانه قال جهة كونها

صلاة

صلاة مغايرة لجهة كونه غصبا ولما تغايرت الجهتان لم يبعد أن يتفرع على كل واحدة من هاتين الجهتين ما يليق به —

وهذا الجواب ضعيف جدا لان الصلاة ماهية مركبة من القيام والقعود والركوع والسجود وهذه الاشياء حركات وسكنات والحركة عبارة عن الحصول فى الحيز بعد أن كان فى حيز آخر والسكون عبارة عن الحصول فى الحيز الواحد اكثر من زمان واحد فالحصول فى الحيز جزء ماهية الحركة والسكون وهما جزءان من ماهية الصلاة —

اذا عرفت هذا فنقول ان اعتبر بالصلاة فى الارض المغصوبة كان جزء ماهيتها الحصول فى الارض المغصوبة ولا شك ان هذا الحصول محرم فكان اجزاء ماهية الصلاة فى الارض المغصوبة محرمة وعلى هذا التقدير فالغصب والمحرم ههنا جزء من ماهية الصلاة فيمتنع تعلق الامر بهذه الصلاة لان الامر بالصلاة المعينة يوجب الامر بجميع اجزائها فلما دللنا على ان احد اجزائها شغل ذلك الحيز ودللنا ان شغل ذلك الحيز منهى عنه لزم حينئذ توارد الامر والنهى على الشىء الواحد بالاعتبار الواحد وانه محال —

فثبت ان الذى تخيله الغزالى من الفرق بين الجهتين فى هذه الصلاة كلام غير صحيح ولما قررت هذا الكلام انقطع الامير شرفشاه وقال ظننت انى اذا قررت هذه المسئلة عندك اخذت المائة الموعودة والآن قد ظهر لى ان اخذ تلك المائة غرض لا يصاب ودعاء لا يستجاب فلما ذكرت هذه الحكاية للسعودى عظم اضطرابه ثم قلت وانا اتحفك من كتاب المستصفى تحفة اخرى وذلك لان الغزالى اورد فى مقدمة هذا الكتاب امتحانات فى حدود الاشياء منها فى حد العلم —

ونقل عن الاشعرى انه قال فى حد العلم العلم ما يعلم به ثم بين الغزالى ان هذا التعريف يوجب الدور وطول فى هذا الباب واطنب فى الطعن فى قول الاشعرى ثم انه قال الخبر ما يحتمل الصدق والتكذيب — وهذا يوجب تعريف الشىء بنفسه وهو يوجب الدور ايضا —

اما انه یوجب تعریف الشیء بنفسه فلان التصدیق هو الاخبار عن کونه صدقاً والتکذیب هو الاخبار عن کونه کذبا فکان قوله الخبر ما یحتمل التصدیق والتکذیب جاریا مجری ما اذا قیل الخبر ما یصح الاخبار عنه بانه صدق او کذب وهذا یوجب تعریف الخبر بالخبر —

واما بیان انه یوجب الدور فهو أن الصدق هو الخبر الموافق والکذب هو الخبر المخالف فلما عرفنا الخبر بالصدق والکذب وعرفناهما بالخبر لزم الدور فثبت ان الدور الذی الزمه علی الاشعری فی حد العلم وارد علیه فی حد الخبر —

وایضا قال فی حد الامر انه القول المقتضی لذاته طاعة المأمور بفعل المأمور به —

واقول انه یوجب الدور من ثلاثة اوجه —

فالاول والثانی انه عرف الامر بالمأمور والمأمور به ولایمکن تعریفهما الا بالامر فهو یوجب الدور —

والثالث انه عرف الامر بالطاعة والطاعة عند المعتزلة موافقة للارادة وعندنا موافقة للامر وعلی هذا التقدیر فلا یمکن تعریف الامر الا بالطاعة بالامر ثم انه عرف الامر بالطاعة فثبت ان الدور لازم علیه فیما جعله حدا للامر من الوجوه الثلاثة والعجب انه لما عاب للاشعری بالزام الدور کیف لم یتنبه فی هذه المواضع للزومها علیه فلما سمع المسعودی هذه الکلمات احمر واصفر ولم یجد الی الجواب سبیلا —

المسئلة الثانیة عشر

تکلمت یوما فی بلدة بخارا بحضرة جماعة من اکابرهم فی مسئلة ملک الاخ فقلت ثبوت الحکم فی الفرع یوجب الغاء وصف مناسب معتبر فی الاصل وهذا محذور فذاک محذور —

بیان المقام الاول وهو أن القرابة المحرمیة لو کانت مشارکة لقرابة الولادة فی حصول العتق لانضاف هذا الحکم المشترک بین الفرع والاصل الی الوصف المشترک بینهما ومتی کان الامر کذلک لزم الغاء خصوص کونه قرابة الولاد

لکن

لكن هذه الخصوصية وصف مناسب معتبر فيلزم الغاء الوصف المناسب والغاء هذا الوصف محذور فثبت ان حصول الحكم فى محل النزاع يوجب المحذور فيكون محذورا فهذه مقدمات لابد من بيانها ـ

المقدمة الاولى قولنا لوكان الفرع مشاركا للاصل فى الحكم لوجب تعليل هذا الحكم المشترك فيه بالوصف المشترك بين الصورتين ويدل عليه ان افتقار الحكم المعين الى الوصف المعين اما ان يكون لنفس ماهية ذلك الحكم اولشىء من لوازمها اولأمر غير لازم لهذا ـ

وهذا الثالث باطل لانه لوكان الامر كذلك لكانت ماهية ذلك الحكم مع جميع لوازمها غنية عن تلك العلة وانما المحوج لها الى تلك العلة المعينة مفارق غير لازم فلما كانت الماهية مع لوازمها غنية عنه وكان المقارن الخارجى يحوجها اليه فلو حصلت الحاجة لزم ترجيح المقتضى المقارن الخارج الغريب على مقتضى الماهية وهو محال ولما بطل هذا القسم ثبت ان احتياج ذلك الحكم الى تلك العلة المعينة اما لنفس ماهية ذلك الحكم اولشىء من لوازمها واذا كان الامر كذلك وجب فى كل ما يماثل ذلك الحكم ان يكون معللا بما يماثل تلك العلة واذا ثبت هذا وجب فى الحكم المشترك فيه بين الاصل والفرع ان يكون معللا بالوصف المشترك فيه بين الفرع والاصل ـ

والمقدمة الثانية انه متى كان الامر كذلك لزم الغاء خصوص محل الوفاق وذلك مقطوع به لان الاصل والفرع لابد وأن يتباينا بخصوصهما فالاصل خاصيته انه قرابة الولاد والفرع خاصيته انه قرابة المحرمية فلما كان المقتضى لحصول القدر المشترك بين الصورتين لزم الغاء خصوصية كونه قرابة الولاد وذلك مقطوع به ـ

والمقدمة الثالثة ان خصوصية قرابة الولاد وصف مناسب معتبر فنقول اما بيان كونه مناسبا فلأن نعمة الاب على الابن اعظم من نعمة الاخ على الاخ وهذا معلوم بالضرورة ولهذا فان الله قرن وجوب طاعة الوالدين بوجوب

طاعة الله تعالى فقال (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا)۔
واما تقرير هذا المعنى فى جانب الابن فلأن الولد بعض وجزء من الوالدين قال عليه السلام (فاطمة بضعة منى) وكون الكل مالكا لجزئه محال فثبت ان قرابة الولاد صفة مناسبة وهى ايضا معتبرة لان الحكم حصل مقارنا له۔
المقدمة الرابعة فهى ان الغاء الوصف المناسب المعتبر غير جائز فهذا مجمع عليه بين القائلين بالقياس واذا ظهرت هذه المقدمات ثبت ان القول بحصول المعتق لحصول العتق(١) فى القرابة المحرمية يفضى الى وقوع المحذور فوجب ان لا يحصل دفعا لهذا المحذور۔

واعلم ان هذا الطريق طريق عام عند ما تريد اقامة الدلالة على نفى حكم من الاحكام ولما ذكرت هذا الدليل فى المحفل صعب فهمه على القوم لان هذه المقدمات غير مناسبة للمقدمات التى الفوها وسمعوها فاضطربوا اضطرابا شديدا فى فهمه ومعرفته وصار بعضهم ناصرا ومقررا لهذا الكلام والبعض طاعنا ومبطلا ووقع الخصومة فيما بين الفريقين وقرب الامر من وقوع المشاتمة فقلت للقوم انى انما اسمعتكم هذا الكلام من جانب الشافعى فان شئتم اسمعتكم كلاما غريبا حسنا لطيفا من جانب ابى حنيفة فى هذه المسئلة فقالوا وما ذلك الكلام فقلت القول بعدم وقوع العتق يفضى الى التعارض بين النصين والتعارض بين نصين محذور فوجب القول بحصول العتق دفعا لهذا المحذور وبيان افضائه الى التعارض انه اذا اشترى اخته فلو قلنا انها لا تعتق فهى لكونها مملوكة له وجب ان يحل وطؤها لقوله تعالى (الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم) ولكونها اختا له وجب ان لا يحل وطؤها لقوله تعالى (حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم) فثبت ان يقال الملك عليها يفضى الى التعارض بين هذين النصين والتعارض محذور فوجب حصول العتق ازالة لهذا التعارض فلما سمعوا النكتة الغريبة طابت قلوبهم وقاموا من ذلك المجلس مع السرور والفرح۔

---

(١) كذا المسئلة

المسئلة الثالثة عشر

مر على لسانى فى بعض الايام حين كنت ببخارا ان القول بوقوع تكليف مالا يطاق ليس ببعيد وصعب هذا على اكثر فقهاء الحنفية وبالغوا فى الاستبعاد فقلت لهم انتم اصحاب البحث والنظر وارباب الانصاف والذكاء فلا يليق بكم الاصرار على الاستبعاد فان رضيتم بذكر الدليل فاقوله والا فالسكوت اولى. فلما سمعوا هذا الكلام قالوا فاذكر الدليل فقلت هل تعلمون ان مذهب ابى حنيفة ان الاستطاعة مع الفعل لا قبله فقالوا نعم. فقلت فعلى هذا المذهب القدرة على الايمان لا تحصل الا حال حصول الايمان فقبل حصول الايمان هو مأمور بالايمان فثبت انه حصل الامر بالايمان حال عدم القدرة على الايمان ولا معنى لتكليف ما لا يطاق الا ذلك فبقوا ساكتين مبهوتين غير قادرين على الجواب البتة ـ!

قلت ومما يدل عليه ان الله تعالى كلف ابا لهب بالايمان ومن الايمان تصديق الله تعالى فى كل ما اخبر عنه ومما اخبر عنه انه لا يؤمن فقد صار ابو لهب مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين فلما سمعوا هذا الكلام قلت لهم هذا الدليل مركب من مقدمات ثلاث ـ

فاولها قولنا ابو لهب مكلف بالايمان ـ

وثانيها قولنا ومن الايمان تصديق الله تعالى فى كل ما اخبر عنه ـ

وثالثها قولنا ومما اخبر عنه انه لا يؤمن ومتى تمت هذه المقدمات الثلاث لزم كونه مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن فتفكروا وتأملوا حتى تعرفوا انه على اى هذه المقدمات الثلاث يمكن ايراد المعارضة والمنازعة فاضطربوا اضطرابا شديدا فكلما اورد واحد منهم المنع على مقدمة من هذه المقدمات الثلاث قال الباقون وقالوا هذا المنع باطل وطالت الخصومة بينهم وبقيت ساكتا غير محتاج الى البيان والتقرير لان كل منع يذكره الواحد منهم يطيق الباقون على تقبيح كلامه وطالت الخصومات والله اعلم بالصواب ـ

المسئلة الرابعة عشر

مذهب اهل ما وراء النهر ان الله تعالى متكلم بكلام قديم قائم بذاته منزه عن الحرف والصوت كما هو مذهب الاشعرى الا ان الفرق ان الاشعرى يقول ذلك الكلام يصح ان يكون مسموعا واما ابو منصور الماتريدى واتباعه من اهل ماوراء النهر فانهم يقولون انه يمتنع ان يكون ذلك الكلام مسموعا فتكلموا معى فى هذه المسئلة ـ

فقلت لهم ان المعتزلة استدلوا على امتناع الرؤية فقالوا ثبت بالدليل ان الله تعالى ليس بجسم وليس مختصا بالجهة والحيز وليس له شكل ولا لون وكل موجود كذلك فانه يمتنع رؤيته فقلتم فى الجواب عنه لم قلتم ان الموجود الموصوف بهذه الصفات امتنع رؤيته وباى دليل عرفتم هذا الامتناع وانا اقول كما انه يستبعد سماع كلام لا يكون حرفا ولا صوتا فكذلك يستبعد رؤية موجود لا يكون جسما ولا حاصلا فى جهة معينة فان كان هذا الاستبعاد معتبرا فليكن معتبرا فى الموضعين وحينئذ تلزمكم بامتناع رؤيته وان كان باطلا فى الموضع(١) وحينئذ تلزمكم ان تحكموا بانه لايمتنع سماع كلام لا يكون حرفا ولا صوتا فانقطعوا بالكلية وعجزوا عن الفرق والله اعلم ـ

المسئلة الخامسة عشر

لما ذهبت الى سمرقند وبقيت سنين ثم عدت الى بخارا تكلمت مع الرضى النيسابورى مرة اخرى فقلت خيار المجلس ثابت فى عقد المعاوضات ـ

والدليل عليه انه لم يرض باللزوم فوجب ان لا يحصل اللزوم وانما قلنا انه لم يرض باللزوم لانه رضى بالبيع فقط لان الكلام فيما اذا قال بعت واشتريت ولم يذكر شيئا آخر ـ

وانما قلنا ان الرضا بالبيع لا يكون رضا باللزوم بحسب اللفظ لانه اطبق اهل الشرع على ان البيع ينقسم الى البيع الجائز واللازم فلما كان مسمى البيع منقسما الى هذين القسمين وثبت فى صريح العقل ان ما به المشاركة مغاير لما به

(١) كذا ـ والظاهر ففى الموضعين ـ

المباينة ثبت ان کونه بیعا غیر کونه لازما ـ

وانما قلنا انه لا یدل علیه بمعناه لان الدلالة المعنویة عبارة عن دلالة الملزوم علی اللازم الضروری اولازمه الغالب واللزوم لیس من لوازم البیع لا قطعا ولا ظاهرا ـ

اما انه لیس من لوازمه قطعا فلان البیع جهة الاشتراك واللزوم جهة الامتیاز وجهة الامتیاز یمتنع کونها لازمة لجهة الاشتراك قطعا واما انه لیس من لوازمه ظاهرا فلان البیاعات تراد لطلب الربح ودفع الخسران فاذا وجد سلعة لا یعرف کیفیة الحال فیها فان لم یقدم علی شرائها فاتته تلك السلعة فیفوته الربح وان صار البیع لازما بمجرد البیع لم یقدر علی مهلة التروی والتفکر فیلزم الخسران وان حاول شراءها بشرط الخیار فلعل البائع لایساعده علیه فثبت ان الاصلح ان ینعقد العقد غیر لازم فی مجلس العقد واذا کان الاصلح الاصوب لیس الا تلك امتنع القول بکون اللزوم من لوازم ماهیة البیع غالبا فثبت ان اللزوم لیس من لوازم البیع قطعا ولاظاهرا ـ

فقلت انه لم یوجد الرضا باللزوم فوجب ان لا یحصل اللزوم بالوجوه الاربعة التی ذکرناها فی مسئلة ان الوکیل بالبیع المطلق لا یملك البیع بالغبن الفاحش ـ

قال الرضی النیسابوری هب ان مسمی البیع من حیث انه بیع قدر مشترك بین البیع الجائز واللازم فلم قلتم بان البیع المسکوت عن اثبات شرط الخیار مشترك فیه بین البیع الجائز واللازم ـ

قلت لما ثبت ان البیع من حیث انه بیع لا اشعار له باللزوم فنقول حینئذ وجب ان یقال البیع المسکوت عن اثبات شرط الخیار لا یکون مستلزما للزوم لان البیع مع السکوت بیع مع قید عدمی لان السکوت عدمی والعدمی لا یصلح ان یکون موجبا للزوم ـ

اما ان السکوت قید عدمی فلان السکوت معناه انه لم یقل شیئا ولم ینقل امرا ولم یتصرف فی قول ولا فعل ولا شك ان هذا المعنی عدم محض ـ

واما ان القيد العدمی لا يمكن ان يكون علة فبيانه ان قولنا انه علة نقيض لقولنا انه ليس بعلة و قولنا ليس بعلة عدم محض و قولنا انه علة رافع لقولنا انه ليس بعلة ورافع العدم ثبوت لامحالة فوجب ان يكون المفهوم من قولنا علة قيدا ثبوتيا فلو وصفنا العدم المحض بكونه علة لزم قيام الصفة الموجودة بالعدم المحض والنفی الصرف وانه محال ـ

فقال الرضی هب ان هذا الدليل يدل على ان العدم ليس بعلة فلم قلتم انه لايكون جزء العلة ونحن لا نقول ههنا السكوت تمام العلة الموجبة لحصول اللزوم وانما نقول البيع مع هذا السكوت علة لحصول هذا اللزوم فنحن ما جعلنا العدم تمام العلة وانما جعلناه جزء العلة فما الدليل على ان العدم لايجوز جعله جزء العلة ـ

قلت جزء العلة علة تامة لعلية العلة فلما ثبت انه لا يكون علة تامة لايكون جزء علة وانما قلنا ان جزء العلة علة تامة لعلية العلة لانه اذا حصل جميع اجزاء العلة سوى هذا القيد العدمی فان حصل هذا المعلول لم يكن هذا القيد العدمی معتبرا وقد فرضناه معتبرا هذا خلف ـ

واما اذا حصل هذا القيد العدمی فان لم يحصل المعلول افتقر الى انضمام قيد آخر اليه وهذا يقدح فی قولنا ان جميع الاجزاء المغايرة لهذا القيد العدمی كان حاصلا ولما بطل القسمان ثبت ان عند فقد ان هذا القيد العدمی لا يصير علة للحكم وعند انضمام هذا القيد العدمی يصير علة فثبت ان هذا المجموع صار علة بعد علة بعد ان لم يكن علة ولا علة لحصول تلك العلية البتة الا هذا القيد العدمی فثبت بهذا البرهان ان جزء العلة علة تامة لعلية العلة فلو جعلنا العدم جزءا من العلة لزم جعل ذلك العدم علة تامة لتلك العلية ولما دللنا على ان البيع يمتنع كونه علة ثبت ايضا انه يمتنع جعله جزء العلة فاستحسن القوم هذه الكلمات ـ

ثم ان الشيخ رضی الدين رحمه الله اورد دخلا ثالثا فقال هب ان مسمى البيع قدر مشترك بين البيع الجائز واللازم الا ان قول الرجل لغيره بعت واشتريت فرد معين من الافراد الداخلة تحت تلك الماهية الكلية فلم قلتم ان هذا الفرد

مشترك

مشترك فيه بين الجائز واللازم ـ

قلت لما ثبت ان ماهية البيع لا توجب اللزوم وجب ان لايكون هذا المعنى وهذا الشخص موجبا للزوم لانه ثبت فى العلوم العقلية ان تعين الشيء المتعين قيد عدمى وقد دللنا على ان القيد العدمى لايصلح للعلية وانما قلنا ان التعين قيد عدمى لانه لوكان التعين قيدا وجوديا فذلك القيد له تعين آخر فيلزم ان يكون للتعين تعين آخر وذلك يوجب التسلسل وهو محال ـ

فثبت ان التعين قيد عدمى وثبت القيدان (١) العدمي لايصلح للعلية فثبت ان التعين لايصلح ان يكون علة لحصول اللزوم ولما اجيب عن هذه الشبهات الثلث التى ذكرها الرضى النيسابورى تشوش الكلام عليه واخذ ينقز من هذا الدخل الى الدخل الاول تارة والى الدخل الثانى اخرى واتى بالاضطراب العظيم والشغب الشديد وكان قد حضر معه من اصحابه مايقرب من اربعة مائة ـ

فقلت ايها الشيخ الامام انه قد اشتهر عنك انك رجل محب العدل والانصاف بعيد عن الخبط والاضطراب فانا التمس منك ان لاتترك تلك الطريقة المحمودة فى هذا اليوم فلما سمع هذا الكلام استحى وقال معاذ الله استحسن ان اخوض فى الاضطراب فقلت له اما تلك المداخلات الثلاث فقد كانت معلومة وقد اجيب عن كل واحد منها فيماسبق واما هذا الكلام الرابع ولاادرى انه اعادة المداخلات الثلاثة اودخل رابع جديد فالاليق بفضلك ان تلخص الكلام حتى يمكن الخوض نفيا واثباتا فاستحسن وسكت ـ

ثم قال بعض الحاضرين هذا الدليل يبطل مذهبك لان البيع مفهوم مشترك بين الجائز واللازم فكما يمتنع كون البيع سببا لحصول اللزوم فكذلك يمتنع كونه سببا لحصول الجواز فوجب ان لا يبقى هذا البيع جائزا واذا لم يكن جائزا كان لازما فقلت هذا الدخل احسن شيء يمكن ايراده على هذا الدليل وقد كان هذا معلوما مقررا عندى ولا يمكن ذكر الجواب عنه الابالرفق والسهولة ثم قلت ههنا مقدمة

(١) لعله ان القيد العدمى ـ

فى المعقولات وهى انه لايمتنع كون الشيء ممكنا لذاته ثم يصير واجبا لغيره لكنه يمتنع كون الشيء واجبا لذاته ثم يصير ممكنا لغيره —

اذا ثبت هذا فنقول عقد البيع انعقد جائزا لذاته فان انضاف اليه سبب يوجب اللزوم يصير حينئذ لازما وعلى هذا التقدير يكون جائزا لذاته لازما بسبب غيره وهذا معقول فان لم يوجد سبب اللزوم بقي على الجواز الاصلى لان سبب العدم ليس الاعدم السبب —

اما لو قلنا انه انعقد لازما لذاته ثم يصير جائزا لاجل السبب المنفصل كان هذا جاريا مجرى ما يقال ان هذا الموجود واجب لذاته ثم صار ممكنا بسبب منفصل وهذا قول مخالف للعقول فثبت ان الفرق ظاهر بين البابين — ولما سمع الرضى هذا الكلام قال بصوت خفى انه لايمكن ان يذكر فى الفقهيات كلام احسن من هذا ثم ان القوم اوردوا الكلمات المألوفة المذكورة فى المسئلة وثبت ان شيئا منها لايمس كلامى واختمت المسئلة وانطلقت الالسنة بالمدح والثناء والتعظيم وكان الاكابر منهم يجيئون الى ومن الله الفضل والكرم —

المسئلة السادسة عشر

لما ذهبت الى سمرقند وكان قد وصل الى الصيت العظيم من الفريد الغيلانى رحمه الله ولعمرى لقد كان رجلا مستقيم الخاطر حسن القريحة الا انه كان قليل الحاصل وكان بعيدا عن النظر ورسوم الجدل —

فلما دخلت سمرقند ذهبت الى داره فى الحال وكنت قد سمعت انه رجل عظيم التواضع حسن الخلق فلما دخلت داره وجلست مع اصحابى بقيت زمانا طويلا فى انتظاره وترك الطريقة المشهورة فى التواضع وحسن الخلق فتأذيت بسبب ابطائه فى الخروج وتأثرت جدا لهذا السبب ولما خرج وجلس ما اكرمته اكراما كثيرا بل كنت آتى بافعال واقوال تدل على اهانته وذلك لان المكافاة بالطبيعة واجبة —

فلما تسارعت الى داره على ظن انه كريم النفس بعيد عن الاخلاق الذميمة لما

قابل

قابل ذلك الاحسان بالاساءة وقع فی الخاطر مقابلة اساءته بما يليق بها جريا على مقتضى قوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وكنت قد سمعت ان الناس يقرؤن عليه تصانيفی كالملخص وشرح الاشارات والمباحث المشرقية وسمعت ايضا انه صنف كتابا فی حدوث العالم فلما شرعنا فی الحديث قلت سمعت انك صنفت كتابا فی حدوث الاجسام فقال ان ابا علی بن سينا صنف رسالة فی الجواب عن الدلائل المذكورة فی ابطال حوادث لا اول لها وانی اجيب عن تلك الرسالة وبينت ان كلامه ضعيف ـ

فقلت ياسبحان الله القول بان الجسم قديم يحتمل وجهين ـ

الاول ان يقال الجسم فی الازل كان متحركا وهو قول ارسطوطاليس واتباعه ـ والثانی ان يقال الجسم فی الازل كان ساكنا ثم تحرك فهب انك ابطلت القسم الاول كما هو مذهب ارسطاطاليس وابی علی الا ان بمجرد ابطال ذلك القسم لا يثبت حدوث الجسم فما الدليل على فساد القسم الثانی وهو القول بان تلك الاجسام كانت ساكنة فقال الفريد الغيلانی انی لا اتكلم فی هذه المسئلة الامع أبی علی فلما ابطلت قوله بالحركات الازلية كفانی تلك فی اثبات حدوث الاجسام فقلت له فاذا جاءك محمد بن زكريا الرازی وقال اشهدوا علی بانی لا اعتقد كون الاجسام متحركة فی الازل بل اعتقد انها كانت ساكنة فی الازل ثم انها تحركت فی لايزال فكيف تبطل قوله وبای طريق تدفع مذهبه فاصر الغيلانی على قوله انی لا التزم اقامة البرهان على حدوث الاجسام وانما التزم ابطال قول ابی علی فقلت فعلى هذا الطريق لايكون هذا البحث بحثا علميا عقليا وانما هونوع من انواع المجادلة مع انسان معين على قول معين ـ

ثم قلت فهب انا نكتفی بهذا القدر فاذكر الدليل الذی دل على فساد القول بحوادث لا اول لها ـ

فقال الدليل عليه انه لو لم يكن لها اول لكان قد دخل فی الوجود ما لا نهاية له ودخول ما لا نهاية له فی الوجود محال ـ

قلت ما الذی عنیت بقولك انه لو كان لااول للحوادث لزم دخول مالا نهاية له فی الوجود فان عنیت انه یلزم الحكم بدخول حادث قبل حادث لا الی اول فی الوجود فحینئذ یصیر التالی عین المقدم ویصیر كانك قلت لو كان كل حادث مسبوقا بحادث آخر لا الی اول لزم ان یكون كل حادث مسبوقا بحادث آخر لاالی اول وعلی هذا التقدیر یصیر التالی فی هذه الشرطیة عین المقدم وهو فاسد وان عنیت بقولك لكان قد دخل مالا نهایة له فی الوجود شیأ آخر سوی ما ذكرناه فاذكر تفسیره حتی نعرف انه هل یلزم من ذلك المقدم هذا التالی ام لا ـ فتغیر وجه الرجل واضطرب عقله وقال لا حاجة بنا الی تفسیر بل تقول ان دخول مالا نهایة له فی الوجود محال علی جمیع التفسیرات فالعلم بامتناعه ضروری فقلت علی تقدیر ان یكون المراد من دخول مالا نهایة له فی الوجود هو كون كل واحد منها مسبوقا بآخر لاالی اول كان ادعاء دخول مالا نهایة له فی الوجود عبارة عن ادعاء انه یمتنع كون كل واحد منها مسبوقا بآخر لا الی اول ـ

فهذه القضیة ان كانت معلومة الامتناع بالبداهة فكیف شرعت فی اقامة البرهان علی ابطالها لان البدیهیات غنیة عن الدلیل وان كانت غیر بدیهیة افتقرت الی الدلیل ولما لم یكن لقولك (١) یلزم دخول ما لا نهایة له فی الوجود الامجرد كون كل واحد منها مسبوقا بآخر لاالی اول فحینئذ یلزمك كون الدلیل عین المدلول وذلك باطل لان بمجرد تغیر العبارة لایحصل المطلوب ـ

ولما انتهی الكلام الی هذا المقام وقف ولم یذكر شیأ آخر البتة ثم قلت وههنا مقام آخر اهم مما ذكرناه وهو انا نبحث عن كیفیة محل النزاع وذلك لانا نقول اما ان ندعی ان لامكان حدوث الحوادث اولا وبدایة واما ان ندعی انه لا اول لامكان حدوثها ولابدایة لصحة وجودها ـ

فان قلنا ان لا مكان حدوثها اولا وبدایة فقبل ذلك المقدار لزم ان یكون اما واجبا لذاته او ممتنعا لذاته ثم انقلب ممكنا لذاته فان كان واجبا لذاته كان القول بالقدم الزم وان كان ممتنعا لذاته ثم انقلب ممكنا لذاته لزم انقلاب الشیء من الامتناع

(١) كذا ـ

 الذاتی

الذاتی الی الامکان الذاتی او الوجوب الذاتی وحینئذ ینسد باب اثبات العلم للصانع —

وان قلنا انه لیس لامکان حدوث الحوادث اول فحینئذ قد سلمت انها ممکنة الحصول فی الاول فکیف تدعی مع هذا انها ممتنعة الحصول فی الازل فان هذا یقتضی الجمع بین النقیضین وذلک لایقوله عاقل فتوقف الغیلانی زمانا طویلا وتلون وجهه واضطرب اعضاؤه ثم بعد زمان طویل قال وجدت الجواب عن هذا السؤال —

فقلت وما هو فقال ان العالم قبل دخوله فی الوجود عدم محض ونفی صرف والعدم المحض والنفی الصرف یمتنع الحکم علیه بان امکانه ینتهی الی اول او لا ینتهی الی اول واذا امتنع هذا الحکم علیه فقد سقط السؤال فقلت هذا الکلام مدفوع من وجهین —

الاول انک تقول کونه معد وما یمنع من صحة الحکم علیه وهذا الکلام متناقض لان قولک انه یمتنع الحکم علیه یفید الحکم علیه بهذا الامتناع والحکم علیه یوجب الجمع بین النقیضین وانه محال —

الوجه الثانی هب ان العالم معدوم فیمتنع الحکم علیه ألیس ان قدرة الله تعالی موجودة فی الازل ولا شک ان الموجود یصح الحکم علیه فنقول صحة تأثیر قدرة الله تعالی فی ایجاد الممکنات اما ان یکون لها اول واما ان لا یکون لها اول وحینئذ یعود التقسیم المذکور بتمامه وعند هذا بقی الرجل ساکتا عاجزا عن الکلام —

والحمد لله علی افضاله والصلاة علی سیدنا محمد وآله —

تمت الرسالة بعونه تعالی وحسن توفیقه

خاتمة الطبع

الحمد لله الخالق العلام والصلوة على رسوله وآله الكرام واصحابه الاتقياء النجباء العظام وبعد فقد نجز طبع مناظرات الامام الهمام والحبر القمقام العلامة فخر الدين الرازى وغيره تغمدهم الله برحمته فى دار جنات النعم ـ ولقد وجدنا نسخة هذه الرسالة فى المكتبة الآصفية الواقعة بحيدرآباد الدكن وكانت نسخة واضحة الكتابة غير انها كانت جديدة الخط فانتسختناها وطبعناها فتمت بحمد الله بغاية الحسن والكمال والحمد لله على كل حال وذلك فى صفر المظفر سنة خمس وخمسين وثلثمائة بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل صلاة وتحيه



اعلان

جس کتاب پر مجلس دائرة المعارف العثمانیه کی مهر یا عهد دار متعلقه کے
دستخط نه هون خریدار اسکو مال مسروقه سمجهین اور ایسی کتاب کو
بمقتضاء احتیاط هرگز خرید نه فرمائین ـ

المعلن
مهتمم مجلس دائرة المعارف العثمانیه

صنع الله الذى اتقن كل شيء

(هذه)

رسالة في فضيلة العلوم والصناعات

للحكيم ابي نصر محمد بن محمد

ابن طرخان الفارابى رحمه الله

وجعل الجنة مثواه المتوفى

سنة تسع وثلاثين

وثلاث مائة

(الطبعة الاولى)

بمطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمدينة

حيدر آباد الدكن سنة (١٣٤٠) هجرية



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ فصل ﴾

قال ابو نصر محمد بن محمد الفارابي رحمه الله — فضيلة العلوم و الصناعات انما تكون باحدى ثلاث — اما بشرف الموضوع — و اما باستقصاء البراهين واما بعظم الجدوى الذي فيه سواء كان منتظرا او محتضرا — اما ما يفضل على غيره لعظم الجدوى الذي فيه فكالعلوم الشرعية و الصنائع المحتاج اليها في زمان زمان و عند قوم قوم — و اما ما يفضل على غيره لاستقصاء البراهين فيه فكالهندسة — و اما ما يفضل على غيره لشرف موضوعه فكعلم النجوم — وقد يجتمع الثلاثة كلها او الاثنان منها في علم واحد كالعلم الالهى *

﴿ فصل ﴾

قد يحسن ظن الانسان بالعلم الواحد فيظنه اكثر و احسن و احكم

واوضح

و اوضح مما هو فذلك اما التقصير و نقص يكونان في طبعه فلا تقدر معهما على الوقوف على حقيقة ذلك العلم و اما لانه لم يبلغه ما يعانده الذي عنده — و اما لفضيلة المستنبطين له والمتمسكين به — و اما لكثرتهم — واما الحرص الانسان على نيل ما يرجو انه يحصل من ذلك العلم و جلالة فائدته و عموم النفع فيه لو صح وتحقق — واما الاجتماع اكثر هذه الاسباب فيه و قد يخرج مثل هذا الظن الانسان الى قبول ما ليس بكلي على انه كلي و ما ليس بمنتج من القياسات على انه منتج وما ليس ببرهان على انه برهان *

﴿ فصل ﴾

اذا وجد شيئان متشابهان ثم ظهر ان شيئا ثالثا هو سبب لاحدهما فان الوهم يسبق ويحكم بانه ايضاً سبب للآخر فذلك لا يصح في كل متشابهين اذ التشابه قد يكون لعرض من الاعراض وقد يكون بالذات و القياس الذي يتركب في الوهم فيوجب ما ذكر انه قياس مركب من قياسين — ومثال ذلك ان الانسان مشاء والانسان حيوان والمشاء حيوان والفرس شبيه بالانسان في انه مشاء فهو ايضاً حيوان و هذا لا يصح في جميع المواضع اذ القفنس ابيض وهو حيوان والاسفيداج ابيض لكنه ليس بحيوان *

﴿ فصل ﴾

امور العالم واحوال له نوعان (احدهما) امور لها اسباب عنها تحدث وبها توجد كالحرارة عن النار و عن الشمس توجد للاجسام المجاورة والمحاذية لهما وكذلك سائر ما اشبهها (والنوع الآخر) امور اتفاقية ليست لها اسباب معلومة — كموت انسان اوحياته عند طلوع الشمس

او عند غروبها * فكل امر له سبب معلوم فانه معد لان يعلم و يضبط و يوقف عليه * وكل امر هو من الامور الاتفاقية فانه لا سبيل الى ان يعلم و يضبط و يوقف عليه البتة بجهة من الجهات — والاجرام العلوية علل و اسباب لتلك وليست بعلل و اسباب لهذه *

﴿ فصل ﴾

لو لم تكن في العالم امور اتفاقية ليست لها اسباب معلومة لا رتفع الخوف و الرجاء و اذا ارتفعا لم يوجد في الامور الانسانية نظام البتة لا في الشرعيات و لا في السياسيات لانه لو لا الخوف و الرجاء لما اكتسب احد شيئا لغده و لما اطاع مرؤوس لرئيسه و لما غنى رئيس بمرؤوسه و لما احسن احد الى غيره و لما اطيع الله و لما قدم معروف — اذا الذى يعلم جميع ما هو كائن في غد لا محالة على سكون ثم يسعى سعيا فهو عابث احمق يتكلف بما يعلم انه لا ينتفع به *

﴿ فصل ﴾

كل ما يمكن ان يعلم او يحصل قبل وجوده بجهة من الجهات فهو كالعلوم المحصلة و ان عاقت عنه عوائق او تراخت به المدة — و اما ما لا يمكن ان يكون به تقدمة معرفة فذلك الذى لا يرجى الوقوف عليه الا بعد وجوده *

﴿ فصل ﴾

الامور الممكنة التي وجودها ولا وجودها متساويان ليس احدهما اولى من الآخر لا يوجد عليها قياس البتة اذ القياس انما يوجد له نتيجة واحدة فقط اما موجبة و اما سالبة و اي قياس ينتج الشيء و ضده فليس يفيد

علما

علما لانه انما يحتاج الى القياس ليفيد علما بوجود الشيء فقط او لا وجوده من غير ان يميل الذهن الى طرفي النقيض جميعا بعد وجود القياس اذا الانسان من اول الامر واقف بذهنه بين وجود الشيء ولا وجوده غير محصل احدهما فاي فكر او قول لا يحصل احد طرفي النقيض ولا ينفي الآخر فهو هدر و باطل *

﴿ فصل ﴾

التجاريب انما ينتفع بها في الامور الممكنة على الاكثر لا غير * واما الضروريات والممتنعات) فظاهر من امرهما ان الروية والاستعداد والتأهب والتجربة لا تستعمل فيهما وكل من قصد لذلك فهو غير صحيح العقل * واما الجزم فقد ينتفع به في الامور الممكنة في الندرة وفي التي على التساوي * .

﴿ فصل ﴾

قد يظن بالافعال والآثار الطبيعية انها ضرورية كالاحراق في النار والترطيب في الماء والتبريد في الثلج وليس الامر كذلك لكنها ممكنة على الاكثر لاجل ان الفعل انما يحصل باجتماع معنيين (احدهما) تهيؤ الفاعل للتأثير (والآخر) تهيؤ المنفعل للقبول فمهما لم يجتمع هذان المعنيان لم يحصل فعل ولا اثر البتة — كما ان النار وان كانت محرقة فانها متى مالم تجد قابلا متهيأ للاحتراق لم تحصل الاحتراق — وكذلك الامر في سائر ما اشبههما * وكلما كان التهيؤ في الفاعل والقابل جميعا اتم كان الفعل اكمل * ولو لا ما يعرض من التمنع في المنفعل لكانت الافعال والآثار الطبيعية ضرورية *

﴿ فصل ﴾

لما كانت الامور الممكنة مجهولة سمي كل مجهول ممكنا وليس الامر كذلك اذ العكس في هذه القضية غير صحيح على المساواة لكنه على جهة الخصوص والعموم فان كل ممكن مجهول وليس كل مجهول بممكن ولاجل الظن السابق الى الوهم ان المجهول ممكن صار الممكن يقال بمعنيين احدهما ما هو ممكن في ذاته والآخر ما هو ممكن بالاضافة الى من يجهله وصار هذا المعنى سببا لغلط عظيم وتخليط مضر حتى ان اكثر الناس لا يميزون بين الممكن والمجهول ولا يعرفون طبيعة الممكن *

﴿ فصل ﴾

ان اكثر الناس الذين لا حنكة (١) لهم لما وجدوا امورا مجهولة بحثوا عنها وطلبوا علمها ونقروا عن اسبابها حتى توصلوا الى معرفتها وصارت لهم معلومة فاحسنوا الظن بما هو ممكن بطبعه وظنوا انه انما يجهلونه لقصورهم عن ادراك سببه وانه سيوصل الى معرفته بنوع من البحث والتفتيش ولم يعلموا ان الامر في طبيعته ممتنع لان يكون به تقدمة معرفة البتة بجهة من الجهات اذ هو ممكن الطبيعة وما هو ممكن فهو بطبعه غير محصل ولا محكوم عليه بوجوده اولا وجوده *

﴿ فصل ﴾

الاسماء المشتركة قد تصير سببا للاغلاط العظيمة فيحكم على اشياء بما لا يوجد فيها لاجل اشتراكها في الاسم مع ما يصدق عليه ذلك الحكم كالاحكام النجومية * فان قولنا الاحكام النجومية مشتركة لما هي

(١) الحنكة بالضم التجربة ١٢ محيط المحيط ولسان العرب

ضرورية

ضرورية كالحسابيات والمقاديريات منها * ولما هي ممكنة على الاكثر كالتاثيريات الداخلة في الكيف * ولما هي منسوبة اليها بالظن والوضع وبطريق الاستحسان والحسبان * وهذه في ذواتها مختلفة الطباع وانما اشتراكها في الاسم فقط * فان من عرف بعض اجرام الكواكب وابعادها ونطق بذلك فقد يقال انه حكم بحكم نجومي فذلك داخل في جملة الضروريات اذ وجوده ابداً كذلك * ومن عرف ان كوكباً من الكواكب كالشمس مثلا اذا حاذت مكاناً من الامكنة فانه يسخن ذلك المكان ان لم يكن هناك مانع من جهة قابل السخونة ونطق بذلك فقد حكم ايضاً بحكم نجومي وهو داخل في جملة الممكنات على الاكثر * ومن ظن ان الكوكب الفلاني متى قارن او اتصل بالكوكب الفلاني استغنى بعض الناس او حدث به حادث ونطق بذلك فقد حكم ايضاً بحكم نجومي وهو داخل في جملة الامور الظنية والاستحسانية والحسبانية * وطبيعة كل حكم من هذه الاحكام مخالفة للطبيعة الباقية فاشتراكها انما هو في الاسم فقط وكذلك قد يلتبس ويشتبه الامر فيها على اكثر الناس اذ هم غير محتنكين ولا متدربين ولا مرتاضين بالعلوم الحقيقية اعني الضرورية البرهانية *

﴿ فصل ﴾

مشاهدات الاجرام المضيئة العلوية مؤثرة في الاجرام السفلية بحسب قبول هذه منها كما يظهر من حرارة ضوء الشمس وكثرة ضوء القمر وضوء الزهرة وما يظهر من فعلها انما هو بتوسط اضوائها المبثوثة (١) لا غير *

(١) المبثوث المبسوط والمنتشر ١٢ محيط المحيط

﴿ فصل ﴾

القدماء مختلفون في الاجرام العلوية هل هي بذواتها مضيئة ام لا فبعضهم قالوا ليس في العالم جرم مضيئ بذاته سوى الشمس وكل ما سواها من الكواكب يستضيئ منها واستدلوا على صحة قولهم بالقمر والزهرة فانهما يكسفان للشمس حيث حالتا فيما بينها وبين البصر * وبعضهم قالوا ان جميع الكواكب الثابتة مضيئة بذواتها وان السيارة مستضيئة من الشمس فعلى اي هاتين الجهتين كانت فان تأثيرها بتوسط اضوائها الذاتية او المكتسبة غير مستنكر ولا مدفوع *

﴿ فصل ﴾

معلوم ان الكواكب متى استجمعت انوارها مع ضوء الشمس على جسم من الاجسام السفلية اثرت فيه اثرا مخالفا للمأثر عند انفرادها عنه وذلك مختلف بالاكثر والاقل والاشد والاضعف والازيد والانقص وبمقدار تهيؤ ذلك الجسم في الازمنة المختلفة لقبول ذلك الاثر * وايضاً فان بين الاجسام تفاوتا في القبول * وهذه هي الخواص التي موجودة وفاعلة وان كانت غير مضبوطة بمقادير هاوهيآتها على الاستقصاء والاستيفاء *

﴿ فصل ﴾

العلل والاسباب اما ان تكون قريبة واما ان تكون بعيدة (والقريبة) معلومة مدركة مضبوطة على اكثر الامور * وذلك مثل حمي الهواء من انبثاث ضوء الشمس فيه (والبعيدة) قد يتفق ان تصير مدركة معلومة مضبوطة * وقد تكون مجهولة فالمضبوطة المدركة منها كالقمر يمتلئ ضوأ ويسامت بحرا فيمتد فيسقي الارض فينبت الكلأ

فيرتمها الحيوان فيسمن فيربح عليها الانسان فيستغني و كذلك ما اشبهها *

﴿ فصل ﴾

لا تستنكر ان يحدث في العالم امور لها اسباب بعيدة جداً فلا تضبط لبعدها فيظن بتلك الامور انها اتفاقية و انها من حيز الممكن المجهول مثل ان تسامت الشمس بعض الاماكن الندية فترتفع عنها البخارات كثيرة فتنعقد منها سحائب وتمطر عنها امطار وتتكون بها اهوية فتتعفن بها ابدان فتعطب فيهم اقوام فيستغنون غير الذي يزعم انه قد وجد سبيل الى معرفة وقت استغناء هؤلاء القوم ومقداره * وجهته من غير اقتفاء السبيل الذي ذكرت مثل تفاؤل او عيافة او استخراج حساب او مناسبة بين اجسام او اعراض فهو مدع ما لا يذعن له عقل صحيح البتة *

﴿ فصل ﴾

امور العالم واحوال الانسان فيها كثيرة و هي مختلفة فمنها خير و منها شر و منها محبوب و منها مكروه و منها جميل و منها قبيح و منها نافع و منها ضار فاي واضع وضع بازاء كثرة افعاله كثرة من امور العالم مثل حركات البهائم او اصوات الطيور او كلمات مسطورة او فصوص ممموله او سهام منشورة او اسامي مذكورة او كلمات من حركات النجوم و ما اشبه ذلك مما فيه كثرة فانه قد يصادف بين تلك الاحوال و بين ما وضع مما ذكر اي كثرة كانت مناسبة يقيس بها بين هذه و بين تلك * ثم قد تتفق فيها اشياء تعجب الناظر فيها و المتأمل بها الا ان ذلك لا عن ضرورة و لا عن وجوب ينبغي للعاقل ان يعتمدها و انما هو

اتفاق يركن اليه من كان في عقله ضعف اما ذاتي او عرضي فالذاتي هو ما يكون في الانسان الغبي الذى لا تجارب معه اما لصغر سنه واما لغباوة طبعه والعرضي هو ما يكون للانسان عند ما يغلب عليه بعض الآلام النفسانية مثل شهوة مفرطة او غضب مفرط او حزن او خوف او طرب او ما اشبه ذلك *

﴿ فصل ﴾

مزية حركات الاجرام العلوية والمناسبات التي بينها على ما سوى ذلك من اصوات الطيور وحركات البهائم وخطوط الاكتاف وجداول الاكف واختلاجات الاعضاء وسائر ما يتفاءل ويتطير بها ومنها انما هو بمعنيين اثنين احدهما هو ان تلك الاجرام هي مؤثرة في الاجسام السفلية بكيفياتها فهى لذلك مظنون بها انها مؤثرة ايضا لاتصالاتها وانصرافاتها وظهورها وغيبوبتها وتقاربها وتباعدها والآخر انها ثابتة بسيطة شريفة بعيدة عن الفسادات *

﴿ فصل ﴾

ليت شعري لما وجدت النغم التاليفية بعضها منافرة وبعضها ملائمة وبعضها اشد ملائمة وبعضها اشد منافرة ما الذى يوجب ان يكون حلول الكوكب في الدرجات التي تناسب في العدد تلك النغم ايضا حالها في المساعد والمناحس كذلك مع ما هو من المتفق عليه ان تلك الدرجات وتلك البروج انما هى بالوضع لا بالطبع وليس هنالك البتة تغير وتخالف طبيعي *

الم

﴿ فصل ﴾

الم تعلم ان الاستقامة والاعوجاج والنقصان والكمال التي تقال في مطالع البروج انما هي بالاضافة الى اماكن باعيانها لا جل تلك الاماكن لا انها في انفسها ذوات اعوجاج واستقامة وكمال ونقصان وسائر ما اشبهها * فاذا كان الامر كذلك فما الذي يوجب ان تكون دلالتها على الاجرام السفلية من الحيوانات والنباتات بحسب تلك التاثيرات التي قيل فيها وان صح ذلك في ذواتها فهو يوجب شيئا غير ما هو داخل في التاثيرات الداخلة في باب الكيف *

﴿ فصل ﴾

من اعجب العجائب ان يمر القمر فيما بين البصر من اناس باعيانهم في موضع من المواضع فيستتر بجرمه عنهم ضوء الشمس وهو الذي يسمى الكسوف فيموت لذلك ملك من ملوك الارض * ولو صح هذا الحكم واطرد لوجب ان كل انسان اذا استتر بسحاب او اي جسم كان عن ضوء الشمس فانه يموت لذلك ملك من الملوك او يحدث في الارض حادث عظيم * وذلك ما تنفر عنه طباع المجانين فكيف العقلاء *

﴿ فصل ﴾

بعدما اجتمع العلماء واولو المعرفة بالحقائق على ان الاجرام العلوية في ذواتها غير قابلة للتاثيرات والتكونات ولا اختلاف في طباعها فما الذي دعا اصحاب الاحكام الى ان حكموا على بعضها بالنحوسة وعلى بعضها بالسعادة ان كان ما دعاهم الى ذلك الوانها وحركاتها البطيئة والسريعة فليس ذلك

بمستقيم في طريق القياس اذليس كل ماشبه بعرض من الاعراض فانه يجب ان يكون شبيها به بطبعه وان صدر عن كل واحد منهما ما يصدر عن الآخر *

﴿ فصل ﴾

لو وجب ان يكون كل ماكان لونه من الكواكب شبيها بلون الدم مثل المريخ دليلا على القتال واراقة الدماء لوجب ان يكون كل مالونه احمر من الاجسام السفلية ايضاً دليلا على ذلك اذهي اقرب منها و اشد ملائمة * ولو وجب ان يكون كلما حركته سريعة او بطيئة من الكواكب على التباطؤ والتسارع في الحوائج لوجب ان يكون كل بطيء و كل سريع من الاجرام السفلية ادل عليها اذ هي اقرب منها و اشبه بها و اشد اتصالا كذلك الامر في سائرها *

﴿ فصل ﴾

ما اعمى بصر من نظر في امر البروج فلما وجد الحمل به يبتدأ في تقديرها حكم انه يدل على رأس الحيوان وخصوصاً الانسان ثم لما كان الثور يتلوه حكم بانه يدل على العنق والاكتاف وكذلك الى ان انتهى الى الحوت حكم بانه يدل على القدمين * اما كان ينبغي ان ينظر بعينه السخينة وعقله المذهول الى الحوت وهو يتصل بالحمل والى القدمين وهما غير متصلتين بالرأس فيعلم ان حكمه غير مطرد في ذلك اذا عضاء بدن الحيوان موضوعة على الاستقامة والبروج على الاستدارة وليس بين المستقيم والمستدير مناسبة * لكن من اعظم المصائب ان الضرورة تدعو الى التفوه بمثل هذا الطعن الذي لا يدري هل الطعن اضعف ام المطعون غير ان الشر يدفع

بالشر

بالشر * ولولا ان الاشتغال بامثال هذه المقابلات والمعاندات مما يتعطل به الزمان لاتيت منها جملة *

﴿ فصل ﴾

من حكم بان زحل هو ابطأ الكواكب سيرا والقمر اسرعها سيرا لم يقلب الحكم ان زحل اسرعها سيرا اذ مسافته اطول مسافات الكواكب سواها والقمر ابطأها اذ مسافته اقرب مسافات تلك *

﴿ فصل ﴾

هب ان القمر وسائر الكواكب ادلة على الامور والاحوال على ما وضعه اصحاب الاحكام فلم قالوا ان الامور التي يراد ان تكون خفية مستورة ينبغي ان تتعاطى في وقت الاجتماع لاضمحلال ضوء القمر اما علموا ان ضوء القمر على حالته لم يتغير ولم يلحقه زيادة ولا نقصان وانما ذلك بالقياس الينا لا غير * (وكذلك) ما قالوه في الامتلاء والاستقبال * ومهما لم يلحقه في ذاته تغير فما الذي يجب ان يلحق ذلك التغير ما هو دليل من الامور على ما وضع *

﴿ فصل ﴾

لما كانت الكواكب والشمس في ذواتها لا حارة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة باتفاق من العلماء فما معنى الاحتراق الذي ادعوا في الكواكب التي تقرب من الشمس * (وحيث) وضعوا الشمس دليلا على الملوك والسلاطين فلم لم يحكموا بان الكواكب التي هي دليل على نوع من انواع الناس مثل عطارد الذي وضعوه دليلا على الكتبة او على من يكون صاحب وجاهة اذا قرب من الشمس ان يكون له تمكن من السلطان

وقرب اليه و زلفى لكنهم جعلوا ذلك منحسة *

﴿ فصل ﴾

من ظن ان هذه تجارب عليها و جدت دلائل هذه الكواكب وشهادتها فليعمد الى سائر ما وضع و ليقلبها مقلوبا في المواليد والمسائل والتحاويل فان وجد بعضها يصح وبعضها لا يصح على ما عليه حال ما وضع على ما وضع فيعلم ان ذلك ظن وحسبان واستحسان وغرور

﴿ فصل ﴾

لم ير احد وان كان من الاستهتار باحكام النجوم و الايمان بها واليقين فيها بغاية ليس وراءها غاية وهو يقطع امرا مما يهمه لاجل حكم يحكم له به وان عاين في طالع مولده اومسئلته جميع الشهادات التي بها يستدل وعليها يعول مثل اخراج مال اوترك حزم في حرب او اخذ زاد في سفر اوما اشبه ذلك *واذا كان الامر على هذا السبيل فما اشتغالهم بهذا الفن الا لاحدى ثلاث اما التفكه وولوع واما لتكسب وتسوق وتعيش به واما لحزم مفرط وعمل بما قيل ان كل مقبول محذور منه — هذا آخر ما وجد من التذاكير بخط ابي نصر اثبتها لنفسي و كتبتها لك لتتأملها لا ن تنشط لذلك و الله الموفق *

قد تم طبع هذه الرسالة بعون الله تعالى في اواخر شهر جمادى الآخرة سنة (١٣٤٠) هجرية في عهد الآصف السابع لا زالت شموس دولته طالعة و انوار افاداته لامعة
بمطبعة دائرة المعارف النظامية في
حيدرآباد الدكن

هو العليم الحكيم

كتاب التنبيه على سبيل السعادة

للمعلم الثانى الحكيم ابى نصر محمد بن محمد بن
اوزلغ بن طرخان الفارابى رحمه الله
وجعل الجنة مثواه المتوفى
سنة تسع وثلاثين
وثلاث مائة
هجرية



طبع فى مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
الكائنة بحيدرآباد الدكن حرسها الله
عن الشرور و الفتن فى شهر
جمادى الاخرى سنة
(١٣٤٦)
هجرية



بسم الله الرحمن الرحيم

اما ان السعادة هى غاية ما يتشوقها كل انسان و ان كل من ينحو بسعيه نحوها فانما ينحوها على انها كمال ما فذلك ما لا يحتاج فى بيانه الى قول اذ كان فى غاية الشهرة و كل كمال غاية يتشوقها الانسان فانما يتشوقها على انها خير ما فهو لا محالة مؤثر . و لما كانت الغايات التى تشوق على انها خيرات مؤثرة كثيرة كانت السعادة احدى الخيرات المؤثرة و قد تبين ان السعادة من بين الخيرات اعظمها خيرا و من بين المؤثرات اكمل كل غاية يسعى الانسان نحوها من قبل ان الخيرات التى تؤثر منها ما يؤثر لينال لها غاية اخرى مثل الرياضة و شرب الدواء و منها ما يؤثر لاجل ذاتها و تبين ان التى تؤثر لاجل ذاتها آثر و اكمل من التى تؤثر لاجل غيرها . و ايضا فان الذى يؤثر لاجل ذاته منا ما يؤثر احيانا لاجل شيء آخر *

مثال

مثال ذلك العلم فانا قد نؤثره احيانا لا لاجل ذاته لا لننال به شيئا آخر وقد نؤثره احيانا لننال به الثروة او امرا آخر من الامور التى قد تنال بالرياسة او العلم — و منها ما شأنه ان يؤثر ابدا لذاتها ولا يؤثر في وقت من الاوقات لاجل غيرها و هذا آثر واكمل واعظم خيرا من التى قد تؤثر احيانا لاجل غيرها *

و لما كنا نرى ان السعادة اذا حصلت لنا لم نحتج بعدها اصلا ان نسعى لغاية ما اخرى غيرها ظهر بذلك ان السعادة لا تؤثر لاجل ذاتها ولا تؤثر في وقت من الاوقات لاجل غيرها فتبين من ذلك ان السعادة هى آثر الخيرات واعظمها واكملها وايضا فانا نرى انها اذا حصلت لنا لم نحتج معها الى شيء آخر غيرها و ما كان كذلك فهو احرى الاشياء بان يكون مكتفيا بنفسه *

وقد يشهد بهذا القول ما يعتقده كل انسان في الذى يتبين له او يظنه انه وحده هو السعادة فان بعضهم يرى ان الثروة هى السعادة وغيرهم يرى ان السعادة في غير ذلك وكل واحد يعتقد في الذى يرى انه سعادة على الاطلاق انه آثر واعظم خير او اكمل فان مرتبة السعادة من الخيرات هذه المرتبة واذا كانت هذه مرتبة السعادة فكانت نهاية الكمال الانسانى قد تلزم من آثر تحصيلها لنفسه ان يكون له السبيل اليها والامور التى بها امكن الوصول اليها *

فنبتدى فنقول ان احوال الانسان التى توجد له في حيوته منها ما لا يلحقه محمدة و لا مذمة ومنها ما اذا كانت له لحقته بها محمدة او مذمة و السعادة

فليس بنا لها الانسان باحوالها التى قد يلحقها حمد اوذم لكن التى بها ينال السعادة هى فى جملة احواله التى يلحقه بها حمدا و ذم و احواله التى يلحقه بها حمدا و ذم ثلاثة ــ احدها الافعال التى يحتاج فيها الى استعمال اعضاء بدنه الآلية مثل القيام و القعود و الركوب و النظر و السماع والثانى عوارض النفس و ذلك مثل الشهوة و اللذة والفرح والغضب و الخوف والشوق و الرحمة و الغيرة واشباه ذلك ــ والثالث هو التمييز بالذهن و هذه الثلثة هى التى لايخلو الانسان عنها فى وقت من زمان حيوته او كان له بعض هذه *

وكل واحد من هذه اما ان يحمد عليه الانسان او يذم و المذمة تلحقه بافعاله متى كانت قبيحة و تلحقه بها المحمدة متى كانت جميلة وتلحقه المذمة بعوارض النفس متى كانت على غير ما ينبغى والمحمدة متى كانت على ماينبغى و تلحقه المذمة بتمييزه متى كان ردئ التمييز و المحمدة متى كان جيد التمييز *

وجودة التمييز هى انما ان يحصل للانسان اعتقاد بحق ما ويقوى على تمييز ما يرد عليه ــ و رداءة التمييز هى ان لا يعتقد فيما آثر الوقوف عليه لا حقا ولا باطلاً فيجب ان نبين كيف لنا السبيل الى ان تكون افعالنا جميلة وعوارض انفسنا على ماينبغى و باى سبيل تحصل لنا جودة التمييز *

و ينبغى ان يعلم اولا ان الافعال الجميلة قد يمكن ان توجد للانسان باتفاق وبان يحمل عليها من غير ان يكون فعلها طوعا والسعادة ليست تنال بالافعال الجميلة متى كانت عن الانسان بهذه الحال لكن ان يكون له

و قد

وقد فعلها طوعا وباختياره و لا ايضا اذا فعلها طوعا فى بعض الاشياء فى بعض الازمان لكن ان يختار الجميل فى كل مايفعله وفي زمان حيوته باسره *

وهذه الشرائط باعيانها يجب ان تكون فى عوارض النفس الجميلة وايضا فان جودة التميز ربما وجد للانسان باتفاق فانه ربما يحصل للانسان اعتقاد حق بالقصد و بالصناعة والسعادة ليست تنال بجودة التميز مالم تكن بقصد و بصناعة ومن حيث يشعر الانسان بما يميز كيف يميز وقد يمكن ان يكون للانسان من حيث يشعر بها لكن فى اشياء يسيرة وفى بعض الازمان و لا بهذا المقدار من جودة التميز ينال السعادة لكن انما ينال متى كانت جودة التميز للانسان و هو بحيث يشعر بما يميز كيف يميز وفى كل حين من زمان حيوته *

والشقاوة تلحق الانسان متى كانت افعاله وعوارض نفسه وتمييزه بضد هذه التى قيلت وهو ان يفعل الافعال القبيحة طوعاً ويختارها فى كل مايفعل فى زمان حيوته باسره و كذلك عوارض نفسه ويكون له رداءة التميز فى كل ما للانسان تمييزه وفى كل حين من زمان حيوته *

وينبغى ان نقول الآن فى التى بها تكون الافعال وعوارض النفس والتميز بالحال التى ينال بها السعادة لامحالة وفى التى بها تكون هذه الثلاثة بحال يلحقها بها السعادة لامحالة ثم تجتنب هذه و نعنى بتلك *

فاقول ان كل انسان هو مفطور من اول وجوده على قوة بها تكون افعاله وعوارض نفسه وتمييزه على ماينبغي وتلك القوة بعينها تكون له هذه الثلاثة

على غير ماينبغي و بهذه القوة يفعل الافعال الجميلة وبها بعينها يفعل الا فعال القبيحة فيكون سبب ذلك امكان فعل القبيح من الانسان على مثال امكان فعل الجميل منه وبها يمكن ان تحصل له جودة التميز وبها بعينها يمكن ان تحصل له رداءة التميز وتلك حال هذه القوى من عوارض النفس فان امكان القبيح منها على مثال امكان الجميل *

ثم يحدث بعد ذلك للانسان حال اخرى بها تكون هذه الثلاثة على احد امرين فقط اعني اما على جميل ما ينبغي فقط واما على قبيح ما ينبغي فقط من غير ان يكون امكان فعل ما ينبغي على مثال امكان فعل مالا ينبغي بالسواء لكن بها يكون احدهما اشد امكانا من الآخر *

اما القوة التي يفطر عليها لانسان من اول وجوده فليس الى الانسان اكتسابها واما الحال الاخرى فانها انما تحدث باكتساب من الانسان لها *

وهذه الحال تنقسم الى صنفين احدهما به يكون التميز اما جيداً فقط واما رديأ فقط والآخر به تكون الافعال وعوارض النفس اما جميلة فقط واما قبيحة فقط *

والصنف الذي يكون به التميز على جودة او رداءة ينقسم الى صنفين تكون باحدهما جودة التميز ويسمى قوة الذهن وتكون بالآخر رداءة التميز ويسمى ضعف الذهن والبلادة *

والذي يكون به الافعال وعوارض النفس اما جميلة واما قبيحة يسمى الخلق والخلق الذي تصدر به عن الانسان الافعال القبيحة والحسنة ولما كانت الافعال والتميز التي بها ينال السعادة هي بالشرائط التي قيلت وكانت احدى

تلك

تلك الشرائط ان تكون هذه في كل شيء ودائما لزم ان يكون ما به تصدر عن الافعال والتميز بهذه الشرائط حالاً شأنه ان يكون عند احد الامرين يحفظ حتى يمكن الانسان به ادامة فعل الجميل وجودة التمييز في كل شيء *

ولما كانت القوة التي فطر الانسان عليها بحيث لا يصدر عنها احد الامرين فقط دون الآخر وكانت الحال المكتسبة التي تحدث بعد ذلك بحيث يصدر عنها احد الامرين فقط لزم ان تكون الافعال وعوارض النفس انما يمكن ان يكون منها بحيث ينال بها السعادة لا محالة متى حصل لنا خلق جميل وتكون لنا جودة التمييز بحيث ننال بها السعادة لا محالة متى صارت لنا قوة الذهن ملكة لا يمكن زوالها او يعسر فالخلق الجميل وقوة الذهن هما جميعا الفضيلة الانسانية من قبيل ان فضيلة كل شيء هي التي تكسبه الجودة والكمال في ذاته تكسب افعاله جودة ـ وهذان جميعا هما اللذان اذا حصلا حصلت لنا الجودة والكمال في ذواتنا وافعالنا فبهما نصير نبلاء خيارا فاضلين وبهما تكون سيرتنا في حيوتنا سيرة فاضلة وتصير جميع تصرفاتنا تصرفات محمودة *

فلنبتدى الآن في التي بها نصل الى ان تصير لنا الاخلاق الجميلة ملكة ثم نتبع بالتي بها نصير الى ان تصير لنا القوة على ادراك الصواب ملكة واعني بالملكة ان تكون بحيث لا يمكن زواله او يعسر *

فنقول ان الاخلاق كلها الجميل منها والقبيح هي مكتسبة ويمكن الانسان متى لم يكن له خلق حاصل ان يحصل لنفسه خلقاً ومتى صادف ايضاً نفسه

فى شيء ما على خلق ما اما جميل او قبيح ينتقل بارادته الى ضد ذلك الخلق والذى به يكتسب الانسان الخلق او ينتقل لنفسه عن خلق صادفها عليه هو الاعتياد . واعنى بالاعتياد تكرير فعل الشيء الواحد مرارا كثيرة زمانا طويلا فى اوقات متقاربة و لما ان الخلق الجميل ايضا يحصل عن الاعتياد فينبغي ان نقول في التى اذا اعتدناها حصل لنا بها خلق جميل و فى التى اذا اعتدناها حصل به خلق قبيح *

فاقول ان الاشياء التى اذا اعتدناها اكسبتنا الخلق الجميل هى الافعال التى شأنها ان تكون فى اصحاب الاخلاق الجميلة والتى تكسبنا الخلق القبيح هى الافعال التى تكون من اصحاب الاخلاق القبيحة والحال فى التى بها يستفاد تحصيل الاخلاق كالحال فى التى تستفادبها الصناعات فان الحذق بالكتابة انما يحصل متى اعتاد الانسان فعل من هو حاذق كاتب و كذلك سائر الصناعات فان جودة فعل الكتابة انما تصدر عن انسان بالحذق فى الكتابة و الحذق في الكتابة يحصل متى تقدم الانسان واعتاد جودة فعل الكتابة و جودة الكتابة ممكنة للانسان قبل حصول الحذق فى الكتابة بالقوة التى فطر عليها واما بعد حصول الحذق فيها فبالصناعة كذلك الفعل الجميل ممكن للانسان اما قبل حصول الخلق الجميل فبالقوة التى فطر عليها واما بعد حصولها فبالفعل . وهذه الافعال التى تكون عن الاخلاق اذا حصلت هى باعيانها متى اعتادها الانسان قبل حصول الاخلاق حصلت الاخلاق *

والدليل على ان الاخلاق انما تحصل عن العادة ما نراه يحدث فى المدن

فان اصحاب السياسات انما يجعلون اهل المدن اخيارا بان يعودوهم من افعال الخير ـ واما اي الافعال هي الافعال الجميلة وهي التي باعتياد نالها يحصل لنا الخلق الجميل فنحن الآن واصفوه *

فنقول ان كمال الانسان في خلقه هو كمال الخلق والحال في الافعال التي بها يحصل كمال الانسان في خلقه كالحال في التي بها يحصل كمال الانسان في بدنه و كمال الانسان في بدنه هو الصحة و كما ان الصحة متى كانت حاصلة فينبغي ان تحفظ و متى لم تكن فينبغي ان تكتسب و كما ان الامور التي بها تحصل الصحة انما تحصل بها متى كانت بحال توسط فان الطعام متى كان متوسطا حصلت به الصحة و التعب متى كان متوسطا حصلت به القوة كذلك الافعال متى كانت متوسطة حصلت الخلق الجميل و متى زال ما شأنه ان تحصل به الصحة لم تكن الصحة كذلك متى زالت الافعال عن الاعتدال و اعتيدت لم يكن عنها خلق جميل و زوالها عن الاعتدال المتوسط هذا اما الى الزيادة على ماينبغي او النقصان عماينبغي فان الطعام متى كان زائدا على ماينبغي او ناقصا عماينبغي لم تحفظ به الصحة و التعب متى كان متوسطا افاد الابدان القوة و متى كان ازيد مما ينبغي او ناقصا عماينبغي ازال القوة او حفظ الضعف فكذلك الافعال متى كانت زائلة عن التوسط اما ازيد مماينبغي او انقص مما ينبغي اكسبت الاخلاق القبيحة او حفظتها وازالت الاخلاق الجميلة وكما ان التوسط فيما يكسب الصحة هو في كثرته وقلته و شدته و ضعفه و طول زمانه وقصره و الزيادة و النقصان فيهما كذلك فعلى هذا المثال الاعتدال في الافعال

هو فى كثرتها وقلتها وشدتها وضعفها و طول زمانها وقصره. ولما كان التوسط فى كل شىء انما يكون متى كانت كثرته وقلته وشدته وضعفه على مقدار ما وحصول كل شىء على مقدار ما انما يكون متى قدر بعيار *

فيجب ان نقول فى العيار الذى به نقدر الافعال فتحصل معتدلة. فاقول ان المعيار الذى به نقدر الافعال على مثال العيار الذى به نقدر ما يفيد الصحة وعيار ما يفيد الصحة هو احوال البدن الذى نطلب الصحة له فان التوسط فيما يفيد الصحة انما يمكن ان يوقف عليه متى قيس بالابدان وقدر باحوال البلدان فكذلك عيار الافعال هو الاحوال المطيفة بالافعال و انما يمكن ان توقف على المتوسط فى الافعال متى قيست وقدرت بالاحوال المطيفة بها. وكما ان الطبيب متى رام الوقوف على المقدار الذى هو اعتدال فيما يفيد الصحة تقدم فى معرفة مزاج البدن الذى يقصد بالصحة و فى معرفة الزمان و فى صناعة الانسان و سائر الاشياء التى تحذو صناعة الطب و تجعل مقدار ما يفيد الصحة على مقدار ما يحتمل مزاج البدن وتلائم زمان العلاج *

و كذلك متى اردنا الوقوف على المقدار الذى هو توسط فى الافعال تقدمنا فعرفنا زمان الفعل والمكان الذى فيه الفعل ومن منه الفعل ومن اليه الفعل وما منه الفعل ومابه الفعل و ما من اجله وله الفعل و جعلنا الفعل على مقدار كل واحد من هذه فحينئذ تكون قد اصبنا الفعل المتوسط و متى كان الفعل مقدرا بهذه اجمع كان متوسطا و متى لم تقدر بها اجمع كان الفعل ازيد او انقص *

و لما

ولما كانت مقادير هذه الاشياء ليست دائماً واحدة باعيانها في الكثرة والقلة لزم ان تكون الافعال المتوسطة ليست مقاديرها مقادير واحدة باعيانها دائماً ٭

وقد ينبغي الآن ان نذكر على سبيل التمثيل ما هو مشهور انه جميل من الاخلاق ونذكر متوسطات الافعال الكائنة عنها والمحصلة لها ليتطرق الذهن الى مطالعة ما اجمل ههنا على اصناف الاخلاق والافعال الصادرة عنها ـ فنقول ان الشجاعة خلق جميل وتحصل بتوسط في الاقدام على الاشياء المفزعة والاحجام عنها والزيادة في الاقدام عليها تكسب التهور والنقصان من الاقدام يكسب الجبن وهو خلق قبيح ومتى حصلت هذه الاخلاق صدرت عنها هذه الافعال باعيانها والسخاء يحدث بتوسط في حفظ المال وانفاقه والزيادة في الحفظ والنقصان في الانفاق يكسب التقتير وهو قبيح والزيادة في الانفاق والنقصان في الحفظ يكسب التبذير ومتى حصلت هذه الاخلاق صدرت عنها الافعال باعيانها والعفة تحدث بتوسط في مباشرة التماس اللذة التي هي عن طعم ونكاح والزيادة في هذه اللذة تكسب الشره والنقصان فيها يكسب عدم الحس باللذة وهو مذموم ومتى حصلت هذه الاخلاق صدرت عنها هذه الافعال ـ والظرف وهو خلق جميل يحدث بتوسط في استعمال الهزل فان الانسان مضطر في حيوته الى الراحة والراحة انما هي ابداً الى ما الافراط فيه ملذ او غير موذ والهزل هو مما الاستكثار منه ملذ او غير موذ والتوسط فيه يكسب الظرف والزيادة فيه يكسب المجون والنقصان

يكسب العذامة و المزل هو فيما تقوله الانسان وفيما يفعله وفيما يستعمله و المتوسط منه هو ما يليق بالرجل الحر الطلق الورع ان تقوله و يسمعه وتحديد هذه الاشياء على الاستقصاء فليس يحتمله هذا الكتاب وقد استقصي ذلك في موضع آخر *

وصدق الانسان عن نفسه انما يحدث متى اعتاد الانسان ان يصف نفسه بالخيرات التي هي له حيث ينبغي ومتى اعتاد الانسان ان يصف نفسه بالخيرات التي ليست له اكسبه التصنع والمخرقة والمرياء ومتى اعتاد ان يصف نفسه حيث اتفق بدون ما هو فيه اكسبه ذلك التحاسر – والتودد خلق جميل يحدث بتوسط في لقاء الانسان غيره مما يلتذ به من قول او فعل والزيادة فيه يكسب الملق و النقصان يكسب الحصر و اذا كان مع ذلك يلقي غيره بما يغمه اكسبه سوء العشرة *

وعلى هذا المثال قد يمكننا ان نأخذ فيما سوى هذه الافعال توسطا وزيادة ونقصانا – فينبغي ان نقول الآن في الحيلة التي بها يمكننا ان نقتني الاخلاق الجميلة فاقول انه يجب اولا ان نحصي الاخلاق خلقاً خلقاً ونحصي الافعال الكائنة عن خلق خلق ومن بعد ذلك ينبغي ان نتأمل وننظر اي خلق نجد انفسنا عليه و هل ذلك الخلق الذي اتفق لنا منذ اول امرنا جميل لم قبيح والسبيل الى الوقوف على ذلك ان نتأمل ذلك وننظر اي فعل اذا فعلناه لحقنا عن ذلك الفعل لذة و اي فعل اذا فعلناه لم نتاذ به و اذا وقفنا عليه نظرنا الى ذلك الفعل هل هو فعل يصدر عن الخلق الجميل اوهو صادر عن الخلق القبيح فاذا كان ذلك كائنا عن خلق جميل

قلنا ان لنا خلقا جميلا وان كان ذلك عن خلق قبيح قلنا ان لنا خلقا قبيحا فبهذا نقف على الخلق الذى تصادف انفسنا عليه اي خلق هو كما ان الطبيب متى وقف على حال البدن بالاشياء التابعة لاحوال البدن فان كانت الحال التى صادف عليها البدن حال صحة احتال فى حفظها على البدن وان كان ما صادف البدن عليه حال سقم استعمل الحيلة فى ازالة ذلك السقم كذلك متى صادفنا انفسنا على خلق جميل احتلنا فى حفظه علينا ومتى صادفناها على خلق قبيح استعملنا الحيلة فى ازالته فان الخلق القبيح هو سقم نفساني فينبغى ان نحتذى فى ازالة اسقام النفس حذو الطبيب فى ازالة اسقام البدن ثم تنظر بعد ذلك الخلق القبيح الذى صادفنا انفسنا عليه هل هو من جهة الزيادة او من جهة النقصان وكما ان الطبيب متى صادف البدن ازيد حرارة او انقص رده الى التوسط من الحرارة وبحسب الوسط المحدود فى صناعة الطب كذا متى صادفنا انفسنا على الزيادة او النقصان فى الاخلاق رددناها الى الوسط بحسب الوسط المحدود فى هذا الكتاب — ولما كان الوقوف على الوسط من اول الوهلة عسيرا جدا التمست حيلة فى ايقاف الانسان خلقه عليه او القرب منه جدا كما ان الوسط فى حرارة الابدان لما عسر الوقوف عليه التمست حيلة فى ايقاف البدن عليه والقرب منه جدا والحيلة فى ايقاف الاخلاق على الوسط ان ننظر فى الخلق الحاصل لنا فان كان من جهة الزيادة عودنا انفسنا الافعال الكائنة عن ضده الذى هو من جهة النقصان وان كان ما صادفناه عليه من جهة النقصان عودناها الافعال الكائنة عن ضده الذى هو من جهة الزيادة ونديم ذلك زمانا ثم تتأمل وننظر اي

خلق حصل فان الحاصل لا يخلو من ثلاثة احوال اما الوسط واما المائل عنه واما المائل اليه فان كان الحاصل هو القرب من الوسط من غير ان تكون قد جاوزنا الوسط الى الضد الآخر دمنا على تلك الافعال باعيانها زمانا ما آخر الى ان ننتهي الى الوسط وان كنا قد جاوزنا الوسط الى الضد الآخر فعلنا افعال الخلق الاول ودمنا عليه زمنا ثم نتأمل الحال ٭ وبالجملة كلما وجدنا انفسنا مالت الى جانب عودناها افعال الجانب الآخر ولا نزال نفعل ذلك الى ان نبلغ الوسط او نقارب حدا ٭

واما كيف لنا ان نعلم انا قد وقفنا اخلاقنا على الوسط فانا نعلم بان ننظر الى سهولة الفعل الكائن عن النقصان هل يتأتى ام لا فان كانا على السواء من السهولة او كانا متقاربين علمنا انا قد وقفنا انفسنا على الوسط وامتحان سهولتهما هو ان ننظر الى الفعلين جميعا فان كنا لا نتأذى بواحد منهما او نلتذ بكل واحد منهما او نلتذ باحدهما ولا نتأذى بالآخر وكان الاذى عنه يسيرا جدا علمنا انهما في السهولة على السواء ومتقاربين ولما كان الوسط بين طرفين وكان قد يمكن ان يوجد في الاطراف ما هو شبيه بالوسط وجب ان نتحرز من الوقوع في الطرف الشبيه بالوسط ٭

ومثاله التهور فانه شبيه الشجاعة والتبذير شبيه السخا والمجون شبيه الظرف والملق شبيه التودد والتحاسر شبيه التواضع والتصنع شبيه صدق الانسان عن نفسه وايضا فلما كان في هذه الاطراف ما نحن نميل اليه بالطباع لزم ان نتحرز من الوقوع فيه ــ مثل ذلك النقصان من الاقدام على الامر المفزع نحن بالطبع اليه اميل والتقتير نحن اليه اميل واحرى ما نتحرز منه ما كان

من الاطراف نحن اليه اميل وهو مع ذلك شبيه الوسط ـ مثال ذلك المجون فان الافراط فى استعمال الهزل لما كان ملذا او غير موذخف عمله فصر نا اليه نميل فقد بقى ان نعرف الذى ينبغى ان نستعمله آلة تسهل بها علينا الانجذاب من طرف الى طرف اوالى الوسط فان الروية و حدها و بما لم تكن كافية من دون هذه الآلة *

فنقول انا انما صار القبيح سهلا علينافعله بسبب اللذة التى عندنا انها تلحقنا بفعل القبيح ونكتسب الجميل متى كان عندنا انه يلحقنابه اذى من قبل انا نظن ان اللذة فى كل فعل هى الغاية ونحن فانما نقصد بجميع مانفعله هذا واللذات منها مايتبع المحسوس مثل اللذات التابعة لمسموع اومنظور اليه اومذوق او ملموس او مشموم ومنها مايتبع المفهوم مثل اللذات التابعة بالرياسة والتسلط والغلبة والعلم وما اشبه ذلك ونحن دائما انما نتحرى اكثر اللذات التى تبتع المحسوس ونظن انها هى غاية الحيوة وكمال العيش من قبل اصطنا عنا لها من اول وجودنا ـ وايضا فان منها ماهو سبب لامر ضروري امالنا و اما فى العالم اما الذى لنا فهو التغذي الذى به قوامنا فى حيوتنا ـ واما الضروري فى العالم فالتناسل وبهذا نظن انها فى غاية العيش و نظنها هى السعادة و مع ذلك فان المحسوس اعرف عندنا ونحن له اشد ادراكا والوصول اليه اشد امكانا وقد تبين بالنظر والتأمل انها هى الصادّة لنا عن اكثر الخيرات وهى العائقة عن اعظم ماتنال به السعادة فانا متى رأينا ان لذة محسوسة تفوتنا لفعل جميل ملنا الى تكسب الجميل ومتى بلغ من قوة الانسان ان يطرح هذه اللذات او ينال منها

بقدر فقد قارب الاخلاق المحمودة *

واللذت التابعة للافعال كانت لذة محسوسة او لذة مفهومة فهى اما عاجلة واما عاقبة وكذلك الاذى ولكل واحد من هذه اللذات التابعة افعال تتبع على احد الوجهين وذلك اما ان يكون شأن ذلك الفعل دائما ان يتبعه لذة او اذى مثل الالم الذى يتبع الاحتراق واللذة التى تتبع الباءة فان شأن الاحتراق اذا لحق الحيوان ان يتبعه اذى والم و اما ان يتبع الفعل الاذى بان يعرض بالشريعة فيكون تابعا للفعل من غير ان يكون شأن ذلك الفعل ان يتبعه دائما وذلك الاذى مثل حال الزانى وقتل القاتل والافعال الجميلة التى يتبعها اذى فى العاجل فان تلك لا محالة تتبعها لذة فى العاقبة و الافعال القبيحة التى تتبعها لذة فى العاجل فان تلك يتبعها فى العاقبة لا محالة *

و ينبغى ان تحصل اللذات التابعة بفعل فعل و الاذى التابع له ونميز ما منها لذته عاجلة واذاه فى العاقبة فمتى ملنا الى فعل قبيح بسبب لذة ظننا انها تتبع القبيح فى الآجل قابلنا تلك اللذة بالاذى التابع له فى العاقبة فقمعنا به اللذة الداعية لنا الى فعل القبيح فيسهل علينا بذلك ترك القبيح و متى ملنا الى ترك فعل جميل بسبب اذى يلحق فى العاجل قابلناه باللذة التى تتبع الجميل فى العاقبة فقمعنا به الاذى الصارف لنا عن الجميل فيسهل علينا فعل الجميل ـ وايضا متى ملنا الى قبيح بسبب لذة فيه عاجلة قابلناها بما فيها فى الآجل من القبيح *

و الناس منهم من له جودة الروية و قوة العزيمة على ما اوجبته الروية

 فذلك

فذلك هو الذى جرت عادتنا ان نسميه الحرباستيهال ومن لم تكن له
هاتان فنى عادتنا ان نسميه الانسان البهيمى ومن كانت له جودة الروية
فقط دون قوة العزيمة سميناه العبد بالطبع *

وقوم ممن ينسب الى العلم اوتفلسف قدعرض لهم ذلك فصار و اقى مرتبة
من ليس دون الاول فى الرق وصار ممن ينسبون اليه عاراً عليهم ومسبة
الذاصار ذلك باطلا لاينتفعون به ـ ومنهم من له قوة العزيمة وليست له
جودة الروية ومن كان كذلك فان الذى يروى له غيره وهو اما ان
يكون منقاد المن يروى له اوغير منقاد فان كان غير منقاد فهو ايضا
بهيمي وان كان منقادا انجح فى اكثر افعاله وبهذا السبب قد خرج من
من الرق وشارك الاحرار *

واللذات التابعة للافعال بعضها اعرف ونحن لها اشدادراكاً وبعضها
اخفى والاعرف هو ما كان فى العاجل وكان لذة محسوسة وكذلك
الاذى فان كان منه فى العاجل وكان عن محسوس فانه اظهر عندنا
ولاسيما اذا كان مع ذلك اذى وضع الشريعة ـ والاخفى ماسوى ذلك
من اللذات والاذى واخفى ذلك ما كان بالطبع وكان فى العاقبة
وكان مع ذلك غير مفهوم ـ وما كان من ذلك عاجلا وبالطبع فهو
دون ذلك فى الخفاء وكذلك ما كان منها فى العاقبة وكان غير
محسوس *

اما الاحرار من الناس فانهم متى ارادوا ان يسهلوا على انفسهم
فعل الجميل وترك القبيح باستعمال اللذة والاذى فان الاخفى منها

والاظهر عندهم بمنزلة واحدة فان اللذات الداعية لهم الى القبيح ينقمع بالاذى وان كان الاذى من التى هى اخفى كما ينقمع بما هو اظهر من قبل ان جودة روية تجعل ما شأنه ان يخفى على الاكثر بمنزلة الاظهر *

واما من سواهم من الناس فليس يكتفون بذلك دون ان تقمع لذاتهم باذى اظهر مما يكون وعسى ان يكون من هؤلاء من يكتفى فيهم متى مالوا الى القبيح بسبب لذة عاجلة ان يقمع بلذة توضع تابعة لتركه او لفعل ضده فبهذا الوجه ينبغى ان يؤدب الصبيان فان كان ممن لا يكفيه ذلك زيد اليه اذى يعقب القبيح ويجعل الاذى اظهر ما يكون وبهذا الوجه اعنى الوجه الاخير ينبغى ان يدبر البهيميون ومن لا يكتفى فيه بالوجه الاول واظهر اللذات والاذى ما لحق الحواس واما ما يلحق الانسان ليس من حواسه فهو مثل الخوف والغم وضيق الصدر وما اشبه ذلك *

ومن البهيمى من يكتفى فيهم بهذا الاذى وحده ومنهم من لا يكتفى فيهم بذلك او يلحقهم اذى في حواسهم واخزى ما تاذى به الانسان في حسه هو ما لحق حس اللمس وبعده ما يلحق حس الشم وحس الذوق وبعد ذلك ما يلحق باقى الحواس فبهذا السبيل يقدر الانسان على تسهيل سبيل الخير وترك الشر على نفسه وعلى غيره وهذا المقدار من القول كاف ههنا واستقصاء القول فيه هو للممعن بالنظر في علم السياسة وقد استقصى ذلك *

وينبغى

وينبغي ان نقول في جودة التمييز فنقول اولاً في جودة التمييز ثم في السبيل الذي به تحصل لنا جودة التمييز — فاقول ان جودة التمييز هي التي بها نحوز وتحصل لنا معارف جميع الاشياء التي للانسان ان يعرفها وهي صنفان صنف شأنه ان يعلم وليس شأنه ان يفعله انسان لكن انما يعلم فقط مثل علمنا ان العالم محدث وان الله واحد ومثل علمنا باسباب كثيرة من الاشياء المحسوسة — وصنف شأنه ان يعلم ويفعل مثل علمنا ان بر الوالدين حسن وان الخيانة قبيحة وان العدل جميل ومثل علم الطب بما يكسب الصحة وما شأنه ان يعلم ويعمل فكماله ان يعمل وعلم هذه الاشياء متى حصل ولم يردف بالعمل كان العلم باطلا لا جدوى له وما شأنه ان يعلم ولم يكن شأنه ان يعمله الانسان فكماله ان يعلمه فقط وكل واحد من هذين الصنفين له صنائع تحوزه فان ما شأنه ان يعلم فقط انما تحصل معرفته بصنائع ما يكسب علم ما يعلم ولا يعمل وما شأنه ان يعلم ويعمل تحصل ايضاً بصنائع اخر فالصنائع ايضاً صنفان صنف لنا بها معرفة بالعلم فقط وصنف تحصل لنا بها علم ما يمكن ان يعمل والقدرة على عمله والصنائع التي تكسبنا علم ما تعمل والقوة على عمله صنفان صنف يتصرف به الانسان في المدن مثل الطب والتجارة والفلاحة وسائر الصنائع التي تشبه هذه وصنف يتصرف به الانسان في السيرة بها نجود ونتميز به اعمال البر والافعال الصالحة وبه يستفيد القوة على فعلها فكل واحد من هذه الصنائع الثلاث له مقصود ما انساني اعني به المقصود الذي هو خاص والمقصود الانساني ثلاثة اللذيذ والنافع والجميل والنافع اما نافع في اللذة واما نافع في الجميل — والصناعات التي

يتصرف بها فى المدن مقصوده النافع والذى يميز السير وبها يستفاد القوة على ما تجر فان مقصوده ايضاً من الجميل من قبل ان تحصلها العلم واليقين بالحق ومعرفة الحق واليقين هى لا محالة جميلة فقد حصل ان مقصود الصنائع كلها اما جميل واما نافع فاذن الصنائع صنفان صنف مقصوده تحصيل الجميل وصنف مقصوده تحصيل النافع والصناعة التى مقصودها تحصيل الجميل فقط هى التى تسمى الفلسفة وتسمى الحكمة على الاطلاق والصناعات التى يقصدبها النافع فليس منها شئ يسمى الحكمة على الاطلاق ولكن ربما يسمى بعضها بهذا الاسم على طريق التشبيه بالفلسفة ولما كان الجميل صنفين صنف هو علم فقط وصنف هو علم وعمل صارت صناعة الفلسفة صنفين صنف به يحصل معرفة الموجودات التى ليس للانسان فعلها وهذه تسمى النظرية والثانى به تحصل معرفة الاشياء التى شأنها ان تفعل والقوة على فعل الجميل منها وهذه تسمى الفلسفة العملية والفلسفة المدنية والفلسفة النظرية تشتمل على ثلاثة اصناف من العلوم احدها علم التعاليم والثانى العلم الطبيعى والثالث علم ما بعد الطبيعيات وكل واحد من هذه العلوم الثلاثة تشتمل على صنف من الموجودات التى شأنها ان يعلم فقط *

واما تحصيل صنف صنف من اصناف الموجودات التى يشتمل عليها واحد واحد من هذه العلوم الثلاثة فليست بنا حاجة اليه ها هنا فمن التعاليم علم العدد وعلم الهندسة وعلم المناظر والفلسفة المدنية صنفان احدهما تحصل به علم الافعال الجميلة والاخلاق التى تصدر عنها الافعال الجميلة والقدرة على اسبابها وبه

تصير

تصير الاشياء الجميلة قنية لنا وهذه تسمى الصناعة الخلقية والثانى يشتمل على معرفة الامور التي بها تحصل الاشياء الجميلة لاهل المدن و القدرة على تحصيلها لهم وحفظها عليهم وهذه تسمى الفلسفة السياسية فهذه جمل اجزاء صناعة الفلسفة — ولما كانت السعادات انما ننالها متى كانت لنا الاشياء الجميلة قنية وكانت الاشياء الجميلة انما تصير لنا قنية بصناعة الفلسفة فلازم ضرورة ان تكون الفلسفة هي التي بها ننال السعادة فهذه هي التي تحصل لنا بجودة التمييز *

واقول لما كانت الفلسفة انما تحصل بجودة التمييز و كانت جودة التمييز انما تحصل بقوة الذهن على ادراك الصواب كانت قوة الذهن حاصلة لنا قبل جميع هذه وقوة الذهن انما تحصل متى كانت لنا قوة بها نقف على الحق انه حق يقين فنعتقده و بها نقف على ما هو باطل انه باطل بيقين فنجتنبه ونقف على الباطل الشبيه بالحق فلا نغلط فيه ونقف على ماهو حق فى ذاته وقد اشبه الباطل فلا نغلط فيه ولا ننخدع والصناعة التي بها نستفيد هذه القوة تسمى صناعة المنطق *

و هذه الصناعة هى التي بها يوقف على الاعتقاد الحق اي ماهو و على الاعتقاد الباطل اي ماهو وعلى الامور التي بها يصير الانسان الى الحق و الامور التى بها يزول الانسان عن الحق و الامور التى بها يظن في الحق انه باطل والتي تخيل الباطل فى صورة الحق فيوقع ذهن الانسان في الباطل من حيث لا يشعر ويوقف على السبيل التى بها يزيل الانسان الباطل عن ذهنه متى اتفق ان اعتقده و هو لا يشعر و التي بها يزيل الباطل عن غيره ان كان وقع فيه

و هو لا يشعر حتى ان قصد الانسان مطلوبا اراد ان يعرفه استعمل الامور التي توقعه على الصواب من مطلبه و متى وقع له اعتقاد في شئ عرض له فيه شك هل هو صواب اوليس بصواب امكنه امتحانه حتى يصير الى اليقين فيه انه صواب اوليس بصواب و متى اتفق له في خلال ذلك وقوع في باطل لم يشعر به امكنه اذا تعقب ذلك ان يزيل الباطل عن ذهنه فاذا كانت هذه الصناعة بالحال التي وصفنا فيلزم ضرورة ان تكون العناية بهذه الصناعة تتقدم العناية بالصنائع الاخر *

و لما كانت الخيرات التي هي للانسان بعضها اخص و بعضها اقل خصوصا و كان اخص الخيرات بالانسان عقل الانسان اذ كان الشيء الذي به صار انسانا هو العقل و لما كان ما يفيده هذه الصناعة من الخيرات عقل الانسان صارت هذه الصناعة تفيد الخيرات التي هي اخص الخيرات بالانسان فاسم العقل قد يقع على ادراك الانسان الشيء بذهنه وقد يقع على الشيء الذي يكون به ادراك الانسان والامر الذي به يكون ادراك الانسان الذي يسمى العقل قد جرت العادة من القدماء ان يسموها النطق واسم النطق قد يقع على النظم و العبارة باللسان وعلى هذا المعنى يدل اسم النطق عند الجمهور وهو المشهور من معنى هذا الاسم *

ولما القدماء من اهل هذا العلم فان هذا الاسم يقع عندهم على المعنيين جميعا و الانسان قد يصدق عليه انه ناطق بالمعنيين جميعا اعني من طريق انه يعبر وان له الشيء الذي به يدرك غير ان القدماء يعنون بقولهم في الانسان انه ناطق ان له الشيء الذي به يدرك ما يصدق و يعرفه *

ولما كانت هذه الصناعة تفيد النطق كما له سميت صناعة المنطق والذى به يدرك الانسان مطلوبه قد يسمى ايضاً الجزء الناطق من النفس فصناعة المنطق هى التي بها ينال الجزء الناطق كماله ولما كان اسم المنطق قد يقع على العبارة باللسان ويظن كثير من الناس ان هـذه الصناعة قصدها ان تفيد الانسان المعرفة بصواب العبارة و ليس ذلك كذلك بل الصناعة التى يفيـد العـلم بصواب العبارة والقدرة عليه هو صناعة النحو ــ وسبب الغلط فى ذلك هو مشاركة المقصود لصناعة النحو المقصود بهذه الصناعة فى الاسم فقط فان كليهما يسمى باسم المنطق غير ان المقصود في هذه الصناعة من المعنيين اللذين يدل عليهما اسم المنطق هو احدهما دون الآخر و بين صناعة النحو و صناعة المنطق تشابه ما وهو ان صناعة النحو تفيد العلم بصواب مايلفظ به و القوة عـلى الصواب منـه بحسب عادة اهل لسان ما ــ و صناعة المنطق تفيد العلم بصواب ما يعقل و القدرة عـلى اقتناء الصواب فيما يعقل وكما ان صناعة النحو تقوم اللسان حتى لا يلفظ الا بصواب ماجرت به عادة اهل لسان ما كذلك صناعة المنطق تقوم الذهن حتى لا يعقل الا الصواب من كل شئ *

و بالجملة فان نسبة صناعة النحو الى الالفاظ هى كنسبة صناعة المنطق الى المعقولات فهذا تشابه مابينهما فاما ان تكون احداهما هى الاخرى او ان تكون احداهما داخلة فى الاخرى فلا *

فقد تبين بهـذا القول كيف السبيل الى السعادة و كيف السلوك فى سبيلها و مراتب ما ينبغى ان يسلك عليه فان اول مراتبها تحصيل صناعة

المنطق و لما كانت هذه الصناعة هى اول صناعة ينبغى ان يشرع فيها من صنائع العلوم و كانت كل صناعة انما يمكن الشروع فيها متى كانت مع الناظر فيها امور تستعمل فى تكشف ما تشتمل عليه تلك الصناعة فقد ينبغى اولا ان نعلم الامور التى يجب ان نستعمل فى تكشف ما تشتمل عليه تلك الصناعة و التى نستعمل فى تكشف ما فى كل صناعة من الامور التى شأنها ان يكون الانسان قد حصل عليها قبل الشروع فى الصناعة و قد يسمى الاوائل التى بها يمكن الشروع فى الصناعة والاشياء التى للانسان معرفتها منها ما لا يعرى احد من معرفته بعد ان يكون سليم الذهن مثل ان جميع الشيء اكبر و اعظم من بعضه و ان الانسان غير الفرس و هذه تسمى العلوم المشهورة والاوائل المتعارفة *

و هذه متى جحدها انسان بلسانه فلا يمكنه ان يجحدها فى ذهنه اذ كان لا يمكن ان يقع له التصديق بخلافه و منها ما انما يعرفها بعض الناس دون بعض و من هذه ما قد يوقف عليه بسهولة و منها ما شأنه ان لا تكون معرفتها للجميع لكن انما نعلمه بفكرنا و نصل الى معرفتها بتلك الاوائل التى لا يعرى منها احد *

و لما كانت صناعة المنطق هى اول شيء يشرع فيه بطريق صناعى لزم ان تكون الاوائل التى يشرع فيها امور معلومة سبقت معرفتها للانسان فلا يعرى من معرفتها احد وهى اشياء كثيرة و ليس اي شيء اتفق منها يستعمل في اى شيء اتفق من الصنائع لكن صنف منها يستعمل في صناعة و صنف آخر في صناعة اخرى فلذلك ينبغى ان يحصل من

تلك الاشياء مما يصلح لصناعة المنطق فقط و يخلى عن سائرها كسائر الصنائع - وجميع هذه الاشياء التى لا تعرى عن علمها احد هى حاصلة فى ذهن الانسان من اول وجوده غريزية فيه غير ان الانسان ربما لم يشعر بما هو حاصل فى ذهنه حتى اذا سمع اللفظ الدال عليه شعر حينئذ انها كانت فى ذهنه و كذلك ربما تنفصل هذه الاشياء بعضها عن بعض فى ذهنه حتى يرى الانسان بذهنه كل واحد منها على حياله حتى اذا سمع الفاظها المتناسبة الدالة عليه رآها منفصلة متميزة فى ذهنه فلذلك ينبغى فيما اتفق منها ان لا يشعر به اولا يشعر بتفصيل بعضه عن بعض ان يعدد الفاظها الدالة عليها فحينئذ يشعر بها الانسان و يرى كل واحد على حياله *
و كثير من الاشياء التى يمكن الشروع بها فى صناعة المنطق لا يشعر بتفصيلها و هى حاصلة فى ذهن الانسان فينبغى اذن متى قصد بالتنبيه عليها ان يحضر اصناف الالفاظ الدالة على اصناف المعانى المعقولة حتى اذا شعر بتلك المعانى و رأى كل واحد منها على حياله اقتضب حينئذ من المعانى ما شأنه ان يستعمل فى تكشف هذه الصناعة *

ولما كانت صناعة النحو التى تشتمل على اصناف الالفاظ الدالة وجب ان تكون صناعة النحو لها غناما فى الوقوف والتنبيه على اوائل هذه الصناعة فلذلك ينبغى ان نأخذ من صناعة النحو مقدار الكفاية فى التنبيه على اوائل هذه الصناعة او نتولى نحن تعديد اصناف الالفاظ التى من عادة اهل اللسان الذى به يدل على ما تشتمل عليه هذه الصناعة اذا اتفق ان لم يكن لاهل ذلك اللسان صناعة تعدد فيها اصناف الالفاظ التى هى

فى لغتهم فلذلك ما يتبين ماعمل من قديم فى المدخل الى المنطق اشياء هى من علم النحو واخذ منه مقدار الكفاية بل الحق انه استعمل الواجب فيما يسهل به التعليم *

ومن سلك غير هذا المسلك فقد اغفل او اهمل الترتيب الصناعى ونحن اذا كان قصدنا ان نلزم فيه الترتيب الذى يوجبه الصناعة فقد ينبغى ان نفتتح كتابا من كتب الاوائل به يسهل الشروع فى هذه الصناعة بتعديد اصناف الالفاظ الدالة فيجب ان نبتدى به ونجعله ثالثا لهذا الكتاب *

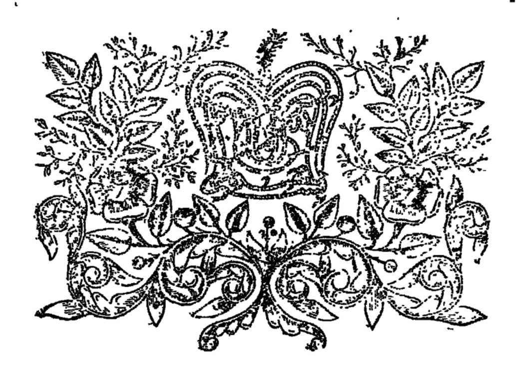
تم طبع هذه الرسالة بحمد الله وحسن
توفيقه فى شهر جمادى الاخرى
سنة (١٣٤٦) هجرية

هو العليم الحكيم

كتاب التنبيه على سبيل السعادة

للمعلم الثانى الحكيم ابى نصر محمد بن محمد بن
اوزلغ بن طرخان الفارابى رحمه الله
وجعل الجنة مثواه المتوفى
سنة تسع وثلاثين
وثلاث مائة
هجرية .

طبع فى مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
الكائنة بحيدر آباد الدكن حرسها الله
عن الشرور و الفتن فى شهر
جمادى الاخرى سنة
(١٣٤٦)
هجرية



بسم الله الرحمن الرحيم

لما ان السعادة هي غاية ما يتشوقها كل انسان و ان كل من ينحو بسعيه نحوها فانما ينحوها على انها كمال ما فذلك ما لا يحتاج في بيانه الى قول اذ كان في غاية الشهرة و كل كمال غاية يتشوقها الانسان فانما يتشوقها على انها خير ما فهو لا محالة مؤثر ـ و لما كانت الغايات التي تشوق على انها خيرات مؤثرة كثيرة كانت السعادة اجدى الخيرات المؤثرة و قد تبين ان السعادة من بين الخيرات اعظمها خيرا و من بين المؤثرات اكمل كل غاية يسعى الانسان نحوها من قبل ان الخيرات التي تؤثر منها ما يؤثر لينال لها غاية اخرى مثل الرياضة و شرب الدواء و منها ما يؤثر لاجل ذاتها و تبين ان التي تؤثر لاجل ذاتها آثر و اكمل من التي تؤثر لاجل غيرها ـ و ايضا فان الذي يؤثر لاجل ذاته منه ما يؤثر احيانا لاجل شيء آخر *

مثال

مثال ذلك العلم فانا قد نؤثره احيانا لا لاجل ذاته لا لننال به شيئا آخر وقد نؤثره احيانا لننال به الثروة او امرا آخر من الامور التي قد تنال بالرياسة او العلم ـ و منها ماشأنه ان يؤثر ابدا لذاتها ولا يؤثر في وقت من الاوقات لاجل غيرها و هذا آثر واكمل و اعظم خيرا من التي قد تؤثر احيانا لاجل غيرها *

و لما كنا نرى ان السعادة اذا حصلت لنا لم نحتج بعدها اصلا ان نسعى الغاية ما اخرى غيرها ظهر بذلك ان السعادة لا تؤثر لاجل ذاتها ولا تؤثر في وقت من الاوقات لاجل غيرها فتبين من ذلك ان السعادة هي آثر الخيرات واعظمها واكملها وايضا فانا نرى انها اذا حصلت لنا لم نحتج معها الى شيء آخر غيرها و ما كان كذلك فهو احرى الاشياء بان يكون مكتفيا بنفسه *

و قد يشهد بهذا القول ما يعتقده كل انسان في الذي يتبين له او يظنه انه وحده هو السعادة فان بعضهم يرى ان الثروة هي السعادة وغيرهم يرى ان السعادة في غير ذلك و كل واحد يعتقد في الذي يرى انه سعادة على الاطلاق انه آثر واعظم خير او اكمل فان مرتبة السعادة من الخيرات هذه المرتبة واذا كانت هذه مرتبة السعادة فكانت نهاية الكمال الانساني قد تلزم من آثر تحصيلها لنفسه ان يكون له السبيل اليها والامور التي بها يمكن الوصول اليها *

فنبتدئ فنقول ان احوال الانسان التي توجد له في حيوته منها مالا يلحقه محمدة و لا مذمة ومنها ما اذا كانت له لحقته بها محمدة او مذمة و السعادة

فليس ينالها الا نسان باحوالها التى قد يلحقها حمد اوذم لكن التى بها ينال السعادة هى فى جملة احواله التى يلحقه بها حمدا وذم واحواله التى يلحقه بها حمدا وذم ثلاثة ـ احدها الافعال التى يحتاج فيها الى استعمال اعضاء بدنه الآلية مثل القيام والقعود والركوب والنظر والسماع والثانى عوارض النفس وذلك مثل الشهوة واللذة والفرح والغضب والخوف والشوق والرحمة والغيرة واشباه ذلك ـ والثالث هو التمييز بالذهن وهذه الثالثة هى التى لا يخلو الانسان عنها فى وقت من زمان حيوته او كان له بعض هذه *

وكل واحد من هذه اما ان يحمد عليه الانسان او يذم والمذمة تلحقه بافعاله متى كانت قبيحة وتلحقه بها المحمدة متى كانت جميلة وتلحقه المذمة بعوارض النفس متى كانت على غير ما ينبغى والمحمدة متى كانت على ما ينبغى وتلحقه المذمة بتمييزه متى كان ردئ التمييز والمحمدة متى كان جيد التمييز *

وجودة التمييز هى اما ان يحصل للانسان اعتقاد بحق او يقوى على تمييز ما يرد عليه ـ ورداءة التمييز هى ان لا يعتقد فيما آثر الوقوف عليه لا حقا ولا باطلا فيجب ان نبين كيف لنا السبيل الى ان تكون افعالنا جميلة وعوارض انفسنا على ما ينبغى وباى سبيل تحصل لنا جودة التميز *

وينبغى ان يعلم اولا ان الافعال الجميلة قد يمكن ان توجد للانسان باتفاق وبان يحمل عليها من غير ان يكون فعلها طوعا والسعادة ليست تنال بالافعال الجميلة متى كانت عن الانسان لهذه الحال لكن ان يكون له

و قد

وقد فعلها طوعا وباختياره ولا ايضا اذا فعلها طوعا فى بعض الاشياء فى بعض الازمان لكن ان يختار الجميل فى كل مايفعله وفي زمان حيوته باسرها *

وهذه الشرائط باعيانها يجب ان تكون فى عوارض النفس الجميلة وايضا فان جودة التمييز ربما وجد للانسان باتفاق فانه ربما يحصل للانسان اعتقاد حق بالقصد وبالصناعة والسعادة ليست تنال بجودة التمييز مالم تكن بقصد وبصناعة ومن حيث يشعر الانسان بما يميز كيف يميز وقد يمكن ان يكون للانسان من حيث يشعر بها لكن فى اشياء يسيرة وفى بعض الازمان ولا بهذا المقدار من جودة التمييز ينال السعادة لكن انما ينال متى كانت جودة التمييز للانسان وهو بحيث يشعر بما يميز كيف يميز وفى كل حين من زمان حيوته *

والشقاوة تلحق الانسان متى كانت افعاله وعوارض نفسه وتمييزه بضد هذه التى قيلت وهو ان يفعل الافعال القبيحة طوعاً ويختارها فى كل مايفعل فى زمان حيوته باسره وكذلك عوارض نفسه ويكون له رداءة التمييز فى كل ما للانسان تمييزه وفى كل حين من زمان حيوته *

وينبغى ان نقول الآن فى التى بها تكون الافعال وعوارض النفس والتمييز بالحال التى ينال بها السعادة لامحالة وفى التى بها تكون هذه الثلاثة بحال يلحقها بها السعادة لامحالة ثم تجنب هذه ونعنى بتلك *

فاقول ان كل انسان هو مفطور من اول وجوده على قوة بها تكون افعاله وعوارض نفسه وتمييزه على ماينبغي وتلك القوة بعينها تكون له هذه الثلاثة

على غير ماينبغى و بهذه القوة يفعل الافعال الجميلة وبها بعينها يفعل الا فعال القبيحة فيكون سبب ذلك امكان فعل القبيح من الانسان على مثال امكان فعل الجميل منه وبها يمكن ان تحصل له جودة التميز و بها بعينها يمكن ان تحصل له رداءة التميز وتلك حال هذه القوى من عوارض النفس فان امكان القبيح منها على مثال امكان الجميل *

ثم تحدث بعد ذلك للانسان حال اخرى بها تكون هذه الثلاثة على احد امرين فقط اعنى اما على جميل ما ينبغي فقط واما على قبيح ما ينبغي فقط من غير ان يكون امكان فعل ما ينبغي على مثال امكان فعل مالا ينبغي بالسواء لكن بها يكون احدهما اشد امكانا من الآخر *

اما القوة التي يفطر عليها الانسان من اول وجوده فليس الى الانسان اكتسابها واما الحال الاخرى فانها انما تحدث باكتساب من الانسان لها *

وهذه الحال تنقسم الى صنفين احدهما به يكون التميز اما جيداً فقط واما رديًا فقط و الآخر به تكون الافعال و عوارض النفس اما جميلة فقط و اما قبيحة فقط *

والصنف الذى يكون به التميز على جودة او رداءة ينقسم الى صنفين تكون باحدهما جودة التميز ويسمى قوة الذهن وتكون بالآخر رداءة التميز ويسمى ضعف الذهن والبلادة *

والذى يكون به الافعال و عوارض النفس اما جميلة و اما قبيحة يسمى الخلق و الخلق الذى تصدر به عن الانسان الافعال القبيحة و الحسنة ولما كانت الافعال والتميز التي بها ينال السعادة هي بالشرائط التي قيلت وكانت احدى

تلك

تلك الشرائط ان تكون هذه في كل شيء و دائما لزم ان يكون ما به تصدر عن الافعال والتميز بهذه الشرائط حالاً شأنه ان يكون عند احد الامرين يحفظ حتى يمكن الانسان به ادامة فعل الجميل وجودة التمييز في كل شيء *

و لما كانت القوة التي فطر الانسان عليها بحيث لا يصدر عنها احد الامرين فقط دون الآخر وكانت الحال المكتسبة التي تحدث بعد ذلك بحيث يصدر عنها احد الامرين فقط لزم ان تكون الافعال و عوارض النفس انما يمكن ان يكون منها بحيث ينال بها السعادة لا محالة متى حصل لنا خلق جميل وتكون لنا جودة التمييز بحيث ننال بها السعادة لا محالة متى صارت لنا قوة الذهن ملكة لا يمكن زوالها او يعسر فالخلق الجميل و قوة الذهن هما جميعا الفضيلة الانسانية من قبيل ان فضيلة كل شيء هي التي تكسبه الجودة والكمال في ذاته تكسب افعاله جودة ـ وهذان جميعا هما اللذان اذا حصلا حصلت لنا الجودة والكمال في ذواتنا وافعالنا فبهما نصير نبلاء خيارا فاضلين و بهما تكون سيرتنا في حيوتنا سيرة فاضلة وتصير جميع تصرفاتنا تصرفات محمودة *

فلنبتدى الآن في التي بها نصل الى ان تصير لنا الاخلاق الجميلة ملكة ثم نتبع بالتي بها نصير الى ان تصير لنا القوة على ادراك الصواب ملكة و اعني بالملكة ان تكون بحيث لا يمكن زوالها او يعسر *

فنقول ان الاخلاق كلها الجميل منها والقبيح هي مكتسبة ويمكن الانسان متى لم يكن له خلق حاصل ان يحصل لنفسه خلقاً و متى صادف ايضاً نفسه

فى شىء ما على خلق ما اماجميل اوقبيح ينتقل بارادته الى ضد ذلك الخلق والذى به يكتسب الانسان الخلق اوينتقل لنفسه عن خلق صادفها عليه هو الاعتياد ـ واعنى بالاعتياد تكرير فعل الشىء الواحد مرارا كثيرة زمانا طويلا فى اوقات متقاربة ولماان الخلق الجميل ايضا يحصل عن الاعتياد فينبغى ان نقول في التى اذا اعتدناها حصل لنا بها خلق جميل وفى التى اذا اعتدناها حصل به خلق قبيح *

فاقول ان الاشياء التى اذا اعتدناها اكسبتنا الخلق الجميل هى الافعال التى شأنها ان تكون فى اصحاب الاخلاق الجميلة والتى تكسبنا الخلق القبيح هى الافعال التى تكون من اصحاب الاخلاق القبيحة والحال فى التى بها يستفاد تحصيل الاخلاق كالحال فى التى تستفاد بها الصناعات فان الحذق بالكتابة انما يحصل متى اعتاد الانسان فعل من هو حاذق كاتب وكذلك سائر الصناعات فان جودة فعل الكتابة انما تصدر عن انسان بالحذق فى الكتابة والحذق في الكتابة يحصل متى تقدم الانسان واعتاد جودة فعل الكتابة وجودة الكتابة ممكنة للانسان قبل حصول الحذق فى الكتابة بالقوة التى فطر عليهاو امابعد حصول الحذق فيهافبالصناعة كذلك الفعل الجميل ممكن للانسان اماقبل حصول الخلق الجميل فبالقوة التى فطر عليها واما بعد حصولهافبالفعل ـ وهذه الافعال التى تكون عن الاخلاق اذا حصلت هى باعيانها متى اعتادها الانسان قبل حصول الاخلاق حصلت الاخلاق *

والدليل على ان الاخلاق انما تحصل عن العادة ماتراه يحدث فى المدن

فان اصحاب السياسات انما يجعلون اهل المدن اخيارا بما يعودونهم من افعال الخير ــ واما اي الافعال هي الافعال الجميلة وهي التي باعتيادنا لها يحصل لنا الخلق الجميل فنحن الآن واصفوه *

فنقول ان كمال الانسان في خلقه هو كمال الخلق والحال في الافعال التي بها يحصل كمال الانسان في خلقه كالحال في التي بها يحصل كمال الانسان في بدنه و كمال الانسان في بدنه هو الصحة و كما ان الصحة متى كانت حاصلة فينبغي ان تحفظ و متى لم تكن فينبغي ان تكتسب و كما ان الامور التي بها تحصل الصحة انما تحصل بها متى كانت بحال توسط فان الطعام متى كان متوسطا حصلت به الصحة و التعب متى كان متوسطا حصلت به القوة كذلك الافعال متى كانت متوسطة حصلت الخلق الجميل و متى زال ما شأنه ان تحصل به الصحة لم تكن الصحة كذلك متى زالت الافعال عن الاعتدال و اعتيدت لم يكن عنها خلق جميل و زوال عن الاعتدال المتوسط هذا اما الي الزيادة على ماينبغي او النقصان عماينبغي فان الطعام متى كان زائدا على ماينبغي او ناقصا عماينبغي لم تحفظ به الصحة و التعب متى كان متوسطا افاد الابدان القوة و متى كان ازيد مما ينبغي او ناقصا عماينبغي ازال القوة او حفظ الضعف فكذلك الافعال متى كانت زائلة عن التوسط اما ازيد ممايتبغي او انقص مما ينبغي اكسبت الاخلاق القبيحة او حفظتها وازالت الاخلاق الجميلة و كما ان التوسط فيما يكسب الصحة هو في كثرته وقلته و شدته و ضعفه و طول زمانه وقصره و الزيادة و النقصان فيهما كذلك فعلى هذا المثال الاعتدال في الافعال

هو فى كثرتها وقلتها وشدتها وضعفها وطول زمانها وقصره ولما كان التوسط فى كل شىء انما يكون متى كانت كثرته وقلته وشدته وضعفه على مقدار ما وحصول كل شىء على مقدار ما انما يكون متى قدر بعيار *

فيجب ان نقول فى العيار الذى به نقدر الافعال فتحصل معتدلة. فاقول ان المعيار الذى به نقدر الافعال على مثال العيار الذى به نقدر ما يفيد الصحة وعيار ما يفيد الصحة هو احوال البدن الذى نطلب الصحة له فان التوسط فيما يفيد الصحة انما يمكن ان يوقف عليه متى قيس بالابدان وقدر باحوال البلدان فكذلك عيار الافعال هو الاحوال المطيفة بالافعال وانما يمكن ان توقف على المتوسط فى الافعال متى قيست وقدرت بالاحوال المطيفة بها. وكما ان الطبيب متى رام الوقوف على المقدار الذى هو اعتدال فيما يفيد الصحة تقدم فى معرفة مزاج البدن الذى يقصد بالصحة وفى معرفة الزمان وفى صناعة الانسان وسائر الاشياء التى تحذو صناعة الطب وتجعل مقدار ما يفيد الصحة على مقدار ما يحتمل مزاج البدن وتلائم زمان العلاج *

وكذلك متى اردنا الوقوف على المقدار الذى هو توسط فى الافعال تقدمنا فعرفنا زمان الفعل والمكان الذى فيه الفعل ومن منه الفعل ومن اليه الفعل وما منه الفعل وما به الفعل وما من اجله وله الفعل وجعلنا الفعل على مقدار كل واحد من هذه فحينئذ تكون قد اصبنا الفعل المتوسط ومتى كان الفعل مقدرا بهذه اجمع كان متوسطا ومتى لم نقدره بها اجمع كان الفعل اما زايدا واما ناقصا *

ولما

ولما كانت مقادير هذه الأشياء ليست دائماً واحدة بأعيانها في الكثرة والقلة لزم ان تكون الافعال المتوسطة ليست مقاديرها مقادير واحدة بأعيانها دائماً.

وقد ينبغي الآن ان نذكر على سبيل التمثيل ما هو مشهور انه جميل من الاخلاق ونذكر متوسطات الافعال الكائنة عنها والمحصلة لها ليتطرق الذهن الى مطالعة ما اجمل ههنا على اصناف الاخلاق والافعال الصادرة عنها - فنقول ان الشجاعة خلق جميل وتحصل بتوسط في الاقدام على الاشياء المفزعة والاحجام عنها والزيادة في الاقدام عليها تكسب التهور والنقصان من الاقدام يكسب الجبن وهو خلق قبيح ومتى حصلت هذه الاخلاق صدرت عنها هذه الافعال باعيانها والسخاء تحدث بتوسط في حفظ المال وانفاقه والزيادة في الحفظ والنقصان في الانفاق يكسب التقتير وهو قبيح والزيادة في الانفاق والنقصان في الحفظ يكسب التبذير ومتى حصلت هذه الاخلاق صدرت عنها الافعال باعيانها والعفة تحدث بتوسط في مباشرة التماس اللذة التي هي عن طعم ونكاح والزيادة في هذه اللذة تكسب الشره والنقصان فيها يكسب عدم الحس باللذة وهو مذموم ومتى حصلت هذه الاخلاق صدرت عنها هذه الافعال - والظرف وهو خلق جميل تحدث بتوسط في استعمال الهزل فان الانسان مضطر في حيوته الى الراحة والراحة انما هي ابداً الى ما الافراط فيه ملذ اوغير موذ والهزل هو مما الاستكثار منه ملذ اوغير موذ والتوسط فيه يكسب الظرف والزيادة فيه يكسب المجون والنقصان

يكسب الندامة و الهزل هو فيما تقوله الانسان وفيما يفعله وفيما يستعمله و المتوسط منه هو ما يليق بالرجل الحر الطلق الورع ان تقوله و يسمعه وتحديد هذه الاشياء على الاستقصاء فليس يحتمله هذا الكتاب وقد استقصى ذلك في موضع آخر *

وصدق الانسان عن نفسه انما يحدث متى اعتاد الانسان ان يصف نفسه بالخيرات التي هي له حيث ينبغي ومتى اعتاد الانسان ان يصف نفسه بالخيرات التي ليست له اكسبته التصنع و المخرقة والرياء ومتى اعتاد ان يصف نفسه حيث اتفق بدون ما هو فيه اكسبه ذلك التحاسر والتودد خلق جميل يحدث بتوسط في لقاء الانسان غيره مما يلتذبه من قول او فعل والزيادة فيه يكسب الملق و النقصان يكسب الحصر و اذا كان مع ذلك يلقى غيره بما يغمه اكسبه سوء العشرة *

وعلى هذا المثال قد يمكننا ان نأخذ فيما سوى هذه الافعال توسطا وزيادة ونقصانا فينبغي ان نقول الآن في الحيلة التي بها يمكننا ان نقتني الاخلاق الجميلة فاقول انه يجب اولا ان نحصى الاخلاق خلقاً خلقاً ونحصى الافعال الكائنة عن خلق خلق ومن بعد ذلك ينبغي ان نتأمل وننظر اي خلق نجد انفسنا عليه و هل ذلك الخلق الذى اتفق لنا منذ اول امرنا جميل ام قبيح والسبيل الى الوقوف على ذلك ان نتأمل ذلك وننظر اي فعل اذا فعلناه لحقنا عن ذلك الفعل لذة و اي فعل اذا فعلناه لم نتاذ به و اذا وقفنا عليه نظرنا الى ذلك الفعل هل هو فعل يصدر عن الخلق الجميل اوهو صادر عن الخلق القبيح فاذا كان ذلك كائنا عن خلق جميل

قلنا ان لنا خلقا جميلا وان كان ذلك عن خلق قبيح قلنا ان لنا خلقا قبيحا فبهذا نقف على الخلق الذى تصادف انفسنا عليه اي خلق هو كما ان الطبيب متى وقف على حال البدن بالاشياء التابعة لاحوال البدن فان كانت الحال التى صادف عليها البدن حال صحة احتال فى حفظها على البدن وان كان ماصادف البدن عليه حال سقم استعمل الحيلة فى ازالة ذلك السقم كذلك متى صادفنا انفسنا على خلق جميل احتلنا فى حفظه علينا ومتى صادفنا ها على خلق قبيح استعملنا الحيلة فى ازالته فان الخلق القبيح هو سقم نفساني فينبغي ان نحتذى فى ازالة اسقام النفس حذو الطبيب فى ازالة اسقام البدن ثم ننظر بعد ذلك الخلق القبيح الذى صادفنا انفسنا عليه هل هو من جهة الزيادة او من جهة النقصان وكما ان الطبيب متى صادف البدن ازيد حرارة او انقص رده الى التوسط من الحرارة وبحسب الوسط المحدود فى صناعة الطب كذا متى صادفنا انفسنا على الزيادة او النقصان فى الاخلاق رددناها الى الوسط بحسب الوسط المحدود فى هذا الكتاب — ولما كان الوقوف على الوسط من اول الوهلة عسيرا جدا التمست حيلة فى ايقاف الانسان خلقه عليه او القرب منه جدا كما ان الوسط فى حرارة الابدان لما عسر الوقوف عليه التمست حيلة فى ايقاف البدن عليه و القرب منه جدا والحيلة فى ايقاف الاخلاق على الوسط ان ننظر فى الخلق الحاصل لنا فان كان من جهة الزيادة عودنا انفسنا الافعال الكائنة عن ضده الذى هو من جهة النقصان وان كان ما صادفناه عليه من جهة النقصان عودناها الافعال الكائنة عن ضده الذى هو من جهة الزيادة وندم ذلك زمانا ثم نتأمل وننظر اي

خلق حصل فان الحاصل لا يخلو من ثلاثة احوال اما الوسط و اما المائل عنه و اما المائل اليه فان كان الحاصل هو القرب من الوسط من غير ان تكون قد جاوزنا الوسط الى الضد الآخر دمنا على تلك الافعال باعيانها زمانا ما آخر الى ان ننتهى الى الوسط و ان كنا قد جاوزنا الوسط الى الضد الآخر فعلنا افعال الخلق الاول ودمنا عليه زمنا ثم نتأمل الحال * وبالجملة كلما وجدنا انفسنا مالت الى جانب عودناها افعال الجانب الآخر و لا نزال نفعل ذلك الى ان نبلغ الوسط اونقارب حدا *

واما كيف لنا ان نعلم انا قد وقفنا اخلاقنا على الوسط فانا نعلم بان ننظر الى سهولة الفعل الكائن عن النقصان هل يتأتى ام لا فان كانا على السواء من السهولة او كانا متفاوتين علمنا انا قد وقفنا انفسنا على الوسط و امتحان سهولتهما هو ان ننظر الى الفعلين جميعا فان كنا لا نتأذى بواحد منهما او نلتذ بكل واحد منهما او نلتذ باحدهما و لا نتأذى بالآخر او كان الاذى عنه يسيرا جدا علمنا انهما فى السهولة على السواء و متقاربين و لما كان الوسط بين طرفين و كان قد يمكن ان يوجد فى الاطراف ماهو شبيه بالوسط وجب ان نحرز من الوقوع فى الطرف الشبيه بالوسط *

و مثاله التهور فانه شبيه الشجاعة والتبذير شبيه السخا والمجون شبيه الظرف و الملق شبيه التودد و التحاسر شبيه التواضع والتصنع شبيه صدق الانسان عن نفسه وايضا فانه لما كان فى هذه الاطراف مانحن اميل اليه بالطباع لزم ان نحرز من الوقوع فيه ـ مثل ذلك النقصان من الاقدام على الامر المفزع نحن بالطبع اليه اميل و التقتير نحن اليه اميل و احرى ما نحرز منه ما كان

من

من الاطراف نحن اليه اميل وهو مع ذلك شبيه الوسط. مثال ذلك المجون فان الافراط فى استعمال الهزل لما كان ملذا او غير موذخف عمله فصرنا اليه نميل فقد بقى ان نعرف الذى ينبغى ان نستعمله آلة تسهل بها علينا الانجذاب من طرف الى طرف او الى الوسط فان الروية وحدها وبما لم تكن كافية من دون هذه الآلة *

فنقول انا انما صار القبيح سهلا علينا فعله بسبب اللذة التى عندنا انها تلحقنا بفعل القبيح ونكتسب الجميل متى كان عندنا انه يلحقنا به اذى من قبل انا نظن ان اللذة فى كل فعل هى الغاية ونحن فانما نقصد بجميع مانفعله هذا واللذات منها مايتبع المحسوس مثل اللذات التابعة لمسموع اومنظور اليه اومذوق او ملموس او مشموم ومنها مايتبع المفهوم مثل اللذات التابعة بالرياسة والتسلط والغلبة والعلم وما اشبه ذلك ونحن دائما انما نتحرى اكثر اللذات التى تبتع المحسوس ونظن انها هى غاية الحيوة وكمال العيش من قبل اصطناعنا لها من اول وجودنا. وايضا فان منها ماهو سبب لا ضرورى امالنا واما فى العالم اما الذى لنا فهو التغذى الذى به قوامنا فى حيوتنا. واما الضرورى فى العالم فالتناسل وبهذا نظن انها فى غاية العيش ونظنها هى السعادة ومع ذلك فان المحسوس اعرف عندنا ونحن له اشد ادراكا والوصول اليه اشد امكانا وقد تبين بالنظر والتأمل انها هى الصادة لنا عن اكثر الخيرات وهى العائقة عن اعظم ماتنال به السعادة فانا متى رأينا ان لذة محسوسة تقوينا لفعل جميل ملنا الى تكسب الجميل ومتى بلغ من قوة الانسان ان يطرح هذه اللذات او ينال منها

بقدر فقد قارب الاخلاق المحمودة *

واللذات التابعة للافعال كانت لذة محسوسة او لذة مفهومة فهى اما عاجلة واما عاقبة وكذلك الاذى ولكل واحد من هذه اللذات التابعة افعال تتبع على احد الوجهين وذلك اما ان يكون شأن ذلك الفعل دائما ان يتبعه لذة او اذى مثل الالم الذى يتبع الاحتراق واللذة التى تتبع الباءة فان شأن الاحتراق اذا لحق الحيوان ان يتبعه اذى والم واما ان يتبع الفعل الاذى بان يعرض بالشريعة فيكون تابعا للفعل من غير ان يكون شأن ذلك الفعل ان يتبعه دائما وذلك الاذى مثل حال الزانى وقتل القاتل والافعال الجميلة التى يتبعها اذى فى العاجل فان تلك لا محالة تتبعها لذة فى العاقبة والافعال القبيحة التى تتبعها لذة فى العاجل فان تلك يتبعها فى العاقبة لا محالة *

وينبغى ان تحصل اللذات التابعة بفعل فعل والاذى التابع له ونميز ما منها لذته عاجلة واذاه فى العاقبة فمتى ملنا الى فعل قبيح بسبب لذة ظننا انها تتبع القبيح فى الآجل قابلنا تلك اللذة بالاذى التابع له فى العاقبة فقمعنا به اللذة الداعية لنا الى فعل القبيح فيسهل علينا بذلك ترك القبيح ومتى ملنا الى ترك فعل جميل بسبب اذى يلحق فى العاجل قابلناه باللذة التى تتبع الجميل فى العاقبة فقمعنا به الاذى الصارف لنا عن الجميل فيسهل علينا فعل الجميل — وايضا متى ملنا الى قبيح بسبب لذة فيه عاجلة قابلناها بما فيها فى الآجل من القبح *

والناس منهم من له جودة الروية وقوة العزيمة على ما اوجبته الروية

فذلك هو الذى جرت عادتنا ان نسميه الحر باستيهال ومن لم تكن له هاتان فى عادتنا ان نسميه الانسان البهيمى ومن كانت له جودة الروية فقط دون قوة العزيمة سميناه العبد بالطبع *

وقوم ممن ينسب الى العلم او يتفلسف قد عرض لهم ذلك فصار و اقى مرتبة من ليس دون الاول فى الرق وصار ممن ينسبون اليه عاراً عليهم ومسبة اذا صار ذلك باطلا لا ينتفعون به ـ ومنهم من له قوة العزيمة وليست له جودة الروية ومن كان كذلك فان الذى يروى له غيره وهو اما ان يكون منقاد المن يروى له اوغير منقاد فان كان غير منقاد فهو ايضا بهيمي وان كان منقادا انجح فى اكثر افعاله وبهذا السبب قد خرج من من الرق وشارك الاحرار *

واللذات التابعة للافعال بعضها اعرف ونحن لها اشد ادراكا وبعضها اخفى والاعرف هو ما كان فى العاجل وكان لذة محسوسة وكذلك الاذى فان كان منه فى العاجل وكان عن محسوس فانه اظهر عندنا ولاسيما اذا كان مع ذلك اذى وضع الشريعة ـ والاخفى ماسوى ذلك من اللذات والاذى واخفى ذلك ما كان بالطبع وكان فى العاقبة وكان مع ذلك غير مفهوم ـ وما كان من ذلك عاجلا وبالطبع فهو دون ذلك فى الخفاء وكذلك ماكان منها فى العاقبة وكان غير محسوس *

اما الاحرار من الناس فانهم متى ارادوا ان يسهلوا على انفسهم فعل الجميل وترك القبيح باستعمال اللذة والاذى فان الاخفى منها

و الاظهر عندهم بمنزلة و احدة فان اللذات الداعية لهم الى القبيح ينقمع بالاذى و ان كان الاذى من التى هى اخفى كما ينقمع بما هو اظهر من قبيل ان جودته ر و تيتهم تجعل ما شأنه ان يخفى على الاكثر بمنزلة الاظهر *

واما من سواهم من الناس فليس يكتفون بذلك دون ان تقمع لذاتهم باذى اظهر مما يكون وعسى ان يكون من هؤلاء من يكتفى فيهم متى مالوا الى القبيح بسبب لذة عاجلة ان يقمع بلذة توضع تابعة لتركه او لفعل ضده فبهذا الوجه ينبغى ان يؤدب الصبيان فان كان ممن لا يكفيه ذلك زيد اليه اذى يعقب القبيح ويجعل الاذى اظهر ما يكون وبهذا الوجه اعنى الوجه الاخير ينبغى ان يدبر البهيميون ومن لا يكتفى فيه بالوجه الاول واظهر اللذات والاذى ما لحق الحواس واما ما يلحق الانسان ليس من حواسه فهو مثل الخوف والغم وضيق الصدر وما اشبه ذلك *

ومن البهيمى من يكتفى فيهم بهذا الاذى وحده ومنهم من لا يكتفى فيهم بذلك او يلحقهم اذى في حواسهم واخزى ما تاذى به الانسان فى حسه هو ما لحق حس اللمس وبعده ما يلحق حس الشم وحس الذوق وبعد ذلك ما يلحق باقى الحواس فبهذا السبيل يقدر الانسان على تسهيل سبيل الخير وترك الشر على نفسه وعلى غيره وهذا المقدار من القول كاف ههنا واستقصاء القول فيه هو للممعن بالنظر في علم السياسة وقد استقصى ذلك *

وينبغى

وينبغي ان نقول في جودة التمييز فنقول اولاً في جودة التمييز ثم في السبيل الذى به تحصل لنا جودة التمييز — فاقول ان جودة التمييز هي التي بها نحوز وتحصل لنا معارف جميع الاشياء التي للانسان ان يعرفها وهي صنفان صنف شأنه ان يعلم وليس شأنه ان يفعله انسان لكن انما يعلم فقط مثل علمنا ان العالم محدث وان الله واحد ومثل علمنا باسباب كثيره من الاشياء المحسوسة — وصنف شأنه ان يعلم ويعمل مثل علمنا ان بر الوالدين حسن وان الخيانة قبيحة وان العدل جميل ومثل علم الطب بما يكسب الصحة وما شأنه ان يعلم ويعمل فكماله ان يعمل وعلم هذه الاشياء متى حصل ولم يردف بالعمل كان العلم باطلا لا جدوى له وما شأنه ان يعلم ولم يكن شأنه ان يعمله الانسان فان كماله ان يعلمه فقط وكل واحد من هذين الصنفين له صناعة تحوزه فان ما شأنه ان يعلم فقط انما تحصل معرفته بصنائع ما يكسب علم ما يعلم ولا يعمل وما شأنه ان يعلم ويعمل تحصل ايضاً بصنائع اخر فالصنائع ايضاً صنفان صنف تنالنا بها معرفة بالعلم فقط وصنف تحصل لنا بها علم ما يمكن ان يعمل والقدرة على عمله والصنائع التي تكسبنا علم ما تعمل والقوة على عمله صنفان صنف يتصرف به الانسان في المدن مثل الطب والتجارة والفلاحة وسائر الصنائع التي تشبه هذه وصنف يتصرف به الانسان في السير انها تجود وتتميز به اعمال البر والافعال الصالحة وبه يستفيد القوة على فعلها وكل واحد من هذه الصنائع الثلاث له مقصود ما انساني اعني به المقصود الذى هو خاص والمقصود الانساني ثلاثة اللذيذ والنافع والجميل والنافع اما نافع في اللذة واما نافع في الجميل — والصناعات التي

يتصرف بها فى المدن مقصودها النافع والذى يميز السير ويها يستفاد القوة على ما يجر فان مقصوده ايضاً من الجميل من قبل ان تحصلها العلم واليقين بالحق ومعرفة الحق واليقين هى لا محالة جميلة فقد حصل ان مقصود الصنائع كلها اما جميل واما نافع فاذن الصنائع صنفان صنف مقصوده تحصيل الجميل وصنف مقصوده تحصيل النافع والصناعة التى مقصودها تحصيل الجميل فقط هى التى تسمى الفلسفة وتسمى الحكمة على الاطلاق والصناعات التى يقصدبها النافع فليس منها شىء يسمى الحكمة على الاطلاق ولكن ربما يسمى بعضها بهذا الاسم على طريق التشبيه بالفلسفة. ولما كان الجميل صنفين صنف هو علم فقط وصنف هو علم وعمل صارت صناعة الفلسفة صنفين صنف به تحصل معرفة الموجودات التى ليس للانسان فعلها وهذه تسمى النظرية والثانى به تحصل معرفة الاشياء التى شأنها ان تفعل والقوة على فعل الجميل منها وهذه تسمى الفلسفة العملية* والفلسفة المدنية والفلسفة النظرية تشتمل على ثلاثة اصناف من العلوم احدها علم التعاليم والثانى العلم الطبيعي والثالث علم ما بعد الطبيعيات وكل واحد من هذه العلوم الثلاثة يشتمل على صنف من الموجودات التى شأنها ان يعلم فقط *

واما تحصيل صنف صنف من اصناف الموجودات التى يشتمل عليها واحد واحد من هذه العلوم الثلاثة فليست بنا حاجة اليه ها هنا فمن التعاليم علم العدد وعلم الهندسة وعلم المناظر والفلسفة المدنية صنفان احدهما تحصل به علم الافعال الجميلة والاخلاق التى تصدر عنها الافعال الجميلة والقدرة على اسبابها وبه

تصير

تصير الاشياء الجميلة قنية لنا وهذه تسمى الصناعة الخلقية والتى يشتمل على معرفة الامور التى بها تحصل الاشياء الجميلة لاهل المدن و القدرة على تحصيلها لهم وحفظها عليهم وهذه تسمى الفلسفة السياسية فهذه جمل اجزاء صناعة الفلسفة ــ ولما كانت السعادات انما ننالها متى كانت لنا الاشياء الجميلة قنية وكانت الاشياء الجميلة انما تصير لنا قنية بصناعة الفلسفة فلازم ضرورة ان تكون الفلسفة هي التي بها ننال السعادة فهذه هى التي تحصل لنا بجودة التمييز *

واقول لما كانت الفلسفة انما تحصل بجودة التمييز و كانت جودة التمييز انما تحصل بقوة الذهن على ادراك الصواب كانت قوة الذهن حاصلة لنا قبل جميع هذه وقوة الذهن انما تحصل متى كانت لنا قوة بها نقف على الحق انه حق يقين فنعتقده و بها نقف على ما هو باطل انه باطل بيقين فنجتنبه ونقف على الباطل الشبيه بالحق فلا نغلط فيه ونقف على ماهو حق فى ذاته و قد اشبه الباطل فلا نغلط فيه ولا ننخدع والصناعة التي بها نستفيد هذه القوة تسمى صناعة المنطق *

و هذه الصناعة هى التي بها يوقف على الاعتقاد الحق اي ماهو و على الاعتقاد الباطل اي ماهو وعلى الامور التى بها يصير الانسان الى الحق و الامور التى بها يزول الانسان عن الحق و الامور التى بها يظن في الحق انه باطل والتى تخيل الباطل فى صورة الحق فيوقع ذهن الانسان في الباطل من حيث لا يشعر ويوقف على السبيل التي بها يزيل الانسان الباطل عن ذهنه متى اتفق ان اعتقده و هو لا يشعر و التي بها يزيل الباطل عن غيره ان كان وقع فيه

و هو لا يشعر حتى ان قصد الانسان مطلوبا اراد ان يعرفه استعمل الامور التى توقعه على الصواب من مطلبه و متى وقع له اعتقاد فى شىء عرض له فيه شك هل هو صواب اوليس بصواب امكنه امتحانه حتى يصير الى اليقين فيه انه صواب اوليس بصواب و متى اتفق له في خلال ذلك وقوع في باطل لم يشعر به امكنه اذا تعقب ذلك ان يزيل الباطل عن ذهنه فاذا كانت هذه الصناعة بالحال التى وصفنا فيلزم ضرورة ان تكون العناية بهذه الصناعة تتقدم العناية بالصنائع الاخر *

و لما كانت الخيرات التى هى للانسان بعضها اخص و بعضها اقل خصوصا و كان اخص الخيرات بالانسان عقل الانسان اذ كان الشىء الذى به صار انسانا هو العقل و لما كان ما يفيده هذه الصناعة من الخيرات عقل الانسان صارت هذه الصناعة تفيد الخيرات التى هى اخص الخيرات بالانسان فاسم العقل قد يقع على ادراك الانسان الشىء بذهنه وقد يقع على الشىء الذى يكون به ادراك الانسان والامر الذى به يكون ادراك الانسان الذى يسمى العقل قد جرت العادة من القدماء ان يسموها النطق واسم النطق قد يقع على النظم و العبارة باللسان وعلى هذا المعنى يدل اسم النطق عند الجمهور وهو المشهور من معنى هذا الاسم *

و اما القدماء من اهل هذا العلم فان هذا الاسم يقع عندهم على المعنيين جميعا و الانسان قد يصدق عليه انه ناطق بالمعنيين جميعا اعنى من طريق انه يعبر وان له الشىء الذى به يدرك غير ان القدماء يعنون بقولهم فى الانسان انه ناطق ان له الشىء الذى به يدرك مايصدق و يعرفه *

ولما كانت هذه الصناعة تفيد النطق كما له سميت صناعة المنطق والذي به يدرك الانسان مطلوبه قد يسمى ايضاً الجزء الناطق من النفس فصناعة المنطق هي التي بها ينال الجزء الناطق كماله ولما كان اسم المنطق قد يقع على العبارة باللسان ويظن كثير من الناس ان هذه الصناعة قصدها ان تفيد الانسان المعرفة بصواب العبارة و ليس ذلك كذلك بل الصناعة التي يفيد العلم بصواب العبارة والقدرة عليه هو صناعة النحو ــ وسبب الغلط في ذلك هو مشاركة المقصود لصناعة النحو المقصود بهذه الصناعة في الاسم فقط فان كليهما يسمى باسم المنطق غير ان المقصود في هذه الصناعة من المعنيين اللذين يدل عليهما اسم المنطق هو احدهما دون الآخر و بين صناعة النحو و صناعة المنطق تشابه ما وهو ان صناعة النحو تفيد العلم بصواب ما يلفظ به و القوة على الصواب منه بحسب عادة اهل لسان ما ــ و صناعة المنطق تفيد العلم بصواب ما يعقل و القدرة على اقتناء الصواب فيما يعقل و كما ان صناعة النحو تقوم اللسان حتى لا يلفظ الا بصواب ما جرت به عادة اهل لسان ما كذلك صناعة المنطق تقوم الذهن حتى لا يعقل الا الصواب من كل شيء *

و بالجملة فان نسبة صناعة النحو الى الالفاظ هي كنسبة صناعة المنطق الى المعقولات فهذا تشابه ما بينهما فاما ان تكون احداهما هي الاخرى او ان تكون احداهما داخلة في الاخرى فلا *

فقد تبين بهذا القول كيف السبيل الى السعادة و كيف السلوك في سبيلها و مراتب ما ينبغي ان يسلك عليه فان اول مراتبها تحصيل صناعة

المنطق و لما كانت هذه الصناعة هى اول صناعة ينبغى ان يشرع فيها من صنائع العلوم و كانت كل صناعة انما يمكن الشروع فيها متى كانت مع الناظر فيها امور تستعمل فى تكشف ما تشتمل عليه تلك الصناعة فقد ينبغى اولا ان نعلم الامور التى يجب ان نستعمل فى تكشف ما تشتمل عليه تلك الصناعة و التى نستعمل فى تكشف ما فى كل صناعة من الامور التى شأنها ان يكون الانسان قد حصل عليها قبل الشروع فى الصناعة و قد يسمى الاوائل التى بها يمكن الشروع فى الصناعة والاشياء التى للانسان معرفتها منها ما لا يعرى احد من معرفته بعد ان يكون سليم الذهن مثل ان جميع الشىء اكبر و اعظم من بعضه و ان الانسان غير الفرس و هذه تسمى العلوم المشهورة والاوائل المتعارفة *

و هذه متى جحدها انسان بلسانه فلا يمكنه ان يجحدها فى ذهنه اذ كان لا يمكن ان يقع له التصديق بخلافه و منها ما انما يعرفها بعض الناس دون بعض و من هذه ما قد يوقف عليه بسهولة و منها ما شأنه ان لا تكون معرفتها للجميع لكن انما نعلمه بفكرنا و نصل الى معرفتها بتلك الاوائل التى لا يعرى منها احد *

و لما كانت صناعة المنطق هى اول شىء يشرع فيه بطريق صناعى لزم ان تكون الاوائل التى يشرع فيها امورا معلومة سبقت معرفتها للانسان فلا يعرى من معرفتها احد و هى اشياء كثيرة و ليس اي شىء اتفق منها يستعمل في اى شىء اتفق من الصنائع لكن صنف منها يستعمل في صناعة و صنف آخر في صناعة اخرى فلذلك ينبغى ان يحصل من

تلك الاشياء مما يحتاج لصناعة المنطق فقط و يخلى عن سائرها كسائر الصنائع ـ وجميع هذه الاشياء التى لا تعرى عن علمها احد هى حاصلة فى ذهن الانسان من اول وجوده غريزية فيه غير ان الانسان ربما لم يشعر بما هو حاصل فى ذهنه حتى اذا سمع اللفظ الدال عليه شعر حينئذ انها كانت فى ذهنه و كذلك ربما تنفصل هذه الاشياء بعضها عن بعض فى ذهنه حتى يرى الانسان بذهنه كل واحد منها على حياله حتى اذا سمع الفاظها المناسبة الدالة عليه رآها منفصلة متميزة فى ذهنه فلذلك ينبغى فيما اتفق منها ان لا يشعر به اولا يشعر بتفصيل بعضه عن بعض ان يعدد الفاظها الدالة عليها فحينئذ يشعر بها الانسان و يرى كل واحد على حياله *
و كثير من الاشياء التى يمكن الشروع بها فى صناعة المنطق لا يشعر بتفصيلها و هى حاصلة فى ذهن الانسان فينبغى اذن متى قصد بالتنبيه عليها ان يحضر اصناف الالفاظ الدلة على اصناف المعانى المعقولة حتى اذا شعر بتلك المعانى و رأى كل واحد منها على حياله اقتضب حينئذ من المعانى ما شأنه ان يستعمل فى تكشف هذه الصناعة*

ولما كانت صناعة النحو التى تشتمل على اصناف الالفاظ الدالة وجب ان تكون صناعة النحو لها غنآما فى الوقوف والتنبيه على اوائل هذه الصناعة فلذلك ينبغى ان نأخذ من صناعة النحو مقدار الكفاية فى التنبيه على اوائل هذه الصناعة او نتولى بحسن تعديد اصناف الالفاظ التى من عادة اهل اللسان الذى به يدل على ما تشتمل عليه هذه الصناعة اذا اتفق ان لم يكن لاهل ذلك اللسان صناعة تعدد فيها اصناف الالفاظ التى هى

في لغتهم فلذلك ما يتبين ما عمل من قديم في المدخل الى المنطق اشياء هي من علم النحو و اخذ منه مقدار الكفاية بل الحق انه استعمل الواجب فيما يسهل به التعليم *

و من سلك غير هذا المسلك فقد اغفل او اهمل الترتيب الصناعي و نحن اذا كان قصدنا ان نلزم فيه الترتيب الذي يوجبه الصناعة فقد ينبغي ان نفتتح كتابا من كتب الآلات به يسهل الشروع في هذه الصناعة بتعديد اصناف الالفاظ الدالة فيجب ان نبتدي به و نجعله ثالثا لهذا الكتاب *

تم طبع هذه الرسالة بحمد الله و حسن
توفيقه في شهر جمادى الاخرى
سنة (١٣٤٦) هجرية

وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً

كتاب تحصيل السعادة

للمعلم الثانى الحكيم ابى نصر محمد بن محمد
ابن اوزلغ بن طرخان الفارابى رحمه الله
وجعل الجنة مثواه المتوفى
سنة تسع وثلاثين
وثلاثمائة
هجرية

طبع في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
الكائنة بحيدرآباد الدكن حرسها الله
عن الشرور والفتن فى شهر
ربيع الاول سنة
(١٣٤٥)
هجرية



بسم الله الرحمن الرحيم

الاشياء الانسانية التى اذا حصلت فى الامم و فى اهل المدن حصلت لهم بها السعادة الدنيا فى الحيوة الاولى و السعادة القصوى فى الحيوة الاخرى اربعة اجناس الفضائل النظرية و الفضائل الفكرية و الفضائل الخلقيه و الصناعات العملية فالفضائل النظرية هى العلوم التى الغرض الاقصى منها ان تحصل الموجودات و التى يحتوى عليها معقوله مبتغيا بها فقط و هذه العلوم منها ما يحصل للانسان منذ اول امره من حيث لا يشعر و لا يدرى كيف و من اين حصلت و هى العلوم الاول و منها ما يحصل بتأمل و عن فحص و استنباط و عن تعليم و تعلم *

و الاشياء المعلومة بالعلوم الاول هى المقدمات الاول و منها يصار الى العلوم المتأخرة التى تحصل عن فحص و استنباط و تعليم و تعلم

و الاشياء

و الاشياء التي يلتمس علمها بفحص او تعليم هى التى تكون من اول الامر مجهولة فاذا فحص عنها والتمس علمها صارت مطلوبة فاذا حصل للانسان فيما بعد ذلك عن استنباط او تعلم اعتقادا و رأى او علم صارت نتائج والملتمس من كل مطلوب هو ان يحصل به الحق اليقين غير انه كثيرا ما لا يحصل لنا به اليقين بل ربما حصل لنا ببعضه اليقين و حصل لنا فى بعض ما نلتمسه منها ظن واقناع وربما حصل لنا فيه تخيل وربما ضللنا عنه حتى نظن انا قد صادفناه من غير ان نكون صادفناه و ربما عرضت لنا فيه حيرة اذا تكافأت عندنا المثبتة والمبطلة له و السبب فى ذلك اختلاف الطرق التى تسلكها عند مصيرنا الى المطلوب فانه لا يمكن ان يكون طريق واحد يوقعنا فى المطلوبات اعتقادات مختلفة بل يجب ان تكون الطرق التى توقعنا فى اصناف المطلوبات اعتقادات مختلفة طرقا مختلفة لا نشعر باختلافها ولا بالفصول بينها بل نظن انا نسلك الى كل مطلوب طريقا واحدا بعينه فينبغى ان نستعمل فى مطلوب ما طريقا شأنه ان يفضى بنا الى الاقناع فيه والظن فلا نشعر به ويكون عندنا ان الطريق هو واحد بعينه و ان الذى سلكناه فى الثانى هو الذى سلكناه فى الاول وعلى هذا نجد الامر فى اكثر احوالنا وفى جل من نشاهد من النظار و الفاحصين *

فتبين من ذلك انا مضطرون قبل ان نشرع فى الفحص عن المطلوبات الى ان نعرف ان هذه الطرق كلها صناعية و الى علم نميز به بين هذه الطرق المختلفة بفصول و علامات تخص به واحدة منها و احدة من تلك الطرق

وان تكون قرائحنا العلمية المفطورة فينا بالطبع مقومة لصناعة تعطينا علم هذه اذ كانت فطرتنا غير كافية في تمييز هذه الطرق بعضها عن بعض. وذلك ان تتيقن باي شرائط واحوال ينبغي ان تكون المقدمات الاول وباي ترتيب ترتب حتى تفضي لا محالة بالفاحص الى الحق نفسه والى اليقين فيه. وباي شرائط واحوال تكون المقدمات الاول وباي ترتيب ترتب فيضل الفاحص عن الحق ويتحير حتى لا يدرى فيه اما هو الحق من مطلوبه. وباي شرائط واحوال تكون المقدمات الاول واي ترتيب ترتب فيعطى في المطلوب الظن والاقناع حتى يوهم انه يقين من غير ان يكون يقينا وباي شرائط واحوال تكون المقدمات الاول واي ترتيب ترتب فيفضي بالفاحص لا الى الحق نفسه بل الى مثال الحق وخياله *

فاذا عرفنا هذه كلها شرعنا حينئذ في التماس علم الموجودات اما بفحصنا نحن بانفسنا. واما بتعليم غيرنا لنا فانا انما ندرى كيف الفحص وكيف التعليم والتعلم بمعرفة الاشياء التي ذكرناها وبهذه القوة نقدر ان نميز ما استنبطنا نحن هل هو يقين اوظن اوهو الشيء نفسه او خياله ومثاله وكذلك ايضا نمتحن بما قد تعلمناه من غيرنا وما نعلمه نحن غيرنا *

والمعلومات الاول في كل جنس من الموجودات اذا كانت فيه الاحوال والشرائط التي يفضي لاجلها بالفاحص الى الحق اليقين فيما يطلب علمه من ذلك الجنس هي مبادى التعليم في ذلك الجنس واذا كانت للانواع التي يحتوى عليها ذلك الجنس ولكثير منها اسباب بها او عنها او لها وجود تلك

الانواع

الانواع التي يحتوى عيلهـا ذلك الجنس فهى مبادى الوجود لما يشتمل عليه ذلك الجنس ممـا يطلب معرفته و كانت مبادى التعليم فيه هى باعيانها مبادى الوجود *

و سميت البراهين الكائنة عن تلك المعلومات الاول براهين لم الشيء اذا كانت تعطى مع علم هل الشيء موجود لم هو موجود واذا كانت المعلومات التي فيها تلك الاحوال والشرائط فى جنس ما من الموجودات اسبابا لعلمنا بوجود ما يحتوى عليه ذلك الجنس من غير ان يكون اسبابا لوجود شيء منها كانت مبادى التعليم فى ذلك الجنس غير مبادى الوجود وكانت البراهين الكائنة عن تلك المعلومات براهين هل الشيء وبراهين ان الشيء لا براهين لم الشيء *

ومبادى الوجود اربعة ماذا وبماذا وكيف وجود الشيء فان هذه يعنى به امر واحد وعماذا وجوده ولماذا وجوده فان قولنا عماذا وجوده ربما دل به على المبادى الفاعلة وربما دل به على المواد فتصير اسباب الوجود ومباديه اربعة ومن اجناس الموجودات ما لا يمتنع ان لا يكون لوجوده مبدء اصلاً وهو المبدأ الاقصى لوجود سائر الموجودات فان هذا المبدأ انما عندنا مبادى علمنا له فقط ومنها ما يوجد له هذه الاربعة باسرها ومنها ما لا يمتنع ان يوجد له ثلثة من هذه وهو الذى لا يمكن ان يكون له مادة من بين المبادى فقط وكل علم من العلوم التي يلتمس بها ان تحصل الموجودات معقولة فقط فانما قصدها او لا اليقين لوجوده جميع ما يحتوي عليه الجنس

وانما يصار الى علم مبادى الوجود اذا ابتدى من مبادى التعليم الذى يلتمس عليه علم انواعه ثم اليقين بمبادى الوجود فماله منه مبادى والبلوغ فى ذلك الى استيفاء عدد المبادى الموجودة فيه فان كانت المبادى التى توجد له هى الاربعة باسرها استوفاها كلها ولم يقتصر على بعضها دون بعض وان لم يكن فيه الاربعة كلها التمس الوقوف على مقدار ما يجد له من المبادى كانت ثلاثة او اثنين او واحدا ثم لم يقتصر فى شىء من اجناس المبادى القريبة من ذلك الجنس بل يلتمس مبادى تلك المبادى ومبادى المبادى الى ان ينتهى الى ابعد مبدء يجده فى ذلك الجنس فيقف وان كان لهذا الاقصى الذى هو اقصى مبدء فى ذلك الجنس مبدأ ايضا ولم يكن من ذلك الجنس بل كان من جنس آخر لم يتخطأ اليه بل يتخلى عنه ويرجى النظر فيه الى ان يبلغ الى النظر فى العلم الذى يحتوى على ذلك الجنس ماذا كان الجنس الذى فيه ينظر توجد مبادى التعليم فيه هى باعيانها مبادى وجود ما يحتوى عليه ذلك الجنس استعمل تلك المبادي وسلك الى مابين يديه حتى يأتى على ما يحتوى عليه ذلك الجنس فيحصل له فى كل مطلوب علم هل الشىء ولم هو معاً الى ان ينتهى الى اقصى ما سبيله ان يبلغ فى ذلك الجنس واذا كانت مبادى التعليم فى جنس ما من الموجودات غير مبادى الوجود فانما يكون ذلك فيما مبادى الوجود فيه خفية غير معلومة من اول الامر ويكون مبادى التعليم فيه اشياء وجودها غير مبادى الوجود وتكون متأخرة عن مبادى الوجود *

فرتبت

فرتبت الترتيب الذى به يلزم النتيجة ضرورة فتكون النتيجة الكائنة هى مبدأ وجود الاشياء التى الفت ورتبت فتكون مبادى التعليم اسباباً لعلمنا بمبادى الوجود وتكون النتائج الكائنة عنها مباد واسباباً لوجود الامور التى اتفق فيها ان كانت مبادى التعليم فعلى هذا المثال يرتقى من من علوم الاشياء المتاخرة عن مبادى الوجود الى اليقين بالاشياء التى هى مبادى اقدم وجوداً وان كان مبدأ الوجود الذى صرنا اليه بهذا الطريق له مبدأ آخر اعلى منه وابعد من الاول جعلنا ذلك مقدمة وارتقينا منه الى مبدء المبدء ثم نسلك على هذا الترتيب ابداً الى ان نأتى على اقصى مبدء نجده فى ذلك الجنس ولا يمتنع اذا ارتقينا الى مبدء ما عن اشياء معلوم وجودها عن ذلك المبدء ان تكون ايضاً هناك اشياء اخر مجهول وجودها عن ذلك المبدء خفية عنا لم نكن علمناها منذ اول الامر فاذا استعملنا ذلك المبدء الذى حصل معلوماً عندنا الآن مقدمة وصرنا منها الى معرفة تلك الاشياء الاخر الكائنة عن ذلك المبدء اعطانا ذلك المبدء فى تلك الاشياء علم هل هو ولم هو معا فانه لا يمتنع ان تكون اشياء كثيرة كائنة عن مبدء واحد ويكون واحد من تلك الاشياء الكثيرة هو المعلوم وجده عندنا منذ اول الامر ويكون ذلك المبدء وتلك الاشياء الاخر الكائنة عنه خفية فنرتقى من ذلك الواحد المعلوم الى علم المبدء فيعطينا ذلك الواحد فى ذلك المبدء علم وجوده فقط ثم نستعمل ذلك المبدء مقدمة فى تبيين تلك الاشياء الاخر الخفية الكائنة عنه فنشحط منه الى

علم وجودها وسبب وجودها معاً *

وان كان لذلك المبدء مبدء آخر استعملناه ايضاً فى تبيين امر مبدئه فيعطينا علم وجوده مبدؤه الذى هو اقدم منه فيكون قد استعملناه في امرين يعطينا فى احد الامرين علم وجوده فقط ويعطينا فى الآخر علم وجوده وسبب وجوده وعلى هذا المثال ان كان مبدءا لمبدء حاله هذا الحال بان يكون له ايضاً مبدأ ويكون له اشياء كائنة عنه استعملنا مبدأ المبدء فى تبيين مبدئه وفى تبيين تلك الاشياء الاخر الخفية الكائنة عنه فيعطينا ايضا ذلك المبدأ من مبدئه علم وجوده فقط ومن تلك الاشياء الاخر علم وجودها وسبب وجودها *

فاول اجناس الموجودات التى ينظر فيها ما كان اسهل على الانسان واحرى ان لا يقع فيه حيرة واضطراب الذهن هو الاعداد والاعظام والعلم المشتمل على جنس الاعداد والاعظام هو علم التعاليم فنبتدى اولاً فى الاعداد فيعطى بالاعداد التي بها يكون التقدير ويعطى مع ذلك كيف التقدير بها فى الاعظام الآخر التي شأنها ان يقدر ويعطى ايضا فى الاعظام الاشكال والاوضاع وجودة الترتيب واتقان التأليف وحسن النظام فينظر فى الاعظام التى يلحقها الاعداد فيعطى تلك الاعظام كلما يلحقها لاجل الاعداد من التقدير وجودة الترتيب واتقان التأليف وحسن النظام فيحصل لهذه الاعظام خاصة التقدير وجودة الترتيب واتقان التأليف وحسن النظام من جهتين من جهة مالها من ذلك

لاجل انها اعظام و من جهة مالها و لكن من جهة انها اعداد و ما لم يكن من الاعظام يلحقه العدد وكان ما يلحقه من التقدير و جودة الترتيب واتقان التأليف وحسن النظام من جهة مالها من ذلك لاجل انها اعظام فقط ثم من بعد ذلك ينظر فى سائر الموجودات الاخر مما كان منها يلحقه التقدير و جودة الترتيب و حسن النظام من جهة الاعداد فقط اعطاها اياه و ينظر ايضا فى سائر الاشياء التى لها اعظام فيعطيها كل مايلحق الاعظام من جهة ماهى اعظام من اشكال واوضاع وتقدير و ترتيب و تأليف و نظام وما كان منها يلحقه هذه الاشياء من جهة الاعداد و من جهة الاعظام جميعاً اعطاه ما يوجد فى الجنسين من ذلك الى ان يأتى على جميع الموجودات التى يمكن ان يوجد فيها هذه الاشياء من جهه الاعداد و الاعظام فيحدث من ذلك ايضا علوم المناظر وعلوم الاكر المتحركة و علوم الاجسام السماوية وعلم الموسيقى و علم الاثقال وعلم الحيل ويبتدى فيأخذ فى الاعداد و الاعظام جميع الاشياء التى هى مبادى التعاليم فى الجنس الذى ينظر فيرتبها الترتيب الذى يحصل عن القوة التى تقدم ذكرها الى مايلتمس من اعطاء شئ شئ من تلك فى شئ شئ مما ينظر الى ان يأتى عليها اجمع او يبلغ من علم ذلك الجنس الى مقدار ما يحصل منه اصول الصناعة فكيف اذا كان ما يبقى من ذلك الجنس و يلحق هذا العلم الذى نظره فى الاعداد والاعظام ان يكون مبادى التعليم فيه هى باعيانها مبادى الوجود فيكون براهينها كلها تجمع الامرين جميعا اعنى

ان تعطى وجود الشيء ولم هو موجود فيصير كلها براهين ان الشيء ولم هو معاً ويستعمل من مبادى الوجود ماذا و بماذا و كيف ذاو جوده دون الثلاثة لانه ليس للاعداد ولا للاعظام المجردتين فى الفعل عن المادة مبادى من جنسها غير ما ذكر من مبادى وجوده و انما يوجد لهما المبادى الاخر من جهة ما يوجد ان طبيعيين و اراديين وذلك اذا اخذ فى المواد فلذلك لما كان نظره فيهما لا من جهة ما هما فى المواد ولم يستعمل فيهما ما لا يوجد فيهما من حيث هما لافى مواد فنبتدى او لا من الاعداد ثم نرتقى الى الاعظام ثم الى سائر الاشياء التى يلحقها الاعداد والاعظام بالذات مثل المناظر و الاعظام المتحركة التى هى الاجسام السماوية و الى الموسيقى والاثقال و الحيل فيكون قد ابتدأ مما قد يفهم و يتصور بلا مادة ايضا ثم ما شأنه ان يحتاج فى تفهمه و تصوره الى مادة ما حاجة يسيرة جدا ثم الى ما الحاجة فى تفهمه و تصوره و فى ان يعقل الى مادة حاجة ازيد قليلا ثم لا يزال يرتقى فيما يلحقه الاعداد و الاعظام الى ما يحتاج فى ان يصير ما يعقل منه محتاجا فى ان يصير معقولاً الى المادة اكثر الى ان يصير الى الاجسام السماوية ثم الى الموسيقى ثم الى الاثقال وعلوم الحيل فيضطر حينئذ الى استعمال الاشياء التى يعسر ان تصير معقولة او لا يمكن ان توجد الا فى مواد فعند ذلك نضطر الى ادخال مباد اخر غير مبادى ماذاوبماذا و كيف فيكون قد صار متأخراً و فى الوسط بين الجنسين الذى ليس له من مبادى الوجود الا ماذا وجوده و بين الجنس الذى يوجد لانواعه المبادى الاربعة فحينئذ تلوح له المبادى

الطبيعية

الطبيعية فعند ذلك ينبغي ان يشرع في علم الموجودات التي توجد لها مبادى الوجود الاربعة وهو جنس الموجودات التي لا يمكن ان يصير معقولة الا في المواد فان المواد تسمى الطبيعية فينبغي للناظر عند ذلك ان يأخذ كل ما في جنس الامور الجزئية من مبادى التعاليم وهي المقدمات الاول و ينظر ايضاً فيما قد حصل له من العلم الاول فيأخذ منه ما يعلم انه يصلح ان يجعل مبادى التعليم في هذا العلم فيبتدى حينئذ فينظر في الاجسام و في الاشياء الموجودة للاجسام و اجناس الاجسام هي العالم و الاشياء التي يحتوى عليها العالم *

وبالجملة هي اجناس الاجسام المحسوسة او التي توجد لها الاشياء المحسوسة وهي الاجسام السماوية ثم الارض والماء والهواء وماجانس ذلك من نار و بخار وغير ذلك ثم الاجسام الحجرية والمعدنية التي على سطح الارض وفي عمقها ثم النبات والحيوان غير الناطق والحيوان الناطق ويعطي في كل واحد من اجناس هذه و في كل واحد من انواع كل جنس وجوده ومبادى وجوده كلها فانه يعطي في كل واحد من المطلوبات فيه انه موجود ما ذا وبماذا و كيف وجوده وعماذا وجوده ولاجل ماذا وجوده وليس تقتصر في شيء منها على مباديه القريبة بل يعطي مبادى مباديه ومبادى مبادى مباديه الى ان ينتهي الى اقصى المبادى الجسمانية التي له ومبادى التعليم في جل ما يحتوى عليه هذا العلم هي غير مبادى الوجود و انما يصار من مبادى التعليم الى علم مبادى الوجود وذلك ان مبادى التعليم في كل جنس

من اجناس الامور الطبيعية هى اشياء متأخرة عن مبادى وجودها فان مبادى الوجود فى هذا الجنس هى اسباب وجود مبادى التعليم وانما نرتقى الى علم مبادى كل جنس اونوع من اشياء كائنة عن تلك المبادى فان كانت تلك المبادى قريبة وكانت للمبادى مبادا ستعملت تلك المبادى القريبة مبادى التعليم فارتقى منها الى علم مباديها ثم اذا صارت تلك المبادى معلومة صير منها الى مبادى تلك المبادى الى ان اتى على اقصى مبادى وجود ذلك الجنس واذا ارتقينا من مبادى التعليم الى مبادى الوجود تحصلت مبادى الوجود معلومة ثم كانت هناك اشياء اخر كائنة عن تلك المبادى مجهولة سوى الاشيأ المعلومة الاولى التى منها كنا ارتقينا الى المبادى فاستعلمنا تلك المبادى من مبادى الوجود مبادى التعليم ايضا فصير منها الى علم تلك الاشياء المتأخرة عنها فحينئذ تصير تلك المبادى بالاضافة الى تلك الاشياء مبادى التعليم ومبادى الوجود جميعا *

ونسلك هذا المسلك فى كل جنس من اجناس الاجسام المحسوسة ونوع نوع من انواع كل جنس وعند ما ينتهى بالنظر الى الاجسام السماوية ونفحص عن مبادى وجودها يضطره النظر فى مبادى وجودها الى ان يطلع على مبادى ليست هى طبيعة ولا طبيعية بل موجودات اكمل وجودا من الطبيعة والاشياء الطبيعية ليست باجسام ولا فى اجسام فيحتاج فى ذلك الى فحص آخر وعلم آخر يفرد النظر فيما بعد الطبيعيات من الموجودات فيصير عند ذلك ايضا فى الوسط بين علمين علم الطبيعة وعلم ما بعد الطبيعيات

فى

فى ترتيب الفحص و التعليم و فوق الطبيعيات فى رتبة الوجود و عند مايتنهى بالنظر الى الفحص عن مبادى وجود الحيوان فيضطره الى النظر فى النفس او يطلع من ذلك على مبادى نفسانية يرتقى منها الى النظر فى الحيوان الناطق فاذا فحص عن مباديه اضطر الى النظر فيما ذا هو النظر و عما ذا وكيف و عماذ او لماذا فيطلع حينئذ على العقل و على الاشياء المعقولة فيحتاج حينئذ الى ان يفحص عماذا العقل و عماذا وكيف هو و عماذا ولماذا وجوده فيضطره الفحص الى ان يطلع من ذلك على مبادى غير جسمانية نسبتها الى مادون الاجسام السماوية من الموجودات كنسبة المبادى غير الجسمانية التى اطلع عليها نظره فى السماوية الى الاجسام السماوية و يطلع من امر النفس و العقل على مباديها التى لاجلها كونت وعلى الغايات والكمال الاقصى الذى لاجله كون الانسان ويعلم ان المبادى الطبيعية التى فى الانسان و فى التعليم غير كافية فى ان يصير الانسان بها الى الكمال الذى لاجل بلوغه كون الانسان و يتبين انه يحتاج فيه الى مبادى نطقية عقلية يسعى الانسان بها نحو ذلك الكمال فحينئذ يكون قد لاح للناظر جنس آخر غير مابعد الطبيعيات وسبيل الانسان ان يفحص عما يشتمل عليه ذلك الجنس وهى الاشياء التى تحصل للانسان اربه عن المبادى العقلية التى فيه فيبلغ بها الكمال الذى تحصلت معرفته فى العلم الطبيعى و يتبين مع ذلك ان هذه المبادى النطقية ليست بما هى اسباب ينال بها الانسان الكمال الذى لاجله كون و يعلم مع ذلك ان هذه

المبادى العقلية هى ايضا مباد لوجود اشياء كثيرة فى الموجودات الطبيعية غير تلك التى اعطتها اياها الطبيعة وذلك ان الانسان انما يصير الى الكمال الاقصى الذى له ما تجوهر به فى الحقيقة اذا سعى عن هذه المبادى نحو بلوغ هذا الكمال وليس يمكنه ان يسعى نحوه الا باستعمال اشياء كثيرة من الموجودات الطبيعية والى ان يفعل فيها افعالا لا تصير بها تلك الطبيعات نافعة له فى ان يبلغ الكمال الاقصى الذى سبيله ان يناله ويتبين له مع ذلك فى هذا العلم ان كل انسان انما ينال من ذلك الكمال قسطا او ان ما يتبلغه من ذلك القسط كان ازيد او انقص اذ جميع الكمالات ليس يمكن ان يبلغه وحده بانفراده دون معاونة ناس كثيرين له وان فطرة كل انسان ان يكون مرتبطا فيما ينبغى ان يسعى له بانسان او ناس غيره وكل انسان من الناس بهذه الحال وانه لذلك يحتاج كل انسان فيماله ان يبلغ من هذا الكمال الى مجاورة ناس آخرين واجتماعه معهم وكذلك فى الفطرة الطبيعية لهذا الحيوان ان يأوى ويسكن مجاورا لمن هو فى نوعه فلذلك يسمى الحيوان الانسي والحيوان المدنى فيحصل ههنا علم آخر ونظر آخر يفحص عن هذه المبادى العقلية وعن الافعال والملكات التى بها يسعى الانسان نحو هذا الكمال فيحصل من ذلك العلم الانسانى والعلم المدني فيبتدى وينظر فى الموجودات التي هي بعد الطبيعيات ويسلك فيها الطرق التى سلكها فى الطبيعيات ويجعل مبادى التعليم فيها ما يتفق ان يوجد من المقدمات الاول التى تصلح لهذا الجنس ثم ما قد برهن في

العلم

العلم الطبيعي بما يليق ان يستعمل مبادى التعليم فى هذا الجنس وترتب الترتيب الذى سلف ذكره الى ان يصار الى شيء شيء مما فى هذا الجنس من الموجودات فيتبين الفاحص عنها انه ليس يمكن ان يكون لشيء منها مادة اصلا وانما ينبغى ان نفحص فى كل واحد منها ما ذا وكيف وجوده ومن اى فاعل ولماذا وجوده فلا يزال يفحص هكذا الى ان ينتهى الى موجود لا يمكن ان يكون له مبدء اصلا من هذه المبادى لا ماذا او جوده ولا عماذا او جوده ولا لماذا او جوده بل يكون هو المبدء الاول لجميع الموجودات التى سلف ذكرها ويكون هو الذي به وعنه وله وجوده بالانحاء التى لا يدخل عليه نقصاً اصلا بل باكمل الانحاء التى بها يكون الشيء مبدأ للموجودات فاذا وقف على هذا فحص بعد ذلك عما يلزم ان يحصل فى الموجودات اذا كان ذلك الوجود مبدؤها وسبب وجودها فيبتدى من اقدمها رتبة فى الوجود وهو بعدها عنه فى الوجود فيحصل معرفة الموجودات باقصى اسبابها *

وهذا هو النظر الآلهي فى الموجودات فان المبدأ الاول هو له وما بعده من المبادي التى ليست هى اجساماً وفى اجسام هى المبادى الآلهية * ثم بعد ذلك يشرع فى العلم الانساني ويفحص عن الغرض الذى لاجله كون الانسان وهو الكمال الذى يلزم ان يبلغه الانسان ما ذا وكيف هو ثم يفحص عن جميع الاشياء التى بها يبلغ الانسان ذلك الكمال او ينتفع في بلوغها وهى الخيرات والفضائل والحسنات ويميزها من

الاشياء التى تعوقه عن بلوغ ذلك الكمال و هى الشرور و النقائص و السيئات و يعرف ماذا وكيف كل واحد منها و عن ماذا و لما ذا و لاجل ماذا هو الى ان تحصل كلها معلومة معقولة متميز بعضها عن بعض و هذا هو العلم المدني و هو علم الاشياء التى بها اهل المدن بالاجتماع المدنى ينال السعادة كل واحد بمقدار ماله اعد بالفطرة و يبين له ان الاجتماع المدنى و الجملة التى تحصل من اجتماع المدنيين فى المدن شبيهة باجتماع الاجسام فى جملة العالم و يتبين له فى جملة ما تشتمل عليه المدنية و الامة نظائر ما تشتمل عليه جملة العالم *

و كما ان فى العالم مبدأ ما اول ثم مبادى اخر تتلوه على ترتيب و موجودات من تلك المبادى و موجودات اخر تتلو تلك الموجودات على ترتيب الى ان تنتهى الى آخر الموجودات رتبة فى الموجود وكذلك فى جملة ما يشتمل عليه الامة او المدنية مبدأ ما اول ثم مبادى آخر تتلوه و مدنيون آخرون يتلون تلك المبادى و آخرون يتلون هولاء الى ان ينتهى آخر المدنيين رتبة فى المدنية و الانسانية حتى يوجد فيما يشتمل عليه المدنية نظائر ما يشتمل عليه جملة العالم فهذا هو الكمال النظرى وهو كما تراه يشتمل على علم الاجناس الاربعة التى بها تحصيل السعادة القصوى لاهل المدن و الامم و الذى يبقى بعد هذه ان تحصل هذه الاربعة بالفعل موجودة فى الامم و المدن على ما اعطتها الامور النظرية*

أترى هذه النظرية قد اعطت ايضا الاشياء التى بها يمكن ان تحصل هذه

بالفعل فى الامم و المدن ام لا اما انها اعطتها معقولة فقد اعطتها لكن ان كان اذا اعطت معقولة فقد اعطت موجودة فقد اعطت العلوم النظرية هذه الاشياء موجودة بالفعل مثل انه ان كان اذا اعطت البنائية معقولة و عقل بماذا تلتئم البنائية وبماذا يلتئم البناء فقد اوجدت البنائية فى الانسان الذى كيف عقل صناعة البناء او يكون اذا اعطى البناء معقولا فقد اعطى البناء موجودا فان العلوم النظرية قد اعطت ذلك و ان لم يكن اذا عقل الشىء فقد وجد خارج العقل و اذا اعطى معقولا فقد اعطى موجود الزم ضرورة عند ما نقصد استنادهذه الاشياء الى شى آخر غير العلم النظرى و ذلك ان الاشياء المعقولة من حيث هى معقولة هى مخلصة عن الاحوال و الاعراض التى تكون لها و هى موجودة خارج النفس و هذه الاعراض فيما يدوم واحدة بالعدد لاتتبدل و لاتتغير اصلاً و فى التى لاتدوم واحدة بالنوع تتبدل فلذلك يلزم فى الاشياء المعقولة التى تدوم واحدة بالنوع اذا احتيج الى ايجادها خارج النفس ان تقترن بها الاحوال و الاعراض التى شأنها ان تقترن بها اذا ازمعت ان توجد بالفعل خارج النفس و ذلك عام فى المعقولات الطبيعية التى توجد و تدوم واحدة بالنوع و فى المعقولات الارادية غير ان المعقولات الطبيعية التى توجد خارج النفس انما توجد عن الطبيعة و تقترن بها تلك الاعراض بالطبيعة

و اما المعقولات التى تمكن ان توجد خارج النفس بالارادة فان الاعراض

والاحوال التي تقترن بها مع وجودها هي اقصى الارادة ولا يمكن ان توجد الا وتلك مقترنة بها وكل ما شأنه ان يوجد بالارادة فانه لا يمكن ان يوجد او يعلم اولاً فلذلك يلزم متى كان شيء من المعقولات الارادية من معاً ان يوجد بالفعل خارج النفس ان يعلم اولا الاحوال التي من شأنها ان تقترن به عند وجوده ولانها ليست من الاشياء التي توجد واحدة بالعدد بل بالنوع او بالجنس صارت الاعراض والاحوال التي شأنها ان تقترن بها اعراضاً واحوالاً تتبدل عليها دائما وتزداد وتنقص ويتركب بعضها مع بعض تركيباً لا يحاط بقوانين صورته لا يتبدل ولا ينتقل اصلاً بل بعضها لا يمكن ان يجعل لها قوانين وبعضها يمكن ان يجعل لها قوانين لكن قوانين تتبدل وكلمات تتغير والتي لا يمكن ان يجعل لها قوانين اصلاً فهي التي تبدلها تبدل دائم من مدد يسيرة والتي يمكن ان يجعل لها قوانين هي التي تتبدل أحوالها في مدد طويلة وما يحصل منها موجودا فكثيرا ما يحصل على حسب ما عليه المريد الفاعل له وربما لم يحصل منه شيء اصلا وذلك للمتضادات العائقة له التي بعضها امور طبيعية وبعضها ارادية كائنة عن ارادات قوم آخرين وليس انما تختلف تلك المعقولات الارادية في الازمان المختلفة حتى يوجد في زمان ما يخالفه في اعراضها واحوالها لما يوجد عليه في زمان قبله او بعده بل تختلف ايضا احوالها عند وجودها في الامكنة المختلفة كما يتبين ذلك في الاشياء الطبيعية مثل الانسان فانه اذا وجد بالفعل خارج النفس يكون ما يوجد فيه من

الاحوال

الاحوال والاعراض في زمان ما مخالفاً لما يوجد له منها في زمان آخر بعده او قبله وكذلك حاله في الامكنة المختلفة فان الاعراض والاحوال التي توجد منه في بلاد مخالفة لما يوجد منه في بلاد والمعقول في جميع ذلك من معنى الانسان معقول واحد وكذلك الاشياء الارادية مثل العفة واليسار واشباه ذلك هي معان معقولة ارادية واذا اردنا ان نوجدها بالفعل كان ما يقترن بها من الاعراض عند وجودها في زمان ما مخالفاً لما يقترن بها من الاعراض في زمان آخر وما من شأنه ان يوجد لها عند امة ما غير ما يكون لها من الاعراض عند وجودها في امة اخرى فبعضها تتبدل هذه الاعراض عليه ساعة ساعة وبعضها يوماً يوماً وبعضها شهراً شهراً وبعضها سنة سنة وبعضها حقبا حقبا وبعضها في احقاب احقاب فمتى كان شيء من هذه مزمعاً ان يوجد بارادة فينبغي ان يكون المريد لايجاد شيء من هذه بالفعل خارج النفس قد علم فيما تتبدل عليه الاعراض في المدة المعلومة التي يلتمس ايجادها فيها وفي المكان المحدود من المعمورة فيعلم الاعراض والتي سبيلها ان يكون لما شأنه ان يوجد بالارادة ساعة ساعة وفي التي يوجد شهرا شهرا والتي يوجد سنة سنة والتي يوجد حقبا حقبا اوفي مدة اخرى طويلة محدودة الطول في مكان ما محدودا ما كبيرا واما صغيرا وما سبيله من هذا يكون مشتركا للامم كلها او لبعض الامم اولمدينة واحدة في مدة طويلة او مشتركا لهم في مدة قصيرة اوخاصا بنفسهم في مدة قصيرة وانما تتبدل اعراض هذه المعقولات واحوالها

عندو رود الاشياء الواردة فى المعمورة اما مشتركا لها كلها أومشتركا لامة اولمدينة او لطائفة من مدينة او لانسان واحد *

و الاشياء الواردة اما واردة طبيعية اوو اردة ارادية وهذه الاشياء ليس تحيط بها العلوم النظرية وانما تحيط بالمعقولات التى لا تتبدل اصلا فلذلك لاتحتاج الى قوة اخرى وماهية يكون بها تميز الاشياء المعقولة الارادية من جهة مايوجد لها هذه الاعراض المتبدلة وهى الجهات التى بها تحصل موجودة بالفعل عن الارادة فى زمان محدود ومكان محدود وعندوارد محدود فالماهية والقوة التى بها تستنبط وتميز الاعراض التى شأنها ان تتبدل على المعقولات التى شأن جزئياتها ان توجد بالارادة عندما يلتمس ايجادها بالفعل عن الارادة فى زمان محدود ومكان محدود وعندوارد محدود طال الزمان اوقصر عظم المكان اوصغر هى القوة الفكرية *

و الاشياء التى سبيلها ان تستنبط بالقوة الفكرية انما تستنبط على انها نافعة فى ان تحصل غاية ماوغرض المستنبط انما ينصب الغاية و يقدمها فى نفسه او لا ثم يفحص عن الاشياء التى تحصل بها تلك الغاية وذلك الغرض *

و اكمل ما تكون القوة الفكرية متى كانت انما تستنبط لتنفع الاشياء فى تحصيلها ور بما كانت خيراً فى الحقيقة و ربما كانت شراً و ربما كانت خيرا ات مظنونة انها خيرات فاذا كانت الاشياء التى تستنبط هى انفع الامور فى غاية ما فاضلة كانت الاشياء التى تستنبط هى الجميلة و الحسنات

و اذا

و اذا كانت الغايات شروراً كانت الاشياء التى تستنبط بالقوة الفكرية شروراً ايضا و اموراً قبيحة و سيئات *

و اذا كانت الغايات خيرات مظنونة كانت الاشياء النافعة فى حصولها و بلوغها خيرات ايضا مظنونة *

و تنقسم القوة الفكرية هذه القسمة فتكون الفضيلة الفكرية هى التى تستنبط بما هو انفع فى غاية ما فاضلة و اما القوة الفكرية التى يستنبط بها ما هو انفع فى غاية هى شر فليست هى فضيلة فكرية بل ينبغى ان تسمى باسماء اخر *

و اذا كانت القوة الفكرية تستنبط بها ما هو انفع فى المظنونة انها خيرات كانت حينئذ تلك القوة مظنوناً بها انها فضيلة فكرية والفضيلة الفكرية منها ما يقتدر به على جودة الاستنباط لما هو انفع فى غاية فاضلة مشتركة لامم اولامة اولمدينة عند وارد مشترك فلا فرق بين ان يقال انفع فى غاية فاضلة و بين ان يقال انفع و اجمل فان الانفع الاجمل هو بالضرورة لغاية فاضلة. و الانفع فى غاية فاضلة هو الاجمل فى تلك الغاية فهذه الفضيلة الفكرية هى فضيلة فكرية مدنية و هذه المشتركة ربما كانت ما سبيلها ان تبقى وتوجد مدة طويلة *

و منها ما تبتدى فى مدد قصار الا ان الفضيلة الفكرية التى لا تستنبط الا الانفع الاجمل المشترك لامم اولامة او لمدينة. او كان شأن ما يستنبط ان يبقى عليهم مدة طويلة او تكون متبدلة فى مدة قصيرة فهى فضيلة فكرية مدنية فان كانت انما تستنبط ابداً من المشتركات للامم او لامة

او لمدينة ما انما تتبدل في احقاب او في مدد طويلة محدودة كانت تلك اشبه ان تكون قدرة على وضع النواميس *

واما الفضيلة الفكرية التي انما يستنبط بها ما يتبدل في مدد قصار فهي القوة على اصناف التدبيرات الجزئية الزمنية عند الاشياء الواردة التي ترد اولا فاولا على الامم او على الامة او على المدينة وهذه الثانية تتلو الاول واما القوة التي يستنبط بها ما هو انفع واجمل او ما هو انفع في غاية ما فاضلة لطائفة من اهل المدينة او لاهل منزل فانها فضائل فكرية منسوبة الى تلك الطائفة مثل انها فضيلة فكرية منزلية او فضيلة فكرية جهادية وهذه ايضاً تنقسم الى ما سبيله ان لا يتبدل الا في مدد طوال والى ما يتبدل في مدد قصار *

وقد تنقسم الفضيلة الى اجزاء صغار من هذه مثل الفضيلة الفكرية التي يستنبط بها ما هو الانفع والاجمل معاً في عرض صناعة او في عرض عرض حادث في وقت وقت فيكون اقسامها على عدد اقسام الصنائع وعلى عدد اقسام الحرف وايضاً فان هذه القوة تنقسم ايضاً في ان يجود استنباط الانسان بها ما هو انفع واجمل في غاية تخصه عند وارد يخصه هو في نفسه وتكون قوة فكرية يستنبط بها ما هو انفع واجمل في غاية فاضلة تحصل لغيره فهذه فضيلة فكرية مشورية فربما اجتمعت هاتان في انسان واحد وربما افترقتا وظاهر ان الذي له فضيلة يستنبط بها الانفع والاجمل لاجل غاية ما فاضلة هي خير كان المستنبط خيراً في الحقيقة بهواه

لنفسه او خيراً في الحقيقة يهواه لغيره او خيرا مظنونا عند من يهوى له وذلك الخير ليس يمكن ان تكون له هذه القوة او تكون له فضيلة خلقية من قبل انه يهوى الانسان الخير لغيره كان خيرا في الحقيقة او خيرا مظنونا عند من يهوى له الخير انه خير فاضل وكذلك الذي يهوى لنفسه الخير الذي هو في الحقيقة خير ليس يكون الا خيراً فاضلا ليس خيرا فاضلا في فكره بل خيرا فاضلا في خلقه وافعاله ويشبه ان يكون فضيلته وخلقته وافعاله على مقدار قوة فكرته على ما له من الاستنباط الانفع والاجمل فان كان انما يستنبط بفضيلته الفكرية من الانفع والاجمل ما هو عظيم القوة مثل الانفع في غاية فاضلة مشتركة لامة او لامم او مدينة مما شأنه ان لا يتبدل الا في مدة طويلة فينبغي ان تكون فضائله الخلقية على حسب ذلك ولذلك ان كانت فضائله الفكرية انما يقتصر بها على الاشياء التي هي انفع في غاية خاصة وعند وارد خاص بفضيلته ايضا على مقدار ذلك فكل ما كان في هذه الفضائل الفكرية اكمل رياسة واعظم قوة كانت الفضائل الخلقية المقترنة به اشد رياسة واعظم قوة *

ولما كانت الفضيلة الفكرية التي يستنبط بها ما هو انفع واجمل في الغايات المشتركة عند الوارد المشترك للامم او للامة او للمدينة منها فما كان منها لا يتبدل الا في مدد طويلة لما كانت اكمل رياسة واعظم قوة كانت الفضائل المقرونة بها اكملها كلها رياسة واعظمها كلها قوة *

و يتلو ذلك الفضيلة الفكرية التى يجود بها استنباط ماهو انفع فى غاية مشتركة زمنية فى مدد قصيرة و بيان الفضائل المقترنة بها على حسب ذلك *

ثم يتلوها الفضائل الفكرية المقتصر بها على جزء جزء من اجزاء المدينة اما فى الجزء المجاهدي او في الجزء المالي او فى شيء شيء من سائر الاجزاء الاخر فالفضائل الخلقية فيها على حسب تلك الى ان يأتى على الفضائل الفكرية المقترنة بصناعة صناعة بحسب عرض تلك الصناعة و لمنزل منزل و بانسان انسان فى منزل منزل فيما يخصه عند و ار دوار د عليه ساعة ساعة ا و يوما يوما فان الفضيلة المقترنة بها بحسب ذلك فاذن ينبغى ان يفحص عن الفضيلة الكاملة التى هى اعظمها قوة اى فضيلة هى هل هى مجموع الفضائل كلها او ان تكون فضيلة ما او عدة فضائل قوتها قوة الفضائل كلها فاى فضيلة ينبغى ان تكون قوتها قوة الفضائل كلها حتى تكون تلك الفضيلة اعظم الفضائل قوة فتلك الفضيلة هى الفضيلة التى اذا اراد الانسان ان يوفى افعالها لم يمكنه ذلك الا باستعمال افعال سائر الفضائل كلها فان لم يتفق ان يحصل فيه هذه الفضائل كلها حتى اذا اراد ان يوفى افعال الفضيلة له استعمل افعال الفضائل الجزئية فيه و كانت فضيلة الخلقية تلك فضيلة تستعمل فيها افعال الفضائل الكائنة فى كل من سواه من امم او مدن فى امة او اقسام مدنية اواجزاء كل قسم *

فهذه الفضيلة هى الفضيلة الرئيسة التى لافضيلة اشد تقدمًا منها فى الرياسة

ثم

ثم يتلوها ماشابهها من الفضائل التى قوتها شبيهة بهذه القوة فى جزء جزء من اجزاء المدينة فان صاحب الجيش مثلا ينبغى ان يكون له مع القوة الفكرية التى يستنبط بها الانفع و الاجمل فيما هو مشترك للمجاهدين ان تكون له فضيلة خلقية اذا اراد ان يوفى فعلها استعمل الفضائل التى فى المجاهدين من جهة ما هم مجاهدون مثل ان تكون شجاعته شجاعة يستعمل بها افعال الشجاعات الجزئية التى فى المجاهدين و كذلك الفضيلة الفكرية التى يستنبط بها ما هو الانفع و الاجمل فى غايات مكتسبى اموال المدينة ينبغى ان تكون فضيلته الخلقية فضيلة يستعمل بها الفضائل الجزئية التى فى اصناف مكتسبى الاموال من الناس و بتلك ينبغى ان يكون حال الصناعات فان الصناعة الرئيسة التى لا تتقدمها صناعة اخرى فى الرياسة هى الصناعة التى اذا اردنا ان نوفى افعالها لم يمكن دون ان نستعمل افعال الصنائع كلها و هى الصناعة التى لاجل توفية غرضها يطلب سائر الصنائع كلها فهذه الصناعة هى رئيسة الصناعات و هى اعظم الصناعة قوة *

و تلك الفضيلة الخلقية هى اعظم الفضائل الخلقية قوة ثم تتلو هذه الصناعة سائر الصناعات فتكون صناعة من جنس اكمل و اعظم قوة مما فى جنسها متى كانت غايتها انما توفى باستعمال افعال الصنائع التى من جنسها مثل الصناعات الجزئية الرئيسة فان صناعة قود الجيوش منها هى الصناعة التى انما يبلغ الغرض منها باستعمال افعال الصنائع الجزئية و كذلك الصناعة

التي رأس الصناعة المالية في المدينة هي الصناعة التي انما يبلغ غرضها من المال باستعمال الصنائع الجزئية في اكتساب الاموال وكذلك في شيء شيء من سائر الاقسام العظمى للمدينة *

ثم ظاهر ان كل ماهو انفع واجمل فاما ان يكون اجمل في المشهور او اجمل في ملة او اجمل في الحقيقة وكذلك الغايات الفاضلة اما ان تكون فاضلة وخيرا في المشهور او فاضلة وخيرا في ملة ما او فاضلة وخيراً في الحقيقة وليس يمكن ان يستنبط الاجمل عند اهل ملة ما الا الذي فضائله الخلقية فضائل في تلك الملة خاصة وكذلك من سواه وتلك حال الفضائل التي هي اعظم قوة والجزئيات التي هي اصغرها قوة فالفضيلة الفكرية التي هي اعظمها قوة والفضيلة الخلقية التي هي اعظمها قوة لا يفارق بعضها بعضاً *

وبين ان الفضيلة الفكرية الرئيسة جدا لا يمكن الا ان تكون تابعة للفضيلة النظرية لانها انما تميز اعراض تلك المعقولات التي جعلتها الفضيلة النظرية محصلة من غير ان تكون هذه الاعراض مقترنة بها فان منزمعا ان يكون الذي له الفضيلة الفكرية انما يستنبط المتبدلات من الاعراض والاحوال في المعقولات التي معرفته بها تبصرة نفسه وعلم نفسه حتى لا يكون ما يستنبط يستنبطه فيما عسى ان لا يكون صحيحا ان تكون الفضيلة الفكرية غير مفارقة للفضيلة النظرية فتكون الفضيلة النظرية والفضيلة الفكرية الرئيسه والفضيله الخلقية الرئيسة والصناعة الرئيسة غير مفارق بعضها بعضاً والا اختلت هذه الآخرة ولم تكن كاملة ولا التامة في الرياسة لكن ان كانت الفضائل

الخلقية

الخلقية انما عكن ان تحصل موجودة بعد أن صيرتها الفضيلة النظرية معقولة بان تميزها الفضيلة الفكرية و تستنبط اعراضها التى تصير معقولاتها موجودة باقتران تلك الاعراض بها فالفضيلة الفكرية اذن سابقة للفضائل الخلقية فاذا كانت سابقة لها فالذى له الفضيلة الفكرية التى تستنبط بها الفضائل الخلقية التى سبيلها ان توجد بتفرد دون الفضائل الخلقية فان انفردت الفضيلة الفكرية عن الفضيلة الخلقية لم يكن الذى له قدرة على استنباط الفضائل التى هى خيرات خير اولا بفضيلة واحدة فان لم يكن خيرا فكيف التمس الخير او هو الخير بالحقيقة لنفسه او لغيره وان لم يكن هو به فكيف يقدر على استنباطه ولم يجعله غاية فالفضيلة الفكرية اذن اذا انفردت دون الفضيلة الخلقية لم عكن ان تستنبط بها الفضيلة الخلقية و ان كانت الفضيلة الخلقية لا تفارق الفكرية و كان وجودهما معا فكيف استنبطتها الفضيلة الفكرية ثم جعلتها مقترنة بها فانه يلزم ان كانت غير مفارقة لها الا ان تكون استنبطتها هى وان كانت هى التى استنبطتها فقد انفردت عنها فلذلك اما ان تكون الخيرية و اما ان تجعل فضيلة اخرى مقترنة بالفضيلة الفكرية غير الفضيلة الخلقية التى استنبطتها القوة الفكرية فان كانت تلك الفضيلة الخلقية كائنة ايضا بارادة لزم ان تكون الفضيلة الفكرية هى التى استنبطتها فيعود الشك الاول فاذن يلزم ان تكون الفضيلة الفكرية هى التى استنبطتها الفضيلة الفكرية مقترنة بالفضيلة الفكرية هو بها من له الفضيلة الخيرية والغاية الفاضلة

وتكون تلك الفضيلة طبيعية كائنة بالطبع مقترنة بفضيلة فكرية كائنة بالطبع تستنبطها الفضائل الخلقية الكائنة بارادة وتكون الفضيلة الكائنة بالارادة هي الفضيلة الانسانية التي اذا حصلت للانسان بالطريق الذي تحصل له بها الاشياء الارادية حصلت حينئذ الفضيلة الفكرية الانسانية لكن ينبغي ان ينظر كيف هذه الفضيلة الطبيعية هل هي بعينها هذه الفضيلة الارادية ام لا لكن ينبغي ان يقال انها شبيهة بها مثل الملكات التي توجد في الحيوانات غير الناطقة مثل مايقال الشجاعة في الاسد والمكر في الثعلب والروغان في الذئب والسرقة في العقعق واشباه ذلك فانه لا يمتنع ان يكون كل انسان مفطورا على ان تكون قوة نفسه في ان يتحرك الى فعل فضيلة ما من الفضائل اوملكة ما من الملكات في الجملة اسهل عليه من حركته الى فعل ضدها والانسان اولا انما يتحرك الى حيث تكون الحركة عليه اسهل اذا لم يعسر على شيء آخر غيره فاذا كان انسان من الناس مفطورا مثلا على ان يكون حاله فيما يقدم عليه من المخاوف اكثر من احجامه عنها فانما هو الا ان يتكرر عليه ذلك عدة مرار الا وقد صارت له تلك الملكة ارادية وقد كانت له تلك الملكة الاولى الشبيهة بهذه طبيعية فان كانت كذلك في الفضائل الخلقية الجزئية التي شأنها ان تقترن بالفضائل الفكرية الجزئية فكذلك ينبغي ان يكون حال الفضائل الخلقية العظمى التي شأنها ان تقترن بالفضائل الفكرية العظمى فان كان كذلك لزم ان يكون انسان دون انسان مكونا بفطرته لفضيلة ما نسبة الفضيلة العظمى مقرونة بقوة فكرية بالطبع عظمى ثم سائر المراتب

على

على ذلك فاذا كان كذلك فليس اي انسان اتفق يكون صناعته وفضيلته الخلقية و فضيلته الفكرية عظيمة القوة فاذن الملوك ليس هم ملوك بالارادة فقط بل بالطبيعة و كذلك الخدم خدم بالطبيعة اولا ثم ثانياً بالارادة فيكمل ما اعدواله بالطبيعة فاذا كان كذلك فالفضيلة النظرية و الفضيلة الفكرية العظمى و الفضيلة الخلقية العظمى و الصناعة العلمية العظمى انما سبيلها ان تحصل فيمن اعدلها بالطبع و هم ذو و الطبائع الفائقة العظيمة القوى جدا فاذا حصلت هذه فى انسان ما يبقى بعد هذا ان تحصل الجزئية فى الامم و المدن و يبقى ان يعلم كيف الطريق الى ايجاد هذه الجزئية فى الامم و المدن فان الذى له هذه القوة العظيمة ينبغى ان تكون له قدرة على تحصيل جزئيات هذه الامم والمدن *

وتحصيلها بطريقين اوليين بتعليم وتأديب *

و التعليم هو ايجاد الفضائل النظرية فى الامم و المدن و التأديب هو طريق ايجاد الفضائل الخلقية والصناعات العلمية فى الامم و التعليم هو بقول فقط والتأديب هو ان يعود الامم والمدنيون الافعال الكائنة عن الملكات العلمية بان تنهض عزائمهم نحو فعلها وان تصير تلك وافعالها مستولية على نفوسهم ويجعلوا كالعاشقين لها وانهاض العزائم نحو فعل الشيء ربما كان بقول وربما كان بفعل *

و العلوم النظرية اما ان يعلمها الائمة و الملوك و اما ان يعلمها من سبيله ان يستحفظ العلوم النظرية و يعلم هذين بجهات عديدة باعيانها وهي الجهات

التى سلف ذكرها بان يعرفوا اولا المقدمات الاول و المعلوم الاول فى جنس جنس من اجناس العلوم النظرية ثم يعرفوا اصناف احوال المقدمات و اصناف ترتيبها على ماتقدم ذكره و يوجدوا بتلك الاشياء التى ذكرت بعد ان يكونوا قد قومت نفوسهم قبل ذلك بالاشياء التى تراض بها انفس الاحداث الذين مراتبهم بالطبع فى الانسانية هذه المرتبة ويعودوا استعمال الطرق المنطقية كلها فى العلوم النظرية كلها و يؤخذوا بالتعلم من صباهم على الترتيب الذى ذكره افلاطن مع سائر الآداب الى ان يبلغ كل واحد منهم اشده ثم يجعل الملوك منهم فى رياسة من الرياسات الجزئية ويرقون قليلا قليلا من مراتب الرياسات الجزئية الى ان يبلغوا ثمانى اسابيع من اعمارهم ثم يجعلوا فى مرتبة الرياسة العظمى فهذا طريق تعليم هولاء وهم الخاصة الذين سبيلهم ان لا يقتصر بهم فى معلوماتهم النظرية على ما يوجبه بادى الرأى المشترك *

و ينبغى ان يعلموا الاشياء النظرية بالطرق الاقناعية و كثيرا من النظرية يفهمونها بطريق التخيل و هى التى لا سبيل الى ان يعقلها الانسان الا بعد ان يعقل معلومات كثيرة جداً و هى المبادى القصوى والمبادى التى ليست هى جسمانية فان تلك ينبغى ان تفهم العامة مثالاتها و تمكن فى نفوسهم بطريق الاقناعات و يتميز ما ينبغى ان تعطاه امة امة من ذلك و ماسبيله ان يكون مشتركا لجميع الامم و لجميع اهل كل مدينة وما ينبغى ان تعطاه امة دون امة او مدينة دون مدينة او طائفة من اهل المدينة

دون

دون طائفة وهذه كلها سبيلها ان تميز بالفضيلة الفكرية الى ان تحصل لهم الفضائل النظرية *

واما الفضائل العملية والصناعات العملية فبان يعودوا افعالها وذلك بطريقين احدهما بالاقاويل الاقناعية والاقاويل الانفعالية وسائر الاقاويل التي تمكن فى النفس هذه الافعال والملكات تمكيناً تاما حتى يصير نهوض عزائمهم نحوا فعالها طوعاً وتلك ممكنة بما اعطتها الملكات استعمال الصنائع النطقية ومايعود من استعمالها *

والطريق الآخر هو طريق الاكراه وتلك تستعمل مع المتمردين المعتاصين من اهل المدن والامم الذين ليسوا ينهضون للصواب طوعاً من تلقاء انفسهم ولا بالاقاويل وكذلك من تعاصى منهم على تلقى العلوم النظرية التى تعاطاها فاذن اذا كانت فضيلة الملك او صناعة استعمال افعال فضائل ذوى الفضائل وصناعات ذوى الصناعات الجزئية فانه يلزم ضرورة ان يكون من يستعملهم من اهل الفضائل واهل الصنائع فى تأديب الامم واهل المدن طائفتين اولتين طائفة تستعملهم فى تأديب من يتأدب منهم طوعا وطائفة تستعملهم فى تأديب من سبيله ان يؤدب كرهاً وذلك على مثال ما يوجد عليه الآن فى ارباب المنزل والقوام بالصبيان والاحداث فان الملك هو مؤدب الامم ومعلمها كما ان رب المنزل هو مؤدب اهل المنزل ومعلمهم والقيم بالصبيان والاحداث هو مؤدب الصبيان والاحداث ومعلمهم وكما ان كل واحد من هذين يؤدب بعض من يؤدبه

بالرفق والاقناع ويؤدب بعضهم كرهاً كذلك الملك فان تأديبهم كرها وتأديبهم طوعاً جميعا من اجل ماهية واحدة فى اصناف الناس الذين يؤدبون ويقومون وانما تتفاضل فى القلة والكثرة وفى عظم القوة وصغرها وعلى قدر عظم قوة تأديب الامم وتقويمهم على قوة تأديب الصبيان والاحداث وتأديب ارباب المنازل لاهل المنازل كذلك عظم قوة المقومين والمؤدبين الذين هم الملوك وقوة من يستعمل وما يستعمل فى تأديب الامم والمدن وانه يحتاج من المهن التى بها يكون التأديب طوعاً الى اعظمها قوة ومن التى يؤدب بها كرها الى اعظمها قوة وتلك من الماهية الجزئية وهى القوة على جودة التدبير فى قود الجيوش واستعمال آلات الحرب والناس الحربيين فى مغالبة الامم والمدن الذين لا ينقادون لفعل ما ينالون به السعادة التى لاجل بلوغها كون الانسان وان كل موجود انما كون ليبلغ اقصى الكمال الذى له ان يبلغه بحسب رتبته فى الوجود الذى يخصه فالذى للانسان من هذا هو المخصوص باسم السعادة القصوى وما للانسان من ذلك بحسب رتبته فى الانسانية هو السعادة القصوى التى تخص ذلك الجنس والجزئى الكائن لاجل هذا الغرض هو الجزئى العادل والصناعة الجزئية التى غرضها هذا الغرض هى الصناعة الجزئية العادلة والفاضلة والذين يستعملون فى تأديب الامم واهل المدن طوعاً هم اهل الفضائل والصنائع النطقيه وظاهر ان الملك يحتاج الى ان يعود الى العلوم النظرية المعقولة

التي قد حصلت معرفتها ببراهين يقينية و يلتمس في كل و احدة منها الطرق الاقناعية الممكنة فيها و يحرى في كل واحدة منها جميع ما يمكن فيه من الطرق الاقناعيه وذلك يمكنه بماله من القوة على الاقناع في شيء شيء من الامور لم يعمد الى تلك الامور باعيانها فيأخذ مثالاتها و ينبغي ان تجعل تلك المثالات تخييل الامور النظرية عند جميع الامم باشتراك و يجعل المثالات بما يمكن ان يوقع التصديق به بالطرق الاقناعية و يجتهد في كل ذلك ان يجعلها مثالات مشتركة و بطريق اقناعيـة مشتركة لجميع الامم والمدن ثم من بعد ذلك يحتاج الى احصاء افعال الفضائل و الصنائع العملية الجزئية و هي التي اشرطت فيها تلك الشرائط المذكورة فيما سلف و يجعل لها طرق اقناعية مشهورة ينهض بها عزائمهم نحوها و تستعمل في ذلك الاقاويل التي تو طأ لها امر نفسه والاقاويل الانفعالية و الخلقية التي تخشع منها نفوس المدنيين وتذل و تلين وتضعف و في الاشياء المضادة لها اقاويل انفعالية وخلقية تقوى لها نفوس المدنيين وتعزبه فتقسوا وتخبوا * فهذه باعيانها يستعملها في الملوك المشاكلين له والمضادين له وفي الناس والاعوان الذين يستعملهم وفي الذين يستعملهم المضاد و نله و في الفاضلين وفي المضادين لهم فانه يستعمل فيما يخصه اقاويل تخشع منها النفوس وتذل وفي المتضادين اقاويل تعزبها النفوس و تقسو و تعاف وا قاويل يناقض بها مخالفي تلك الاراء والافعال بالطرق الاقناعية و اقاويل تقبح آراءهم و افعالهم ويظهر نكرها و شنعتها و يستعمل في ذلك من الاقاويل

للصنفين جميعاً اعنى الصنف الذى سبيله ان يستعمل حينا بحين ويوما بيوم ووقتا بوقت ولا يحفظ ولا يستدام ولا يكتب ويستعمل الصنف الآخر وهو الذى سبيله ان يحفظ ويستدام متلواً ومكتوبا ويجعل فى كل من الكتا بين الاراء والافعال التى اليها دعوا والاقاويل التى التمس بها ان يحفظ عليهم ويمكن فيهم ما اليه دعوا حتى لا تزول عن نفوسهم والاقاويل التى يناقض بها من ضاد تلك الاراء والافعال فتحصل للعلوم التى يؤدبون بها ثلث رتب لكل علم منها قوم يستحفظونه ممن له قوة على جودة استنباط مالم يصرح له فى الجنس الذى استحفظ وعلى القيام بنصرته ومناقضة ما يناقضه ومضادة ما يضاده وعلى جودة تعليم كل ذلك ملتمسين بجميع ذلك تتميم غرض الريئس الاول فى الامم والمدن ثم بعد ذلك ينظر فى اصناف الامم امة امة وينظر فيما وطنت له تلك الامة بالطبع المشترك من الملكات والافعال الانسانية حتى يأتى على النظر فى الامم كلهم واكثرهم وينظر فيما سبيل الامم كلهم ان يشتركوا فيه وهو الطبيعة الانسانية التى تعمهم ثم ما سبيل كل طائفة من كل امة ان تخص به فى هذه كلها ويحصل بالفعل الاشياء التى سبيلها ان تقوم بها امة امة من الافعال والملكات ويسدد وافيها نحو السعادة كم عد ذلك بالتقريب واي اصناف الاقناعات ينبغى ان تستعمل معهم وذلك فى الفضائل النظرية والفضائل العملية فيثبت ما لامة امة على خيالها بعد ان تقسم اقسام كل امة وينظر هل يصلح ان تستحفظ طائفة منهم العلوم النظرية

ام لا و هل فيهم من يستحفظ النظرية الذائعة او النظرية المخيلة *

فاذا حصلت هذه كلها عندهم كانت العلوم الحاصلة عندهم اربعة احدها الفضيلة النظرية التى يحصل بها الموجودات معقولة عن براهين يقينية ثم يحصل تلك المعقولات باعيانها عن طرق اقناعية ثم العلم الذى يحتوى على مثالات تلك المعقولات مصدقا بها بالطرق الاقناعية ثم بعدها العلوم المنتزعة عن هذه الثلاثة لامة امة فتكون تلك العلوم المنتزعة على عدد الامم يحتوى كل علم منها على جميع الاشياء التى تكمل بها تلك الامة و تسعد *

فلذلك يحتاج الى ان يرتب لعلم ماتسعد به امة امة او قوم قوم او انسان انسان و يستحفظ ما ينبغى ان تؤدب به تلك الامة فقط ويعرف الاشياء التى تستعمل فى تأديب تلك الامة من طريق الاقناع وينبغى ان يكون الذى يستحفظ ما ينبغى ان تعلمه تلك الامة انسان اوقوم له اولهم ايضا قوة على جودة استنباط ما لم يعطه او يعطوه بالفصل فى الخير الذى استحفظ و على القيام بنصرته و مناقضة ماضاده وعلى جودة تعليمه لتلك الامة ملتمساً بكل ذلك تتميم غرض الرئيس الاول فى الامة التى لاجلها اعطاه اواعطاهم ما اعطاه فهؤلاء هم الذين سبيلهم ان يستعملوا فى تأديب الامم طوعاً والافضل ان يكون فى كل واحد من هؤلاء الذين اليهم تفويض تأديب الامم من هؤلاء الطوائف فى كل واحد منهم فضيلة جزئية وفضيلة فكرية يتفقون بهما على جودة استعمال الجيوش فى الحروب اذا احتاجوا

الى ذلك حتى تجتمع فى كل واحد منهم ماهية التأديب بالوجهين جميعاً فان لم يتفق ذلك فى انسان واحد اضاف الى الذى يؤدب طوعاً من له هذه الماهية الجزئية وتصير سنة من يفويض اليه تأديب كل امة ان يكون له قوم يستعملهم فى تأديب تلك الامة طوعا او كرها فيجعل من يستعملهم ايضا طائفتين اوطائفة واحدة لها ماهية فى الامرين جميعا ثم تقسم تلك الطائفة او الطائفتين الى اجزائها اواجزاء كل واحدة منها الى ان تنتهى الى اصغر اجزائها اواصغرها قوة فى التأديب *

وتجعل المراتب فيها بحسب الفضيلة الفكرية التى فى كل واحد منهم اما فضيلة فكرية تستعمل بها اجزاء او فكرية تستعمل بها اخر فيكون اما ذاك قريبا و اما هذا فمادتها بحسب قوة الفضيلة الفكرية فاذا حصلت هاتان الطائفتان فى كل امة اوفى مدينة ترتبت الاجزاء الاخر عن هؤلاء فهذه هى الوجوه والطرق التى منها تحصل فى الامم و المدن الاشياء الانسانية الاربعة التى بها ينالون السعادة القصوى *

و اول هذه العلوم كلها هو العلم الذى يعطى الموجودات معقولة ببراهين يقينية و هذه الاخر انما تأخذ تلك باعيانها فتقنع فيها او تخيلها ليسهل بذلك تعليم جمهور الامم و اهل المدن و ذلك ان الامم و اهل المدن منهم من هو خاصة و منهم من هو عامة *

و العامة هم الذين يقتصرون اوالذين سبيلهم ان يقتصر بهم فى معلوماتهم النظرية على مايوجبه بادئ الرأى المشترك *

والخاصة

والخاصة هم الذين ليس يقتصرون فى شيء من معلوماتهم النظرية على مايوجبه بادى الرأى المشترك بل يعتقدون مايعتقدونه ويعلمون مايعلمونه عن مقدمات تعقبت غاية التعقب فلذلك صار كل من ظن بنفسه انه لا يقتصر على مايوجبه بادى الرأى المشترك فى الامر الذى ينظر فيه ظن بنفسه انه خاصي فى ذلك الامر وبغيره انه عامي فلذلك صار الحاذق من اهل كل صناعة يسمى خاصيا لعلمهم انه ليس يقتصر فيما يحتوى تلك الصناعة على ما يوجبه بادى الرأى فيها بل يستقصيها ويعقبها غاية التعقب وايضا فانه يقال عامي لكل من لم يكن له رياسة ما مدنية ولا كانت له صناعة ترشح له بها رياسة مدنية بل اما لا صناعة له اصلا اوان تكون صناعته صناعة يخدم بها فى المدينة فقط والخاصى كل من له رياسة ما مدنية او كل من له صناعة يرصد بها رياسة مامدنية وكذلك كل من ظن بنفسه ان له صناعة يصلح ان يتقلد بها رياسة ما مدنية او حالة يظن بها عند نفسه انها حال رياسة مدنية يسمى نفسه خاصيا مثل ذوى الاحساب وكثير من ذوى اليسار العظيم وادخل فى الخصوص كل من كانت صناعته اكمل فى ان يتقلد بها رياسة *

فاخص الخواص يلزم ان يكون هو الرئيس الاول فيشبه أن يكون ذلك لاجل انه هو الذى لا يقتصر فى شيء من الاشياء اصلاً على ما يوجبه بادى الرأى المشترك وبالواجب —١— ما اشياء هل تملكته وتمهنته الرياسة الاولى والخصوص الخاص وكل من تقلد رياسة مدنية

(١) كذا فى الاصلين —

قصد بهـا تتميم غرض الرئيس الاول فهو تابع لاراء متعقبة فى غاية من التعقب الا انه لم يكن آراؤه التى بها صار تابعا اوبها تمكن فى نفسه انه ينبغى ان يخدم بصناعته تلك الرئيس الاول الاعبا اوجبه بادى الرأى فقط و يكون فى معلوماته النظرية على مايوجبه بادى الرأى المشترك فتحصل ان يكون الخاص هو الرئيس الاول والذى عنده من العلم الذى يحتوى على المعقولات ببراهين يقينية و الباقون عامة وجمهور فالطرق الاقناعيـة و التخيلات انما تستعمل اذاً فى تعليم العامة و جمهور الامم و المدن و طرق البراهين اليقينية فى ان يحصل بها الموجودات انفسها معقولة يستعمل فى تعليم من سبيله ان يكون خاصياً و هذا العلم هو اقدم العلوم و اكملها رياسة و سائر العلوم الاخر الرئيسة هى تحت رياسة هذا العلم و اعنى بسائر العلوم الرئيسة الثانى والثالث المنتزع منها اذ كانت هذه العلوم انما تحتذى حذو ذلك العلم و يستعمل ليتكمل الغرض بذلك العلم وهو السعادة القصوى و الكمال الاخير الذى يبلغه الانسان وهذا العلم على ما يقال انه كان فى القديم فى الكلدانيين و هم اهل العراق ثم صار الى اهل مصر ثم انتقل الى اليونانيين ولم يزل الى ان انتقل الى السريانيين ثم الى العرب و كانت العبارة عن جميع مـا يحتوى عليه ذلك العلم باللسان اليونانى ثم صارت باللسان السريانى ثم باللسان العربى وكان الذين عندهم هذا العلم من اليونانيين يسمونه الحكمة على الاطلاق و الحكمة العظمى و يسمون اقتناءها العلم وملكتها الفلسفة و يعنون به ايثار الحكمة العظمى

وحبتها

و محبتها و يسمون المقتني لها فيلسوفاً يعنون بها المحب و المؤثر للحكمة العظمى ويرون انها بالقوة الفضائل كلها و يسمونها علم العلوم وام العلوم و حكمة الحكم وصناعة الصناعات يعنون بها الصناعة التى تشمل الصناعات كلها و الفضيلة التى تشمل الفضائل كلها و الحكمة التى تشمل الحكم كلها وذلك ان الحكمة قد تقال على الحذق جداً و بافراط فى اي صناعة كانت حتى يرد من افعال تلك الصناعة ما يعجز عنه اكثر من يتعاطاها و يقال حكمة بشرية فان الحاذق بافراط فى صناعة ما يقال انه حكيم فى تلك الصناعة وكذلك النافذ الروية والخبيث فيها قد يسمى حكيما فى ذلك الشيء الذى هو نافذ الروية فيه الا ان الحكمة على الاطلاق هى هذا العلم وملكته واذا انفردت العلوم النظرية ثم لم يكن لمن حصلت له قوة على استعمالها فى غيرها كانت فلسفة ناقصة والفيلسوف الكامل على الاطلاق هو ان يحصل له العلوم النظرية و يكون له قوة على استعمالها فى كل ما سواها بالوجه الممكن فيه واذا تؤمل امر الفيلسوف على الاطلاق لم يكن بينه وبين الرئيس الاول فرق و ذلك ان الذى له قوة على استعمال ما تحتوى عليه النظرية فى كل ما سواه هل هو ان يكون له القوة على ايجادها معقولة و على ايجاد الارادية منها بالفعل وكلما كانت قوته على هذه اعظم كان اكمل فلسفة فيكون الكامل على الاطلاق هو الذى حصلت له الفضائل النظرية اولاً ثم العملية ببصيرة يقينية ثم ان تكون له قدرة على ايجادهما جميعا فى الامم و المدن بالوجه و المقدار الممكنين في كل واحد منهم ولما كان لا يمكن ان تكون له قوة على ايجادهما الا باستعمال براهين يقينية و بطرق

اقناعية و طرق تخئيلية اما طوعا اوكرها صار الفيلسوف على الاطلاق هو الرئيس الاول واذا كان كل تعليم فهو يلتئم بشيئين بتفهيم ذلك الشيء الذى يتعلم و اقامة معناه فى النفس ثم ايقاع التصديق بما فهم و اقيم معناه فى النفس *

وتفهيم الشيء على ضربين احـدهما ان يعقل ذاته و الثانى بان يتخيل بمثاله الذى يحاكيه وايقاع التصديق يكون باحد طريقين اما بطريق البرهان اليقينى و اما بطريق الاقناع ومتى حصل علم الموجودات اوتعلمت فان عقلت معانيها انفسها و اوقع التصديق بها عـلى البراهين اليقينية كان العلم المشتمل عـلى تلك المعلومات فلسفة و متى علمت بان تخيلت بمثالاتها التى تحاكيها و حصل التصديق بما خيل منها عن الطرق الاقناعية كان المشتمل على تلك المعلومات تسميه القدماء ملـكة و اذا اخذت تلك المعلومات انفسها و استعمل فيها الطرق الاقناعية سميت الملـكة المشتملة عليها الفلسفة الذائعة المشهورة و البرانية فالملكة محاكية للفلسفة عندهم وهما يشتملان على موضوعات باعيانها و كلتاهما يعطيان المبادى القصوى للموجودات فانهما يعطيان علم المبدأ الاول والسبب الاول للموجودات و يعطيان الغاية القصوى التى لاجلها كون الانسان وهى السعادة القصوى والغاية القصوى فى كل واحد من الموجودات الاخر وكل ماتعطيه الفلسفة من هذه معقولا اومتصوراً فان الملكة تعطيه متخيلا وكل ماتبرهنه الفلسفة من هذه فان الملكة تقنع فان الفلسفة تعطي ذات المبدأ الاول وذوات المبادى الثوانى غير الجسمانية-

التى هى المبادى القصوى معقولات و الملة تخيله بمثالاتها المأخوذة من المبادى الجسمانية و تحاكيها بنظائرها من المبادى المدنية و تحاكى الافعال الآلهية بافعال المبادى المدنية و تحاكي افعال القوى و المبادى الطبيعية بنظائرها من القوى و الملكات و الصناعات الارادية كما يفعل ذلك افلاطن فى طيماوس و تحاكى المعقولات منها بنظائرها من المحسوسات مثل من حاكى المادة بالهاوية او الظلمة او الماء او العدم بالظلمة و تحاكى اصناف السعادات القصوى التى هى غايات افعال الفضائل الانسانية بنظائرها من الخيرات التى يظن انها هى الغايات و تحاكى السعادات التى فى الحقيقة سعادات بالتى يظن انها سعادات و تحاكى مراتب الموجود بنظائرها من المراتب الكائنة و المراتب الزمانية و يحرى ان يقرب الحاكية لها من ذواتها و كل ما تعطى الفلسفة فيه البراهين اليقينية فان الملة تعطى فيه الاقناعات و الفلسفة تتقدم بالزمان الملة و ايضا فان معقولات الاشياء الارادية التى تعطيها الفلسفة العملية بين انها اذا التمس ايجادها بالفعل فينبغى ان تشترط فيها الشرائط التى بها يمكن ان تحصل موجودة بالفعل و تأتلف باعيانها اذا اشترطت فيها الشرائط التى بها يتمكن وجودها بالفعل فى النواميس *

فواضع النواميس هو الذي له قدرة على ان يستخرج بجودة فكرته شرائطها التى بها تصير موجودة بالفعل وجودا تنال به السعادة القصوى و بين انه ليس يلتمس واضع النواميس استنباط شرائطها او تعقلها قبل ذلك و لا يمكن

ان يستخرج شرائطها التى يسمو بها نحو السعادة القصوى او يعقل السعادة القصوى وليس يمكن ان تحصل له هذه الاشياء معقولة تصير بها ماهية وضع النواميس رئيسة اولى دون ان يكون قد حاز قبل ذلك الفلسفة فاذن يلزم فيمن كان واضع النواميس على ان ماهيته ماهية رياسة لاخدمة ان يكون فيلسوفاً وكذلك الفيلسوف الذى اقتنى الفضائل النظرية فان ما اقتناه من ذلك يكون باطلاً اذا لم يكن له قدرة على ايجادها فى كل ماسواه بالوجه الممكن فيه وليس يمكن ان يستخرج فى المعقولات الارادية احوالها وشرائطها التى بها تكون موجودة بالفعل دون ان تكون له فضيلة فكرية والفضيلة الفكرية التى لا يمكن ان يوجد فيه دون الفضيلة العملية ولا يمكن مع ذلك ايجادها فى كل ما سواه بالوجه الممكن فيه الا بقوة على جودة الاقناع وجودة التخييل فاذن معنى الامام والفيلسوف وواضع النواميس معنى واحد الا ان اسم الفيلسوف يدل فيه على الفضيلة النظرية الا انها ان كانت مزمعة على ان تكون الفضيلة النظرية على كمالها الاخير من كل الوجوه لزم ضرورة ان يكون فيه سائر القوى وواضع النواميس يدل منه على جودة المعرفة بشرائط المعقولات العملية والقوة على استخراجها والقوة على ايجادها فى الامم والمدن فان كانت هذه مزمعة ان تكون موجودة عن علم لزم ان يكون قبل هذه فضيلة نظرية على جهة مايلزم من وجود المتأخر وجود المتقدم *

واسم الملك يدل على التسلط والاقتدار والاقتدار التام هو ان يكون

اعظم

اعظم الاقتدارات قوة وان لايكون اقتداره على الشيء بالاشياء الخارجة عنه فقط بل ربما يكون في ذاته من عظم المقدرة بان تكون صناعة وماهية وفضيلة عظيمة القوة جداً وليس يمكن ذلك الا بعظم قوة المعرفة وعظم قوة الفكرة وعظم قوة الفضيلة والصناعة والالم يكن ذا مقدرة على الاطلاق ولاذا تسلط اذا كان يبقى فيما كان دون هذه المقدرة نقص في قدرته وكذلك ان لم يكن له مقدرة الا على الخيرات التي دون السعادة القصوى كان اقتداره انقص ولم يكن كاملاً فلذلك صار الملك على الاطلاق وهو بعينه الفيلسوف واضع النواميس *

واما معنى الامام في لغة العرب فانما يدل على من يؤتم به ويتقبل وهو اما المتقبل كماله او المتقبل غرضه فان لم يكن متقبلا لجميع الافعال والفضائل والصناعات التي هي غير متناهية لم يكن متقبلا على الاطلاق وان لم يكن ها هنا غرض يلتمس حصوله بشيء من الصنائع والفضائل والافعال سوى غرضه كانت صناعته هي اعظم الصناعات قوة وفضيلته اعظم الفضائل قوة وفكرته اعظم الفكر قوة وعلمه اعظم العلوم قوة او كان يجمع هذه التي فيه يستعمل قوى غيره في تكميل غرضه وليس يمكن ذلك دون العلوم النظرية ودون الفضائل الفكرية التي هي اعظمها قوة دون سائر تلك الاشياء التي تكون في الفيلسوف *

فتبين ان معنى الفيلسوف والرئيس الاول والملك وواضع النواميس والامام معنى كله واحد واي لفظة ما اخذت من هذه الالفاظ ثم اخذت ما يدل

عليه كل واحد منها عند جمهور اهل لغتنا وجدتها كلها تجتمع في آخر الامر في الدلالة على معنى واحد بعينه ومتى حصلت هذه الاشياء النظرية التي برهنت في العلوم النظرية مخيلة في نفوس الجمهور واوقع التصديق بما يخيل منها وحصلت الاشياء العملية بشرائطها التي بها وجودها ممكنة في نفوسهم واستولت عليها وصارت عزائمهم لا تنهضهم نحو فعل شيء آخر غيرها فقد حصلت الاشياء النظرية والعملية تلك وهذه باعيانها اذا كانت في نفس واضع النواميس فهي فلسفة فاذا كانت في نفوس الجمهور فهي ملة وذلك ان الذي تبين هذه في علم واضع النواميس بصيرة يقينية والتي يمكن في نفوس الجمهور تخييل واقناع وعلى ان واضع النواميس يخيل ايضا هذه الاشياء ليست المخيلات له ولا المقنعات فيه بل يقينية له وهو الذي اخترع المخيلات والمقنعات لا ليمكن بها في نفسه تلك الاشياء في نفسه على انها ملة له على انها تخييل واقناع لغيره بقي له وعلى انها لغيره ملة وله هو فلسفه فهذه هي الفلسفة بالحقيقة والفيلسوف بالحقيقة. فاما الفلسفة البتراء والفيلسوف الزور والفيلسوف البهرج والفيلسوف الباطل فهو الذي يشرع في ان يتعلم العلوم من غير ان يكون موطأ نحوها فان الذي سبيله ان يشرع في النظر ينبغي ان يكون له بالفطرة استعداد للعلوم النظرية وهي الشرائط التي ذكرها افلاطن في كتابه في السياسة وهي ان يكون جيد الفهم والتصور للشيء الذاتي ثم ان يكون حفوظاً وصبوراً على الكد الذي يناله في التعلم وان يكون بالطبع محباً للصدق واهله والعدل واهله

غير

غير جموح ولا لجوج فيما يهواه وان يكون غير شره على المأكول والمشروب تهون عليه بالطبع الشهوات والدرهم والدينار وما جانس ذلك وان يكون كبير النفس عما يشين عند الناس وان يكون ورعاً سهل الانقياد للخير والعدل عسر الانقياد للشر والجور وان يكون قوي العزيمة على الشيء الصواب ثم بعد ذلك يكون قد ربي على نواميس وعلى عادات تشا كل ما فطر عليه وان يكون صحيح الاعتقاد لآراء الملة التي نشأ عليها متمسكاً بالافعال الفاضلة التي في ملته غير مخل بكلها او بمعظمها وان يكون مع ذلك متمسكا بالفضائل التي هي في المشهور فضائل غير مخل بالافعال الجميلة التي هي في المشهور جميلة فان الحدث اذا كان هكذا ثم شرع في ان يتعلم الفلسفة فتعلمها امكن ان لا يصير فيلسوف زور ولا بهرج ولا باطل *

والفيلسوف الباطل هو الذى تحصل له العلوم النظرية من غير ان يكون له ذلك على كما له الآخر بان يوجد ماقد علمه في غيره بالوجه الممكن فيه والبهرج هو الذى يتعلم العلوم النظرية ولم يزور ولم يعود الافعال الفاضلة التي بحسب ملة ما ولا الافعال الجميلة التي في المشهور بل كان تابعاً هواه وشهواته في كل شيء من اي الاشياء اتفق *

والفيلسوف المزور هو الذى يتعلم العلوم النظرية من غير ان يكون معدا بالطبع نحوها فان المزور والبهرج وان اكملا العلوم النظرية فانهما في آخر الامر يضمحل مامعهما قليلا قليلا حتى اذا بلغا السن الذى سبيل

الفضائل ان يكمل الانسان فيه انطفت علومهما على التمام اشد من انطفاء نار ارقليطس الذى يذكره افلاطن وذلك ان طباع الاول وعادة الثانى يظهران-١- مايذكرانه فيه فى شبابهما ويثقلان عليهما حفظ ما قد احتملا الكد فيه فيهملانه فيتبدئ ما معهما يضمحل قليلا قليلا الى ان يبطل ناره وينطفى فلايجنيان له ثمرة *

واما الفيلسوف الباطل فهو الذى لم يشعر بعد بالغرض الذى له التمست الفلسفة فحصل على النظرية او على اجزاء من النظرية فقط فرأى ان الغرض من مقدار ماحصل له منها بعض السعادات المظنونة انها سعادة التى هى عند الجمهور خيرات فاقام علمها طلباً لذلك وطمعاً فى ان ينال به ذلك الغرض وهذا ربما ناله به الغرض فاقام عليه وربما عسر عليه نيل الغرض فرأى فيما علمه منها انه فضل فهذا هو الفيلسوف الباطل *

والفيلسوف بالحقيقة هو الذى تقدم ذكره فاذا لم ينتفع به وقد بلغ ذلك المبلغ فليس عدم النفع به من قبل ذاته ولكن من جهة من لا يصغى او من لا يرى ان يصغى اليه *

فالملك والامام هو بماهيته وصناعته ملك وامام سواء وجد من يقبل منه او لم يوجد اطيع او لم يطع وجد قوما يعاونونه على غرضه او لم يجد كما ان الطبيب طبيب بماهيته وبقدرته على علاج المرضى وجد مرضى او لم يجد وجد آلات يستعملها فى فعله اولم يجد كان ذا يسار او فقر وليس يزيل ظنه الا ان يكون شىء من هذه كذلك لا يزيل امامة الامام

(١) ن - يقهران-

ولا فلسفة الفيلسوف و لا ملك الملك الا ان تكون له آلات يستعملها في افعاله و اناس يستخدمهم في بلوغ غرضه *

و الفلسفة التي هذه صفتها انما تأدت الينا من اليونانين عن افلاطن وعن ارسطوطاليس وليس واحد منهما اعطانا الفلسفة دون ان اعطانا مع ذلك الطرق اليها و الطريق الى انشائها متى اختلت او بادت و نحن نبتدئ او لا بذكر فلسفة افلاطن و مراتب فلسفته و نبتدئ من اول اجزاء فلسفة افلاطن ثم نرتب شيئاً شيئاً من فلسفته حتى نأتي على آخرها و نفعل مثل ذلك في الفلسفة التي اعطاناها ارسطوطاليس فنبتدئ من اول اجزاء فلسفته *

فتبين من ذلك ان غرضهما بما اعطياه غرض واحد و انهما انما
التمسا اعطاء فلسفة واحدة بعينها فلسفة افلاطن و اجزاؤها
و مراتب اجزائها من اولها الى آخرها * هذا
آخر ما وجدناه من هذا الكتاب والحمد
لله رب العالمين و الصلوة و السلام
على سيد المرسلين محمد المصطفى .
و آله الطيبين الطاهرين
و صحبه اجمعين
آمين ثم آمين

۲۲۲۲۲
۲۲۲

اعلان

جس کتاب پر مجلس دائرة المعارف کي مهر یا دستخط
عهده دار متعلقه نه هون خریدار اوسکو مال مسروقه
سمجهین اور ایسی کتاب کو بمقتضاء احتیاط هرگز خرید
نه فرمائین *

المعلن

مهتمم مجلس دائرة المعارف

وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو

الجزء الثالث

من

كتاب

مفتاح السعادة ومصباح السيادة

في موضوعات العلوم للمولى احمد بن مصطفى
المعروف بطاش كبرى زاده
المتوفى سنة ٩٦٢ هـ
رحمه الله تعالى

الطبعة الاولى

بمطبعة دائرة المعارف العثمانية القائمة بمدينة
حيدر آباد الدكن (الهند) لازالت
شموس افاداتها بازغة
الى يوم الدين
سنة ١٣٥٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطرف الثانى من الرسالة

في العلوم المتعلقة بالتصفية التي هي ثمرة العمل بالعلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم - ولهذا العلم ايضا ثمرة تسمى علوم المكاشفة لايكشف عنها العبارة غير الاشارة كما قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعرفها الا العلماء بالله فاذا نطقوا ينكره اهل الغرة - لا جرم رتبنا هذا الطرف من الرسالة على مقدمة ودوحة لها شعب وثمرة لها طيبة -

المقدمة

اعلم ان الانسان مركب من عالمين لأن بدنه الكثيف من عالم الاجسام وروحه اللطيف من عالم الملكوت ولما وجب في التركيب من المناسبة بين الاجزاء خلق الله سبحانه وتعالى في البدن الكثيف جسما صنوبريا مسمى بالقلب واودع فيها بخارا لطيفا وصاد بذلك الروح اللطيف وحبسه في سجن هذا البدن الكثيف لأن ذلك البخار للطافته ناسب الروح العلوى ولنوع جسميتها ناسب البدن الكثيف فصار ذلك البخار طوعا لنزاهته عنه ايضا ربطه الحق به قهرا

(١) كذا -

ولهذا

ولهذا قدر مفارقته عنه بهذا العسر الشديد الذى تراه عند مفارقة الروح البدن جزاء لما عصى ربه فى النفرة عما خلقه لاجله ـ ثم ان الروح بعد ما تعلق بالبدن افاض قوى جزئية من محله الاصلى الذى هو القلب الى اطراف البدن حيث افاض الدماغ قوة مدركة والكبد قوة نفسانية الى غير ذلك من القوى الجزئية الحالة فى البدن ـ ثم ان طريق العلم بالروح ويسمى النفس الناطقة اما من طريق القوة المدركة المستمدة من الحواس ويسمى العلم الحصولى ـ او بلا واسطة تلك القوى ويسمى علما حضوريا واسباب العلم الحضورى الفكر والنظر فى المحسوسات واسباب العلم الحضورى تصفية النفس عن الشواغل الدنيوية اذ النفس كالمرآة وقد كدرها الشواغل الحسية فاذاصقلها الانسان عن تلك الشواغل ينتقش فيها المعلومات دفعة بلا حاجة الى التقاطها من طرق الحواس كمرآة مصيقلة حوذى بها شطر النور ـ واما النظر فلا يصقل منها الا قدر ماينتقش فيها النتائج فلذلك يكون العلم الحضورى اكمل واتم من العلم الحصولى هذا ثم انه كما ان طريق العلم الحصولى النظر، كذلك طريق العلم الحضورى التصفية، والاول قد مر بما لامزيد عليه واما طريق التصفية فلها ان اما بقطع النفس عن المألوفات بالرياضات والمجاهدات ويسمى هذا علم الباطن واما بانجذاب النفس الى عالم القدس بعد التصفية بواسطة عشقها الى العالم الروحانى فيفيض لها العلوم الحاصلة فى الروحانيات بالمشاهدة والتحقق ويسمى علم المكاشفة والفرق بين العلمين لايفهم الا بمثال ـ ومثال العلم الحاصل بالتصفية كمرآة صقلت ووصلت اليها النور من كوة تقابلها ومثال الثانى وهو علم المشاهدة كمرآة مصيقلة حوذى بها قرص الشمس ووصل الى ينبوع النور ولما كان العلم الثانى ثمرة العلم الاول ونتيجة له ذكرنا الاول فى دوحة لها عدة شعب والثانى فى ثمرة لها ـ

الدوحة السابعة

من الرسالة

فى علوم الباطن ولها اربع شعب العبادات والعادات والمهلكات والمنجيات

الشعبة الاولى فى العبادات وتتفرع هذه من عشرة اصول

الاصل الاول العلم وفيه مطالب — (المطلب الاول) فى معرفة فضل العلم والتعلم والتعليم وقد مر شواهد هذه فى صدر الرسالة بمالا مزيد عليه —

(المطلب الثانى) فى معرفة مايجب على المسلم من العلم — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة — وقال اطلبوا العلم ولو بالصين واختلفوا فى العلم الذى هو فرض عين وادعى كل طائفة ان ماعنده هو ذلك فقال الكلامى الكلام الذى يعرف به ذات الله وصفاته والنبوة والمعاد — وقال الفقيه الفقه الذى يعرف به الحلال والحرام — وقال المفسر والمحدث علم الكتاب والسنة التى يتوصل بهما الى كل العلوم — وقالت المتصوفة علم الحال من تحصيل الاخلاص وترك الآفات اذ بهما يتقرب العبد الى مولاه — وقال بعضهم هو علم الباطن وخصوا الوجوب على اقوام مخصوصين وليس كذلك والصحيح ان المراد به علوم المعاملة دون المكاشفة وهو العلم بالمبانى الخمسة الاسلام كما نطق به الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس فاول الواجب على العاقل البالغ تعلم كلمتى الشهادة ثم وثم وهذا يختلف باختلاف الازمان والاشخاص اذ يجب على من لايقدر على التفصيل العلم الاجمالى بمضمون هاتين الكلمتين واذا قدر على التفصيل يجب عليه مقدار فهمه والافلا — وايضا يجب على البالغ تعلم اركان الصلاة مايصح ويفسد دون الصبى وكذا يجب على الغنى تعلم احوال الزكاة والحج دون الفقير — هذا حال الاعتقاد والعمل — واما الترك فلايجب على الابكم تعلم حرمة الكلام ولا على الاعمى تعلم مايحرم به النظر وعلى هذا القياس وبالجملة الواجب على العبد من العلم هو قدر مايتجدد عليه من الوقائع من عباداته ومعاملاته وذلك يختلف باختلاف الاشخاص والازمان —

(المطلب الثالث) فى المحمود من العلوم والمذموم منها واعلم ان العلوم اما شرعية تستفاد من الانبياء فقط واما غير شرعية يستبد بادراكها العقلاء وغير الشرعية ان توقف عليه قوام امور الدنيا كالطب لبقاء الابدان وكالحساب لقسمة الوصايا

والمعاملات

والمعاملات فهي محمودة بمنزلة الصناعات الجزئية من الفلاحة والحياكة والحجامة والسياسة فهذه من فروض الكفايات فكذا العلوم المذكورة - وان لم يتوقف عليه قوام الدنيا لكن يحسن للانسان تعاطيها فهي فضيلة كالتعمق في دقائق الحساب والطب - واما ان لم يتوقف عليه شيء من امور الدنيا فان اخل ببعض الامور فهي العلوم المذمومة كالسحر والطلسمات والشعوذة وامثال ذلك من التلبيسات وان لم يخل بذلك فهي العلوم المباحة كالاشعار والتواريخ وما يجرى مجرى ذلك - واما العلوم الشرعية فهي محمودة كلها لكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وليست كذلك فتقسم الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة فاما اصول كالكتاب والسنة والاجماع والقياس واما فروع اما دنيوى كاكثر مسائل الفقه او أخروى كبعض مسائله ومعرفة احوال القلب من اخلاقها (١) المحمودة والمذمومة واما مقدمات تجرى مجرى الآلات كاللغة والنحو والمعاني وعلم كتابة الخط لانه صار ضروريا في الغالب لتوقف حفظ العلوم الشرعية عليها واما متممات كعلم القراآت والمخارج في اللفظ وكعلم التفسير في المعنى وكمعرفة الناسخ والمنسوخ وغير ذلك من العلوم القرآنية التي سبق تفصيلها - وكذا الحال في الحديث كعلم أسامي الرجال واحوالهم وغير ذلك - واما العلوم المذمومة فاعلم لولا ان العلم لا يذم من حيث انه علم وانما يذم لأمور اما انه لا يقدر الخائض فيه (على) ادراكه فيكون مذموما في حقه كاكثر من اشتغل بالعلوم الفلسفية ولم يقدر على تمييز الحق عن خلافه واما لاضراره بغيره كعلم السحر والطلسمات فانها وسيلة الى اضرار الخلق والوسيلة الى الشر شر - واما لاضراره بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه من حيث انه حساب للشمس والقمر غير مذموم بل قد ورد في القرآن (والشمس والقمر بحسبان) وقوله (والقمر قدرناه منازل) بل ذمه من حيث بيان الاحكام وهو مذموم - قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فأمسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فأمسكوا - وقال عمر رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم امسكوا - وانما ذم لاحد ثلاثة امور اما انه ربما

---

(١) كذا -

يوهم الخلق ان الكواكب هى المؤثرة فى الحوادث واما لانه ظن وتخمين فالحكم به جهل لا علم وقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلام ثم انمحى وانمحق ومايتفق من الاصابة على الندور فاتفاقى كظن الانسان ان المطر ينزل اليوم فيقع واما لانه علم لا ينفع وجهل لا يضر لانه تضييع العمر بلا فائدة - اذا عرفت ان من العلم المحمود والمذموم فاعلم ان من العلوم الشرعية ماهو المحمود صورة والمذموم معنى - منها الفقه وقد كان يطلق الفقه على علم طريق الآخرة و معرفة آفات النفوس ومفاسد الاعمال والاحاطة بحقارة الدنيا وشرف نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب والآن خص بمعرفة الفروع الغريبة والفتاوى العجيبة والاطلاع على عللها وتتبع المقالات المتعلقة بها والاستكثار من المسائل الفرعية حتى تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة سواء تجرد للامور الاخروية اولا - وقد كان فى العصر الاول الاصل معرفة امور الآخرة وامور الدنيا بالتبع لها والآن انعكس الحال فتداخل الذم الى الفقه من هذه الجهة وان (كان) محمودا فى الاصل (ومنها العلم) وقد كان يطلق على العلم بالله تعالى وبآياته وافعاله فى عباده وخلقه وخصصوه اليوم بمن يشتغل بالمناظرة فى المسائل الفقهية وغيرها ويقال له هو الفحل فى العلم والعالم على الحقيقة ومن لم يكن كذلك يعدونه من الضعفة وان كان عارفا بالله وصفاته والمبدأ والمعاد والتفسير والاخبار (ومنها التوحيد) وقد كان يطلق على ان يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الاسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر الا منه جل جلاله والآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بالمناقضات والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسولة واثارة الشبهات وتأليف الالزامات حتى لقب طوائف منهم انفسهم بأهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع ان ابواب الجدل والمماراة كان مما يشتد النكير عليه فى العصر الاول - ومنها الذكر والتذكير وقد كان فى العصر الاول يطلق على التكلم فى علم الآخرة التذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات النفس والاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر

بآلاء

بآلاء الله سبحانه ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها وقلة عهدها وخطر الآخرة واهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذى قد ورد الحث عليه فنقل ذلك الآن الى ماترى من حال الوعاظ ومايواظبون عليه من القصص والاشعار والشطح والطامات اما القصص فهو بدعة وقدورد نهى السلف عن الجلوس الى القصاص لأنهم ان (١) اقتصروا على القصص الواردة فى القرآن لأصابوا لكنهم غيروا وزادوا ونقصوا حتى انهم من سمح نفسه(١)وضع الحكايات المرغبة فى الطاعات ويزعم ان قصده فيه دعوة الخلق الى الحق وهذه من نزغات الشيطان فان فى الصدق مندوحة عن الكذب (واما الاشعار) فاكثرها فى الوعظ مذموم والمستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه ومجالس الوعاظ لاتحوى الاجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات فتحرك الاشعار المشتملة على تواصف العشق ومدح الوصال وبث آلام الهجر ما هى مستكنة فى قلوبهم من نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون على تصورالفساد اللهم الا اذا كانت الاشعار مشتملة على المواعظ والحكم او كانت الحضار الخواص خاصة فاولئك ينزلون الشعر الوارد فى المخلوق على ما استولى على قلبهم من حب الخالق. (واما الشطح) فاما دعاوى طويلة عريضة فى العشق مع الله والوصال المغنى عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا واما كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة فيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل ، وهذا اما ان لا يفهمه القائل ايضا واما لخبط فى عقله وتشويش فى خياله او تكون مفهومة للقائل ولا يقدر على التعبير لقلة ممارسته التعبير عن المعانى بالالفاظ الرشيقة - قال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفونه ودعوا ما ينكرون أتريدون ان يكذب الله ورسوله - وهذا فيما يفهمه صاحبه فكيف فيما لا يفهمه قائله فان كان يفهم القائل دون السامع فلايحل ذكره (واما الطامات) فمنها ماذكرناه من الشطح وامر آخر وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهر المفهوم الى امور باطنة لاينسبق

(١) كذا -

منها الى الافهام حقيقة يعتمد عليها كدأب الباطنية فى التأويلات - وهذا ايضا حرام فان الالفاظ اذا صرفت عن ظواهرها بلا نقل من الشرع او دليل من العقل لبطل التعويل على النصوص وبهذا توصل الباطنية الى هدم الشرائع اذ النفوس مائلة الى المستغرب ومستلذة له (ومنها الحكمة). وقد كانت الحكمة تعد خيرا كثيرا كما نطق به التنزيل بقوله (ومن يؤت الحكمة فقداوتى خيرا كثيرا) وقوله صلى الله عليه وسلم كلمة من حكمة يتعلمها الرجل خيرله من الدنيا وما فيها والآن نقل الى الطبيب والشاعر والمنجم حتى الذين يدحرجون القرعة على اكف السواد فى شوارع الطرق فانظر هذا النقل من اين الى اين إذا عرفت مثار الالتباس فى العلوم فعليك ان تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف ولا تتدلى بحبل الغرور حتى تتشبه بالخلف فاعلم ان من العلم ماهو المذموم قليله وكثيره ولا فائدة فيه دينا ودنيا اوضرره يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم ومنه ما هو المحمود كله كالعلم بالله سبحانه وتعالى وبصفاته وافعاله وسنته فى خلقه فانه بحر لاساحل له وما خاض فيه الا الانبياء والاولياء والراسخون فى العلم فمفتاحه اولا التعلم والجد ومشاهدة احوال العلماء وآخره المجاهدة والرياضه وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه بانبياء الله واوليائه (واما العلوم) التى لايحمد منها الاقدر مخصوص فهى العلوم التى هى فروض الكفايات فان لكل علم اقتصارا واقتصادا واستقصاء فان كنت اصلحت نفسك فلا عليك الا ستقصاء فيها لاصلاح غيرك ويكفيك الاقتصاد بل هو الخير اذلا يفى الاعمار بالاستقصاء فى كل العلوم فاستقصاء البعض دون الآخر ليس بخير بل الاحسن الاقتصاد فى الكل - وان لم تكن اصلحت نفسك اولا فاياك ان تقصد اصلاح غيرك وتترك نفسك اذلا اعظم منه خسرانا فعليك ان تشتغل اولا بتطهير نفسك من ظاهر الاثم وباطنه بحيث تجعله ديدنا وعادة منتشرة فيك - ثم اشتغل بفروض الكفايات على التدريج الذى سنذكر لك ذلك فابتدئ بكتاب الله ثم بسنة رسوله ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من الناسخ والمنسوخ والفصول والموصول والمحكم والمتشابه

وكذلك

وكذلك فى السنة ـ ثم اشتغل بالفروع من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم بقدر ما يتسع له وقتك ولا تستغرق عمرك فى واحد منها طالبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وان ظلبت الزيادة عليها واتسع لك الوقت فاقتصر من شائع علم اللغة قدر ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبها على غريب القرآن والحديث وتعد التعمق فيه واقتصر من النحو على قدر ما يتوقف عليه معرفة الكتاب والسنة وتعمق فى التفسير قدر مايعده العلماء وسيطه ثم اصرف ذهنك على لطائفه واشاراته ـ وفى الحديث قدر تحصيل مافى الصحيحين والصحاح الستة قدر ما يحتاج اليه فى الاعمال وحصل نسخة صحيحة منها او منهما على رجل خبير بمتون الحديث ودع حفظ اسامى الرجال ومعرفة عللهم لأن السلف من جامعى الصحاح قد كفينا (١) مؤنتها ـ فاما الفقه فيكفى فيه حفظ البداية والوقاية والمنظومة للنسفى ـ واما الكلام فيكفى فيه قدر محافظة عقائد واردة فى الكتاب والسنة وان قدرت مع ذلك على دفع المبتدعة فأحسن وأحسن. واما الخلافيات فلاحاجة لك بها على كل حال اذ الغرض منها اقبال الناس وفوز الحرمة والحشمة عند الولاة وهذا من اخس الاغراض وارذلها سيما اذا ادى الى بذل العلم فى باب هؤلاء سيما مع طلب رضاهم فى الاحكام ـ اللهم عفوا عفوا ـ واما المنطق فهو داخل فى علم الكلام ـ واما الفلسفة فما كان منها مخالفا للشرع فاكثره مباحث علم الالهى وبعض من الطبيعى فذلك فى حكم السحر بل اضر منه لانه يؤدى الى الكفر اسرع من السحر وما لم يكن مخالفا للشرع كبعض مسائل الالهى واكثر مسائل الطبيعى وكل مباحث الرياضى فلا منع عنها فهو فى حكم علم الحساب الا ان يخاف ان يستدرج مشتغله الى العبور الى البواقى فيمنع منها البعض دون ذلك ـ فالذى يجب عليك الاقبال بعلوم (٢) الآخرة وهى قسمان علوم معاملة وعلوم مكاشفة والاول طريق للثانى ـ اما علوم المعاملة فهى معرفة احوال القلب اما ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والزهد والرضا

(١) كذا والظاهر ـ كفونا ـ ج (٢) كذا ـ

والقناعة والتقوى والاحسان والسخاء وحسن الظن والخلق والمعاشرة والصدق والاخلاص - واما مايذم منها فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب البقاء فى الدنيا والكبر والرئاء والغضب والفخر والخيلاء والتنافس وطول الامل والفرح بالدنيا والانس بأهلها الى غير ذلك - واما علوم المكاشفة فمعرفة ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وافعاله وحكمته ومعرفة معنى النبوة والنبى ومعنى الوحى والملائكة والشياطين ومعرفة الجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول فى جواره الى غير ذلك من الاحوال بأن يرتفع الغطاء ويتضح جلية الحق اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لايشك فيه وهذا ممكن فى جوهر الانسان وانما يشغل عنه كدرة قاذورات الدنيا فاذا صقل القلب عنها يتجلى له تلك العلوم بلاشك ويتلألأ فيه انوار تلك الحقائق لامحالة وهذه العلوم لاتسطر فى الكتب ولايتحدث بها الا من يعرفها فلاتحقروا عالما آتاه الله علما فان الله عزوجل آتاه اياه وقال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم يعنى علم المكاشفة اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشىء من هذا العلم وهما البدعة والكبر وقيل من كان محبا للدنيا ومصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم واقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق منه شيئا وهو علم الصديقين والمقربين -

المطلب الرابع فى آداب المعلم والمتعلم ووظائفهما وقد استوفينا هذا الباب فى اول الكتاب فلانشتغل باملال الاصحاب بسلوك طريق الاسهاب -

المطلب الخامس فى آفات العلم وبيان علامات علماء الدنيا وعلماء الآخرة -

اعلم انه قد ورد فى شأن العلماء نصوص واخبار تدل على انهم اشد عذابا يوم القيامة اذا لم يعملوا بعلمهم والذين يقصدون بعلمهم التنعم فى الدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها ولاحاجة الى ذكر تلك الاخبار والآثار لشهرتها عند العلماء ،

وحاصل

وحاصل الجميع ان العالم الذى هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل ثم ان الفائزين المقربين من العلماء لهم علامات بها تمتاز(١) عن علماء الدنيا - فلنذكر منها مع كثرتها اثنتى عشرة علامة - منها ان لايطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما كالضرتين متى ارضيت احداهما سخطت الاخرى وككفتى ميزان فى رجحان احداها خفة الاخرى كالمشرق والمغرب يستلزم قرب احدهما البعد من الآخر فان من لم يعلم كدورة الدنيا وامتزاج لذتها بألمها، بل يقال ان امور الدنيا اما عين الم او مقدمة للألم، فهو فاسد العقل غافل عن المشاهدة والتجربة فكيف يكون من العلماء من لاعقل له - وايضا من لايعلم عظم امر الآخرة ودوامها فهو كافر بالنصوص ومن لا ايمان له لايكون عالما - وايضا من غفل عن مضادة الدنيا والآخرة وان الجمع بينهما نفخ بلاضرم فهو جاهل بالشرائع كلها بل هو كافر بما بين دفتى المصاحف كلها فكيف يعد من زمرة العلماء - ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الدنيا على الآخرة فهو اسير الشيطان وقد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه الدرجة - وقيل -

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

ومنها ان لايخالف قوله فعله بل لايأمر بالشيء ما لم يكن هو اول عامل به ولاينهى الاعن شيء ينتهى هو عنه اولا - قيل -

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما اذ عبت منهم (امورا) انت تأتيها

وقيل

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

والآيات والاخبار والآثار فى هذا الباب اكثر من ان تحصى واشهر من ان تذكر ومنها ان تكون عنايته لتحصيل العلم النافع فى الآخرة المرغب فى الطاعة متجنبا فى العلوم التى يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال - ومنها ان يكون غير مائل الى الترفه فى المطعم والتنعم فى الملبس والتجمل فى الاثاث والمسكن

---

(١) كذا

بل يؤثر الاقتصاد فى جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله سبحانه قربه وارتفع فى علماء الآخرة حزبه والتحقيق ان التزين بالمباح ليس بحرام لكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لاتمكن الابمباشرة اسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها المداهنة ومراعاة الخلق ومراياتهم وامور اخر محظورة فالحزم اجتناب ذلك - ومنها ان يكون منقبضا عن السلاطين لايدخل اليهم البتة مادام يجد عن الفرار عنهم سبيلا بل ينبغى ان يحترز عن مخالطتهم وإن جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدى السلاطين والمخالط لهم لا ينفك عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدرى نعمة الله تعالى اويسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف فى كلامه بمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع فى ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت - وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح لعدة شرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط - (ومنها) ان لايكون مسارعا للفتوى بل يكون متوقفا متحرزا ماوجد الى الخلاص سبيلا فان وجد عمايعلمه تحقيقا افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادرى وان سئل عما يظنه باجتهاد اوتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره وان كان فى غيره غنية هذا هوالحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم - (ومنها) انيكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء فى انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تثمر المراقبة فى دقائق علم القلوب والجلوس مع الله عزوجل فى الخلوة مع حضور القلب بصافى الفكر والانقطاع اليه عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف وكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكم مايحار فيه عقول ذوى الالباب (ومنها) ان يكون شديد العناية بتقوية

اليقين

اليقين الذى هو رأس مال الدين - واعلم ان اليقين عند المتكلمين هو رجحان احد طرفى الحكم رجحانا لا يقبل التشكيك وهو الذى لا يتصور الايمان بدون بلوغه هذه الرتبة وعند الفقهاء والصوفية واكثر العقلاء ان يستولى ذلك الادراك على النفس ويغلب على القلب وهذا انفعال للقلب عن هذا الادراك ونفوذه فى القلب مثل تأثير الحناء فى اليد وانفعال اليد منه مثلا يقال ان هذا الرجل لايوقن بالموت لما انه يغفل عنه ويسهو عن العمل بمقتضاه ويقال هذا الرجل له قوة اليقين بالموت يعنى انه مستغرق الهم فى استعداده مع ان كليهما متساويان فى القطع بموته وربما يعبر عن هذا المعنى بالاذعان وعن الاول بالادراك - والتحقيق فيه انك قد عرفت فيما ذكرناه من التحقيق ان فى الانسان قوة جزئية محلها الدماغ من شأنها الادراك بالنظر وفيه قوة كلية محلها القلب الاول فاليقين بالمعنى الثانى حاصل فيه وهما مشتركان فى معنى التصديق الجازم الثابت المطابق للواقع الا ان الحاصل فى القوة الجزئية لتوقفه على التفات النفس الى ذلك ربما يسهى عنه ويغفل فلا يعمل بمقتضاه بخلاف الثانى فانه الحاصل فى النفس لا فى الآية (١) فلا يحتاج الى التفات النفس الى ذلك مثل احتياجه فى الاول لانه علم حضورى لا يغيب عن النفس فلا يغفل عنه اصلا لولا ملابسة الكدورات فالادراكان المذكوران متحدان والتغاير بحسب المحل - ومن نظر الى اتحادها حقيقة يقول الايمان لا يزيد ولا ينقص ومن نظر الى مغايرتها بحسب المحل يقول بزيادته ونقصه اذ لا يخفى ان الايمان الحاصل بطريق العلم الحضورى اقوى من الحاصل بطريق العلم الحصولى فاحفظ هذه الغاية لانك قلما تجدها فيما عهدت من الكتب ولذلك ترى اكثر المؤمنين لاقتصارهم بالايمان على الطريق الاول يغفلون عن كثير من احكامه - واما الذين يكملونه على الطريق الثانى ترى فيهم الحياء والخوف والذل والاستكانة والخضوع وغير ذلك من الاوصاف المتشعبة من الايمان (ومنها) ان يكون العالم حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على احواله ويكون نظره مذكرا لله تعالى والآخرة وتكون صورته دليلا على علمه فهم الذين سيماهم على وجوههم من اثر السجود

---

(١) كذا -

(ومنها) ان يكون اكثر بحثه فيما يفسد من الاعمال وفيما يشوش القلوب ويشوش الوساوس ويثير الشره ولا يكون ممن يتبعون غرائب التعريفات فى الحكومات والاقضية ويتعنون فى وضع صور ينقضى الدهر لا تقع او تقع لغيره لانه اذا وقعت وفى العالمين بها كثرة يكفون مؤنته وما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للقبول والتقرب من الخلق على القرب من الله تعالى وشرها فى ان يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله تعالى ان لا ينتفع من الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العالمين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين - و(منها) ان يكون اعتماده فى علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما الذى يقلد عليه (١) هو صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما امر به وقاله وانما يقلد الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على سماع منه صلى الله عليه وسلم - ثم اذا قلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فينبغى ان يحرص على فهم اسراره ولا يكون وعاء للعلم لا عالما ومن كشف عن قلبه الغطاء صار متبوعا لمن يجيء بعده فلا ينبغى ان يقلد المجتهد الآخر فاذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضى فالاعتماد على التصانيف ابعد لانها محدثة بعد الصحابة وصدور التابعين وانما حدثت بعد مائة وعشرين سنة من الهجرة واما السلف فقد امتنعوا عن تصنيف الكتب بل كتب الاحاديث حتى ان ابا بكر كره كتب المصاحف فى مصحف واحد كما عرفت تفصيله وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطأ وقال ابتدع ما لم يفعله الصحابة وقيل اول كتاب صنف فى الاسلام كتاب ابن جريج فى الآثار - حروف التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعانى باليمن جمع فيه سنن شتى منثورة مبوبة ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثورى ثم فى القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض فى الجدال والخوض فى ابطال المقالات

(١) كذا -

ثم

ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ فأخذ علم اليقين فى الاندراس ذلك الزمان حتى صار يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكائد الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما واصبح علم الآخرة مطويا (ومنها) ان يكون شديد التوقى من محدثات الامور وان اتفق عليه الجمهور ولينظر هل كان احوال الصحابة واعمالهم التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولى الاوقاف واموال الايتام ومخالطة السلاطين ام الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الاثم وجليله الى غير ذلك واكثر معروفات هذه الاعصار منكرات عصر الصحابة كتزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال العظيمة فى دقائق عماراتها والفرش الرفيعة فيها وقد كان فرش البوارى فى المسجد من بدع الحجاج وكانوا لايجعلون بينهم وبين التراب حاجزا (ومن ذلك) التلحين فى الاذان والقرآن (ومن ذلك) التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة مع التساهل فى حل الاطعمة وتحريمها الى غير ذلك فاذا سمعت هذه الاوصاف فكن من اهل الانصاف بأن تتصف بها او تقر بتقصيرك فيها واياك واياك ان تكون الثالث الشقى فتصير من البطالين حتى تلحق بزمرة الهالكين فنعوذ بالله من خدع الشيطان وبها هلك الجمهور ونسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن لايغره الحياة الدنيا ولايغره بالله الغرور -

المطلب السادس فى العقل وشرفه وحقيقتة واقسامه

اعلم ان شرف العقل معلوم بالضرورة ولا سيما قد ذكرنا شرف العلم والعقل منبعه ومطلعه واساسه ويجرى منه مجرى الشجر من الثمر والنور من الشمس والرؤية من العين فما يدل على شرف العلم دليل على شرف العقل بالضرورة وكيف لايشرف وهو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة اوكيف يستراب فيه واعظم البهائم بدنا واشدهم ضراوة واقواهم (١) سطوة اذا رأى الانسان احتشم وهابه لشعوره بما يختص به من العقل الذى تسهل به الحيل وكذلك ترى كثيرا

(١) كذا -

من الاتراك واجلاف العوام من الاتراك مع قرب رتبتهم من البهائم يوقرون مشايخهم بالطبع - ثم اعلم ان العقل يطلق على معان احدها الوصف الذي يفارق الانسان به سائر البهائم وبه استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهذا ما قيل في حده انه غريزة يتهيأ بها درك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء (وثانيها) انه بعض العلوم الضرورية لجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهي العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز وهو ايضا صحيح لأن هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر اذ يقال صار الصبي عاقلا وهو بهذا المعنى واما من اثبت هذا ونفى المعنى الاول اعني الغريزة المذكورة فقد اخطأ (وثالثها) علوم تستفاد من التجارب لهذه الاحوال فان من هذبته التجارب يقال له في العرف عاقل ويقابله غبي غمر جاهل (ورابعها) ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها وهي الغاية القصوى للقوة الغريزية المذكورة والمعنيان الأولان بالطبع للانسان والاخيران بالاكتساب - ثم اعلم ان التفاوت يتطرق الى هذه الاقسام سوى الثاني منها لان الضروري لا تفاوت فيه واما الرابع فلا يخفى تفاوت الناس فيه وذلك بالتفاوت في الشهوة اذ يغلب بعض الشهوة في البعض فلا يقدر على تركه ويضعف في الآخر فيتركه وقد يتفاوت في شخص واحد فان الشاب لا يقدر على ترك الزنا بخلاف الشيخ غالبا - واما بالتفاوت في العلم بغائلة الشهوة كالعامي والعالم في معرفة ضرر المعصية - واما الثالث فان الناس متفاوتون في علوم التجارب اذ قد يتفاوت الانسان في الغريزة والتجارب ثمرتها وقد يتفاوت في الممارسة فيتفاوت التجارب - واما الاول اعني تفاوت الغرائز فلا سبيل الى جحدها لأن من جوز أن عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل السوادية واجلاف البوادي فقد خلع ربقة الانسانية عن عنقه ولولا هذا التفاوت لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم الا بعد تعب طويل والى ذكي يفهم بأدنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق العلوم

يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار) وذلك مثل الانبياء عليهم السلام اذ يتضح لهم فى باطنهم امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى - واما ماتسمع من المتصوفة من ذم العقل والمعقول فذلك اطلاق خامس وهو معنى المجادلة والمناظرة بالمناقضة والالزامات كما هو مدار صنعة الكلام لانهم يذمون نور البصيرة التى هى اساس العلوم الشرعية وان ذمت هى فما الذى يحمد الا انهم لم يقولوا انكم اطلقتم العقل على معنى مذموم لشيوعه عند الناس فى هذا المعنى لاجرم ذموا العقل والمعقول لكن بهذا المعنى المذموم لابمعنى كل الاطلاقات والله اعلم -

(الاصل الثانى) فى قواعد العقائد وهى اصل الاصول ومبنى الاسلام ومقدمة جميع الاحكام ومبناها تصحيح كلمتى الشهادة وتفصيلها ويرجع الى معرفة المبدأ والمعاد - ولما كان تفصيلها خارجا عن طوق هذا الكتاب وصارت كتب السلف مشحونة بها ضربنا عن ذلك صفحا والله الموفق - واجمال هذا الكلام ان هذا الركن من الاسلام على اربعة اركان كل ركن عشرة اصول -

(الركن الاول) معرفة الله عزوجل ومداره على عشرة اصول وهى العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة -

(الركن الثانى) فى صفاته وهى ايضا عشرة اصول وهى العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما متنزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام والعلم والارادة -

(الركن الثالث) فى افعال الله تعالى ومداره ايضا على عشرة اصول وهى ان افعاله مخلوقة له تعالى وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله تعالى وانه متفضل بالخلق وانه له تعالى تكليف مالايطاق وله ايهام (١) البرى ولايجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثة الانبياء جائزة وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات -

---

(١) كذا -

(الركن الرابع) فى السمعيات ومداره ايضا على عشرة اصول وهى اثبات الحشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة ـ واذا عرفت هذا الاجمال فاطلب تفاصيلها من كتب القوم والغرض بيان عقيدة اهل السنة وانهم بأى عقيدة يمتازون عما عداهم من اهل البدع والاهواء نسأل كمال اليقين واثبات فى الدين لنا ولكافة المسلمين والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده ـ

الاصل الثالث علم اسرار الطهارة ـ قال الله تعالى (والله يحب المتطهرين) وقال النبى صلى الله عليه وسلم ، الطهور نصف الايمان ، واعلم ان الطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والفضلات ـ والثانية تطهير الجوارح عن الآثام ـ والثالثة تطهير القلب عن ذمائم الاخلاق ـ والرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهى طهارة الانبياء والصديقين ـ والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها اذ المقصود فى السر أن ينكشف له جلال الله وعظمته ولن يحل ذلك فيه الا بان يرتحل عنه ما سوى الله تعالى وكذا المقصود فى القلب التحلى بالاخلاق المحمودة ولن يتيسر ذلك الا بالتخلى عن الاخلاق الذميمة وكذا المقصود من الجوارح تزينها بالطاعات ولا يتيسر ذلك الا بتطهيرها عن الآثام . وكذا الحال فى الظاهر فكل من هذه المراتب لايمكن الا بتطهير ما قبلها فاصل الكل طهارة السر ولكن تتوقف على طهارة مقدماتها الى ان ينتهى الى طهارة الظاهر ولا تظنن ان هذا ينال بالمنى او ينال بالهوينا والذى يهمنا الآن معرفة احوال طهارة الظاهر وهى اقسام (طهارة) عن الخبث وقد استقصى الكلام فى ذلك فى كتب الفروع (وطهارة) عن الحدث من الوضوء والغسل والتيمم ـ اما الوضوء فقد استوفى الفقهاء فرائضه وسننه وآدابه ولنذكر ههنا بعضا من آدابه وهو انه اذا خرج من الغائط اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه خارجا من الغائط الا توضأ ويبتدئ بالسواك وينوى تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله فى الصلاة وكان صلى الله عليه وسلم يستاك فى الليلة مرارا وكان يقول

عليكم

عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب - وعن علي رضي الله عنه السواك
يزيد في الحفظ ويذهب البلغم - ثم يجلس للوضوء ويقول بسم الله الرحمن الرحيم
ويقول اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يقول
عند غسل يديه اللهم اني اسألك اليمن والبركة واعوذبك من الشؤم والهلكة -
ثم ينوي رفع الحدث او استباحة الصلاة ويقول عند المضمضة اللهم أعني على
تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك - ويقول عند الاستنشاق اللهم اوجدني رائحة
الجنة وانت عني راض وعند الاستنثار اللهم اني اعوذبك من روائح النار ومن سوء
الدار - ويقول عند غسل الوجه اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه
اوليائك ولاتسود وجهي يوم تسود وجوه اعدائك - ويقول عند غسل اليد اليمنى
اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا - ويقول عند غسل الشمال اللهم
اني اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي اومن وراء ظهري - ويقول عند مسح
الرأس اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت ظل عرشك يوم
لا ظل الاظلك - ويقول عند مسح الاذنين اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة مع الابرار - ويقول عند مسح الرقبة
اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال - ويقول عند غسل
الرجل اليمنى اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام في النار - ويقول
عند غسل اليسرى اني اعوذ بك ان تزل قدمي عن الصراط يوم تزل اقدام
المنافقين - فاذا فرغ عن الوضوء رفع رأسه الى السماء وقال اشهدان لا اله الاالله
وحده لا شريك له واشهدان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا
انت عملت سوء وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفرلي وتب علي انك
انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني
من عبادك الصالحين واجعلني صبورا شكورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك
بكرة واصيلا - يقال من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له
تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك يوم القيامة -

ومهما فرغ من وضوئه واقبل على الصلاة ينبغى ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو مطمح نظر الخلق فينبغى ان يستحيى من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موقع نظر الرب سبحانه وليس تطهيره الا بالتوبة والخلو عن الاخلاق الذميمة - الا ترى ان من قصد مناجاة ملك زين ثيابه مهما امكن وطهره عن الالواث ومع ذلك نجس وجهه الذى محل نظر الملك هل يكون جديرا للتعرض بالبوار عند السلطان ومتصفا بسخافة العقل عند الاخوان -

فاما كيفية الغسل والتيمم فمذكورة فى كتب الفروع ولنذكرها هنا آداب التنظف عن الاوساخ والفضلات الظاهرة التى اهملها الفقهاء فى كتب الفروع وهى نوعان عارضى وطبيعى - اما الاول فثمانية (الاول) يستحب غسل الرأس وترجيله وتدهينه ازالة للشعث - (والثانى) يزيل ما فى معاطف الاذن والصماخ من الدرن والاوساخ لكن ينظفه برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة الدلك ربما يضر بالسمع (والثالث) (والرابع) وكذا ما فى الانف وما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان ويزيله بالسواك (والخامس) ما يجتمع فى اللحية من الوسخ والقمل ويزيله بالغسل والتسريح بالمشط ولكن ينبغى ان يكون قصده ان لا يزدريه العوام ولا تستصغره اعينهم لا التزين الذى هو المكروه للرجال وانك ترى رجالا من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة واذلال المخالفين لا التزين وهذا امر باطن سوف ينكشف يوم تبلى السرائر فنعوذ بالله من الخزى يوم العرض الاكبر (والسادس) وسخ البراجم وهى معاطف ظهور الانامل (السابع) تنظيف الرواجب وهى رؤوس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ كل هذه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيفها فوقت للناس قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوما (والثامن) الدرن فى جميع البدن ويزيله بالحمام وقد دخلت الصحابة حمامات الشام حتى قال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن أبى الدرداء وأبى ايوب الانصارى وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب بالحياء فهذا تعرض لآفته

لآفته ولذلك لحصلته (١) فلابأس بطلب فائدته عند الامن من آفته ولكن يجب عليه وظائف من الواجبات والسنن اما الواجبات ان يصون فرجه عن نظر الغير وعن مسه لازالة الوسخ وغيره خصوصا ما بين السرة والعانة ومافوق الركبة اذ العوام لايتحاشون عن كشفها بناء على انها ليست بعورة غليظة بل التحريم لكونه من حماها فلا يتساهل في امرها - ومنها ان يغض بصره عن عورة غيره ويمنعهم عن كشفها لأن النهي عن المنكرات واجب ولمثل هذه الآفات صار الحزم ترك الحمام في هذه الاوقات ولهذا يستحب تخلية الحمام لمن قدر عليها وان لم يقدر واوجبت الضرورة الدخول فليستر عورته بازار وليستر عينيه بازار آخر ليحفظ عينيه عن عورة غيره واما النساء فالافضل منعهن عن الحمام اذا وجد في البيت مستحم وكذا اذا لم يوجد ولم تقع ضرورة واذا وقعت ضرورة ككونهن مريضة اونفساء فليتزرن بمئزر سابغ وليتحفظن مهما امكن لهن - فاما السنن فتحسين النية بان لايدخلها للتزين والهوى بل للتنظف لاجل الصلاة ويعطى الحمامي الاجرة قبل الدخول وهو الافضل لرفع الجهالة من احد العوضين وتطييب لنفسه واما العوض الآخر فيستعمل من الماء قدر الحاجة ومقدار الحاجة مايعينها العرف ويقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ويدخل وقت الخلوة ويجوز أن يتكلف التخلية للضرورة وان لم يمكن فليدخل مع الاحتياط التام اذا وقعت ضرورة والا فالاحتياط في الترك - (ومنها) ان لايسلم عند الدخول ولايجيب السلام بل يقول عافاك الله وان اجاب غيره يسكت ولابأس بان يصافح في الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الاسرا ولا بأس بالاستعاذة من الشيطان جهرا - ويكره الدخول بين العشائين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين - ولا بأس بان يدلكه غيره وينبغي ان يتذكر في الحمام جهنم وظلمته ويتعظ بذلك ومهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة ومن منافعه الطيبة، وما قيل ان الحمام بعد

---

(١) كذا -

النورة امان من الجذام وقيل النورة فى كل شهر مرة تطفىء الحرارة وتنقى اللون وتزيد فى الجماع وقيل بولة فى الحمام قائما فى الشتاء انفع من شربة دواء وقيل نومة فى الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام امان من النقرس — ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذلك شربه — واما التنظف عن الفضلات الطبيعية فثمانية ايضا (الاول) حلق الرأس ولا بأس به للتنظف ولا بأس بتركه لمن يدهن ويرجل، واما القزعة فى المفرق فممنوع لانها من دأب اهل الشطارة وكذلك يمنع ارسال الذوائب لغير الاشراف لانه من شعارهم فيكون تلبيسا (والثانى) قص الشوارب والاحاديث فيه كثيرة واما حلقها فلم يرد وقيل انه مكروه — وبدعة — ولابأس بترك سباله لبعده عن الفم (والثالث) نتف الابط فى كل اربعين يوما وذلك سهل على من تعود ذلك ابتداء واما من لم يتعود وتألم بذلك فيكفيه الحلق اذا لمقصود النظافة وذلك يحصل به (الرابع) حلق العانة اواستعمال النورة ولايتأخرعن اربعين يوما (الخامس) قلم الاظفار ويستحب ذلك لبشاعة صورتها وازالة مايجتمع فيها من الاوساخ وقد امر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكر ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ (السادس والسابع) قطع السرة فى اول الولادة وقته (١) ان يقذر الولد مخالفة لليهود فانهم يختنون فى اليوم السابع من الولادة ولأنه ابعد عن الخطر وقد ورد فى الحديث ختان النساء مكرمة (والثامن) ما طال من اللحية قال الفقهاء اخذ مازاد على القبضة لابأس به قد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبى وابن سيرين والنخعى — قال بعضهم تركها واعفاؤها احب واختاره الحسن وقتادة وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحى والمختار التوسط بأن لا ينتهى الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب وهذا افراط فى القص وان لا يطول طولا مفرطا يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنبز اليه ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل وقال الشاعر —

هلوفة يحملها مائق   مقلوب هرون بها لائق

(١) كذا — وقد سقط ذكر الختان —

والهلوفة

والهلوفة بكسر الهاء وتشديد اللام المفتوحة وواو ساكنة ثم فاء مفتوحة اللحية الطويلة - وما اشتهر بين الطلاب من القاف بدل الفاء فغلط والمائق هو الاحمق ومقلوب هرون نوره - واعلم ان اللحية فيها عشر خصال مكروهة بعضها اشد من بعض (احدها) خضابها بالسواد فهو منهي عنه واول من خضب بالسواد فرعون وعن النبي صلى الله عليه وسلم الخضاب بالسواد خضاب الكفار - وفي رواية خضاب اهل النار - وغير ذلك من الاحاديث - تزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه واطلقوا على انه كان خضب لحيته فرد عمر نكاحه واوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك - الا ان يخضب لاجل الغزو فحينئذ يجوز إن صحت النية ولم يكن فيه هوى ولا شهوة وقد فعله بعض العلماء للغزو (ثانيها) تبييضها بالكبريت استعجالا لاظها وعلو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ واظهارا لكثرة العلم وترفعا عن الشباب وكل هذا منهي عنه للكذب والزور مع اظهار الحمق في اظهار العلم لان كثرة العلم لاتحصل بطول السن ولاتنقص بالشباب بل العلم غريزة تقوى بالشباب وكان عمر يقدم ابن عباس على مشيخة الصحابة ويسأله دونهم وكان ابن عباس يقول ما آتى الله سبحانه عبدا علما الاشابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) وقوله عزوجل (انهم فتية آمنوا بربهم) وقوله تعالى (وآتيناه الحكم صبيا) وكان انس يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء - فقيل له يا ابا حمزة وقد اسن فقال لم يشنه الله عزوجل بالشيب - وقيل أو شين هو فقال كلكم يكرهه - ويقال ان يحيى بن اكثم ولى القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه كم سن القاضي ايده الله واراد أن يرميه بصغر السن فقال سن عتاب بن أسيد حين ولى امارة مكة وقضاءها فافحمه - قال مالك قرأت في بعض الكتب لايغرنكم اللحى فان التيس له لحية - وقال علي بن الحسين من سبق اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك (الثالث) الخضاب بالحمرة والصفرة جائز للغزو والجهاد وايضا ورد في الحديث الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين -

وكان السلف يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة فمن لبس نفسه بالتشبه بالصالحين فهو مذموم كما انه مذموم للتزين ويغض الشيب (الرابع) نتف بياضها استنكافا من الشيب وهونور المؤ من وهذا منهى عنه كالخضاب بالسواد فى العلة (الخامس) نتفها فى اول الشباب تشبيها بالمرد فهو من المنكرات الكبار ونتف بعضها بحكم العبث والهوس مكروه ومشوه للخلقة - وكان ... ينتف فكيه فرد عمر شهادته - وكذا رد ابن أبى ليلى قاضى المدينة - سيما واللحية زينة الرجال - يقال ان الله تعالى ملائكة يقسمون والذى زين بنى آدم باللحى وفيها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع فى المجالس والاحتشام عن التعرض لعرضه - قال اصحاب الاحنف وددنا ان نشترى للاحنف لحية بعشرين الفا - وقال شريح القاضى وددت ان لى لحية بعشرة آلاف درهم - وكان الاحنف وشريح من السادات الطلس وهو جمع ألا طلس وهو من لا شعر فى وجهه وهم اربعة والباقيان هما عبد الله بن الزبير وقيس بن سعد بن عبادة (السادس) تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع وهذا مكروه (السابع) الزيادة فى اللحية وهو أن يزيد فى شعر العارضين من الصدغ وهو شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى او ينتهى الى نصف الخط وذلك يباين هيئة اهل الصلاح (الثامن) تسريحها لاجل الناس - قال بشر فى اللحية شركان تسريحها لاجل الناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد (التاسع والعاشر) النظر الى سوادها وبياضها بعين التعجب وذلك مذموم فى جميع اجزاء البدن بل فى جميع الاخلاق والافعال وسيأتى تفصيل ذلك بعون الله تعالى -

الاصل الرابع فى علم اسرار الصلاة وفيها مطالب

المطلب الاول واعلم ان للصلاة مراتب واطوارا لا تنكشف تفاصيلها الا بمثال وهو أن الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن وهو الحياة والروح وباعضاء ظاهرة يتوقف عليها الحياة كالقلب والكبد والدماغ وباعضاء لا يتوقف

عليها الحياة ولايفوت بدونها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وباعضاء لايتوقف عليها الحياة ولايفوت بدونها مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وباعضاء لايتوقف عليها ما ذكر كلها ولكن يفوت بها كمال الحسن كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحيه والاهداب وتناسب خلقة الاعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض فى اللون فهذه درجات خمس يمكن اعتبارها فى العبادات ـ فروحها وحياتها الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص وسنيتها (والدرجة الثانية) كالركوع والسجود والقيام والقراءة والقعدة الاخيرة اذيفوت وجود الصلاة بفواتها (والدرجة الثالثة) كالسنن من التكبيرة ورفع اليدين والتشهد الاول وقراءة الفاتحة وغيرها مما لاتفوت الصلاة بفواتها لكن تكون خداجا ناقصا (والدرجة الرابعة) هي الآداب المعتبرة فى الصلاة (والدرجة الخامسة) هى لطائف تلك الآداب ـ واعلم ان الصلاة تحفة وقربة لك تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلطان اليه فاذا احسنت الوصيفة فى خلقتها وجمالها وآدابها الظاهرة واخلاقها الباطنة يتقبلها السلطان عند عرض حاجة صاحبها فيعوضه بما يليق بشأن السلطان من الكرامات السنية والعز والجاه وكذلك الصلاة اذاتقرب الى الله تعالى تامة فى معناها وصورتها وفرائضها وسننها يتقبلها الحق سبحانه وتعالى يوم العرض الاكبر فيجازيها بما لاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر والاترد عليك وتصيرهى خصما عليك وتقول ضيعتنى ضيعك الله فمنتهى نظر الفقيه من الصلاة نظر الطبيب فى الانسان فان الطبيب فى صدد حفظ صحته وابقاء حياته وان كان مشوه الخلقة مذموم الخلق كذلك الفقيه ينظر فى احوال الصلاة مقدار مالا تكون الصلاة صلاة اذا لم يراع شرائط الفقه ـ وانما الذى ينظر اليه اصحاب القلوب نظر من يهدى العبيد الى السلطان حيث ينظر الى درجات يكمل بها رتبة الانسانية صورة ومعنى ـ كذلك العارف ينظر الى الصلاة مقدار ما يكون مقبولا عند الملك الديان وسببا للفوز من الرضوان ـ ولما عرفت فى الكتب الفقهية مرتبة نظر الفقيه فلنبين .

هاهنا الاحوال المعتبرة فى الصلاة عندالعارف بالله تعالى وصفاته ـ

المطلب الثانى

الشروط الباطنة من اعمال القلب ـ منها علم الخشوع وحضور القلب ـ قال الله تعالى (اقم الصلوة لذكرى) والغفلة ضد الذكر ـ وقوله تعالى (حتى تعلموا ما تقولون) وسكر الغفلة يشاركه فى هذا المعنى ـ وقوله صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع ـ ويفهم منه الحصر ـ وقوله من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الابعدا ـ وصلاة الغافل لاتمنع منها ـ وقوله كم من قائم حظه من الصلاة التعب والنصب ـ وقوله ليس للعبد من صلاته الا ماعقل وايضا الشرع دل على ان المصلى مناج ربه ، ومن المعلوم ان الغفلة تنافى المناجاة اذا عرفت هذا فاعلم ان طريق دفع الغفلة هو أن الصلاة ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود (اما الذكر والقراءة) فالمقصود منهما الحمد والثناء والتضرع والدعاء ولابد أن تخاطب به الحق تعالى والا لم يكن ذكر وقراءة ـ وخطابه تعالى لا يمكن بالمشافهة فهو بالقلب ـ فالغفلة تنافى المقصود من الذكر والقراءة ـ وايضا الصلاة شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الايمان فيه ولا تقع لمجرد حركة اللسان فيما ذكر وذلك ظاهر فلابد من حضور القلب (واما الركوع والسجود) فالمقصود بهما التعظيم ولو جاز التعظيم بمجرد حركة البدن لم يبق فرق بين تعظيم الخلق والخالق ولم تكن الصلاة من الامور التى يمتحن بها المسلمون وتجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ومن عرف سر الصلاة علم ان الغفلة تضادها وان حضور القلب روح الصلاة فان اقل مايبقى به رمق الصلاة الحضور عند التكبيرة فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح فى اجزاء الصلاة ـ واما امر الفتوى فلما كان لعامة الناس بحيث لا يخص البعض دون البعض كما قال صلى الله عليه وسلم فى حق الفتوى حكمى على الجماعة حكمى على الواحد ، ولما عجز الكل عن حضور القلب فى جميع اجزاء الصلاة واشترطوا الحضور ولو فى لحظة ولما صار الاولى بذلك

التكبيرة

التكبيرة الافتتاح لان احكام الاساس احكام للبناء من غير عكس اشترطوا الحضور عندها - واما القيام والقعود فان القيام تنبيه على اقامة القلب على نعت من الحضور فالغفلة رد للقلب عن الاقامة فكما ان الالتفات بالجسد يورث الكراهة كذلك الالتفات بالقلب بل ذلك اشد كراهة بل لاتكون صلاة عند التحقيق وان لم يعده الفقهاء من المفسدات وذلك لبحثهم عن افعال البدن دون افعال القلب والا فلو سئلوا عن ذلك لأجابوا بما ذكرناه - اللهم الا من لايعرف من الفقه لاظاهره ورسمه - وكذا القعود فكما ينبغي ان يكون البدن على وجه الادب قعود الناس عند السلاطين كذلك يكون قلبك عنده على ان تشكر الله تعالى على توفيقه لهذا العمل الصالح واتمام هذه الطاعة وان يخاف منه تعالى انه فزغ من فعل هل وقع له محل فى حضرته ام رد وضرب به وجه صاحبه وان يتذكر فى قلبه انه مودع لصلاته وربما لايعيش لمثلها - اذا عرفت هذا فلنذكر سبب حضور القلب وثمراته واعلم ان حضور القلب هو خلو القلب عن غير من يناجيه وسببه الهمة فان القلب تابع للهم شاء صاحبه ام أبى ولا حيلة فى صرفه عن الدنيا وحصر همه فى الصلاة الاملاحظة ان الغرض الاصلى من الحياة الايمان بالمبدأ والمعاد ومعرفة ان الدنيا احقر من ان يتلهى بها وان الآخرة خير وابقى - وهذا الغرض لايحصل الابالصلاة فالملاحظة المذكورة وسيلة الى جعل الصلاة اكبرهم المصلى وهذا الهم يثمر حضور القلب (واما ثمرات حضور القلب) فمنها التفهم وهو اشتمال القلب على ملاحظة المعنى من اللفظ فكم من رجل يحضر قلبه مع اللفظ دون المعنى فكم من معنى لطيف يفهمه المصلى فى اثناء الصلاة ولم يكن يفهمه قبل ذلك وهذه هى الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر لامن يقرأ وهو غافل عن معنى ما قرأه وسببه بعد حضور القلب الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة بالنزوع عن اسباب تجذب الخواطر الى الشواغل الدنيوية ، فمن احب شيئا اكثر ذكره ولذلك من احب غير الله لا تصفوله صلاة عن الخواطر (ومنها التعظيم) وهذا أمر وراء ماذكرناه اذ كم من رجل حاضر القلب اذا خاطب عبده لايكون معظما

له فهو حالة للقلب يتولد من معرفتين احدها معرفة جلال الله تعالى وعظمته وثانيهما - معرفة حقارة النفس وكونها مسخرا لربها فيتولد منهما الاستكانة والانكسار والخشوع المعبر عنه بالتعظيم (ومنها الهيبة) وهي أمر زائد على التعظيم منشأها خوف يصدر عن الاجلال لامطلق الخوف فان من خاف من السبع لايجله ولايهابه وهذه تتولد من معرفة كونه تعالى غنيا عن العالمين بحيث لواهلك الاولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة مع نفوذ قدرته وغلبة سطوته - ومن طالع مايجرى على الانبياء والاولياء من المصائب والبلاء مع قدرته على عاقبتهم يعرف جلال الله تعالى وقهره فيحصل من هذه المعرفة الهيبة (ومنها علم الرجاء) وهذا زائد على الهيبة اذ كم من واحد يهاب ملكا ولايرجوه والعبد ينبغى له ان يرجو ثواب الله تعالى بصلاته كما انه يخاف بتقصيره عقاب الله فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه فى وعده الجنة للمصلى فمن اليقين بلطفه وصدق وعده يتولد الرجاء ويحمى ايمانه بين الخوف والرجاء الذى لامهرب عن التوسط بينهما (ومنها علم الحياء) فهو زائد على الكل اذ يمكن تصور التعظيم والخوف والرجاء لمن لا يتوهم التقصير والذنب وسببه استشعاره التقصير فى العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظم حق الله عزوجل سيما اذا عرف عيوب نفسه وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخيلتها وميلها الى الحظ العاجل مع العلم بعظيم جلال الله وبأنه مطلع على السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت - وهذه المعارف اذاحصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء واذا عرفت ان هذه الثمرات اصلها حضور القلب وان سببه دفع الخواطر وكان ذلك من صعاب الامور للسالكين فلا علينا ان نذكرههنا بعضا من علاج دفع الخواطر -

واعلم ان الخواطر إما حسى اوخيالى فالاول ما يشغله من طرق الحواس الظاهرة واكثرها منعا السمع والبصر - اما السمع فكأن يشغل المصلى اصوات الطيور اذا صلى فى حائط اوسمع من ينشد شعرا اويقص شيئا - واما البصر فكأن يشغله

ما له

ما له وقع فى قلبه وهو بمر أى فى صلاته اويشغله شىء له بريق ولمعان او علم كما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخميصة التى اتاه بها أبو جهم وعليها علم وقال اذهبوا بها الى أبى جهم فانها الهتنى آنفا عن صلاتى وأتونى بانبجانية أبى جهم - ونظائر هذه الاسباب ان يغض بصره الاعن موضع سجدته اولا يترك فى البيت ما يشغله اويصلى فى بيت مظلم وكان بعض العلماء يقرب من حائط عند صلاته حتى لا يتسع مسافة بصره ولهذا يحترز من الصلاة على الشوارع وفى المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة والاولى للمبتدئ اختيار البيت المظلم لحفظ بصره او الصغير لجمع همه واما الاقوياء فيحضرون المساجد ويقدرون على غض البصر حتى لا يعرفون من على يمينهم وشمالهم - واما الاسباب الخيالية فاصعبها علاجا واشدها على القلب فان من تشعبت به الهموم فى اودية الدنيا لم ينحصر فكره فى فن واحد بل لا يزال يطير من امر الى آخر وغض البصر لا يغنيه فعلاجه صرف النفس الى فهم مايقرأه فى الصلاة ويشغلها به عن غيره ويستعين على ذلك بان يذكر قبل التحريمة امر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدى الله عزوجل وهول المطلع وان يتذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم صلوا صلاة مودع بان يفرض فى نفسه انه آخر صلاة يصليها ولعله آخر عمل يختم به على اعماله - ودفع الخواطر من أصعب الامور وشبهوها بالذباب لانه كلما ذب آب ولهذا سمى ذبابا كذلك الخواطر كلما اردت دفعها تهجم عليك من كل جانب يعرفها من يزاول علاجها الا ان اصل ذلك كله حب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد - ومن انطوى باطنه على حب الدنيا فلا يطمعن فى ان تصفو له لذة المناجاة فى الصلاة ومن فرح بالدنيا فلا يفرح بالله عزوجل وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه وهذا هو الدار(١) المر - ولهذا لستبشعه الطباع وبقيت العلة مزمنة والداء عضالا حتى يئس بعض من القاصرين عن دفعها حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلى ركعتين لايحدثون انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا واذا كان حالهم كذلك فلا مطمع فيه

---

(١) كذا ولعله - الدواء -

لأ مثالنا وليته سلم من الصلاة شطرها او ثلثها ليكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ولكن علو الهمة من الايمان فعليك ان لا تترك المجاهدة وتدخل نفسك في زمرة الرجال - وللحروب رجال وللثريد رجال -

المطلب الثالث

في بيان كيفية احضار القلب عند كل ركن وكل شرط شرط

اما الشرائط (فمنها الاذان) فاذا سمعت النداء فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين اليه هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر - فاذا وجدت في قلبك عند النداء الفرح والاستبشار فلك البشرى بالنور يوم الفصل (ومنها الطهارة) فانك اذا أمرت بتطهير ظرفك الابعد وهو المكان وظرفك الاقرب وهو الثياب وقشرك وهو بدنك فما ظنك بلبك وهو موضع نظر معبودك فبادر بالتطهير بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل فهذا تطهير باطنك (ومنها ستر العورة) فاذا وجب ستر مقابح بدنك عن الخلق فكيف ستر مقابح قلبك عن الخالق وهو موضع نظره فاذا لم يستر ذلك عن الله تعالى ساتر فعليك بمحوها عن قلبك بالندم والحياء والخوف فتذل به نفسك وتستكن تحت الخجلة فتقوم بين يديه قيام العبد المسيء الآبق عند مولاه (ومنها الاستقبال) فهو في الظاهر صرف وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله فاذا كان هذا مطلوبا منك فترى ان صرف القلب من سائر الامور الى امر الله عز وجل ليس مأمورا؟ هيهات هيهات فلا مطلوب منك الا مطابقة وجه قلبك وجه قالبك فكما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بصرفه عن سائر الجهات كذلك لا ينصرف القلب الى الله عز وجل الا بالتفريغ عما سواه (ومنها الاعتدال) وهو مثول بين يدى الله عز وجل بالقلب والبدن فليكن رأسك مطرقا مطأطئا مستكينا اذاكرا خطر القيام بين يدى الله عز وجل في هول المطلع عند العرض والسؤال فاعلم انك قائم بين يديه في الحال وان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله فقدر ان رجلا صالحا من اهلك او ممن ترغب في ان يعرفك بالصلاح

فعند ذلك كيف تخشع جوارحك خيفة ان ينسبك ذلك العبد العاجز الى قلة الخشوع فاذا انصفت نفسك بهذا واعترفت فقل لها انك تدعى معرفة الله وحبه فلاتستحيي منه ان تخشى عبدا من عباده والله احق ان تخشاه (ومنها النية) فاعزم على اجابة الله عز وجل فى امتثال امره رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقرب منه متقلدا للمنة باذنه لك فى المناجاة مع انك فى اين من جنابه وعظم فى نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجى وكيف تناجى وبماذا تناجى بحيث يليق ان يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الوجل ويصفو وجهك من خوف الزلل -(ومنها التكبير) فاذا انطق به لسانك فينبغى ان لا يكذبه قلبك كما اذا كنت اطوع لهواك منك لله عز وجل فيوشك ان يكون التكبير كلاما مجردا وما اعظم هذا الخطر لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكبرياء الله عز وجل وعفوه -(ومنها دعاء الاستفتاح) فاذا قلت (إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض) فان اردت وجهك الظاهر فقد اثبت لله جهة وان اردت وجه قلبك وانت عن الله ساه وغافل يكون كذبا فأى شيء تطمع فى صلاة اولها كذب واختلاق واياك واياك عن ذلك فاجتهد فى ان تصرف وجه القلب فيما سواه اليه وان كان فى حال ذلك كلام -(ومنها القراءة) فالناس فيها اما رجل يتحرك لسانه وقلبه عن لسانه ذاهل واما رجل يتبع لسانه قلبه ويكون لسانه ترجمان قلبه فيفهم منه كأنه يسمعه من غيره وهذه درجة أصحاب اليمين واما رجل سبق قلبه الى المعانى ويخدم لسانه قلبه ويكون لسانه ترجمان قلبه وفرق بين ان يكون لسانه ترجمان قلبه وبين ان يكون معلم قلبه وهذه درجة المقربين -(ومنها الركوع والسجود) فينبغى ان تجتهد عند ذلك فى ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتقصد تواضعا بهما سيما عند السجود فانه على درجة الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لاتجعل حائلا بينه وبين الارض فافعل فانه ادل على الذل واجلب للخضوع فعند ذلك يظهر لك خلقت من التراب ورددت الى اصله فاكره بالتكرار فان المرة الواحدة ضعيفة الاثر فعند ذلك فليصدق رجاؤك فى رحمة ربك فانها تتسارع

الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر - (ومنها التشهد) فاجلس فيه متأدبا وتأمل معنى التشهد بتمامها واجعل مفهوم ذلك حالالك كأنك تتحقق به - ثم ادع بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة واقصد عند التسليم السلام على الملائكة الحاضرين وعلى من فى يمينك اويسارك من جماعة المؤمنين فاذا اتممت الصلاة فاشكر الله تعالى على التوفيق بمثل هذه النعمة الجزيلة واخطر ببالك انك مودع لصلوتك هذه - وربما لاتعيش لمثلها - قال النبي صلى الله عليه وسلم صل صلوة مودع - ثم كن بين خصلتين خصلة الوجل والحياء من التقصير فى الصلاة وان تكون ممقوتا بذنب ظاهر وباطن فترد صلاتك فى وجهك وخصلة الرجاء فى أن يقبلها بفضله وكرمه - واما صلاة الغافلين فانها على خطر الا ان يتغمد الله برحمته فالرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله تعالى ان يغمرنا برحمته ويتغمدنا بمغفرته اذ لاوسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته ثم اذا امكن له الصلاة على ماوصفناه يكون سببا لحصول انوار فى القلب ينفتح بها علوم المكاشفة فالمكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفونها فى الصلاة لاسيما فى السجود واذ لاقرب من الرب اكثر منه - قال عزوجل (واسجد واقترب) وتختلف تلك المكاشفة بالقوة والضعف والقلة والكثرة والجلاء والخفاء على قصد صفاء المصلى عن الكدورات البشرية حتى ينكشف لبعضهم اعيان الاشياء ولبعضهم مثالها كصورة الجيفة للدنيا وصورة الكلب الجاثم عليها - وايضا تختلف باعتبار صرف الهمة فمن واحد ينكشف له من صفات الله وجلاله ومن آخر من افعاله ومن آخر من دقائق علوم المعاملة ويكون ليقين تلك المعانى فى كل وقت اسباب خفية لاتحصى فلما كانت المكاشفة بقدر صقالة القلب ولم يتحقق ذلك فى الاكثر حرموا عنها ومع ذلك لم يكتفوا بنقيصة الحرمان بل وقعوا فى حب الانكار لما ان الطباع مجبولة على انكار غير الحاضر لكن اياك اياك ان تنكر امثال ذلك فان منح الله تعالى خارجة عن اطوار الطباع والعقول والله تعالى هو المسؤول لنيل المأمول -

المطلب الرابع

فى علم وظائف الامامة

(اولها) ان لا يتقدم على قوم يكرهونه وان اختلفوا فالامر الى الاكثر الا ان يكون الاقل اهل الخير، وايضا التقدم على من هو افقه واقرأ منه الا اذا امتنع هو فاذا حصل له شرائط الامامة يكره له المدافعة وقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة بعد الاقامة فخسف بهم. وما روى عن مدافعة الصحابة لايثار من هو اولى منه اوخوفهم على انفسهم الشهرة وخطر أن الائمة ضمناء وربما يشتغل قلب من لم يتعود ذلك حياء من المتقدمين سيما فى الجهر بالقراءة فيفوته الاخلاص والخضوع (وثانيها) اختيار الامامة على الاذان اذا خير بينهما وقيل بل يختار الاذان ولكن الجمع مكروه والاختلاف بالنظر الى تعارض الاخبار فى فضائل كل منهما (وثالثها) ان يراعى الامام الاوقات فيصلى فى اوائلها ففضل اوائلها على اواخرها كفضل الآخرة على الدنيا حتى رجحوها على الانتظار لكثرة الجماعة حتى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخر عن صلاة الفجر فى سفر لأجل الطهارة فقدم الصحابة عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه حتى فاتته ركعة فقام يقضيها حتى قال احسنتم هكذا فافعلوا وقد تأخر فى صلاة الظهر فقدموا ابابكر رضى الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فى الصلاة فقام الى جانبه، ولا ينتظر الامام المؤذن ولا غيره وانما ينتظر المؤذن الامام (ورابعها) ان يؤم مخلصا ومؤديا امانة الله تعالى فى جميع شرائطه واركانه ومن الاخلاص ان لا يأخذ عليها اجرا وكذا المؤذن لكن هذا ان اخذ الاجر من المقتدين وان اخذ رزقا من المسجد قد وقف على من يقوم فى هذا الموضع اماه من السلطان او من غيره فلا يحكم بحرمته ولكنه يكره ولكن يكون الاجر فى مقابلة مداومته على حضور الموضع ومراقبته مصالح المسجد فى اقامة الجماعة لا على نفس الصلاة والفتوى اليوم على الجواز والكراهة عند المتورعين والعاملين بالعزيمة (وخامستها) الطهارة باطنا عن الفسوق والكبائر والاصرار على الصغائر والقوم كالوفد وهو شفيعهم فهو اولى بهذه فان تذكر حدثا فى اثناء صلاته

فلا ينبغي ان يستحيي بل يستخلف من يقرب منه فقد تذكر رسول الله صلى الله علية وسلم الجنابة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة (وسادستها) ان لا يكبر حتى يسوى الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان رأى خللا امر بالتسوية — وكان السلف يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان ليتفرغ الناس ويستعدوا ، وفي الخبر ليتمهل المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر مايفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره لانه نهى عن مدافعة الاخبثين وامر بتقديم العشاء على العشاء (وسابعتها) ان يخفف الركوع والسجود ولايزيد في التسبيحات على ثلاث هذا اذا كثر الجمع واما اذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا بأس بالتسعة ، ولا يزيد في دعاء التشهد على المأثور ولا يخص في الدعاء نفسه بل يأتي بصيغة الجمع وينوى بالتسليمتين القوم والملائكة وان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن واذا وثب يقبل بوجهه على الناس ولايقوم المأموم قبل انفتال الامام — واما باقي الاداب والشرائط فمذكورة في كتب الفقه فليطلب منها فانا لم نلتزم الا ذكر ما اهمله الفقهاء —

المطلب الخامس

في فضل الجمعة وآدابها وسننها

والأحاديث والآثار في فضلها كثيرة مشهورة ومال الكل الى ان هذا اليوم عظم الله تعالى وسبحانه به الاسلام وخصص به المسلمين حتى حرم الاشتغال بعد النداء بكل صارف عن السعي الى الجمعة — وفي الحديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه — وفي لفظ آخر فقد نبذ الاسلام على ظهره — ثم انها تشارك سائر الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط (احدها) الوقت حتى لو وقعت التسليمة خارج وقت الظهر فاتت الجمعة فعليه ان يتمها ظهرا وفي المسبوق خلاف (وثانيها) المكان فلايصح الا في المصر وقد عرفته في علم الفقه ويشترط اذن السلطان (وثالثها) يشترط الجماعة الا في سائر الصلوات وعند بعضهم اربعون ذكورا مكلفين احرارا مقيمين فان نقص واحد ولو في الخطبة

والصلاة

و الصلاة تبطل (ورابعها) اتحاد الجماعة فلو صلى اربعون متفرقين ماتصح (وخامسها) ان لاتصح جمعتان فان فعلوا فالصحيح هو الا قدم تحريمة الا ان تقع ضرورة - (وسادسها) الخطبتان وقيل تصح بقوله الحمد لله وقيل لابد من خطبتين طويلتين يجلس بينهما وقيل هما فريضتان والقيام فيهما فريضة وكذا الجلسة بينهما - وفى الخطبة الاولى اربع فرائض التحميد واوله الحمدلله، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والوصية بتقوى الله سبحانه، وقراءة آية من القرآن، وكذا فرائض الثانية الا انه يجب الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبة واجب على الاربعين - واما السنن فان زالت الشمس واذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لاينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم بوجهه يردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام الامام مقبلا بوجهه على الناس لايلتفت ويشغل يديه بقائمة السيف او العنزة كى لايعبث بها ويضع احداهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولايستعمل غريب اللغة ولايتمطط ولايتغنى وتكون قصيرة بليغة جامعة - وتستحب قراءة الآية فى الثانية ايضا ولايسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب احسن ولايشمت العاطس ايضا - هذه شروط الصحة - واما شروط الوجوب فقد علم فى الفقه - واما آدابها فهى عشرة (الاول) ان يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر لأنها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة فى يوم الجمعة ويغسل ثيابه ويختار البيض ويعد الطيب ويفرغ قلبه من الاشغال المانعة من البكور الى الجمعة وينوى فى هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا لامفردا فانه مكروه بل مع ضم الخميس والسبت وليشتغل باحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة وقيل ويجامع اهله فى هذه الليلة واستحبوا اخذا من حديث من بكر وابتكر وغسل واغتسل وقالوا معناه حمل اهله على الغسل - ويروى بالتخفيف اى غسل ثيابه وبهذه الآداب يدخل فى زمرة القانتين ويخرج

من زمرة الغافلين كما قال بعض السلف أوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الامس وأخسهم نصيبا من اصبح فيقول ايش اليوم — وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة فى المسجد الجامع لأجلها (والثانى) اذا اصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر فان كان لاينكر فاقربه الى الرواح احب ليكون اقرب عهدا بالنظافة وهذا الغسل مستحب استحبابا مؤكدا وعند البعض سنة وعند آخرين واجب ومن اغتسل ثم احدث لم يبطل غسله والاحب ان يحترز (الثالث) للزينة وهى مستحبة فى هذا اليوم وهى بالكسوة والنظافة والطيب اما الكسوة فاحبها البيض من الثياب ولايلبس ما فيه شهرة ولا السواد وليس فى لبس السواد فضيلة فضلا عن كونها سنة بل قيل انها بدعة محدثة والعمامة مستحبة فى هذا اليوم سيما من وقت السعى الى الجمعة الى تمام الصلاة — واما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وما يشابه هذه ، قال ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه داء وادخل فيه شفاء — فان كان قد دخل الحمام فى الخميس اوالاربعاء فقد حصل المقصود وليتطيب فى هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب به الروائح المكريهة ويوصل بها الروح والرائحة الى مشام الحاضرين فى جواره واحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه، روى ذلك فى الاثر قال الشافعى من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله (الرابع) البكور الى الجامع وفضله عظيم ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين وثلاثة ويكون سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف فيه قاصدا للمبادرة الى جواب نداء الله والمسارعة الى مغفرته ورضوانه والفضل لمن راح الى الجمعة فى الساعة الاولى ثم الثانية الى ان يخرج الامام وحينئذ طويت الصحف ورفعت الاقلام والاخبار فى هذا الباب كثيرة (الخامس) فى هيئة الدخول ينبغى ان لايتخطى الرقاب ولايمر بين ايديهم والبكور يسهل عليه ذلك اللهم الا ان يجلسوا عند باب الجامع وفى قدام الجامع موضع خال فانه لاحرمة لهم كذا روى عن الحسن وعنه ايضا اذا لم يكن فى المسجد الا من يصلى فينبغى ان لايسلم لأنه تكليف

جواب

جواب فى غير محله (السادس) ان لايمر بين يدى الناس وليجلس هو الى قرب من اسطوانة او حائط حتى لايمر بين يديه فان ذلك لايقطع الصلاة ولكنه منهى عنه وان لم يجد حائطا او اسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر الذراع ليكون ذلك علامة لحده - (السابع) ان يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه فى الخبر من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان له كفارة ما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة ايام - وفى لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى الا ان فى طلب الصف الاول شرائط ثلاثة احدها ان لايرى هناك من الامام وتوابعه منكرا يعجز عن تغييره والا فالتأخر له اسلم واجمع للهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة منهم بشر بن الحارث وقيل له فى التأخر قال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد - وثانيها ان لا يكون عند المنبر مقصورة منقطع من المسجد للسلاطين واما المقصورة فقد كرهه بعضهم الصلاة فيها الا ان الاقرب ان الكراهة لأجل التخصيص والمنع والا فلا كراهة - وثالثها ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل الذى فى فناء المنبر لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع ويكره الصلاة فى الاسواق والرحاب الخارجة من المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب - (الثامن) ان يقطع الصلاة والكلام عند خروج الامام بأن يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة - وان كان بعيدا قيل يجوز أن يتكلم فى العلم وغيره لكن الاولى السكوت اذ الصلاة اذا حرمت فى ذلك الوقت فحرمة الكلام فيه اولى - (التاسع) ان يراعى فى قدوة الجمعة ما ذكرناه فى غيره فاذا فرغ من صلاة الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد والمعوذتين سبعا سبعا فقد روى عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان - ويستحب ان يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء اغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب -

ثم يصلى بعد الجمعة ست ركعات وفى رواية اربعا وفى رواية ركعتين والكل صحيح فى احوال مختلفة والاكل الافضل ـ

(العاشر) ان يلازم المسجد حتى يصلى العصر فان وقف الى المغرب فهو افضل وكان للاول ثواب الحج وللثانى ثواب العمرة فان لم يأمن من التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او يخاف الخوض فيما لا يعنى فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا الله عزوجل مفكرا فى آلائه شاكرا على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغى ان يتكلم فى الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا فانه منهى عنه ـ

بيان آداب نهار الجمعة وهى سبعة

(الاول) حضور مجالس العلم بكرة اوبعد الصلاة وبعد العصر ولا يخلو المريد فى جميع يوم الجمعة عن الخيرات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو فى خير وان وجد عالما يذكر بايام الله عزوجل ويفقه فى دين الله يجلس اليه واستماع العلم النافع فى الآخرة افضل من النافلة ـ فقد روى أبو ذر أن حضور مجلس العلم افضل من الف ركعة وكذا يزجر القصاص ويخرجهم من المسجد لانه لاخير فيهم وانه بدعة وقد كثر نكير الصحابة فى حق القصاص (الثانى) ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ـ وفى الخبر المشهور إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عزوجل فيها شيئا الا اعطاه ـ وفى خبر آخر لا يصادفها عبد يصلى ـ واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر وأخذ فى الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل آخر وقت العصر وقيل قبل غروب الشمس ويروى هذا عن فاطمة رضى الله عنها ترويها عن ابيها صلى الله عليه وسلم ـ وقال بعض العلماء هى مبهمة فى جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعى على مراقبتها وقيل انها تتنقل فى ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر ـ قال الغزالى وهذا هو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ـ واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم ان لربكم فى ايام دهركم نفحات

ألا فتعرضوالها - فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا له با حضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات

(الثالث) يستحب ان يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم ويقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي - ولو اتى بالمشهور في التشهد لكان مصليا ايضا وينبغي ان يضيف اليها الاستغفار فان ذلك مستحب ايضا في ذلك اليوم -

(الرابع) ان يكثر من قراءة القرآن خاصة سورة الكهف ؛ عن ابن عباس وأبي هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطى نورا من حيث يقرأها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال - ويستحب ان يختم القرآن في يوم الجمعة ان قدر وليكن ختمه القرآن في ركعتي الفجر (اذا) قرأ بالليل وفي ركعتي المغرب وبين الاذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العباد يستحبون ان يقرؤا يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة يقال ان من قرأها في عشر ركعات او عشرين فهو افضل من ختمة وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر الف مرة وان قرأ المسبحات الست في يوم الجمعه اوليلتها فحسن - وليس يروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سورا باعيانها الا في يوم الجمعة ولياليها وكان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ، وفي العشاء الآخرة سورة الجمعة وسورة المنافقين وكان يقرأهما في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في صبح الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل اتى على الانسان -

(الخامس الصلاة) يستحب ان يصلي اذا دخل المسجد قبل ان يجلس اربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله احد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة اويرى له ولا يدع

ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف. ويصليها بعد تصلية(١) الامام الى جانبيه اذ حينئذ يشرع فى مدح السلاطين ولايجب استماعه - ويستحب فى هذا اليوم ان يصلى اربع ركعات باربع سور سورة الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولايدع قراءة هذه الاربع سور من ليلة الجمعة ففيه فضل كثير ومن لايحسن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة ختمة ويكثر من سورة الاخلاص - ويستحب ان يصلى فى هذا اليوم صلاة التسبيح وستعرفها وكان ابن عباس يصليها بعد الزوال والاحسن فى يوم الجمعة ان يشتغل بالصلاة الى الزوال وبعد الجمعة باستماع العلم الى العصر ثم بالتسبيح والاستغفار الى المغرب -

(السادس) الصدقة وهى تضاعف فى هذا اليوم الا ان يتصدق على من سأل والامام يخطب لانه مكروه - وكره بعض العلماء التصدق على السائل اذا تخطى رقاب الناس الا ان يسأل قائما او قاعدا فى مكان - قال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما ثم يقول اللهم انى اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذى لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله شيئا الا اعطاه - قال بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم اسألك ان تغفر لى وترحمنى وان تعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له -

(السابع) ان يجعل هذا اليوم للآخرة فيكف فيه عن جميع اشغال الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يبتدئ فيه السفر - فقد روى ان من سافر فى ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه - والسفر فيه بعد طلوع الفجر حرام الا اذا كانت الرفقة تفوت - وكره بعض السلف شراء الماء فى المسجد من السقاء لشربه اوليسبله حتى لا يكون مبتاعا فى المسجد فان لم يكن منه بد قالوا يعطى الثمن خارج المسجد وبالجملة يزيد فى هذا اليوم فى اوراده وانواع خيراته فان الله سبحانه اذا احب عبدا استعمله

(١) كذا -

فى الاوقات الفاضلة (١) بسئ الاعمال ليكون اوجع فى عقابه واشد لمقته وحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت - ويستحب فى يوم الجمعة دعوات مخصوصة وردت بها الآثار وستعرف فى باب الدعوات ان شاء الله تعالى -

المطلب السادس

فى علم النوافل من الصلوات

فاعلم ان ماعدا الفرائض من الصلوات اما سنن او مستحبات او تطوع والاول ما نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم وواظب عليه والثانى ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه والثالث مالم يرد فى عينه اثر ولكنه تطوع به العبد فى مناجاة ربه مع ورود الشرع بفضل الصلاة مطلقا وتسمى هذه الثلاثة نافلة مقابلة للفرض وقد يعرض لبعض السنن فضيلة الآخر (٢) فان سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد وافضل سنن الجماعة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء - وافضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم الرواتب الاخر - واعلم ان النوافل اربعة اقسام ما يتعلق باسباب وما يتعلق باوقات - وهذا اما ان يتكرر فى اليوم والليلة او فى الاسبوع او فى السنة وهذه اربعة اقسام -

(القسم الاول) ثمانية خمسة منها رواتب الصلوات الخمس وثلاثة وراءها وهو صلاة الضحى وما بين العشائين والتهجد - اما رواتب الصلوات الخمس فقد عرفت فى علم الفقه واما صلاة الضحى فاكثر مانقل فيها ثمانى ركعات هذا رواية ام هانئ وفى رواية عائشة اربعا ويزيد ماشاء الله لم تحد الزيادة وروى ست ركعات وقيل اقلها ركعتان واعلاها اثنتى عشرة ركعة - هكذا ذكر النسهروردى فى العوارف ووقتها اذا اشرقت الشمس وارتفعت وكانت فى ربع السماء من جانب الشرق وهذا نظير وقت العصر فى الربع الغربى - واما صلاة ما بين العشائين فهى سنة مؤكدة ولها فضل عظيم ويقال لها صلاة الاوابين وعددها ست ركعات - واما صلاة التهجد ووقتها الثلث الاخير من الليل الى طلوع الفجر وينبغى انه لا ينام بينها وبين طلوع الفجر وتقليل هذه الصلاة بلا نوم بعدها افضل من

---

(١) ههنا سقط - ح - (٢) كذا -

تطويلها مع النوم عقيبها - واختلف فى عدد ركعاتها واقلها ركعتان الى اثنتى عشرة ركعة واما فضائلها فخارجة عن حد الاحصاء -

(القسم الثانى هى صلاة ايام الاسبوع ولياليه-١)(يوم الاحد) يصلى فيه اربع ركعات وفى رواية خص وقتها بما بعد الظهر يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة آمن الرسول مرة وفى رواية يقرأ فى الاولى تنزيل السجدة وفى الثانية تبارك ثم تشهد وسلم ثم يصلى الاخريين ويقرأ فى كل منهما سورة الجمعة وكل هذه السور بعد الفاتحة واما فضائلها اعطاه الله ثواب نبى وحجة وعمرة وبكل حرف مدينة فى الجنة من مسك اذفر وكتب له بكل ركعة الف صلاة واعطى له بعدد كل نصرانى ونصرانية حسنات وكان حقا على الله ان يقضى حاجته -

(يوم الاثنين) يصلى ركعتين عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل منهما بعد الفاتحة آية الكرسى والاخلاص والمعوذتين مرة مرة وبعد السلام يستغفر الله عشر مرات ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله له كل ذنوبه ، رواه جابر - وفى رواية انس اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة آية الكرسى مرة فاذا فرغ قرأ الاخلاص اثنتى عشرة مرة واستغفر الله اثنتى عشرة مرة - وفضائلها دخول الجنة مع كرامات من الحلل والتيجان وتشييع الملائكة له مع كل منهم هدية له -

(يوم الثلاثاء) يصلى فيه عند انتصاف النهار عشر ركعات وفى رواية عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة آية الكرسى مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات رواه انس - واما فضائلها لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما وان مات فى هذه المدة مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة -

(يوم الاربعاء) اثنتى عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة

(١) عامة الصلوات المذكورة فى هذا القسم توجد فى كتب الفضائل كالاحياء وغيره وقد حكم عليها ائمة الحديث بان احاديثها كذب او واهية فلا يغتر بها انظر اللآلىء المصنوعة - ج - ١ ص ٢٥ وما بعدها -

آية

آية الكرسي مرة والاخلاص ثلاثا والمعوذتين ثلاثا، رواه معاذ وفضائلها دفع الله عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته وشدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي ونادى به ملك عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ـ

(يوم الخميس) ركعتين بين الظهر والعصر يقرأ في الاولى بعد الفاتحة آية الكرسي مائة مرة، وفي الثانية بعد الفاتحة قل هو الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة رواه ابن عباس وفضائلها اعطاه الله ثواب صوم رجب وشعبان ورمضان وثواب الحج وكتب له بعدد كل من آمن بالله وتوكل عليه حسنة

(يوم الجمعة) اذا ارتفعت الشمس قدر رمح او اكثر يصلي بعد اسباغ الوضوء سبحة الضحى ركعتين من صلاها ايمانا واحتسابا كتب الله تعالى له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ـ ومن صلى اربع ركعات رفع الله عزوجل له في الجنة اربعمائة درجة ومن صلى ثماني ركعات رفع الله له في الجنة ثماني مائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله سبحانه له الفا ومائتي حسنة ومحا عنه الفا ومائتي سيئة ورفع له في الجنة الفا ومائتي درجة، رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا ـ وفي رواية ابن عمر مرفوعا من صلى يوم الجمعة قبل صلاة الجمعة قرأ في كل ركعة الحمد لله ـ قل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ـ

(يوم السبت) يصلي اربع ركعات يقرأ في كل منها فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلاث مرات وبعد الفراغ آية الكرسي، رواه ابو هريرة مرفوعا وفضائلها كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله تعالى مع النبيين والشهداء ـ

اما الليالي فليلة الاحد يصلي عشرين ركعة في كل ركعة الفاتحة مرة والاخلاص خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة ثم استغفر الله مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه

مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ الى الله ثم قال اشهدأن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان آدم صفوة الله وفطرته ـ وابراهيم خليل الله ـ وموسى كليم الله ـ وعيسى روح الله ـ ومحمد حبيب الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا وبعثه الله يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين رواه انس ـ

ليلة الاثنين يصلي اربع ركعات يقرأ في الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفي الثانية الحمدلله وقل هو الله احد عشرين مرة وفي الثالثة ثلاثين وفي الرابعة اربعين كلاهما بعد الحمد لله ثم سلم وقرأ قل هو الله خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله حاجته كان حقا على الله عزوجل ان يعطيه سؤ الله فيما سأل وتسمى هذه صلاة الحاجة رواه انس ـ

ليلة الثلاثاء يصلي ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم آية الكرسي خمس عشرة مرة ويستغفر الله سبحانه خمس عشرة مرة ـ

ليلة الاربعاء يصلي ركعتين يقرأ في الاولى بعد الفاتحة قل اعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الثانية بعد الفاتحة قل اعوذ برب الناس عشر مرات ـ ومن صلاها نزل له من كل سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة ـ وفي رواية فاطمة رضى الله تعالى عنها ست ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك الى آخر الآية وبعد صلاته يقول سبعين مرة جزى الله محمدا عنا ماهو أهله غفر الله له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار، وفي رواية عثمان ابن مظعون عشر ركعات وقرأ في كل منها الحمدلله وآمن الرسول الى آخر السورة مرة والاخلاص ثلاث مرات من صلاها فكأنما خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وان كانت مثل زبد البحر وورق الشجر وعدد النجوم والامواج|وزبد البحار والخلق

والخلق والخلائق وغفر الله له ذنوب السر والعلانية وادخله الجنة فى اول زمرة من زمرة المتقين والفائزين والمقربين دون حساب وعذاب ولاعرض وسؤال وباهى الله به الملائكة وسماه العتيق من النار - فقال عثمان بن مظعون يارسول الله ان هذا ثواب عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان والذى بعثنى بالحق ان الله ليعطى لمن صلى هذه الصلاة اجر من صدق اثنى عشر نبيا واجر من جاهد فى الله حق جهاده الف سنة وبنى الله له فى الجنة دار السلام الف قصر مع ماله عند الله من المزيد -

ليلة الخميس يصلى ركعتين مابين المغرب والعشاء يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسى خمس مرات وقل هو الله احد والمعوذتين خمس مرات فاذا خرج من صلاته استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى حقهما وان كان عاقالهما واعطاه الله تعالى خير ما يعطى الصديقين والشهداء رواه ابو هريرة -

ليلة الجمعة يصلى بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد احدى عشرة مرة فكأنما عبد الله اثنتى عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها رواه جابر - وفى رواية لنس يصلى صلاة العشاء الآخرة فى جماعة ويصلى ركعتى السنة ثم يصلى بعدها عشر ركعات قرأ فى كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة - فمن فعل هذه فكأنما احيا ليلة القدر - وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة على فى الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة -

ليلة السبت يصلى بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة من صلاها بنى له قصر فى الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله تعالى يغفر له - رواه انس -

القسم الثالث ماتكرر بتكرر السنين وهى اربعة الاول صلاة العيدين وهى سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين وينبغى ان يراعى فيها سبعة امور -

الاول التكبير - والثانى يغتسل و يتزين و يتطيب يوم العيد ، والثالث يخرج من طريق و يرجع من آخر - الرابع الخروج الى الصحراء الا فى المطر فى الآفاق والا بمكة وببيت المقدس ويجوز للضعفاء ان يتخلفوا بالمساجد وان كان يوم صحو - الخامس رعاية الوقت و يستحب تعجيل صلاة الاضحى للذبح وتأخير الفطر للصدقة - السادس يقرأ فى الركعة الاولى سورة ق بعد الفاتحة وفى الثانية اقتربت بعد الفاتحة ايضا - السابع ان يضحى بكبش و من اردأن يضحى فلا يقلم اظفاره فى عشر ذى الحجة - قال سفيان الثورى يستحب ان يصلى بعد عيد الفطر اثنتى عشرة ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة -

الثانى التراويح عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهى سنة مؤكدة وان كانت دون العيدين والسنة ان يصليها مع الجماعة وتفصيل هذه فى كتب الفقه -

الثالث صلاة رجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مامن احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلى فيما بين العشاء والعتمة اثنتى عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلاث مرات والاخلاص اثنتى عشرة مرة فاذا فرغ صلى على محمد سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبى الامى وعلى آله ثم يسجد ويقول فى سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك انت العلى الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ماقال فى السجدة الاولى ثم يسأل حاجته فانها تقضى - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايصلى احد هذه الصلاة الاغفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل وورق الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيامة فى سبعمائة من اهل بيته ممن قد استوجب النار - هذه الصلاة مستحبة وطعن فيها بعض المتأخرين وادعوا أن الحديث الوارد فيها موضوع وقيل خبر آحاد الا انه لمواظبة اهل القدس بل سائر المسلمين فى الامصار لايسمحون بتركها - ولهذا احببت ايرادها(١) -

---

(١) انظر كتاب الباعث على انكار البدع والحوادث لابى شامة - ح -

الرابع صلاة شعبان فى الليلة الخامسة عشر منه يصلى مائة ركعة بخمسين تسليمة يقرأ فى كل ركعة بعد فاتحة الكتاب قل هو الله احد عشر مرات وان شاء صلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد مائة مرة - كان السلف يصلونها ويسمونها صلاة الخير وربما صلاها جماعة - روى عن الحسن رضى الله عنه انه قال حدثنى ثلاثون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة (١) -

القسم الرابع

مايتعلق بأسباب عارضة وهى تسعة

الاولى صلاة الخسوف وهذه مذكورة فى كتب الفروع

الثانية - صلاة الاستسقاء وهى مثل صلاة العيد بلا فرق الا انه يخرج فيها بثياب بذلة واستكانة متواضعين بعد ما صاموا ثلاثة ايام وتقديم صدقة وتوبة عن المعاصى والخروج من المظالم ثم يخرج اليوم الرابع بالصبيان والعجائز وعند البعض يخرج الدواب لمشاركتهم فى الحاجة - وفى الحديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا - وعند البعض لايمنع اهل الذمة اذا خرجوا متميزين والمختار عندنا منعهم -

والثالثة - صلاة الجنازة وتفصيلها وتفصيل صلاة الاستسقاء مذكور فى كتب الفقه -

الرابعة - تحية المسجد وهى ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى انهم جوزوها فى الاوقات المكروهة وعند الخطبة ولو اشتغل بفرض او قضاء تأدت به التحية وحصل الفضل والمقصود عدم خلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره الدخول بلا وضوء فان دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات يقال انها

(١) انظر اللآلى المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة ج ٢ ص ٣٠ ١٣ - ح

عدل ركعتين فى الفضل -

الخامسة - ركعتان بعد الوضوء مستحبتان اذ الوضوء معرض الآفات فالمبادرة الى استيفاء المقصود به اولى -

السادسة - ركعتان عند دخول المنزل والخروج منه يدفعان مدخل السوء ومخرج السوء - وكذلك عند ابتداء السفر فى المنزل وعند الرجوع منه فى المسجد كل ذلك مأثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين يصلى ركعتين اذا أكل اكلة اوشرب شربة وفى كل امر يحدثه كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة وكانوا يقدمون فى عقد النكاح والنصيحة والمشورة الحمد لله والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وكذا عند شراء دار جديدة والخروج من منزل والدخول فانه نوع سفر خفيف وكذا عند الاحرام -

السابعة - صلاة الاستخارة فمن هم بأمر وكان لا يدرى عاقبته ولا يعرف ان الخير فى فعله اوتركه فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلى ركعتين يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفى الثانية قل هو الله احد بعد الفاتحة فاذا فرغ دعا وقال اللهم إنى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لى فى دينى ودنياى وعاقبة امرى وعاجله وآجله فقدره لى ثم يسره لى وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاصرفنى عنه واصرفه عنى وقدر لى الخير اين ما كان ثم رضنى به انك على كل شىء قدير - رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن - وقال صلى الله عليه وسلم اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم يسم الامر ويدعو بما ذكرناه -

الثامنة - صلاة الحاجة فمن ضاق عليه امره ومست حاجته فى صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه - فقد روى عن وهيب بن الورد أنه قال ان من الدعاء الذى لا يرد أن يصلى العبد اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة بام القرآن وآية الكرسى

وقل هو الله احد فاذا فرغ يخر ساجدا ثم قال سبحان الذى لبس العز وقال به سبحان الذى احصى كل شيء بعلمه - سبحان الذى لا ينبغي التسبيح الا له - سبحان ذى المن والفضل - سبحان ذى العز والكرم - سبحان ذى الطول ، اسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلى على محمد - ثم يسأل حاجته التى لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله تعالى - قال وهيب بلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونوها على معصية الله -

التاسعة - صلاة التسبيح وهذه ان لم تختص بوقت ولا سبب الا ان المستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة او الشهر ولهذا اوردتها هاهنا - روى عكرمة عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا احبوك بشيء اذا انت فعلته غفر الله سبحانه ذنبك اوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطأه وعمده ، سره وعلانيته تصلى اربع ركعات تقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة فاذا فرغت من القراءة فى اول ركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد السجدة الثانية فتقولها عشرا ثم تقوم فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون ركعة تفعل ذلك فى اربع ركعات وان استطعت ان تصليها فى كل يوم فافعل فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة فان لم تفعل ففى كل شهر مرة فان لم تفعل ففى السنة مرة - وفى رواية اخرى انه يقول فى اول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم تسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشر بعدها والباقى كما سبق عشرا عشرا ولا تسبيح بعد السجدة الاخيرة قاعدا وهو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع من الروايتين ثلاثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا فتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فتسليمتين احسن اذ ورد أن صلاة الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قوله

ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم لكان احسن - فقد ورد فى ذلك بعض الروايات ولايستحب شيء من هذه النوافل فى الاوقات المكروهة الا تحية المسجد دون غيرها واما فى مذهبنا فلايجوز الا الفوائت وسجدة التلاوة وصلاة الجنازة وركعتى الطواف والذى افسده ثم اعاد والله اعلم بالصواب -

الاصل الخامس

(فى علم اسرار الزكاة وفيه مطالب - ١)

(المطلب الاول) فى مراعاة شروطه الظاهرة وهى خمسة الاول النية وهى ان ينوى بقلبه زكاة الفرض اونوى التوكيل باداء الفرض - الثانى البدار عقيب الحول ويجوز تعجيله قبل الحول - الثالث ان يخرج المنصوص عليه ولا يبدله بقيمته وهوالاحوط وان جاز ذلك فى الاصح - الرابع ان لا ينقل الى بلد آخر الا الى قريبه والى احوج من اهل بلده - الخامس ان لايخص بصنف واحد من الاصناف الاربعة ولا يتكلف بجميع الاصناف وتفاصيل هذه الشروط خارج عن طوقنا مع استيفائها فى الكتب الفقهية -

(المطلب الثانى) فى بيان الآداب الباطنة للزكاة وهى ثمانى وظائف (الاولى) ان يفهم ان الغرض من الزكاة الامتحان بان لايكون لها محبوب سوى الواحد الحق ولها مراتب احدها الذين نزلوا عن جميع اموالهم كما فعله الصديق رضى الله عنه - وثانيها الذين يدخرون على قدر الحاجة وصرف الحاجة (٢) فى وجوه البر - وثالثها الذين يقتصرون على اداء الواجب وهذه اقل الرتب - الثانية التطهير من صفة البخل التى هى من المهلكات - الثالثة شكر النعمة المالية (الوظيفة الثانية) التعجيل وقت الاداء اظهارا للرغبة فى الامتثال وايصال المسرة الى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان ان يعوق من الخيرات لان فى التأخير آفات -

(الوظيفة الثالثة) الاسرار فان ذلك ابعد من السمعة والرئاء (الوظيفة الرابعة) ان يقصد اقتداء الناس عند الاظهار لأن تأخير السائل خيفة من الرئاء غير صحيح بل ينبغى ان يتصدق ويتحفظ عن الرئاء بقدر الامكان اللهم الا ان يتأذى الفقير

(١) سقط من الاصل (٢) كذا -

بهتك

يهتك سره فعند ذلك يستحسن الاخفاء -

(الوظيفة الخامسة) ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى كما قال تعالى (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) - قيل المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها - وقيل المن ان يستخدمه بالعطاء، والاذى ان يعيره بالفقر - وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى ان يوبخه وينتهره بالمسكنة - واعلم ان المن والاذى ينشآن من رؤية المعطى نفسه محسنا وانه ظن باطل لما عرفت من ان الغرض منه اظهار حب الله وتطهير نفسه عن رذيلة البخل وشكر لنعمة المال طلبا للمزيد - فظهر منه انه لا معاملة بينه وبين الفقير الا فضل الفقير عليه بقبول اوساخ ماله وتسببه لأداء فرضه وتحصيله الثواب الجزيل - ومن علم فضل الفقر على الغنى وان صلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام وانه مسخر له يكتسب المال لأجله وهو ينتفع به بلا حساب ولا عذاب فى طريق كسبه كيف يطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير فى المجالس وهذا معنى المن وكيف يعيره ويخشن الكلام ويقطب الوجه ويهتك السر بالاظهار وفنون الاستخفاف وهذا معنى الاذى - وهذا المن والاذى وان كانا امرين باطنيين الا ان لهما علامة ظاهرة وهو أن الفقير لو جنى عليه بعد التصدق ويفرض هذه الجناية قبله ثم ينظر هل كان استنكاره على مافعله بعد التصدق زائدا على استنكاره على مافعله قبل التصدق فان كان زائدا ففي باطنه المن ثم الاذى يلازمه عادة ولا اقل من الجواز فيمن جاز منه المن (١) - واما علاج هاتين الرذيلتين اما باطنا فملاحظة الامور المذكورة واما ظاهرا فالتذلل للفقير والمنة له بان يقبل صدقته حتى كان بعضهم يضع الصدقة بين يدى الفقير ويمثل قائما ويسأله قبولها - وكان بعضهم يبسط يده ليأخذ الفقير منه لتكون يد الفقير هى العليا - وكانوا لا يتوقعون منه الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله فالمذكور اولا هو العلم وثانيا هو العمل والقلب ينصبغ بالاعمال الحسنة ولا يعالج القلب الا بمعجون العلم والعمل -

(الوظيفة السادسة) ان يستصغر العطية والا داخل العجب وهو من المهلكات

---

(١) كذا -

ويحبط الاعمال وهو غير المن والاذى اذفى بناء المساجد والربط العجب دونها والدواء للاستعظام والعجب اما العلم فانه يستحيي من حيث انه بذل من الكثير بالقليل وقنع بأخس درجات البذل - وايضا المال لله وله المنة اذا اعطاه اياه ووفقه لبذله وايضا انه يرجو في الآخرة الثواب وهو عوضه اضعاف ما اعطاه فكيف يستعظم ما ينتظر ثوابه - واما العمل فهو أن يستحيي من ان لم يبذل كله لله وهو الاحب عنده والمال كله لله وهو استعمل البخل وترك ما احبه صاحب المال -

(الوظيفة السابعة) ان ينتقى من ماله اجوده واحبه اليه واطيبه واحله ويستحيي من ان يؤثر نفسه واهله وعبيده على الله تعالى والمال له تعالى وايضا انه يبقى اطيبه لمن يرثه من بعده ولا يقدم ذلك لنفسه وليس له من ماله الاما أكل فأفناه وما لبس فأبلاه وما تصدق فأبقاه -

(الوظيفة الثامنة) ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة من الاتقياء وهؤلاء ستة اصناف، الاول الاتقياء المتجردون لتجارة الآخرة والمعرضون عن الدنيا فتكون شريكا لهم فى طاعتهم باعانتك اياهم - الثانى العلماء خاصة فان فى ذلك اعانة للعلم وهو اشرف العبادات بهما صحت فيه النية، الثالث ان يكون صادقا فى تقواه وعلمه بالتوحيد من جملة توحيده ان يحمد الله تعالى عند أخذه ويشكره ورأى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة لأنها مقهور مسخر بتسخير الله تعالى - ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى بسره - الرابع من يكون مستترا ومخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروءة او ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش فى جلباب التجمل - قال الله تعالى (يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا) - وينبغى ان يفحص هؤلاء فى كل محلة عن اهل الدين فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسؤال - الخامس ان يكون معيلا او محبوسا بمرض اوبسبب من الاسباب - قال الله تعالى (للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله) اى حبسوا فى طريق الآخرة امالعيلة

اوضيق

اوضيق معيشة اوا صلاح قلب لايستطيعون ضربا فى الارض لأنهم مقصوصو الجناح مقيد الاطراف بهذه الاسباب - السادس ان يكون من الاقارب وذوى الارحام فيكون صدقة وصلة رحم وفى صلة الرحم من الثواب مالا يخفى -

المطلب الثالث

علم آداب قابض الصدقة

ولايستحق الا حر لا عبد والا مسلم لا كافر ولايعطى الى هاشمى ولامطلبى لان الله تعالى صانهما عن اوساخ الناس وابدل منهما خمس الغنائم فان المصارف ثمانية منهم الفقراء وهم الذين ليس لهم مال ولاقدرة على الكسب ، ومنهم المساكين وهم الذين لايفى دخلهم بخرجهم - ومنهم العاملون وهم الساعون لحفظ اموال المسلمين كالعريف والكاتب والمستوفى والحافظ ولايدخل فيهم السلطان والقاضى ، ومنهم المؤلفة قلوبهم وهم سقطوا بعزة الاسلام اليوم ، ومنهم المكاتبون ، ومنهم الغارمون فى طاعة او مباح ، ومنهم الغزاة الذين ليس لهم مرسوم فى ديوان المرتزقة ، ومنهم ابن السبيل وهم الفقراء الذين لهم مال فى بلادهم (واما وظائف القابض) خمسة -

الاول ان يفهم ان المال لاجل المعاونة على عبادته تعالى فالاغنياء يتعبون فى كسبه وحفظه وركبوا متن الخطر وصار المال عليهم محنة وفتنة وبلية والفقراء انتفعوا بالمال ولم يقاسوا شدائدهم وهذا منتهى النعمة فليأخذوه رزقا من الله وعونا على طاعته وليتقوا به على الطاعة ومن صرفه الى المعصية كان كافرا للنعمة مستحقا للمقت والبعد من الله تعالى -

الثانى ان يشكر المعطى فيدعوله ويثنى عليه لكن لكونه واسطة لا يمنع رؤية النعمة من الله - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى ، فوظيفة المعطى الاستصغار ووظيفة القابض الاستعظام وعلى كل منهما القيام بحقه -

الثالث ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حله تورع عنه كاموال الاتراك

والجنود وعمال السلطان الا اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه يعرف له مالكا معينا فله ان يأخذ بقدر الحاجة -

الرابع ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه فيما يقدر ما يأخذه فلا يأخذ الا القدر المباح مثلا يأخذ بقدر دينه إن كان مديونا وان كان مسافرا بقدر الزاد وكراء الدابة الى مقصده وان كان فى منزله اثاث يستغنى عنه او عن نفاسته وجودته فليحترز عن قبوله فان الورع فى ذلك ، ومنهم من لم يجوز اخذ ما زاد على قوت يومه وهذه مبالغة ، ومنهم من لم يجوز ما زاد على شهر وهو اقرب الى التقوى ، ومنهم من لم يجوز ما زاد على قوت سنة وهذا اقصى ما يرخص فيه مستدلا بان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة وذلك لان السنة اذا تكررت تكررت اسباب الدخل والاقرب الى الاعتدال الكفاية الى السنة وما زاد على ذلك ففيه خطر فيما دونه تضييق -

الخامس ان يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه لانه لا يستحق مع شركائه الا الثمن وانتقص من الثمن بمقدار ما يصرف الى اثنين من صنفه ، وهذا السؤال واجب والناس فيه مستأهلون لا اذا غلب على ظنه عدم النقص عن قدر الواجب -

المطلب الرابع

فى صدقة التطوع وفضلها وآداب اخذها واعطائها ولا حاجة الى ذكر فضائلها لشهرتها وكثرة الآيات والاخبار فى ذلك - أما اخفاء الصدقة ففيها معان -

الاول انه ابقى للستر على الآخذ واصون لستر مروءته وصاروا ممن يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف -

الثانى انه اسلم لقلوب الناس والسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه ويظنون انه مستغن عنه وانه آخذ على زيادة قدر الحاجة ففى الاخفاء صيانتهم عن هذه الجرائم -

الثالث اعانة المعطى على اسرار العمل لان فى السر فضلا على الجهر والاعانة على

اتمام

اتمام المعروف معروف -

الرابع ان فى اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس للؤمن ان يذل نفسه - الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة - قال صلى الله عليه وسلم من اهدى اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها -

واما الاظهار والتحدث ففيه اربعة معان ، الاول الاخلاص والصدق والسلامة من تلبيس الحال والمراياة -

الثانى - اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبرىء من الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس عن اعين الخلق -

الثالث - ان العارف لا نظر له الا الى الله تعالى فلا حاجة الى الاخفاء والسر والعلانية عنده سواء والا لنقص فى توحيده -

الرابع ، ان الاظهار لاقامة الشكر - واذا عرفت هذا الاختلاف فاعلم ان الحق لايجزم بفضيلة الاخفاء او الاظهار مطلقا بل يختلف الحكم بحسب اختلاف الاحوال وايسرها الاخذ فى الملاء والرد فى السر الا ان يستوى عنده السر والعلانية وهذا هو الكبريت الاحمر -

المطلب الخامس

كان ابراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون الأخذ من الصدقة افضل فان فى أخذ الزكاة مزاحمة المساكين وربما لا يؤجد فيه سبب الاستحقاق كما فى الكتاب - واما الآخرون فقالوا يأخذ الزكاة لكونه اعانة على الواجب ولو ترك المساكين أخذ الزكاة لأثموا ولانه لا منة فيها وانما هى حق الله تعالى رزقا لعباده الصالحين ولانه أخذ بالحاجة والحاجة معلومة وأخذ الصدقة أخذ بالدين فان الغالب أعطاء الصدقة لاهل الديانة ولان موافقة المساكين ادخل فى التواضع - والصدقة قدتعطى فى معرض الهدية ولايتميز عنها والقول الحق فى هذا انه يختلف باحوال الشخص والنية فان كان شبهة فى اتصافه بصفة الاستحقاق فليترك الزكاة وان كان مستحقا وكان له ضرورة يجوز أخذها فاذا خير بين الزكاة والصدقة فان

كان صاحب الصدقة يتركها لولم يأخذ هو يأخذ الصدقة ففيه تكثير للخير وتوسيع على المساكين اذا الزكاة تحصل لهم خاصة وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن فى أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير - وأخذ الزكاة على كل حال اشد فى كسر النفس واذلالها فى اغلب احوالها -

الاصل السادس

فى علم اسرار الصوم وفيه مطالب

المطلب الاول

فى الواجبات الظاهرة وهى خمسة

الاول مراقبة اول شهر رمضان برؤية الهلال اوبتكميل شعبان - الثانى النية والافضل ان ينوى كل ليلة - الثالث الامساك عن المفطرات الثلاث عهد (١) ذكر الصوم - الرابع الامساك عن الاستمناء - الخامس الامساك عن اخراج القيء بالاستقاء -

المطلب الثانى

فى لوازم الافطار وهى اربعة القضاء والكفارة والفدية والامساك بقية النهار تشبها بالصائم وتفاصيل هذه فى علم الفقه -

المطلب الثالث

فى السنن وهى ستة تأخير السحور وتعجيل الافطار على التمر والماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزول والجود فى شهر رمضان ومدارسة القران والاعتكاف فى المسجد لاسيا فى العشر الاخير فهى عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى الفراش وشد المئزر وداب ودأب معه اهله اى ادا موا النصب فى العبادة اذ فيها ليلة القدر والاغلب انه فى اوتارها واشبه الاوتار احدى وثلاث وسبع والتتابع فى هذا الاعتكاف اولى -

(١) كذا -

المطلب الرابع

فى اسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم ان الصوم اما صوم العموم وهو كف الفرج والبطن عن قضاء الشهوة وصوم الخصوص وهو كف الجوارح عن الآثام وصوم خصوص الخصوص وهو كف القلب عما سوى الله تعالى الا دنيا تراد للدين ، اما صوم العموم فقد عرفت شرائطه فى علم الفقه ، واما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين لا يتم الا بستة امور الاول، غض البصر عن المحارم والمكاره ومايلهى عن ذكر الله ـ الثانى حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت اوشغله بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان ـ الثالث كف السمع عن الاصغاء الى مكروه لأن كل ماحرم الله قوله حرم الاصغاء اليه ـ الرابع كف بقية الجوارح عن المكاره وكف البطن عن الشبهات ولامعنى للصوم الذى هو الامساك عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحلال ـ الخامس ان لايستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلىء فما من وعاء ابغض الى الله تعالى من بطن ملىء من حلال فكيف يستفاد من الصوم قهرعدوالله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند افطاره مافاته ضحوة نهاره وربما يزيد من انواع الطعام حتى استمرت العادات بان يدخروا لرمضان جميع الاقوات ما لا يؤكل فى سائر الاوقات ـ واعلم ان مقصود الصوم كسر الشهوة بالخوى ليتقوى بذلك على التقوى فاذا هاجت شهوة النفس بالجوع طول النهار ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ماعساها كانت راكدة لوتركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التى هى وسائل الشيطان ـ وذلك لايحصل الابأن يأكل اكلة فى كل ليلة فى غير رمضان بل من الادب ان لاينام فى النهار كثيرا حتى يحس بجوعه وعطشه فيصفو عند ذلك قلبه ويخف على اوراده وتهجده فعسى الشيطان لايحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السماء بل المراد بليلة القدر هى الليلة ينكشف فيها عن شيء من الملكوت

ومن جعل بين قلبه وصدره مخلاة من الطعام فهو من ملكوت السماء محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله وذلك هو الامر كله ومبدأ الكل تقليل الطعام - السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذليس يدرى هل يقبل صومه فهو من المقربين او يرد فهو من الممقوتين - فان قلت الصوم هو ترك المفطرات الثلاث كما ذكره الفقهاء فمن اين اخذت هذه الشروط قلت الفقهاء يبحثون عن الافعال الظاهرة للمكلفين واما الافعال الباطنة فخارجة عن نظرهم - ولو سئل فقيه عن حرمة الغيبة مثلا يحكم بحرمته بل هو اشد من الافطار فى نهار رمضان عمدا ومع ذلك يقول ان الغيبة غير مفطرة - وذلك لخروجها عن نظره لا لانها غير مفطرة حقيقة ولو كان مجرد الامساك عن المفطرات الظاهرة كافيا فاى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش - واعلم ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشوره درجات ولكل درجة طبقات فاولئك الخيرة الآن فى ان تقنع بالقشر عن اللباب او يتحيز الى عمار ارباب الالباب -

المطلب الخامس

فى التطوع بالصيام

وذلك يتجدد اما فى كل سنة اوفى كل شهر اوفى كل جمعة - اما السنة بعد ايام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء وعشر ذى الحجة وعشر المحرم - ولا يجوز استقبال رمضان بيوم او يومين الا ان يوافق وردا او يجوز وصل شعبان كله برمضان والاشهر الفاضلة ذوالحجة والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذوالقعدة وذوالحجة ومحرم ورجب ثلاثة سرد وواحد فرد وافضلها ذوالحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والايام المعدودات وذوالقعدة من الاشهر الحرم واشهر الحج وشوال من اشهر الحج ليس من الاشهر الحرم والمحرم ورجب ليسا من اشهر الحج - واما ما يتكرر فى الشهر فاوله واوسطه وآخره والايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر - واما فى الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة - واما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة فمن كرهه نظر

نظر الى الاخبار الواردة فى كراهته وسبب كراهته ، واما صوم العيدين وايام التشريق والصوم فيها حرام او لتركه العمل بالرخصة التى فعلها النبى صلى الله عليه وسلم الا ان الصحيح ان من رأى صلاح نفسه فيه فليفعل سوى الايام المنهية كما فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم اجمعين - والافضل صيام داود وهو ان يصوم يوما فيصبر ويفطر يوما فيشكر - وذلك اشد على النفس واقوى فى قهرها وقد ورد فى فضل ذلك اخبار والافضل ان يراعى السالك احوال قلبه ويفطر فى وقت الحاجة الى الافطار ويصوم عند الحاجة الى الصوم اذا الغرض من الكل اصلاح القلب لاغير -

الاصل السابع

فى علم اسرار الحج وفيه مطالب

المطلب الاول

فى فضيلتها وفضيلة البيت ومكة وهذه الفضائل مذكورة فى كتب الاحاديث والآثار والاخبار فلا نطول الكتاب بذكرها -

المطلب الثانى

فى فضل الاقامة بمكة وكراهتها

اما فضيلتها فاشهر من ان تذكر - واما كراهيتها فلما كره المحتاطون المقام بها لمعان احدها خوف التبرم من جهة الغربة اوحرها اومعاشها اوالانس بها حتى تسقط مهابة البيت من عينه ولهذا كان عمر رضى الله عنه يصرف الحاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ، وثانيها تهييج الشوق الى بلده حتى تنبعث داعية العود والمفارقة ، وثالثها الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك محظور وبالحرى ان يورث مقت الله لشرف الموضع - وعن ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركبة احب الى من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة وركبة منزل بين مكة والطائف - ولا تظنن ان كراهية الاقامة تنافى فى

شرف الموضع بل ذلك لعجز الناس عن القيام بحقه وكيف لا وانها احب بلاد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان النظر الى البيت عبادة وان الحسنات تضاعف فيها —

المطلب الثالث

في فضيلة الاقامة بالمدينة

وهذه ايضا اشهر من ان تذكر ومامر في الاقامة بمكة جارها هنا ايضا وبالجملة الغرض الاعظم للسالك اصلاح دينه وقلبه واذا صلح حاله في بلد فليلزم الاقامة بها ولا يسافر الا لعلم او اصلاح حال ولا يترك وطنه ايضا الا لما ذكر وليختر من البلاد ما هو اقرب للخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة والمعاش وفي الخبر من رزق من شيء فليلزمه — وفيه ايضا البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فأي موضع رأيت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى — وعن سفيان الثوري انه قال لا ادري اى البلاد اسكن قيل له خراسان قال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة فقيل له الشام قال يشار اليك بالاصابع اراد الشهرة فقيل فالعراق قال بلد الجبابرة قيل له مكة قال يذيب الكيس والبدن —

المطلب الرابع

في وجوب الحج وصحته واركانه وواجباته ومحظوراته

ولما كانت هذه المسائل مستوفاة في الكتب الفقهية اكتفينا بها —

المطلب الخامس

في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل —

الجملة الاولى في السنن من اول الخروج الى الاحرام وهي ثمانية

الاولى في المال ينبغي ان يبتدئ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته الى وقت الرجوع فيرد ما عنده من الودائع ويستصحب مالا من حلال طيب ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل قدر ما يواسي به الضعفاء

الضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه وليشتر لنفسه دابة قوية على الحمل لاتضعف او يكتريها فان اكترى فليظهر للمكارى كل ما يريد ان يحمله من كثير وقليل ويحصل رضاه فيه —

الثانية فى الرفيق فينبغى ان يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسى ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قوله وان ضاق صدره صبره واذ افارق اخوانه يودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل فى ادعيتهم البركة — والسنة فى الوداع ان يقول استودع الله دينكم واماناتكم وخواتيم اعمالكم — وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول لمن اراد السفر فى حفظ الله وكنفه وزودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك الى الخير اينما توجهت —

الثالثة فى الخروج من المنزل ينبغى اذا هم بالخروج ان يصلى ركعتين يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفى الثانية سورة الاخلاص واذا فرغ من رفع يديه دعا الله تعالى عن اخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم انت الصاحب فى السفر وانت الخليفة فى الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسألك فى مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم انا نسألك ان تطوى لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا فى سفرنا هذا سلامة اليدين والبدن والمال وان تبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذبك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم فى جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك —

الرابعة اذا حصل الى باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم رب اعوذبك ان اضل اواُضل اوأزل اوأُزل اواظلم اوأُظلم اواجهل اويجهل على اللهم انى لم اخرج اشرا ولا بطرا ولارياء ولاسمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك شوقا الى لقائك — فاذا مشيت فقل اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت —

اللهم انت ثقتى وانت رجائى فاكفنى ما اهمنى به ومالا اهتم به وما انت اعلم به منى عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك - اللهم زودنى التقوى واغفر ذنبى ووجهنى للخير اينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء فى كل منزل يرحل عنه -

الخامسة فى الركوب ، واذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون) اللهمانى وجهت وجهى اليك وفوضت أمرى اليك وتوكلت فى جميع امورى اليك انت حسبى ونعم الوكيل - فان استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات وقال (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولاان هدانا الله) اللهم انتالحامل على الظهر وانت المستعانعلى الامور .

السادسة فى النزول - والسنة ان لاينزل حتى يحمى النهار ويكون اكثر مسيره فى الليل ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسألك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اللهم اصرف عنى شر شرارهم - فاذا نزل المنزل صلى ركعتين ثم قال اعوذ بكلمات التامات التى لايجاوزهن برولا فاجر من شر ما خلق فاذاجن عليه الليل يقول يا ارض ربى وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر مافيك وشر مادب عليك اعوذبا لله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم -

السابعة فى الحراسة - ينبغى ان لاينفرد عن القافلة لئلا يغتال اوينقطع ويحتاط بالليل ويفترش ذراعه ان نام فى اول الليل وينصبه وجعل رأسه فى كفه ان نام فى آخرها كذا نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اسفاره وذلك لئلا ينام فيفوته الفجر - ويستحب فى الليل ان يتناوب الرفيقان فى الحراسة فهو السنة . فان قصده سبع او عدو فليقرأ آية الكرسى و شهد الله وسورة الاخلاص المعوذتين

والمعوذتين وليقل بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتي بالخيرات الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى يسمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله (لاغلبن انا ورسلي ان الله عزيز ذو انتقام) تحصنت بالله العلي العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برحمة ورأفة انك انت ارحم الراحمين ـ

الثامنة اذا علا شرفا يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف ولك الحمد على كل حال واذا هبط سبح مهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت ـ

الجملة الثانية في آداب احرام من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة

الاول ان يغتسل عند الاحرام وينوي غسل الاحرام وينظف بتسريح رأسه ولحيته وقلم اظفاره وسائر مامر في باب الطهارة من انواع النظافة ـ

الثاني ـ يحرم ويرتدي ويتأزر بثوبين ابيضين والبياض احب الثياب الى الله عزوجل ويتطيب في بدنه وثيابه وان بقي بجرمه بعد الاحرام ـ

الثالث ان ينوي الاحرام بالحج والعمرة قرانا او افرادا كما اراد اذا انبعث به راحلته او اذا ابتدأ السير ان كان راجلا ويكفي مجرد النية لاعتقاد الاحرام ولكن السنة ان يقترن بالنية التلبية بان يقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ـ وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك والعمل لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ـ

الرابع ـ اذا انعقد احرامه بالتلبية يستحب له ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني على اداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك الذين

رضيت وارتضيت وقبلت اللهم فيسر لى اداء ما نويت من الحج اللهم قد احرم لك شعرى ولحمى ودمى وعصبى ومخى وعظامى وحرمت على النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة المذكورة فى كتب الفروع •

الخامس - يستحب له تجديد التلبية عند ازدحام الرفاق واجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعاصوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر فانه لا ينادى اصم ولا غائبا ولا بأس برفع الصوت والتلبية فى مسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات فان هذه المساجد مظنة المناسك واما غيرها فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع الصوت -

الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة الى الطواف هى ستة

الاول- الاغتسال بذى طوى لدخول مكة والاغتسال المسنون فى الحج تسعة فى الاحرام من الميقات لدخول مكة لطواف القدوم للوقوف بعرفة للوقوف بمزدلفة وثلاثة اغتسال للجمرات الثلاث ولاغسل لرمى جمرة العقبة ثم لطواف الوداع -

الثانى ان يقول عند الدخول فى اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمى وبشرى ودمى على النار وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلنى من اوليائك واهل طاعتك -

الثالث ان يدخل مكة من الجانب الابطح وهى ثنية كدا بفتح الكاف ويخرج من ثنية كدا بالضم وهى الثنية السفلى والاولى العليا -

الرابع اذا دخل مكة وانتهى الى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزده من حجه برا وكرامة اللهم افتح لى ابواب رحمتك وادخلنى جنتك واعذنى من الشيطان الرجيم -

الخامس - فليدخل المسجد الحرام من باب بنى شيبة وليقل اللهم بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم - فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع انبيائك ورسلك - وليرفع يديه وليقل اللهم انى اسألك فى مقامى هذا فى اول مناسكى ان تقبل توبتى وتتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم انى عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك اسألك مسألة المضطر الخائف عقوبتك الراجى رحمتك الطالب مرضاتك -

السادس - ان يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيده اليمنى ويقبله ويقول اللهم امانتى اديتها وميثاقى تعاهدته اشهد لى بالوفاء ، فان لم يستطع التقبيل فليقف فى مقابلته وليقل ذلك ثم لا يعرج على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم الا الصلاة المكتوبة اذا حضرت الجماعة -

الجملة الرابعة - فى الطواف اما القدوم او لغيره وآدابه ستة -

الاول - شروط الصلاة من الطهارة وستر العورة لأنه صلاة الا انه يباح فيه الكلام وليضطبع اولا وهو أن يضع وسط ازاره تحت ابطه الايمن ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخى طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتدائه الطواف ويشتغل بالادعية التى سنذكرها -

والثانى - بعد الاضطباع يجعل البيت عن يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه فى ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا منه ثم يبتدئ الطواف -

الثالث - يقول فى ابتداء الطواف قبل مجاوزة الحجر بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف واول مايجاوز الحجر ينتهى الى باب البيت فيقول اللهم ان البيت بيتك

والحرم حرمك والامن امنك وهذا مقام العائذ بك من النار - وعند ذكر المقام يشير بعينيه الى مقام ابراهيم الخليل عليه السلام ويقول اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين اعذنى من الشيطان الرجيم وحرم لحمى ودمى من النار وآمنى من اهوال يوم القيامة واكفنى مؤنة الدنيا والآخرة، ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقى فعنده يقول اللهم انى اعوذبك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر فى الاهل والمال والولد واذا بلغ الميزاب فليقل اللهم اظلنى تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم اسقنى بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لاظمأ بعدها ابدا - واذا بلغ الركن الشامى فليقل اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور ياعزيز ياغفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الأعز الاكرم، فاذا بلغ الركن اليمانى فليقل اللهم انى اعوذبك من الكفر واعوذبك من الفقر واعوذبك من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ بك من الخزى فى الدنيا والآخرة - وليقل بين الركن اليمانى والحجر الاسود ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وعذاب القبر - واذا بلغ الحجر الاسود فليقل اللهم اغفرلى برحمتك اعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر - وعند ذلك قد تم له شوط واحد فيطوف به كذلك سبعة اشواط ويدعو بهذه الادعية فى كل شوط -

الرابع - ان يرمل فى الثلاث الاول من الاشواط ويمشى فى البواقى وتفصيله فى كتب الفقه -

الخامس - اذا تم الطواف فليأت الملتزم وهو مابين الحجر والباب وموضع استجابة الدعاء وليلتصق بالبيت وليتعلق بالاستار وليضع خده الايمن وليقل اللهم يارب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم وأعذنى من كل سوء وقنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيما آتيتنى اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلنى من اكرم وفدك عليك -

وليحمد الله

وليحمد الله كثيرا فى هذا الموضع و ليصل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء وليدع بحوائجه الخاصة ويستغفر الله من كل ذنب - وكان بعض السلف يقول لمواليه تنحوا عنى حتى اقرلربى بذنوبى -

السادس- اذا فرغ مما ذكر فليصل خلف المقام ركعتين يقرأ فى الاولى قل يا ايها الكافرون وفى الثانية سورة الاخلاص وليقل بعدهما اللهم يسرلى اليسرى وجنبنى العسرى واغفرلى فى الآخرة والاولى اللهم اعصمنى بألطافك حتى لااعصيك وأعنى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى معاصيك واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين- اللهم حببنى الى ملائكتك ورسلك وعبادك الصالحين اللهم وكما هديتنى للاسلام فثبتنى بالطافك وبدلالتك عليه واستعملنى بطاعتك وطاعة رسولك وأجرنى من مضلات الفتن - ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف -

(الجملة الخامسة) فى السعى - وهو سبع مرات يبتدئ بالصفافليقبل اولاعلى البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الحمدلله على ماهدانا الحمدلله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير لااله الاالله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لااله الا الله ولانعبد الااياه مخلصين له الدين ولوكره الكافرون لا اله الا الله مخلصين له الدين الحمدلله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون - اللهم إنى اسألك ايمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وأسألك العفو والعافية والمعافاة فى الدين والدنيا والآخرة -ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويدعوالله تعالى بما شاء من حاجته ثم ينزل ويبتدئ السعى ويقول رب اغفروارحم واعف وتكرم وتجاوز عما تعلم انك انت الأعز الاكرم (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة

وقنا عذاب النار) فاذا سعى وانتهى الى المروة صعدها واقبل بوجهه على الصفا
ودعا بمثل ذلك الدعاء -

الجملة السادسة فى الوقوف - يخرج من مكة الى منى ملبيا فاذا انتهى الى منى
قال اللهم ان هذه منى فامنن على فيها بما مننت على اوليائك واهل طاعتك - وليمكث
هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا نسك فيه فاذا اصبح سار الى عرفات ويقول
اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط واقربها من رضوانك وابعدها من سخطك
اللهم اليك غدوت واليك اعتمدت ووجهك اردت فاجعلنى ممن تباهى به اليوم
من هو خير منى وافضل - ثم يأتى عرفات ويفعل هناك ماهو مسطور فى الكتب
لكن اعظم اركان الوقوف الدعاء اذ فى مثل تلك البقعة فى مثل ذلك اليوم فى
مثل ذلك الجمع ترجى اجابة الدعاء والدعاء مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى يوم عرفة اولى ما يدعو به وهو هذا، لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، اللهم
اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى
امرى - وليقل اللهم ربنا لك الحمد كما نقول وخير ما نقول لك صلاتى ونسكى
ومحياى ومماتى واليك مآبى واليك متابى اللهم انى اعوذبك من وساوس الصدور
وشتات الامر وعذاب القبر، اللهم انى اعوذ بك من شر ما يلج فى الليل وشر ما يلج
فى النهار ومن شر ما هبت به الرياح وشر بوائق الدهر اللهم انى اعوذبك من تحول
عافيتك وبغاءة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدنى بالهدى واغفرلى فى الآخرة
والاولى يا خير مقصود واشرف منزول عليه واكرم مسؤل ما لديه أعطنى
العشية افضل ما تعطى احدا من خلقك وحجاج بيتك يا ارحم الراحمين، اللهم
يا رفيع الدرجات ومنزل البركات وفاطر الارضين والسموات ضجت اليك
الاصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات وحاجتى اليك ان تذكرنى فى دار
البلى اذا نسينى اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى واعلانى
ولا يخفى عليك شيء من أمرى انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق
المعترف

المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك خده ورغم لك انفه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك شقيا وكن بى رءوفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين الهى من مدح اليك نفسه فانى لائم لنفسى، الهى اخرست المعاصى لسانى فما وسيلة من عمل ولا شفيع الا الاملى، الهى انى اعلم ان ذنوبى لم تبق لى عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك اكرم الاكرمين، الهى ان لم اكن اهلا ان ابلغ رحمتك فان رحمتك اهل ان تبلغنى، رحمتك وسعت كل شىء وانا شىء ، الهى ان ذنوبى وان كانت عظاما فهى صغار فى جنب عفوك فاغفرها يا كريم، الهى انت انت وانا انا ، انا العواد بالذنوب وانت العواد الى المغفرة الهى ان كنت لاترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون، الهى تجنبت طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك على واكرم عفوك عنى فبوجوب حجتك على وانقطاع حجتى وفقرى اليك وغناك عنى الا غفرت لى يا ارحم الرحمين ياخير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد عليه افضل الصلاة والسلام اتوسل اليك فاغفر لى جميع ذنوبى واصرفنى من موقفى هذا مقضى الحوائج وهب لى ما سألت وحقق رجائى فيما تمنيت ، الهى دعوتك بالدعاء الذى علمتنيه فلا تحرمنى الرجاء الذى عرفتنيه، الهى ما انت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذلة مستكين بجرمه متضرع اليك من عمله تائب اليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك فى العفو عنه طالب اليك فى كل حوائجه راج لك فى موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجأ كل حى وولى كل مؤمن من احسن فبرحمتك يفوز ومن اساء فبخطيئته يهلك ، اللهم اليك خرجنا وبفنائك انخنا واياك املنا وعندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك اشفقنا ولبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فيه (١) خالق يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد على السؤال الا تكرما وجودا وعلى

(١) كذا

كثرة الحوائج الا تفضلا واحسانا انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك الجنة، اللهم لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثواب ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل داع اليك زلفة ولكل متوسل اليك عفو وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلاتخيب رجاءنا ، الهنا تتابعت النعم حتى اطمأنت الانفس بتتابع نعمك واظهرت الصبر حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف اولياؤك بالتقصير عن حقك واظهرت الآيات حتى افصحت السموات والارضون بأدلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا اساء عبادك حلمت واذا احسنوا تفضلت وقبلت واذا عصوا سترت واذا اذنبوا غفرت واذا دعونا اجبت واذا ناديناسمعت واذا اقبلنا اليك قربت واذا ولينا عنك دعوت الهى انك قلت فى كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) فارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالوحدانية مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا منك انقص من حظ من دخل فى الاسلام، الهنا انك احببت التقرب اليك بعتق ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل فأعتقنا وانك امرتنا ان نتصدق على فقرائنا وانت احق بالطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا وانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا انت مولانا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وقنا برحمتك عذاب النار ـ وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول يا من لايشغله شان عن شان ولا يشغله سمع عن سمع ولاتشتبه عليه الاصوات يامن لاتغلطه المسائل ولاتختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولايضجره مسألة السائلين اذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك ـ وليدع بما بداله وليستغفر لنفسه ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلح فى الدعاء وليعظم المسألة فان الله سبحانه لايتعاظمه

شيء

شيء ــ قال مطرف بن عبدالله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجمع من اجلي ــ وقال بكر المزني قال رجل لما نظرت الى اهل عرفات ظننت انهم قد غفر لهم لولا اني كنت فيهم ــ

السابعة في بقية اعمال الحج ــ فاذا بلغ المزدلفة يغتسل بها لانها من الحرم ثم يقول اللهم هذه مزدلفة جمعت ألسنة مختلفة تسألك حوائج مؤتنفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ــ ثم يبيت بها تلك الليلة واحياؤها سنة لمن قدر عليها واذا انتصف الليل فليتأهب للرحيل وليتزود منها سبعين حصاة ولا باس بالزيادة عليها اذ ربما يسقط بعضه وليكن الحصى خفا فا تحتوي عليها اطراف البراجم ثم يسير بعد صلاة الفجر واذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة يقف ويدعو بها بهذا الى الاسفار اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام مع الركن والمقام بلغ روح محمد صلى الله عليه وسلم منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام ياذا الجلال والاكرام ــ ثم يرمي الجمرات في المواضع الثلاثة ويقول مع كل حصاة منها الله اكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك ــ ولا يقف في هذا اليوم للدعاء ويقطع التكبير الاعقيب الصلوات من ظهر يوم النحر الى صبح آخر ايام التشريق وصفة التكبير الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده لا اله الا الله والله اكبر ــ ثم يقول عند ذبح الهدى بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك ولك تقبل مني ما تقبلت من ابراهيم خليلك ثم ليحلق وليقل اللهم اثبت بكل شعرة حسنة وامح عني بكل شعرة سيئة وارفع لي عندك بها درجة ثم يحل له كل شيء الا النساء والصيد ثم يفيض الى مكة ويطوف طواف الزيارة ثم يحل له كل شيء ــ وهذا الطواف كما سبق والامام يخطب في هذا اليوم بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ ففي الحج اربع خطب خطبة السابع ، يوم عرفة ، يوم النحر ، يوم النفر الاول ، وكلها بعد الزوال وافراد

(١) كذا ــ

الا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ـ ثم يبيت بمنى وهي ليلة القر لقرار الناس لانهم لاينفرون وفى صبح الثانى من يوم العيد يغتسل للرمى فيرمى الجمرة الاولى سبع حصيات ثم اذا تعداها انحرف عن الجادة قليلا ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يرمى الجمرة الثانية ويقف كما فى الاولى ثم الثالثة ولايقف عندها ثم يبيت تلك الليلة بمنى وهى ليلة النفر الاول ـ فاذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من ايام التشريق رمى احدى وعشرين حصاة كاليوم الذى قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى والعود الى مكة لكن ان لم يخرج الى الليل يلزمه المبيت بمنى حتى يرمى يوم النفر الثانى احدى وعشرين حصاة كما سبق ـ والتفصيل فى كتب الفقه ـ

الجملة الثامنة فى صفة العمرة

من اراد ذلك فلينو عند الاحرام ويلبى ويقصد مسجد عائشة ويصلى ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود الى مكة وهو يلبى الى ان يدخل المسجد الحرام ثم يطوف ويسعى كما وصفناه فى الحج ثم يحلق رأسه فيتم عمرته واذا يدخل البيت فليدخله حافيا موقرا وليصل بين العمودين وهو الافضل ـ قال بعضهم وقد سئل عن دخول البيت والله ما ادرى ما تين القدمين اهلا للطواف حول بيته فكيف اراهما اهلا لأن اطأ بهما بيت ربى وقد علمت حيث مشتا والى اين مشتا ـ وليكثر شرب ماء زمزم وليستق الماء بيده ان امكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقنا الاخلاص واليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة ـ قال صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب لداء يشفى(١) ما قصد به

الجملة التاسعة فى طواف الوداع

وهذا ايضا كما سبق لكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ صلى ركعتين خلف المقام ويشرب من ماء زمزم ثم يأتى الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن امتك حملتنى على ما سخرت لى من

(١) كذا ـ

خلقك حتى سيرتنى فى بلادك وبلغتنى بنعمتك حتى اعنتنى على قضاء مناسكك فان كنت رضيت عنى فازددعنى رضا والا فمن الآن قبل تباعدى عن بيتك هذا او ان انصرافى ان اردت غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك، اللهم اصحبنى العافية فى بدنى والعصمة فى دينى واحسن منقلبى وارزقنى طاعتك ما ابقيتنى. واجمع لى خير الدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير، اللهم لاتجعل هذا آخر عهدى ببيتك الحرام وان جعلته آخر عهدى فعوضنى منه الجنة والأحب ان لا تصرف بصرك عن البيت حتى تغيب عنه —

(الجملة العاشرة) فى زيارة المدينة وآدابها — واما فضلها فاكثر من ان يحصى فمن قصدها فليكثر فى طريقه الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا وقع بصره على جدارها فليقل اللهم هذا حرم رسولك صلى الله عليه وسلم فاجعله لى وقاية من النار وأمنا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب. وليلبس افضل ثيابه وانظفها وليدخل متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله (رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) ثم ليقصد المسجد ويدخله ويصلى بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر بحذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التى الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التى فى قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يغير المسجد — ثم يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بان يستدبر القبلة ويستقبل القبر على نحو اربعة اذرع من السارية التى فى زاوية جدار القبر وليجعل القنديل على رأسه وليس من السنة مس الجدار وتقبيله بل الوقوف من بعد اقرب الى الاحترام فيقول السلام عليك يارسول الله، السلام عليك يانبى الله، السلام عليك يا امين الله، السلام عليك ياحبيب الله، السلام عليك ياصفوة الله، السلام عليك ياخيرة الله، السلام عليك يا احمد، السلام عليك يامحمد، السلام عليك يا ابا القاسم، السلام عليك يا ماحى، السلام عليك يا عاقب، السلام عليك يا بشير، السلام عليك يا نذير، السلام عليك ياطهر، السلام عليك يا طاهر، السلام عليك يا اكرم ولد آدم،

السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يارسول رب العالمين، السلام عليك ياقائد الخير، السلام عليك يا فاتح السر، السلام عليك يا نبى الرحمة، السلام عليك يا سيد الامة، السلام عليك ياقائد الغر المحجلين، السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين، السلام عليك وعلى ازواجك الطاهرات امهات المؤمنين، جزاك الله عنا افضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون وصلى عليك فى الاولين والآخرين افضل واكمل واعلى واجل واطيب واطهر ما صلى على احد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة اشهد ان لا اله الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وامينه وصفيه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة وأديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين، فصلى الله عليك وعلى اهل بيتك الطيبين وكرم وشرف وعظم - وان كان احد اوصى بتبليغ السلام فليقل السلام عليك من فلان وفلانة ثم ليتأخر قدر ذراع وليسلم على ابى بكر الصديق لان رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر عند منكب ابى بكر رضى الله عنهما ثم يتأخر قليلا قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر وليقل السلام عليكما ياوزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين فى امته بعده بأمور الدين تتبعان فى ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ماجزى وزيرى نبى عن دينه - ثم ليرجع ويقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم وليستقبل القبلة وليحمد الله ويمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انك قلت وقولك الحق (ولو انهم اذظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا نبيك مستشفعين به اليك فى ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من زللنا معترفين

بخطا

بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هـذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار واغفر لاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ولا من حرمك يا ارحم الراحمين - ثم ليأت الروضة ويصلى فيها ويكثر من الدعاء ما استطاع وليدع عند المنبر - ويستحب ان يضع يده على الرمانة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة - ويستحب ان يزور يوم الخميس قبور الشهداء بأحد فيصلى الغداة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ويعود الى المسجد الصلاة الظهر فلايفوته فريضة جماعة فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم -

ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان وقبر الحسن بن على بن ابى طالب وفيه ايضا قبر على بن الحسن ومحمد بن على وجعفر بن محمد ويصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها وعنهم ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كله بالبقيع - ويستحب ان يأتى فى كل سبت مسجد قباء ويصلى فيه ويأتى بئر اريس التى تفل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ريقه فيتوضأ منها ويشرب من مائها - ويأتى مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا سائر المساجد والمشاهد وهى ثلاثون موضعا يعرفها اهل المدينة - وكذا يقصد طلبا للشفاء سبعة آبار التى توضأ واغتسل منها وشرب من مائها رسول الله صلى الله عليه وسلم -

واعلم ان الاقامة بالمدينة ان امكن فلها فضل عظيم - وفى الحديث لا يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وغير ذلك من الاحاديث - وان لم يمكن الاقامة وعزم على الخروج فالمستحب ان يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع القبر ويسأل الله ان يرزق اليه العودة ويسأل السلامة فى سفره ثم يصلى ركعتين فى الروضة الصغيرة وهى موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان زيدت المقصورة فى المسجد

فاذا خرج يقدم رجله اليسرى ثم يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وتجعله آخر العهد بنبيك وحط اوزارى بزيارته واصحبنى فى سفرى ويسر رجوعى الى اهلى واجعلنى من السالمين يا ارحم الراحمين، وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتتبع المساجد التى بين المدينة ومكة ويصلى فيها وهى عشرون موضعا فاذا رجع الى بلده السنة ان يكبر على كل شرف ثلاثا ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آئبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده - وفى رواية وكل شىء هالك الاوجهه له الحكم واليه ترجعون واذا اشرف على مدينته فليحرك دابته وليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم يرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد اولا فيصلى فيه ركعتين ثم يدخل بيته ويقول عند دخوله توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا - ثم اذا استقر فى منزله لا ينسى ما انعم الله عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم ولا ينبغى ان يكفر هذه النعمة ويعود الى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصى لأن علامة الحج المبرور أن يعود زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت -

المطلب السادس

فى الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة وهى عشرة

احداها ان تكون النفقة حلالا بلا تجارة تشغل القلب وتفرق الهم بل يكون همه مجرد رضا الله تعالى وذكره وتعظيم شعائره ومن حملة الحج لغيره وقد تورع عنه ارباب القلوب الاان يكون قصده الاقامة بمكة ولم يكن له ما يبلغه فيتوصل بالدنيا الى الدين لا عكسه فيكون قصده زيارة البيت واسقاط الغرض عن اخيه المسلم ولست اقول الاجرة حرام او مكروه بل اقول الاولى ان لا يفعل لئلا يعطى الدين بالدنيا ولو أخذه لاجل التوسل بالدنيا الى الدين كما سبق فلا بأس به -

ثانيتها

ثانيتها - ان لا يعاونوا اعداء الله بتسليم المكوس الى العمال الظلمة المترصدين في الطرق بل يتلطف في حيلة الخلاص لأن في ذلك ذلا وصغارا على المسلمين ببذل جزية ولا يحل العون عليه ولا الرضا به وان أوله بانا مضطرون في ذلك فقل له فاين اضطرار في الخروج عن البيت وترك زي الفقراء حتى تطالب بها -

ثالثتها - التوسع في الزاد وطيب النفس بالانفاق من غير تقتير بان يمنع ما وجب عن نفسه او عن قوت ما عليه مؤنته شرعا او مروءة - ولا اسراف بان يترفه باطايب النعم وانواع الاطعمة على عادة المترفهين - واما كثرة الخير فقد قيل لا سرف في الخير ولا خير في السرف والدرهم الواحد في طريق الحج بسبعمائة -

ورابعتها - ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن فيصون لسانه من اللغو والخنا والفحش ويحفظ الاوامر ويترك النواهي ويلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله تعالى ويعاملهم بحسن الخلق وهو احتمال الاذى لا مجرد كف الاذى وسمي السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال -

وخامستها - المشي ان قدر وله بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم كذا ورد الاثر عن ابن عباس وسئل ما حسنات الحرام قال الحسنة بمائة الف وان اضاف اليه الاحرام من دويرة اهله فقد قيل انه من تمام الحج كما قال تعالى (واتموا الحج والعمرة لله) وقيل الركوب افضل لما فيه من الانفاق والمؤنة وابعد عن الضجر واذى الغير واقرب الى سلامته وتمام حجه والتحقيق ان الاول لمن قدر عليه والثاني لمن ضعف عنه وضجر فلا مخالفة بين القولين -

وسادستها - ان يتجنب عن المحامل فانه من زي المترفهين قيل وقد احدثها الحجاج وكان العلماء في وقته يكرهونها -

وسابعتها - ان يكون اشعث اغبر غير مائل الى التفاخر والتكاثر وفي الحديث انما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتي قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج عميق ويروى ان اهل اليمن على هذه الهيئة ولهذا قيل لهم زين الحجيج وينبغي ان يجتنب الحمرة في زيه والشهرة كيف ما كانت على العموم -

وثامنتها، ان يرفق بالدابة فلايحملها مالاتطيق كالمحمل ومنها النوم عليها والوقوف عليها وقوفا طويلا ومن السنة نزوله عن الدابة بكرة وعشية يروحها ويوقع السرور فى قلب المكارى وقد ورد فى الخبر ان فى كل كبد حرى اجرا وكان السلف يشترطون مع المكارى عدم النزول ويوفون الاجر ثم ينزلون ليكون ذلك من حسنات انفسهم ـ

وتاسعتها ـ ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويختار سمين النعم ويأكل منه فى التطوع دون الواجب والقليل الجيد خير من كثير الدون ـ

وعاشرتها ـ طيب النفس بما انفقه من نفقة وهدى وما اصابه من الخسران والمصيبة فى المال والبدن فانها من دلائل قبول حجه ومن امارة القبول تبديل اخوانه البطالين اخوانا صالحين ومجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة ـ

المطلب السابع

فى الاعمال الباطنة وطريق الاخلاص فيها وذلك فى عدة امور

الاول ـ الفهم فاعلم انه لا وصول الى الله تعالى الا بالتنزه عن الشهوات واللذات والتجرد الى الله تعالى فى جميع الحالات ولهذا انفرد الرهبان من الملل السالفة عن الخلق فى قلل الجبال فتركوا اللذات الحاضرة واستوحشوا عن الخلق للانس بالله تعالى فاثنى الله عليهم فى كتابه فقال (ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لايستكبرون) فلما اندرس ذلك واقبل الناس على الشهوات وفتروا عن العبادة بعث الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لهداية طريق الآخرة فمنع الناس الرهبانية فى دينه فقال ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعنى الحج ـ وسئل عن السائحين فقال هم الصائمون ـ وهذا من عناية الله تعالى بهذه الامة بحيث اعطى لهم فى الناس ما حصلوه فى الجبال وجعل لهم الحج رهبانية بتشريف بيته العتيق بان إضافه الى نفسه مع تنزهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ثم جعل ما حوله حرما وحرم صيده وقطع شجره وجعل عرفات كالميدان لفناء حرمه فقصده عباده من كل اوب سحيق غبرا متواضعين لرب البيت مستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة

لعزته

لعزته حتى تعبدهم بامور لا يفهمون معناها كتردادات السعي ورمي الجمار تحقيقا لمقام العبودية وابتلاء لعباده ليمتاز المطيع عمن اتبع نفسه هواها وعمل بمقتضى الطباع واعتقدها امورا فارغة عن الحكمة وليس كذلك بل لها حكم واسرار تغفل عنها العقول ولهذا صار ابلغ انواع التعبدات -

الثانى - انه ينبعث من الفهم المذكور الشوق بان الابصار الفانية قصرت عن النظر الى وجه الله الكريم وصار ذلك فى دار القرار جعل النظر الى بيته فى الدنيا سببة الى استحقاق لقاء رب البيت فى الآخرة بمقتضى وعده الكريم فيشتاق المحب الى اسباب اللقاء -

الثالث - العزم بان يصحح عزيمته باخلاصه واجتناب كل ما فيه رئاء وسمعة وليحذر عن ان يقصد قرب البيت ويبعد عن رضا ربه -

الرابع - ان تقطع (١) وليس معناه ترك الوطن والاهل والاولاد والاموال بل رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي فان كل عظيمة علاقة تنادى عليه اين تقصد وانت مضيع امره فى منزلك -

الخامس - ان تقطع قلبك عن الالتفات الى ما وراءك كما قطعت وجهك عن النظر الى ماوراءك فتوجه اليه بقلبك كتوجهك بقالبك والا فليس لك منه الا النصب والعناء والتعب والشقاء وليذكر عند قطعه العلائق الظاهرة والباطنة توجهه الى سفر الآخرة وليكتب وصية لأهله واولاده اذ المسافر لعلي خطر الاما وقى الله تعالى -

السادس - يطلب الزاد والراحلة من موضع حلال وليذكر أن المسافر يطلب من الزاد مالا يتغير فى اول منزل بل لا يتغير على طول السفر فكذلك سفر الآخرة لا يصلح له زاد الا التقوى وماعداه يتخلف عند موته وكربه وليذكر عند حضور الراحلة الشكر لله تعالى على ان سخرها له تحمل عنه الاذى وترفع عنه المشقة فليتذكر عنده مركب الآخرة فينبغي ان يصلحه فوق ما يهتم لراحلة السفر -

السابع - شراء ثوبى الاحرام من مال حلال فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه اذليس

(١) كذا -

فى ثوب الاحرام مخيط فكذا فى الاكفان —

الثامن — الخروج من البلد وليتذكر عنده الخروج من القبر والتوجه الى الحشر ولا يدرى كيف حاله ايغتال فى الطريق ام يصل الى مقصده سالما كذلك فى الآخرة لايعرف مآل امره —

التاسع — فليتذكر عند دخول البادية الوقوف فى المحشروان ما فى البادية من الحيات والسباع نظير ما فى الحشر من الاهوال والمخاوف — واما الاحرام والتلبية التى هى اجابة نداء الله عزوجل فى قوله (واذن فى الناس بالحج) نظير نداء الخلق بالنفخ فى الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم فى عرصات القيامة —

العاشر يتذكر عند دخوله مكة الانتهاء الى حرمه وامنه مع خوفه من ان لايكون من اهل القرب ولكن ينبغى ان يغلب رجاؤه اذ الكرم عميم وليتذكر عند وقوع البصر على البيت وحضور عظمته فى قلبه مشاهدة رب البيت وعظمته — وليرج ان يرزقه النظر الى وجهه الكريم فى العقبى كما رزقه النظر الى بيته العظيم فى الدنيا وليتذكر عند ذلك دخول الجنة آمنين وليسأل ذلك من الله تعالى —

الحادى عشر — فليتذكر عند الطواف التشبه بالملائكة الحافين حول العرش الطائفين حوله ولتعرف ان المقصود الاعظم طواف قلبك بذكر رب البيت فلا تبتدئ الا منه ولاتختم الا به كما ان الطواف يبتدئ بالبيت ويختم به واعلم ان اصل الطواف فى عالم الملكوت وهو تطواف القلب بحضرة الربوبية وان مثاله فى عالم الملك هو البيت فكما ان القلب يطوف بالبيت كذلك القلب يطوف بربه اذ الموازنة بين عالم الملك والملكوت معلومة لمن فتح الله له هذا الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور فى السماء بازاء الكعبة وان طواف الملائكة كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم والذى يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذى يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رواه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله عزوجل —

الثانى عشر - فاعتقد عند الاستلام انك مبايع لله تعالى على طاعته فصمم عند ذلك على قيامك بالوفاء ببيعتك فمن غدر فى المبايعة استحق المقت الا ترى الى ما ورد فى الحديث ان الحجر الاسود يمين الله فى الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه، وليذكر عند التعلق باستار الكعبة تعلق المذنب بثياب من اذنب اليه المتضرع اليه المظهر انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الأمن فى المستقبل ويرجو التحصن عن النار فى كل جزء يلاقى البيت -

الثالث عشر - ليتذكر عند السعى تردد العبد لفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلاص فى الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة وليذكر ايضا تردده بين كفتى الميزان مرددا بين العذاب والغفران -

الرابع عشر - وليتذكر بالوقوف بعرفات اجتماع الناس يوم الحشر فى العرصات مع الانبياء والاولياء وطمع كل امة فى شفاعة هؤلاء وترددهم فى الرد والقبول بلوغ كل منهم ما هو المأمول الا ان الموقف لما لم ينفك من الاوتاد والأبدال وطبقات الصالحين وارباب القلوب سيما عند اجتماع القلوب بالضراعة والابتهال وارتفعت ايديهم الى جنابه وامتدت اعناقهم نحو بابه وشخصت ابصارهم نحو السماء فلا تظنن انه يخيب الدعوات يخيب آمالهم(١) ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان لن يغفر الله له اذ لا طريق فى استدرار رحمة الله عز وجل مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد على صعيد واحد -

الخامس عشر - ليقصد برمى الجمار اظهار العبودية والانتهاض لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس بل يقصد التشبه بابراهيم النبى صلوات الله عليه حين عرض ابليس فى ذلك الموضع ليدخل على حجته بشبهة او يفتنه بمعصية فأمره الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله وان خطر لك ان ذلك رمى لاجل الشيطان واما انا فلا فائدة لى فى رميها فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان يصدك بهذا عن امتثال

---

(١) بهامش الاصل - املهم -

امر الرحمن ويلقى فى قلبك ان هذا يضا هى اللعب فا طرد هذا عن نفسك بالجد فى الرمى ترغم بذلك انف الشيطان فهو فى الصورة رمى الجمار وفى الحقيقة ارغام انف الشيطان بامتثال امرالله تعالى وترك حظ النفس -

السادس عشر - ان تعرف ان الهدى تقرب الى الله تعالى بامتثال امره وارج عند ذبحه ان يعتق بكل جزء منه جزء من اجزاء بدنك بذلك من النار بمقتضى وعده الكريم فكلما كان الهدى اعظم واكبر كان الفداء من النار اعم واعظم -

السابع عشر - اذا وقع بصرك على حيطان المدينة فاذكر فضيلة هذه البلدة وانها دار هجرة خير البشر صلى الله عليه وسلم وفيها تربته المطهرة وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده وضع قدمك فى تلك البلدة على السكينة والوقار اذ طالما تشرف بقدم النبى صلى الله عليه وسلم فى العشى والابكار وارج من الله تعالى ان يمنحك رؤيته فى دار القرار كما يسرلك رؤية هذه الديار التى فيها قبره الشريف وقبرا صحابه الكبار واذكر عند دخول مسجده انه اول عرصة اقيمت فيها فرائض الله تعالى وجمعت افضل خلق الله حيا وميتا وعظم املك فى ان يرحمك الله عز وجل بسبب دخولك اياها فادخل خاشعا ومعظما وما اجدر هذا المكان تعظيما يقدر عليه انسان -

الثامن عشر - اذا زار رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعلم ان زيارته ميتا كزيارته حيا واذا رأيته حيا فكيف تعظمه فاقدر ذلك القدر وراعه فى حق زيارة قبره ولا تدن منه كل الدنو ولا تقبله بل قف من بعيد ماثلا بين يديه كما كنت تفعل لو زرته فى حياته - واعلم انه صلى الله عليه وسلم عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة فى خيالك موضوعا فى اللحد بازائك واحضر عظم تربته فى قلبك - واذا اتيت منبره توهم صعوده وطلعته البهية قائما على المنبر وقد احدق به المهاجرون والانصار وهو يحثهم فى خطبته على طاعة الله تعالى واسأل الله ان لايفرق بينك وبينه فى القيامة -

التاسع عشر - اذا فرغت من هذه الاعمال فأخطر بالبال انك بين خطر رد الاعمال وبشارة قبولها وتحزن وتخاف على عدم معرفتك بانك من زمرة المحبوبين اورد

حجتك

حجتك والحقت بالمطرودين -

العشرون - ان تمتحن قلبك بعد قدومك وطنك انك ان ازددت تجافيا من دار الغرور الى دار انس بالله تعالى اوزدت القرار من دار الذلة والخسار ووازن اعمالك فان كان من قبيل الشق الاول دل على القبول والا فيوشك ان يكون حظك من هذه الاعمال التعب والعناء والنصب والشقاء نعوذ بالله من الحرمان من ان ننسلك فى حزب الشيطان فعليك بمحاسبة نفسك فى كل غدوة وعشية وتدارك أمرك من قبل ان تدخل فى الذين حيل بينهم وبين ما يشتهون اذ عند ذلك تعظيم الحسرة والخسار - ولايمكن التدارك بالتوبة والاستغفار نبهنا الله تعالى واياكم قبل حلول المنية ولا يحرمنا بحرمة نبيه عن هذه الامنية صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذرياته واحبابه وسلم تسليما -

الاصل الثامن

فى علم فضيلة الاذكار والتلاوة والاوراد - وفيه مقدمة ومطالب

المقدمة

اعلم ان من المقدمات المقررة عند الخواص بل العوام ان السعادة فى لقاء الله الملك العلام ولاسبيل اليه الا بالحب له والمعرفة وهما لايحصلان الابدوام الفكر فى صفاته وافعاله وان لكل جمال وكمال شعبة من جناب جلاله وحضرة جماله ثم ان النفس لما ابتليت بمصاحبة هذا البدن ليعينها فى بلوغ مطالبه ولما احتاج البدن الى حسن تدبير النفس اياه وتربيته ولن يسخر اللطيف الكثيف بالاختيار حتى يقاسى رعايته وتربيته اودع الله سبحانه وتعالى بينهما رابطة الحب لتكون تلك الرابطة واسطة تلك الرعاية - ثم ان النفس الجاهلة بسبب شوقها الى البدن ربما تميل الى شهواته ومقتضياته فتنسى ما خلقت لاجله من معرفة مبدئه وتدبير معاده فلابد لازالة هذا الميل عنها من اختيار التدريج وذلك التدريج بالذكر ثم الفكر ثم الشوق ثم العزم ثم قطع العوائق ثم السلوك الى المطلب ولما كان اصل الكل الذكر المنتج للفكر وذلك لايحصل بالقدر اليسير منه لما نازعته الشهوات البدنية لاجرم

كان الواجب على الانسان الذكر المستغرق للاوقات حتى ينتهى الى الفكر ويترع النفس عن الشهوات ولما كان استغراق الكل متعذرا واستغراق الاكثر متعسر الوجوب المصالح الضرورية للبدن وجواز الملاذ المباحة لاجرم لابد من قانون ينتهى الذكر بذلك القدر الى الفكر فمن غلب اوقات ذكره فهو ممن يترجح كفة حسناته - واما من ساوى بينهما فامره الى الله مع ان سعة الرحمة تعظم الرجاء فى امره - واما المستغرق جميع اوقاته فهؤلاء هم المنتهون الفائزون بالجنان من غير حساب - وأما المبتدئ فلا يمكنه ذلك اذ تدخله السآمة والملال والله تعالى لا يمل حتى تملوا فلا بد فى حقهم من التلطف والتدريج من فن الى فن لان التفنن يروح النفس ويرغبها فى الزيادة عليه فلابد من بيان اوقات التلاوة والاذكار آناء الليل واطراف النهار كما قال تعالى (واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) وقال تعالى (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود) وقال (وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) ثم قال فى حق الفائزين (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون) وقال الله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا) الى غير ذلك من الآيات -

المطلب الاول

فى علم آداب التلاوة وفضيلتها

لا يخفى على احد سيما من سمع قول النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتى افضل مما اوتى فقد استصغر ما عظمه الله تعالى - وقوله صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن فى اهاب ما مسته النار - وكذلك لا يخفى ذم تلاوة الغافلين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب تال للقرآن والقرآن يلعنه - فلابد من ذكر آداب ينجو بها من نقيصة الغفلة ورذيلة التقصير ثم ان الآداب لها ظاهر وباطن والآداب الظاهرة عشرة -

الاول فى حال القارئ - وهو أن يكون على وضوء ويقرأ على السكون والوقار

اما

اما قائما اوجالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ويجلس جلوسه عند الاستاذ وافضل احوال القراءة فى الصلاة قائما ويكون فى المسجد، ثم غير متوضئ، ثم المضطجع وان لم يخل عن الفضيلة ولكن ان قرأ مضطجعا ينبغى ان يضم رجليه ـ

الثانى ـ فى المقدار وله مراتب منهم من يختم فى اليوم والليلة مرة اومرتين وانتهى بعضهم الى ثلاث ومنهم من يختم فى ثلاث وهذا الوسط وهو الافضل ـ ومنهم من يختم فى اسبوع وقد فعله كثير من الصحابة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبى بن كعب رضى الله عنهم ـ ومنهم من يختم فى كل شهر ـ والختم فى اليوم والليلة مرة اومرتين اومرات مكروه وفى الشهر مرة مبالغة فى الاقتصار والاحب بينهما الا ان الحق ان القارئ ان كان من العباد يختم فى الاسبوع مرة اومرتين وان كان من ارباب القلوب اوممن اشتغل بنشر العلم ففى الاسبوع مرة وان كان نافذ الفكر فى معانى القرآن ففى الشهر مرة لكثرة حاجته الى ترديد الآيات وتكريرها ـ

الثالث ـ فى القسمة من قسم القرآن على سبعة يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وفى الليلة الثانية بالانعام الى هود وفى الثالثة بيوسف الى مريم وفى الرابعة بطه الى طسم وفى الخامسة بالعنكبوت الى ص وفى السادسة بتنزيل الى الرحمن وفى السابعة وهى ليلة الخميس يختم ـ وقيل فى السبعة الاحزاب الاول ثلاث سور والثانى خمس والثالث سبع والرابع تسع والخامس احدى عشرة والسادس ثلاث عشرة والسابع المفصل من ق وهذه تجزئة الصحابة ـ وما سوى هذه من الاخماس والعواشر محدث ـ

الرابع ـ الكتابة يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فان ذلك تزيين وصد من الخطأ واللحن ـ واما ما نقل من الكراهة فيها وفى امثالها لخوفهم عن أن يؤدى فتح هذا الباب الى احداث زيادات يطرق بها التغيير الى القرآن ـ اما الذى نحن عليها فلم يبلغ الى تلك الدرجة مع فائدة

الاعراب والصون عن اللحن والخطأ فهذه بدعة حسنة -
الخامس - البكاء قال النبى صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وطريق التباكى ان يلقى فى قلبه الحزن ومنه ينشأ البكاء - قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا - وطريق التحازن ان يتأمل مافيه من التهديد والوعيد والوثائق والعهود ثم يتأمل تقصيره فيحزن ويبكى لامحالة فان لم يحزن بهذه فليبك عـلى فقد الحزن والبكاء فان ذلك من اعظم المصائب -
السادس - الترتيل وقد عرفت ان الغرض من الذكر الفكر والترتيل معين عليه وبذلك نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيما اذا كان القارئ اعجميا لايفهم المعنى فانه يستحب له الترتيل والتؤدة لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام -
السابع - رعاية حق الآيات مثل ان يسجد فى مواضعها ولو سمع من غيره ويسجد على طهارة ويشترط لها شرائط سجدة الصلاة من الطهارة واستقبال القبلة وستر العورة -
الثامن - ان يتعوذ قبل القراءة ويقول اعوذبالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ويقرأ سورة قل اعوذ برب الناس وسورة الفاتحة وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله العظيم وبلغ رسوله، اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه والحمدلله رب العالمين وأستغفر الله الحى القيوم واذا مر بآية تسبيح سبح وكبر وان مر بآية استغفار استغفر ودعا وان مر بآية سؤال سأل وان مر بآية تخويف استعاذ يفعل ذلك بلسانه اوبقلبه فيقول سبحان الله اعوذ بالله ، اللهم ارزقنا، اللهم ارحمنا- واذا فرغ يدعو بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عندختم القرآن وهو اللهم ارحمنى بالقرآن العظيم واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل واطراف النهار واجعله حجة لى يا ارحم الراحمين -

التاسع

التاسع- وأدنى الجهر فى حق الصلاة وترتب الثواب اسماع النفس ومرتبة اسماع الغير مستحب وقد تعارضت الاخبار فى حق الجهر والاسرار الا ان الجمع بينهما ان الاسرار افضل لمن يخاف فيه الرئاء والتصنع واما فيمن هو بخلافه فالجهر افضل الا ان يشوش وقت مصل آخر لأن فيه فوائد كثيرة ليس فى الاسرار لانه خير متعدد يوقظ القلب ويجمع الهم الى الفكر ويجمع اليه سمعه ويطرد النوم منه ومن غيره ويزيد فى نشاطه ويقلل من كسله وقد يبعث نوم الكسلان الى القرائة فمهما حضر شيء من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمع اثنان اوا كثر يضاعف الأجر بقدره -

العاشر-تحسين القراءة من غير تمطيط يغير النظم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم -وقال ما اذن الله لشيء اذنه لحسن الصوت يتغنى بالقرآن - وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن وغير ذلك -

المطلب الثانى

فى الآداب الباطنة وهى ايضا عشرة

الاول- فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله تعالى ولطفه حيث انزله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه مع كونه صفة قديمة قائمة بذاته - ولوا ستتار كنه جمال كلامه فى كسوة الحروف والالفاظ لما ثبت لسماعه عرش ولاثرى كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حتى صار دكا لولا تثبيت الله تعالى موسى لما اطاق سماع كلامه ومثلوا لذلك بتأديب الحيوانات باصوات دالة على كلمات لايفهم الحيوان الابكسوة اصوات تمكنها تميزها من النقير والصفير فالكلام عالى المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم فى الحق والباطل- وهو القاضى العدل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولاطاقة للباطل ان يقوم قدام الحكمة كالظل مع الشمس فهو ملك محجوب غائب وجهه ظاهر أمره وشمس ظاهرة الاضواء وعنصرها مكنون -

الثانى- تعظيم التكلم بان يتفكر أن ظاهر الجلد كما انه محروس عن البشر ما لم يتطهر

عن الاحداث والاخباث كذلك معناه محجوب بحكم عزه وجلاله عن باطن القلب ما لم يتطهر عن الحوادث والاكوان او يتنور بنور التعظيم والتوقير فيعظم الجلد بتعظيم الكلام عن يد غير متطهر والكلام بتعظيم متكلمه عن لسان غير متطهر عن الكذب والغيبة والبهتان ــ والمتكلم بالتفكر في صفاته وافعاله بتطهير القلب عن تلوث الحدثان وكدورات الملوان ــ

الثالث ــ حضور القلب وترك حديث النفس وهذه الصفة تتولد عن التعظيم فانه المعظم لاحد يستأنس بكلامه ويحضر اليه قلبه ويجمع اليه همه ــ وكان بعض السلف اذا لم يحضر قلبه عند قراءة سورة اعادها ــ

الرابع ــ التدبر وهو وراء احضار القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن وقد يقتصر على سماع القرآن وهو لا يتدبره والمقصود من القرآن التدبر ولذلك سن فيه الترتيل فاذا لم يتمكن من التدبر فليردد ــ وعن أبي ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة فقام بآية يرددها (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) وقام سعيد بن جبير بهذه الآية يرددها (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) وعن أبي سليمان الداراني انى لأتلو الآية فاقيم فيها اربع ليال او خمس ليال ولولا انى اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها ــ وعن بعض السلف انه بقى في سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها ــ وقال بعض العارفين لى في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة ولى في ختمة ثلاثون سنة ما فرغت منها ــ

الخامس ــ التفهم وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن مشتمل على ذكر صفات الله تعالى وافعاله واحوال انبيائه واوامره وزواجره والجنة والنار فتحت هذه معان مدفونة لا يصل اليها الا الموفقون ــ ولذلك قال على رضى الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب ــ وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن ما يريده ويعرف النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد ــ فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فاما الاستقصاء فلا مطمع فيه ــ

السادس - التخلى عن موانع الفهم لأسباب وحجب سدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن - منها تحقيق مخارج الحروف واعظم ضحكة الشيطان القراء الذين اطاعوا تلبيس الشيطان الذين يخيل اليهم الشيطان ان الحروف لم تخرج من مخارجها فيصرفهم عن تكشف المعانى بل الحزم فى ذلك قدر الاقتصار - ومنها التقليد لمذهب مسموع له ويتعصب له فيحرم من غيره ولو كان حقا وان لمع برق الحق على بعد وبدا له حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد اسلافك الذين كانوا على الحق - وقول الصوفية العلم حجاب ارادوا به هذا النوع من العلم لا العلم الحقيقى المؤيد بالبرهان والعيان مثلا من غلب عليه مذهب التجسيم ولاحظ معنى القدوس انه منزه عن كل ما يجوز لمخلوقاته يكر عليه الشيطان ويصده عن ذلك بالتقليد قبل ان يستقر فى قلبه - ومنها ان يتراكم على مرآة قلبه صدأ المعاصى والشهوات فلا تنكشف له اسرار الكتاب ولذلك قال تعالى (انما يتذكر اولوا الالباب) وقال تعالى (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) ومنها ان يقلد تفسيرا ظاهرا يروى عن قتادة ومجاهد ويعتقد أن ما وراءه تفسير بالرأى - وهذا ايضا من اعظم الحجب اذ القرآن لا تنقضى عجائبه وستعرف التفسير بالرأى ان شاء الله تعالى -

السابع - التخصص - وذلك ان يقدر أن المقصود بكل خطاب فى القرآن من الامر والنهى والوعد والوعيد وان القصد من القصص والاخبار ليس الا الاعتبار وكيف لا والقرآن لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لأجله ولأجل امته عامة -

الثامن - التأثر بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الخوف والحزن والرجاء وغير ذلك ومن لم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان وهذه قليل الجدوى وتلاوة القرآن حق تلاوته انه يشترك فيه اللسان والعقل والقلب - فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعانى وحظ القلب الاتعاظ والتأثر

والانزجار والائتمار فاللسان والعقل ترجمان والقلب يتعظ فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط كقوله تعالى (وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) يتضاءل خضوعا من خيفته حتى كأنه يموت - ومنهم من مات عند سماع آية الوعيد ومنهم من خر مغشيا عليه وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله تعالى واسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته - وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله تعالى كذكرهم لله سبحانه ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر فى باطنه حياء من قبح مقالتهم - وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا -

التاسع - الترقى الى ان يسمع الكلام من الله عز وجل فدرجات القراءة ثلاثة ادناها ان يقدر العبد نفسه كأنه ماثل بين يدى مولاه وهو مستمع منه فيقرأه بالتملق والتضرع والابتهال - واوسطها ان يشهد بقلبه كأن ربه يخاطبه بألطافه ويناجيه بانعامه فمقامه عند هذا الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم وهذه درجة اصحاب اليمين - واعلاها ان يرى فى كلام (١) المتكلم وفى الكلمات الصفات ويكون مقصور الهم على المتكلم كأنه مستغرق بمشاهدته عن غيره وهذه درجة المقربين وفى مثل هذه الحالة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة -

العاشر - التبرى من حوله وقوته وأن يشاهد نفسه بعين الرضا والالتفات اليها بالتزكية فاذا تلا آيات الوعد يشهد بذلك للموقنين ولا يرى نفسه اهلا لها بل يتشوق ان يلحقه الله بهم واذا تلا آيات المقت وذم العصاة شهد نفسه هناك وقدر نفسه المخاطب خوفا واشفاقا، ثم رؤيته نفسه بصورة التقصير يكون سبب قربه الى ان يجاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله تعالى فى قراءته فحينئذ انكشف له الملك والملكوت، وحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها عيانا وعلى هذا الحال آيات الخوف اذ حينئذ كوشفت له النار عيانا -

(١) كذا لعله والكلام -

المطلب

المطلب الثالث

فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل لعلك بالبال ان ما ذكرت من المعانى يرجع الى التفسير بالرأى وانه مما انكر عليه الشرع حتى شنع العلماء على اهل التصوف فى تأويل كلمات القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه كفر صريح -

فاعلم انه لايجوز التهاون بالتفسير الظاهر اولا ولا مطمع فى الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر وهذا امر اتفاقى وانما الخلاف فى ان وراءه معان اخر يفهمها من اعطى فهمه ام لا والحق جواز ذلك عقلا ونقلا - اما نقلا فقوله صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا - وقال على رضى الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب - وقوله ايضا الا ان يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن - ومعلوم ان تلك البطون والحد لم تنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ايضا ان وقر سبعين بعيرا فى الفاتحة لم يمكن بالنقل وكذا ما يؤتى الله عبدا فهما خارج عن النقل فظهر أن فى القرآن معان كثيرة وراء النقل ومثال هذه الاخبار والآثار كثيرة - واما عقلا فهو ان النهى عن التفسير بالرأى اما لحمله على معتقده الباطل وهواه واما بأن يعتقد على ذلك جهلا او يعتقد على خلافه لكن يلبس على خصمه - واما ان يفسره على ظاهر العربية من غير نقل وسماع فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن خلص فهمه عن هذه الآفات لايشغله الوعيد المذكور ثم من يؤيد فهمه بنور الكشف والشهود فذلك ما اشار اليه ابن عباس من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن ولعلك سمعت فيما سبق ما يفتح عليك الاشكال المذكورة والله ولى التوفيق فى كل الامور ولعل العمر لو انفق فى استكشاف اسرار القرآن وما يرتبط بمقدماتها ولواحقها لانقطع العمر قبل استيفائها وما من كلمة فى القرآن الا وتحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين فى العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم

وصفاء قلوبهم وتوفير دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد فى الترقى الى درجة منه واما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما لنفد البحر قبل ان تنفد اسرار القرآن ـ

المطلب الرابع

فى علم الاذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة والاستغفار وفيه انواع ـ

النوع الاول فضيلة الاذكار قال تعالى (فاذكرونى اذكركم)

وقال (واذكروا الله ذكرا كثيرا) وقال (ولذكرالله اكبر) وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملأه واذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولت اليه اى اسرعت اجابته وقال سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الاظله وذكر من جملتهم رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ـ

النوع الثانى ـ فضيلة التسبيح والتحميد قال صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين (وحمد ثلاثا وثلاثين) وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلااله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وسلم من قال فى يوم مائة مرة سبحان الله وبحمده حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر ـ روى ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تولت عنى الدنيا وقلت ذات يدى فقال صلى الله عليه وسلم فأين انت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة مابين طلوع الفجر الى ان تصلى الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله تعالى من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة لك ثوابه ـ وقال ماعلى الارض رجل يقول لااله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمدلله

والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر - وقال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم - وقال يا عبد الله بن قيس اويا ابا موسى اولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال قل لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم - وقال من قال حين يصبح رضيت بالله رباو بالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان حقا على الله تعالى ان يرضيه يوم القيامة - قال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته وقال بسم الله قال الملك هديت فاذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت فاذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق الشياطين فيقولون لا سبيل لكم عليه قد هدى وكفى ووقى -

النوع الثالث - فضيلة التهليل - قال صلى الله عليه وسلم افضل ما قلت انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لاشريك له - وقال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فى كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكان له حرز من الشيطان يومه حتى يمسى ولم يأت احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك - وقال ما من عبد توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله، الا فتحت له أبواب الجنة يدخل من ايها شاء - وقال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم، ثم قال اللهم اغفر لى اودعا استجيب له وان توضأ وصلى قبلت صلاته -

النوع الرابع - فضيلة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم - قال تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وروى انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال صلى الله عليه وسلم جاءنى جبريل فقال اما ترضى يا محمد انه لا يصلى عليك احد من امتك الا صليت

عليه عشرا ولايسلم عليك احد من امتك إلاصليت عليه عشرا - وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ماصلى على فليقلل عبد من ذلك او ليكثر - وقال صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بي اكثرهم على صلاة - وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على من امتي كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات - وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب وقال من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة، حلت له شفاعتي - وقال صلى الله عليه وسلم ليس احد يسلم على الارد الله على روحى حتى ارد عليه - وقيل يا رسول الله كيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد - (١)

النوع الخامس - فضيلة الاستغفار - قال الله عز وجل (والذين اذا فعلوا فاحشة اوظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) وقال الله تعالى (فسبح بحمدربك واستغفره انه كان توابا) وقال صلى الله عليه وسلم من اكثر الاستغفار جعل الله عزوجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لايحتسب وكان صلى الله عليه وسلم يكثر الاستغفار يقول(سبحانك) اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى انك انت التواب الرحيم - وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يأوى الى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هوالحى القيوم أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هوالحى القيوم - ثلاث مرات غفر الله ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر اورمل عالج اوعددورق الشجر اوعدد ايام الدنيا - وقال فى حديث آخر من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الاستغفار اللهم اغفرلى خطيئتى وجهلى واسرافى فى امرى وما انت اعلم به منى اللهم اغفرلى جدى وهزلى وخطائى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفرلى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به منى انت المقدم

(١) كذا -

وانت

وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير - وقال من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي انه لايغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه ولو كانت كدب النمل وروي ان افضل الاستغفار اللهم انت ربي وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء اليك بنعمتك علي وابوء على نفسي بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما اخرت انه لايغفر الذنوب جميعا الا انت -

المطلب الخامس

في ادعية مأثورة معزية (١) الى اربابها يدعى بها صباحا ومساء

ومنها دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس بعثني العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى ركعتين قبل صلاة الفجر قال اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة ، اللهم اني اسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء ، اللهم اني انزل بك حاجتي وان ضعف رأيي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك فأسألك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور وفتنة القبور ، اللهم ماقصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك وخير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسألكه يارب العالمين ، اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولاحول ولاقوة الا بالله العلي

(١) كذا والصواب - معزوة -

العظيم ذى الحبل الشديد والامر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة دار الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رؤف ودود انت تفعل ما تريد سبحان الذى تعطف بالعز، وقال به، سبحان الذى لبس المجد وتكرم به سبحان الذى لا ينبغى التسبيح الا له (سبحان) ذى الفضل والنعم سبحان ذى العزة والكرم سبحان الذى احصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا من بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى اللهم زدنى نورا واعطنى نورا وأجعل لى نورا -

ومنها دعاء عائشة - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم إنى اسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم إعلم واعوذبك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم وأسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذبك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لى من امر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين -

ومنها دعاء فاطمة - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة مايمنعك ان تسمعى ما اوصى به ان تقولى يا حى يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلنى الى نفسى طرفة عين وأصلح شأنى كله -

ومنها دعاء أبى بكر الصديق علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى اسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وانجيل عيسى وزبور داود وقرآن محمد صلى الله عليه وسلم وبكل وحى اوحيته وقضاء قضيته اوسائل اعطيته اوغنى اقنيته اوفقيرا غنيته اوضال هديته وأسألك باسمك الذى انزلته على موسى واسألك باسمك الذى تثبت به ارزاق العباد وأسألك باسمك

الذى

الذى وضعته على الارض فاستقرت وأسألك باسمك الذى وضعته على السموات فاستقلت وأسالك بأسمك الذى وضعته على الجبال فرست وأسألك باسمك الذى استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر الذى وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان ترزقنى القرآن والعلم وتخلطه بلحمى ودمى وسمعى وبصرى وتستعمل به جسدى بحولك وقوتك فانه لاحول ولاقوة الابك يا ارحم الراحمين -

ومنها دعاء بريدة الاسلمى روى انه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة ألا اعلمك كلمات من اراد به خيرا علمه اياها ثم لا ينسيهن اياه ابدا قال فقلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم انى ضعيف فقو فى رضاك ضعفى وخذ الى الخير بناصيتى واجعل الاسلام منتهى رضاى اللهم انى ضعيف فقونى وانى ذليل فأعزنى وانى فقير فأغننى -

ومنها دعاء قبيصة بن المخارق اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى كلمات ينفعنى الله عز وجل بها فقد كبر سنى وعجزت عن اشياء كنت اعملها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لدنياك فاذا صليت الغداة فقل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لاحول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن امنت من الغم والجذام والبرص والفالج - واما لآخرتك فقل اللهم اهدنى من عندك وافض على من فضلك وانشر على من رحمتك وأنزل على من بركاتك - ثم قال صلى الله عليه وسلم اما انه اذا وافى بهن يوم القيامة لم يدعهن فتح له اربعة ابواب من الجنة -

ومنها دعاء ابى الدرداء قيل له قد احترقت دارك وكانت النار فى محلته فقال له ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلاثا فقال ما كان الله ليفعل ذلك ثم اتاه آت فقال ان النار لما دنت من دارك طفئت قال قد علمت فقيل له ماندرى أى قوليك اعجب قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هؤلاء الكلمات فى ليل اونهار لم يضره شىء وقد قلتهن وهى هذه اللهم انت ربى لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلى

العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قداحاط بكل شيء علما اللهم انى اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت آخذبنا صيتها ان ربى على صراط مستقيم - وروى عن ابى الدرداء انه قال من قال كل يوم سبع مرات (فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) كفاه الله ما اهمه من أمر آخرته صادقا كان بها اوكاذبا -

ومنها دعاء ابراهيم الخليل عليه السلام كان يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه لى بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك وارزقنى حسنة تقبلها وزكها وضاعفها لى وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى انك غفور رحيم ودود كريم - قيل من دعا بهذا الدعاء اذا اصبح فقدأدى شكر يومه -

ومنها دعاء عيسى عليه السلام كان يقول اللهم انى اصبحت لااستطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجوه واصبح الامر بيد غيرى واصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير افقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤبى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولاتجعل الدنيا اكبر همى ولا تسلط على من لا يرحمنى -

ومنها دعاء الخضر عليه السلام يقال ان الخضر والياس عليهما السلام اذا التقيا فى كل موسم لم يفترقا الاعن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لاقوة الا بالله ماشاء الله، كل نعمة فمن الله ماشاء الله الخير كله بيدالله ماشاء الله لايصرف السوء الا الله من قالها ثلاثا اذا اصبح امن من الغرق والحرق والسرق -

ومنها دعاء معروف الكرخى قال محمد بن حسان قال لى معروف الكرخى ألا اعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعا الله عزوجل بهن وجد الله تعالى عند هن قلت اكتبها لى قال لا ولكن اردها عليك كما رددها على بكر بن خنيس (حسبى) الله الحليم القوى لمن بغى على حسبى الله الشديد لمن كادنى بسوء حسبى الله الرحيم عند الموت حسبى الله الرؤف عند المسألة فى القبر حسبى الله الكريم عند الحساب حسبى الله اللطيف عند الميزان حسبى الله القوى عند الصراط حسبى الله لااله الاهو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم -

ومنها

ومنها دعاء عتبة الغلام وقد رئى فى المنام فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادى المضلين وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا من الاحياء المرزوقين مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين -

ومنها دعاء آدم عليه السلام قالت عائشة لما اراد الله عزوجل ان يتوب على آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس بمبنى ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفرلى ذنوبى اللهم انى أسألك ايمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبنى الاما كتبته على ورضنى بما قسمته لى - فاوحى الله عزوجل اليه انى قد غفرت لك ولن يأتينى احد من ذريتك فيدعونى بمثل الذى دعوتنى به الا غفرت له ذنوبه وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهى راغمة وان كان لايريدها -

ومنها دعاء على بن أبى طالب رضى الله عنه رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عزوجل يمجد نفسه كل يوم ويقول انى انا الله رب العالمين انى انا الله لااله الا انا الحى القيوم انى انا الله لااله الا انا العلى العظيم انى انا الله لا اله الا انا لم الد ولم اولد، انى انا الله لا اله الا انا العفو الغفور مبدئ كل شيء والى يعود انى انا الله لا اله الا انا العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن (العزيز) الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعال المقتدر القهار الحكيم الكريم اهل الثناء والمجد اعلم السر واخفى ،القادر الرزاق للخلق والخليقة - وذكر قبل كل كلمة انى الله لا اله الا انا كما اوردنا فى الاول فمن دعا بهذه الاسماء فليقل انك انت الله لا اله الا انت كذا وكذا - فمن دعا بها كتب من الساجدين المخبتين الذين

يجاورون محمدا وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين فى دار الجلال وله ثواب العابدين فى السموات والارضين -

ومنها دعاء ابى المعتمر سليمان التيمى وتسبيحاته روى ان يونس بن عبيد رأى رجلا فى المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ما افضل ما رأيت من الاعمال قال رأيت تسبيحات ابى المعتمر من الله بمكان وهى هذه سبحان الله والحمد لله ولااله الا الله والله اكبر ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم عدد ماخلق وعدد ماهو خالق وزنة ماخلق وزنة ماهو خالق وملء ماخلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وارضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى واذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه فى جميع مامضى وعدد ماهم ذاكروه فى مابقى فى كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسم ونفس من ابد الى الابد ابد الدنيا وابد الآخرة واكثر من ذلك لاينقطع اوله ولاينفد اخره -

ومنها دعاء ابراهيم بن ادهم روى ابراهيم بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء اذا اصبح واذا امسى مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب الشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتبا لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال فى خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبى مستغفرا ولربوبية الله عزوجل خاضعا ولسوى الله عزوجل فى الالهية جاحدا والى الله سبحانه وتعالى فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله عزوجل منيبا اشهدالله واشهد ملائكته ورسله وحملة عرشه ومن خلقه وماهو خالقه بأنه هوالله لااله الاهو وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وان الجنة حق وان النار حق والحوض والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور على ذلك احيا وعليه اموت وعليه ابعث ان شاء الله اللهم أنت ربى لارب لى الاانت خلقتنى وانا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذبك اللهم من شركل ذى شر اللهم انى

ظلمت نفسى فاغفر لى انه لايغفر الذنوب الا انت واهدنى لأحسن الاخلاق فانه لايهدى لأحسنها الا انت واصرف عنى سيئها فانه لايصرف سيئها الا انت لبيك وسعديك الخير كله بيديك انا لك واليك أستغفرك واتوب اليك آمنت اللهم بما ارسلت من رسول وآمنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتم كلامى ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله اجمعين آمين يا رب العالمين اللهـم اوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيئا لا نظمأ بعده ابدا واحشرنا فى زمرته غير خزايا ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمنى من فتن الدنيا ووفقنى لما تحب وترضى وأصلح لى شأنى كله وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولا تضلنى وان كنت ظالما سبحانك سبحانك يا على ياعظيم يارب يابر يارحيم يا عزيز يا حنان سبحان من سبحت له السموات بأكنافها وسبحان من سبحت له الجبال باصدائها وسبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بابراقها وسبحان من سبحت له الشجر بأصولها ونضارتها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك سبحـانك يا حى يا حليم سبحانك لا اله الا انت وحدك لاشريك لك تحيى وتميت وانت حى لا تموت بيدك الخير وانت على كل شىء قدير ـ

المطلب السادس

فى ادعية مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم والآل والاصحاب محذوفة الاسانيد مما جمعه ابو طالب المكى وابن خزيمة وابن المنذر على ماروى الغزالى فى الاحياء ـ

واعلم ان من اراد حرث الآخرة لابد له من الذكر كما بيناه ومن افضل الاذكار والدعوات المأثورة عن الاخبار فقل فى مفتتح دعواتك اعقاب صلواتك سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ـ وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم

تبيا ثلاث مرات ـ وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه ـ وقل اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى ديني ودنياى واهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى وأقل عثراتى واحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى واعوذ بك ان اغتال من تحتى اللهم لاتؤمنى مكرك ولاتولنى غيرك ولا تنزع عنى سترك ولاتنسنى ذكرك ولاتجعلنى من الغافلين ـ وقل اللهم انت ربى لا اله الا انت خلقتنى وانا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذبك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت ـ وقل اللهم عافنى فى بدنى وعافنى فى سمعى وعافنى فى بصرى لا اله الا انت ثلاث مرات ـ وقل اللهم إنى أسألك الرضا بالقضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذبك ان اظلم او اظلم او اعتدى او يعتدى على او اكتسب خطيئة اوذنبا لا تغفره اللهم انى اسألك الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ماتعلم وأعوذبك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولااعلم وانت علام الغيوب، اغفر لى ماقدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على (كل شيء قدير وعلى كل) غيب شهيد اللهم انى أسألك ايمانا لايرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فى اعلى جنة الخلد اللهم انى أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقربنى الى حبك وان تتوب على وتغفرلى وترحمنى واذا اردت ان تقوم فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى

والفقر

والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك واعوذبك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهديين اللهم اقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك خوفا وأسكن فى نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا واوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة وآخره تكرمة الحمد لله الذى تواضع كل شىء لعظمته وذل كل شىء لعزته وخضع كل شىء لملكه واستسلم كل شىء لقدرته الحمد لله الذى سكن كل شىء لهيبته واظهر كل شىء بحكمته وتصاغر كل شىء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وازواجه وذريته وبارك على محمد وعلى آل محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى رسول الامين وأعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا بما يرضيك عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذبك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك على تب علي انك انت التواب الرحيم وبحلمك عنى اعف عنى انك انت الغفار وبعلمك بى اغفر لى انك انت الرحمن وبملكك لى ملكنى نفسى ولاتسلطها على انك انت الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا اله الاانت عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى انك انت ربى انه لايغفر الذنوب الاانت اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى اللهم ارزقنى رزقا حلالا لا تعاقبنى عليه وقنعنى بما رزقتنى واستعملنى به صالحا تقبله منى أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة يا من لاتضره الذنوب ولاتنقصه المغفرة هب لى ما لايضرك وأعطنى مالاينفعك افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وتوفنى مسلما والحقنى بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة ربنا

عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم، ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، رب اغفر لى ولوالدى وارحمهما كما ربيانى صغيرا، واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات، رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فأنت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل -

انواع الاستعاذة المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم - اللهم انى أعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من ان ارد الى ارذل العمر واعوذ من فتنة الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر اللهم انى اعوذ بك من طمع يهدى الى طبع وطمع من غير طمع ومن طمع حين لا مطمع اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن ومن الهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات اللهم انا نسألك قلوبا اواهة مخبتة منيبة فى سبيلك اللهم انا نسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار - اللهم انى أعوذ بك من التردى واعوذ بك من الهم والغرق والهرم واعوذ بك من ان اموت فى سبيلك مدبرا واعوذ بك من ان اموت فى طلب دنيا اللهم انى اعوذ بك من شر ما علمت وما لم اعلم اللهم جنبنى منكرات الاخلاق والاعمال والادواء

والاهواء اللهم انى أعوذبك من جهد البلاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم انى اعوذبك من الكفر والدين والفقر واعوذبك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال اللهم انى اعوذبك من شر سمعى وبصرى ومن شر لسانى وقلبى وسوء ظنى، اللهم انى اعوذبك من جارالسوء فى دار البقاء فان جارالبادية يتحول اللهم انى اعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذبك من الفقر و الكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرئاء واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيئ الاسقام اللهم انى اعوذبك من زوال نعمتك وتحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم انى اعوذبك من عذاب النار وفتنة النار ومن عذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال واعوذبك من المغرم والمأثم اللهم انى اعوذبك من نفس لاتشبع وقلب لايخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب، اللهم انى اعوذ بك من شر العمر ومن ضيق الصدر اللهم انى اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء -

المطلب السابع

فى الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث

منها دعاء الخروج الى المسجد - اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى لسانى نورا واجعل فى سمعى نورا واجعل فى بصرى نورا واجعل خلفى نورا واماى نورا واجعل من فوقى نورا اللهم اعطنى نورا - وقل اللهم انى اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رئاء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك ان تنقذنى من النار وان تغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا انت - وان خرجت من المنزل لحاجة فقل - بسم الله اعوذبك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل على بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم التكلان على الله - فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفر جميع ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك - وقدم

رجلك اليمنى فى الدخول فاذا رأيت فى المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك - واذا رأيت من ينشد ضالة فى المسجد فقل لارد عليك - امر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم -

ومنها دعاء بعد ركعتى الصبح - اللهم انى اسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى - الدعاء الى آخره قدمر فيما سبق - ومنها دعاء الركوع - اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك اسلمت وعليك توكلت انت ربى خشع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين - وان احببت فقل سبحان ربى العظيم ثلاثا اوسبوح قدوس رب الملائكة والروح - فاذا رفعت رأسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنالك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ماشئت من شيء بعدأهل الثناء والمجد كلنالك عبدلا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولاينفع ذا الجد منك الجد - فاذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك اسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين اللهم سجدلك سوادى وخيالى وبك آمن فؤادي ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسى فاغفرلى انه لايغفر الذنوب الا انت - اوتقول سبحان ربى الاعلى ثلاث مرات فاذا فرغت من الصلاة فقل أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام - وتدعوبسائر الادعية التى ذكرناها هذا عند الشافعى - واماعند ابى حنيفة فلا يزيد فى الركوع على ان يقول سبحان ربى العظيم ثلاثا اوخمسا اوسبعا اوتسعا وفى السجود على ان يقول سبحان ربى الاعلى كذلك -

ومنها دعاء كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهدأن لا اله الاانت استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفرلى انه لايغفرالذنوب الاانت -

ومنها دعاء دخول السوق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهوحى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى اسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم انى اعوذبك من شرها وشر ما

ما فيها

مافيها اللهم انى اعوذبك ان اصيب فيها يمينا فاجرة اوصفقة خاسرة ـ
ومنها دعاء الدين اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك ـ
ومنها دعاء عند لبس الثوب الجديد اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد اسألك من خيره وخير ماصنع له واعوذبك من شره وشر ماصنع له ـ
ومنها دعاء عند التطير اللهم لايأتى بالحسنات الا انت ولايذهب بالسيآت الا انت ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ـ
ومنها دعاء عند رؤية الهلال اللهم أهله علينا بالامن والسلامة والاسلام ربى وربك الله ـ ويقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك اللهم انى أسالك خير هذا الشهر وخير القدر واعوذبك من شر يوم الحشر ـ ويكبر قبل الدعاء اولا ثلاثا ـ
ومنها دعاء هبوب الريح اللهم انى اسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذبك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به ـ
ومنها دعاء اذا بلغك وفاة احد انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلف على عقبه فى الغابرين اللهم لاتحرمنا اجره ولاتفتنا بعده ـ
ومنها دعاء اذا تصدقت بصدقة ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ـ
ومنها دعاء عند الخسر ان عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون ـ
ومنها دعاء عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا، رب اشرح لى صدرى ويسرلى امرى ـ ومنها دعاء عند النظر الى السماء ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار، تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ـ
ومنها دعاء عند صوت الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته
ومنها دعاء عند رؤية الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك ولاتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك ـ
ومنها دعاء عند المطر اللهم سيبا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله سيب رحمة ولاتجعله

سبب عذاب ـ ومنها دعاء عند الغضب اللهم اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم ـ

ومنها دعاء عند الخوف من قوم اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ومنها دعاء عند الغزاة اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل ومنها دعاء طنين الاذن صل اولا على محمد صلى الله عليه وسلم وقل ذكر الله من ذكرني ـ ومنها دعاء اذا استجيبت دعوتك الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات واذا ابطأت استجابة دعوتك فقل الحمد لله على كل حال ـ ومنها دعاء عند اذان المغرب اللهم هذا استقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور صلواتك أسالك ان تغفر لي ـ

ومنها دعاء اذا اصابك هم ـ اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك نافذ في قضاؤك اسألك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته في كتابك او اعطيته احدا من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال هذا الا اذهب الله عز وجل همه وابدله مكانه فرحا فقيل يا رسول الله أفلا نتعلمها فقال صلى الله عليه وسلم بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها ـ

ومنها دعاء اذا وجدت وجعا في جسدك او جسد غيرك فارق برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى انسان قرحة او جرحا وضع سبابته في فيه وجعلها على الارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا باذن ربنا ـ واذا وقع في جسدك فضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر ـ

ومنها دعاء اذا اصابك كرب لا اله الا الله العلي الحكيم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والارض والعرش الكريم ـ

ومنها

ومنها دعاء عند النوم فتوضأ اولا ثم توسد يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله اربعا وثلاثين وسبحه ثلاثا وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين ثم قل اللهم إنى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذبك منك اللهم لااستطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيا واموت اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان اعوذبك من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة ربى آخذبنا صيتها انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنى الدين وأغننى من الفقر اللهم انك خلقت نفسى وانت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها فاحفظها اللهم إنى اسألك العافية، باسمك ربى وضعت جنبى فاغفر لى ذنبى اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك اللهم اسلمت نفسى اليك وفوضت امرى اليك والجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لامنجا ولاملجأ (منك الا اليك، آمنت) بكتابك الذى انزلت ونبيك الذى ارسلت - ويكون هذا آخر دعائك فقد امر صلى الله عليه وسلم بذلك - وليقل قبل ذلك - اللهم ايقظنى فى احب الساعات اليك واستعملنى باحب الاعمال لديك وتقربنى اليك زلفى وتباعدنى من سخطك بعداً أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفرلى وأدعوك فتستجيب لى -

ومنها دعاء يدعى به عند الصباح اذا استيقظت من نومك الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابراهيم عليه السلام حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور اللهم انا نسألك ان تبعثنا فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذبك ان نجترح فيه سوءا ونجره الى مسلم فانك قلت وقولك الحق (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى) اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر

حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا و بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ـ

ومنها دعاء يقوله اذا امسى يقول الدعاء المذكور الا انه يقول أمسينا ويقول مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة ربى آخذ بنا صيتها ان ربى على صراط مستقيم ـ

ومنها اذا نظرت فى المرآة الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين ـ

ومنها دعاء اذا اشتري خادما اوغلاما او دابة فخذبنا صيته وقل اللهم انى اسألك خيره وخير ما جبل عليه واعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه ـ

ومنها دعاء اذا هنأت بالنكاح بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير ـ

ومنها دعاء اذا قضيت الدين فقل للقضى له بارك الله لك فى اهلك ومالك ـ انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه ادعية لا يستغنى سالك سبيل الآخرة عن حفظها وما سوى ذلك من ادعية السفر والصلاة والوضوء ذكرنا ذلك كله فى كتاب الطهارة والصلاة والحج ـ

المطلب الثامن

فى ادعية مأثورة رواها الشيخ العلامه تاج الدين عبد الوهاب السبكى نقلتها من نسخة منقولة من نسخة منقولة من نسخة منقولة ثلاثا من خط السبكى المذكور ذكر ذلك فى آخر طبقاته الكبرى روح الله روحه ـ

عن وهب بن منبه ان ابن عباس رضى الله عنهما قال له تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء مستجابا تدعو به عند الكرب قال نعم قال اللهم انى اسألك يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين فان لكل مسألة منك جوابا حاضرا عتيدا ولكل صامت منك علما محيطا باطنا مواعيدك الصادقة وايا ديك الفاضلة ورحمتك الواسعة ان

ان تفعل بى كذا وكذا - فقال ابن عباس هذا دعاء علمته فى المنام ما كنت ارى ان احدا يحسنه -

وعن أبى خالد ان العذاب لما هبط على قوم يونس وجعل يحوم على رؤسهم مثل قطع الليل المظلم مشى ذوو العقول منهم الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا انا نزل بنا ماترى فعلمنا دعاء ندعو به عسى الله عزوجل أن يرفع عنا عقوبته فقال قولوا ياحى حين لاحى تحيى الموتى ياحى لا اله الا انت - فكشف الله عزوجل عنهم -

وعن ابن عباس ان عليا رضى الله عنهم سأل النبى صلى الله عليه وسلم يعنى شيئا من الدنيا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده والذى بعثنى بالحق نبيا يا على ما عندى لا قليل ولا كثير لكنى اعلمك شيئا اتانى به جبريل عليه السلام فقال يا محمد هذه هدية من الله عزوجل لم يعطها احدا من الانبياء قبلك وهى تسعة عشر حرفا لايدعو بها ملهوف ولامكروب ولا محزون ولاسرق ولاحرق ولا عبد خاف سلطانا الافرج الله عنه اربعة منها مكتوبة على جبهة جبريل عليه السلام واربعة مكتوبة حول العرش واربعة حول الكرسى قال فكيف ادعو بها يانبى الله قال قل ياعماد من لاعماد له ياسند من لاسند له ياذخر من لاذخر له ياحرز من لاحرز له ياغياث من لا غياث له ياكريم العفو ياحسن البلاء يا عظيم الرجاء يا عون الضعفاء يا منقذ الغرقى يا منجى الهلكى يا محسن يا مجمل يا منعم يا متفضل انت الذى سجد لك سواد الليل ونور النهار وضوء القمر وشعاع الشمس ودوى الماء وحفيف الشجر يا الله لاشريك لك يارب يارب - ثم تدعو بحاجتك وبما بك لاتقوم من مقامك حتى يستجاب لك -

عن عبدالله بن ايوب قال ليعقوب بن داود فى الطواف قلت له احب ان تخبرنى كيف كان سبب خروجك من المضيق قال كنت فى المضيق فاتانى آت فى منامى قال لى يا يعقوب كيف ترى مكانك فقلت وما سؤالك اما ترى ما انا فيه قال قم فأسبغ الوضوء وصل اربع ركعات وقل يا محسن يا مجمل يا منعم يا متفضل يا ذا النوافل والنعم يا عظيم يا ذا العرش العظيم اجعل لى مما انا فيه فرجا ومخرجا -

فانتبهت فحفظت الدعاء فقمت وتوضأت وصليت دعوت به فلما اسفر الصبح جاؤا فاخرجوني -

وعن قدامة بن عتبة العتكي وكان من اصحاب عتبة الغلام قال رأيت عتبة الغلام في النوم فقلت ياعبدالله ماصنع الله بك - قال دخلت الجنة بتلك الدعوات المكتوبة في بيتك فلما اصبحت جئت الى بيتي فاذا بخط عتبة في الحائط يا هادي المضلين ياراحم المذنبين يامقيل عثرات العاثرين -

وعن بعضهم قال اتى الحجاج رجل عزم على قتله فلما دخل تكلم بشيء فخلى سبيله فقيل اى شيء قلت قال قلت ياعزيز يا حميد ياذا العرش المجيد اصرف عني كل جبار عنيد -

وعن حصين كان سعيد بن المسيب يدعو أعوذ بوجه الله الكريم واسمه العظيم وكلماته التامة من شر السامة والعامة ومن شر ما خلقت يا رب ومن شر ما انت آخذ بناصيتها ومن شر الدنيا وما فيها -

وعن عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال حدثني بعض اصحابنا بهذا الدعاء قال كان الصالحون من التابعين يدعون اذا دخلوا على السلطان فيقون(١) به البطش من السلطان وظلمه وهو بسم الله اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اخسئوا فيها ولا تكلمون اخذت قوتك بقوة الله بيني وبينك ستر الله الذي كانت الانبياء يستترون به من سطوات الجبابرة الفراعنة جبريل عن يمينك وميكائيل عن شمالك ومحمد صلى الله عليه وسلم امامك والله عزوجل مطلع عليك يجيرني ويمنعني منك بحوله وقوته -

وعن محمد بن يحيي قال بينما علي كرم الله وجهه يطوف بالكعبة اذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة ينادي يا من لايشغله سمع عن سمع يا من لا يغلطه السائلون يا من لايتبرم بالحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك - قال له علي رضي الله عنه دعاؤك هذا قال نعم قال وقد سمعته قال نعم قال فادع به في دبر كل صلاة (٢) الصبح في مصلاه مائة مرة فليقل بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولا قوة الا بالله العلي

(١) كذا (٢) لعل هنا سقطا -

العلى العظيم ياقديم يا دائم يا حى يا فرد يا وتريا احد ياصمد - وكان مقاتل يقول من دعا بهذا الدعاء فلم يستجب فليلعن مقاتلا فى قبره -

وعن جعفر بن محمد ما من نبى الا وخلف فى اهل بيته دعوة مجابة وقد خلف فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوتين مجابتين اما الواحدة فلشدائدنا واما الآخرى فلحوائجنا - اما التى لشدائدنا يا كائن دائما لم يزل يا الهى يا اله آبائى ياحى ياقيوم اجعلنى لك مخلصا - واما التى لحوائجنا يامن يكفى من كل شيء ولا يكفى منه شيء يا الله يارب محمد صلى الله عليه وسلم ثم تسأل حاجتك -

وعن ابن مسعود رضى الله عنه رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال من اراد أن يوعيه الله حفظ القرآن فليكتب هذا الدعاء فى اناء نظيف بعسل ماذى ثم ليغسله بماء المطر قبل ان يمس الارض وليشربه على الريق ثلاثة ايام فانه يحفظه باذن الله تعالى وهو، اللهم انى اسألك مسؤلا لم يسأل مثلك اسألك بحق محمد رسولك ونبيك وابراهيم خليلك وصفيك وموسى كليمك ونجيك وعيسى كلمتك وروحك واسألك بصحف ابراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى وفرقان محمد واسألك بكل وحى اوحيته وبكل حق قضيته وبكل سائل اعطيته وبكل ضال هديته وغنى اقنيته وفقير اغنيته وأسألك باسمائك التى دعاك بها ادعياؤك وانبياؤك فاستجيب لهم واسألك بكل اسم انزلته فى كتابك واسألك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار وأسألك باسمك الذى وضعته على الليل فاظلم وأسألك باسمك الذى وضعته على الجبال فارست واسألك باسمك الذى وضعته على الارضين فاستقلت واسألك باسمك الذى استقل به عرشك واسألك باسمك الواحد الاحد الفرد الصمد العزيز الذى ملأ الاركان كلها الطاهر المطهر المبارك المقدس الحى القيوم نور السموات والارض عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال واسألك بكتابك المبارك ان ترزقنى حفظ كتابك القرآن وحفظ اصناف العلم وثبتها فى قلبى وسمعى وبصرى وتخلطها بلحمى ودمى وتستعمل بها جسدى فى ليلى ونهارى فانه لاحول ولاقوة الابك -

عن أبى رجاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتد به حلقة البلاء وكانت

ضيقة يقول تضيقى تنفرجى ثم يرفع يديه فيقول بسم الله الرحمن الرحيم لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اياك نعبد وا ياك نستعين اللهم اكفنا بأس الذين كفروا انك اشد بأسا واشد تنكيلا ـ

وعن نعيم بن أبى هند قال كنت جالسا عند يزيد بن أبى مسلم امام الحجاج وهو يعذب الناس فذكر رجلا فى السجن فبعث اليه بغيظ وغضب فأتى به وما اشك ان استنفع (١) به فلما قام بين يديه رأيت الرجل يحرك شفتيه بشىء لم اسمع فرفع رأسه فقال خلوا سبيله اوردوه فقمت الى الرجل وذكرت له القصة وقلت له ما الذى قلت ـ قال قلت هذا الدعاء انى اسالك بقدرتك التى تمسك بها السموات السبع ان يقع بعضهن على بعض ان تكفينيه ـ

وعن البراء بن عازب قال دخلت على على بن أبى طالب ذات يوم فقلت يا امير المؤمنين سألتك بالله الا ما خصصتنى باعظم ما خصك به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما خص به جبريل عليه السلام مما ارسل به اليه الرحمن عزوجل فقال لولا سألت ما نشرت ذكر ما اريد أن استره حتى اضمن لحدى اذا اردت ان تدعو باسم الله الاعظم فاقرأ من اول الحديد ست آيات وآخر الحشر فاذا فرغت فتكلم فقل يا من هو كذا وكذا افعل بى كذا وكذا فوالله لو دعوت به على شقى لسعد قال البراء فوالله لا ادعوبها للدنيا ابدا ـ قال على رضى الله عنه اصبت كذا اوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرانه اذن لى فى الأمر البارح ـ روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه سمع وهويطوف بالكعبة ومعه ولداه الحسن والحسين رضى الله عنهما قائلا فى جوف الليل ـ

يا من يجيب دعا المضطر فى الظلم	يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا	وعين جودك يامولاى لم تنم
هب لى بجودك فضل العفوعن زللى	يا من اليه رجاء الخلق فى الحرم
ان كان عفوك لا يرجوه ذوخطأ	فمن يجود على العاصين بالنعم

فقال على لولديه اطلبا لى هذا القائل فأتياه فقالا اجب امير المؤمنين فاقبل يجر شقه

(١) كذا ـ

حتى

حتى وقف بين يديه فقال قد سمعت خطابك فما قصتك قال انى من أمرى فى ضيق فان تبت لم تقبل توبتى وان سألت لم يقلنى عثرتى - قال له ولم ذلك قال له لانى كنت رجلا مشهورا بالطرب والعصيان وكان والدى يعظنى ويحذرنى مصارع الجهال ويقول لى ان لله سطوات ونقمات وما هى من الظالمين ببعيد فلما الح فى الموعظة حلف ليدعون على ويأتى مكة مستغيثا الى الله عزوجل ففعل ودعا فلم يتم دعاءه حتى جف شقى الايمن فندمت على ما كان منى اليه وداريته وراضيته الى ان ضمن لى ان يدعو لى حيث دعا على فقدمت اليه ناقة فاركبته فنفرت الناقة ورمت به بين صخرتين فمات هناك - فقال لى امير المؤمنين احقا ان اباك رضى عنك - فقلت اللهم كذلك فقام على رضى الله عنه وصلى ركعات ودعا بدعوات اسرها الى الله عزوجل ثم قال يا مبارك قم فقام ومشى ثم عاد الى الصحة كما كان ثم قال لو لا انك حلفت ان اباك رضى عليك مادعوت لك -

وعن جعفر بن محمد الصادق عجبت لامرئ كيف لا يقول ما شاء الله لاقوة الا بالله والله تعالى يقول (لولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لاقوة الا بالله) وعجبت لمن خاف قوما كيف لايقول حسبى الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) وعجبت لمن مكر به كيف لايقول وافوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد والله تعالى يقول (فوقاه سيئات مامكروا) وعجبت لمن اصابه غم كيف لايقول (لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين) الى قوله (فنجيناه من الغم) قال سفيان بن عيينة انه تعالى لما قال (وكذلك ننجى المؤمنين) كان وعد الكل مؤمن من قال لااله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ان ينجيه من الغم والله لايخاف الميعاد -

بخط الشيخ القرطبى قل وانت ساجد اللهم يا لطيف يا لطيف بجميع عباده الطف بى بلطفك الخفى الذى ما لطفته باحد الا كفى - ثم يرفع رأسه ويقول فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم -

ومن كلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي ان اردت كرامتي فعليك بطاعتي والاعراض عن معصيتي فان زللت بغلبة الشهوة وعظيم القدرة فاعلم قربي منك ونظري اليك واحاطتي بك وقدرتي عليك واستنقذ نفسك مني ومن عظيم قدرتي وقل يا موجود قبل كل موجود وهو الآن على ما هو عليه موجود يا اول يا آخر يا ظاهر يا باطن ضاقت على الارض بما رحبت وضاقت على نفسي ولا منجا منك الا اليك فتب علي يا تواب بانك انت التواب الرحيم

ذكر الحافظ ضياء الدين في سيرة الشيخ العابد ابراهيم بن عبد الواحد المقدسي انه قال ما رأيت مثل هذا الدعاء اسرع اجابة يا الله يا الله انت الله بلى والله انت الله لا اله الا انت الله الله الله والله لا اله الا الله —

قال الشيخ تاج الدين عبد الوهاب السبكي سمعت الشيخ الامام الوالد وهو الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي رحمه الله اذا اهتم بأمر قرأ قوله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) الى قوله (ذو فضل عظيم) تسع عشرة مرة عشرين الامرة وكان الوالد يذكر أن هذا مجرب لدواهم الأمور ومعضله —

وجدت في بعض المجامع مرويا باسناد مجهول الى ابي الحسن محمد بن جعفر قال وجدت ببلاد الهند حجرا منقوشا بالعبرانية ببلد سرنديب —

انا الموجود فاطلبني تجدني ... فان تطلب سواي لم تجدني
تجدني اين تطلبني عبيدي ... قريبا منك فاطلبني تجدني
تجدني ماجدا صمدا كريما ... كثير البر فاطلبني تجدني
تجدني مستغاثا بي مغيثا ... انا الجبار فاطلبني تجدني
اذا اللهفان ناداني كظيما ... اقل لبيك فاطلبني تجدني
اذا المضطر قال الا تراني ... نظرت اليه فاطلبني تجدني
انا بالمرء ارحم من اخيه ... ومن ابويه فاطلبني تجدني
فان هو تاب تبت عليه اني ... انا التواب فاطلبني تجدني

أتد

أتذكر ليلة نادبت بشرا ألم أسمعك فاطلبني تجدني
أنا الجبار لا شيء كمثلي أنا الغفار فاطلبني تجدني
أنا الرب الذي يخشون مني جميع الخلق فاطلبني تجدني
وليس يبيحك الفردوس غيري أنا الرزاق فاطلبني تجدني
أتعرف غافرا للذنب غيري أنا الغفار فاطلبني تجدني
سأغفر للعباد ولا أبالي غدا في الحشر فاطلبني تجدني
وأكرم من أريد بغير بخل أنا الوهاب فاطلبني تجدني
وأرحم من يتوب وكان عندي له الاكرام فاطلبني تجدني
نفى مثلي ولم تر قط مثلي وليست تراه فاطلبني تجدني

ولبعضهم وذكر أنه ما ردها من هو في شدة الا وفرجها الله عنه

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استكملت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

ولبعضهم

كم اعقبت نوب الزمان جميلا وكفين خطبا قد أهم جليلا
لا تيأسن من الاله فروحه ان لم يغادك بكرة فأصيلا
وأمل لطائف صنعه فلطالما كشف الهموم وبلغ المأمولا
يارب مكروه تعذر حله ليلا فأصبح عقده محلولا
وبلية أعيا نهارا حلها امست يسهل خطبها تسهيلا

وعن جعفر الخلدى قال ودعت المزين فقلت زودني شيئا فقال ان ضاع منك شيء اواردت ان يجمع الله بينك وبين انسان فقل يا جامع الناس ليوم لاريب فيه اجمع بيني وبين كذا فما دعوت بها شيئا الا استجيب —

وروى ابن أبي الدنيا ان طاوسا قال انى لفى الحجر ذات ليلة اذدخل على بن الحسين فقلت رجل صالح من اهل بيت الخير لأسمعن الليلة الى دعائه فصلى ثم سجد فاصغيت بسمعي اليه فسمعته يقول في سجوده عبيدك بفنائك فقيرك بفنائك سائلك بفنائك

قال طاوس فحفظتهن فما دعوت بهن فى كرب الا فرج عنى -

وروى ايضا عن الحارث الكعبى ان رجلا جاء الى الحسين بن على يستعين به على على فى حاجة فقال له الحسين ان امير المؤمنين قد خلا فى بيت اذا حزبه امر خلا فيه قال فأدنى الى الباب حتى اسمع كلام امير المؤمنين قال فسمعته يقول يا كهيعص يا نور يا قدوس يا حى يا الله يا رحمن رددها ثلاثا اغفر لى الذنوب التى تحل النقم واغفر لى الذنوب التى تغير النعم واغفر لى الذنوب التى تورث الندم واغفر لى الذنوب التى تحبس السقم واغفر لى الذنوب التى تنزل البلاء واغفر لى الذنوب التى تهتك العصم واغفر لى الذنوب التى تعجل الفناء واغفر لى الذنوب التى تديل الاعداء واغفر لى الذنوب التى ترد الدعاء واغفر لى الذنوب التى تمسك غيث السماء واغفر لى الذنوب التى تظلم الهواء واغفر لى الذنوب التى تكشف الغطاء -

سمعت بعضهم يذكر أنه رأى بخط من يعتمد اذا غلب المرء فى مواقعه فليقل فى دبر كل صلاة (رب انى مغلوب فانتصر) مائة مرة -

ومن شعر الشيخ أبى اسحاق الشيرازى صاحب التنبيه ويقال انها ابيات مباركة

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا   وقمت اشكو الى مولاى ما أجد
وقلت يا عدتى فى كل نائبة   ومن عليه لكشف الضر اعتمد
وقد مددت يدى والضر مشتمل   اليك يا خير من مدت اليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة   فبحر جودك يروى كل من يرد

ولابى القاسم السهيلى وقيل ما رددها ذو حاجة ثلاث مرات ويدعو الا استجيب له

يا من يرى ما فى الضمير و يسمع   انت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها   يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن فضله فى قول كن   امنن فان الخير عندك اجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة   فبالا فتقار اليك فقرى ادفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة   فلئن رددت فأى باب اقرع
ومن الذى ادعو واهتف باسمه   ان كان فضلك عن فقيرك يمنع

حاشا

حاشا لفضلك ان تقنط عاصيا الفضل اجزل والمواهب اوسع

ولہ ابيات اخر

قال تاج الدين السبكى كنت اسمع الشيخ الامام اراد والده تقى الدين السبكى رحمهما الله يرددها و يدعو عقيبها و يقول ان الاجابة عقيبها مجربة و انه كان يقول ما سألت الله بها فى شيء الا اعطانيه وهى -

صرفت الى رب الانام مطالبى ووجهت وجهى نحوه ومآربى
الى الملك الاعلى الذى ليس فوقه مليك يرجى سيبه فى المتاعب
الى الصمد البر الذى فاض جوده وعم الورى طرا بجزل المواهب
مجيرى من الخطب المخوف وناصرى مغيثى اذا ضاقت على مذاهبى
مقيل اذا زلت بى النعل عاثرا واسمح غفار واكرم واهب
فمازال يولينى الجميل تلطفا ويدفع عنى فى صدور النوائب
ويرزقنى طفلا وكهلا وقبلها جنينا ويحمينى وبى المكاسب
اذا سدد الاملاك دونى غلقت ونهنه عن غشيانهم زجر حاجب
فزعت الى باب المهيمن طارقا مدلا انادى باسمه غير هائب
فلم الف حجابا ولم اخش منعة ولو كان سؤلى فوق هام الكواكب
كريم يلبى عبده كلما دعا نهارا وليلا فى الدجى والغياهب
يقول له لبيك عبدى داعيا وان كنت خطاء كثير المعايب
فما ضاق عفوى عن جريمة خاطئ وما احد يرجو نداى بخائب
فلا تخش املالا وان كنت مكثرا فعفوى مبذول الى كل طالب
سأسأله ما شئت ان يمينه تسح دفاقا باللهى والرغائب
فحسبى ربى فى الهزاهز ملجأ وحرزا اذا خيفت سهام النوائب

ولابى الفضل يوسف بن محمد التوزرى قصيدة تسمى الفرج بعد الشدة تشتمل على الاسم الاعظم لانها جربت لاستجابة الدعاء وهى -

اشتدى ازمة تنفرجى قد آذن ليلك بالبلج

وظلام الليل له سرج حتى يغشاه أبو السرج
وسحاب الخير له مطر فاذا جاء الابان تجى
وفوائد مولانا جمل لسروح الانفس والمهج
ولها ارج يحيى ابدا فاقصد محيى ذاك الارج
فلربتما فاض المحيى ببحور الموج من اللجج
والخلق جميعا فى يده فذوو سعة وذوو حرج
ونزولهم وطلوعهم فالى درك وعلى درج
ومعايشهم وعواقبهم ليست فى المشى على عوج
حكم نسجت بيد حكمت ثم انتسجت بالمنتسج
فاذا اقتصدت ثم انعرجت فبمقتصد وبمنعرج
شهدت بعجائبها حجج قامت بالامر على حجج
ورضا بقضاء الله حجى فعلى مركوزته فعج
واذا انفتحت ابواب هدى فاعجل لخزائنها ولج
فاذا حاولت نهايتها فاحذر اذ ذاك من العرج
لتكون من السباق إذا ما جئت الى تلك الفرج
فهناك العيش وبهجته فلمبتهج ولمنتهج
فهج الاعمال اذا ركدت فاذا ماهجت اذن تهج
ومعاصى الله سماجتها تزدان لذى الخلق السمج
ولطاعته وصباحتها انوار صباح منبلج
من يخطب حور الخلد بها يظفر بالحور وبالغنج
فكن المرضى لها بتقى ترضاه غدا وتكون نجى
واتل القرآن بقلب ذى حزن وبصوت فيه شج
وقيام الليل مسافتها فاذهب فيها بالفهم وجى
وتأملها ومعانيها تأت الفردوس وتفترج

واشرب

واشرب تسنيم مفجرها لا ممتزجا وبممتزج
مدح العقل الآتيه هدى وهوى متول عنه هجى
وكتاب الله رياضته لعقول الخلق بمندرج
وخيار الخلق هداتهم وسواهم من همج الهمج
فاذا كنت المقدام فلا تجزع فى الحرب من الرهج
واذا ابصرت منار هدى فاظهر فردا فوق الثبج
واذا اشتاقت نفس وجدت المًا بالشوق المعتلج
وثنايا الحسنا ضاحكة وتمام الضحك على الفلج
وعياب الاسرار اجتمعت باماناتها تحت الشرج
فالرفق يدوم لصاحبه والخرق يصير الى الهرج
صلوات الله على المهدى الهادى الناس الى النهج
وابى بكر فى سيرته ولسان مقالته اللهج
وابى حفص وكراماته فى قصة سارية الخلج
وأبى عمرو ذى النورين المستحيى المستحيى البهج
وأبى حسن فى العلم اذا وافى بسحائبه الخلج

قال تاج الدين السبكى سمعت غير مرة الشيخ الامام يعنى والده ينشد لنفسه هذين البيتين —

الهى فوضت الامور جميعها اليك فدبرنى بما شئت والطف
وسلمنى اللهم يارب وارحمنى وخذ بيدى وامنن وجد وتلطف

هذا ما اورده السبكى من الدعوات فيما يوجد فى آخر كتاب الدعوات(١) حامدًا لله تعالى خالق الارض والسموات ومصليا على نبيه محمد شفيع الامة فى العرصات وعلى آله وصحبه المتدرجين الى اعلى الدرجات وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول

---

(١) كذا وقد مضى بلفظ — الطبقات وليست هذه الادعية فى طبقات السبكى المطبوع - ح -

ولا قوة الا بالله العلى العظيم - يقول الفقير المعترف بالتقصير كما كتبت هذه الادعية المنظومة تذكرت حرزا منظوما وضعه الشيخ الزاهد أبوعمران موسى الفاسى رحمه الله وقد رأيت ان اثبت ذلك ههنا لما رأيت ان جمع كل شيء الى شكله ونظيره احسن واولى وسماه صاحب النظم المبارك حرز الاقسام لجميع العلل والاسقام يكتب بالزعفران ويبخر باللبان ويلوى عليه بخيط حرير ابيض وتشده على عضدك وانت طاهر تقى وتعتصم تقضى الحاجات ان شاء الله سبحانه وتعالى تبدأ بالبسملة وفاتحة الكتاب والمعوذتين وما يختار من آى القرآن ثم تكتب الحمد وهو هذا المنظوم المبارك الشافى -

بدأت باسم الله فى اول السطر ... فاسماؤه حصن منيع من الضر
وصليت فى الثانى على خير خلقه ... محمد المبعوث بالفتح والنصر
تعوذت بالرحمن فى السر والجهر ... من الشرك والشيطان مادمت فى دهرى
اذا استفتح القراء فى محكم الذكر ... فباسمك يا مولاى استفتح المقرى
ونسألك اللهم من فضلك الرضا ... تحل عقود العسر فى ايسر اليسر
توسلت بالاقسام اسأل راغبا ... ونرغب للرحمن فى السر والجهر
ونرغب فيما يرغب الخلق ساجدا ... الى مالك الاملاك فى النفع والضر
باسمائك اللهم انت الهنا ... بديع السموات المدبر للامر
بجملة ما اثنى عليك اولوا النهى ... من المجد والتعظيم والحمد والشكر
بما لك ربى فى سمواتك العلى ... من الملك والسلطان والعز والنصر
بما سبحتك الخلق بالألسن التى ... تخيرت للتسبيح والحمد والشكر
بذكرك عند العارفين بقدره ... بما قلت فى القرآن بالشفع والوتر
باحصائك الاشياء عدا وخبرة ... بتكسير امواج البحار وبالقطر
بما فى السموات العلى من مقرب ... بمن فى تخوم الارض من ملك نذر (١)
بأنك انت الله خالق ما يرى ... وما لا يرى حتى من الذر فى القفر
سميع بصير عالم متفضل ... يجازى باحسان ويعفو عن الوزر

(١) كذا -

بجملة ما انزلت فى الكتب كلها على الرسل تبيانا لمن كان ذا حجر
بكتبك بالاقلام بالرسل بالنها بتقديرك الاشياء بالنهى والامر
بفضل صلاة الصبح رب وبالضحى بذكر غروب الشمس بالظهر والعصر
برضوان خزان النعيم بمالك معذب اصحاب الجحيم على الجمر
بجملة من لباك من ظهر آدم من المؤمنين الصالحين اولى الطهر
بما نال وفد الله من نصر ربهم بزوار قبر الهاشمى الى الحشر
بجاه النبيين الذي اصطفيتهم اولو الايدى والابصار والعز والفخر
بآدم اذ كرمته واصطفيته وعلمته العلم الذى كان لايدرى
بشيث بادريس بنوح بصالح بهود بلوط بالخليل الذى يقرى
بحرمة اسمعيل صادق وعده باسحاق لاجاء فى كبر العمر
بيعقوب بالاسباط باليسع الرضا بيوسف اعلى الناس فى ارفع الذكر
بيونس الاصفى بصاحب مدين شعيب بالياس بذى الكفل بالخضر
بأيوب ذى البلوى بداود بابنه سليمان من غل الشياطين للحشر
بمن قد قرأ التوراة عن ظهر قلبه وهل كانت التوراة تقرأ عن الظهر
بأى نبى كان فى اى امة الى اى ماقوم فى اى ماعصر
واذ نحن لم نسمع به وبذكره واذ نحن لم نعلم سواه ولم ندر
كذا زكريا انه كان مخلصا بيحيى الحصور السيد الطيب النشر
بموسى بهارون بعيسى بن مريم بكل نبي لست منه على خبر
بآخرهم بعثا باولهم هدى محمد المبعوث بالفتح والنصر
بجاه خليل المصطفى وانيسه فنعم انيس الغار كان أبو بكر
بجاه ابن خطاب أبى حفص الرضا بجاه الشهيد المستجاب أبى عمرو
بجاه على ارفع القوم فى الهدى ومن كعلى فى الهداية والنصر
هما السيدان السابقان الى الهدى شهيدان صهراه فيا اشرف الصهر
بحمزة بالعباس عمى نبينا بفخرهما المنسوب فى ارفع الفخر

بفاطمة الزهراء سيدة النسا بسبطى رسول الله فخرا على فخر
بآل رسول الله كلهم معا بجدهم فوق الفراقد والنسر
باصحابه بالطاهرات نساؤه بعائشة الموصوفة الذكر بالذكر
بطلحة منهم بالزبير بصحبه سعيد وسعد ذى الفضائل والبر
وتاسعهم ذاك ابن عوف رفيعهم بجاه ابن جراح هو الطيب النشر
بما كان فيهم من خصال رضية كزهد أبى الدردا وصدق ابى ذر
باشياعهم بالتابعين باقتدائهم كلهم الاخيار كالانجم الزهر (١)
بما كان يدعو المصطفى فى جهاده بما كان فى المحراب يتلوه من ذكر
بما كان يدعو اول الليل ربه بما كان يدعو عند منصدع الفجر
بشعبان بالشهر الاصم بقدره بحرمة شهر الصوم بالعيد بالفطر
بحق ظنون الواقفين على منى بحق يقين الناس فى سابعة النفر
بميقات موسى بالثلاثين ليلة باتمامها من بعد ذلك بالعشر
بقدر ليالى العشر وهى فضيلة بايام حج الناس بالعيد بالنحر
بما تهب الداعين فى يوم حجهم بما تهب الداعين فى ليلة القدر
بعرشك بالكرسى ندعوك ربنا بلوحك بالاقلام تجرى بما تجرى
بالانجيل بالتوراة انزلتها على كليمك موسى بالصحائف بالزبر
بحق كتاب انت بينت فضله على ما سواه من كتاب ومن سر
باوله ام الكتاب وختمه اعوذ برب الناس من نفثة السحر
بما فى الم ذلك قلته وبآل عمران المعظمة الذكر
بيا ايها الناس اتقوا ربكم (١) بسورة اوفوا بالعقود وبالنذر
بالانعام بالاعراف بالتوبة التى تلى سورة الانفال كالسطر بالسطر
بالانفال والانفال كانت لأحمد وقه ربى عالم السر والجهر
بيونس اذ تتلى بهود بيوسف بسورة ابراهيم بالرعد بالحجر
بمقدار ما فى النحل من ذكر نعمة مننت بها حقا يقينا لمن يدرى

---

(١) كذا بسبحان

بسبحان من اسرى بليل بعبده　　من المسجد الاقصى الى البيت والحجر(١)
بسورة ذكر الكهف ثم بمريم　　بطه بذكر الانبياء على الاثر
وبالحج ثم المؤمنون باثرها　　وبالنور والفرقان يا جابر الكسر
بحق طواسين الثلاث فلم يقف　　سواد على ما فى الفواتح من سر
وبالروم ثم العنكبوت وبعدها　　بلقمان ذى الوعد الصدوق مع الذكر
سألتك بالاحزاب من بعد سجدة　　باسمائك الحسنى بآلائك الزهر
وفى سبأ والحمد لله فاطر　　ضياء يضىء القلب كالقمر البدر
بسورة يس المعظم قدره　　فما هى الا كالقلادة فى النحر
وبالتاليات ثم ص وبعدها　　بسورة تنزيل الكتاب من الذكر
بسبع الحواميم الكريم محلها　　فما هى الا كالعرائس فى الخدر
وبالسورة المذكور فيها محمد　　وانا فتحنا سورة الفتح والنصر
وبالحجرات ثم ق وطورها　　وبالذاريات الذر حاملة الوقر
وبالنجم والرحمن نسأل راغبا　　وباقتربت ادعوك يا كاشف الضر
اذا وقعت يشفى بها كل مؤمن　　ويشفى بآيات الحديد وبالحشر
بسورة ذات الامتحان وفضلها　　بقد سمع اللهم فاعظم بها اجرى
بسورة ذكر الصف والحرب واللقا　　ببنيانك المرصوص فى السر والجهر
بسورة يوم الجمعة الازهر التى　　يحرم فيها الشغل بالبيع والتجر
بسورة اصحاب النفاق وفضلها　　اعوذ نفسى من نفاق ومن غدر
بسورة يوم الجمع يوم تغابن　　به يعلم الخير الخصيص من الشر
بفاتحة التحريم يا ايها النبى　　فيارب اطلق بالطلاق اخا الأسر
سألتك ياذا الملك بالملك سائلا　　بنون بما يتلوه من نفخة الحشر
بنوح بقل اوحى الى سال سائل　　بمزمل ثم القيامة والدهر
بيا ايها المدثر انهض مبلغا　　فانك مبعوث نذير من النذر

(١) كذا والظاهر — الى المسجد الاقصى من البيت والحجر — ح —

وفى نبأ والمرسلات قوارع وسورة ذكر النازعات من الذكر
وفى عبس الوعظ البليغ لوانه يصادف قلب المرء اقسى من الحجر (١)
وبانفطرت ادعوك بالشمس كورت وبالسماء انشقت وادعوك بالفجر
بسورة قوم بالمكاييل طففوا فكالوا عباد الله بالبخس والخسر
سألتك ربى بالبروج وطارق يحط بها وزرى ويشدد بها ازرى
قصدتك بالاعلى وبالبلد الذى بها اقسم الرحمن فى محكم الذكر
بغاشية بالشمس بالليل بالضحى بما فى الم نشرح من الشرح للصدر
وبالتين والزيتون نسأل راغبا (اليك) وبا قرأ باسم ربك والقدر
بلم يكن القصوى بسورة زلزلت بالهاكم والعاديات وبالعصر
بسورة اهل الفيل والهمز قبلها بقارعة والناس سكرى من الذعر
بسورة ايلاف بسورة كوثر وتبت وبالماعون بالفتح والنصر
بسورة ذكر الكافرين بفضل قل هو الله ربى خالق الخلق والامر
وبالفلق العظمى وبالناس بعدها لحفظها أمن من البأس والضر
له الحمد فى الاولى له الحمد فى الاخرى له الحمد اعلانا له الحمد فى السر
له الملكوت الله جل جلاله يقرون بالتوحيد للواحد الوتر
بمن لم يزل فوق الخلائق واحدا بمن اتقن الاشياء فى حكمة تجرى
بمن يكشف الشكوى بمن يصرف البلوى بمن يعلم النجوى ويعفو عن الوزر
بمن قال يا موسى انا الله فاستمع مطيعا لما يوحى ولا تعص فى امرى
وخذ هذه الالواح الخذا بقوة ولا تنس يا موسى بن عمران عن ذكرى
برحمتك اللهم وهى محيطة بما لك يا ربى من العفو والغفر
باسمائك اللهم وهى كريمة تنجى بها داعيك فى البر والبحر
تفضل على المرضى من امة احمد بكشفك عنهم ما شكوه من الضر
اناثا وذكرانا كهولا وشبانا فطيما رضيعا فى الذراع وفى الحجر
وفرج به من كل داء وعلة ومن كل ما يشكوه يا كاشف الضر

(١) كذا ولعله من الصخر —

من العلل التى خلقت بجسومهم (١) كمثل انجاع العين والسن والظهر
ومن حمة اوحمرة او شقيقة ومن وجع فى الرأس والجنب والصدر
ومن شر عين الحاسدين وبأسهم ومن شر ابليس اللعين اخى الشر
ومن شر ما يؤذى ومن شر حاسد ومن شر وسواس يوسوس فى الصدر
ومن نظرة المعيان فى المال كله من الكسب والانعام من كل مايجرى
فيانظرة المعيان بالله فاذهبى بحق الذى تتلوه من طيب الذكر
ولا تقربى من علق الحرز حوله باسماء ربى فى الحديد وفى الحشر
وقد جاء ان العين حق عن النبى وكم صار من انسان بالعين فى القبر
فيارب نح العين عمن شكابها بحق الذى يتلى من السور الغر
ومن يشتكى فى جسمه بتوجع فانت الذى تبلى وانت الذى تبرى
وانت الذى اجبت ايوب اذ دعا فقال الهى مسنى الم الضر
ففرجت عنه الضر منك تفضلا فاصبح ايوب النبى بلاضر
فان كان بالطفل الصغير قرينة تخالطه فى الثدى والمهد والحجر
فانى بما اقسمت من قسم الرضا نعوذ بربى من قرين ومن غدر
وان عسرت عن الولادة حامل فيارب يسر بعد عسر الى يسر
وخفف بهذا الحرز عن كل مثقل من الحاملات الوالدات على طهر
وان كان مصروعا من الجن يشتكى عليه وقوع الصرع فى منتهى الشهر
فأنقذه يا ذا الطول من شر صرعهم بحق النبى المصطفى خاتم النذر
وان كان سلطان يخاف وعيده له صولة فى النهى منه وفى الامر
فانى باسم الله حصنت حاملا كتابى هذا من عدو ومن قهر
وان كان هذا الحرز عند مسافر له سفر فى البر أو لجة البحر
فلا يخل من حرز الصيانة رحله من السارق الغازى وفى ليله يسرى
وان كان هذا الحرز فى رحل تاجر فبارك له فيما يحاول من تجر
بفضل ورزق منك لا بمشقة فانك ذو الفضل العظيم لمن يدرى

(١) كذا.

بكرسيه بالعرش بالنور بالبها وباللوح والاقلام تجرى بما تجرى
بآياته الحسنى بمكنون سره بطه بيس المعظمة الذكر
بما جاء فى القرآن من كل آية الى المصطفى المبعوث بالفتح والنصر
تنجى بها داعيك من كل آفة ومن كل ما يعد وعلى العبد والحر
ومن الم الحمى والبرد بعدها يغطى بما يغطى فيؤلم بالضر
فيا حامل الحرز المبارك والدعا نجوت بحمد الله من جملة الشر
فصنه بما صان النبى محمدا وايده بالنصر فى منتهى بدر
اجبنا بما ندعوك ما قد وعدتنا بكشفك بلوائى لهيف ومضطر
وصل على جبريل فى كل مرة وصل على كل الملائكة الطهر
وصلى على المختار ما ذر شارق وما لاح نجم فى السماء لمن يدرى

وها هنا انتهت قصيدة حرز الاقسام لجميع العلل والاسقام وعددابياتها مائة وخمسة واربعون بيتا ـ

واعلم ان الدعوات المنقولة بين الناس اكثر من ان تحصى لكن لم يعرف لنا صحة اسنادها وصدق روايتها ـ ولنذكر نبذا مما غلب على ظنى صدقه تتميما للفائدة واتماما للمرام وان أدى ذلك الى التطويل فى الكلام والله الموفق ـ

ومن ذلك دعاء الخضر عليه السلام ذكره العلامى فى تفسيره قال روى عن ابن المهاجر قال قدم الخليفة المنصور مكة فكان يخرج من دارالندوة الى الطواف فى آخر الليل يطوف ويصلى ولايعلم به فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فيصلى بالناس فخرج ذات ليلة حتى اسحر فبينا هو يطوف اذسمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم انى اشكواليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فاسرع المنصور فى مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد فارسل اليه فدعاه فأتاه الرسول فقال اجب امير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذى سمعتك تقول من ظهور البغى

والفساد فى الارض ومايحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعى ما امرضنى واقلقنى فنصح للنصور ووعظ وذكر بما يطول شرحها حتى بكى المنصور بكاء شديدا ونحب وارتفع صوته ثم قال ياليتنى لم اخلق ولم اك شيئا وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فخرج وصلى بهم ثم قال للحرسى عليك بالرجل ان لم تأتنى به لأضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا ان لم يوجد فخرج الحرسى فطلب الرجل فبينا هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلى فى بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال ياذا الرجل اما تتقى الله قال بلى قال اما تعرفه قال بلى قال فانطلق معى الى ان يقتلنى ان لم آته بك قال ليس الى ذلك من سبيل قال يقتلنى قال لايقتلك قال فكيف؟ قال تحسن تقرأ قال لا فاخرج من مزود كان معه رقا فيه مكتوب شيئا قال خذه فاجعله فى جيبك فان فيه دعاء الفرج قال فما دعاء الفرج قال لايرزقه الا الشهداء قلت رحمك الله قد احسنت الى فان رأيت ان تخبرنى ما هذا الدعاء وما فضله قال من دعا به صباحا ومساء عدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط فى رزقه واعطى امله واعين على عدوه وكتب عندالله صديقا ولايموت الا شهيدا يقول اللهم لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت ارضك كعلمك ما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شىء لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك واجعل لى من كل هم امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك عن قبيح عملى اطمعنى ان اسألك مالا استحقه بما قصرت فيه ادعوك آمنا وأسألك مستأنسا وانك لمحسن الى وانى لمسىء الى نفسى فيما بينى وبينك تتودد الى وا تبغض اليك ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فجد بفضلك واحسانك على انك انت التواب الرحيم - قال فأخذته فصيرته فى جيبى ثم لم يكن لى هم غير امير المؤمنين فسلمت عليه فرفع رأسه وتبسم ثم قال ويلك تحسن السحر - قلت لا والله يا امير المؤمنين ثم قصصت عليه امرى

مع الشيخ ثم اخذ الرق وامر بنسخه واعطانى عشرة آلاف درهم وقال نجوت ثم قال أتعرفه؟ قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام -

ومن الادعية الصحيحة الاسناد الى جعفر الصادق دعاء مسمى بدعاء الجيب - روى ابن فخر الدين الرومى جمعه فى عمل الليل والنهار عن العلائى ذكره فى كتاب العدة عند الكرب والشدة عن ابن ابى الدنيا فى كتاب الفرج بعد الشدة عن الفضل بن الربيع قال حج الخليفة المنصور سنة سبع واربعين ومائة فلما قدم المدينة قال لى ابعث الى جعفر بن محمد يعنى الصادق رضى الله عنهما وقال قتلنى الله ان لم اقتله فامسكت عنه رجاء ان ينساه فاغلظ فى الثانية فقلت هو بالباب فقال ائذن له فخرجت اليه فلما دنونا من الباب قام فحرك شفتيه فدخل فسلم فقال لاسلم الله عليك يا عدو الله تلحد فى سلطانى وتبغينى الغوائل فى ملكى قتلنى الله ان لم اقتلك - فقال له يا امير المؤمنين ان سليمان اعطى فشكر وان داود (١) ابتلى فصبر ويوسف ظلم فغفر فنكس طويلا ثم رفع رأسه بالطف وقال الى وعندى يا اباعبدالله البرى الساحة السليم الناحية القليل الغائلة جزاك الله من رحم خيرا فتناول يده فأجلسه على مفرشه فدعا بالغالية فطيبه بيده بحيث يقطر ثم قال له فى حفظ وكلاءة يا ربيع الحق ابا عبدالله جائزته وكسوته فانصرف فلحقته بالجوائز السنية فقلت له إنى رأيت قبلك مالم تر ورأيت بعدك ما قد رأيت ورأيتك تحرك شفتيك فما الذى قلت قال انك رجل من اهل البيت ولك محبة وود وهو دعاء احفظه من آبائى عليهم السلام واسمه دعاء الجيب وينبغى لمن يتوقع بلية اوخوفا ان لا يخلو جيبه عنه وهو، اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام واكنفنى بركنك الذى لايرام وارحمنى بقدرتك على انت ثقتى ورجائى رب كم نعمة انعمت بها على قل لك عندها شكرى وكم من بلية ابتليتنى بها قل لك عندها صبرى فيا من قل عند نعمته شكرى فلم يحرمنى ويامن قل عند بلائه صبرى فلم يخذلنى ويا من رآنى على الخطايا فلم يفضحنى ياذا المعروف الذى لاينقضى ابدا ويا ذا النعم التى لا تحصى عددا، أسألك ان تصلى على محمد وآله كما صليت على ابراهيم انك حميد

(١) كذا ولعله ايوب -

حميد مجيد اللهم انه عبد من عبادك القيت عليه سلطانا من سلطانك فخذ سمعه وبصره وقلبه الى ما فيه صلاح امرى وبك ادرأ فى نحره واعوذبك من شره اللهم اعنى بدينى على دنياى وعلى آخرتى بالتقوى واحفظنى فيما غبت عنه ولاتكلنى الى نفسى فيما حضرته يامن لايضره الذنوب ولاتنقصه المغفرة اغفرلى ما لايضرك وأعطنى ما لاينقصك انك انت الوهاب يا الهى أسألك فرجا قريبا ورزقا واسعا وأسألك العافية من كل بلية وأسألك الشكر على العافية ودوام العافية وأسألك الغنى عن الناس ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم برحمتك يا ارحم الراحمين، قال الربيع فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال موسى فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال ابن يحيى فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال محمد بن هارون فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال القطان فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال أبو الحسين العاقولى فكتبته عنه فها هو فى جيبى وقال الشاشى فكتبته عنه فهاهو فى جيبى وقال جعفر الهمذانى فكتبته عنه فها هو فى جيبى قال أبو الحسين العراقى فكتبته عنه فهاهو فى جيبى وقال شيخ والدى واستاذه الشيخ محمد الفيروزابادى فكتبته عنه فهاهو فى جيبى وقال شيخى واستاذى ووالدى أبو البركات الشيخ فخر الدين الرومى فكتبته عنه فها هو فى جيبى قلت وانا الفقير الحقير تراب قدم الفقراء فكتبته عنه رضوان الله عليهم اجمعين وقد رأيت له اثرا ظاهرا وانتفعت به عدة فعليك ان تنخرط فى هذا السلك بشرط الاعتقاد الصحيح الجازم انتهى - واعلم يا اخى لولاخوف الاطناب لملأت الكتاب من هذا الباب لكنه يكفيك هذا القدر الآن والله المستعان فى كل حين وأوان -

المطلب التاسع

فى فضيلة الدعاء وآدابه

قال الله تعالى (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى) وقال تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) وقال تعالى (وقال ربكم ادعونى استجب لكم) وقال صلى الله عليه وسلم ان الدعاء

هو العبادة ثم قرأ (ادعونى استجب لكم) و قال، الدعاء مخ العبادة ، و قال ليس شيء اكرم على الله من الدعاء و قال ، ان العبد لايخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له و اما خير يعجل له واما خير يدخر له ، و قال، سلوا الله تعالى من فضله فانه يحب ان يسأل و افضل العبادة انتظار الفرج -

اما آداب الدعاء فهى عشرة

الاول ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهر و يوم الجمعة من الاسبوع و وقت السحر من ساعات الليل -

الثانى، ان يغتنم الاحوال الشريفة كزحف الصفوف فى سبيل الله اذ عنده تفتح ابواب السماء و عند نزول الغيث وعند اقامة الصلاة المكتوبة واعقاب الصلوات المفروضة و بين الاذان والاقامة وحالة الصوم وحالة السجود وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات اذ وقت السحر وقت صفاء القلب و يوم الجمعة و يوم عرفة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله تعالى -

الثالث، ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه ويمسح بهما وجهه فى آخر الدعاء وينبغى ان يضم كفيه ويجعل بطونهما مما يلى وجهه و ينبغى ان لا يرفع بصره الى السماء - قال صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او لتخطفن أبصارهم (١) -

الرابع، خفض الصوت بين المخافتة والجهر كذا ورد الاثر عن عائشة رضى الله عنها قالت فى قوله تعالى (ولاتجهر بصلوتك ولا تخافت بها) اى بدعائك -

الخامس، ان لا يتكلف السجع فى الدعاء فان السجع تكلف ولا يناسب ذلك فى محل التضرع - وقيل معنى قوله تعالى (انه لا يحب المعتدين) التكلف للاسجاع - والاولى ان لا يجاوز الدعوات المأثورة لانه اذا جاوزها ربما اعتدى فى دعائه فيسأل الله بما لا يقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن الدعاء - و يقال ان العلماء

(١) كذا والحديث فى صحيح مسلم بلفظ - لينتهين اقوام عن رفعهم ابصارهم عند الدعاء فى الصلاة الى السماء الخ -

والا

والابدال لايزيد احدهم فى الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد بذلك آخر سورة البقرة فان الله عزوجل لم يخبر فى موضع من ادعية عباده باكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع فى الدعاء بحسب احدكم ان يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذبك من النار وما قرب اليها من قول وعمل - واعلم ان المنهى عنه هوالتكلف للسجع - واما اذا كان غير متكلف وصدرعن طبع فلا نهى عن ذلك - ووقع عن النبى صلى الله عليه وسلم أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ماتريد - وبالجملة اصل الدعاء الضراعة والابتهال - فينبغى ان يتحفظ عما ينافيه من الكلفة من السجع وغيره وان لم يخل بها فلابأس -

السادس، التضرع والخشوع والرغبة والرهبة كما هو شأن الدعاء -

السابع، ان يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم اذا دعا اللهم اغفرلى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت فانه لامكره له - وقال اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله لايتعاظمه شيء - وقال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله عزوجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل -

الثامن، ان يلح فى الدعاء ويكرره ثلاثا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا دعا ثلاثا وينبغى ان لايستبطىء الاجابة فيقول قد دعوت فلم يستجب لى بل يقول الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات اذا تعرف الاجابة ومن ابطأعنه الاجابة يقول الحمدلله على كل حال -

التاسع يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى ولايبدأ بالسؤال وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستفتح بقوله سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب - وقال ابوسليمان الدارانى من اراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يختم بالصلاة عليه فان الله عزوجل يقبل الصلاتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما - كذا ورد فى الخبر ايضا -

العاشر ـ وهو الادب الباطن والاصل فى الاجابة ان يتوب عن الذنوب ويرد المظالم ويقبل على الله عزوجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب فى الاجابة

المطلب العاشر

فى فائدة الدعاء مع انه لامرد للقضاء

واعلم ان من القضاء ردالبلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب الخروج النبات من الارض وكما ان الترس يدفع السهم فيتد افعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله عزوجل ان لايحمل السلاح وان لا تسقى الارض بعد القاء البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت بل الله تعالى ربط الاسباب بالمسببات ويقال له القضاء الاول الذى هو كلمح البصر وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذى قدرالخير قدره بسبب والذى قدر الشر قدره بسبب وقدر لدفعه سببا ايضا فلاتناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته على ان فى الدعاء فى نفسه فائدة العبادة وثواب الذكر والخير العاجل ولا يخلو اصلا عن طائل والله المجيب وانا السائل اسأل منه الاقتفاء بأعظم الوسائل محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات وعلى آله واصحابه وذريته واحبابه ـ

الاصل العاشر

فى تقسيم الاوراد وفضيلتها واحكامها

واعلم ان السالك لطريق الآخرة اماعابد اوعالم او متعلم اودال اومحترف أو موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره ففيه مطالب ـ

المطلب الاول

فى ترتيب اوراد العابد المتجرد لعبادةالله عزوجل فلنذكر اولا فضيلةالاوراد قال الله تعالى (واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ـ وسبحه ليلا طويلا) وقال تعالى

(وسبح

(وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود) وقال تعالى (اقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات) الى غير ذلك من الآيات واعلم ان فى النهار سبعة اوراد مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ورد، ومنه الى الزوال وردان، ومنه الى العصر وردان، ومنه الى المغرب وردان - وفى الليل اربعة اوراد، من المغرب الى نوم الناس وردان وفى النصف الاخير الى الفجر وردان، ثم ورد خامس وهو ورد النوم -

والاول ورد الصبح وفضله كثير فى الآيات منه قوله تعالى (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس) وقوله (واذكر اسم ربك بكرة واصيلا) فاذا انتبه من النوم يدعو بدعاء الاستيقاظ وقد مر ويلبس ثوبه وهو فى الدعاء وينوى به ستر عورته امتثالا لامر الله تعالى واستعانة على عباده(١) من غير قصد رئاء ورعونة ثم يباشر الطهارة على ما مر ثم يستاك ويتوضأ على ما مر ثم يصلى ركعتى الفجر فى منزله ثم يدعو بدعاء ابن عباس اللهم انى اسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى الى آخر الدعاء وقد مر ذكره ثم يخرج ويدعو بدعاء الخروج ويمشى بالسكينة والوقار ويدخل المسجد ويذكر دعاء الدخول ثم يطلب الصف الاول ان وجد فرجة ولا يتخطى الرقاب ولا يزاحم ثم يصلى ركعتى الفجر ان لم يصلها فى البيت ويدعو بما يدعى بعدها وقد سبق وان كان صلاها صلى ركعتى التحية وجلس منتظرا للجماعة فانه بمنزلة غزوة فى سبيل الله كذا ورد فى الآثار والاحب التغليس عند الشافعية وعند الحنفية الاسفار - وينبغى ان لا يترك الجماعة لأنها فرض كفاية عند الشافعية وسنة مؤكدة عندنا ثم يشتغل بعد ركعتى الفجر بالدعاء بالاستغفار والتسبيح الى ان تقام الصلاة فيقول أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم واتوب اليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلى الفريضة مع آدابها الظاهرة والباطنة ثم يقعد فى مصلاه الى طلوع الشمس ويشتغل عند ذلك بأربعة انواع - احدها الدعاء ويقول اولا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انت السلام واليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وادخلنا دار

(١) كذا والظاهر - عبادته - ح -

السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم يقول سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا اله الا الله لا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ـ ثم يبتدئ ويدعو بالادعية المذكورة كلا اوبعضا بقدر طاقته ومايراه اوفق لحاله وارق لقلبه واخف على لسانه ـ

ثانيها ـ الاذكار المكررة ثلاثا اوسبعا واكثرها مائة اوسبعين واوسطها عشر ويكرر بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر اكثر الا ان القليل مع المداومة افضل واشد تأثيرا فى القلب من غير مداومة وتلك الاذكار عشر ـ

الاولى ـ لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، الثانية ـ سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم، الثالثة ـ سبوح قدوس رب الملائكة والروح، الرابعة ـ سبحان الله العظيم وبحمده ـ

الخامسة ـ استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم واسأله التوبة ـ

السادسة ـ اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ـ

السابعة ـ لا اله الا الله الملك الحق المبين، الثامنة ـ بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم ـ

التاسعة ـ اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وعلى آل محمد ـ

العاشرة ـ اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اللهم انى اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ـ فهذه عشر كلمات اذا كرر كل واحدة منها عشر مرات حصل له مائة مرة فهو افضل من ان يكرر ذكر واحدة مائة لأن لكل واحدة منها فضلا على حيالها وللقلب لكل منها نوع تلذذ واستراحة وامن من الملال ـ

ثالثها ـ القراءة فالافضل ان يقرأ سورة الحمد وآية الكرسى وخاتمة البقرة من

قوله آمن الرسول وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الآيتين - ولقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخرها - ولقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - الى آخرها والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا وخمس آيات من اول الحديد وثلاث آيات من آخر سورة الحشر - وان اراد أن يستكمل الفضل فليقرأ المسبعات العشر وهى سورة الحمد والمعوذتين وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون وآية الكرسى كل واحدة سبع مرات - ويقول سبعا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم سبعا ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعا وتقول اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له اهل انك غفور رحيم سبع مرات رواها كرز بن وبرة عن ابراهيم التيمى انه اهداها اليه الخضر عليه السلام - وقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم - وقال اذا لقيته فسل عن ثوابه فذكر ابراهيم التيمى انه رأى ذات ليلة فى منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى ادخلته الجنة فرأى فى الجنة امورا عظيمة فقال للملائكة لمن هذا فقالوا للذى يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمارها وسقوه من شرابها - قال واتانى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم على وأخذ بيدى فقلت يا رسول الله ان الخضر أخبرنى انه سمع هذا الحديث منك، فقال صلى الله عليه وسلم صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله تعالى فى الارض فقلت يا رسول الله من فعل هذا او عمله ولم ير مثل الذى رأيت فى منامى فقال والذى بعثنى بالحق انه ليعطى بهذا وان لم يرنى ولم ير الجنة انه ليغفر (له) جميع الكبائر ويرفع الله سبحانه عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى سنة والذى بعثنى بالحق ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا - وكان ابراهيم مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب ولعله كان بعد هذه الرؤيا -

واعلم انه ان اضاف الى ذلك ما انتهى اليه ورده من القرآن كان احسن وافضل - ورابعها الافكار وذلك اما فى المعاملات بأن يحاسب نفسه بأن يتفكر فى تقصيره وفى دفع الصوارف والعوائق عن الخير وطريق الاخلاص فى النيات، واما فى المكاشفات بان يتفكر فى جلال الله تعالى ونقمته فيزداد خوفا اوفى جماله ونعمته ويزداد شكرا والفكر اشرف العبادات لأن فيه الذكر و مادة المعرفة اذ الفكر مفتاح المعارف و يحصل من المعرفة التعظيم ومنه المحبة - و ايضا الذكر وان اورث الانس الذى هو نوع من المحبة (فالمحبة) الحاصلة من الفكر اقوى واثبت واعظم أولايرى ان العشق لمن يشاهد جماله بالعين اقوى من العشق لمن كرر على السمع وصفه اذليس الخبر كالعيان -

قال الشاعر

ولكن للعيان لطيف معنى به سأل المعاينة الكليم

ولهذا صاريقين العارفين الذين شاهدوا ذلك الجمال والجلال بعين البصيرة الباطنة التى هى اقوى من البصر الظاهر اجل واعظم من يقين العباد المواظبين على ذكر الله بالقلب واللسان اذليس معهم من محاسن الصفات الا امور جميلة (١) لاتشفى العليل ولاتسقى الغليل الا الاقل من القليل الذين قنعوا من اليقين بالدليل -

الورد الثانى وهو الذى من طلوع الشمس الى ضحوة النهار وهى منتصف مابين الطلوع الى الزوال وذلك لمضى ثلاث ساعات من نهار يكون اثنتى عشرة ساعة اذهى ربع النهار وفى هذا الربع وظيفتان -

احداها صلاة الضحى وهى نوعان احدهما وقت اشراق الشمس وهو وقت ظهور نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات الارضية المانعة عن اشراق نورها وهذا ركعتان وقد مرذكرها ويسميان صلاة الاشراق - وثانيها وقت اشتداد حرالشمس اذا رمضت الفصال وهوالضحى الاعلى فيصلى عند ذلك اربعا اوستا اوثمانيا ويسمى ذلك صلاة الاوابين - خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون عندالاشراق فنادى بأعلى صوته ألاان صلاة الاوابين اذارمضت

الفصال

(١) كذا ولعله - جملية - ح -

الفصال ـ ولذلك يقال اذا اقتصر على واحد من النوعين فهذا الوقت افضل ـ وثانيها ـ الخيرات المتعلقة بالناس التى جرت بها العادة بكرة من عيادة مريض اوتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وقضاء حاجة لمسلم ونحو ذلك ـ فان لم يوجد شيء من امثال هذه عاد الى الوظائف الاربع التى قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلاة تطوعا اذحينئذ تحل الصلاة ـ الورد الثالث من ضحوة النهار الى الزوال فالصلاة فى كل ساعة مستحبة اومفروضة من الصبح الى الضحوة ثلاثا ومنها الى الزوال ثلاثا وكذا منه الى العصر ومن العصر الى المغرب فالضحى نظير العصر الا انه لم يفترض لأنه وقت اشغال الناس ومعاشهم فخفف عنهم فوظيفة الوقت المذكور الاقسام الاربعة ويزيد امرين احدها الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش فان كان تاجرا يحضر السوق وسنذكر شرائطه ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه ـ وثانيها القيلولة وهى سنة ليستعين بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة ليستعين به على صيام النهار فان كان لايقوم بالليل لكن كان بحيث لولم ينم لاشتغل بالتحدث مع الناس فالنوم احب اليه وكذا لوكان بحيث لا ينشط بدون النوم للاذكار والوظائف المذكورة فنومه على النيتين المذكورتين يصير قربة ولكن ينبغى ان ينتبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة وحضور المسجد قبل وقت الصلاة وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو افضل اعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس واشتغالهم بهموم الدنيا فالخدمة عند اعراض العبيد عن باب مولاهم جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته ولهذا المعنى صار احياء الليل قربة وفضلا ـ

الورد الرابع ـ مابين الزوال الى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته وهو اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا حضر المسجد قبل الزوال فليصبر الى فراغ المؤذن عن جواب اذانه ثم ليقم الى احياء مابين الاذان والاقامة وهذا هو المراد بقوله تعالى (وحين تظهرون) وليصل اربع ركعات لايفصل بينها بتسليم وليطولها اذ فيها تفتح ابواب

النساء وليقرأ فيها سورة البقرة اوسورتين من المئين اواربعا من المثانى فهذه ساعة يستجاب فيها الدعاء - واحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلى الظهر بجماعة ثم يصلى بعده ركعتين ثم اربعا يقرأ فيها آية الكرسى وآخر البقرة والآيات التى اوردناها فى الورد الاول -

الورد الخامس - ما بعد ذلك الى العصر فيعتكف ما بينهما فى المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة وفنون الخير وكان ذلك سنة السلف لأنه وقت غفلة الناس لكن ان كان البيت اسلم لدينه واجمع لهمه فهو افضل - وفى هذا الوقت يكره النوم اذ يكره نومتان بالنهار وهذا الوقت هو المراد بالآصال فى قوله تعالى (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) واعلم ان اعتدال النوم ثمانى ساعات بالليل والنهار اللذين هما جميعا اربع وعشرون ساعة وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار ولا يزيد عليه فحسب ابن آدم ان عاش ستين ان ينقص من عمره عشرين سنة وهو ثلث عمره ولكن لا ينقص منه لئلا يختل البدن فيضيع طاعته وكماله الا ان يتعود السهر بالتدريج ويتمرن عليه من غير اضطراب - وقد شاهدنا ذلك فى بعض العباد مع قوة ابدانهم فى العبادات -

الورد السادس - بعد دخول وقت العصر وليس فى ذلك صلاة غير اربع ركعات بين الاذان والاقامة ثم يصلى العصر ثم يشتغل بالوظائف الاربع المذكورة وان اشتغل بالتلاوة وبتدبر كان افضل -

الورد السابع - وقت اصفرار الشمس وهو المراد بقوله (فسبحان الله حين تمسون) فيستحب فيه الدعاء والتسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكر فى الورد الاول مثل ان يقول أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأسأله التوبة، وسبحان الله العظيم وبحمده، ويستغفر ويقول (واستغفروا ربكم انه كان غفارا)(واستغفره انه كان توابا) رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين - فاغفرلنا وارحمنا وانت خير الغافرين الراحمين - ويستحب ان يقرأ قبل الغروب والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس وهو فى الاستغفار كما قال تعالى (واستغفر

لذنبك

لذنبك - وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك - الدعاء كما سبق ثم يجيب المؤذن ثم يشتغل بصلاة المغرب وبذلك انقضت مرحلة من عمره - فحينئذ يحاسب نفسه هل كان شرا من امسه فكان من الملعونين فعند ذلك فليعزم على تلافى ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيآت والليل خلفة النهار فيداوي تفريطه بالليل اوساواه فكان من المغبونين لأن من استوى يوماه فهو مغبون - قال النبي صلى الله عليه وسلم لابورك لى فى يوم لاازداد فيه خيرا فان رأى زيادة فى خيره فليحمد الله عزوجل وليشكره على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وليحضر فى قلبه ان نهار العمر له غروب ولاطلوع بعده فيغلق باب التدارك فيبادر الى الخيرات قبل فواتها -

بيان اوراد الليل وهي خمسة -

الاول الاشتغال باحياء ما بين العشائين الى غيبوبة الشفق وهى المراد فى قوله تعالى(ان ناشئة الليل) وليحذر عن النوم فى ذلك الوقت ويصلى بعد المغرب ركعتين يقرأ فيهما قل ياايها الكافرون وقل هوالله احد من غير تخلل كلام وشغل عقيب صلاة المغرب ثم يصلي اربعا يطيلهن ثم يصلى ما تيسر له الى غيبوبة الشفق فان كان منزله قريبا من المسجد فلابأس ان يصلى هاتين الصلاتين فى بيته اذا لم يكن قصده العكوف فى انتظار العتمة - وان قصد ذلك فهو افضل ان لم يدخله التصنع والرئاء والسمعة -

الورد الثانى من وقت العشاء الى حد نوم الناس وهو بمراعاة امور ثلاثة - الاول ان يصلى بين الاذان والاقامة اربع ركعات ويصلى بعد الفرض ركعتين ثم اربعا ويقرأ فيهما آخر البقرة وآية الكرسي واول الحديد وغيرها - الثانى ان يصلى ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر - والحزم تقديمه على النوم اذربما لايستيقظ ويثقل عليه القيام الا ان يعتاد ذلك فالتأخير افضل وليقرأ فى هذه الصلاة قدر ثلاثمائة من السور التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل سورة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة فان

لم يصل فلا يدع قراءة هذه السورة بعضها قبل النوم - روى ان ما كان يقرأ النبي صلى الله عليه وسلم فى كل ليلة السجدة وتبارك الملك وفى رواية الزمر وبنى اسرائيل - وفى رواية كان يقرأ المسبحات كل ليلة ويقول فيها آية افضل من الف آية - وبعض العلماء يزيدون سبح اسم ربك الا على لانه صلى الله عليه وسلم كان يحب هذه السورة وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الوتر سبح اسم ربك الا على وقل يا ايها الكافرون وسورة الاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات - الثالث الوتر قبل النوم والتأخير افضل لمن وثق بالانتباه ويقول بعد السلام من الوتر سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارضين بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت - الورد الثالث النوم وانه من العبادة ان روعيت آدابه - وورد فى الحديث اذا نام العبد على طهارة وذكر الله عزوجل يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل فى شعاره ملك فان تحرك فى نومه فذكر الله عزوجل دعا له الملك واستغفر له - وفى الخبر اذا نام العبد على طهارة رفعت روحه الى العرش - هذا فى العوام فكيف فى العلماء وارباب القلوب المكاشفين بالاسرار فى النوم - ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح - وآدابه عشرة الاول الطهارة والسواك اذبذلك عرج بروحه الى السماء فتصدق رؤياه والافتصير اضغاث احلام كذا ورد فى الخبر الا ان المراد طهارة الظاهر والباطن جميعا لانها هى المؤثرة فى انكشاف حجب الغيوب - الثانية ان يعد عند رأسه سواكه وطهوره وينوى القيام للعبادة وكلما انتبه استاك كذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وان لم يتيسر له الطهارة يتيمم فان لم يجد فليقعد مستقبل القبلة ويشتغل بالذكر والدعاء والفكر فذلك يقوم مقام قيام الليل - الثالث ان لايبيت الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يأمن القبض فى النوم - يقال من مات من غير وصية لم يؤذن له فى الكلام فى البرزخ الى يوم القيامة يتزاورون الاموات ويتحدثون فهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية - وذلك مستحب خوفا من الفجاءة

وموت

وموت الفجاءة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم الرابع ان ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لايحدث نفسه بظلم احد ولا يعزم على معصية ان استيقظ - الخامس ان لا يتنعم بالفرش الناعمة بل يترك ذلك اويقتصد فيه - وكان بعضهم يكرهون الفراش المهيأ للنوم وكان اهل الصفة لايتركون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر لتواضع نفوسهم الا ان ذلك فى البلاد الباردة يضر بالمزاج - فالاقتصاد فيها ان(لا) يعين للنوم فراشا بل ينام على ما يقعد عليه فى النهار اى شىء كان - السادس ان لاينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه - وقد كان السلف نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة الا ان يقصد به الاستعانة على قيام الليل وان غلبه النوم عن الصلاة اوالذكر وصار لايدرى مايقول فلينم حتى يدرى مايقول - قال صلى الله عليه وسلم لاتشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده (يغلبه) فلاتبغض اليك عبادة الله عزوجل - السابع ان ينام مستقبل القبلة اما كهيئة المحتضر بان يستلقى على قفاه ورجلاه الى القبلة اوكهيئة المقبور بان ينام على جنب ووجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على الايمن - الثامن الدعاء عند النوم وقد مر ذلك ويستحب ان يقرأ آية الكرسى وآخر البقرة وغيرها (والهكم اله واحد لا اله الاهوالرحمن الرحيم) الى قوله لآيات لقوم يعقلون - يقال ان من قرأ هذا عند النوم حفظ عليه القرآن فلم ينسه - ويقرأ من سورة الاعراف (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) وآخر بنى اسرائيل (قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن) الآيتين فانه يدخل فى شعاره ملك يوكل بحفظه ويستغفر له ويقرأ المعوذتين وينفث بهما فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده وذلك مروى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم - وليقرأ عشرا من اول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآى لاستيقاظ قيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما ارى رجلا مستكملا عقله ينام قبل ان يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات

الاربع مائة مرة - التاسع ان يتذكر عند النوم ان النوم اخو الموت والتيقظ نوع بعث ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة فلابد للنائم وان يفتش عن قلبه عند النوم انه عـلى ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه اوحب الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ماهو الغالب عليه ويحشر عـلى ما يتوفى عليه فان المرء مع من احب ومع ما احب - العاشر الدعاء عند التنبه بما سبق ويقول مهما تنبه من النوم لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض ومابينهما العزيز الغفار - وليجتهد أن يكون آخر ما يجرى على قلبه عند النوم واول ما يجرى على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فان علامة الحب ذلك وليجرب قلبه بذلك فانها علامة تكشف عن باطن القلب -

الورد الرابع يقوم فى السدس الاخير من الليل الى التهجد وهو اسم لما بعد الهجود والهجوع وهو النوم اذ حينئذ يهتز العرش وتنتشر رياح الجنة العدن وينزل الجبار سبحانه الى سماء الدنيا كما ورد فى الخبر فبعد ما فرغ من دعاء الانتباه يتوضأ ثم يستقبل القبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم يسبح عشرا ويحمد عشرا ويهلل عشرا ويقول الله اكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة ثم يقول هذه الكلمات فانها مأثورة عن النبي صـلى الله عليه وسلم فى قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت رب السموات والارض ولك الحمد انت بهاء السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفرلى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسى تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اهدنى لأحسن الاعمـال لا يهدى لاحسنها الاانت واصرف عنى سيئها لايصرف سيئها عنى الا انت اسألك مسألة

اليائس المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلاتجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين - قالت عائشة رضى الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته وقال اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم - ثم يفتتح الصلاة ويصلي خفيفتين (١) ثم يصلي مثنى ما يسر له ويختم بالوتر إن لم يكن صلاه - ويستحب ان يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد في نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى اولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللاتي قبلهما هكذا الى ثلاث عشرة ركعة بالتدريج وسئلت عائشة رضي الله عنها أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم (يجهر) في قيام الليل ام يسر فقالت ربما اسر وربما جهر - وقال صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب اوترت صلاة النهار فاوتر صلاة الليل -

الورد الخامس - السدس الاخير من الليل وهو وقت السحر فيصلي ركعتي الفجر ثم يقول (شهدالله انه لا اله الاهو والملائكة واولوالعلم) الآية ثم يقول وانا اشهد بما شهدالله به لنفسه وشهدت ملائكته واولوالعلم من خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي وديعة عنده وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط عني بها وزرا واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا -

فهذا ترتيب الاوراد للعباد ومع ذلك فقد كانوا يستحيون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة وإن قلت حتى العنبة والبصلة وكسرة خبز وعيادة مريض وشهادة جنازة اذقد ورد في فضل كل منها الاحاديث والاخبار والآثار - واعلم ان الاولى من بين الاوراد قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبر لأنه يجمع جميع انواع الاذكار لكن ربما تعسر المواظبة عليها فيجوز

---

(١) كذا -

للعابد الانتقال من نوع الى نوع لايلحقه فيه الملل اذالغرض تحصيل صفاء الباطن والتحقيق ان احوال الاشخاص متفاوتة فمن واحد يرى الصفاء فى نوع ومن آخر فى غيره فعليه ان يلازم ما وجد عنده فى قلبه فتحا وصفاء وتوزيع الاوراد انما هو لأجل دفع الملل وتجربة لما له فيه الصفاء فاذا اصابه فليواظب عليه وذلك يختلف باختلاف الطبائع وبتفاوت الاحوال وكان فى الصحابة من ورده فى اليوم والليلة اثنى عشر الف تسبيحة وفيهم من ورده ثلاثون الفا وفيهم من يصلى ثلاثمائة ركعة الى ستمائة ركعة والى الف ركعة ولم يكن اقل من مائة ركعة وكان فيهم من يختم فى اليوم مرة ومرتين ومنهم من ورده آية واحدة يرددها بالتفكر الى غيرذلك

المطلب الثانى

العالم الذى ينتفع بعلمه بفتوى او تدريس او تصنيف فترتيب اوراده يخالف ترتيب اوراد العابد لأن العلم افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة ورب مسألة واحدة يصلح بها المتعلم عبادة عمره وانما المراد بالعلم العلم المذكر للآخرة لا العلم الذى يتوسل به الى المال والجاه وقبول الخلق فينبغى للعالم ان يوزع اوقاته والايلحقه الكلال فيخصص مابين الفجر الى طلوع الشمس ومنه الى الضحوة فى الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر وحل مشكلات العلوم الدينية — فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا اكثر واوفر — ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركهما الا فى وقت (١) اوطهارة اومكتوبة او قيلولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع مايقرأ بين يديه من تفسير اوحديث اوعلم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول عمل اللسان والثانى عمل القلب والثالث عمل العين واليد والرابع عمل السمع لتتروح به العين واليد اذ المطالعة والكتابة بعد العصر ربما اضر الى البصر وعند الاصفرار يعود الى عمل اللسان — هذا تقسيم النهار —

(١) كذا —

واما تقسيم الليل فالاولى فيه تقسيم الشافعي حيث جعل الثلث الاول للمطالعة وتربية العلم والثانى للصلاة والثالث للنوم الا ان ذلك ربما لايتيسر فى ليالى الصيف الا اذا كثر النوم بالنهار والا فليجعل المطالعة والصلاة اقل من الثلث وليضم ما فضل منهما الى النوم اذ البدن اذا ضعف يفوت الكمال الكثير - اللهم الا ان يعتاد ذلك بالتدريج وقد شاهدنا من يفعل ذلك -

المطلب الثالث

فى المتعلم والتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم فى ترتيب الاوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة ، والتعليق او النسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف -

المطلب الرابع

فى المحترف الذى يحتاج الى الكسب لعياله فليس له ان يستغرق الاوقات فى العبادات لئلا يضيع له العيال بل ورده فى وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب لكن ينبغي ان لاينسى الله عزوجل فى صناعته فيواظب على ما امكن جمعه مع العمل فاذا فرغ من كفايته يعود الى اوراده -

المطلب الخامس

فى الوالى مثل الامام والقاضى والمتولى لأمر من امور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه ان يشتغل بامور الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه اذ قال مالى وللنوم لو نمت بالنهار لضيعت امر المسلمين ولو نمت بالليل لضيعت نفسي فظهر مما ذكر أن العلم والرفق بالمسلمين مقدمان على كثير من العبادات لتعدى نفعها الى العامة -

المطلب السادس

الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذى اصبح وهمه هم واحد فلا يحب الا الله

عز وجل ولا يخاف ولا يرجو الا منه - فمن ترقت رتبته الى هذا الحد (لا) يحتاج الى ترتيب الاوراد وتوزيعها لأن قلبه مع الله فى كل وقت فلا محرك له ولا مسكن الا الله تعالى ولا تتميز عنده عبادة عن عبادة وهو الذى يستغنى عن تعليم المعلمين فذلك خارج عن خطابنا فى هذا الباب الا انه ينبغى للمريد أن (لا) يدعى لنفسه تلك المرتبة ويتكاسل عن وظائف العبادات وان احاط به حسن الظن بنفسه وألقاه فى العجب فعليه ان يتدارك حاله بما سنذكره ان شاء الله تعالى -

خاتمة فى قيام الليل وهو صنفان اما قبل النوم او بعده

الصنف الاول يسمى صلاة الاوابين وهى ركعتان من واظب عليهما بنى الله له قصرين فى الجنة - قيل يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة عشر آيات من اول البقرة وآيتين من وسطها من قوله تعالى (والهكم اله واحد لا أله الا هو الرحمن الرحيم - ان فى خلق السموات والارض) الآية وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ويقرأ فى الثانية بعد الفاتحة آية الكرسى وآيتين بعدها الى قوله(اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) وثلاث آيات من آخر البقرة من قوله تعالى (لله ما فى السموات وما فى الارض) الى آخرها وقل هو الله احد خمس عشرة مرة - ووصف فى الحديث ثوابها يخرج عن الحصر - وفى رواية اربع ركعات من واظبها عدلت له عبادة سنة وكأنها صليت ليلة القدر - وفى راوية عشر ركعات من واظبها بنى له قصر فى الجنة - ونقل عن كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر عليه السلام علمنى شيئا اعمله فى ليلتى قال اذا صليت المغرب فقم الى صلاة العشاء مصليا من غير أن تكلم احدا وأقبل على صلاتك التى انت فيها وسلم من كل ركعتين واقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد ثلاثا فاذا فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة الاخلاص سبعا ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبعا وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم سبعا ثم ارفع رأسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل ياحى ياقيوم ياذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين

والآخرين يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يارب يارب يارب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وادم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال انى حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء واوحى به اليه وكنت عنده وكان ذلك بمحضر منى فتعلمته ممن علمه اياه — ويقال ان هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليها بحسن يقين وصدق نية رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى انه دخل الجنة ورأى فيها الانبياء ورأى محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء وكلمه وعلمه —

الصنف الثانى — القيام بعد النوم والآيات والاخبار والآثار فى فضله اكثر من ان تحصى ومن الآيات قوله عز وجل (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه) وقوله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما) الآية وقوله جل ذكره (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا الا اعطاه اياه — وقال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم فان قيام الليل قربة الى الله تعالى وتكفير الذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم — وقال لأبى ذر لو أردت سفرا اعددت عدة فكيف سفر طريق الآخرة ألا انبئك ياابا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى فداك ابى وامى قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين او كلمة حق تقولها اوكلمة شر تسكت عنها — ومن الآثار قيل للحسن ما بال المتهجدين من احسن الناس وجوها قال انهم خلوا بالرحمن تعالى فألبسهم نورا من نوره — وقال ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم قيام الليل — وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك — واعلم انك اذا عرفت فضيلتها فعليك ان تعرف الاسباب

المسهلة لقيام الليل وهى اما ظاهرة اوباطنة ــ الاول ان لايكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام ــ الثانى ان لايتعب بدنه بالنهار فى الاعمال فان ذلك ايضا مجلبة للنوم ــ الثالث ان لايترك القيلولة ــ الرابع ان لايحتقب الاوزار بالنهار فانه يحول بينه وبين اسباب السعادة ــ الثانى اربعة ايضا ــ الاول سلامة القلب من الحقد على احد من المسلمين ومن البدع ومن فضول هموم الدنيا لان من كثرهمه فنام ولو استيقظ ــ الثانى خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل لأن ذكر جهنم يطير نوم العابدين ــ الثالث ان يعرف فضل قيام الليل فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى الجنان ــ الرابع وهو اشرف البواعث الحب لله عزوجل وقوة الايمان لان من احب مولاه احب الخلوة به والتذ المناجاة معه ــ واعلم ان محبة الله تعالى لاينكرها الا من ران قلبه بالبدع اوغلب عليه حب الدنيا والا فهى من اعظم اللذائذ ولا لذة فوقها بل لا لذة غيرها وقد شهد العقل والنقل بوجودها ــ اما العقل فان من احب شخصا بسبب جماله اوعالما بسبب كماله كيف يريد رؤيته وسماع كلامه والخلوة به وبمناجاته وليس التلذذ بالنظر الى المحبوب فقط بل يلتذ من وراء ستر اوفى بيت مظلم ولابسماع كلامه فقط اذربما يلتذ مع عرض حاله الى المحبوب وان لم يرولم يتكلم واما النقل فيشهد له احوال المحبين فى قيام الليل وتلذذهم بالمناجاة ومن لم ينتبه بهذا المقدار لايعترف بالتطويل والاكثار ــ فاعلم ان قيام الليل سبع مراتب الاولى ــ احياؤه كلا وهذا شأن الاقوياء ــ الثانية قيام نصفه والاحسن ان ينام الثلث الاول والسدس الاخير ويصير قيامه فى الوسط ــ الثالثة قيام ثلثه بان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر الليل محمود لانه يذهب النعاس بالغداة ويقلل صفرة الوجه التى هى سبب الشهرة ــ وايضا سبب لكشف حجب الغيوب كما يشاهده ارباب القلوب وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود عليه السلام ــ الرابعة ان يقوم سدس الليل او خمسه وافضله ان يكون فى النصف الاخير

وقبل

و قبل السدس الاخير - الخامسة - ان لا يراعى التقدير فان ذلك انما يتيسر
لنبى يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر فاذا كان غيم يقوم اول الليل ثم
ينام وهذا اشد الاعمال وافضلها فتكون له قومتان ونومتان (١) وقد كان هذا
من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طريقة ابن عمر واولى العزم
من الصحابة والتابعين - السادسة وهى الاقل ان يقوم قدر اربع ركعات
اوركعتين او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة مشتغلا بالذكر والدعاء
فيكتب فى جملة قيام الليل برحمة الله وفضله - وقد جاء فى الاثر صل من الليل
ولو قدر حلب الشاة . السابعة ان يقوم بين العشائين ثم يقوم قبل الصبح وقت
السحر وهى ادنى المراتب ويقوم طرفى الليل فقط - ثم اعلم ان الليالى التى يحسن
احياؤها خمس عشرة ليلة فى السنة ستة منها فى رمضان هى اوتار العشر الاخير
اذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبعة عشر من رمضان وهى التى صبيحتها يوم
الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقيل هى ليلة القدر واماالثمانى الاخر
فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة
سبع وعشرين منه وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة قال صلى الله عليه وسلم
للعامل فى هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثنتى عشرة ركعة يقرأ
فى كل منها بعد الفاتحة سورة من القرآن ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم
فى آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة
ويستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه
ما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله الا ان
يدعو فى معصية - فاما ليلة النصف من شعبان فيصلى فيها مائة ركعة ويقرأ بعد
الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لايتركونها - وليلة عرفة وليلة العيدين
قال النبى صلى الله عليه وسلم من احيا ليلتى العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب
واما الايام الفاضلة فهى تسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم
عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وفى الحديث من صام

---

(١) تأمل -

فيه كتب الله له صيام ستين شهرا وهو يوم هبط فيه جبرئيل بالرسالة على محمد صلى الله عليه وسلم ويوم سبعة عشر من رمضان وفيه كانت وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيدين والايام المعلومات وهى عشر ذى الحجة والايام المعدودات وهى ايام التشريق ومن فواضل الايام فى الاسبوع الاثنان والخميس ترفع فيهما الاعمال الى الله عزوجل والله تعالى اعلم بحقائق الامور -

الشعبة الثانية

فى العادات ويتفرع ذلك عن عشرة اصول

الاصل الاول

فى آداب الأكل وفيه مطالب

المطلب الاول

فى احوال المنفرد وهى ثلاثة اقسام

القسم الاول فى آدابه قبل الاكل وهى سبعة الاول ان يكون الطعام حلالا فى الشرع فى نفسه ومن جهة كسبه وطيبا فى الورع وستعرف معنى الحلال الطيب وهو من الفرائض واصول الدين - الثانى غسل اليد قبل الطعام وبعده قال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعد ينفى اللمم - الثالث ان يوضع الطعام على السفرة دون الخوان والموائد لانه اقرب الى التواضع واوفق للسنة وان جاز الأكل على غيرها ايضا - الرابع ان يحسن الجلسة بأن يجثو على ركبتيه ويجلس على ظهر قدميه او ينصب رجله اليمنى على اليسرى كذا فعل صلى الله عليه وسلم وكان يقول انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد ويكره قائما ومتكئا الا ما يتنقل به من الحبوب والشرب متكئا مكروه ويضر المعدة - الخامس ان ينوى بأكله ان يتقوى على الطاعة ليكون اكله عبادة ولا يقصد التلذذ والتنعم ويعزم على التقليل اذ الشبع يمنع العبادة وبه يعرف كون نيته قصد العبادة -

العبادة بان لايمد يده الا وهو جائع ويرفعه قبل الشبع ومن فعل كذلك استغنى عن الطبيب واقوى على العبادة وادنى درجات الأكل واوسطه ماورد فى الحديث ما ملأ آدمى وعاء شر من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس — الخامس ان يرضى بالموجود ويقنع بالحاضر ولاينتظر الزيادة مثلا اذا حضر الخبز لاينتظر الادام — السابع ان يجتهد فى تكثير الايدى على الطعام ولو من اهله وولده لان فيه البركة وكان صلى الله عليه وسلم لايأكل وحده —

القسم الثانى فى آداب حالة الأكل وهو أن يبتدئ ببسم الله ويختم بالحمد لله بل يقول مع اللقمة بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن الرحيم ولو قال مع كل لقمة بسم الله لكان احسن لئلا يصده الشره عن ذكر الله ويجهر ليذكر غيره ويأكل باليمين ويبدأ بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها لم يمد يده الى الاخرى فان ذلك عجلة مذمومة وان لايذم مأكولا وان يأكل مما يليه الا الفاكهة لأنه ليس نوعا واحدا وان لا يأكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطعه ولا اللحم بالسكين ولا يضع على الخبز قصعة ولاغيرها الا ما يؤكل به ولايمسح يده بالخبز اذ ورد الامر فى الحديث باكرام الخبز وانه من بركات السماء واذا كان باللقمة اذى فليمط ذلك وليأكل ولايدعها للشيطان ولايمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدرى فى اى طعامه البركة وورد النهى عن النفخ فى الطعام الحار بل يصبر الى ان يسهل أكله ويأكل من التمر وترا سبعا اوتسعا او احدى عشرة او احدى وعشرين او ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى فى طبق ولا فى كفه بل يجمعه على ظهر كفه ثم يلقيها وكذا ماله عجم او ثفل وان لا يكثر الشرب اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة اوصدق عطشه ويقال ان ذلك مستحب طبا لأنه دباغ المعدة — واما الشراب فأدبه اخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا لاعبا ولا قائما ومضطجعا ويراعى اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر فى

الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ فى الكوز بل ينحيه عن فيه بالحمد ويرده بالتسمية ويشرب فى ثلاثة انفاس ويحمد كل مرة فى اواخرها ويسمى فى اوائلها ويقول فى آخر النفس الاول الحمد لله وفى الثانى يزيد رب العالمين وفى الثالث يزيد الرحمن الرحيم - والكوز وكل ما يدار على القوم يدار يمنة كذا اورده السنة - وقال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب الحمد لله الذى جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا -

القسم الثالث - فى الآداب بعد الطعام وهو أن يغسل يده بعد لعق اصابعه ويلتقط فتات الطعام - قال صلى الله عليه وسلم من أكل ما يسقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده - وقيل انه مهور الحور العين ويخلل اسنانه ويرمى ما خرج الا ما يجتمع بين اصول اسنانه فخرج بلسانه وليتمضمض بعد الخلال وان يلعق القصعة وان يشكر على الطعام بقلبه - وان أكل حلالا قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطعمنا طيبا واستعملنا صالحا - وان أكل شبهة فيقول الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ويقرأ بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش ولا يقوم قبل رفع المائدة - وان أكل طعام غيره فليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل منه خيرا وقنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين - وان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ليطفىء بدموعه وحزنه حر النار التى تعرض لها بقوله صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وليس من يأكل ويبكى كمن يأكل ويلهو، وليقل اذا أكل لبنا خاصا به اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء باللبن لعموم نفعه - وان أكل غير اللبن قال اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه - ويستحب عقيب الطعام ان يقول الحمد لله الذى اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافى من كل شىء ولا يكفى منه شىء اطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت

من

من ضلالة وا غنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما انت اهله و مستحقه - اللهم كما اطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا اللهم اجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به على معصيتك - واما كيفية غسل اليد بالاشنان ان يجعله على كفه اليسرى ويغسل الاصابع الثلاث من اليد اليمنى اولا ويضرب اصابعه على الاشنان اليابس فيمسح به شفتيه ثم ينعم غسل الفم باصبعيه ويدلك ظاهر اسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل اصابعه ظهرا وبطنا ويستغني بذلك عن اعادة الاشنان الى الفم واعادة غسله -

المطلب الثانى

فى آداب الجماعة فى الأكل وهى سبعة

الاول ان لايبتدئ قبل من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل الاان يكون المقتدى فيعجل لئلا ينتظر فيعجل - الثانى ان لا يسكتوا بل يتكلمون بالمعروف وحكايات الصالحين فى الاطعمة وغيرها وانما السكوت من فعل الاعاجم - الثالث ان لايأكل زيادة على رفيقه فان ذلك حرام ان لم يرض رفيقه به والطعام مشترك بل يقصد الايثار ولايأكل تمرتين فى دفعة الا اذا استأذنهم وفعل الكل وينشط رفيقه ويرغبه فى الأكل ان قلل ويقول ولايزيد على ثلاث لئلايكون الحاحا ولايحلف عليه بالأكل لماقال الحسن بن على الطعام اهون من ان يحلف عليه - الرابع ان لايحوج رفيقه الى ان يقول له كل ويحمل عنه مؤنة القول ولا يدع ما يشتهيه فانه تصنع ورئاء بل يجرى على المعتاد ولاينقص عن عادته فى الواحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع الاان يقلل ايثارا لاخوانه ونظرالهم عندالحاجة لانه حسن وان زاد فى الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم فلابأس به بل هو حسن - الخامس - غسل يده فى الطشت واذا قدمه اليه غيره اكراما له فليقبله كما قدم انس الى ثابت فامتنع فقال انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها اليه فانما يكرم الله عزوجل - ويروى ان الرشيد صب على يد أبى معاوية الضرير ثم قال يا ابا معاوية تدرى من صب على يدك قال لا قال صبه امير المؤمنين فقال يا امير

المؤمنين انما اكرمت العلم واجللته فأجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله وينبغي ان يجمعوا الماء في الطشت لأنه اقرب الى التواضع وابعد عن التشبه بالعجم واما الخادم فقد كره بعضهم ان يصب الماء قائما وكره بعضهم جلوسه واما وضع الخادم لذلك ليس بتكبر اذا كانت له نية صالحة اذ الحاجة قائمة والعادة جارية وفي الطشت سبعة آداب ان لا يبزق فيه وان يقدم المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار بمنة وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما وأن يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه ويصب صاحب المنزل الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك على الشافعي في اول نزوله عليه وقال لا يروعك ما رأيت مني فخدمة الضيف فرض — السادس ان لا يراقب أكل صاحبه بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه لئلا يستحيوا ولا يمسك قبل اخوانه الا اذا كانوا (لا) يحتشمون الأكل بعده بل يتوقف اولا ثم يأكل — السابع ان لا يفعل ما يستقذره غيره بان ينفذ يده في القصعة او يخرج شيئا من فيه وان احتاج اليه يصرف وجهه عن الطعام واخذه ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة ولا يغمس ما قطعه بسنه في المرقة والخل ولا يتكلم بالمتقذرات —

المطلب الثالث

في آداب تقديم الطعام الى اخوانه الزائرين وله فضل كثير وفي الخبر لا يحاسب العبد على ما يأكله مع اخوانه وكذا على السحور وما افطر عليه وكانت الصحابة يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وكانوا يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون الا عن ذواق — واما آدابه ان لا يدخل وقت الأكل بلا اذن وفي الخبر من مشى الى الطعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما — واما اذا كان جائعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت أكله فلا بأس به اذ فيه اعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الاطعام وكان ذلك عادة السلف قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي ايوب الانصاري لاجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا وكان لعون بن عبدالله

المسعودي

المسعودى ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم فى السنة ولآخر ثلاثون يدور عليهم فى الشهر ولآخر سبعة فكان اخوانهم يعولونهم بدلا من كسبهم وهم كانوا يتبركون باطعامهم فان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه فله ان يأكل بغير إذنه اذا المراد من الاذن الرضا لاسيما فى الأطعمة وامرها على السعة - فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب وقال تعالى (اوصديقكم) وقد فعله السلف - واما آداب التقديم فترك التكلف اولا وتقديم ما حضر ولايستقرض لأجله وان لم تسمح نفسه فلايقدم وان رأى المحتاج - والتكلف هو أن تزيد على ما تأكله فى الجودة والقيمة وانما يكره لادائه الى كراهة الزائر وملله وانقطاعه عن المجيء اليه - ومن التكلف ان يقدم جميع ما عنده فيؤذى عياله وكان السلف يقولون لاندرى ايهما اعظم وزرا الذى يحتقر ما يقدم عليه اوالذى يحتقر ما عنده ان يقدمه ومن الآداب ان لايقترح ولايتحكم بشيء فربما يشق على المزور احضاره فان خيره اخوه بين طعامين فليختر ايسرهما عليه كذلك السنة الا اذا علم انه يتيسر له اولايكره له الاقتراح - ومن الآداب ان يشهى المزور اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل مايقترح فذلك حسن وفيه اجر وفضل جزيل وكذا لا يقول له هل اقدم لك طعاما بل يقدم ان كان فان أكل والا فارفع -

المطلب الرابع

فى آداب الضيافة وكانت الضيافة سنة ابراهيم الخليل وكان يكنى ابا الضيفان وكان اذا اراد أن يأكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى معه ولصدق نيته فيها دامت ضيافته فى مشهده - ونقل عن قوام الموضع انه لم يخل الى الآن ليلة عن ضيف - وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام - وفيها ستة آداب -

احدها الدعوة فيدعو الاتقياء دون الفساق وقد ورد فى الحديث أكل طعامكم الابرار فى الدعاء لمن دعاه ويقصد الفقراء ولا يخص الاغنياء - وفى الحديث

شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليه الاغنياء ويذاد عنه الفقراء وينبغى ان لايهمل اقاربه فى ضيافته فان اهالهم ايحاش وقطع رحم - وكذا يراعى الترتيب فى اصدقائه ومعارفه لأن تخصيص البعض ايحاش الباقين - وينبغى ان لايقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين - ولا يدعو من يعلم انه يشق الاجابة عليه واذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الاسباب ولا يدعو الامن يحب اجابته -

وثانيها الاجابة فهى سنة مؤكدة وقيل بوجوبها فى بعض المواضع - وفى الحديث لودعيت الى كراع لأجبت ولواهدى الى ذراع لقبلت - ولها آداب خمسة الاول ان لايميز الغنى بالاجابة عن الفقير لأن ذلك تكبر الا اذادعى فخرا او تكلفا فليعلل ولا يجيب - ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك أكلت رزقك وانه سلمه اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه فى قبول الوديعة منه - الثانى لايمتنع عن الاجابة لبعد المسافة ومقدار مسافة الاجابة معلوم من العرف والعادة - وقيل يجيب اذاكان قدر ثلاثة اميال - الثالث ان يحضر ولوصائما تطوعا وينوادخال السرور على قلب اخيه فانه افضل منه الااذا علم من الداعى تكلفا فيتعلل واذا لم يفطر فضيافته الطيب والحديث الطيب - الرابع ان يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة اوالموضع اوالبساط المفروش اوكان فى مكان منكر من فرش ديباج او اناء فضة او تصوير حيوان اوسماع الملاهى اوالهزل اواللعب فان الاجابة عند هذه محرمة اومكروهة وكذا اذا كان الداعى ظالما او مبتدعا اوفاسقا اوشريرا او متكلفا طالبا للمباهاة والفخر - الخامس ان لايقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن بل الاقتداء بالسنة -

وفى الحديث لودعيت الى كراع لأجبت - وينوى التحرز عن المعصية وفى الحديث من لم يجب الداعى فقد عصى الله وينوى اكرام اخيه المؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم من اكرم اخاه المؤمن فانما يكرم الله - وينوى ادخال السرور فى

قلبه

قلبه لقوله صلى الله عليه وسلم من سر مؤمنا فقد سر الله وينوى ايضا سنة الزيارة - ثالثها آداب الحضور فيدخل بلا تصدر بل يتواضع ولا يطول عليهم الانتظار ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل استعدادهم ولا يزاحم الحاضرين فى المكان بل يجلس حيث يأمر صاحب الدعوة ولا يجلس مقابلة حجرة النساء ولا يكثر النظر الى موضع خروج الطعام فانه من الشره ويخص من يقرب منه بالتحية اذا جلس واذا بات الضيف فى منزله فليعرفه القبلة وموضع الطهارة والوضوء ويغسل رب البيت يده اولا قبل الطعام وبعده يتأخر واذا رأى فى البيت منكرا غيره ان قدر والا انكر بلسانه وانصرف كفرش الديباج واوانى الفضة والذهب والتصوير والملاهى وحضور النساء المكشفات الوجوه - ومنها ستر الحيطان بالديباج وعند البعض لا يحرم اذ الحرمة للرجال والجدار ليس منهم واما النظر فلا يحرم كما اذا لبس الحرير الجوارى - ورابعها احضار الطعام وله آداب خمسة الاول تعجيل الطعام فان ذلك سنة ، الثانى ترتيب الاطعمة فتقديم الفاكهة اولى شرعا وطبعا ثم اللحم والثريد لان له فضلا على سائر الاطعمة - وفى الحديث فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام - فان جمع اليه حلاوة فقد جمع الطيبات وتمامها بشرب الماء البارد والماء الفاتر فى غسل اليد - قال المأمون الماء المثلوج يخلص الشكر لله وزينة المائدة بالبقول لخضرتها - ويستحب ايضا ان يقدم من الالوان الطفها حتى يستكفى منها من يريد ويكثر الأكل بعده وعادة المترفهين تقديم الغليظ ليكثر من اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة فى استكثار الأكل - ومن سنة المتقدمين ان يقدموا الالوان جملة دفعة ليأكل كل واحد مما يشتهى وان لم يكن عنده الا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا اطيب منه - الرابع ان لا يبادر الى رفع الالوان بل يمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الايدى - وايضا لا يرفع يده قبل الضيفان بل يكون آخرهم رفعا - الخامس ان يقدم قدر الكفاية اذ النقص منه نقص فى المروءة والزيادة عليه تصنع الا ان يطيب نفسهم بأكلهم الجميع - وفى الحديث انه لا يحاسب عليه - وعن

ابراهيم بن ادهم ليس فى الطعام سرف وينبغى ان يعزل نصيب اهل بيته لئلا تطمع اعينهم الى رجوع شىء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم و تنطلق فى الضيفان السنهم - وايضا رفع الزلة حرام الا اذا صرح بالاذن صاحب الطعام اوعلم انه لا يكره ذلك ومع ذلك ايضا فلا يخص نفسه بما لا يرضى به رفيقه -

خامسها - الانصراف وله آداب ثلاثة الاول من سنة الضيف ان يشيع الى باب الدار كذا ورد فى الحديث وذلك من اكرام الضيف وقد امرنا به وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الكلام عند الدخول والخروج وعلى المائدة - والثانى ان من التواضع ان ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى فى حقه تقصير يحكى ان استاذ الجنيد دعاه صبى الى دعوة ابيه فرده الاب فى اربع مرات وهو يرجع فى كل مرة تطييبا لقلب الصبى فى الحضور ولقلب الاب فى الانصراف فهذه النفوس اطمأنت بالتوحيد وترى الكل من الله الواحد القهار فيتذلل له بالتواضع - والثالث ان لا يخرج الا برضا صاحب المنزل واذنه ويراعى قلبه فى قدر الاقامة واذا نزل ضيفا فلا يقيم فوق ثلاثة ايام لئلا يتبرم به ويحتاج الى اخراجه الا اذا الح رب المنزل عن خلوص قلب فله المقام اذ ذاك -

فوائد متفرقة

الأكل فى السوق دناءة وجوزه البعض والحق انه يختلف باختلاف البلاد والعادات وتفاوت احوال الاشخاص - قال على كرم الله وجهه من ابتدأ غذاءه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه - ومن أكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير فى جسمه شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والشفارجات تعظم البطن وترخى الاثنين ولحم البقرداء ولبنها وسمنها شفاء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفى النفساء بشىء افضل من الرطب - والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم - ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقلل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين

وعن بعض الحكماء لا تنكح الا فتاة ولاتأكل الافتيا ولا تأكل مالم ينضج طبخه ولا تشرب دواء الامن علة ولا تأكل من الفاكهة الا نضيجها ولاتأكل طعاما الا أجدت مضغه - وكل ما احببت من الطعام ولا تشرب عليه فاذا شربت فلاتأكل منه شيئا ولا تحبس الغائط والبول فاذا أكلت بالنهار فنم واذا أكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة وفيه تقول العرب تغد تمد تعش تمش - كما قال تعالى فذ (هب الى اهله يتمطى) اى يتمدد - وقيل حبس البول يفسد الجسد افساد النهر ما حوله اذا سد مجراه - وفى الخبر قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة -

ومن الفوائد الجليلة الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض وقيل الحمية مستحسنة والحق ان الحمية من المضرات نافعة للبدن بلا شك وانما التى تمنع هى الحمية التى يعتادها البدن فاذا تغير عنها ولو بشىء قليل يتضرر بها البدن - ويستحب ان يحمل الطعام الى اهل الميت وهو سنة الاما يهيأ للنوائح والمغنيات فلا يأكل معهن وكذا طعام الظلمة - وقيل اذا صح التوكل لايضر حمل الطعام معه واذا صحت النية لايضر التوسع فى الطعام ، وقد امر أبو على الروذبادى فصنعوا له الحلاوى من احمال السكر على هيئة ابنية ومحاريب واعمدة ثم امر وانتهبها الصوفية قال الشافعى الأكل على اربعة انحاء الأكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلاث من السنة وبما زاد من الشره - وقال اربع تقوى البدن أكل اللحم والطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربع تقوى البصر الجلوس فى حيال القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف الملبس - واربع توهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المرأة والقعود فى استدبار القبلة - واربع تزيد الجماع أكل العصافير وأكل الاطريفل الاكبر وأكل الفستق وأكل الجرجير - والنوم على اربعة انحاء ، نوم الانبياء وهو النوم على القفا يتفكرون فى خلق السموات والارض ، ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ، ونوم على الشمال وهو نوم الملوك لهضم طعامهم ، ونوم على الوجه

وهو نوم الشيا طين - واربع تزيد فى العقل ترك فضول الكلام ، والسواك ، ومجالسة الصالحين والعلماء - واربع من العبادة لا يخطو خطوة الا على وضوء ، وكثرة السجود ولزوم المساجد ، وكثرة قراءة القرآن - وقال ايضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لايموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لا يموت - وقال لم ارشيئا انفع فى الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب -

الاصل الثانى

فى آداب النكاح وفيها مطالب

المطب الاول

فى الترغيب فيه وعنه

واختلف فيه قال بعضهم انه افضل من التخلى لعبادة الله تعالى وبعضهم عكس لكن لمن ليس له توقان يشوش حاله - وقيل الا فضل الترك فى هذا الزمان وبيان الحق فيه يتوقف على تفصيل امر التفضيل - اما الترغيب فيه فبقوله تعالى (فانكحوا الايامى منكم) وهذا امر - وبقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى - وقال من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منى وكان ابن مسعود يقول لولم يبق من عمرى الاعشرة ايام لأحببت ان اتزوج ولا القى الله عزبا - قال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليس من الدنيا لأن عليا رضى الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق الانبياء - وقيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل افضل من سبعين ركعة من عزب - واما الترغيب عنه فبقوله صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لااهل له ولا ولد - وفى الخبر قلة العيال احد اليسارين وكثرتهم احد الفقرين - وقال الحسن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يشغله بأهل ولا مال - وقد ظهر من مساق ما قدمناه ان ما نقل فى الترغيب عنه مشروط

بشرائط

بشرائط بخلاف الترغيب فيه ـ

المطلب الثانی

فی فوائد النکاح وهی خمسة

الاول الولدوهوالاصل الذي وضع لاجله النكاح لئلايخلوالعالم من جنس الانس وانما الشهوة للتلطف فى السياقة الى اقتناص الولد ـ ولما اقتضت الحكمة الازلية ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء عنها لعدم قصورالقدرة الازلية عن ايجاد الاشخاص بيعد الوقاع قدرالولدبالازدواج اتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشيئة وحقت به الكلمة وجرى به القلم ففى تحصيل الولد قربة من اربعة اوجه احدها فضل النكاح والأمن من غوائل الشهوة وموافقة محبةالله فى السعي لبقاء جنس الانسان،وثانيها طلب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم فى من يباهي به ، وثالثها طلب التبرك بدعاء الولد الصالح له بعده ، ورابعها طلب الشفاعة بموت الولد الصغيراذا مات قبله اما الوجه الاول فهوادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير وهواقواها عند ذوى البصائر النافذة فى عجائب صنع الله ومجارى حكمته وذلك لان الله تعالى خلق اعضاء الحراثة واعضاء مهيأة لها وخلق البذروسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الزوجين فمن له بصيرة نافذة يفهم من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهي ليس برقم حروف واصوات ان الصانع الحكيم اراد من عباده الاولاد والنسل ولذلك عظم الشرع الوأدسيما وقد صرح بالامر وباح بالسربان قال تناكحوا تكثروا واياك ان تتوهم التنافى بين محبة الله تعالى وارادة فنائهم لأن ارادة الفناء يمكن جمعها مع كراهته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه عزوجل ما ترددت فى شيء انا فاعله كترددي فى قبض روح عبدي المسلم هويكره الموت وانا اكره مساءته ولابدمنه وفى قوله ولابد من الموت اشارة الى سبق الارادة والتقدير المذكور فى قوله تعالى(نحن قدرنا بينكم الموت) وقوله عزوجل هو(خلق الموت والحياة) وتحقيق هذا المقام خارج عن طوق هذا المختصر لانها داخلة فى

علوم المكاشفة ووراءها سر القدر الذى منع الشرع عن افشائه فظهر من هذا ان من رغب عن النكاح فقد ضيع نسلا ادام الله وجوده من آدم عليه السلام عقب بعد عقب الى ان انتهى اليه حتى ختم الوجود المستدام من وجود آدم على نفسه فمات ابتر لا عقب له الوجه الثانى من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم فلمباهاته بكثرة امته حتى قال خير نسائكم الودود الولود وقال سوداء ولود خير من حسناء لاتلد هذا يدل على ان الاصل من التزوج الولد دون الشهوه لأنها اكمل فى الحسناء وانها املح للتحصين وغض البصر، الوجه الثالث ان يبقى له ولد يدعو له كما ورد فى الخبر ان جميع عمل ابن آدم ينقطع الا ثلاثا ولد صالح يدعو له ــ الحديث الوجه الرابع ان يموت الولد قبله فيكون شفيعا والاخبار فى ذلك كثيرة ــ

الفائدة الثانية التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج واليه وقعت الاشارة فى الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم من نكح فقد احرز نصف دينه فليتق الله فى الشطر الآخر ــ واعلم ان هذه الفائدة دون الفائدة الاولى لأن الغاية الاخيرة أشرف من الغاية المتقدمة فالغاية الاخيرة هى الولد والمتقدمة هى اللذة ومع ذلك ففى اللذة مصلحة اخرى باطنة سوى المصلحة الظاهرة التى هى الولد وذلك ان تستدل المناكح بهذه اللذة العظيمة السريعة الانقطاع الى اللذة الدائمة التى لاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر لتكون باعثة على عبادة الله تعالى فانظر الى هذه الحكمة ثم الرحمة ثم النعمة الالهية كيف غيبت تحت شهوة واحدة حياتين حياة ظاهرة وهى بقاء النسل وحياة باطنة وهى التوسل الى لذة الآخرة سبحان من لم يجعل ذرة من ذرات ملكوت السموات والارض الاجعل تحتها من لطائف الحكم وعجائبها ماتحار فيها العقول وانما ينكشف للقلوب الطاهرة الصافية الراغبة عن زهرة الدنيا وغرورها واغوالها ــ

الفائدة الثالثة النظر الى وجهها والملاعبة معها لان فى ذلك اراحة للقلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول فى الامور وهى عن الخلق (١) نفور لأنه على خلاف

(١) كذا ولعله ــ الخلوــ ح ــ

خلاف طبعها فلو كلفت المداومة جمحت وتأبت واذا روحت باللذات المباحة في بعض الاوقات قويت ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وفي الخبر على العاقل ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فان هذه الساعات عونا على تلك الساعات -

القائدة الرابعة تفريغ القلب عن تدبير المنزل اذ التكفل بجميع اشغال المنزل يضيع اكثر الاوقات ولم يفرغ للعلم والعمل ولذلك قيل المرأة الصالحة ليست من الدنيا قال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى (ربنا آتنا في الدنيا) قال المرأة الصالحة

الفائدة الخامسة - مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن والقيام بتربية الاولاد اذليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الاذى كمن رفه نفسه واراحها - وقد قال صلى الله عليه وسلم ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى في امرأته - وفي حديث آخر ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال - واعلم ان هذه الفائدة للعابدين واما لارباب القلوب فربما يشغلهم العيال عن الكمال -

المطلب الثالث

في آفات النكاح وهي ثلاثة

الاولى - اقواها العجز عن طلب الحلال فان المتأهل ربما يتبع هوى زوجته والحلال ربما يعز عليه فيبيع آخرته بدنياه ويقال ان اهله وعياله يكونون خصماء له في القيامة بانه اطعمنا الحرام ونحن لا نعلمه ولذا قال ابن سالم ترك التزوج افضل في زماننا هذا الالمن له شبق كشبق الحمار ولايملك نفسه اصلا -

الآفة الثانية - القصور عن القيام بحقوقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن وفي هذا ايضا خطر لأن كل احد راع ومسؤل عن رعيته الا ان هذه

ايسر من الآفة الاولى ومع ذلك فهى آفة عظيمة لايسلم منها الاحكيم عاقل يتغافل عن زللهن ويدارى اخلاقهن اذ الاغلب عليهن السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ــ

الآفة الثالثة ــ وهى دون الاولين ان يكون الولد والاهل شاغلين له عن الله تعالى وجاذبا الى طلب الدنيا وتدبير حسن المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر ولست اعنى المال الحرام فان ذلك مما اندرج تحت الاولين بل التنعم بالمباح والامعان فى ملاعبة النساء والاولاد ولايتفرغ للفكر فى الآخرة والاستعداد لها ــ اذا عرفت مجامع الفوائد والآفات فى النكاح فاعتبر هذه الفوائد والآفات واعرض نفسك عليها فان اتفقت فى حقه الآفات بان يكون شابا محبا محتاجا الى التحصين ومنفردا محتاجا الى تدبير المنزل فانظر ان اجتمعت فى حقه الفوائد من المال والخلق الحسن وعدم صد النكاح اياه عن الشغل بالله فعليه النكاح ــ فان اتفقت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة افضل له وان بعض الفوائد مع بعض الآفة فعليه ان يوزن بالميزان القسط فأيهما ارجح فالحكم له مثلا من ليس له حاجة الى كسر الشهوة وكان حظه الولد فقط ولم يتيسر له الكسب الحلال فالعزوبة افضل لأن عدم الولد خير من الطعام الحرام واما ان خاف الزناء مع الكسب الحرام فالنكاح اولى واما اذا خاف النظر الحرام مع الكسب الحرام فالعزوبة اولى لان النظر يقع احيانا فهو اهون الشرين وان أمن النظر ايضا ولكن لم يقدر على دفع وسواس الجماع فالعزوبة اولى لأن عمل القلب اقرب الى العفو من القوت الحرام ــ فان قلت فمن امن الآفات كلها فالافضل له التخلى للعبادة والنكاح قلت يجمع بينهما ان كان من العباد لأن الكسب الحلال لاجل العيال عبادة وان كان من اهل القلوب يشوشه طلب المعاش فالتخلى افضل له ــ فان قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله ولم استكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج مع ان التخلى للعبادة افضل قلت الكلام فى مثل هذه المواضع لايليق بامثالنا الا ان بعضا من العلماء قال الجمع افضل لمن قويت

منته

منته و علت همته و تشمر لذلك كما فعله نبينا صلى الله عليه وسلم حتى كان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته - اما عيسى عليه السلام وان كان الظن به القدرة على الجمع بين النكاح والتخلى للعبادة لكن لعله عمل بالحزم ولم يتشمر لذلك اوعز فى زمانه طلب الحلال والله اعلم باسرار احوالهم -

المطلب الرابع

فى شروط العقد وهى اربعة

الاول - اذن الولى فان لم يكن فالسلطان - الثانى رضا المرأة - الثالث الشاهدان الرابع ايجاب وقبول - وتفاصيل هذه الشروط فى كتب الفقه - واما آدابه فتقديم الخطبة مع الولى بعد العدة بلاخطبة من الغير والخطبة قبل النكاح ومزج التحميد والصلاة بالايجاب والقبول ايضا وان يلقى أمر الزوج الى سمع الزوجة كما يستحب نظر الزوج اليها قبل النكاح ليكون احرى ان يؤدم بينهما واحضار جمع اهل الصلاح سوى الشاهدين - ومنها ان ينوى بالنكاح اقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد لا لمجرد الهوى لئلا يصير من عمل الدنيا -

المطلب الخامس

فى احكام المنكوحة وهى نوعان

الاول ما يعتبر فيها للحل وموانعه تسعة عشر - الاول ان تكون منكوحة للغير. الثانى ان تكون معتدة للغير - الثالث ان تكون مرتدة - الرابع ان تكون مجوسية. الخامس ان تكون وثنية اوزندقية او اهل اباحة - السادس ان تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل اوبعد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بنى اسرائيل فاذا عدمت كلتا الفضيلتين لم يحل نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف - السابع ان تكون رقيقة والناكح حر قادر على طول الحرة الثامن ان يكون كلها اوبعضها مملوكة للناكح ملك يمين - التاسع ان تكون ذات رحم محرمة للزوج - العاشر أن تكون محرمة بالرضاع - الحادى عشر أن تكون محرمة بالمصاهرة - الثانى عشر ان تكون خامسة فى النكاح اوفى العدة -

الثالث عشر أن تجتمع فى النكاح مع امرأة لوكانت ذكرا حرمت الاخرى عليه - الرابع عشر أن تكون مطلقة ثلاثا للزوج - الخامس عشر أن لا تكون ملاعنة للزوج السادس عشر أن لايكون احدا لزوجين محرما - السابع عشر أن تكون ثيبا صغيرة وفيه خلاف ابى حنيفة - الثامن عشر أن تكون دون البلوغ وفيه ايضا خلاف أبى حنيفة - التاسع عشر أن تكون من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهن من امهات المؤمنين وذلك مما لا يوجد فى زماننا هذا -

النوع الثانى الخصال المطيبة للعيش وهى ثمانية - الاولى ان تكون صالحة ذات دين لأنها ان كانت ضعيفة الدين فى نفسها وفرجها ازرت بزوجها وسوّدت بين الناس وجهه وتشوش بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه وكذا ان كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله - الثانية حسن الخلق وذلك اصل مهم فى طلب الفراغ والاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كان ضررها اكثر من نفعها - الثالثة حسن الوجه اذ الطبع لا يكتفى بالدميمة فيفوت غض البصر والنهى عن التزوج للجمال كون الغرض الاصلى الجمال دون الدين لا انه لا يطلب اصلا - الرابعة ان تكون خفيفة المهر لأن ثقلها يفسد مقاصد النكاح وايضا يخالف السنة - الخامسة ان تكون ولودا وقدمر - السادسة ان تكون بكرا ففيها ثلاث فوائد احداها ان الابكار تحب ازواجهن اذ الحب للحبيب الاول ثانيتها انهن مرغوبات عند الازواج فان بعض الطباع تنفر عن التى مستها يد غيره ثالثتها ان البكر لا تحن الى الزوج الاول لما مر - السابعة ان تكون نسيبة من اهل الدين والصلاح اذ للتربية مدخل عظيم فى حسن الاخلاق الثامنة ان لا تكون من قرابته القريبة فان ذلك يقلل الشهوة ومن ذلك يخلق الولد ضاويا اى نحيفا -

المطلب السادس

فى آداب المعاشرة وهى صنفان

الاول ما على الزوج وهى اثنا عشر امرا - احدها الوليمة وهى مستحبة ويستحب التهنئة فيقول الداخل بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما بخير ويستحب اظهار

النكاح — وفى الخبر فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت — وثانيها حسن الخلق وليس هو كف الاذى عنهن بل احتمال الاذى منهن كما كان يفعله النبى صلى الله عليه وسلم ترحما عليهن لقصور عقلهن وكان آخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحسان اليهن — كذا ورد فى الحديث — وثالثها ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهى التى تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجة عقولهن فى الاعمال والاخلاق وذلك مشهور مذكور فى كتب الاحاديث — ورابعها ان لا ينبسط فى الدعابة الى درجة تسقط هيبته لان ذلك يفسد خلقها بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا وفى الحديث تعس عبد الزوجة — قال الشافعى ثلاثة ان اكرمتهم اهانوك وان اهنتهم اكرموك المرأة والخادم والنبطى اراد إن محضت الاكرام ولم تمزجه بالغلظة — وبالجملة قامت السموات والارض بالعدل وكل ما جاوز حده انعكس على ضده والغالب عليهن ركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة — خامسها الاعتدال فى الغيرة بان لا يتغافل عن مبادى الامور التى تخشى غوائلها ولا يبالغ فى اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن — وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتتبع عورات النساء الا انه لا يدخل عليها الرجال ولا هى تخرج الى الاسواق ولا يخرجن الى المساجد الآن وقد كن يخرجن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ الزمان قد تغير وقد اذن لهن ان يخرجن فى الاعياد خاصة ولكن لا يخرجن الا برضا ازواجهن لكن يمنعن من الخروج الى النظارات ومجامع الناس لغلبة الفساد فى زماننا واذا خرجن ينبغى ان يغضضن ابصارهن من وجوه الرجال ووجوههم فى حقهن كوجه الامرد فى حق الرجال حيث يحل النظر اذا لم يحتمل الفتنة والا يكره — سادسها الاعتدال فى النفقة والاقتصار فلا يقتر ولا يسرف وينبغى ان لا يستأثر عن اهله بماكول طيب لان ذلك خارج عن المعاشرة بالمعروف واذا أكل يقعد كل العيال على مائدته ولا يصف عندهم طعاما لا يطعمهم ويجب

عليه اطعام عياله الحلال ويجوز للمرأة التصدق بيقايا الطعام وما يفسد لو ترك وان لم يأذن لها بذلك صريحا اذ الحال شاهد بالاذن - وسابعها ان يعلم زوجته احكام الحيض واحكام الصلاة ويلقنها اعتقاد اهل السنة وان لم يعلم الزوج ذلك فعليه ان ينوب عنها فى السؤال فان لم يفعل فعليها الخروج للسؤال ويعصى الرجل بمنعها وبعد تعلم الفرائض ليس لها طلب الفضل وحضور مجلس الذكر الابرضا زوجها - وثامنها ان يعدل بين نسوته ولا يميل الى بعضهن وان اراد السفر يقرع بينهن وان لم يعدل بينهن جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل كذا فى الحديث فيعدل فى العطاء والمبيت واما الحب والوقاع فلايدخل تحت الاختيار - وتاسعها فى النشوز وهذا ان كان من جانبها معا او من الرجل فلا بد من حكمين احدهما من اهله والآخر من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا امرهما و(ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) وان كان من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا ولكن ينبغى له التدريج فى التأديب يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره فى المضجع او انفرد عنها فى الفراش وهجرها وهو فى البيت من ليلة الى ثلاث وان لم ينجع ضربها ضربا غير مبرح ولايضرب وجهها وله ان يهجرها فى امر الدين الى شهر اوعشر - عاشرها فى آداب الجماع ويستحب ان يبدأ باسم الله ويقرأ قل هوالله احد اولا يكبر ويهلل ويقول بسم الله العظيم العلى اللهم اجعله ذرية طيبة ان كنت قدرت ان يخرج من صلبى - وفى الحديث لوأن احدكم اذا اتى اهله قال اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان - واذا قربت من الانزال فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك (الحمدلله الذى خلق من الماء بشرا) الآية وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع صوته اهل الدار وينحرف عن القبلة اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله بثوب ويغض صوته ويأمر المرأة بالسكينة وفى الخبر لايتجرد ان تجرد العيرين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل ولايجامع فى ثلاث ليال من الشهر الاول والنصف والآخر يقال ان الشيطان يحضر الجماع

فى

فى هذه الليالى ولا يقوم عنها حتى تقضى وطرها من الرجل - والعدل فى الجماع ان يأتيها فى كل اربع ليال ولا حق لها دون الاربع اذ عدد النساء اربعة ثم يزيد وينقص بحسب الحاجة والقدرة - ولا يأتيها فى الحيض لأنه حرام ويورث الجذام فى الولد ويستمتع بجميع بدن الحائض سوى الموضع المكروه فى القبل والدبر وله ان يستمنى ببدنها وان اراد العود بعد الجماع يغسل فرجه ثم يعود وكذا اذا احتلم واراد أن يجامع وان اراد النوم جنبا فليتوضأ وضوءه للصلاة فانه سنة - ويكره العزل عنها واذا قدر الله ولدا لا يمنعه شيء - ويحل العزل فى زوجته برضاها وفى امته مطلقا - الحادى عشر منها آداب الولادة وهى خمسة - الاول ان لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدرى الخير فى ايهما - وفى تربية البنات فضائل تذكر فى الاحاديث - الثانى ان يؤذن فى اذنه اليمنى ويقيم فى اذنه اليسرى - وفى الحديث من فعل كذلك دفعت عنه ام الصبيان - ويستحب ان يلقنوا له اول انطلاق لسانه لا اله الا الله ليكون ذلك اول حديثه والختان فى اليوم السابع ورد به الخبر - الثالث ان يسميه باسم حسن فذلك حق الولد - وفى الحديث احب الاسماء الى الله عبدالله وعبدالرحمن - وقال صلى الله عليه وسلم سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى - قال بعض العلماء ذلك فى عصره اذ كان ينادى يا ابا القاسم - وكره من يكنى ابا عيسى فقال ان عيسى لا اب له وينبغى ان يسمى السقط ويقال انه يطالب اباه ويقول انت ضيعتنى وما سميتنى وان لم يدر أنه غلام او جارية يسمى باسم يجمعها كحمزة وطلحة وعمارة وعتبة وعنبسة ويستحب تبديل الاسماء القبيحة ، بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاصى بعبدالله - وورد النهى فى مثل افلح وبركة اذ يقال ثم بركة ؟ فيقال لا -

الرابع العقيقة فى اليوم السابع عن الذكر بشاتين وتجوز شاة واحدة وعن الانثى شاة واحدة ولابأس ان تكون الشاة ذكرا أو انثى - ومن السنة ان يحلق رأسه اليوم السابع ويتصدق بزنة شعره فضة اوذهبا - الخامس ان يحنكه بتمرة اوحلاوة - الثانى عشر فى آداب الطلاق وانه مباح لكنه ابغض المباحات وليراع فيه اربعة

امور - الاول ان يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه - الثانى ان يقتصر على طلاق واحد ولا يجمع بين الثلاث - والثالث ان يتلطف فى التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف ويطيب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر لما فجعها به من اذى الفراق - الرابع ان لايفشى سرها لاعند النكاح ولا عند الطلاق فقد ورد فى ذلك وعيد عظيم -

الصنف الثانى فى حقوق الزوج عليها - اذ النكاح نوع رق فعليها طاعة الزوج فى كل ما طلب منها فى نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد فى تعظيم حق الزوج عليها اخبار كثيرة فلا تعطى شيئا من بيته الا باذنه ولا تصوم تطوعا الا باذنه والا لا يقبل منها - ولا تخرج من بيته الا باذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب - وأهم الحقوق امران احدهما الستر والصيانة والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وكانت امرأة السلف اوابنته تقول لزوجها اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار - ولاتفرط فى بذل ماله الا الذى يفسد فان اطعمت عن رضا كان لها مثل اجره وان اطعمت بلا رضاه كان له الاجر وعليها الوزر - روى ان اسماء بن خارجة الفزارى قال لابنته عند التزويج انك خرجت من العش الذى منه درجت وصرت الى فراش لاتعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له ارضا يكون لك سماء وكونى له مهادا يكون لك عمادا وكونى له امة يكون لك عبدا لاتلحفى به فيقلاك ولاتباعدى عنه فينساك ان دنا فاقربى منه وان نأى فابعدى عنه واحفظى انفه وسمعه وعينه ولايشم منك الاطيبا ولايسمع الاحسنا ولاينظر الاجميلا - ومن آدابها ان لاتتفاخر على الزوج بجمالها ولاتزدرى زوجها لقبحه وتلازم الصلاح والانقباض فى غيبة زوجها والرجوع الى اللعب واسباب اللذة فى خضور زوجها ولاتؤذى زوجها بحال وتقوم بكل خدمة فى الدار تقدر عليها والقول الجامع فى ذلك ان تكون قاعدة فى بيتها لازمة لمغزلها لا تكثر اطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا وقت يجب الدخول عليهم عادة ولاتخرج بلااذن زوجها وان اذن لها فتذهب

في

فى المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق همتها صلاح شأنها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها وتكون قانعة من زوجها بما رزقه الله ومقدمة حقه على حق نفسها وحق سائر اقاربها متنظفة فى جميع احوالها ليستمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها ولا تسبهم واذا مات زوجها تحد عليه اربعة اشهر وعشرا وتلزم مسكن النكاح ولا تنتقل عن ذلك الى اهلها الى آخر العدة ولا تخرج الا لضرورة ـ

الاصل الثالث

فى آداب الكسب والمعاش وفيه مطالب

المطلب الاول

فى فضل الكسب والحث عليه

اما الكتاب فقوله تعالى (وجعلنا النهار معاشا) وقوله (وابتغوا من فضل الله) وقال صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وقال من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر الا ان فضل التجارة اذا كان لقوت العيال وتعففا عن السؤال واما اذا كانت للثروة والادخار فذ مومة لانه اقبال على الدنيا التى حبها رأس كل خطيئة ـ فان كان مع ذلك خائنا فهو ظلم وفسق ـ وايضا التجارة افضل وان حصلت له النفقة بلا سؤال لانه يصير كلا على الناس فالتجارة تكون افضل الا ان الحق ان قبول صدقتهم والتخلى للعبادة افضل اذ فيه اعانة للناس على الخيرات والصدقات ـ

المطلب الثانى

فى بيان احوال العقود الاربعة

العقد الاول البيع وقد أحله الله وله ثلاثة اركان احدها العاقد فلا يعامل الصبى والمجنون لأنهما غير مكلفين والعبد العاقل بلا اذن سيده والاعمى لعدم

رؤية المبيع فيو كل غيره - اما الكافر فتجوز معاملته غير بيع المصحف منه والعبد المسلم والسلاح للحربى منهم فان فعل فهو عاص ربه - واما الجندية من الاتراك والاكراد والخونة والظلمة وأكلة الربا وكل من اكثر ماله حرام فلا ينبغى ان يتملك منهم شيئا الا ما يعرف انه حلال بعينه - ثانيها المعقود عليه ففيه ستة شروط الاول ان لايكون نجسا فى عينه كالكلب والخنزير والفيل(١) والزبل والخمر - الثانى ان يكون منتفعا فلايجوز بيع الفأر والحية ويجوز بيع الطيور المليحة الصورة كالطوطى والطاوس اومليحة الصوت كالبلابل والقمارى ولايجوز بيع الملاهى والمزامير لحرمتها - الثالث ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد او مأذونا فيه من جهة المالك فلايصح بيع مال الوالد من الولد وعكسه اعتمادا على ان يرضى اذاعرف وكذا الزوج والزوجة بل ينبغى تقدم الرضا - الرابع ان يكون المعقود عليه مقدور التسليم شرعا وحسا فلا يصح بيع السمك فى الماء والجنين وعسب الفحل واللبن فى الضرع والآبق ولايجوز تفريق الولد من امه - الخامس ان يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف وتفصيله فى كتب الفقه - السادس ان يكون المبيع مقبوضا عقارا اومنقولا - وثالثها لفظ العقد فلابد من جريان ايجاب فى قبول متصل بلفظ دال على المقصود منهم إما صريح اوكناية ويجوز بالتعاطى عند ابى حنيفة فى النفيس والخسيس وعند الشافعى لايجوز وينبغى ان يحكم فيه الحال بان يعلم انه يرضى بالبيع وان علم الكراهة يصرح - وايضا الاحتياط التصريح فى النفيس كالعبد والفرس والدار والتعاطى فى الخسيس كالخبز واللحم والبقل وان صح التعاطى فى كليهما - واما تمييز النفيس عن الخسيس فبالعرف وان كان مشتبها فعليه الاحتياط بان يصرح الايجاب والقبول هذا من حيث الورع فيه ان تستفتى قلبك الا ان فى الشرع يجوز فى الكل التعاطى هو الصحيح من مذهب ابى حنيفة -

العقد الثانى - عقد الربا وقد حرمه الله ويجب الاحتراز منه على الصيارفة وباعة الاطعمة اذلاربا الا فيهما - فالصيرفى يحترز من النسيئة بل يبيع يدا بيد - وعن

(١) كذا - الفضل

الفضل وهو التفاوت فى الوزن والكيل عند اتحاد الجنس ولا يفيد الجودة والرداءة ـ

العقد الثالث التسلم وله شروط عشرة ـ الاول ان يكون رأس المال معلوما علم مثله ـ الثانى ان يسلم رأس المال فى مجلس العقد قبل التفرق ـ الثالث ان يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف اوصافه ـ الرابع ان يستقصى الاوصاف بأن لا يبقى وصف تغابن فيه ـ الخامس معلومية الاجل بالاشهر والايام ـ السادس ان يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه ـ السابع ان يذكر مكان التسليم ـ الثامن ان لا يعلقه بعين كثمرة هذا البستان ونحوه ـ التاسع ان لا يكون المسلم فيه شيئا نفيسا يعز وجوده كدرة موصوفة بما يعز وجودها ـ العاشر أن لا يسلم فى طعام اذا كان رأس المال طعاما او فى نقد اذا كان هو نقدا لانه عين الربا ـ

العقد الرابع الاجارة ولها ركنان الاجرة والمنفعة اما العاقد واللفظ فكما فى البيع بعينه اما الاجرة فينبغى ان يكون معلوما وموصوفا كالثمن فى البيع ولا يجوز بكل ما يتوقف حصوله على عمل الاجير ككراء الدار بعمارتها وسلخ الشاة بجلدها واما المنفعة فهى العمل، وحده ان كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه ـ وتندرج تحته امور خمسة الاول ان يكون متقوما فيه كلفة وتعب فلا يصح اجرة الطعام واجرة الكلام ، الثانى ان لاتتضمن استيفاء عين مقصودة كلبن المواشى وأجيز فى المرضعة استحسانا، الثالث ان يكون مقدور التسليم حسا وشرعا فلا يجوز استئجار الاخرس على التعليم والمعلم على تعليم السحر او الصائغ على صيغة اوانى الذهب وغير ذلك من المحرمات، الرابع ان لا يجب العمل على الاجير فلا يجوز اجرة الجهاد وسائر العبادات التى لانيابة فيها ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ونحو ذلك وفى اجرة الامامة والاذان والتدريس واقراء القرآن خلاف واما اجرة تعليم مسألة اوسورة بعينها لشخص معين فصحيح ، الخامس ان يكون المنفعة والعمل معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والحامل يعرف قدر المحمول الى غير ذلك ـ

العقد الخامس القراض وفيه ثلاثة اركان الاول ان يكون رأس المال معلوما مسلما الى العامل - الثانى الربح بان يشرط له الثلث او النصف او ما شاء من مقدار شائع فلايجوز تقديره بمقدار معين كالمائة مثلا - الثالث العمل الذى على العامل وشرطه ان يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين او بتأقيت -

العقد السادس الشركة وهى اربعة وثلاثة منها باطلة - الاولى شركة المفاوضة وهو أن يقول تفاوضنا فى كل مالنا وعلينا ومالاهما ممتازان - الثانية شركة الابدان وهى ان يتشارطا الاشتراك فى اجرة العمل وهى باطلة - الثالثة شركة الوجوه وهى أن تكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة الآخر العمل وهذا ايضا باطل - الرابعة شركة العنان وهو أن يختلط مالاهما بحيث يتعذر التميز الابقسمة ويأذن كل منهما لصاحبه فى التصرف وحكمها توزيع الربح والخسران على قدر المالين وهذا صحيح -

المطلب الثالث

فى العدل فى المعاملة وهذا قسمان

الاول ما يعم ضرره وهو انواع احدها الاحتكار والذى يدخر الطعام الى غلاء الاسعار وهذا حرام فى الشرع الا انه فى اجناس الاقوات واما فى غيرها كالأدوية والعقاقير والزعفران فلا وان مأكولا ثم هو زمان احتياج الناس الى القوت واما زمان غنى الناس عنه فلا - ولهذا قيل اوصى بعض التابعين رجلا لاتسلم ولدك فى صنعتين ولا فى بيعتين اما البيعتان فبيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس - والصنعتان ان يكون جزارا فانها تقسى القلب اوصواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة - وثانيها ترويج الزائف من الدراهم اثناء النقد فهوظلم فيعم فيه الضرر فيكون وزرا له ولغيره لانه فتح هذا الباب والويل الطويل لمن مات وذنبه باق الى مائة سنة اومائتين يعذب بها فى قبره - واعلم ان فى الزائف امور خمسة الاول اذا وجده ينبغى ان يطرحه فى موضع لا تناله الايدى ، الثانى ان يتعلم طريق النقد ليحفظ دينه لا ليحفظ دنياه ، الثالث انه

لا يبرأ عن الاثم باعلام المعامل فقط اذ ربما يروجه على غيره - الرابع ان أخذ الزيف وطرحه فى بئر فهو عامل بخير - الخامس الزائف ما لا نقرة فيه اصلا واما المغشوش فان كان نقد البلد ففيه رخصة والا فان علم مقدار النقرة فيجوز والا فلا يجوز اصلا -

القسم الثانى ما يخص ضرره المعامل والضابط فيه ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه وذلك اربعة - الاول ان لا يثنى على سلعة فان كان بما ليس فيها فهو كذب وان قبل ذلك فهو ظلم وكذب والا فهو كذب واسقاط مروءة وان اثنى على السلعة بما هو فيها فان عرفه المشترى فهو هذيان وكلام لا يعنيه مما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد - وان لم يعرفه فلا بأس به وان كان نيته ان يعرف اخوه المسلم فيقضى به حاجته ولا يحلف عليه البتة فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس التى تدع الديار بلاقع مع كونها من الكبائر وان كان كاذبا فقد جعل الله عرضة لايمانه والدنيا اخس من ان يذكر اسم الله لترويجها - وفى الخبر ويل للتاجر من بلى والله لا والله وويل للصانع من غدا أو بعد غد - الثانى ان يظهر جميع عيوب السلعة خفيها وجليها فذلك واجب والا كان غاشا والغش حرام وفى حكمه عرض الثياب فى المواضع المظلمة وهذا وان نقص من الثمن لكن لذلك جهتى التسلية(١) احدهما ان الدنيا امر حقير والربح ربح الآخرة - وثانيهما ان صورة الزيادة لا اعتبار لها اذ ربما تهلك جملة والحلال القليل ينتفع به اكثر من الحرام الكثير ولقد جرب ذلك فوجد كذلك -

المطلب الرابع

فى الاحسان فى المعاملة

وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان وذلك بواحد من ستة امور - الاول ان لا يغابن صاحبه بما لا يغابن به فى العادة - فاما اصل المغابنة فمأذون فيه فان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشترى زيادة على الربح المعتاد إما لشدة رغبته او لشدة حاجة فى الحال فينبغى ان لا يأخذ فذلك من الاحسان وان جاز ذلك شرعا اذ ليس فيه ظلم مهما لم يكن فيه تلبيس

(١) كذا -

وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما سبب يسارك قال ثلاث ، ما رددت ربحا قط ولا طلب منى حيوان فأخرت بيعه ولا بعت بنسيئة - الثانى فى احتمال المشترى العيب ان اشترى من ضعيف او فقير فلا بأس ان يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا - وان اشترى من الغنى التاجر فالغبن ليس بمحمود بل هو تضييع للمال من غير اجر وحمد - وقيل فى وصف عمر بن الخطاب كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يغبن - الثالث فى استيفاء الثمن وسائر الديون والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة فى طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه - الرابع فى توفية الدين ولا يكلفه ان يمشى اليه يتقاضاه ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف لان لصاحب الحق مقالا - ومن يصلح بينهما ينبغى ان يكون ميله الى من عليه الدين لانه المحتاج وكذا يميل فى المبايعة الى جانب المشترى لأنه محتاج الى السلعة والبائع راغب عنها - اللهم الا ان يتجاوز من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته فى منعه من تعديه - الخامس ان يقيل من يستقيله ولا يضر اخاه - وفى الحديث من اقال نادما صفقته اقال الله عثرته يوم القيامة او كما قال - السادس ان يقصد فى معاملته جماعة من الفقهاء بالنسيئة وهو فى الحال عازم على ان لا يطالبهم ان لم يظهر لهم ميسرة فهذه طريق تجارات السلف وقد اندرست والقائم بها محى لهذه السنة والتجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه -

المطلب الخامس

فى شفقة التاجر على دينه

وذلك بمراعاة سبعة امور - الاول حسن النية بان ينوى بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس واستعانة بكسبه على دينه وقياما بكفاية عياله ليكون من جملة المجاهدين - ولينو النصح للسلمين واتباع طريق العدل والاحسان ولينو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى السوق - الثانى ان يقصد القيام فى صنعته او تجارته بفرض من فروض الكفايات فانهما لعمارة الدنيا ونظام المعاش الا

ما لا

مالاحاجة فيه كصناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وغير ذلك مما تتزخرف به الدنيا - واما اجتناب صنعة الملاهي فذلك من باب دفع الظلم - ومنها خياطة القباء من الابريسم للرجال وصياغة مراكب الذهب وخواتيم الذهب للرجال وكل ذلك من المعاصي والاجرة عليها حرام - وقد مربيع الطعام والاكفان وحكم الجزارة ويكره الدباغة والكناسة لمخامرة النجاسة وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرتها لتضمنها الكذب والمبالغة غالبا واجرتها بقدر عملها لابقدر قيمة الثوب وهو العادة - ويكره بيع الحيوان لأنه يكره قضاء الله وهو الموت - والصيارفة ايضا لايسلمون من الحيلة والا لم يكن الربح - قد كان غالب اعمال السلف عشرة صنائع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة واربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأى الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون وذلك لكثرة مخالطتهم مع النساء والصبيان والمخالطة سبب السراية وكل قرين بالمقارن يقتدى - وعن مجاهد ان مريم طلبت عيسى عليه السلام فمرت بحاكة فارشدوها الى غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم فى اعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف اجرة العبادات كغسل الاموات وتعليم القرآن وصلاة التراويح والاذان فان ذلك استبدال بالدنيا عن الآخرة - الثالث ان لايمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة وهى المساجد - الرابع ان يلازم ذكر الله تعالى فى السوق وذكر الله بين الغافلين - وفى الحديث من قال فى سوق من الاسواق لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير - كتب له الفى الف حسنة ومحى عنه الفى الف سيئة وبنى له قصر فى الجنة - الخامس ان لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة بان يكون اول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر فى التجارة فهما مكروهان - وكان عمرو بن العاص يقول لاتكن اول داخل فى السوق ولا آخر خارج منها

فان بها باض الشيطان وفرخ - ويقال من ركب البحر نقد استقصى فى طلب الرزق - وفى الخبر لا يركب البحر الالحج اولعمرة اولغزو - وبالجملة لايحرص على السوق فيراقب وقت كفايته - فاذا حصلت ينصرف ويشتغل بتجارة الآخرة - السادس ان لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقى مواضع الشبهة ومظان الريب ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتى قلبه فما وجد فيه حزازة اجتنبه وأمر الفتوى على التيسير للعامة لاعلى الشدة - السابع ان يراعى ويراقب جميع مجارى معامليه فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب فى كل فعلة وقولة ويحاسب على كل احد محاسبة على عدد من عامله -

الاصل الرابع

في الحلال والحرام وفيه مطالب ثمانية

المطلب الاول

فى فضيلة الحلال وذلك فى الآيات كثير وكذلك مذمة الحرام وكذا الحلال فى الاخبار والآثار - واما اصناف الحلال والحرام ففى كتب الفقه على التفصيل ولنبين ههنا على سبيل الاجمال فاعلم ان الحرمة فى المال إما فى عينه اوفى كسبه - القسم الاول ان الاعيان المأكولة اما معادن اونبات اوحيوان والحرمة فيها إما لاجل ازالة العقل او ازالة الصحة او الاستقذار - القسم الثانى ستة اقسام الاول ما لايؤخذ من مالك كالمعادن والاصطياد والاحتطاب والاستسقاء فذلك حلال الا ان يسبقها يدقبله - الثانى المأخوذ قهرا ولاعصمة له كأموال الكفار وذلك ايضا حلال بشروط ذكرت فى الفقه - الثالث مايؤخذ قهرا لكن بالاستحقاق وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق واسباب ذلك فى كتب الفقه - الرابع مايؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذاتضمنت شرائطه المذكورة فى موضعها - الخامس ما يؤخذ بالرضا بلا عوض كالهبة والوصية والصدقة وذلك حلال بشرائطه - السادس ما يؤخذ بغير اختيار كالارث وذلك حلال اذا كان المال مكتسبا وجهة الحلال واخرجت منه سائر الحقوق المذكورة فى علم الفرائض

وان

وان لم تعلم فاسأل اهله -

المطلب الثانى

فى درجات الحلال والحرام

إعلم الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض والحلال كله طيب لكن بعضه اطيب من بعض ومثال ذلك فى المحسوسات ان الحرارة والبرودة نوعان ومع ذلك لها درجات اربع عند الاطباء فلذلك لها درجات اربع - الاولى ورع العدول وهو الذى يجب الفسق بتركه ويدخل فى العصيان والتعرض للنار وهو الورع عما يحرمه فتاوى الفقهاء - الثانية ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم وان رخص المفتى بذلك بناء على الظاهر - الثالث ورع المتقين وهو ما لا حرمة فيه بحسب الفتوى ولا شبهة فى حله لكن يخاف منه اداؤه الى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس - الرابع ورع الصديقين وهو ما لا بأس به اصلا ولا يخاف منه ان يؤدى ما به بأس ولكنه يتناول لغير الله ولا على نية التقوى به على عبادة الله تعالى او يتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهية او معصية وتعرف هذه الدرجات بتشديدات الشرع ووعيده وزجره البليغ وتأكيده -

المطلب الثالث

فى مراتب الشبهات وتمييزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه - فهذا الحديث مدار امر الشرع وقطب احكام الدين وفيه نص فى اثبات الاقسام الثلاثة والمشكل منها هو القسم المتوسط الذى لا يعرفه كثير من الناس فلابد من كشف الغطاء عنها فنقول الحلال المطلق وهو الذى لا يتطرق اليه اسباب التحريم او الكراهية كماء المطر قبل ان ينزل على ملك احد ويقابله الحرام المحض وهو اما حرام لعينه بصفة محرمة كالشدة فى الخمر والنجاسة فى البول او حصل بسبب منهي

عنه كالحصل بالظلم والربا ونظائره فهذا ان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكن احتمل بغيره ولكن لم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه مثل صيد البر والبحر حلال فيحتمل ان تفلت الظبية من صياد والسمك قد تزلق من خريطة صياد فالورع فى امثاله وسواس - اللهم الاان يدل عليه دليل كالجرح فى الظبى والحلقة فى اذن السمكة وبالجملة مالم يترجح احد طرفى الشك لايعتبر به اصلاولا يعد ذلك شبهة وانما الشبهة احتمال حرمة يستند الىدليل ويعارض أصل الحل - ومثارات الشبهة خمسة -

المثار الاول الشك فى السبب المحلل والمحرم فذلك اقسام اربعة الاول ان يكون التحريم معلوما من قبل ثم يقع الشك فى المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها فهذا حرام لأن الاصل التحريم،الثانى ان يحرم الحل ويشك فىالمحرم فالاصل الحل وله الحكم كما اذا طارطائر فقال ان كان هذا غرابا فأمراته طالق وقال آخر إن لم يكن غرابا فامرأته طالق والتبس امر الطائر فلايقضى بالتحريم فىواحدة منهما الا ان الورع اجتنابها - الثالث ان يكون الاصل التحريم وطرأ عليه سبب التحليل بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فان استند الظن الى سبب معتبر شرعا فالمختار الحل اذ الاصل عدم طريان غيره فطريانه مشكوك فيه ولا يرفع اليقين بالشك ولكن اجتنابه من الورع كمن رمى الى صيد فجرحه ثم غاب فوجده ميتا وليس عليه اثر جراحة اخرى التحق بالقسم الاول اذ حصل غلبة الظن بانه مات من جرحه واما احتمال موته من غير جراحته شك فيه لا يعتبر اذ ذاك جار فى كل مجروح لاحتمال انه مات بغلبة مرض وان وجد جراحة اخرى فقدتعارض السبب فتعارض الظن والاحتمال فيحرم - الرابع ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر فى غلبة الظن شرعا كما اذا غلب على ظنه نجاسة احد الاناءين بعلامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه والذى هو المختار ان الاصل هو المعتبر وان العلامة اذا لم تتعلق بعين المتناول لم يوجب رفع الاصل -

المثار

المثار الثانى الشبهة بشك منشاه الاختلاط بين الحلال والحرام ويشتبه الامر فلا يتميز ففيه اقسام ثلاثة - الاول ان نسبتهم(١) المعين بعدد محصور لمن تزوج احد الاختين ولم تعلم بعينها يجب اجتنابها بالاجماع اذلا مجال للاجتهاد - واذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد وتقابل فيه جهة التحليل والتحريم فيجتنب - وان اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فوجوب الاجتناب اولى - الثانى حرام محصور بحلال غير محصور كما اذا اختلطت رضيعة اوعشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهن الا اذا علمها بعينها الا ان علة الحل ليست كثرة الحلال اذ يلزم منه جواز النكاح اذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال بل العلة الغلبة والحاجة جميعا مثلا من علم ان مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشراء والأكل فان ذلك حرج وما فى الدين حرج واذا لم يشترط هذا فى الدنيا لم يشترط ايضا فى بلد اذا وقع بين جماعة محصورين فاجتناب هذا من ورع الموسوسين اذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به فى ملة من الملل ولا فى عصر من الاعصار - واعلم ان تميز المحصور من غير المحصور مشكل وبالتقريب كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عددهم بمجرد النظر كالالف والالفين فهو غير محصور وما كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين اوساط متشابهة تلحق باحد الطرفين بالظن - وربما يفتى المفتى لكن ان وقع عند الشك فعليك ان تستفتى قلبك فان جال(٢) فى صدرك شيء فهو الاثم بينك وبين الله فان الاثم حزاز القلوب ولا ينجيك فى الآخرة فتوى المفتى فانه يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وأفتوك - وكذا الحال فى الاوساط المتشابهة التى تقع فى الاقسام الاربعة فى المثار الاول - الثالث ان يختلط حرام غير محصور بحلال غير محصور كحكم الاموال فى زماننا هذا وقد يظن ان هذا مثل اختلاط المحصور بالمحصور

---

(١) كذا (٢) كذا ولفظ الحديث الذى روى فى هذا المعنى - حاك -

فى الحرمة لكنه ليس كذلك بل هـذا غير حرام كن يتنا ول شيئا بعينه احتمل انه حرام وانه حلال فتركه ورع وأخذه حلال الا ان يقترن بتلك العين علامة الحرمة فحينئذ يحرم - ويدل على ما ذكرنا ان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وقع الغلول واختلط بالاموال وكذا اختلط اثمان الخمور فى ايدى اهل الذمة بل الربا ايضا وكذا فى زمن الصحابة والتابعين - وقد نهب يزيد المدينة شرفها الله ثلاثة ايام ولم يمتنع احد من الصحابة عن الشراء فى السوق الا القايل يعدون من اهل الورع - ومن زعم انه تفطن من الشرع ما لم يتفطنه السلف الصالحون فهو موسوس مختل العقل وايضا لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم اذ الفسق غالب على الناس ويتساهلون فى شروط الشرع - فان قلت ما ذكرته فيما اذا كان الحرام قليلا وقد صار الحرام فى زماننا اكثر قلت ليس هو اكثر بل هو كثير - وقولك الحرام اكثر اما لكثرة الظلمة او كثرة المعاملات الفاسدة اوكثرة الايدى - الاول باطل اذ الظلمة وهم الجندية وذوو الغلبة والشوكة اذا اضيفوا الى جملة العالم لم يبلغوا عشر عشرهم - وكذا الثانى اذ اكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع واهل الرياض(١) بينهم قليل فضلا عن كونهم كثيرا او اكثر - واما الثالث فلأن الاموال انما تحصل من المعادن والنبات والحيوان ولم يبق درهم واحد ولا دينار خرجت من معدن اودار ضرب الا تناوله يد الظلمة وكذا الحال فى الحيوان فلم يبق الا الصيد والحشيش والحطب فى الموات فالجواب عنه ان هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فالتحق بما عددناه من قبل وهو تعارض الاصل والغالب - فالحكم فيه ان الغالب الذى لايستند الى علاقة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح - فلا يقال اصول الحرام اكثر بل اصول الحلال لم تزل اكثر فى كل عصر وزمان وذلك ظاهر لمن تدبر باذعان وامعان وانما الكلام فيما اذا قدر غلبة الحرام واختلط غير محصور ولم يكن فى العين المتناولة علامة خاصة والذى نراه ان تركه ورع وأخذه ليس بحرام لأن الاصل الحل ولا يرفع ذلك الا بعلامة معينة كما فى طين الشوارع ونظائرها بل نقول لو طبق

(١) كذا ولعله - الربا - ح -

الحرام الدنيا على الفرض والتقدير والعياذ بالله من ذلك لكنا نقول يعفى عما سلف ويستأنف بتمهيد الشروط بل نقول ماجاوز حده انعكس على ضده فمها حرم الكل حل الكل وذلك لأن الاحتمالات خمسة لأن الناس اما ان يدعوا الأكل حتى يموتوا اويقتصروا على سد الرمق اويتنا ولون كيف شاؤا سرقة اوغصبا من غير تميز بين مال ومال وجهة جهة اويتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة اويقتصروا على قدر الحاجة مع شروط الشرع اما الاول فلايخفى بطلانه - واما الثانى فباطل ايضا لانهم اذا اقتصروا على سد الرمق وزجوا اوقاتهم على الضعف فشافيهم الموت وبطلت الاعمال والصناعات وخربت الدنيا وفى خرابها خراب الدين لانها مزرعة الآخرة بل اكثر احكام الفقه لحفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين واما الثالث فهودفع لسد الشرع بين المفسدين فتمتد الايدى بالغصب والسرقة وانواع الظلم ولا يمكن زجرهم عنه فيؤدى الى بطلان سياسة الشرع فلايبقى الا الاحتمال - الرابع بان يبقى لكل ذى يد على ما فى يده فيصير الاحتمال - الخامس هو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من اصحاب الايدى لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة -

المثار الثالث للشبهة، ان يتصل بالسبب المحلل معصية وهذا انوع اربعة

النوع الاول المعصية فى القرائن كالبيع وقت النداء يوم الجمعة وكالذبح بالسكين المغصوب وهذا مكروه وليس بحرام والورع اجتنابه وهذه الكراهة لها ثلاث درجات - الاولى منها ما يقرب من الحرام والورع عنه مهم كالصيد بكلب مغصوب - والثانية الاحتطاب بالقدوم المغصوب وهذه دون الاولى فى الكراهة وهى ايضا من الورع - والثالثة البيع وقت النداء وهذه دون الثانية فانه ضعيف التعلق بمقصود البيع ولا بأس بالحذر منه ولكن لوأدى ما هودون هذا من عدم صحة نكاح الظلمة لتعلق الحقوق الواجبة عليه لأدى الى التحرج عن نكاح بناتهم وانه الوسواس والورع حسن والمبالغة فيه احسن ولكن الى حد معلوم -

النوع الثانى المعصية فى اللواحق ولها درجات اعلاها بيع العنب من الخمار وبيع

الغلام ممن يعرف بالفجور بالغلمان والقياس ان العقد صحيح والمأخوذ حلال وليس بحرام والرجل عاص الا ان المأخوذ مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم ـ ويليها فى الرتبة بيع العنب ممن يشرب به الخمر ولم يكن خمارا لان الاحتمال قد تعارض والكراهة فيه اخف والورع فيه فوق الاول ـ ويليها فى الرتبة ماهو مبالغة ويكاد يلحق بالوسواس كمن لا يجوز معاملة الفلاحين بالآلات الحرث لانهم يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة وهذا ورع الوسوسة ـ

النوع الثالث المعصية فى المقدمات ولها ايضا ثلاث درجات العليا ما بقى اثره فى المتناول كالأكل من شاة رعت من مرعى حرام وهذا الورع وان لم يكن واجبا الوسطى ما نقل عن بشر من امتناعه عما يساق فى نهر الظلمة لأن النهر موصل إليه وقد عصى الله بحفره ـ وامتناع آخر عن كرم سقى بنهر مذكور وهو ابلغ فى الورع منه واعلى من ذلك امتناع ذى النون من طعام حلال اوصل اليه بيد سجان وقوله انه جاءنى على يد ظالم ودرجات هذه الرتب لا تنحصر ـ والادنى منها وهى قريبة من الوسواس ان يمتنع من حلال وصل اليه على يد رجل زنى او قذف وليس هذا كما لو وصل على يدى من أكل الحرام فان الموصل قوته الحاصلة من الحرام ، والزنا والقذف لا يزيدان فى القوة ولوا متنع الشرب من كوز لأن صانعه قد عصى الله يوما بضرب انسان او شتمه لكان وسواسا ـ واعلم ان كل هذا خارج عن فتوى العلماء من الفقهاء لأن فتواهم تختص بالدرجة الاولى التى يمكن بها تكليف العامة ـ ولوا جتمعوا عليها لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصالحين الذين لا يفتيهم الا قلوبهم لكن يخرج عن هذا قلب الموسوس لأنهم قوم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم كما شدد على اصحاب موسى عليه السلام ـ

النوع الرابع المعصية فى العوض ولها درجات ـ العليا ان يشترى شيئا فى الذمة ويقضى ثمنه من غصب او مال حرام فان سلم البائع اليه الطعام قبل قبض الثمن بطيب

قلب

قلب فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالاجماع ولاهو من الورع الكامل وانما الإثم بقضاء الثمن من الحرام لكن لاينقلب الطعام حراما فان ابرأه البائع مع العلم بان الثمن حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه الامظلمة تصرفه فى الحرام فان ابرأه على ظن ان الثمن حلال فلا يحصل له البراءة من الثمن لأنه ابرأه بشرط الاستيفاء ولايصلح الحرام للايفاء وان لم يسلم اليه بطيبة قلب ولكن اخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام اوبعده اذ للمالك حق الحبس حتى يقبض الثمن وانما يبطل حق حبسه بالابراء والاستيفاء ولم يجر شيء منهما ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام اذا أكله بغير إذن المرتهن وبينه وبين أكل طعام الغير فرق ولكن اصل التحريم شامل اما اذا اوفى الثمن الحرام اولا ثم قبض فان كان عالما بحرمته ومع هذا اقبض المبيع بطل حق حبسه وبقى له الثمن فى ذمته اذ ما اخذه ليس بثمن ولايصير أكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن - فأما اذا لم يعلم انه حرام وكان بحيث لوعلم لمارضى به ولا اقبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فأكله حرام تحريم أكل المرهون الى ان يبرئه او يوفى بحلال او يرضى هو بالحرام ويبرئ فيصح ابراؤه ولايصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه - وبيان الحكم فى الدرجة الاولى من الحل والحرمة فاما الامتناع عنه فمن الورع المهم لأن المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل تشتد الكراهة كما سبق واقوى الاسباب الموصلة الثمن ولولاالثمن الحرام لما رضى البائع بتسليمه اليه فرضاه لايخرجه عن كونه مكروها كراهة شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وانما تزول به درجة التقوى والورع - والدرجة الوسطى ان لايكون العوض غصبا ولاحراما ولكن يتهيأ لمعصية كما لوسلم عن الثمن عنبا والآخذ شارب خمر اوسيفا وهو قاطع طريق فهذا لايوجب تحريما فى المبيع ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهة التى فى الغصب - والدرجة السفلى وهى درجة الوسواس كما اذا حلف على ان لايلبس من غزل امته فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهة فيه والورع عنه

وسوسة - واعلم ان الدرجات المذكورة لا تنحصر في عدد ولكن المقصود من التعديد التفهيم - واعلم ان الانسان لاينبغي ان يشتغل بدقائق الورع الابحضرة عالم متقي فانه اذا جاوز ما رسم له وتصرف بذهنه كان مايفسده اكثر مما يصلحه

المثار الرابع الاختلاف في الادلة

وهذا كالاختلاف في السبب لان السبب سبب للحل والحرمة والدليل سبب لمعرفتها وهي ثلاثة اقسام -

الاول، ان يتعارض ادلة الشرع كالعمومين من القرآن او السنة او قياسين او قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع في مثله الى الترجيح فان ظهر الترجيح في جانب الحرمة وجب الأخذ به وان ظهر في جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه - ثم ان المقلد ينبغي له ان يبحث عن افضل المذاهب بين علماء بلده فيتبعه وليس له ان يتبع اوسعها - نعم ان امامه افتاه بشيء وله مخالف فعليه ان يترك الخلاف الى مذهب اجمعوا عليه وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب - وهذا على ثلاث مراتب - اولاها ما يقوى فيه الدليل المخالف ويدق ترجيح المذهب الآخر عليه فالمستحب التورع عنه وان افتى المفتي انه حلال لان الترجيح فيه غامض - وثانيتها تزاحم درجة الوسواس كالتورع عن اكل جنين ذكي امه وفي الصحاح ما يدل على حله - وثالثها ان لايشتهر في المسألة خلاف اصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيتورع عنه لاختلاف الناس في الخبر الواحد فهذا ورع لم ينقل عن الصحابة الا اذا تطرق شبهة في حق الراوي خاصة - ومن هذا القبيل خلاف النظام في اصل الاجماع بانهم غير معصومين فإذا الاطرف من اطراف الشبهات الا وفيها غلو واسراف - والاصل ان تستفتي قلبك وتدع مايريبك الى ما لايريبك وتترك حزازة القلوب وحكاكة الصدور وذلك يختلف باختلاف الاشخاص والدواعي ولكن تحفظ قلبك عن دواعي الوسواس حتى لاتحكم الابالحق ولا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ولايخلو عن الحزازة

في

فى مظان الكراهة وما اعز مثل هذا القلب -

القسم الثانى، ان يتعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة مثلا يخبر عدل بان هذا المتاع حلال وعدل آخر بأنه حرام فان ظهر ترجيح حكم به فالورع الاجتناب وان لم يظهر وجب التوقف -

القسم الثالث، تعارض الاشباه فى الصفات التى بها تناط الاحكام كمن اوصى ماله للفقراء فالفاضل فى الفقه داخل بلاشبهة والمتعلم منذ يوم او شهر غير داخل بلاشبهة وبينهما درجات لاتحصى يقع الشك فيها فالمفتى يفتى بحسب الظن والورع الاجتناب - وهذه اغمض مثارات الشبهة فان فيها صورى يتحير فيها المفتى تحيرا لازما لاحيلة له فيه اذيكون المتصف بصفة فى درجة متوسطة لايظهر له ميل الى احدهما - وكذلك الصدقات فان المحتاج ماليس له شىء والغنى من له مال كثير واما من له دار واثاث وثياب وكتاب فان قدر الحاجة منه والزائد عليه لايمكن تحديدها وانما يدرك بالتقريب وينظر فى مقدار سعة الدار وابنيتها ومقدار قيمتها لكونها فى وسط البلد اوفى طرفه ووقوع الاكتفاء بدار دونها - وكذا الاثاث اما من صفر اومن خزف وكذا فى عددها وقيمتها وكذلك مايحتاج اليه كل يوم اوسنة - وشىء من هذه الامور لاحد له فان توقف المفتى فيها فلاوجه الا التوقف وان افتى المفتى بظن وتخمين فالورع التوقف وهواعم مواضع الورع - الوجه فى مثل هذا ماقال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى مالايريبك فهذه مثارات الشبهات وبعضها اشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شىء واحد كان الأمر اغلظ مثل أن يأخذ طعا ما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام ليس هو اكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدى ترادف الشبهات الى ان يشتد الامر فى اقتحامه وليس فى قوة الامر حصرها فما اتضح من هذا الشرح أخذبه وما التبس فليجتنب فان الأثم حزاز القلوب وحيث قضينا باستفتاء القلب اردنا به حيث اباح المفتى - اما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم إن فى الاستفتاء لايعول على كل قلب

اذرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متسا هل يطمئن الى كل شيء وانما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الاحوال فهو المحك الذى يمتحن به خفايا الامور، وما اعز هذا القلب فى القلوب فمن لم يثق بقلبه فليلتمس النور عمن قلبه بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته ـ

المطلب الرابع

فى البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانهما

واعلم ان لاوجه للتفتيش عن كل ما اهدى اليك اووهب اوبيع منك وليس لك ايضا ان تترك البحث فتأخذ كل ما تجده بل للتفتيش احوال فانه واجب مرة وحرام اخرى ومندوب اليه مرة مكروه اخرى فمثار الشبهة فيها فى امرين إما فى المال اوفى صاحبه ـ

النوع الاول احوال المالك وهى ثلاث ـ الحالة الاولى ان يكون مجهول الحال بان لايكون فى زى الظلمة ولا فى زى العلماء والصلحاء فان كنت غريبا تريد أن تشترى خبزا ولا تدرى صاحبه فلا يلزمك السؤال بل يده واسلامه كافيتان فى الهجوم على اخذه وقولك الفساد غالب فى الناس وسوسة وسوء ظن بالمسلم ويدل عليه ان الصحابة كانوا ينزلون القرى ولايتركون القرى ويدخلون البلاد ولايتحرزون من العباد وكان الحرام موجودا فى زمانهم ايضا فليس له السؤال من اين اكتسبه ومن اين حصل له بل ان حصل له فيه ريبة فليتلطف فى الترك وان كان له بد له من أكله فليأكل بغير سؤال ايذاء وهتك سر وايحاش وهو حرام بلاشك وليس الاثم فى ايذاء مسلم بأقل من الاثم فى أكل شبهة ولايجوز أن يسأل من حيث لا يدرى لأن فى ذلك اساءة ظن وهتك سر وفيه تجسس وفيه تشبيه بالغيبة وان لم يكن صريحا وكل ذلك منهى عنه فى آية واحدة قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن إثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا) فكم من زاهد جاهل تجسس الجاهل عنده ذلك طلبا للشهرة بأكل الحلال ولو كان باعثه الدين لكان خوفه من ايذاء مسلم اشد من خوفه على ان

يدخل

يدخل بطنه مالا يدرى، وهو غير مؤاخذ بما لايدرى، فطريق الورع فى امثاله الترك دون التجسس وان لم يكن بد فالورع الأكل واحسان الظن —

الحالة الثانية، ان يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة اورثت ريبة اما فى خلقته بان يكون على خلقة الاتراك والبوادى والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل الشارب واما فى زيه بان يكون لباسه على زى اهل الفساد من الظلمة والاجناد واما من فعله وقوله بأن يشاهد منه الاقدام على أخذ الحرام، والحكم فيه جواز الاقدام نظرا الى ضعف الأدلة وقوة اليد والاسلام ورجحان الترك لان اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه فاورثت ريبة — واما الورع هوالثانى، وهوالذى يختار ويفتى به لقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم دع ما يريبك الى ما لايريبك ثم ان بين هذه الدلالات تفاوتا فان طول الشارب وهيئة الاجناد وكذا القول والفعل المتعلقان بظلم المال وكذا الأمر بالغصب والظلم اوالعقد بالربا اقوى فى الدلالة ممن شتم غيره فى غضبه واتبع نظره امرأة اذ كم من انسان يتحرج فى طلب المال ولا يكسب الا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فلايمكن ان يضبط هذه الدلالات بحد فالمرجع هوالاستفتاء بالقلب ثم ان ما ذكر فى مجهول المال — واما ان رأيته ممن عرفته بالورع فى العبادات يصير فى حكم المال كالمجهول لتعارض الأدلة فى حق المال اذ لايلزم من الورع فى العبادات الورع فى المال فالمرجع هوحكم القلب وايضا ان هذه الدلالة انما تعتبر اذا دلت على حرمة اكثر ماله وان دلت على حرمة اقله لايجب السؤال بل يكون السؤال من الورع

الحالة الثالثة، ان يكون الحال معلوما بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب الظن فى الحل والحرمة مثل ان يعرف ديانته وعدالته فى الظاهر واحتمل عنده ان يكون الباطن بخلافه فههنا لايجب السؤال ولايجوز كما فى المجهول بل اولى والاقدام ههنا ابعد عن الشبهة من الاقدام على طعام المجهول فان ذلك بعيد من الورع وان لم يكن حراما —

النوع الثانى، احوال المال بان يختلط الحرام بالحلال كما اذا اشترى اهل السوق

احمالا من طعام غصب فلا يجب السؤال عما يشتريه فى تلك السوق وانما التفتيش هو الورع الا ان يظهر اكثر ما فى ايديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال والدليل على عدم وجوب السؤال اذا لم يكن الحرام اغلب عدم امتناع الصحابة عن الشراء من الاسواق مع ان فيها دراهم الربا وغلول القيمة وغيرهما وانما السؤال ينقل عن آحادهم نادرا فى بعض الاحوال وفى محل الريبة فى الشخص المعين ـ

المطلب الخامس

فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية وعليه فى ذلك وظيفتان

الوظيفة الاولى فى كيفية تمييز الحرام واخراجه ـ فالمال الحرام ان كان معلوم العين فالأمر سهل فان كان مختلطا فاما ان يكون من ذوات الامثال كالنقود والادهان او من اعيان متمايزة كالعبيد والثياب فان كان الاول اوكان شائعا فى المال كله كمن خلط دهنا مغصوبا بدهن نفسه فان كان معلوم القدر كالنصف فعليه تمييز ذلك القدر وان اشكل فله طريقان احدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ بغالب الظن فيجوز الأخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن الورع الأخذ باليقين ـ طريق الاخذ بالورع ان لا يستبقى الاالقدر الذى يتيقن انه حلال وطريق الأخذ بالجواز مثلا يتيقن ان النصف حلال والثلث حرام ويشك فى السدس فيخرج الثلث ويحكم فى السدس بغالب الظن والورع اخراجه ايضا وان شك فيه جاز الا مساك والورع الاخراج ايضا وهذا الورع اكد ـ فان قلت الذى يخرج لا يدرى انه عين الحرام فلعل الحرام ما بقى قلت انه غير مضر ولنفرض فى درهم اشتبه بدرهم آخر ايهما رد الى المالك ورضى به فقد برئ اما المردود وان كان عين درهمه فذاك وان كان غيره فقد حصل لكل منهما درهم فى يد صاحبه فالا حتياط ان يتبايعا باللفظ فان لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة اذ المغصوب منه وان فات له درهم فى يد الغاصب وعسر الوصول الى عينه واستحق ضمانه لكن ما أخذه يقع عن الضمان وهذا فى جانبه واضح فان المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال فى الجانب الآخر انه لم يدخل فى ملكه فنقول لانه ايضا قد سلم درهم

نفسه فقد فات له ايضادرهم هو فى يدالآخر وليس يمكن الوصول اليه فهو كالغالب(١) فيقع بدلا عنه فى علم الله تعالى ان كان الامر كذلك ويقع هذا التبادل فى علم الله سبحانه - هذا فى ذوات الامثال فانها تصح عوضا بلاعقد - واما اذا اشتبه دار بدار وأوعبد بعبد فلاسبيل الا المصالحة والتراضى فان ابى ان يأخذ الا عين حقه واراد أن يعوق عليه جميع ملكه فان كانت متماثلة القيمة يبيع القاضى جميع الدور ويوزع الثمن بقدر النسبة وان كانت متفاوتة أخذ من طالب الدفع قيمة انفس الدور وصرف الى الممتنع منه مقدار قيمة الاقل وتوقف فى قدر التفاوت الى البيان او الاصطلاح لانه مشكل وان لم يوجد القاضى فللذى يريد الخلاص وفى يده الكل ان يتولى ذلك نفسه -

الوظيفة الثانية فى الصرف وله احوال ثلاثة اما ان يكون له مالك معين ولا يدرى انه مات عن وارث ام لا وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة لا يقدر على جمعهم وان قدر فكيف يفرق دينارا واحدا على الوف من المسلمين فحكم هذا المال ان يتصدق به وان كان من مال الفيء والاموال المرصدة لمصالح المسلمين يصرفها الى المساجد والقناطر والرباطات ومصانع طريق مكة وامثال ذلك فان وجد قاضيا عدلا يسلم اليه المال وهو يصرفه الى ما ذكروا لا يحكم عالما متدينا من اهل البلد فان التحكيم اولى من الانفراد وان عجز عن ذلك يتولاه بنفسه اذ المقصود الصرف - فان اخطرت بالبال ان التصدق بالحرام غير جائز ولا اقل من عدم ثوابه قلت ثبت ذلك بالخبر والاثر والقياس اما الخبر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التى قدمت اليه فكلمته بأنها حرام او قال اطعموها فتصدق بالثمن -

واما الاثر فان ابن مسعود اشترى جارية ولم يظفر بمالكها لينقده الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه ان رضى والا فالأجر لى - وسئل الحسن عن توبة الغال بعد تفرق الجيش قال يتصدق به - واما القياس فهو أن هذا المال مردد بين ان يضيع وبين ان يصرف الى خير إذ يقع اليأس عن

(١) كذا -

مالكه ولا يخفى ان صرفه الى خير ينتفع به مالكه فى الآخرة خير له من ان ينتفع به فى الدنيا فضلا عن ان لا ينتفع اصلا لا فى الدنيا ولا فى الاخرى مع ان فيه انتفاع فقير وسد حاجته وحصول الاجر للمالك بغير اختياره لا ينكر اذقد ورد فى الخبر الصحيح ان للزارع والغارس اجرا فى كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره وما يقال لا يتصدق الا الطيب (١) فذلك اذا طلبنا الاجر لانفسنا ونحن نطلب الخلاص عن المظلمة لا الأجر وتردد نا بين التضييع والتصدق -وقول القائل لانرضى لغيرنا ما لا نرضاه لانفسنا فهو كذلك لكنه حرام علينا وحلال للفقير فرضينا له الحلال - واعلم ان المال اذا كان مختلطا من الحرام والحلال يخص الحلال بنفسه اذلا يعذر نفسه فى الحرام ويعطى الحرام العيال لأنهم ربما يعذرون بعدم العلم ثم انه يخص بالحلال قوته ولباسه واما اذا اريد تخصيص واحد منهما فيخص الحلال بالقوت اذ ينبت لحمه ودمه منه واللباس انما هو ساتر من الحر والبرد فالاهتمام بالاول اولى - وقال الحارث المحاسبي يقدم اللباس لبقائه مدة بخلاف الطعام الا أن المختار تقدم القوت ولهذا تقيأ الصديق رضى الله عنه لبنا شربه مع الجهل بحاله لئلا ينبت منه لحم - فان قيل بعد ما صرف الكل الى اغراضه لا يبقى الفرق بين نفسه وغيره - قلنا عرف ذلك التفاوت مما روى ان رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنع من كسب الحجام فروجع مرات فمنع فقيل له ان له ايتاما فقال اعلفوه الناضح فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو ودابته ثم اذا تصدق على الفقراء الحرام يوسعه عليهم واذا انفق على نفسه فلينفق ما قدر (١) وان انفق على عيا له فليقتصد -واما الضيف فان كان فقيرا يوسعه عليه منه وان كان غنيا فلا يطعمه منه الا فى برية او قدم ليلا لم يجد شيئا وان كان الضيف الفقير تقيا ورعا فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع ولا يقول انه لا يدرى فلا يضيره لان الحرام يؤثر فى قساوة القلب - وان كان الحرام فى والديه فليمتنع من أكل طعامهما وان سخطا اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وان كان شبهة فالامتناع للورع

(١) كذا - فليتلطف

فليتلطف فى الامتناع لأن رضاها ايضا ورع بل واجب - فان لم يقدر فليوافق وليقلل الأكل بان يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يتوسع فان ذلك غرور - والاخ والاخت قريب منها لأن حقها ايضا مؤكد وكذا اذا ألبسته امه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبله بين يديها ولينزعه فى غيبتها ولا يصلى فيه الاعند حضورها فلايصلى فيه الاصلاة المضطر -

المطلب السادس

فى ادرارات السلاطين فالنظر فيها فى امرين

النظر الاول فى جهات الدخل وهى قسمان احدها مال الفيء والجزية ومال المصالحة وهذا من الكفار - وثانيها من المسلمين وهو المواريث التى لاوارث لها والاموال ضائعة - واما الصدقات فلا تؤخذ فى هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وانواع الرشوة كلها حرام مصارف ،اذكر ثمانية - الاول الجزية واربعة اخماسها للصالح وخمسها لجهات معينة وذلك حلال ان اجتمع شرائطها المذكورة فى الفقه - الثانى المواريث والاموال الضائعة فهى للصالح والنظر فى حال المال بأنه حرام او حلال كله او بعضه فقد مر حاله - الثالث الاوقاف والنظر فيها كشرائط المواريث مع شرائط الوقف خاصة - الرابع ما احياه السلاطين ولا يعتبر له فيه شرط اذ له التصرف العام فى الاراضى فيعتبر فيه مامر من احوال الاعواض - الخامس ما اشتراه السلطان من الذمة من ارض اوثياب ونحو ذلك هو حلال لوكان ثمنه حلالا والا فحرام - السادس ما عينه للعمال بأن يجمعوا من اموال القسمة والمصادرات وهو الحرام السحت - السابع مايكتب على بياع يعامل السلطان فان كان لا يعامل غيره فماله كله حرام والافمختلط إما غالب اومساو اوقليل - الثامن ما يكتب على الخزانة اوعلى عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل حلال فهو سحت محض وان لم يعلم ففيه خلاف ، منهم من قال الحرام فيه غالب فلا يجوز ، ومنهم من قال كل ما لا أتيقن بحرمته فلى ان آخذه والمختار

ان الغالب ان كان حراما حرم وان كان الاغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا كما سبق - واحتج المجوزون بأخذ بعض من الصحابة من مروان ويزيد وبن عبدالملك ،وبعض من التابعين كالشعبي وابراهيم والحسن وابن أبي ليلى واخذ الشافعي من الرشيد الف دينار دفعة واحدة واخذ مالك من الخلفاء اموالا جمة وكان الحسن والحسين يقبلان جوائز معاوية - واما امتناع آخرين فيدل على الورع دون الحرمة واجيب بأن الآخذين اكثر من الممتنعين فان وجه الرد بالورع فكذا الأخذ يوجه بأحدامور ثلاثة اذ الاحتمالات اربعة - الاول ان لا يأخذ من مالهم شيئا وهوا شد الورع - الثانى ان يأخذ مما يعلم انه من جهة حلال وعلى هذا يحمل ما نقل عن الصحابة والتابعين - الثالث ان يأخذ ليتصدق به على الفقراء اويفرقه على المستحقين فانه مال لا يتعين مالكه والسلطان لا يصرفه فى محله فالأخذ منه وتفريقه فى محله اولى من تركه فى يده وعلى هذا يحمل اخذ كثير من السلف - الرابع ان يأخذ من سلطان اكثر ماله حلال ويستنفق وهكذا كان الخلفاء فى زمان الصحابة والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن اكثر مالهم حراما ولهذا قال على رضى الله عنه خذ ما اعطاك السلطان فان ما يأخذه من الحلال اكثر - واما مال السلاطين فى زماننا هـذا اما حرام كلها او اكثرها اذ الظلم تداخل جميع اموالهم او اكثرهم وايضا كان السلاطين فى العصر الاول يتقلدون المنة بأخذ الصحابة والتابعين اموالهم وهم يأخذون من غير اذلال وسؤال ولاهم يسكتون عن الحق لأجل عطائهم - وفى زماننا هذا انعكس الامر كله فيؤدى القبول الى المعصية -.

النظر الثانى فى قدر المأخوذ وصفة الأخذ - واعلم ان تصرف السلطان فى اموال المصالح كاربعة اخماس الفيء والمواريث صحيحة فله ان يعطى ما شاء لمن شاء واما مصارفها فالغنى ليس منهم اذلم يكن فيه مصلحة للناس بل المصرف من فيه مصلحة عامة اومحتاج الى الكسب فكل من يتولى امرا بقوم يتعدى مصلحته الى المسلمين فلوا شتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله فى بيت المال حق الكفاية ومنهم العلماء النافعون كالفقهاء والمحدثين والمفسرين والقراء بل المعلمون والمؤدبون

وكذا

وكذا طلبة هذه العلوم وكذا زوارى(١) العلماء المذكورين فانهم ان لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب - وايضا الدين والملك توأمان فيدخل فيهم الذين ترتبط مصالح الدنيا بأعمالهم - ومنهم عمال بيت المال والاجناد الحارسون للملكة ويدخل فيهم الحساب والكتاب والوكلاء لاعمال المال الحرام بل عمال بيت المال على حسب الشرع - ويدخل فيهم الاطباء ايضا لان لهم مدخلا فى صحة الجسد الذى لايتم امر الدين الا به لكن من يعالج المسلمين بغير اجرة وهؤلاء المصارف يجوز أن يعطوا مع الغنى وكذا للسلطان ان يخص واحدا بقدر ما شاء لكن ينبغى ان يراعى فيه المصلحة اذ مهما خص عالم او شجاع بصلة كان فيه بعث الناس وتحريضهم على الاشتغال والتشبه به هذا فى السلطان العامل على وجه الحق واما الظلمة ففيهم أمران احدهما انه بظلمه إما معزول اوواجب العزل فكيف يجوز أن يؤخذ من يده - ثانيهما أنه يمنع بعض المستحقين فلايجوز الأخذ للبواقى اصلا وان جاز فبقدر حصتهم - والجواب عنه اما عن الاول فلأن السلطان مهما عسر استبدا له وكان فى خلعه فتنة ثائرة لاتطاق وجب تركه والطاعة - وايضا انا نراعى الصفات والشروط فى السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح رأسا فكيف نفوت رأس المال فى طلب الربح بل الولاية الآن لاتسع الا الشوكة اومن بايعه صاحب الشوكة وهو الخليفة فمن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة فى اصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاة فى اقطار الارض ولاة نافذوا الاحكام - واما عن الثانى ففيه اربع مراتب فغلا بعضهم وقال المسلمون كلهم فيه شركاء ولايدرى ان حصته منه دانق اوحبة فليترك الكل، وقال قوم له ان يأخذ قوت يومه اذ الضرورة تندفع بهذا ، وقال قوم له قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق فلا يتركه ، وقال قوم يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لأن اشتراك هذا المال بين المسلمين ليس بطريق التعيين والا للزم الارث فيمن مات قبل القبض وانما يتعين بالقبض فلا يسقط الباقى بظلم السلطان للبعض منهم -

(١) كذا -

المطلب السابع

في حكم مخالطة السلاطين وذلك لايخلو عن احوال ثلاثة

الحالة الاولى ان تدخل عليهم فهي مذمومة شرعا وفيه تشديدات وتغليظات تواردت بها الاخبار والآثار ثم ان في الدخول مايحرم ومايكره وما يباح بسبب امور ثلاثة إما بفعله وإما بسكوته وإما بقوله ـ اما الاول فلأن الاكثرين دارهم مغصوبة فيحرم الدخول فيها بغير اذن المالك وإن لم تكن داره حراما فلايعصي بالدخول والسلام ولكن ان سجد اوركع او مثل قائما في سلامه وخدمته كان مكرما للظالم فيكون عاصيا والتواضع لغني غير ظالم معصية وفي الخبر نقص ثلثا دينه فكيف بالظالم ـ واما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية الاعند خوف اولامام عادل اولعالم اولمن يستحق ذلك بأمر ديني ـ قبل أبو عبيدة بن الجراح يد عمر رضي الله عنه فلم ينكر عليه ـ فان ترك جميع ذلك واقتصر بالسلام فلايخلو من الجلوس على بساطهم واذا كان اغلب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على بساطهم ـ

واما الثاني وهو السكوت فانه سيرى في مجلسهم من الفرش الحرام والاواني الحرام والملبوسات المحرمة عليهم وعلى غلمانهم بل يسمع منهم الفحش والكذب وامثالها فالسكوت على جميع ذلك حرام فان ترخص بانه يخاف فهلا عمل بالعزيمة في عدم الدخول اللهم الا اذا أكره على الدخول ايضا ـ

واما الثالث وهو القول فهو أن يدعو له ويثني عليه اويصدقه فيما يقول من باطل بتصريح اوبتحريك رأس اوباستبشار في وجهه اويظهر له الحب والاشتياق والحرص على طول عمره وبقائه وكل ذلك حرام وقعت فيه الاخبار والآثار فلايجوز الدخول عليهم الا لعذرين احدهما الاكراه وعلم انه لو امتنع اوذي اونزع العوام نفسهم عن طاعة الامراء لاقتدائهم بامتناعه ـ وثانيهما ان يدخل لدفع ظلم عن نفسه او عن غيره بشرط ان لا يكذب ولايثني ولا يدع النصيحة بتوقع قبولها ـ

الحالة

الحالة الثانية ان يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فيجب السلام واما القيام فان كان بجمع كثير يقوم لرعاية حشمة الولاة بين الرعايا فان ذلك مهم وان كان فى خلوة فيجوز القيام مكافأة لما وقع من الاكرام ولكن الاولى ان لايقوم ليظهر به عز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين والاعراض عمن اعرض الله عنه ثم يخوف فيما يرتكبه من المعاصى ويرشده الى طريق المصلحة والارشاد الى ماهو غافل عنه بما يغنيه عن الظلم -

الحالة الثالثة ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب اذلا سلامة الا فيه ولايستخبر عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم فاذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال أبو حاتم (١) الاصم انما بينى وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته وانا واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون فى اليوم ولابد أن تكون الجناية على الله فوق الجناية على نفسك فيجب ان لا تحب وما يقال المحبة غير اختيارى فليس كذلك لأن المحبة فرع معرفة الكمال فمن احب الله تعالى احب ما احبه وكره ما ابغضه ، وان احتججت بدخول السلف عليهم فنقول لك ادخل كما دخلوا لكنه قريب من المحال فى حقنا اين نحن من احوالهم لأنهم كانوا يعاتبونهم ويعظونهم ولا يخافون فى الحق لومة لائم و نحن نتقرب الى قلوبهم فنذلهم على الرخص فيمايوافق اغراضهم وان لنافى ذلك غروران (١) يغتربهما الحمقاء احدهما ان يظهر أن قصدى اصلاحهم بالوعظ وانما الباعث لهم الشهرة وربما تلبس انفسهم بذلك عليهم وليمتحن بانه لو تولاه غيره لفرح به ويشكره على كفايته هذا المهم -

وثانيهما ان يزعم انه يقصد الشفاعة لمسلم لدفع ظلامة وهذا ايضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم -

المطلب الثامن

اذا بعث اليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء - فان كان له مالك معين فلايحل أخذه والا فيجوز أن تتولى بها لكن اشترط بعضهم الامان عن ثلاث غوائل

---

(١) كذا -

الاولى ان يظن السلطان حل ماله بأخذك الثانية ان يقتدى بك غيرك ويستدل بذلك على جوازه ثم لايفرقون فهذا اعظم من الاول كما يستدلون بأخذ الشافعى على جواز الاخذ ويغفلون عن تفرقته واخذه على هذه النية - الثالثة ان يتحرك قلبك الى نفسه لتخصيصه اياك وايثاره لك وهذا هو السم القاتل فانك ان احببته تحرص عليه وتداهن فيه ومما ينبغى ان يعلم انه يجب الاحترازعن معاملتهم لأن اكثر مالهم حرام وكذا عن معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمتهم اذ اكثر اموالهم الغصب فمن اين يقع فى ايديهم مال مصلحة وجزية وميراث ووجه حلال حتى تضعف شبهة الحرام باختلاط الحلال بمالهم - وايضا الاسواق التى بنى السلاطين بالمال الحرام تحرم سكناها وان لم يحرم كسبه فان وجدوا سوقا آخر فلا يشترى منهم فان ذلك اعانة لسكناهم وتكثير لكراء حوانيتهم، ومنهم من بالغ وجعل كسبهم حراما وليس كذلك واما القناطر من مالهم فلا يجوز العبور عليها الا للحاجة والورع الاحتراز ما امكن، واما المساجد فان كان بناؤها وآلاتها مغصوبة اومن مال لايعرف مالكه فلا يجوز الصلاة فيها ولا الجمعة وان امكن اقتداء الامام من خارج فليفعل فالورع العدول الى مسجد آخر إن وجد والا فلايترك الجمعة والجماعة ولينظر الى احتمال ان يكون من مال بانيه اوان لايكون له مالك معين وكذا السقاية من مال حرام والورع الاحتراز عنها الا اذا خاف فوت الصلاة فيتوضأ واما الرباطات والمداوس فان كانت فى الارض المغصوبة لايرخص للدخول فيها وان التبس فقد ارصد لجهة من الخير فالورع اجتنابه لكن لايفسق مرتكبه وهذه الابنية ان صدرت عن خدم السلطان فالامر فيها اشد اذليس لهم صرف الاموال الضائعة الى المصالح مع غلبة الحرام على اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح وانما يجوز ذلك للولاة وارباب الامر والكلام فى هذا يطول والله اعلم -

الاصل الخامس

فى آداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق وفيه مطالب .

المطلب

المطلب الاول

فى فضيلة الاخوة وشروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الاخوة والالفة - اعلم ان حسن الخلق يوجب التوافق والتحاب ويثمرها ومحمودية المثمر توجب محمودية الثمرة كما ان سوء الخلق يثمر التباغض والتدابر اما فضيلة حسن الخلق فقوله تعالى (إنك لعلى خلق عظيم) وقال صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى وحسن الخلق - وقال اثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن - وقال بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ، ثم ان الاخوة فى الدنيا والاخوة فى الآخرة واعلم ان الصحبة اما اتفاقى كالصحبة بسبب الجوار او الاجتماع فى المكتب والمدرسة او السوق او باب السلطان او الاسفار واما اختيارى وهى فرع المحبة وهى اربعة اقسام -

القسم الاول - حبك الانسان لذاته وذلك بأن تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ وكل لذيذ محبوب فاللذة تتبع الاستحسان ويتبع هو المناسبة والموافقة من الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون صورته الظاهرة او الباطنة اعنى كمال العقل المثمر غزارة العلم وحسن الخلق المثمر حسن الافعال وقد تكون الالفة بمناسبة باطنة توجب الالفة فان شبه الشىء منجذب اليه وتلك المناسبة لها اسباب دقيقة ليست فى قوة البشر الاطلاع عليها واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم، الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف، وكان مالك بن دينار يقول، كل انسان يأنس بشكله كما ان كل طير مع جنسه، فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك فلما طارا فاذا هما اعرجان فقال من ها هنا اتفقا فقد ظهر منه ان الحب قد يكون لالنفع صورى ويدخل فيه الحب للجمال بدون ملاحظة الشهوة فان الصورة الجميلة مستلذة فى عينها وان فرض عدم الشهوة كما يستلذ الماء والخضرة والازهار فهو محمود فى نفسه وان اتصل به غرض مذموم من الشهوة الحرام صار مذموما وان اتصل به غرض مباح لايذم ولايحمد وفى هذا القسم لايدخل حب الله لانه طبيعى وحب الله ليس كذلك

القسم الثانى - لينال من ذاته غير ذاته فيكون المحبوب الغير وهو وسيلة اليه والطريق الى المحبوب محبوب ومنه محبة الذهب والفضة - ثم القصد بالوسيلة اما الى المال والجاه كحب الملوك والسلاطين او العلم كحب التلميذ الاستاذ وليس فى شيء منها محبة الله تعالى اذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى الا انه قد يكون مذموما اذا قصد التوصل الى قهر الاقران بالمال وحيازة اموال اليتامى بالجاه وظلم الرعايا بالعلم بولاية القضاء اوغيره وقد يكون مباحا اذا توسل الى مباح اذ الوسيلة يكتسب الحكم والصفة من المتوسل اليه -

القسم الثالث - ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه فى الآخرة كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العلم(١) ومقصوده من العلم والعمل الفوز فى الآخرة فهذا من جهة المحبين فى الله تعالى وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم بل الذى يتصدق بأمواله تقربا الى الله تعالى بل من احب من يواسيه فى المطعم والملبس ليتفرغ للعلم والعمل بل من احب امرأته الصالحة ليتحصن بها من وسواس الشيطان ويصون بها دينه ويولد له ولد صالح يدعوله فكل هذه المقاصد دينية فهو محب لله تعالى -

القسم الرابع - ان يحب لله وفى الله لا لينال منه علما اوعملا وليتوصل به الى امر وراء ذاته وهذا اعلى الدرجات وهو ادقها واغظمها وهذا القسم ايضا ممكن ومن آثار هذا الحب ان يتعدى من المحبوب الى من يتعلقه ويناسبه ولو من بعد من محبوب محبوبه ومن يثنى عليه حتى منزله ومحلته وجيرانه حتى قيل ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه - ويشهده التجربة فى احوال العشاق ويدل عليه اشعار الشعراء - فكذلك حب الله تعالى اذا غلب واستولى يتعدى الى كل موجود . سواء لأنه اثر من آثار قدرته كمن احب خط حبيبه وصنعته وكذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا حمل اليه باكورة مسح عينها (٢) واكرمها وقال انه قريب

(١) كذا ولعله - العمل - ح (٢) كذا -

العهد

العهد به. ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب فى الحال او المآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل من الانبياء المنقرضين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين. وحب جميعهم مكنون فى قلب كل مسلم متدين وكل ذلك حب الله لأنهم خواص عباده. واذا عرفت درجات الحب فقد اتضح عندك درجات البغض بالمقايسة لأن من احب لسبب فبالضرورة يبغض لضده فكل عاص لله يبغضه كما يحب المطيع وهذان متلازمان وكل من الحب والبغض دفين فى القلب وانما يترشح عند ظهور افعال المحبين والمبغضين ولكن يشكل حال من اختلط فيه الطاعة والمعصية اذ يلزم فيه الجمع بين الحب والبغض وهما متضادان الا ان الامر ظاهر عند الله تعالى. واما انت فتبغض من جهة عصيانه وتحب من جهة طاعته وذلك ممكن كما اذا كان لك ولد ذكى خدوم لكنه فاسق فانك تحبه من الجهة الاولى وتبغضه من الجهة الثانية وكذلك الحال فى المسلم العاصي فلا تبالغ فى اهانته كاهانتك الكافر ولا تبالغ فى اكرامه كاكرامك المسلم المطيع ثم ينبغى ان يكون ميلك الى طرف الاهانة عند غلبة المعصية والى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الطاعة. وهكذا حال من يطلب رضا الله ويتجنب سخطه. ثم طريق اظهار البغض اما القول او الفعل اما القول فبترك مكالمته ومحادثته مرة او الاستخفاف والتغليظ اخرى. واما الفعل فبعدم اعانته او بالسعي فى اساءته اخرى وهذه مراتب بعضها اشد من بعض ويترشح بحسب درجات الفسق والمعصية. اما درجات المعصية فاما ان يصدر بطريق الهفوة فالاولى فيه الاغماض والستر او بطريق الاصرار على الصغيرة او الكبيرة فان كانت متعدية الى الغير فلا يسامح فيه بل ينكر بقدر ما يرتدع عنه وبقدر ما امكن لك وان لم تكن متعدية الى الغير بل متعدية اليك فقط فطريقه العفو والصفح وان عظمت جريمته كما قطع أبوبكر نفقته على مسطح حين تكلم فى الافك ثم أمره الله تعالى باعادة النفقة اليه وهو قوله تعالى (ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة) الآية واية جريمة اعظم من ان يتعرض لحرم رسول الله

صلى الله عليه وسلم واطالة اللسان فى مثل عائشة رضى الله عنها - واما ان كانت معصية لنفسه فان كانت بينك وبينه مودة فله حكم مخصوص سنذكره والافلابد من اظهار اثر البغض بالقول اوالفعل وما يندرج تحتها من الانواع بحسب مرتبة ازجاره - واقل الدرجات قطع الرفق والنصرة عنه واقواها افساد اغراضه عليه وهذا لابد منه فيما يفسد عليه طريق المعصية لا فى كل أمر - هذا مذهب البعض واختار بعضهم فى المعصية التى المتعدية النظر بعين الرحمة لأنهم مقهورون لما قدر لهم والقدر لاينفع منه الحذر ولكن قد يلتبس المداهنة ومراعاة القلوب بالرحمة ومحك ذلك ان ينظر عليه بعين الرحمة ان جنى على خاص حقه ويقول كيف لايفعله وقد كتب عليه وان كان يغتاظ عند الجناية على خقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهو مداهن مغرور بمكيدة من مكائد الشيطان - فان قلت هل يجب الاعراض وقطع النفقة والاعانة من العاصى بحيث يأثم من يتركه؟ قلت لايدخل ذلك فى ظاهر العلم تحت التكلف والايجاب لان الصحابة كانوا منقسمين فى حق اهل المعاصى فمنهم من يغلظ القول ومنهم من يكتفى بالاعراض ومنهم من ينظر بعين الرحمة فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرائق السالكين -

المطلب الثانى

فى اقسام المعاصى واحكام كل منها

القسم الاول - الفساد فى الاعتقاد وهو نوعان الاول الكفر فالكافر الحربى يجازى بالقتل والاسترقاق وهذا اقصى الاهانة - والذمى هو الذى ماله وعرضه معصوم لكن يعرض عنه ويحقر بالاضطرار الى اضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام ويقول فى جواب سلامه وعليك والاولى الكف عن معاملته ومخالطته ومؤاكلته واما الانبساط معه والاسترسال إليه فمكروه كراهة شديدة تكاد تنتهى مايقوى منها الى حد التحريم - والثانى المبتدع وهو إما ان يدعو الى بدعته فان كانت بدعته بحيث يكفر بها فأمره اشد من الذمى والا فامره اخف من الذمى عند الله ولكن اشد عند الناس لأن شره يخاف ان يتعدى الى المسلم بخلاف شر الكافر

واما

واما المبتدع الذى يدعو الى بدعته ويزعم ان ما يدعو اليه حق فشره متعد فالاستحباب فى اظهار بغضه والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه اشد - واما رد سلامه فان كان عند الناس فلا يجوز تنفيرا للناس عنه وتقبيحا لبدعته فى اعينهم وان كان فى الخلوة فان ظن ان ترك الجواب يردعه عن بدعته فالترك اولى والا فلا بأس بجوابه - واما المبتدع العامى الذى لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره اهون فالاولى ان يتلطف به فى النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان فى الاعراض عنه تقبيح لبدعته فى عينه تأكد الاستحباب فى الاعراض -

القسم الثانى - العاصى بفعله وعمله لا باعتقاده وهذا على اقسام احدها وهو اشدها ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فالاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم اشد ثم ان فساد هؤلاء اما فى الدماء او فى الاموال او فى الاعراض وبعضها اشد من بعض فالاستحباب فى اهانتهم والاعراض عنهم يتأكد بحسب شدة الفساد وغلظته - القسم الثانى الماخور الذى يهيئ اسباب الفساد ويسهل طريقه على الفساق فهذا لا يؤذى الخلق فى دنياهم لكن ينقص بفعله من دينهم فهو قريب من الاول ولكنه اخف منه فان المعصية بين العبد والرب الى العفو والمغفرة اقرب ولكنه من حيث تعديه الى غيره شديد يقتضى الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام اذا ظن فيه او فى غيره نوعا من الزجر -

القسم الثالث - الفاسق فى نفسه بشرب خمر او ترك واجب او مقارفة محظور يخصه فالامر فيه اخف ولكنه فى وقت مباشرته ان صودف يجب منعه بما يمتنع منه ولو بالضرب والاستخفاف فان النهى عن المنكر واجب واذا فرغ منه وعلم انه مصر عليه فان علم النصح يمنعه من العود وجب النصح وان لم يتحقق ولكنه كان يرجوه فالافضل النصح والزجر لطفا او تغليظا ان كان هو الانفع - وان علم اصراره وان النصح لا ينفعه فسير العلماء فيه مختلفة فبعضهم يقول ينبغى

الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته وبعضهم يقول الرفق والنظر بعين الرحمة اولى كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم من لعن من شرب خمرا وقال لا تكن عونا للشيطان على اخيك - اوكما قال والحق ان ذلك يختلف باختلاف نيات الرجال والتفاوت فى الاحوال والمفتى فيه القلب والبال اذ لكل من الطرفين خطر اذ العنف قد يكون عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح ؛ والرفق قد يكون عن مداهنة واستمالة قلب -

المطلب الثالث

فى الصفات المشروطة فيمن تصاحبه

اذ ليس كل انسان يصلح للصحبة فالصحبة اما للدنيا كالانتفاع بالمال والجاه اوالاستئناس بالمشاهدة والمحاورة ولا يتعلق بذلك غرضنا - واما الدين وذلك لاغراض منها استفادة العلم والعمل ومنها استفادة الجاه تحصنا به عن أذى من يشوش القلب ويصده عن العبادة - ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات فى طلب الاقوات - ومنها الاستعانة فى المهمات فيكون عدة فى المصائب وقوة فى الاهوال - ومنها التبرك بمجرد الدعاء - ومنها انتظار الشفاعة فى الآخرة - قال بعض السلف، استكثر من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة - وايضا ينبغى فيمن تريد صحبته خمس خصال العقل وحسن الخلق وترك الفسق والابتداع والحرص على الدنيا - اما العقل فهو رأس المال اذ الاحمق يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لايدرى - واما حسن الخلق اذ رب عاقل يغلبه هواه اوغضبه اوشهوته ويخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه - واما الفاسق المصر على الفسق لايخاف الله ومن لايخاف الله لاتؤمن غائلته ولايوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض - وقال الله تعالى (ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه) واما المبتدع ففى صحبته خطر سراية البدعة وهو مستحق للقطيعة فكيف الصحبة - وقد جمع شرائط الصحبة علقمة العطاردى لابنه لما حضرته الوفاة فقال، يابنى ان عرضت لك الى صحبة

الرجال

الرجال حاجة فاصحب من اذا صحبته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك مدها واذا رأى منك حسنة عدها واذا رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولت امرا امرك وان تنازعتما فى شيء آثرك - كأنه جمع فى هذا جميع حقوق الصحبة الا ان مثل هذا الرجل عزيز او مفقود ولذلك قيل اوصاه بذلك لأنه اراد أن لا يصحب ابنه احدا - قال بعض الادباء ، لاتصحب من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك فى النوائب ويؤثرك فى الرغائب وينشر حسنتك ويطوى سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك - واما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء والطبع يسرق من الطبع من حيث لايدرى صاحبه -

المطلب الرابع

فى حقوق الصحبة وهى ثمانية

الاول فى المال اذ الاخوة اتحاد معنوى يقتضى الاشتراك فى المال والجاه والمساهمة فى السراء والضراء - وقال الله تعالى (وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) اى كانوا خلطاء فى المال - ومراتبها ثلاث اولاها ادناها ان تنزله منزلة خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك - ثانيتها ان تنزله منزلة نفسك وتشاركه فى مالك وثالثتها وهى العليا ان تؤثره على نفسك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن تمام هذه الرتبة ايثار بالنفس ايضا - روى انه سعى بجماعة من الصوفية الى بعض الملوك فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسن الثورى(١) فبادر هو الى السياف ليكون هو اول مقتول فقيل له فى ذلك فقال احببت ان أؤثر اخوانى بالحياة فى هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم فى حكاية طويلة - الثانى فى الاعانة بالنفس فى قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة ولها ايضا درجات - ادناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة لكن مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح وقبول المنة - وكان فى السلف

---

(١) كذا ولعله - ابوالحسين النورى - ح -

من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجاتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من ابيهم الاعينه بل كانوا يرون منه مالا يرون من ابيهم فى حياته - وكان الواحد يتردد الى باب دار اخيه ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرف اخوه - وبالجملة ينبغى ان تكون حاجة اخيك مثل حاجتك اوأهم وتتقلد منة بسبب قبوله فضلا عن ان ترى لنفسك حقا عليه ولا ينبغى ان يقتصر على قضاء الحاجة بل يجتهد فى البداية بالاكرام فى الزيادة والايثار والتقديم على الاقارب والولد -

الثالث وهو السكوت عن ذكر عيوبه فى حضرته وغيبته بل يتجاهل عنه - ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم ولا يماريه ولا يناقشه ويسكت عن اسرازه فلا يبثها الى غيره ولو أخص اصدقائه ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن ويسكت عن القدح فى احبابه واهله وولده وعن حكاية قدح غيره فيه فان الذى سبك من بلغك ولا يخفى ثناء احد عنه فان ذلك سرور للمبلغ والقائل واخفاؤه عنه من الحسد - وايضا لا يفاتح بسؤال غرضه ومورده ومصدره اذ ربما يثقل عليه ذكره او يحتاج الى ان يكذب فيه - وبالجملة يسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا فى الامر بالمعروف او النهى عن المنكر ولم يجد رخصة فى السكوت فان ذلك احسان اليه وان كرهه - اما ذكر مساويه وعيوبه ومساوى اهله فهو من الغيبة وذلك حرام فى حق كل مسلم ويزجرك عنه امران احدهما ان تطالع نفسك فان وجدت فيه امرا مذموما انت عاجز عن تركه فقس على نفسك حاله - وثانيهما انك ان طلبت احدا لا عيب فيه لم تجد من تصاحبه فأى الرجال المهذب وانما الكريم من غلبت فيه المحاسن المساوى فالكريم يلاحظ محاسنه واللئيم مساويه ولا يوجد احد ليس له مساو او محاسن وانما الاعتبار للنظر فالمحب يعمى حسه عن عيوب المحبوب والمبغض عينه تبرز كل عيب -

الرابع - على اللسان بالنطق فان الاخوة كما تقتضى السكوت عن المكاره تقتضى ايضا

 النطق

النطق بالمحاب اذ الاخوان انما يراد ليستفاد منهم لا ليتخلص عن اذاهم فعليه ان يتودد اليه بلسانه ويتفقده فى احواله التى يجب ان يتفقدفيها كالسؤال عن عارض ان عرض له واظهار لشغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة احواله التى يكرهها ان يظهر بلسانه وافعاله كراهتها وينبغى ان يظهر السرور بلسانه مشاركته له فى السرور فمعنى الاخوة المساهمة فى السراء والضراء، وفى الحديث اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما امره بالاخبار لتزداد حبا - ومن ذلك ان تدعوه بأحب اسمائه اليه فى غيبته وحضوره ومن ذلك ان يثنى عليه وعلى اولاده وفعله حتى عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط وآكد من ذلك ان يبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار الفرح به ومن ذلك ان يشكره على صنيعه فى حقه بل على نيته وان لم تتم واعظم من ذلك تأثيرا فى جلب المحبة الذب عنه فى غيبته مهما قصد بسوء او تعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض فحق الاخوة التشمير فى الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه فالسكوت عنه موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير فى حق الاخوة فلك معنيان احدهما ان تقدر أن الذى قيل فيه لو قيل فيك وكان اخوك حاضرا ما الذى تحب ان يقوله فيك فينبغى ان تقابل المتعرض لعرضه به - وثانيهما ان تقدر أنه حاضر او وراء جدار يسمع قولك ويظن انك ماتعرف حضوره فما كان يتحرك فى قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى ينبغى ان تكون فى غيبته كذلك ومن لم يكن مخلصا فى اخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والخلوة والجماعة والاختلاف والتفاوت فى شىء من ذلك مما ذم فى المودة وهو دخل فى الدين ووليجة فى طريق المسلمين، ومن لم يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به من المؤاخاة والمصاحبة فان حق الصحبة ثقيل لا يطيقه الا محقق ولاجرم اجره جزيل لاتناله الابتوفيق - ومن ذلك التعليم والنصيحة اذ الحاجة الى العلم فوق الحاجة الى المال فاذا وجب مواساته وجب مواساته بالعلم بالطريق الاولى

وان لم يعمل بعد تحصيل العلم يعلمه فعليك نصحه لكن فى الخلوة لما ذكرناه ولا تظنن ان فى ذكر العيوب ايحاش القلب فلا يكون من حقوق الاخوة لأن الا يحاش فى عيب يعلمه صاحبه وان لم يعلم فهو عين الشفقة واما ما يعلمه ولا يقدر على دفعه فلا يكشف سره فيه ان كان يخفيه وان كان يظهره فلابد فيه من النصح بالتعريض تارة وبالتصريح اخرى الى حد لا يؤدى الى ايحاش وان علمت ان النصح غير مؤثر وانه مجبور عليه فالسكوت عنه اولى ــ واما ما يتعلق بتقصيره فى حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامى عنه فالتعريض ليس من النصح فى شىء نعم ان كان بحيث يؤدى استمراره عليه الى القطيعة فالعتاب فى السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والكناية خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل ــ

الخامس ــ العفو عن الزلات والهفوات والهفوة اما فى دينه او فى حقك أما الاول فعليك التلطف فى نصحه بما تقيم اوده وتجمع شمله وتعيد الى الورع والصلاح حاله فان لم تقدر وبقى مصرا فقد اختلف فيه الصحابة والتابعون فذهب ابوذر الى الانقطاع ورأى ذلك من البغض فى الله ، واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه وقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى ــ وقال ابراهيم النخعى لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يرتكبه اليوم ويتركه غدا ولكم من اخ زل ولم يتغير عليه اخوه حتى صار باعثا على هدايته ولعله لو ترك لكان باقيا على ذنبه ــ وايضا هذا وقت حاجته وعقد الاخوة مرصدة لوقت الحاجة واى حاجة اشد من فقر الدين فهذه طريقة قوم وهى الطف وافقه من طريق ابى ذر وطريقته احسن واسلم والاكثرون على خلاف ابى ذر رحمه الله قال الشاعر ــ

واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما

وقال

ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اى الرجال المهذب

السادس

السادس- الدعاء للاخ فى حياته ومماته فتدعوله كما تدعو لنفسك فانه دعاء لك على التحقيق ، وفى الخبر اذا دعا الرجل لاخيه فى ظهر الغيب قال له الملك ولك مثل ذلك ، وفى الحديث دعوة الاخ لاخيه فى الغيب لاترد ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مثل الميت فى القبر مثل الغريق يعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد او والد اواخ اوقريب -

السابع- الوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت مع اولاده واصدقائه فان الحب امر اخروى فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي - ومن ثمرات المودة ان لا تكون مع حسد فى دين ودنيا فكيف يحسده وكل ما لاخيه فاليه ترجع فائدته ومن الوفاء ان لايتغير حاله فى التواضع مع اخيه وان ارتفع شأنه وعظم جاهه والارتفاع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال لؤم -

قال الشاعر

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا   من كان يألفهم بالمنزل الخشن

ومن آثار الاخلاص وتمام الوفاء ان يشتد جزعه من المفارقة نفور الطبع من اسبابها وان لايسمع بلاغات الناس على صديقه سيما من يظهر او لا انه صديقه وينقل عنه ما يوغر الصدر فذلك من دقائق الجهل فى التعريف ، ومن الوفاء ان لايصادق عدو صديقه -

الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف بان لايكلف على اخيه ما يشق عليه بل يروح سره عن مهماته وحاجاته ويرفهه عن تحمله شيئا من اعبائه ولايستمد منه من جاه ومال ولايكلفه التواضع له والتفقد والقيام بحقوقك بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا به الى الله بالقيام بحقوقه وبحمل مؤنه وتمام التخفيف على بساط التكليف ان لايستحيي منه فيما لا يستحيي عن نفسه ولا يعترض فى نوافل العبادات ويشاور فى كل ما يقصده ويقبل اشارته ولا يخفي عنه شيئا من اسراره ويرى نفسه دون اخيه ويحسن

الظن به ويسيء بنفسه فاذا رآه خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منه وتنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتخدمهم بجميع جوارحك ، اما البصر فتنظر اليهم نظر المودة يعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم فى وقت اقبالهم اليك وكلامهم معك ، واما السمع فأن تسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار فيه ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ومنازعة ومداخلة واعراض فان راهقك عارض اعتذرت اليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهونه - واما اللسان أن لا ترفع صوتك عليهم ولا تخاطبهم الا بما يفهمون وقدمر باقى حقوقه - واما اليد انفأن لا تقبضها عن معونتهم فى كل ما يتعاطى باليد - واما الرجلان فأن تمشى وراءهم مشى الاتباع لا مشى المتبوعين ولا يتقدمهم الا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم الا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم اذا اقبلوا ولا يقعد الا بقعودهم ويقعد حيث يقعد متواضعا ومهما تم الاخاء خفت جملة من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها من حقوق الصحبة وفى ضمنها نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك فيه الا مسلك نفسه ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف اظهار ما فيها -

المطلب الخامس

فى جمل من آداب المجالسة مع اصناف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء - ان اردت حسن المعيشة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة له ولاهيبة منهم وتوقر فى غير كبر وتواضع فى غير مذلة وكن من جميع امورك فى اوسطها (كلا طرفى قصد الامور ذميم) ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك فى انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلوات وغيرها وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مترتبا وأصغ الى الكلام الحسن

الحسن ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك من الحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك وجاريتك وشعرك وتصنيفك وسائر مايخصك ولا تفرط الزينة كالمرأة ولا تتبذل كالعبيد وتوق كثرة الكحل والاسراف فى الدهن ولاتلح فى الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم ولا تعلم ولدك وأهلك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوا قليلا هنت اليهم وان كان كثيرا لا تبلغ قط رضاهم واجفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك - واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر فى حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث ركبتك واذا هدأ غضبك فتكلم - وان قربك سلطان فكن منه على حد السنان وان استرسل اليك فلا تأمن من انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبى وكلمه بمايشتهيه ولايحملنك لطفه بك الى ان تدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه فانسقطة من هذا دأبة لاينعس وزلة (١) لا تقال واترك الغيبة والكذب واحفظ السر وأقلل الحوائج وهذب الالفاظ، والاعراب فى الخطاب احسن وذاكر باخلاق الملوك وأقلل المداعبة وأكثر الحذر منهم وان ظهرت المودة ولا تتجشأ بحضرته ولا تتخلل بعد الأكل عنده - وعلى الملك ان يتحمل كل شيء الاافشاء السر والقدح للملك والتعرض للحرم - واياك وصديق العافية فانه اعدى الاعداء . ولا تجعل مالك اكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا فابدأ بالتسليم ولا تتخط لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث تكون اقرب الى التواضع اولى - والادب ان تحيي بالسلام من قربت منه عند الجلوس ولاتجلس على الطريق فان وقع فغض البصر وانصر المظلوم وأغث الملهوف واعن الضعيف وارشد الضال ورد السلام واعط السائل وآمر بالمعروف وانه عن المنكر ولا تبصق فى جهة القبلة ولاعن يمينك ولكن عن يسارك اوتحت قدمك اليسرى ولا تجالس العامة فان فعلت فأدبهم ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء الفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم -

(١) كذا ولعله فان سقطة من هذا دأبه لا تنعش وزلته - ح -

واياك ان تمازح لبيبا اوغير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويذهب ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون ويميت القلب ويباعد عن الرب ويكسب الغفلة ويورث الزلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وتتبين العيوب ويقال لا يكثر المزاح الا من سخف اوبطر ـ ومن بلى فى مجلس بمزاح فليقل قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الاانت استغفرك واتوب ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم من قاله قبل ان يقوم من مجلسه غفرله ما كان فى مجلسه ذلك ـ

المطلب السادس

فى حق المسلم والرحم والجوار والملك

واخص المخالطة القرابة وذوالرحم المحرم آكد ومنهم حق الوالدين آكد وحق الصحبة لها درجات الصحبة فى الدرس والمكتب آكد ثم صحبة السفر والصداقة اذا تويت صارت اخوة فاذا زادت صارت محبة فاذا زادت صارت خلة والمحبة ما يتمكن من حبة القلب والخلة ما يتخلل القلب ـ حقوق المسلم ان تسلم عليه اذا لقيته وتجيب اذا دعاك وتشمته اذا عطس وتعوده اذا مرض وتشهد جنازته اذا مات وتبر قسمه اذا أقسم عليه وتنصح له اذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك، وردفى جميع ذلك اخبار وآثار ولا تؤذي احدا بفعل وقول وتتواضع لكل مسلم ولا تتكبر عليهم ولاتبلغ بعضهم ما تسمع من بعض ولا تزيد فى الهجر على ثلاثة ايام ويحسن على كل من قدر على الاحسان عليه ما استطاع لا يميز بين الاهل وغير الاهل ولايدخل على احد منهم الا باذنه بل يستأذن ثلاثا فان لم يؤذن له انصرف ويخالق الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسن طريقه فانه اذا اراد لقاء الجاهل بالعلم والعامى بالفقه والغنى باليسار آذي وتأذي ويوقر المشايخ ويرحم الصبيان ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا بأذن وفى الخبر ماوقر شاب شيخا الا قيض الله له فى سنه من يوقره

وفى

وفى هذا اشارة الى دوام الحياة فليتنبه له فلا يوفق لتوقير الشيوخ الامن قضى له بطول العمر ويكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا ولا يعدمسلما بوعد الا ويفى به وأن ينصف الناس من نفسه ولا يأتى اليهم الا ما يحب ان يؤتى اليه وان يزيد توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم وان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد اليه سبيلا وان يستر عورات المسلمين كلهم حتى الحدود كما قال صلى الله عليه وسلم لماعز لما اخبره لو سترته بثوبك كان خيرا لك وقال ابوبكر الصديق لو رأيت احدا على حد من حدود الله ما اخذته ولا دعوت له احدا حتى يكون معى غيرى وينبغى ان يتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن والسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا وان يشفع لكل من له حاجته من المسلمين عند من له منزلة عنده فيسعى فى قضاء حاجته بما يقدر عليه وان يبدأ كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام وان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره وان يشمت العاطس ثلاثا واذا زاد فهو زكام يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذى يشمته يرحمكم الله ويرد العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم وايضا اذا بلى بذى شر ينبغى ان يجامله ويتقيه وان يجتنب مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام ويفعل النصيحة لكل مسلم والجهد فى ادخال السرور على قلبه قال معروف الكرخى من قال كل يوم ثلاث مرات اللهم اصلح امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم افرج عن امة محمد كتبه الله من الابدال وينبغى ان يعود مرضاهم والمعرفة والاسلام كاف فى اثبات هذا الحق ونيل فضله وآدابه خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وأدبه عند الاستئذان ان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول انا اذا قيل من ولا يقل يا غلام لكن يحمد ويسبح وفى الحديث تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويسأله كيف هو قال عثمان رضى الله عنه مرضت فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد من شر ما تجد قاله مرارا ودخل صلى الله عليه وسلم على على رضى الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم انى اسألك تعجيل عافيتك اوصبرا على بليتك اوخروجا من الدنيا فانك ستعطى احداهن - ويستحب للعايل ايضا ان يقول اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد - وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه اذا اشتكى احدكم بطنه فليسأل امرأته شيئا من صداقها فيشترى به عسلا فيشربه بماء السماء فيجمع له الهنىء المرىء والشفاء المبارك وآداب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر، والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدعاء على خالق الدواء، قال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به فى اول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال تقول لا اله الا الله يحيى ويميت وهو حى لا يموت سبحان رب العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله اكبر كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم ان انت أمرضتنى لتقبض روحى فى مرضى هذا فاجعل روحى فى ارواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدنى من النار كما باعدت اولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى - ومن الآداب ان يشيع جنائزهم وان يزور قبورهم والمقصود الدعاء والاعتبار وترقيق القلب وادب المعزى خفض الجناح واظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم - وادب تشييع الجنازة دوام الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتذكر فى الموت والاستعداد له وان يمشى امام الجنازة بقربها والاسراع بها وجملة الكلام ان لا تستصغر احدا منهم حيا كان او ميتا فتهلك لانك لا تدرى لعله خير منك وان كان فاسقا فلعله يختم بالصلاح وتختم انت بمثل حاله ولا تنظر اليهم بعين التعظيم فى دنياهم فان الدنيا صغيرة الى الله واذا عظمت يستحق المقت ولا تبذل دينك لدنياهم فتصغر فى اعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو ادنى بالذى هو خير ولا تطمع فيما فى ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا تطمع ان يكون

لك فى الغيب والسر كما فى العلانية فذلك طمع كاذب وأنى تظفر به ولا تتكبر عليهم لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة على فعلك ، واذا قضى احد حاجتك فهو اخ مستفاد فان لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا - ثم انك لا تقدر مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك ولا تعظ الا ارسالا من غير تنصيص على احد واذا رأيت منهم خيرا فاشكر الله الذى سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا رأيت شرا او بلغك منهم غيبة او اصابك منهم ما يسوءك فكل أمرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم ولا تشتغل بالمكافأة فيزيد الضرر ويضيع العمر ولا تقل لهم لم لا تعرفون قدرى وموضعى واعتقد أنك لو استحقيت ذلك لجعل الله لك موضعا فى قلوبهم فالله المحبب والمبغض القلوب وكن سميعا لحقهم اصم من باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم ان صحبوك لا يقيلون العثرة ولا يغفرون الزلة ولا يسترون العورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون ولا يعفون يعيرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وأن سخطوا فباطنهم الحنق ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات فى صحبتهم ليجبهوك بها فى غضبهم ووحشتهم ولا تعول على مودة من لم تخبره فى حق الخبرة بأن تصحبه مدة فى دار او موضع واحد فتجربه فى عزله وولايته وغناه وفقره وتسافر معه او يعامك فى الدينار والدرهم او تقع فى شدة فتحتاج اليه فان رضيته فى هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا او ابنا ان كان صغيرا او اخا ان كان مثلك -

المطلب السابع

حقوق الجوار

اعلم ان للجوار حقا وراء ما يقتضيه اخوة الاسلام ، وفى الحديث الجار المسلم

ذوالرحم له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم والجار المسلم له حقان الجوار والاسلام والجار الكافر له حق واحد للجوار وليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف يقال ان الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ويقول يا رب سل هذا لم منعنى معروفه وسد بابه دونى ، وجملة حق الجار أن يبدأ بالسلام ولا يطيل معه الكلام ويكثر عن حاله السؤال ويعوده فى المرض ويعزيه فى المصيبة ويقوم معه فى العزاء ويهنيئه فى الفرح ويظهر الشركة فى السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره ولا فى مصب الماء من ميزابه ولا فى مطرح التراب فى فنائه ولا يضيق طريقه الى داره ولا يتبعه بالنظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته ويعينه اذا نابته نائبة ولا يغفل عن تعهد داره عند غيبته ولا يتسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمه ولا يديم النظر الى خادمه ويتلطف اولده فى كلامه ويرشده الى ما جهله من امر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التى ذكرناها للسلمين عامة ، قال صلى الله عليه وسلم أتدرون ما حق الجار إن استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان إفتقر جدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابه مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه واذا اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها ، أتدرون ما حق الجار والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار الامن رحمه الله ـ هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عنه صلى الله عليه وسلم ـ

المطلب العاشر (١)

حقوق الاقارب

قال صلى الله عليه وسلم يقول الله انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمى

(١) كذا وكان قبل هـذا ـ المطلب السابع وسيأتى عقبه المطلب الحادى عشر ـ

فمن

فمن وصلها وصلته و من قطعها بتته - وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسأ له فى اثره ويوسع له فى رزقه فليتق وليصل رحمه - روى ان عمر رضى الله عنه كتب الى عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا - انما قال ذلك لان التجاور ربما يورث القطيعة -

حقوق الوالدين والولد ، اعلم ان آكد الحقوق القرابة وآكدها قرابة الولاد ، قال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله ، وقال بر الوالدة على الوالد ضعفان وقال الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك ؟ قال هى ارحم من الاب ودعوة الرحيم لا تسقط ، وطاعة الابوين واجبة فى الشبهات وان لم تجب فى الحرام المحض وليس لك ان تسافر فى مباح اونافلة الاباذنهما والمبادرة الى الحج الذى هو فرض الاسلام كالنفل لأنه على التأخير والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن فى بلدك من يعلمك قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه اليوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة زوجه ثم أخذ بيده وقال ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة - وقيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك تسعا ثم هو عدوك اوصديقك - قال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده ، وقال صلى الله عليه وسلم اذا استصعبت على احدكم دابته وساء سوء خلق زوجته اواحد من اهل بيته فليؤذن فى اذنه -

المطلب الحادى عشر

حقوق الملك

وهوا ما ملك النكاح وقد مروا ما ملك اليمين وهو آخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم

مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما احببتم فأمسكوا وما كرهتم فبدلوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء ملكهم اياكم - قال صلى الله عليه وسلم اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شيء يطعمه الحلوى فانه اطيب لنفسه، رواه معاذ - وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فليمسكه فليأكله معه وان لم يفعل فليناوله - رواه أبو هريرة - بالجملة حق المملوك ان يشركه فى طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفواته وجناياته فى معاصيه وجنايته على حق الله وتقصيره فى طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته عليه -

الاصل السادس

فى آداب العزلة

المطلب الاول

فى فضلها وكراهتها

واختار الاول سفيان الثورى وابراهيم بن ادهم وداود الطائى والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشى وبشر الحافى - واختار الثانى سعيد بن المسيب والشعبى وابن أبى ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعى واحمد بن حنبل وجماعة كثيرة -

المطلب الثانى

فى فوائد العزلة وهى ستة

الاولى الفراغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاستكشاف بأسرار الله تعالى فى امر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعى فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه ولذلك

لذلك تبتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابتداء امره فى جبل حراء وانعزل اليه حتى قوى فيه نور النبوة فكان الخلق بحيث لا يحجبونه عن الله تعالى فكان بيدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى ولن يتسع للجمع بين المخالطة ظاهرا والاقبال على الله سرا الا قوة النبوة فلا ينبغى ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع فى ذلك ولا يبعد أن تنتهى درجة بعض الاولياء اليه - وقد نقل عن الجنيد أنه قال انا اكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون انى اكلمهم - وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وهذا غير منكر اذ الانسان ربما يلقى همه فى امر من امور دنياه ويخالط ولا يحس بهم ولا يسمع اصواتهم وامر الآخرة اعظم عند العقلاء من ذلك - واذا عرفت ذلك فمن تيسر بدوام الذكر الانس بالله اوبدوام الفكر تحقق فى معرفة الله فالتجرد له افضل فان المطلب الاعلى ان يموت الانسان محبا لله عارفا بالله وأصل ذلك الخلوة والعزلة -

الثانية - التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها فى الخلوة وهى اربعة احدها الغيبة وهى التى يتفكه بها الانسان ويتنقلون فهى طعمتهم ولذتهم فان ماجوا فقتهم اثمت اوسكت فكنت شريكا لهم والمستمع احد المغتابين اوانكرتهم فابغضوك واغتابوك فازدادوا غيبة الى الغيبة وربما انتهوا الى الاستخفاف والشتم - وثانيها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو أصل من اصول الدين فان سكت عصيت الله تعالى وان أنكرت تعرضت لانواع من الضرر وربما يجره طلب الخلاص منها الى معاصى هى اكثر مما نهى عنه ابتداء -

وثالثها - الرياء فهو الداء العضال الذى يعسر التحفظ على الاوتاد والابدال وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا وأقل ما يلزم فيه النفاق فانك ان خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهما بوجه توافقه صرت بغيضا اليهما جميعا وان جاملتهما كنت شرار الناس وأقل مايجب فى مخالطة الناس اظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب إما فى الاصل اوفى الزيادة واظهار الشفقة بالسؤال عن الاحوال بقولك

كيف انت وكيف اولادك وانت فارغ القلب من همومهم وذلك نفاق محض - ورابعها مسارقة الطبع لما يشاهد من اخلاق الناس واعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين - ومن جالس فاسقا مدة يرى في نفسه انه لايستثقل الفساد مثل استثقاله قبل ذلك اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط استعظامه فاذا طالت صحبته اوشك ان يتخلل القوة الرادعة ويذعن الطبع للميل اليه او دونه ومن طال مشاهدته للكبائر استحقر الصغائر من نفسه ثم وثم بالغا ما بلغ -

الثالثة الخلاص عن الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها وقلما تخلو البلاد عنها -

الرابعة الخلاص من شر الناس من الغيبة وسوء الظن بك والتهمة عليك والاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وربما يسيؤن الظن بسبب توهمهم قال المتنبي -

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عداته واصبح في ليل من الشك مظلم

الخامسة ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عنهم

اما انقطاع طمعهم عنك ففيه كل الجدوى لأن رضا الناس غاية لاتدرك فاشتغال المرء بصلاح نفسه اولى ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا - واما انقطاع طمعك عنهم فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولايرى الخيبة في اكثر الاطماع فيتأذى به ومهما اعتزل لم يشاهد ولم يشته ولم يطمع ومن شاهد زينة الحياة الدنيا فاما ان يقوى دينه ويقينه فيصبر والصبر امر من الصبر والصبرا ويحتال في طلبها فيهلك في الدنيا بالطمع الذي يخيب في اكثر الاوقات وفي الآخرة بايثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى -

السادسة - الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقاء ومقاساة اخلاقهم فان رؤية الثقيل

هي العمى الاصغر - وايضا في رؤية الثقيل خوف ارتكاب غيبته واستنكار ما هو صنع الله تعالى وفي العزلة امان من جميع هذه الآفات -

المطلب الثالث

آداب العزلة وهي سبعة

الاولى التعليم والتعلم وهما اعظم العبادات ولا يتصوران الا بالمخالطة، والعزلة قبل تعلم المفروض من العلم عصيان فمن يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل غاية الخسران ولذلك قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل الا ان المراد ينبغي ان لا تكون اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع والتقدم على الاقران والتقرب عند السلطان وتولى الاعمال واجتلاب الاموال لان هذه الامور هلاك الدين وايضا ان يتعلم علما هو سبب لاثارة الخوف من الله لاما يتوصل به الى الخصام الاقران والمنافسة والمباهاة كطلب الكلام الجدلي والفقه الخلافي والمواعظ المزخرفة اذ العزلة خير من تعلم هذه فان صودف طالب لله ومتقرب الى الله فالاعتزال عنه وكتمان العلم عنه اكبر الكبائر الا ان مثل ذلك في بلد كبير في زماننا هذا واحد او اثنين - ولقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك ومن اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق وغيمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجاتهم ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ثم يعدون ترددهم عليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويعرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد أن كنت متبوعا رئيسا - وهذا كلام حق وصدق رحم الله من قاله فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد إليهم فكأنه يهدى تحفة اليه فيرى حقه واجبا عليه وربما

لايختلف اليه مالم يتكفل له على مساعدة اغراضه الفاسدة الذميمة - ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك و يبذل دينه وعرضه فى ابواب الظلمة لأجل اغراضهم الذميمة و مع ذلك نسبوه الى الحمق و قلة التميز والقصور عن درك مقادير الفضل وسلقه السفهاء بألسنة حداد و ثاروا عليه ثوران الاساود والآساد و مع هذا كله تمنيه نفسه بالاباطيل و تدليه بحبل الغرور و يقول انما افعله مريدا وجه الله واذاعة شرع رسوله و ناشرا دين الله و يصير المسكين ضحكة الشيطان و يؤول سعيه وجده الى الخسران وكيف لا وليس فساد الزمان الا بكثرة هؤلاء الفقهاء اولى الضلال والخذلان -

الثانية - النفع ولا نتفاع لأن كلا منهما بالمخالطة فالمحتاج الى الكسب فى جهاد المخالطة وما كان معه مايقنع به فالعزلة افضل واولى الا ان يريد التكسب ليتصدق فهو افضل من العزلة لاجل النوافل لالأجل التحقق فى معرفة الله تعالى ومعرفة علوم الشرع ولامن العزلة للاقبال بكنه الهمة على الله والتجرد به للذكر واما النفع فاما بماله اوببدنه فيقوم بحاجات المسلمين حسبة لله على حدود الشرع فهو افضل من العزلة بنوافل الصلوات والاعمال البدنية - واما الاعمال القلبية من المعارف فلا معادل لها اصلا وقطعا -

الثالثة التأديب والتأدب بكسر النفس وقهر الشهوات بتحمل اذى الناس وهو افضل من العزلة لمن لم تتهذب بعد اخلاقه كخدام المتصوفة فى الزمان الاول اذهم اليوم توسلوا بالخدمة الى انتفاع المال والتكبر بالاستتباع واما التأديب فهو حال شيخ المتصوفة معهم فلا بدله من المخالطة وحاله معهم حال المعلم مع المتعلم وحكمه بحكمه ويتطرق اليه من دقائق الآفات مايتطرق الى نشر العلم كالرثاء الاانه اقل فيهم من غيرهم ولذلك قل اهله -

الرابعة - الاستئناس والايناس وذلك قد يكون حراما كمجالس الغيبة واللهو وقد يكون مباحا فى الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى ويستحب اذا كان الغرض ترويح القلب فان القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان فى

الوحدة وحشة وفي المجالسة ترويح القلب فهي اولى اذا كان في بعض اوقات النهار وربما يكون افضل في حق البعض دون البعض فليتفقد فيه احوال القلب وتأمل احوال الجليس ثم اجلس معه -

الخامسة - في نيل الثواب وانالته اما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين والجمعة والجماعات وهؤلاء سيما حضور الجمعة والجماعات واجب وليس في العزلة ما يعادله، اللهم الا نادرا واما الانالة فهو فتح بابه للتعزية والتهنئة او العيادة وكذا الزيادة ان كان عالما - ففي هذه الصور ينبغي ان يوزن ثواب هذه بآفاتها ويرجح ما ترجح -

السادسة - التواضع فانه من افضل المقامات ولا يقدر عليه من الوحدة وقد يكون الكبر ايضا سببا في اختيار العزلة ومانعه عن المخالطة ان لا يوقر في المحافل ولا يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خوفا من ان تظهر مقابحه فيتخذ من البيت سترا عليها وعلامة ذلك ان يحب ان يزار دون ان يزور ويفرح بتقرب العوام والسلطان واجتماعهم على بابه وتقبيلهم يده على سبيل التبرك فلا تكون عزلته للاشتغال بنفسه وفي ذلك جهل من وجهين، احدهما ان التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو كبير بعلمه او دينه وكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يتواضعون غاية التواضع - وثانيهما ان الخلق لا يغنون من الله شيئا وان ضره ونفعه بيد الله وان من طلب رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تدرك -

السابعة - التجارب اذ العقل الغريزي كاف (١) بها في مصالح الدين والدنيا فينبغي ان يتعلم اولا ويحصل ما يكفيه من التجارب ثم يعتزل ومن جملة ذلك الاخلاق الذميمة في النفس من الحقد والحسد والغضب ونحو ذلك فانها دفينة في النفس بما يسلم المعتزل عنها ويظن نفسه خالية عنها وعند المخالطة تتحرك ويظهر خبثها فلها في اظهار الخبائث فائدة جليلة، اذا عرفت فوائد العزلة وآفاتها فينبغي ان ينظر الى الشخص وحاله ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل

(١) كذا -

وما وقع فى مدح العزلة اومدح المخالطة من كلام الصوفية والحكماء فليس ذلك على اطلاقه بل ذلك حكاية غالب احواله فلاتغتر بذلك اذ لكل شخص حال ولكل حال حكم - واما آداب العزلة فهى ان ينوى بعزلته كف شره عن الناس اولا ثم طلب السلامة من الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفات الاختلاط ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا ثم ليكن فى خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتنى ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش عليه وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم والاصغاء الى اراجيف البلد فان كل ذلك ينغرس فى القلب حتى ينبعث فى اثناء الصلاة اوالفكر من حيث لا يحتسب وبالجملة يقطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس وليكن له اهل صالحة اوجليس صالح يستريح نفسه اليه عن كد المواظبة فى اليوم ساعة ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر فى العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما فى ايدى اهلها وطريق ذلك ان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسى ويمسى على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم واحد والا فلايسهل عليه الصبرعشرين سنة اوقدر تراخى الاجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل فى قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت ومن انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذلا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وانسه فرحا بفضل الله تعالى عليه ورحمته كما قال تعالى فى الشهداء (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) وكل متجرد لله فى جهاد نفسه فهو شهيد مهما ادركه الموت اذ الجهاد الاكبر جهاد النفس -

الاصل السابع

فى آداب السفر

اعلم ان السفر إما ظاهر بالبدن او باطن بالقلب عن اسفل السافلين الى ملكوت

السموات وهذا اشرف من الاول لكن لما كان فيه خطب خطير وغموض السبيل لم يستغن فيه عن مرشد ودليل ويتوقف ايضا على القناعة بالعيش القليل من الحظ الجليل اندرست مسالكه وانقطعت فيه الرفاق وخلت عن الطائفين متنزهات الانفس والآفاق فنحن نذكر شروطه وآدابه في مطالب —

المطلب الاول

في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع

واعلم ان للسفر فوائد واقسام القسم الاول طلب العلم وهو إما واجب او نفل بحسب كون العلم واجبا ونفلا وذلك إما بأمور دينية وفي الخبر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وإما علم باخلاقه في نفسه وذلك ايضا مهم في سلوك طريق الآخرة ولا يمكن الاطلاع على اسرار باطنه وخبائث صفاته مثل ما يطلع عليه بالسفر حتى انه يسمى بالسفر بانه يسفر عن الاخلاق وذلك لأن النفس فيما بين مألوفاتها لا تظهر خبائث اخلاقها فاذا فارقتها انكشفت — وإما علم بآيات الله في ارضه اذ في مشاهدتها فوائد للمستبصر وذلك لأنه ما من شيء الا وهو شاهد لله تعالى بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه الامن القى السمع وهو شهيد اما الجاحدون المغترون بظاهر زهرة الدنيا فهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون يعلمون ظاهرا من الحياة وهم عن الآخرة غافلون — وما اريد بالسمع السمع الظاهر بل السمع الذي يسمع كلام الجدار من الوتد اذ قال الجدار لم تشقني ؟ قال الوتد سل من يدقني فان الحجر الذي ورائي لم يتركني ورائي ، وما من ذرة في الارض والسموات الا ولوحدانيتها شاهدات ولكن لا يفقهون تسبيحهم ، ومثل هذا السمع واستقراء الاسطر المكتوبة بالخطوط الالهية على صفحات الكائنات لا يحتاج الى السفر بل يمكن وهو في بيته قعيد لمن القى السمع وهو به شهيد ، فاعتبر هذا الملك يملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب قل المساعد ، ثم الذي يهلك اكثر من الذي يملك قال المتنبي —

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

ولايتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب ـ قال الشاعر

واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الاجسام

وما اودع الله العز والملك فى الدين والدنيا الا فى متن الخطر وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر ـ قال الشاعر ـ

يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

القسم الثانى السفر لأجل العبادة اما لجهاد او حج وقد ذكرنا آدابه وقد يدخل فيه زيارة قبور الانبياء والصحابة والتابعين والعلماء والاولياء اذ كل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارة قبره بعد وفاته ولزيارة الاحياء فوائد بركة الدعاء والنظر اليهم فان النظر الى وجوه العلماء والصلحاء عبادة ، وفيه ايضا تحريك الرغبة فى الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم مع مايستفاد منهم من انفاسهم وافعالهم ، واما البقاع فالمساجد الثلاثة لقوله صلى الله عليه وسلم لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى وايضا الثغور للرباط بها لاغير ـ

القسم الثالث ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين اذ الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ، ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والاسباب اذ الدين لايتم الابقلب فارغ من غير الله ولايتصور الفراغ من المهمات والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وقد نجا المخففون وهلك المثقلون وهذه نعمة عظيمة من الله تعالى لعباده وله الحمد حيث لم يجعل النجاة فى الفراغ المطلق من جميع الاوزار والاعباء بل قبل المخفف بفضله ورحمته والمخفف الذى ليست الدنيا اكبر همته وكان لايتيسر فى الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه فلا بدله من العزلة والخمول وقطع العلائق التى له عنها بد حتى يروض نفسه مدة الى ان يمن الله تعالى عليه حتى يستوى عنده الحضر والسفر والعلائق وعدمها لكن ذلك مما يعز وجوده جدا ، ومنهم من هرب حذرا من الشهوة(١) اذا اقام فى بلد ومن

(١) كذا ـ واحسبه ـ الشهرة ـ ح

المتوكلين من يختار السفر لأنه يرى فى الا قامة اعتمادا على الاسباب ويراه قادحا فى التوكل -

القسم الرابع، الهرب مما يقدح فى البدن كالطاعون او فى المال كغلاء السعر وما يجرى مجراه ولا حرج فى ذلك اذ الفرار قد يجب وقد يستحب بحسب مايترتب عليه من الفوائد ولكن يستثنى عنه الطاعون لورود النهى فى الهرب عنه وستعرف حاله مفصلا فى قسم التوكل واذا عرفت اقسام الاسفار فقد ظهر لك منه ان السفر إما مذموم وهو قد يكون حراما كالاباق وسفر العاق وقد يكون مكروها كالخروج من بلد الطاعون وإما محمود وهو قد يكون واجبا كالحج وطلب العلم وقد يكون مندوبا كزيارة العلماء والمشاهد المتبركة وإما مباح كطلب المال للتعفف عن السؤال واقامة المروءة فى العيال ، فاعلم فضيلة السفر وفضيلة الا قامة مثل حال العزلة والخلطة فتعرف احوالهما من حالها والافضل منهما ماهو الاعون فى الدين، والسفر لأجل التعلم محمود والاقامة لاجل العمل محمود واما السياحة على الارض فمن المشوشات للقلب الافى حق الاقوياء اذ الشغل بالحط والترحال مشوش الاحوال - وايضا يشغل قلبه بالخوف على النفس والمال اللهم الا ان يطلب العلم او شيخا يقتدى فى سيرته وان امكن هذا بدون السفر فالسكون اولى خصوصا طلب شيخ التصوف فانه فى زماننا هذا يعز وجوده على بسيطة الارض اذ اكثرهم تلبسوا بالمرقعات واتخذوا من الخانقاهات منتزهات ولبسوا على الناس بما تلقفوا الفاظا من خرقة من الطامات فيظنون با نفسهم خيرا ويتوهمون ان المشاركة فى الظواهر توجب المساهمة فى الحقائق فهيهات ما اغزر حماقة من لايميز بين الشحم والورم واما السائحون من غير مهم فى الدين والدنيا بل لمحض التفرج فى البلاد كالبهائم المترددة فى الصحارى فلابأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم اذلابأس باتعاب حيوان خميس(١) لحظ خسيس يليق به ويعود اليه فالفتوى تقتضى تسييب العوام فى المباحات -

---

(١) كذا ولعله - خسيس - ح

المطلب الثانى

فى آداب السفر من اول النهوض الى آخر الرجوع وهى احد عشر ادبا ـ
الاول ان يبدأ برد المظالم والودائع وقضاء الديون واعداد النفقة له ولعياله من الحلال وليأخذ قدرا يوسع به لرفقائه ـ
الثانى ان يختار رفيقا لما قيل الرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره اذا نسي ويعينه اذا ذكر والمسافرة وحده منهى عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة نفر وقال خير الاصحاب اربعة ـ وقال اذا كنتم ثلاثة فامروا احدكم وليؤمروا احسنهم اخلاقا وارفقهم للاصحاب واسرعهم الى الايثار وطلب الموافقة وانما يحتاج الى الأمير لأن الآراء تختلف فى تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ومهما كان المدبر واحدا انتظم الامور وانما انتظم امر العالم لأن مدبر الكل واحد (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وخير الرفقاء الاربعة لأن الرجل يحفظه آخر ويحتاج الى آخر عند التردد فى الحاجة ولابد للتردد ايضا من رفيق وما فوق الاربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة فلا ينعقد بينهم التوافق فى الرفاقة الخاصة ، واما الرفاقة العامة فتحتاج الى الجماعة الكثيرة للأمن من المخاوف ـ
الثالث ان يودع رفقاء الحضر والأهل والاصدقاء وليدع لهم وليقل انى استودع الله دينك وامانتك وخواتم عملك، واهله يقولون له زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت ـ
الرابع، ان يصلى قبل السفر صلاة الاستخارة وقد عرفتها ثم يصلى فى بيته اربع ركعات اذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله احد ثم يقول اللهم انى اتقربت اليك فاخلفنى بهن فى اهلى ومالى فهى خليفة فى اهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع الى اهله ـ
الخامس اذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله اعوذ بك من ان اضل اواذل اواظلم اواظلم اواجهل اويجهل على ـ فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتى

ثقتى وانت رجائى فاكفنى ما اهمنى وما لا اهتم به وما انت اعلم به منى عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودنى التقوى واغفرلى ذنبى ووجهنى الى الخير اينما توجهت - وليدع بهذا الدعاء فى كل منزل يرحل عنه فاذا ركب فليقل بسم الله وبالله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون - فاذا استوت الدابة تحته فليقل الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان فى الامور -

السادس ان يرحل من المنزل بكرة ويستحب ان يبتدئ بالخروج يوم الخميس - روى جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر وقال اللهم بارك لامتى فى بكورها - وروى (ابن) كعب بن مالك عن أبيه قال قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى سفر الا يوم الخميس - روى انس انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لامتى فى بكورها يوم السبت - قال عبدالله ابن العباس اذا كان لك الى رجل حاجة فاطلبها اليه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بارك لأمتى فى بكورها(١) - ولا ينبغى ان يسافر فى بكرة يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم المنسوب اليها فكان اوله من اسباب وجوبها - والتشييع للوداع مستحب وهو سنة -

السابع ان لا ينزل حتى يحمى النهار وهو السنة ويكون اكثر سيره بالليل - قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار - ومهما اشرف على المنزل (فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسألك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذبك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عنى شر شرارهم - فاذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل اعوذ بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق - فاذا جن عليه الليل فيقول يا ارض ربى وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك

(١) كذا -

وشر مادب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد وو الدوما ولد، له ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم - ومهما علا شرفا من الارض فى وقت السير يقول اللهم ان لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال - ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة فى سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت - الثامن ان يحتاط بالنهار فلا يمشى منفردا عن القافلة لأنه ربما يغتال وينقطع عن القافلة وان يتحفظ بالليل عند النوم بأن يتناوب الرفقاء فى الحراسة وهو السنة فاذا نام آخر الليل نصب ذراعه وجعل رأسه فى كفه لئلا يشتغل بالنوم فيفوته الصلاة - واذا قصده عدو اوسبع فليقرأ آية الكرسى وشهدالله الآية والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله حسبى الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتى بالخير الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبى الله وكفى، سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لأغلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحى الذى لا يموت اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واكنفنا بركنك الذى لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك واماتك برأفة ورحمة انك انت ارحم الراحمين -

التاسع ان يرفق بالدابة راكبا ولا يحملها ما لا تطيق ولا يضرب فى وجهها فانه منهى عنه ولا ينام عليها فانه تتأذى به الدابة اذ يثقل بالنوم - ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة وعشية وفيه فوائد ترويح الدابة وادخال السرور على قلب المكارى ورياضة البدن والحذر من خدر الاعضاء بطول الركوب وينبغى ان يعرض كل مايحمله على المكارى لئلا يثور بينهما نزاع فليتحرز عن التجاج وكثرة الكلام مع المكارى -

العاشر يستصحب ستة اشياء بذلك وردت السنة المرءاة والسواك والمكحلة والمشط والقارورة والمقراض وزاد الصوفية الركوة لحمل الماء الطاهر والحبل -

لنزع الماء وتجفيف الثوب المغسول وزاد بعضهم الابرة بخيوطها ـ وبعضهم استغنوا عن الركوة بالتيمم وبالطهارة من الغدران مالم يتيقنوا بنجاستها وعن الحبل بالجبال والارض فيفرشون الثياب المغسولة عليها ـ

الحادى عشر ـ فى آداب الرجوع من السفر، كان صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج اوغيره يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آئبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ـ واذا اشرف على مدينته يقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ـ ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولاينبغى ان يطرقهم ليلا فقد ورد النهى عنه وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم دخل المسجد وصلى ركعتين ثم دخل البيت وقال توبا توبا لربنا أوبا لايغادر علينا حوبا ـ والسنة ان يحمل لاهل بيته ولأقاربه تحفة من مطعوم اوغيره على قدر امكانه لان الأعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به وبذلك يتأكد فرحهم ـ

المطلب الثالث

فى الآداب الباطنة

وقد ذكرتبذ منها وجملة ذلك ان لايسافر الا لزيادة امر دينى وينوى فى دخول كل بلدة ان يرى شيوخها ويجتهد أن يستفيد منهم ادبا اوكلمة ينتفع بها لا ليحكى ذلك عنهم ويظهر أنه لقى المشايخ ولايقيم ببلدة اكثر من اسبوع اوعشرة ايام الاان يأمره الشيخ المقصود بذلك ولايجالس فى مدة الاقامة الاالفقراء والصادقين وان زار اخا له فلايزيد على ثلاثة ايام فهو حدالضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده اكثر من يوم وليلة ولايشتغل بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وان كان الشيخ فى بيته فلايدق عليه بابه ولايستأذن عليه الى ان يخرج فاذا خرج تقدم اليه بأدب ولايتكلم بين يديه الا ان يسأله فان

سأله اجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة ما لم يستأذن اولا - واذا كان فى السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان واسخيائهم ولا اصدقاءه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل فى سفره زيارة قبور الصالحين ويلازم فى الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه انسان فليسكت عند(١) الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع الى ما كان عليه فان تبرمت نفسه بالسفر او بالاقامة فليخالفها فالبركة فى مخالفة النفس فاذا تيسرت خدمة قوم صالحين فلا ينبغى ان يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة وان لم يحصل له فى السفر زيادة فى الدين فليرجع اذلو كان بحق لظهر اثره -

المطلب الرابع

فى رخص المسافر وادلة القبلة والاوقات

والرخص ست رخصتين فى الطهارة المسح على الخف ثلاثة ايام ولياليها والتيمم ورخصتين فى النفل اداؤه على الراحلة واداؤه ماشيا ورخصة فى الصلاة وهو القصر ورخصة فى الصوم وهو الفطر بنية القضاء فى الفرض وتفصيل ذلك فى علم الفقه - واما ادلة القبلة فثلاثة ارضية كالاستدلال بالجبال والقرى والانهار أو هوائية كالاستدلال بالرياح وهما يختلفان فيصعب الاستدلال بهما واما السماوية فالشمس فى النهار فلا بد أن يراعى قبل السفر أن الشمس عند الزوال اين تقع منه اذا توجه الى القبلة أهى على العين اليمنى او اليسرى او على الجبين وكذا بموقع الغروب وبالمشرق ويعرف اختلاف هذه صيفا وشتاء فاذا بعدت البلاد تتفاوت هذه الامور فينبغى ان يسأل من اهلها او يجرب ذلك من مساجدها فان بان انه اخطأ فان وافق الجهة فيها وإلا يعيد الصلاة واما مقابلة الجهة فبأن تقع الكعبة بين الخطين الخارجين من جهة المصلى على هيئة ساقى المثلث الى الافق فان كانت الكعبة ههنا تصح الصلاة والا فلا - واما أمر الاوقات ففى كتب الفقه مفصلا فارجع اليها لعلك ترشد بها -

---

(١) كذا ولعله عن - ح -

الاصل

الاصل الثامن

في آداب السماع والوجد وفيه مطالب

المطلب الاول

في حله وحرمته

فقد نقل عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وجماعة من العلماء واما الآثار فمختلفة في الحرمة والاباحة ومهما تعارضت يبقى التقليد الى احد الجانبين قصورا فينبغي ان يبحث عن مدارك الحظر والاباحة - اعلم ان أمر الحرمة لايعرف بمجرد العقل بل بالسمع اما بالنص وهو ما اظهره صلى الله عليه وسلم بقوله او فعله او بالقياس فان لم يوجد فيه نص فلم (١) يوجد فيه قياس بطل القول بتحريمه وبقي كسائر المباحات - ثم نقول وقد دل النص والقياس جميعا على اباحته - اما القياس فهو أن السماع سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك القلب فالوصف الاعم انه صوت طيب ثم هو إما موزون او غيره ثم الموزون إما مفهوم او غيره فهذه درجات -

الدرجة الاولى - الصوت الطيب من حيث هو طيب فلايحرم بل حلال بالنص والقياس - اما القياس فهو أنه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك ماهو مخصوص به وهي إما مستلذة كصوت البلابل او مستكرهة كنهيق الحمار فكما لاحرمة في مستلذات سائر الحواس فكذا فيه كالالوان الخضر في البصر والاطعمة الحلوة في الذائقة واما النص فقوله تعالى (يزيد في الخلق مايشاء) قيل هو حسن الصوت وقد امتن بذلك - وفي الحديث ما بعث الله نبيا الاحسن الصوت -

الدرجة الثانية - النظر في الصوت الطيب الموزون والوزن وراء الحسن فهي إما ان تخرج من جماد كصوت القصب والاوتار او من حيوان كصوت العنادل والقماري او من انسان كصوت النغمات من حنجرة الانسان فسماع هذه يستحيل ان تحرم لكونها طيبة او موزونة والا لحرم صوت العنادل ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان فينبغي ان يقاس عليه اصوات المخلوق من

(١) كذا -

الانسان واصوات القصب والدف الا الملاهي والاوتار ولا شك ان حرمتها ليس للذتها والالحرم كل مايستلذه الانسان بل لما حرمت الخمور اقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الامر في الابتداء الى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار اهل الشرب من الاوتار والمزامير فقط وكان تحريمها من قبيل الاتباع كتحريم الخلوة لكونها مقدمة للزناء وكتحريم النظر الى الفخذ لئلا يتساهل في ذلك ويؤدى الى التساهل في السوأتين — وحرم قليل الخمر وان لم يسكر لانه يدعو الى الكثير وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام او وقاية حظارا بما حوله فظهر أن الاوتار والمزامير حرمت لأجل تحريم الخمر لثلاث علل احداها انه يدعو الى شرب الخمر فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر وبمثل هذه العلة حرم قليل الخمر — وثانيتها انها في قريب العهد بشرب الخمور تذكر بمجالس الانس بالشرب فهو سبب الذكر والذكر سبب انبعاث الشوق وهو اذا قوى سبب الاقدام فمن تذكر بها شرب الخمر فهو في حقه حرام وفي حق غيره مكروه — وثالثها الاجتماع لما ان صارت عادة اهل الفسق فيمنع التشبه بهم لأن من تشبه بقوم فهو منهم — ولهذا حرمت الكوبة وهي طبل مستطيل رقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحج والغزو — ولهذا حرم المزمار العراقي والاوتار كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها وما عداها فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقصب وكل آلة يستخرج منه صوت طيب موزون سوى ما يعتاده اهل الشرب — بهذا تبين انه ليس العلة في تحريمه مجرد الاصوات الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما في تحليله فساد —

الدرجة الثالثة — الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك خارج من حنجرة الانسان فيقطع باباحته وزاد الا(١) لكونه موزونا والكلام المفهوم غير حرام وكذا الصوت الطيب الموزون فاذا لم يحرم الآحاد فلم يحرم المجموع الا ان يفهم منه

(١) كذا —

امر محظور وذلك حرم نظمه ونثره وحرم التصويت به سواء كان بألحان او لا والحق فيه قول الشافعي الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما كان انشاد الشعر بغير صوت حسن حسنا فمع الالحان لا يحرم اذ المباح لم يحرم فكيف ينكر انشاد الشعر وقد انشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشد هو ايضا وكذا نقل عن الصحابة سيما على بن أبى طالب وعن التابعين والمجتهدين سيما الامام الشافعي —

الدرجة الرابعة — النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فاقول لله تعالى سر فى مناسبة النغمات الموزونة للارواح حتى انها لتؤثر فيها تأثير الفرح والحزن والضحك والطرب حتى النوم حتى قيل من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج لا يقبل العلاج وكيف لا والصبى فى مهده يسكته الصوت الطيب والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء حتى تستخف معه الاحمال الثقيلة وتمدأ عناقها الى جانب الصوت ويترك الماء والعلف بين يديه مع شدة جوعه وعطشه وربما تتلف نفسها فى شدة السير — وقد نقل ان الطيور كانت تقف على رأس داود لاستماع صوته — ومهما كان النظر فى السماع باعتبار تأثيره فى القلوب لم يجز أن يحكم مطلقا باباحته وحرمته بل يختلف ذلك باختلاف احوال القلب — قال ابو سليمان السماع لا يجعل فى القلب ما ليس فيه لكن يحرك ما هو فيه —

واذا عرفت هذا فاعلم ان مواضع الغناء لاتخلو عن سبعة —

الاول — غناء الحجيج بالطبل والشاهين فى وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وهو يهيج الشوق الى حج البيت الحرام واشتغاله ان كان ثمة شوق حاصل والحج محمود والشوق وما يبعثه من الطريق المباح محمود لامحالة — ومن هذا القبيل الاشعار التى ينشدها الواعظ للترغيب والترهيب —

الثانى — ما يعتادة الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك ايضا مباح لكن يخالف

ألحان الحاج لان ذلك للترغيب والتشويق وهذا للتشجيع واستحقار النفس والمال - والاشعار المشجعة مثل قول المتنبي -

فان لا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتقاسى الذل غير مكرم

وقوله

يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة النفس اللئيم

وامثال ذلك فهذا ايضا مباح في وقت يباح فيه الغزو ومندوب اليه في وقت استحبابه -

الثالث - الرجزيات في اللقاء بالعدو والغرض منه تشجيع النفس والانصار وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة وذلك اذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان اوقع في النفس وذلك اما مباح او مندوب اليه بحسب اباحة القتال او ندبه ومحظور اذا كان في قتال المسلمين واهل الذمة وكل قتال محظور لأن الداعي الى المحظور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة كعلي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما ولذلك يمنع من الضرب بالشاهين في معترك الغزاة لانه يحلل عقدة الشجاعة لكون صوته مرققا محزنا فمن فعله ليفتر القوي عن القتال المندوب فهو عاص وعن القتال الحرام فهو مطيع -

الرابع - اصوات النياحة ونغماتها المهيجة للحزن والبكاء فذلك مذموم ان كان على الاموات للنهي على التأسف على ما فات واما الحزن على تقصيره في امر دينه وبكاؤه على خطاياه والتباكي والتحازن عليه كما فعله داود عليه السلام فمحمود حتى كانت الجنائز تحمل من مجلس نياحته عليه السلام - ولهذا لم يحرم البكاء والتباكي على الذنوب من الوعاظ وارباب التذكير -

الخامس - السماع في اوقات السرور تأكيدا له وتهييجا له وهو مباح ان كان السرور مباحا كالغناء في ايام العيد والعرس وقدوم الغائب وولادة الولد والوليمة والعقيقة وعند الختان وحفظ القرآن اذ كان ما جاز السرور به جاز اثارة السرور فيه ويدل على جوازه انشادهم بالدف والالحان عند قدوم رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم -

طلع البدر علينا، من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا، ما دعا لله داعى

وقوله صلى الله عليه وسلم عند منع أبى بكر جاريتين تدففان وتضربان عند النبى صلى الله عليه وسلم دعهما ابا بكر فانها ايام عيد - وكذا نظر عائشة الى الحبشة يلعبون فى المسجد والنبى صلى الله عليه وسلم عندها يسترها بردائه وغير ذلك - فهذه المقاييس والنصوص تدل على اباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب فى اوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد مما يجوز الفرح به شرعا - ومنه الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم واجتماعهم على طعام او كلام فهو ايضا مظنة السماع -

السادس- سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس فان كان فى مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق والشوق وان كان الما ففيه نوع لذة اذا انضاف اليه رجاء الوصول وهذا حلال ان كان ممن يباح له الوصال كمن يعشق زوجته او سريته فيصغى الى غنائها لتتضاعف لذته فى لقائها وما الحيوة الدنيا الالعب ولهو وهذا منه - واما من يتمثل فى نفسه صورة صبى امرد اوامرأة لايحل له النظر اليها فهذا حرام لأنه محرك للفكر فى الافعال المحظورة ومهيج للداعية الى مالايحل الوصول اليه وهذا حال الفساق والسفهاء وكثير من الشبان فالسماع ممنوع فى حقهم لمافيه من تحريك الداء الدفين لا لأمر يرجع الى نفس السماع -

السابع- سماع من احب الله سبحانه وعشقه واشتاق الى لقائه فلاينظر الى شيء الا رآه فيه ولا يقرع سمعه قارع الاسمعه منه او فيه فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه ومور زناد قلبه ومستخرج منه كين حبه ويحصل منه احوال من المكاشفات والملاطفات لايحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذواقها وتسمى تلك الاحوال عندهم وجدا اخذا من الوجود لانه صادفت من نفسه امورا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون تلك الامور والاحوال سببا

لروادف وتوابع تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما ينقى الابريز من الخبث فيحصل للقلب الصفاء والنقاء ثم يتبع الصفاء مكاشفات ومشاهدات هى غاية المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها فالمفضى اليها من جملة القربات لامن جملة المعاصى والمباحات وحصول هذه الاحوال بسبب السماع يسر الله تعالى فى مناسبة النغمات الموزونة للارواح ويثمرلها شوقا وفرحا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب فى ذلك من دقائق علوم المكاشفات واما البليد الجامد الطبع القاسى القلب المحروم عن لذة السماع ربما ينكر ذلك ويتعجب من الالتذاذ والوجد واضطراب الحال والشوق وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبى من لذة الجاه والرياسة وتعجب الجاهل من معرفة الله وجلاله وعظمته وعجائب صنعته وسبب ذلك ان اللذة نوع ادراك فمن لم يكمل قوة ادراكه فى حق الملتذذ به لايدرك اللذة ثم اعلم ان بعضا من الجهال بل بعضا ممن تظنه عالما وهو عالم فى بعض الامور وجاهل فى باب معرفة الله ولم يقدر الله حق قدره ربما ينكر محبة الله تعالى وانت تقلده فى ذلك فوجب علينا كشف اللثام عن وجه المحبة والعشق والشوق الى الله عزوجل واعلم ان المحبة ميل ينشأ من اعتقاد جمال المحبوب فاذا قويت المحبة يسمى عشقا ثم ان الجمال اماصورى وهو تناسب الخلقة وصفاء اللون المدرك بحاسة البصر واما معنوى وهو كمال العظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات وارادة الخيرات لكافة الخلق المدرك بحاسة القلب وقد يحب الانسان لهذه الصفات الباطنة وان لم يرصاحبها كما يحب الانسان ابا حنيفة والشافعى لاعتقاد الكمال فى العلم والدين وللاخلاق فيهما ومع ذلك لم يدرك بجمالهما الصورى اصلا نظهر أنه يمكن معرفة الجمال المعنوى بدون رؤية الجمال الصورى ثم ان الجمال الحقيقى فهو الله ولا جمال ولامحبوب فى العالم الا وهو حسنة من حسناته وآثار من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال فى العالم من مبتدأ العالم الى منقرضه ومن ذروة العلى الى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من انوار حضرته فليت شعرى كيف لايعقل

حب من هذا وصفه وكيف لا يتأكد عند العارفين باوصافه حبه حتى يجاوز حدا لايمكن اطلاق اسم العشق ايضا لقصوره عن الانباء عن فرط محبته فسبحان من احتجب عن الظهور للابصار لشدة ظهوره واستتر عن العيون باشراق نوره. ولولا احتجابه سبعين حجابا من نوره لأحرقت سبحات وجهه ابصار اللاحظين. لجمال حضرته ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول وذهبت القلوب وتجاذبت (١) القوى وتناثرت الاعضاء ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادى انوار تجليه دكا فأنى يطيق كنه نور الشمس ابصار الخفافيش بل محبة غير الله جهل وقصور لظنه ان فيهم شيئا من الجمال بل المتحقق بالمعرفة لايعرف غير الله اذ ليس فى الوجود تحقيقا الا الله وافعاله فكانت محبته مقصورة على الله غير مجاوزة الى سواه فكان اسم العشق على حب غيره مجازا محضا لا حقيقة له نعم ان الناقص القريب فى نقصانه من البهيمة قد لايدرك لفظة العشق الا طلب الوصال الذى هو عبارة عندهم عن تماس ظواهر الاجسام وقضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغى ان لايستعمل معه لفظ العشق والوصال والانس اذ الافهام الفاسدة السقيمة لا تدرك من الالفاظ الا ما يلائم طباعها فاستعمل معه ما يوافق طبعه من لفظ الكمال والتلذذ بمعرفته وامثال ذلك -

المطلب الثانى

فى مواضع حرمة السماع وانها خمس عوارض

الاولى - السماع من المرأة المحرمة النظر اليها والامرد فيحرم السماع لالنفسها بل لمجاورها - الثانية فى الآلة بان تكون من شعائر الشرب او المخنثين كالمزامير والاوتار وطبل الكوبة، وماعدا ذلك يبقى على الاباحة كالدف وان كان معه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات - الثالثة فى نظم الصوت وهو الشعر فان كان من الخنا والفحش والكذب والهجو فسماع ذلك حرام بألحان وغير ألحان والمستمع شريك القائل وكذلك مافيه وصف امرأة بعينها وامثاله

---

(١) كذا ولعله - وتخاذلت - ح -

هجاء الكفار واهل البدعة فذلك جائز وقد فعله حسان فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم - واما التشبيب وهو النشيد بوصف الخدود والقدود والاصداغ وسائر اوصاف النساء ففيه نظر والصحيح جوازه ان لم ينزله على معينة ونزله على من تحل له من زوجته وجاريته ومن نزله على اجنبية فهو عاص بهذا التنزيل ومن هذا حاله ينبغى ان لا يحضر مجلس السماع - واما الذى يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلا ظلمة الكفر وبنضارة الخد نور الايمان وبذكر الوصال لقاء الله وبذكر الفراق الحجاب عن الله فى زمرة المردودين وبذكر الرقيب المشوش فروح (١) الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الانس بالله ولايحتاج فى تنزيل ذلك عليه الى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق المعانى الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ حتى ان ما فهمه ربما لا يوافق مراد الشاعر - الرابعة المستمع بان يكون شابا تكون الشهوة غالبة عليه فالسماع حرام عليه وان لم يكن فيه حب شخص معين - الخامسة ان يكون المستمع من العوام ولم يغلب عليه حب الله فيكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه الشهوة فيكون محظورا ولكنه ابيح كسائر اللذات المباحة الا انه بالمداومة يصير لهوا ترد شهادته وبالاصرار يصير كبيرة ونظير ذلك اللعب بالشطرنج عند الشافعية لان مداومته مكروهة كراهة شديدة وان كان اصله مباحا اذ كم من مباح يصير اكثاره حراما كالخبز المباح اكثاره حرام بأن يجاوز حد الشبع - فاما ما ورد من الاخبار والآثار الدالة على حرمة الغناء فاما لعوارض محرمة كما ذكرناه او يحمل على الهرب عن تمتع الدنيا او يحمل على حرمة الاوتار او على سماعه عند اشتغاله بما هو اولى منه من ذكر الله تعالى وذكر صفاته وافعاله وامثال ذلك واكثر استعمال السلف الغناء فى اصوات القيان من الجوارى الحسان ولذلك قال الجنيد الغناء رقية الزناء ومن اتقن ما ذكرناه من القواعد سهل عليه تأويل امثال ذلك -

---

(١) كذا -

المطلب

المطلب الثالث

فى آداب السماع وثمراته وفيها مقامات ثلاثة

المقام الاول فى الفهم وهو مختلف باختلاف احوال المستمع وهى اربعة احدها ان يكون سماعه لمجرد الطبع لا حظ له الا استلذاذه الألحان والنغمات هذا مباح لكنه اخس مراتب السماع اذتشاركه فيه الابل - ثانيها تنزيله على صورة مخلوق اما معين او غير معين وهذه الحالة اخس من ان يتكلم فيها الأبيان خسيتها والنهى عنها - وثالثها ان ينزل على معاملته مع الله وهذه سماع المريد وربما يمكن حمل كلام واحد على معنيين متخالفين بحسب اختلاف حال المستمع - الرابعة سماع من جاوز الاحوال والمقامات وكان كالمدهوش الغائص فى عين الشهود كاللاتى قطعن ايديهن فى مشاهدة جمال يوسف عليه السلام ويعبرون عنه بالفناء عن نفسه - ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره افنى فكأنه فنى عن كل شيء الا عن الواحد المشهود وفنى ايضا عن الشهود ولاخبر له عن فنائه ايضا مثلا قديعلم الشيء وقد يعلم العلم به ففى الثانى يكون معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرأ فى حق المخلوقين وقدتطرأ فى حق الخالق الاانه يكون كالبرق الخاطف اذلودام لم تطقه القوة البشرية وربما تهلك فيه نفسه فهذه درجة الصديقين فى الفهم والوجد وهى اعلى الدرجات الا ان فيه نوع قصور وانما الكمال ان يفنى بالكلية عن نفسه وعن احواله فيسمع بالله ولله وفى الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء اصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفنى التفاته الى صفات البشرية رأسا ولست اعنى بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه لااللحم الصنوبرى بل سر لطيف له الى القلب الظاهر نسبة خفية ووراءها الروح الذى هو من امرالله سبحانه عرفها من عرفها وجهلها من جهلها - ولذلك السر وجود، وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكأنه لاوجود الا للحاضر ومثاله المرآة الجلية اذليس لها لون فى نفسها بل لونها لون الحاضر فيها وليس لها فى نفسها صورة بل

صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الالوان - وهذا من مقامات علوم المكاشفة منها نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحولها يدندن كلام النصارى فى دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت اوتدرعها بها اوحلولها فيها على ما اختلف فيه عباراتهم وهو خطأ محض يضاهى غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة اذا ظهر فيها لون الحمرة من مقابلتها واذا كان هذا غير لائق بعلم المعاملة رجعنا الى الغرض -

المقام الثانى - الوجد وهو عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد جديد عقيبه يجده المستمع من نفسه وتلك حالة لاتخلو من قسمين - فانها اما ان ترجع الى مشاهدات ومكاشفات من قبيل العلوم والتنبيهات او احوال أو تغيرات ليست من العلوم بل كالخوف والشوق والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض فان ضعف ولم يظهر فى الظاهر لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر سمى وجدا إما قويا او ضعيفا وقد لايتغير الظاهر لقوة صاحبه وقديكون السماع سببا لكشف مالم يكن مكشوفا قبله فان الكشف يحصل بأسباب منها التنبيه والسماع منبه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها وإدراكها فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الورود، ومنها صفاء القلب والسماع مؤثر فى تصفية القلب والصفاء سبب الكشف، ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ماكان تقصر عنه قبل ذلك قوته بل القلب اذا صفا ربما تمثل له الحق فى صورة مشاهدة او فى لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذاكان فى اليقظة وبالرؤيا اذا كان فى المنام وذلك جزء من النبوة - وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة وربما يشاهد بالبصيرة صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب القلوب بصورة مختلفة وتتمثل ايضا الملائكة للانبياء اما على حقيقة صورها واما على مثال يحاكى صورتها بعض المحاكاة - وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل مرتين فى صورته وأخبر عنه بأنه سد الافق - وفى مثل هذه الاحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب

ويسمى

ويسمى التفرس - وفى الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله - اعلم ان فى نفس الانسان مناسبة للعالم الاعلى واللذات التى وعدبها فى سدرة المنتهى والفراديس العلى الاانه لم يتخيل من هذه الامور الاالصفات والاسماء - فالسماع يحرك منه الشوق والاشتغال بالدنيا قدانساه نفسه ومستقره الذى اليه حنينه فيتقاضاه قلبه امرا ليس يدرى ما هوفيدهش ويتحير ويضطرب ويصير كالمخنق الذى لا يعرف طريق الخلاص - ثم ان الوجد قد يكون بلا كلفة ويسمى الهاجم وقد يكون بالكلفة ويسمى تواجدا فمنه المذموم وهو الذى يقصد به الرئاء ومنه محمود وهو التوصل الى استدعاء الاحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة - فان للكسب مدخلا فى اجتلاب الاحوال وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة ولقد شوهد فى العادات من تكلف حب شخص وعشقه بدوام النظر اليه واكثار ذكره حتى خرج آخرا عن حد اختياره ثم طلب الخلاص ولم يكن له ذلك - فان قلت اذا كان الوجد امرا محمودا فما بالهم يتواجدون بالاشعار مع ان القرآن احق بذلك قلت الوجد بالقرآن كان غالبا فى النبى صلى الله عليه وسلم منها قوله شيبتنى سورة هود لان الشيب من الخوف والحزن وهو وجد - ومنها ان ابن مسعود لما قرأ عليه وانتهى الى قوله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك وعيناه تذرفان بالدمع، والبكاء وجد وانه كان يصلى ولصدره ازيز كازيز المرجل وهو من الوجد وأمثال ذلك كثيرة - ولذلك وقع الوجد بالقرآن من الصحابة والتابعين يعرف ذلك من تتبع الاخبار وكذا السلف كثيرا تواجدوا بالقرآن حتى ان منهم من خرمغشيا عليه ومات - واما اهل زماننا هذا انما اختاروا الغناء والاشعار لاحد امور سبعة الاول ان جميع آيات القرآن لاتصلح لحال المستمع فلايمكن قراءة البعض وترك الباقى ويمكن ذلك فى الشعر واما الكاملون فيأخذون الوجد من كل آية بقوة الفهم الا ان اهل زماننا قاصرون فى العلم والحال فناسب الاشعار حالهم - الثانى ان القرآن متكرر على القلوب والاسماع فيضعف اثره ولما رأى الصديق اعرابيا

يسمعون القرآن ويبكون قال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا - ولاتظنن ان قلبه كان اقسى من قلوب اجلاف الاعراب ولكن التكرر على قلبه اورث قلة التاثر به ولذلك هم عمر أن يمنع الناس من كثرة الطواف - الثالث ان لوزن الكلام تأثيرا فى القلب وذلك فى الشعر - الرابع ان الشعر الموزون يؤثر فى النفس بالالحان وذلك بمد المقصور تارة وقصر الممدود اخرى والقطع فى اثناء الكلمات ومثل هذا التصرف لايحل فى القرآن وانما المأمور فيه الترتيل - الخامس ان الالحان الموزونة تؤكد باصوات اخر كالدف والقضيب والقرآن يصان عن هذا الشأن - السادس ان الكلام اذا لم يوافق حال المستمع يطلب تبديله الى كلام يوافق حاله ليحصل له الوجد ولايمكن ذلك فى القرآن - السابع ان القرآن كلام الله ولا تطيقه القلوب لوسمعت حق السماع فضلا عن ان يحصل به الوجد للسامع - والاشعار توافق حال البشر وشأنه الادنى لمشاكلة المخلوق المخلوق واما القرآن فهو خارج عن اساليب الكلام ومناهجه وهو لذلك معجز لايدخل فى قوة البشرية لعدم مشاكلته لطبعه والله اعلم -

المقام الثالث

فى آداب السماع ظاهرا وباطنا وهو خمسة

الاول مراعاة احد امور ثلاثة الزمان ومعناه خلو الوقت عما يشتغل به القلب من الصلاة والطعام ونحوهما - والمكان بان لايكون كريه الصورة يشوش القلب - والاخوان بان لا يحضر متزهد منكر لاحوال القلوب اومتواجد مراء يمزق الثوب باختياره لان مثل هذا مشوش للقلب فترك السماع عند فقد شروطه اولى -

الثانى وهونظر للحاضرين ان يحضر مريد يضره السماع وذلك احد ثلاثة اقلهم درجة فى الضرر من رتبته الاعمال الظاهرة ولم يحصل له ذوق السماع فليس هو من اهل اللهو فيلهو ومن اهل الذوق فيتنعم فهو تضييع لزمانه واوسطهم ضررا من له ذوق السماع ولكن فيه بقية من الحظوظ البشرية فربما يهيج السماع

منه

منه داعية اللهو والشهوة فيصير ضرره اكثر من نفعه واعلاهم درجة فى حق الضرر من انكسرت شهوته وامنت غائلته وانفتحت بصيرته لكنه لم يحكم ظاهر العلم فربما سمع لفظا ونزل المسموع على ما لايجوز فى حقه تعالى فيكون ضرره ضرر الكفر نعوذ بالله من ذلك ولذلك قال سهل كل وجد لايشهد له الكتاب والسنة فهو باطل -

الثالث - ان يكون مصغيا الى القوال حاضر القلب قليل الالتفات الى ما يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته فى سره متحفظا عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم ويحترز عن التنحنح والتثاؤب ويجلس مطرقا مكانه مفكرا مستغرق القلب متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات الى ان غلبه الوجد ويحركه بلا اختيار ومهما رجع الى الاختيار فليعد الى هدوه وسكونه واعلم ان الوجد تارة يؤثر فى الظاهر وتارة لايؤثر وعدم التأثير اما لضعف الوارد من السماع فهو نقصان وتارة لكمال القوة على ضبط الجوارح وهو كمال وتارة يكون حال الوجد مصاحبا له فى غالب الاحوال فلا تغيره طوارق الاحوال ولعل مراد الصديق بقوله قست قلوبنا ان يكون معناه قويت واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد فى كل الاحوال - فرب ساكن اتم وجدا من المضطرب -

الرابع - ان لايقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ، ولكن ان رقص وتباكى لاستجلاب الحزن لا للرثاء فهو مباح - واما تخريق الثوب فلا رخصة فيه عند الاختيار وقد يكون بالارادة لكن يكون كالمكره كاضطرار المريض الى الانين باختياره اذ لو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه اختيارى فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه كالتنفس والزعقة وتمزيق الثوب اذا كان على هذه الطريقة لا يوصف بالتحريم ، واما تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد الفراغ من السماع وسكون الوجد فانهم يقطعونها قطعا صغارا ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة فذلك مباح اذا قطع خرقا مربعة لترقيع

الثياب والسجادات اذلاحرمة فى قطع الكرباس الجديد اذا كانت فيه مصلحة فان الكرباس يقطع ثم يخاط منه القميص وانما الذى يكره التمزيق المفسد للثوب - الخامس - موافقة القوم فى القيام اذا قام واحد منهم فى وجد صادق او قام اختيارا بلا اظهار وجد فذلك من ادب الصحبة وبالجملة يوافق اصحابه فى كل بدعة لا تزاحم سنة مأمورة او لم ينقل النهى عنه ، مثلا القيام للداخل بدعة لم يفعله الصحابة للنبى صلى الله عليه وسلم لكن لابأس فى بلاد جرت العادة فيها باكرام الداخل وكذلك سائر انواع المساعدة اذا قصد بها طيبة القلب واصطلح عليها جماعة - فان قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق الى الاوهام انه لهو باطل فلا يراه وجد فى الدين الا وينكره قلت ان الجد لايزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر رقص الحبشة لكونه فى وقت لائق به وهو العيد - ومن شخص لايبعد منهم اللهو وهم الحبشة فالمنكر اما منكر الاصرار وهو كذلك او ينكر من صدوره عن شخص لايليق به اللهو وهذا ايضا حق - اما انكاره عن العوام احيانا فذلك تقشف اذجوزه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات فما باله ينكره مطلقا - واما انكاره صدوره عن شخص ذى علم ودين واهل شيبة ووقار لكن وقع منه بدون الاختيار فذلك من الجهل - اذ سقوط الاختيار لايدخل تحت الاحكام التكليفية يدل على جوازه من العلماء ايضا فى بعض الاحوال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى انت منى وانا منك فحجل على رضى الله عنه - وقال لجعفر اشبهت خلقى وخلقى فحجل جعفر - وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل زيد - والحجل بفتح المهملة ثم الجيم بمعنى الرقص وقيل ان يثب على احدى رجليه وهو ايضا نوع من الرقص - فقد خرج من هذا التفصيل ان السماع قديكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقديكون مكروها اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ممن غلبت عليهم شهوة النساء والغلمان والمكروه هو الذى يجعله ديدنا ويتخذه عادة له فى اكثر الاوقات على سبيل اللهو واما المباح فهو من التلذ ذله (١) الا بالصوت الحسن واما المستحب فهو لمن غلب عليه حب الله

(١) كذا ولعله - من لا تلذ ذ له - ح -

ولايحرك السماع منه الاالصفات المحمودة -

الاصل التاسع

في الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

المطلب الاول

في فضائله ويدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه الآيات والاخبا والآثار

اما الآيات فمنها قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقوله تعالى (كنتم خيرامة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لاله الاامرا بمعروف ونهيا عن منكر اوذكر الله - وفى الاخبار كثرة الا ان العبرة بقوة الدليل لابكثرتها ولهذا آثرنا الاختصار -ومن الآثار ماقال أبو الدرداء رضى الله عنه لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر اوليسلطن عليكم سلطانا ظالما لايجل كبيركم ولايرحم صغيركم ويدعوعليه خياركم فلايستجاب لهم وينتصرون(١) فلاينصرون ويستغفرون فلايغفر لهم - وعن حذيفة رضي الله عنه يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم وينها هم -

المطلب الثانى

فى اركانه وشرائطه والاركان اربعة ولكل منها شروط

الركن الاول المحتسب وله شروط اولها ان يكون مكلفا اذ غير المكلف لايلزمه امر، هذا شرط الوجوب والا فالصبى ان اراق الخمر وكسر الملاهى فلايمنع عنه وله ثواب - ثانيها وهو الايمان وذلك لانه نوع نصرة للدين ولايكون من عدو له ، ثالثها العدالة وقد اعتبرها قوم للنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله والحق ان للفاسق ان يحتسب اذ لاعصمة لجميع الآمرين بالمعروف فى السلف ولم يخصوا منهم احدا دون احد وتحقيق ذلك ان الحسبة اما وعظية ويشترط فيها العدالة واما قهرية ولايشترط فيها ذلك الا الذمى اذ ليس للكافرين على المؤمنين سبيل -

(١) كذا -

ورابعها الاذن من جهة الامام والوالى وقد شرطه قوم ولم يجوز الحسبة لآحاد الرعية الا انه شرط فاسد اذ الآيات والاخبار تدل على وجوب ذلك على الكل فالتخصيص تحكم لااصل له ومنع الكافرين على التسلط على المسلم ليس لاجل ذلته حتى يلزم منع الرعايا عنه ايضا بل ذلك لكفره، وتفصيل ذلك ان الحسبة لها خمس مراتب ـ الاولى التعريف ـ والثانية الوعظ بالكلام اللطيف وهما لايحتاجان الى اذن الامام ـ والثالثة السب والتعنيف لا السب بالفحش بل بقوله يا جاهل يا احمق ألاتخاف من الله وهذه وامثال ذلك الكلام صدق قد يحتسب عند الامام فكيف يتوقف على اذنه ـ الرابعة المنع بالقهر بالمباشرة ككسر الملاهى واراقة الخمر ولاحاجة فيها الى الأذن اذ المسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضها ـ الخامس التهديد والتخويف بالضرب أو مباشرته وهو الذى يحتاج فيها الى اذن الامام والاينجر الى القتال من الجانبين ثم ان فى تفاصيل هذه الحسبة كلاما مثلا للولد الحسبة لوالده بالمرتبتين الاولين فقط وليس الحسبة بالاخرين ـ وفى الثالثة ينظر الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا وسخطه قريبا كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فالامر ظاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا ككسر آنية بلور عليها صورة حيوان وفى كسرها عظيم خسران فيكتفى فيه بالمرتبتين الاولين واما الرعية مع السلطان فيتعين فيه الرتبتان الاوليان واما الرتبة الثالثة فالى اجتهاد المحتسب اذقد ورد النهى عنه وورد النهى عن التعرض للسلطان فينظر فيه الى تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمة الامام بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه ـ واما الاستاذ فامره اظهر لانه اذا لم يعمل بعلمه لا يجب على التلميذ احترامه ـ وخامسها كونه قادرا اذ العاجز حسبته بقلبه والعجز انما بحسب لحوق المكروه لا العجز الحسى وهاهنا اربع احوال، احداها ان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلايجب عليه الحسبة بل ربما تحرم فى بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر حتى لا يشاهده ـ ثانيتها ان ينتفى عدم النفع والضرب معا فيجب عليه الانكار ـ وثالثتها ان يعلم انه لا يفيد

ولا

ولا يخاف مكروها فلايجب بل يستحب اظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بأمر الدين - ورابعتها عكس هذا فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب وانما الحرام تعريض النفس للهلاك من غير اثر وانما يستحب اذا علم ان له اثرا لكن ان علم أنه يضرب معه اصحابه واقاربه ورفقاؤه فلايجوز له الحسبة بل تحرم لأنه دفع منكر يفضي الى منكر آخر اقوى منه وليس ذلك قدرة في الحقيقة ولما كان كون بعض المنكر اقوى من آخر امرا لايهتدى له العوام اشترط بعضهم اذن الوالي لينصب من هو أهل للحسبة - ثم الظن كاف في اصابة المكروه ثم التعويل في هذا الظن على اعتدال الطبع لأن ذلك الظن يقوى بالجبن ويضعف بالتهور ثم المكروه المتوقع لابد له من حد وتحقيقه ان المطالب منحصرة في اربعة في النفس بالعلم وفي البدن بالصحة وفي المال بالثروة وفي القلوب بالجاه ففوت كل من هذه مكروه فالفوت اما متوقع اوبالفعل وترك المتوقع في هذه الاربع لايمنع الحسبة وانما الضرب الحقيقي المانع مع الحسبة فوات الحاصل مثل ان يكون جاهلا بمهمات دينه بالحسبة ولم يجد الامعلما واحدا ويقدر المحتسب عليه منع المعلم عن تعليمه اوبفوت ازالة المرض(١) الحاصل عنه اويقطع رزقه ولاتوكل له ويحتاج الى حرام اومات جوعا اويزول جاهه ويبتدئ اهل الشر بأذاه فهذه امور مستثناة عن الحسبة اذا ظهرت وقويت لكن لابد أن يزن ظن زواله بميزان الدين لا بموجب الطبع والهوى فان سكت بموجب الدين تسمى مداراة وهي جائزة وان سكت بموجب الهوى تسمى مداهنة فعليك بالنقد في سبب السكوت فان الناقد بصير وستجد كل نفس ماعملت من خير محضرا عندالله - ولو في فلتة خاطر ولفتة ناظر وما ربك بظالم للعبيد -

الركن الثاني - مافيه الحسبة وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر بلاتجسس معلوم كونه منكرا بلا اجتهاد فله شروط اربعة الاول كونه منكرا محظور الوقوع في الشرع سواء كان معصية اولا كاراقة خمر يشربها الصبيان - الثاني ان يكون موجودا في الحال والا كن يعزم على الشرب في ليلته فعليه الوعظ ان علم النفع والافلا وعظ ايضا - الثالث ان يظهر بغير تجسس لأنه منهي عنه ولايجب

---

(١) كذا -

عليه الا طلاع على ما فى البيوت الا اذا ظهر بأن سمع اصوات الملاهى من خارج فحينئذ يدخل ويغير - وقد أمرنا بأن نستر ما ستره الله وننكر على من ابدى لنا صفحته والابداء باحدى طرق الحواس اذ المقصود العلم ولايجب عليه استعلام ما تحت الذيل لانه تجسس الا اذا كان خمرا رائحته فائحة او عودا تحت شيء دقيق وعرف شكله ونحو ذلك - الرابع ان يعلم كونه منكرا بلا اجتهاد فليس على الحنفى ان ينكر على الشافعى أكل متروك التسمية والضب والضبع وبالعكس فى شرب النبيذ الغير المسكر وتوريث ذوى الارحام الى غير ذلك واما انكار المذاهب المبتدعة كقول المعتزلى ان الخير من الله دون الشر وقوله كلام الله مخلوق فواجب وذلك مهم بالنسبة الى انكار الاجتهاديات الا ان يكون فى الاعراض تحريك فتنة بالمقاتلة فاذن الحسبة فى امثال هذا الى السلطان اذ هو قادر على دفع الفتنة فى امثاله -

الركن الثالث - المحتسب عليه وشرطه ان يكون الفعل فى حقه منكرا بجهة كونه انسانا ولايشترط كونه مكلفا لما عرفت ان الصبى يمنع عن الشرب والمجنون عن الزناء ولايجب رد الحيوان عن افساد الزرع بحسب الحسبة اذ الحسبة للانسان لا للحيوان نعم يجب عليه منع الحيوان ايضا مهما قدر عليه من غير تعب فى بدنه او خسران فى ماله او نقصان فى جاهه الا انه ليس بطريق الحسبة بل لكونه من حقوق المسلمين وهى كثيرة وهذه ادناها -

الركن الرابع - نفس الاحتساب وله درجات وآداب -

الدرجة الاولى - التعرف وهو منهى عنه لأنه تجسس وقد ذكرناه مثل ان يسترق السمع لصوت الملاهى او يستنشق لرائحة الخمر او يمس ما فى ثوبه ليعرف شكل المزمار اللهم الا ان يخبر عدلان ابتداء من غير استخبار فحينئذ له ان يدخل داره -

الدرجة الثانية - التعريف مثل ان يرى ان (١) يصلى بلا تعديل لجهله فعليه التعريف باللطف والا فربما يترك اصل الصلاة اذ الجهل اقبح من كل عيب لكونه عيب

(١) كذا ولعله - من - النفس.

النفس فلا يرضى الانسان بظهور جهله فيتلطف و يقول ان الانسان لم يولد عالما و لقد كنا جاهلين بامور الصلاة فعلمنا العلماء و لعل قريتك كانت خالية من اهل العلم او عالما(١) مقصر فى شرح الصلاة و ايضاحها انما شرط الصلاة هكذا و يعلم له ما اراد —

الدرجة الثالثة — النهى بالوعظ و النصح و التخويف بالله لكن هو عالم بكونه منكرا و اصر على ذلك بعد ان عرف كونه منكرا فيوعظ له و يخوف باخبار الوعيد و يحكى له سيرة السلف كل ذلك بلطف و شفقة من غير غضب و يرحم عليه و يرى ذلك مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس واحدة لكن يتحرز عند التعريف عن نفسه بالعلم و ذل غيره بالجهل فان هذه مصيبة فى الوعظ و التذكير و هذه غائلة هائلة و غرور الشيطان يتدلى بحبله كل انسان الا من عصمه الله و عرف عيوب نفسه و فتح بصيرته بنور هدايته و اما غير هؤلاء يغتالهم لذتان دالة العلم و دالة الاحكام و السلطنة و هى الشهوة الخفية المتداعية الى الشرك الخفى و له محك و عيار و هو ان كفى غيره مؤنة الوعظ و النصح كان احب عنده اذ حصل الغرض و لم يتحمل ثقل الوعظ على الغير و الا فليتعظ نفسه او لا ليعظ الناس —

الدرجة الرابعة — السب و التعنيف بالقول و ذلك عند العجز عن المنع باللطف و ظهور مبادى الاصرار بالاستهزاء بالوعظ و لا يطلق لسانه بالفحش بل يقول يا فاسق يا احمق اما تخاف الله — فان علم انه لا يردعه السب و التعنيف فليكتف باظهار الغضب و الاستحقار —

الدرجة الخامسة — التغيير باليد ككسر الملاهى و ارافة الخمر و ان يجر برجله من الدار المغصوبة و ينبغى ان لا يباشر باليد اذا امكن بدونه و لا يجر بلحيته اذا امكن جره برجله و ان لا يمزق ثوبه الحرير (٢) اذا امكن حل ازاره و نحو ذلك —

الدرجة السادسة — التهديد و التخويف كقوله دع هذا و الا لاضربن رقبتك او لاكسرن رأسك و ما اشبه ذلك و ينبغى ان لا يقدم التهديد على تحقيقه ان امكن

(١) كذا — (٢) كذا و لعل الصواب الجديد — ك

وان يهدد بما يقدر على تحقيقه فلا يقول لأنهبن دارك ولا سبين زوجتك لأنه ان قال ذلك عن عزم فهو حرام وان قاله على غير عزم فهو كذب - اللهم الا اذا عرف انه يردعه بالمبالغة فانه حينئذ ليس من الكذب المحظور وهذا بمنزلة اصلاح ذات البين وهو غير قبيح - ومن هذا قال بعضهم، يجوز من الله تعالى ان يتوعد بما لا يفعل لان الخلف فى الوعيد كرم وانما يقبح ان يعد بما لا يفعل - وهذا القول غير مرضى فى حق الله عزوجل فان الكلام لا يتطرق اليه الخلف وعدا كان او وعيدا وانما ذكره يتصور فى حق العباد اذ الخلف فى الوعيد ليس بحرام -

الدرجة السابعة، مباشرة الضرب باليد والرجل بدون شهر سلاح وان احتاج الى شهر سلاح فيجوز ذلك على المحتسب كتخليص امرأة من فاسق اذا كان بينهما نهر حائل فان لم يخل فله الرمى لكن يقصد الساق والفخذ دون المقتل وبالجملة يرعى التدريج فى الكل واما العامى فليس عليه شهر السلاح بحال اصلا -

الدرجة الثامنة، الايقدر بنفسه ويحتاج الى الاعوان وربما يكون للفاسق ايضا اعوان فيؤدى الى ان يتقاتل الصفان ومثل هذا لايجوز الا باذن السلطان اذ ربما يؤدى الى هيجان الفساد وخراب البلاد والا ان القياس جوازه للكل -

المطلب الثالث

آداب المحتسب وهى ثلاثة

احدها ان يعلم موانع الحسبة ومواقعها، وثانيها الورع اذ ليس كل من علم عمل بعلمه، وثالثها حسن الخلق اذ العلم والورع لايكفى فى اللطف والرفق مالم يكن لصاحبه حسن الخلق ومن الآداب تقليل العلائق حتى لايكثر خوفه ويقطع الطمع حتى تزول عنه المداهنة ولنذكر ههنا شيئا من الآداب المخصوصة منها منكرات المساجد يمنع من قصر فى امر الصلاة على مذهبه ينبه على لحن قراءته سيما الفاتحة وان كان قادرا فليتعلم والافقدار ما قدر، ومنها تراسل المؤذنين وتغييرهم كلمات الاذان لرعاية الالحان وكذا عدم رعايتهم الاوقات ومنها لبس الخطيب ثوبا اسود فيه ابريسم اوممسكا لسيف مذهب والحرير حرام واحب الثياب البيض

والاسود

والاسود ليس بحرام - منها الواعظ المبتدع اوالذى الرجاء يكثر اذ الخلق احوج الى الخوف منهم الى الرجاء وكذا حضور النساء مجلسه وهوشاب متزين كثير الاشعار والاشارات والحركات ويمنع النساء من حضور المساجد للصلاة ولمجالس الذكر اذا خيف الفتنة ، ومنها دخول المجانين والسكارى الا ان يعلم سكونهما وسكوتهما ولابأس بدخول الصبى اذا لم يلعب، ومنها منكرات الاسواق كالكذب واخفاء العيب وبيع الملاهى والاوانى المحرمة، ومنها منكرات الشوارع نحو تضييق الطريق بالابنية ووضع الاحمال وتنجيس الطريق وترك مياه المطر والاوحال والثلوج، منها منكرات الحمامات من صور الحيوانات وكشف العورات والانبطاح لتغميز الافخاذ وتنجيس الاوانى والمياه وترك الاحجار المزلقة اوجعلها مزلقة بغسل الثياب بالصابون ونحوه، ومنها منكرات الضيافة كالفرش المحرمة والمبخرة المحرمة والاشربة المحرمة وستور عليها صور وسماع الاوتار والقينات ونظر النساء على الرجال الشبان وحرمة الاطعمة والاجتماع مع من يلبس الحرام ومع اهل البدع وان كان فيه مضحك بالفحش والكذب يجب منعه وان لم يقدر فلا يحضر واما المزح بلا فحش ولا كذب فهو مباح الا ان يتخذه صنعة وذلك مكروه والكذب الذى لا يقصد به التلبيس ليس من المنكرات كقولك كلمتك اليوم مائة مرة اواتيتك الف مرة اذ ليس يقصد به التحقيق بل المبالغة وذلك لا يقدح فى العدالة ولا ترد به الشهادة وكالسرف فى الطعام والبناء ، ومنها صرف المال الى القينات والمغنيات واسراف جميع(١) حرام بحيث يبقى عياله بلاشىء سيما فى المحرمات الااذا انفق فى وجوه البروله قدم صدق فى التوكل، ومنها منكرات العامة مثل ان يقعد فى بيته ولا يصرف مافضل عن فرض العين الى فروض الكفاية كان يخرج الى القرى المجاورة لبلده ويعلم اهلها اركان الصلاة وشرائط الطهارة وسائر الفرائض الا ان يفعله البعض وانما يجب التبليغ على اهل العلم وان علم مسألة واحدة فهو من اعلم العلم بها يجب تبليغها والاثم فى ذلك على الفقهاء اشد لأن قدرتهم فيه اظهر لأن العلم يجب العلم به اولا لنفسه ثم لأهل بيته ثم لا قاز به وجيرانه ثم وثم حتى ينتهى

---

(١) كذا -

الى ان يخرج الى السوق و يغير منكراتهم وان قدر على تغيير البعض فلا يكون عدم تغيير الباقى عذرا فى عدم الخروج ويتعدى منهم الى اهل القرى ثم اهل البادية وهكذا الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد والا يأثم كل عالم على وجه الارض ـ

المطلب الرابع

فى امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

والجائز معهم الرتبتان الاوليان من درجات الحسبة وهما التعريف والوعظ واما تخشين القول والمنع بالقهر فيهيج الفتنة فى حقهم فلا يجوز الا اذا اختص الضرر بنفسه فقط فعند ذلك يندب قال صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وقال خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه فى ذات الله فقتله على ذلك ولذلك كانت الصحابة والتابعون اجترؤا على الملوك والسلاطين ولم يبالوا ببلية وعذاب واخلصوا النية فلهذا اثر كلامهم فى الظلمة ولين قلوبهم القاسية كما هو مسطور فى كتب التواريخ والاخبار واما الآن فقد قيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولا صدقوا الله قصدوا حق العلم لا فلحوا ففساد الرعية بفساد الملوك وفسادهم بفساد العلماء وفسادهم باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل والصعاليك فكيف على الاكابر والملوك اللهم اعصمنا من العلم بلا عمل والميل الى الدنيا ولا تخلط اعمالنا بالسمعة والرياء انك انت المستعان يا كريم يا منان وتفضل علينا بالاحسان والانعام يا ذا الجلال والاكرام ـ

الاصل العاشر

فى اخلاق النبوة

ليكون انموذجا لمن طلب تزكية الاخلاق ونتيجة لما ذكر فى هذه الاوراق وكان صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله عز وجل ان يزينه

بمكارم الاخلاق والآداب وكان دائما يقول اللهم حسن خلقي وخلقي حتى استجاب الله دعوته وانزل عليه القرآن وعمل بما فيه حتى كان خلقه القرآن كما هو المأثور عن عائشة رضي الله عنها - ثم رغب الناس في حسن الخلق قال بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وبين للناس ان الله تعالى يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها - كان صلى الله عليه وسلم حسن العشرة وكريم الصنيعة لين الجانب وكان يحب بذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم براً كان او فاجراً وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاوره مسلما كان أو كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم واجابة الدعوة للطعام والدعاء عليه والعفو والاصلاح بين الناس ، والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واذهب بدين الاسلام اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل دخل والكذب والغيبة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والمدح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم - وكانت وصيته تقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحم اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح ونهى ان تسب حكيما او تصدق كاذبا او تكذب صادقا او تطيع آثما او تعصي اماما عادلا او تفسد ارضا ، واوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدثه لكل ذنب توبة، السر بالسر والعلانية بالعلانية - ومن اخلاقه صلى الله عليه وسلم انه كان احلم واشجع واعدل واعف ولم تمس يده يد امرأة لا يملك رقها اوعصمة نكاحها او تكون ذات رحم محرم وكان اسخى لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه لم يأو الى منزله حتى يبرأ منه الى من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الاقوت عامه فقط من ايسر ما يجد من التمر والشعير وينفق غيره في سبيل الله لا يسأل شيئا الا اعطاه وربما يؤثر من قوته وكان يخصف النعل ويرقع

الثوب ويخدم فى مهنة أهله و يقطع اللحم معهن ، وكان اشد الناس حياء لايثبت بصره فى وجه احد يجيب دعوة الحر والعبد و يقبل الهدية و لو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافئ عليها و يأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه لا لنفسه و ينفذ الحق وان اضر على نفسه وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع و يأكل ما حضر ولا يرد ماوجد برا او شعيرا او حلوى او عسلا او لبنا لا يأكل متكئا ولا على خوان منديله باطن قدمه لم يشبع من خبز بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقى الله ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا ويمشى وحده بين اعدائه بلا حارس ، وكان احسن الناس بشرا وتواضعا وابلغهم فى غير تطويل لا يهوله شىء من امور الدنيا ويلبس ما وجد شملة وبرد حبرة يمانيا وجبة صوف وخاتمه فضة يلبسه فى خنصره الايمن والايسر يردف خلفه عبده اوغيره ويركب ما امكنه فرسا وبغلة وحمارا وبعيرا ويمشى راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم اهل الفضل فى اخلاقهم ويتألف اهل الشرف بالبر لهم يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو افضل منهم لايجفو على احد، يقبل المعذرة ويمزح ولايقول الاحقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح ولا ينكره و يسابق اهله وترفع الاصوات عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم فى مأكل وملبس يمضى اوقاته فى عمل الله تعالى اوفيما لابد له يخرج الى بساتين اصحابه لا يحقر مسكينا ولايهاب ملكا يدعو كليهما الى الله دعاء واحدا ـ قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى لايكتب ولا يقرأ نشأفى بلاد الجهل والصحارى فى رعاية الغنم يتيما لا اب له ولا ام فعلمه الله جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول ـ وفقنا الله لطاعته والتأسى به فى فعله آمين يارب العالمين ، ومن آدابه صلى الله عليه وسلم

ماشتم

ماشتم احدا الا جعل له كفارة ورحمة وما لعن احدا وكان يقول انما بعثت رحمة ولم ابعث لعانا وما يدعو على احد كافرا او مسلما وماضرب بيده احدا الا فى سبيل الله وما انتقم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما الا ان تكون ثمة اثم او قطيعة رحم وما كان يأتيه حرأ وعبد اوامة الا قام معه فى حاجته وما قال لمن يخدمه لم فعلته ولالام احدا (١) الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر، وربما يضطجع على الفراش وعلى الارض ولا يأخذ احد يده ولا يكلمه احد الا يكون هو الذى يرسلها اوهو الذى ينصرف اولا وكان اكثر جلوسه الحبوة وكان يجلس حيث ينتهى به المجلس ويجلس مستقبل القبلة وكان يؤثر الداخل بالوسادة التى تحته فان أبى عزم عليه حتى يفعل وكان يدعو اصحابه بل النساء والصبيان بكناهم وكان ابعد الناس غضبا فاسرعهم رضا وكان لا ترفع فى مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد إن لا اله الا انت أستغفرك واتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبرئيل عليه السلام، واما كلامه وضحكه، كان افصح الناس نطقا واحلاهم كلاما وكان لا يسرد الكلام وكان اوجز كلاما ويتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير، وكان بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير الصوت احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم فى غير حاجة ولا يقول فى الرضا والغضب الا الحق وكان اكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه اصحابه وربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يذكر الساعة او يخطب بخطبة عظة وكان اذا سر ورضى فهو احسن الناس وان وعظ وعظ بجد، وان غضب ولم يكن يغضب الا لله لم يقم لغضبه شىء، وكان اذا نزل به الامر فوض الامر وتبرأ من الحول والقوة، اما آدابه فى الأكل فكان يأكل ما وجد وكان يحب كثرة الايدى

---

(١) كذا وهو تصرف فى حديث انس وأصله فى الاحياء - وما لامنى احد من اهله الا قال الخ -

على الطعام وكان يجلس عند الأكل كما يجلس المصلي الا ان الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم وكان لا يأكل الحار ويأكل مما يليه باصابعه الثلاث ، وربما استعان بالرابعة وكان يأكل خبز الشعير غير منخول ويأكل القثاء بالرطب ويحب البطيخ والعنب ويأكل البطيخ بالخبز وبالسكر وربما أكله بالرطب ويستعين باليدين جميعا ، وكان يحفظ نوى الرطب في يساره فعرض النوى بالشاة (١) فجعلت تأكل في يده اليسرى وهو صلى الله عليه وسلم يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة ، وربما أكل العنب خرطا يرى زؤاله على لحيته كحدر اللؤلؤ وهو الماء الذي يقطر منه ، وكان أكثر طعامه التمر والماء وكان يجمع التمر باللبن ويسميهما الاطيبين ، وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة وكان يأكل الثريد باللحم والقرع ويأكل الخبز والسمن ويحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة وقال العجوة من الجنة وشفاء من السم والسحر ، كان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء ولا يأكل الثوم والبصل والكراث وكان يكره أكل الكليتين لمكانهما من البول وكان يعاف القلب والطحال وان عاف طعاما تركه ولم يبغضه الى غيره وكان يلعق الصفحة ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه حتى تحمر ثم يمسح بالمنديل ويغسل يديه من الخبز واللحم خاصة ثم يمسح بالماء على وجهه ، وكان يمص الماء مصا ولا يعب عبا ويشرب في ثلاث دفعات فيها ثلاث تسميات وفي اواخرها ثلاث تحميدات وربما يشرب بنفس واحد واذا تنفس ينحرف عن الاناء ويدفع فضل سؤره الى من على يمينه ، فان كان من عن يساره اجل رتبة قال للذي عن يمينه السنة ان تعطي فان احببت آثرتهم ، وأتى باناء فيه عسل ولبن وقال شربتان في شربة واداماني في اناء واحد ثم قال لا أحرمه ولكني اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا وأحب التواضع فان من تواضع لله رفعه ، وكان

(١) واصله حديث في الاحياء . . . . . فرت شاة فاشار اليها بالنوى فجعلت - الخ

في

فى بيته اشد حياء من العاتق لايسأ لهم طعاما ولا يتشهاه عليهم وان اطعموه أكل وما اعطوه قبل وما سقوه شرب وربما قام فأخذه بنفسه وانما لباسه فما وجده من ازار او رداء او قميص او جبة ويعجبه الخضر ويكثر لباس البياض وكان يلبس القباء المحشو للحرب وكانت ثيابه فوق الكعبين وازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار فى الصلاة وغيرها وكان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انا عبد ألبس كما يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره وكان يتختم وربما خرج وفى خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء وكان يختم به على الكتب، وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوة من رأسه فجعلها سترة فى صلاته وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب وهبها من على رضى الله عنه وكان اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا ـ وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان اونحوه وعرضه ذراع وشبر اونحوه، وكانت له عباءة تفترش له حيث ينتقل تثنى طاقتين تحته، وكان ينام على حصير ليس تحته شيء غيره، وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه فكان اسم رايته العقاب واسم سيفه ذوالفقار وآخر المخذم وآخر الرسوب وآخر القضيب وكانت قبيعة سيفه من الفضة وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من فضة وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور واسم فرسه المرتجز وناقته القصوى ويقال لها العضباء وبغلته الدلدل وحماره يعفور وشاته التى يشرب لبنها عنبة وكان له مطهرة من فخار يتوضأ ويشرب منها ويرسل الناس اولادهم الصغار الذين قد ميزوا فيدخلون ويشربون منه ومسحوا على وجوههم واجسادهم يبتغون بذلك البركة، وكان صلى الله عليه وسلم احلم الناس وارغبهم فى العفو مع القدرة، وكان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف فى

وجهه غضبه ورضاه واذا اشتد وجده اكثر من مس لحيته وكان اجود الناس واسخاهم سيما فى رمضان وما سئل شيئا قط على الاسلام الا اعطاه وكان انجد الناس واشجعهم وكان الشجاع هو الذى يقرب منه فى الحرب ، وكان اشد الناس تواضعا فى علو منصبه ، قال ابن عمر رأيته صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة على ناقته صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك اليك وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة ومع ذلك كان يستردف ، وكان اصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يسلم على الصبيان وكان لا يأكل على خوان ولا على سكرجة حتى لحق بالله عز وجل ، وكان لا يدعوه احد من اصحابه وغيرهم الا قال لبيك واتى برجل فارعد من هيبته فقال له هون عليك فلست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد ، وربما تكلم مع الناس فى امر الآخرة وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه ويذكرون من امر الجاهلية فيضحكون وهو يتبسم رفقا بهم وتواضعا ولا يزجرهم الا عن حرام وكان صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب الى الربعة وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولها فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو الى الربعة وكان ازهر اللون لم يكن بالآدم ولا الشديد البياض وكان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط وكان شعره يضرب منكبيه واكثر الرواية انه الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا يخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على اذنه فتبدو سوالفه تتلألأ ، وكان شيبه فى الرأس واللحية سبع عشرة شعرة فقط ، وكان واسع الجبهة ازج الحاجبين وابلج ما بينهما وعيناه نجلا وان ادعجهما مع مزج حمرة فيهما ، وكان أهدب الاشفار تلتبس من كثرتها وأقنى العرنين مفلج الاسنان اذا ضحك افتر عن سنا البرق اذا تلألأ وكان من احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم ، وكان سهل الخدين صلبهما لا بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفى لحيته ويأخذ من شاربه وكان من احسن الناس عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه ابريق فضة مشرب ذهبا

ذهبا يتلألأ فى بياض الفضة وحمرة الذهب ، وكان عريض الصدر موصول ما بين لبته وسرته منقادا (١) كالقضيب لم يكن فى صدره ولابطنه شعر غيره ، كانت له عكن ثلاث يغطى الازار واحدة منها وتظهر اثنتان – وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس اى رؤس العظام من المرفقين والوركين وكان واسع الظهر بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلى منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الاطراف وكانت اصابعه قضبان الفضة وكفه الين من الحرير وكأن كفه كف عطار طيبا مسها بطيب اولم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه ، وكان عبل ما تحت الازار من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق فى سمن بدن فى آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السن وكان يمشى كأنما يقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشى الهوينا بغير تبختر ، والهوينا تقارب الخطى ، واما معجزاته وآياته فخارجة عن حد العد والاحصاء سيما المعجزة الكبرى الباقية الى آخر الدهر تحدى بها بلغاء عدنان وفصحاء قحطان وجزيرة العرب مملوءة بالآلاف منها ، ونادى بين اظهرهم بان يأتوا بمثله اوبعشر سور من مثله اوبسورة من مثله ان شكوا فعجزوا عن ذلك عن آخرهم حتى عرضوا انفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبى فما استطاعوا أن يعارضوا ولا ان يقدحوا فى حسنه وجزالته ثم انتشر ذلك بعده صلى الله عليه وسلم فى اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر فلم يقدر أحد على معارضته فأعظم بحمق من رأى معجزاته واخلاقه وآدابه ثم فى استمرار شرعه الى قريب من خمسين وتسعمائة ثم فى انتشاره فى اقطار العالم واذعان ملوك الارض فى عصره وبعد عصره والمدة ما ذكر ثم يتمارى بعد ذلك فى صدقه وخلود شرعه الى انقراض الدنيا فنسأل الله ان يوفقنا للاقتداء به فى الاخلاق والاقوال والافعال والاحوال انه الكريم

---

(١) عبارة الاحياء – دو ... وسرته شعر منقاد –

ذوالجلال وهو العليم بكل الحال بمنه وجوده ـ

الشعبة الثالثة

فى ربع المهلكات وفيه عشرة اصول اثنان منها مقدمة للبواقى

الاصل الاول

شرح عجائب القلب ولنذكر اولا عدة الفاظ نافعة فى الباب ، احدها القلب وله معنيان احدها اللحم الصنوبرى المودع فى الجانب الايسر من الصدر وفى باطنه دم اسود وهو منبع الروح الحيوانى وهو من عالم الملك والشهادة ، وثانيها لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعلق وهى حقيقة الانسان وهى المدرك العالم العارف المخاطب والمعاتب والمعاقب والمطالب وهذا من عالم الغيب وقد نهينا عن شرح حالها ، الثانى لفظ الروح وله ايضا معنيان احدها جسم لطيف منبعه تجويف الجسم الصنوبرى وتنتشر بواسطة العروق الضوارب الى البدن ويفيض بسببه قوة الحياة والحس والبصر والسمع والشم ، وثانيها ثانى معنى القلب ـ الثالث لفظ النفس وله ايضا معنيان احدها الامر الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الانسان وعلى اكثرا صطلاح المتصوفة ، وثانيها ثانى معنى القلب والروح ـ الرابع العقل وله ايضا معنيان احدها العلم بحقائق الامور ، وثانيها المدرك لحقائق الامور اعنى اللطيفة المذكورة ـ

بيان جنود القلب وهى ثلاثة اصناف باعث اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة او الى دفع الضار المنافى كالغضب ويسمى هذا الباعث ارادة ، ومحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد مسمى بالقدرة وهى امور مبثوثة فى سائر الاعضاء سيما العضلات منها والاوتار ومدرك متعرف للاشياء كالجواسيس وهى مبثوثة فى مواضع معينة كالحواس الظاهرة المستخدمة للاعضاء الظاهرة المركبة من اللحم والشحم والدم والعظم ، وهذه من عالم الملك والشهادة ولها حواس باطنة من الحس المشترك والتخيل والتفكر والتذكر والحفظ والذى يبحث عنه هى الحواس الباطنة ويمثل القلب مع جنوده الباطنة كالملك والوالى

اعنى

اعني الروح مع مملكته ومدينته اعني البدن وقوته العقلية وزيره العاقل وشهوته كعبده السوء الجالب للميرة فمتى انقاد للوزير خلص من مضرة العبد المكار والا هلك وكذا الغضب صاحب شرطته فاذا تبع رأى الوزير يأمن ضرره والآفات قانون العدل فى المملكة ثم ان الانسان (١) فى تركيبه اربع قوى وهى السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليها احدى هذه الصفات تتولد اخلاق ردية اما الاول فكالعداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم - واما الثانى فكالشره والحرص والشبق - واما الرابع فكحب الاستيلاء والاستعلاء والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع وادعاء الاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية ومن حيث يختص عن البهائم بالتميز مع مشاركته لها فى الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية - وبالجملة اذا أتبعت قوة العلم على الشهوة والغضب صار شيطانا فى صورة انسان والحكيم الذى هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ببصيرته ويكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه وهوا الخنزير ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فيحصل صفة العدل - والافيكون دائما فى عبادة كلب وخنزير ومع ذلك ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ونفسه يعبد الكلب والخنزير كما يراه المكاشفون تارة فى النوم وتارة فى اليقظة على عكوفه فى عبادة هذين - فحصل له من طاعة خنزير الشهوة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرثاء والهتك والمجانة والعنت والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة ونحوها - ومن طاعة كلب الغضب صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشاط والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم ونحوها - ومن طاعة شيطان الشهوة والغضب المكر والحيلة والخداع والدهاء والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخبث وامثالها - ولو عكس

---

(١) كذا - ولعله - للانسان - ح -

الامر و قهر الجميع تحت رياسة الصفة الربانية استقر فى القلب صفات ربانية من العلم والحكمة والاحاطة بحقائق الاشياء كما هى والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة ويحصل له من رد خنزير الشهوة الى الاعتدال صفات شريفة من العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ومن كسر قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها ـ

المطلب الثانى

واعلم ان كل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر ربانى شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف وتلك الخاصية قد عبر الله عز وجل عنها بالامانة التى حملها الانسان وابى عن حملها السموات والارض والجبال لكن هناك اسباب مانعة من معرفة حقائق العلوم وهى خمسة احدها نقصان فى ذاته كقلب الصبى ومثال ذلك فى الحس الحديد قبل ان يدور ويتشكل ويصقل وثانيها كدورة المعاصى وخبث الشهوات مثاله صدأ الحديد وكدورته بعد تمام شكله ـ وثالثها كونه معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان القلب وان كان صافيا الا ان هم الطاعات البدنية او تهيئة اسباب المعيشة ربما يصرف فكره عن التأمل فى حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وحقائق عيوب النفس او مصالح المعيشة مثاله كون المرآة المصقولة معدولا بها عن جانب الصورة ـ ورابعها ان يكون المطيع القاهر لشهواته المتجرد للتفكر فى حقيقة من الحقائق لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد يسبق اليه من الصبا على سبيل التقليد والقبول لحسن الظن وذلك يحول بينه وبين الحق مثاله الحجاب المرسل بين الصورة وبين المرآة الصقيلة المحاذية نحوها ـ وخامسها الجهل بالجهة التى منها يقع العثور على المطلوب اذ لابد لكل علم من علمين سابقين يأتلفان فيحصل من ازدواجهما علم ثالث ومثاله الجهل بالجهة التى

التي فيها الصورة فلايحاذى المرآة بها مثلا ان اراد أن يبصر قفاه في المرآة فلابد اولا ان يعرف طريقه والا لايحصل من جده طائل فانه ان رفع المرآة حذاء وجهه لايبصر قفاه وان رفعها وراء القفا لا يرى المرآة اصلافينبغي ان يرفع مرآة وراء القفا واخرى حذاء وجهه مقابلة للمرآة الاخرى فينتقش صورة القفا في مرآة يقابلها ثم ينتقش منها الى المرآة المحاذية للمرآة الاولى ولوجه الرائى فيرتسم صورة القفا في المرآة الثانية فيرى قفاه فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات اعجب مما ذكرنا في المرآة ويعز على بسيطة الارض من يهتدى الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات ـ

المطلب الثالث

العلوم اما عقلية وهى التى تقضى بها غريزة العقل بلااخذ من تقليد وسماع وهى اما ضرورية لايدرى من اين حصل وكيف حصل ـ واما مكتسبة وهى المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلاهما قد تسمى عقلا والقلب جار مجرى العين وغريزة العقل جارية مجرى قوة الابصار(١) يتوقف على النور كذلك قلب الصبى الى التمييز والبلوغ وفقد قوة العقل عمى ـ قال تعالى (فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور) ثم العلوم اما دينية مأخوذة بطريق التقليد من الانبياء اما بتعلم كتاب الله عزوجل او بتعلم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فالعلوم العقلية وان كانت غير كافية في سلامة القلب لكنها محتاج اليها في فهم العلوم الدينية فلاغنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل والداعى الى محض السمع مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور فاياك ان تكون من الفريقين وكن جامعا بينهما فالعلوم العقلية كالاغذية والشرعية كالدواء ومن ظن ان علوم(٢) العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن فهو ظن عن عمى عين بصيرته نعوذ بالله من الجهل ـ وهذا القائل كيف يفعل فيما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض ـ فاما ان يعترف بنفع العلوم العقلية او يعتقد نقصا في الدين وينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين ـ ثم العلوم العقلية

(١) كذا ولعله سقط ـ وكما ان الابصار (٢) كذا ـ والظاهر ـ ان العلوم ـ

اما دنيوية كالطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات واما اخروية كعلم احوال القلوب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله وهما ككفتي الميزان وربما يقال كالمشرق والمغرب وربما يقال كالضرتين ان رضيت احداهما اسخطت(١) الاخرى ولذلك ترى علماء الدين جهالا فى علوم الدنيا وبالعكس والجمع بين كمال الاستبصار فى مصالح الدين والدنيا لايتيسر الا للمؤيدين بروح القدس وهم الانبياء بخلاف سائر الخلق فانها اذا شغلت باحدها انصرفت عن الآخر -

المطلب الرابع

واعلم ان للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة والملك وطريق اكتسابه من الباب الثانى معلوم لكل احد واما طريق اكتسابه من الملكوت فهو أن القلب مستعد لان يتجلى فيه جلية الحق فى الاشياء كلها - وانما حيل بينه وبينها بالحجب الخمسة التى ذكرناها المسدلة بين القلب وبين اللوح المحفوظ الذى يسطر فيه حقائق الاشياء وجميع ماقضى الله سبحانه الى يوم القيامة كمايسطر المهندس صورة ابنية الدار فى بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة ثم ان الحجاب بينهما تارة يزول باليد واخرى بهبوب رياح الالطاف ويكون ذلك تارة فى المنام فيظهر له ما سيكون فى المستقبل وتارة فى اليقظة فيلمع غرائب العلوم وتارة كالبرق الخاطف واخرى كالتوالى(٢) الى حدما ودوامه فى غاية الندور فالحجاب اذا انكشف باختيار العبد فهو الاكتساب والا فالهام ونفث فى الروح وان شاهد معه الملك فهو الوحى - وهذا الانكشاف وان لم يكن بالاختيار الا ان اسبابه البعيدة داخلة تحته لأن ذلك بالزهد فى الدنيا والتبرئ من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها حتى يستوى عنده وجود كل شيء وعدمه والاقبال بكنه الهمة فمن كان لله كان الله له - وينبغى ان لايفرق فكره فى مطالعة

---

(١) كذا - ولعله - سخطت - ح (٢) فى الاحياء - على التوالى -

تفسير وحديث بل يداوم ان يقول بلسانه الله الله الى ان ينتهى الى درجة تكون الكلمة جارية على اللسان بلاقصد منه ثم ينتهى الى ان يمحى (١) اثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا علي الذكر ثم يواظبه الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا فى قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه ثم يسلب عنه الاختيار فى استجلاب رحمة الله - فيبقى منتظرا لما يفتحه الله عليه من نفحاته فتلمع لوامع الحق فى قلبه كالبرق الخاطف ثم يعود يدوم زمانا -

المطلب الخامس

اعلم ان اهل النظر لم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى المقصود لكن استوعروه واستبطؤا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلائق الى هذا الحد كالمتعذر وان حصل فثباته ابعد منه اذ ادنا وسواس وخاطر يشوش القلب - وفى اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض الا ان المفهوم من الآيات والاحاديث كون علم التصفية افضل من العلم المكتسب - سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) ما هذا الشرح قال هو التوسعة ان النور اذا قذف به فى القلب اتسع له الصدر وانشرح - وقال صلى الله عليه وسلم ولو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالم سوى النبيين والمرسلين لرجح - وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتى محدثين ومكلمين وان عمر منهم - والمحدث هو الملهم والملهم هو (٢) انكشف له فى باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة - والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعليم - وقال على رضي الله عنه ما عندنا شيء اسره النبي صلى الله عليه وسلم الينا الا ان يؤتى الله سبحانه عبدا فهما فى كتابه وليس هذا بالتعلم - ثم ان الصواب لمن يريد طريق الآخرة ان يقدم تعلم العلوم الدينية ثم يبتدئ طريق التصفية اذ ربما تتشبث

---

(١) كذا - والظاهر ينمحى - ح (٢) كذا والظاهر - من - ح -

بالقلب خيالات فاسدة وربما يبقى الصوفى فى خيال واحد عشرين سنة وينقضى عمره دون النجاح فيه فلوكان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه الصواب من ذلك الخيال فى الحال - ومن زعم ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتعلم الفقه وصار فقيها بالوحى والالهام فربما ينتهى بالرياضة اليه فقد ظلم نفسه وضيع عمره فان ذلك وان امكن لغير النبى بعيدجدا فلايغتر به -

المطلب السادس

اعلم ان القلب يرد عليه الصورتان من الحواس الظاهرة وتارة من الحواس الباطنة لانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منها اثر فى القلب ثم ينتقل بسبب الآثارالواردة عليه من حال الى حال دائما اعنى الافكار والاذكار وهذه تسمى الخواطر لخطورها عند غفلة القلب عنها والخواطر محركة للرغبة وهى تحرك العزم والنية والنية تحرك الاعضاء فالخواطر مبدأ للافعال وتنقسم الى مايدعو الى الشر اى يضر فى العاقبة والى مايدعو الى الخير اى ينفع فىالدار الآخرة فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم يسمى وسوسة - ومن سنة الله تعالى ترتيب المسببات على اسبابها فسبب الخاطر المحمود يسمى ملكا وسبب الخاطر المذموم يسمى شيطانا - واللطف الذى به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذى يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا والقلب متجاذب بين الملك والشيطان وانما يترجح احدالجانبين بالمجاهدة اوباتباع الهوى والشهوات التى هى سلاح الشيطان فلا بد من معرفة سلاحه وكيفية دفعه - واما معرفة صفته وذاته وحقيقته وكذا صفة الملك وحقيقته فذلك من علوم المكاشفة ،ومما ينبغى ان يعلم ان بعض الامور مكايد الشيطان وبعضها الهام الملك وبعضها متردد بينهما اذ الشيطان يعرض الشر فى معرض الخير والتميز بينهماغامض وبه يهلك اكثرالعباد اذلايقدرعلى دعائهم الى صريح الشر فيصوره بصورة الخير فخفى على العبد أن يمعن فيه النظر بعين البصيرة لابهوى من الطبع ولا يطلع عليه الابنور التقوى وغزارة العلم والا يتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر ولاينجى من ذلك

ذلك الاسد ابواب الخواطر والعزلة وقطع العلائق ودوام الذكر ولاتنقطع هذه المجاهدة الى الموت فانه مادام حيا فابواب الشيطان مفتوحة الى قلبه لاتنغلق وباب الملك باب واحد ومع ذلك قد التبس هذا الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة مثلا للعالم الواعظ - الناس موتى من الجهل هلكى من الغفلة أمالك رحمة على عباد الله وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تفكر بنعمة الله وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله الى الصراط المستقيم الى ان يستجره بلطا⁽¹⁾ئف الحيل الى وعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم فى اللفظ واظهار الخير حتى يحصل له لذة الجاه وقبول الخلق والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيهلك المسكين وهو انه عند الله بمكان - وامثال هذا التلبيس انتشر الآن فى البلاد والعباد حتى لم يبق من الخيرات الارسمها - ومن ابوابه العظيمة الحسد والحرص اذ القلب اعماه حرصه وصمه اذ يحسن له الشيطان كلما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا - ومنها الغضب والشهوة اذ الانسان اذا غضب لعب به الشيطان كما يلعب الصبى بالكرة - ومنها حب التزين بالثياب والاثاث والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب انسان باض فيه وفرخ فلايزال يصرفه من عمارة الباطن الى عمارة الظاهر ثم ان بعض ذلك يجره الى بعض حتى يموت وهو فى تصرف الشيطان فيخشى عليه من سوء الخاتمة نعوذ بالله منه - ومنها الشبع بالطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوى الشهوات وهى اسلحة الشيطان ومنها الطمع فى الناس فاذا غلب هو على القلب لم يزل الشيطان يحسن التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرئاء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبود ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومنها العجلة وترك التثبت فى الامور اذ الواقع بعد التأمل يصير على وجه الصواب وبالعجلة يمنع الشيطان ذلك ويروج شره من حيث لايدرى ومنها الدنانير والدراهم وسائر الاموال وذلك لان من معه قوته فقط فهو فارغ القلب فاذا وجد مائة دينار

---

(١) كذا -

على الطريق انبعث من قلبه عشر تحتاج كل واحدة الى مائة دينار مثلا يشترى بها دارا يعمرها وجارية واثاثا وثيابا فاخرة وكل ذلك يستدعى شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع فى هاوية آخرها الموت وكان عند ما حصل قوته فارغ القلب ثم اذا وجد دينارا يظن انه صار غنيا بعد ما كان فقيرا وليس كذلك بل هو على عكس ذلك، ومنها البخل وخوف الفقر لأنهما يمنعان من التصدق، ومنها التعصب للمذاهب والاهواء وهو به فرح مسرور يظن انه يسعى فى الدين وهو ساع فى اتباع الشيطان حتى ان منهم من يطعن فى مذهب الشافعى ومنهم من يطعن فى مذهب ابى حنيفة وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان اهلك الله به كثيرا من العلماء، ومنها تحريض العوام على التفكر فى ذات الله وصفاته حتى يشككهم به فى اصل الدين او يخيل اليهم فى الله خيالات فاسدة يتعالى الله عز وجل منه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح ومسرور ومبتهج بما وقع فى قلبه ويظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله وانما حق العوام ان يشتغلوا بعبادتهم ومعاشهم ويتركوا العلم الى العلماء، ومنها سوء الظن بالمسلمين اذ عند ذلك بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر عن القيام بحقوقه او يتوانى فى اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات فهذا بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردنا استقصاء جميعه لم نقدر عليه وفى هذا القدر ما ينبه على غيره ثم ان علاج ذلك سد هذه المداخل وذلك يطول ذكره وسنذكره ان شاء الله تعالى ثم ان القلب اذا غلب عليه الشهوات يستقر الشيطان فيه ولا يتمكن الذكر من سويدائه بل يرجع الى حواشيه واما اذا صفا وخلا عن الشهوات ربما يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها عن الذكر فاذا ذكر خنس الشيطان ـ

المطلب السابع

فى احوال الشيطان

صح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار أن الشياطين جنود مجندة ولكل من

المعاصي شيطان يخصه ويدعوا ليه ولا يمكن تفصيل ذلك والدليل الاجمالي ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب واما الملائكة فكذا ويختص كل واحد منهم بعمل وسيجيء ذلك ثم ان الملك والشيطان لهما صورتان حقيقيتان لايدرك ذلك الابنور النبوة كما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبرئيل عليه السلام في صورته الحقيقية مرتين وكان يراه في صورة دحية الكلبي غالبا وكان رجلا حسن الوجه واما الاولياء فانما يكاشف لهم في اليقظة مثل ما يراه النائم في نومه وهم الذين انتهوا الى رتبة لايمنعهم اشتغال الحواس بالدنيا عن مشاهدة قلبه (١) عالم الملكوت وهذا مثاله لاحقيقته وتحقيقه ان عالم الشهادة كلها خيال الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فحينئذ يرى الصورة دون المعنى ولهذا قد تخالف الصورة المعنى كما اذا رأيت شخصا جميل الصورة قبيح الباطن ويحصل تارة من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا تكون الامحاكية للصفة وموافقة لها لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم يرى المعنى القبيح في صورة قبيحة كرؤية الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق وبهذا الطريق يمكن تعبير الرؤيا ـ

المطلب الثامن

في القدر المعفو عنه من الوسوسة

واعلم ان لها مراتب اربع قبل العمل بالجوارح اولاها الخاطر وهو حديث النفس وثانيتها الميل وحركة الشهوة التي في الطبع وثالثتها الاعتقاد والحكم بأن هذا ينبغي ان يفعل ورابعتها الهم وهو العزم وجزم النية فاما ان يندم فيترك او يغفل لعارض فلا يعمل اويعوقه عنه عائق والاولان (١) من هذه الاربع لا يؤاخذ بهما العبد لعدم دخولهما تحت الاختيار ويسميان حديث النفس كما قال صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها واما الثالث فهو(١) الاعتقاد إن كان اختياريا يؤاخذ به والافلا واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الاانه ان لم يفعل خوفا من الله تعالى

(١) كذا ـ

وندما على همه كتبت له حسنة لأن ترك السيئة حسنة لأن الهم على وفق الطبع لايدل على تمام الغفلة عن الله بجده فى الامتناع عنه يدل على طاعته لله تعالى فكتبت له حسنة واما ان عاق عنه عائق اوتركه عذرا لاخوفا من الله عزوجل كتبت عليه سيئة فان همه فعل اختيارى الا ان يكفره بحسنة ـ

المطلب التاسع

فى بيان أن الوسواس هل ينقطع عند الذكر بالكلية ام لا

منهم من قال بانقطاعه ومنهم من قال لا ينقطع ولكن لا يؤثر ومنهم من قال لاينقطع ويؤثر لكن على ضعف ومنهم من قال ينقطع بلحظة والذكر والوسوسة يتعاقبان ومنهم من قال لاينقطعان فى لحظة اصلا بل القلب يكون مجرى لهما فى كل حال ـ والمذهب الصحيح ان كل واحد من هذه الاقوال بالنظر الى صنف من اصناف الوسوسة وهى ثلاثة الصنف الاول تلبيس الحق مثلا يقول لاتترك اللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات ألمه عظيم فعند ذلك اذا قال العبد الصبر عن الشهوات شديد والصبر على النار اشد منه خنس الشيطان اذ لايستطيع ان يقول ليس النار اشد منه فان ذلك أمر وجدانى ولا ان يقول المعصية لاتفضى الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه ومثلا يقول للعجب اى عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فاذا تذكر العبد أن معرفته وقدرته وقلبه كلها من خلق الله فمن اين يعجب به خنس الشيطان اذ لا يستطيع انكاره ـ والصنف الثانى ان يوسوس بتحريك الشهوة وتهييجها فان علم العبد ان ذلك معصية يجب تركها خنس عن تهييج يؤثر فى التحريك دون اصل التهييج وان ظن انه معصية ربما يبقى مؤثرا اويحتاج فى دفعه الى مجاهدة ـ الصنف الثالث ان يوسوس بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر فى غير الصلاة مثلا فاذا ذكر الله تصور أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقبان وبعيد ان يندفع هذا الصنف بالكلية وليس محالا فى القلب الذى استولى عليه حب الله عزوجل ولايخطر بباله غير حديث محبوبه ـ

---

(١) كذا ـ

المطلب العاشر

بيان سرعة تقلب القلب

اعلم ان القلب تكتنفه الصفات المهلكة وتنصب اليه الآثار والاحوال من الابواب التي ذكرناها فاذا اثر فيه احدها اصابه من جانب آخر مايضاده فيغير وصفه والية الاشارة بقوله تعالى (ونقلب افئدتهم وابصارهم) ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا مايقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك - قيل وتخاف يا رسول الله قال ما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وكان يحلف ويقول لاومقلب القلوب ، والقلوب فى الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة احدها قلب عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت وتمده بجنود لاترى ويهدى به الى خيرات اخر حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام لا يتناهى امداده بالترغيب فى الخير وتيسير الأمر عليه - وفى مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء - وثانيها قلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالأخلاق الذميمة ويكون عقله قد ألف خدمة الهوى واستمر على استنباط الحيل له فينشرح بالهوى ويوحى القلب زخرفا من القول غرورا فلا ينكشف بعقله ايضا وجنه الصواب فيبقى فى ظلمات بعضها فوق بعض واليه يشير قوله تعالى (افرأيت من اتخذ الهه هواه) الى قوله تعالى (سبيلا) وربما يكون قلبه الى بعض الامور على التقوى والتى بعضها على الهوى كالذى يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا رأى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه واذهب عقله ولبه وانفتح له ابواب الجاه والرياسة والكبر او كالذى لايملك نفسه عند الغضب - وثالثها قلب يبتدئ فيه خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير واذا نصحه العقل يرده الشيطان فلا يزال القلب يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب

احدهما إما حاكم العقل ان غلب على القلب جند الصفات الملائكة(١) او حاكم الشهوة ان غلب جند الصفات الشيطانية وكل ذلك تابع لسابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له الطاعات واسبابها ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعصية ومع ذلك يقول له الشيطان ان الله غفور رحيم فلا تبال وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا) فكل ذلك بقضاء الله وقدره (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) فتعالى الله الملك الحق ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون —

الاصل الثاني

رياضة النفس وتهذيب الاخلاق وفيه مطالب

المطلب الاول

اعلم ان الخلق عبارة عن هيئة راسخة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير حاجة ولا روية فان صدر عنها الافعال المحمودة عقلا وشرعا يسمى خلقا حسنا وان صدر عنها الافعال الذميمة عقلا وشرعا كذلك يسمى خلقا سيئا — وامهات الاخلاق السيئة اربع اختلال قوة العلم وقوة الضعف وقوة الشهوة وقوة العدل واعتدال هذه القوى هي الاخلاق الحسنة، اما اختلال قوة العلم اما بافراطها اواستعمالها في الاغراض الفاسدة ويسمى خبا وجربزة اوبتفريطها ويسمى بلها واعتدالها هو الوسط الذى يسمى حكمة وذلك بأن تصير النفس بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب فى الاقوال وبين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين الجميل والقبيح فى الافعال وهى المراد بقوله تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) واختلال القوة الغضبية اما الى طرف للزيادة ويسمى تهورا اوالى طرف الضعف ويسمى جبنا وخورا واعتدالها بان يقتصر انقباضها وانبساطها

---

(١) كذا — ولعله: الملكية —

على حدما يقتضيه الحكمة والعقل ويسمى شجاعة ، واختلال القوة الشهوية اما الى طرف الزيادة ويسمى شرها اوالى طرف النقصان ويسمى خمودا واعتدالها ان تكون تحت اشارة الدين ويسمى عفة واختلال قوة العدل وهو الجور وليس له الاضد واحد واعتدالها ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع والطرفان من كل من القوى المذكورة رذيلتان وخير الامور اوساطها ، ومن اعتدال هذه الامور الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها ولم يبلغ كمال الاعتدال فيها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وللناس بعده درجات متفارقة فمن ازداد اعتداله يكون ملكا مطاعا بين الناس ومن اتصف باضدادها يكون شيطانا ذا وسواس نعوذ بالله منه —

المطلب الثانى

فى قبول الاخلاق التغيير بطريق الرياضة

وقد انكر التغيير بعض من غلبت الشقوة والبطالة عليه ولم تسمح نفسه بان تجرب ذلك لقصوره ونقصه واستدل عليه بوجهين احدهما ان الخلق الباطن بمنزلة الخلق الظاهر واذ لايتغير هذا فلايتغير ذاك وثانيهما ان الغضب مثلا من مقتضى المزاج والطبع وكذا الشهوة فكيف يتبدلان فنقول لولم تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم معنى ، واذا امكن تغيير اخلاق البهائم فالانسان بذلك اولى — وكشف الغطاء فيه ان قمع الغضب والشهوة بالكلية غير ممكن اصلا وانما الذى يمكن لنا بالرياضة تعديلهما وصرفهما الى ما خلقا لاجله نعم الجبلات مختلفة بالسرعة والبطء فى التغيير لامرين احدهما قوة الغريزة فى اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود وثانيهما تأكده بكثرة العمل بمقتضاه ورؤيته مرضيا ، والناس فيه على اربع مراتب الاول ان يخلو عن العلم بالقبيح والحسن وبقى على اصل فطرته فهذا سريع القبول للعلاج فلن صادف مرشدا يحسن خلقه فى اقرب زمان ، الثانى ان يعرف القبيح وزين له سوء عمله ومع ذلك علم تقصيره وهذا اصعب من الاول اذا تضاعفت فيه الوظيفة يقلع

ما رسخ فيه اولا ويغرس مواد الصلاح ثانيا - الثالث ان يعتقد الاخلاق القبيحة حقا وجميلا وتربى على ذلك فهذا اعتقاد تمتنع معالجته ولن يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال ، الرابع ان يكون نشؤه على الرأى الفاسد ومع ذلك يرى الفضل فيه ويتباهى به وهذه اصعب المراتب وهو المراد بما قيل من التعذيب وتهذيب الذيب ، فالاول جاهل والثانى جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير ، واذا عرفت هذا فاعلم ان ما قيل ان الآدمى ما دام حيا لا تنقطع منه الشهوة والغضب فلا مطمع فى استئصالها فغلط طائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمعها بالكلية وليس كذلك بل المقصود تعديلها وكيف يقمعان ولو انقطع عن الانسان شهوة الطعام لهلك جوعا او شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يقدر على دفع المهلكات البدنية والدينية -

المطلب الثالث

ان الاعتدالات المذكورة قد تكون فطرية بان يخلق انسان كامل الفطرة وسلطان الشهوة والغضب فيه يصير منقادا للعقل والشرع كالانبياء عليهم السلام - وقد تكون بالرياضة بأن يؤمر بالبذل لمن فى طبعه حب المال وبالتواضع لمن فيه الكبر وحب الجاه وغير ذلك وهذه الرياضة الى ان يصير الخلق المحمود عنده سهلا لا متكلفا ولما كان بين القلب والجوارح علاقة عجيبة يظهر اثر كل منهما فى الآخر بان يتصور القلب الخلق المحمود ويكلفها للبدن ثم بمواظبة البدن على ذلك الخلق يتادى اثره الى القلب الى ان ينقلع عنه حب الدنيا ويترسخ فيه حب الله الذى هو اصل كل سعادة لكن تأثر القلب من الافعال انما يكون اذا داوم البدن عليها ولهذا قيل افضل الاعمال أدومها وان قل ثم ان الشيخ الذى يطب نفوس المريدين لابد ان يكون مثل طبيب الابدان فانه ان عالج الكل بعلاج واحد أهلكهم فكذا الشيخ ينبغى ان ينظر فى مرض المريد وحاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة فان كان المريد جاهلا يعلمه اولا الطهارة والصلاة

وظواهر

وظواهر العبادات وان كان له مال حرام يأمره بتركه وان رأى فيه الرعونة وعز النفس يأمره بان يخرج الى السوق للكدية والسؤال اذلاذل فوقهما الى غير ذلك - ومن لطائف الرياضة ان الخلق المذموم اذا قوى ينتقل الى خلق آخر مذموم ثم يتركه تدريجا كمن يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم - مثلا يرغب الصبي اولا بالكرة والصولجان ثم ينتقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم منها الى الرياسة الدنيوية وطلب الجاه ثم منها الى رياسة العلم ثم منها الى رياسة الآخرة وكل هذه الوسائل مذمومة لكن يختار للتدريج وسهولة تحصيل الكمال -

المطلب الرابع

اعلم ان كل عضو (له) فائدة وفائدة القلب الحلم(١) والمعرفة واصل المعارف معرفة الله سبحانه وتعالى لانه موجدها ومخترعها وعلامة المعرفة المحبة وعلامة المحبة ان لا يؤثر الدنيا عليها ولا غيرها من المحبوبات وحب الدنيا رأس كل خطيئة فمن كان فى قلبه حبها فليعرف ان قلبه مريض فليشتغل بعلاجه ثم معرفة كل مرض على الخصوص لا يمكن الا باربع طرق الاول ان يحكم شيخا بصيرا بعيوب النفس مطلعا على خفايا الآفات وهذا قد عز وجوده فى هذا الزمان - الثانى ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه لينبه على عيوبه الباطنة - الثالث ان يستفيد عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدى المساوى والانتفاع بعدو مشاحن ربما يكون اكثر من الانتفاع بصديق مداهن - الرابع ان يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بينهم ينسبه الى نفسه فان المؤمن مرآة المؤمن فيتركه - قيل لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما أدبنى احد رأيت جهل الجاهل فجانبته - ومجمل القول فى باب الرياضة ان يترك الانسان من امور الدنيا ما لا يوجد فى القدر(٢) الا بقدر الضرورة لئلا تألفها النفس وتتمنى العود الى الدنيا ومن يتمنى ذلك لاحظ له فى الآخرة - فالقلوب فى الآخرة اربعة انواع - الاول رجل استغرق قلبه ذكر الله فهو من الصديقين - والثانى من استغرق حب الدنيا

(١) كذا وفى الاحياء - العلم والحكمة والمعرفة - (٢) كذا -

قلبه فهو من الهالكين - الثالث اشتغل بالدنيا والدين والغالب عليه الدين فلابدله من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله عليه والرابع اشتغل بهما جميعا والغالب عليه الدنيا فهذا يطول مقامه فى النار لكن يخرج منها آخرا فان اخطرت بالبال ان الدنيا مباح فليس فيها مباح(١) قلت الكلام فى حبها والفاضل على قدر الحاجة ما لم يكن خاليا عن الحب والا لما اقتناها تمكنت فيه شهوة الحب ايضا فنعوذ -

المطلب الخامس

فى رياضة الصبيان

واعلم ان نفوسهم ساذجة خالية عن كل نقش وصورة فان عود الخير يصير سعيدا ويثاب والداه وان عود الشر يصير شريرا ويصير الوزر لوالديه - فعلى الاب ان يحفظه من القرناء السوء ولايحبب اليه الزينة والرفاهية فيهلك هلاك الابد اذا كبر وترضعه امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال والا انعجنت طينته من الخبث واذا بلغ سن التميز فان رأيت فيه الحياء عن القبائح فذلك دليل قوة عقله ويدل على حسن اخلاقه ويقبح عنده شره الطعام وان لايأخذ الابيمينه ويسمى الله عند أكله ويأكل مما يليه ولايبادر على الطعام قبل غيره ولايحد النظر الى الطعام والى من يأكل ولايسرع فى الاكل، ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولايوالى بين اللقم ويعود الخبز حتى يصير بحيث لايرى الادام حتما ويقبح عنده كثرة الأكل وانه فعل البهائم ويذم عنده الصبى الكثير الأكل ويحبب عنده ايثار الطعام غيره وقلة المبالاة به ويحبب من الثياب البيض ويذم من لبس الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شأن النساء والمخنثين ويحفظه عن الصبيان المترفهين ثم يرسل الى المكتب ويعلم القرآن والحديث واخبار الصالحين لينغرس فى قلبه حبهم ويمنعه عن اشعار فيها عشق واهله الذين يزعمون ان العشق من الظرف ورقة القلب فان ذلك يغرس فى قلوبهم بذر الفساد - ثم اذا ظهر من الصبى خلق حسن ينبغى يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدحه بين أظهر

(١) كذا -

 الناس

الناس ـ فاذا غفل عنه فى وقت لايهتك ستره بل يتغافل فان عاد يعاتب عليه سرا وينفره عن العودة والايفتضح عند الناس ولايكثر عليه العتاب لئلا يعتاد الملامة ويمنع عن نوم النهار لأنه يؤديه الى الكسل ولا يمنعه ليلا ولايعوده الفرش الوطيئة حتى يتصلب اعضاؤه ويعوده المشي والحركة حتى لايغلب عليه الكسل وينبغي ان يعوده ان لايفتخر على اقرانه بمال والده او ملابسه اولوحه ودواته ويعوده التواضع والاكرام والتلطف فى الكلام ويمنعه عن ان يأخذ شيئا من احد وانه ذل ولؤم وان الكرم والرفعة فى العطاء ويقبح له حب الذهب والفضة فان ذلك مهلك ويعلمه ان لا يبصق فى مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فانه علامة الكسل ولايستدبر غيره ولايكثر الكلام فانه وقاحة وانه عادة ابناء اللئام ويمنع اليمين ولوصدقا حتى لايتعوده فى الصغر ولايتكلم الاجوابا اوبقدر السؤال ويستمع لمن يتكلم ممن هو اكبرسنا منه وان يقوم لمن فوقه ويوسع له فى المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ويمنعه من القرناء السوء وينبغي ان لايكثر الصراخ والاستشفاع اذا ضربه المعلم بل يصبر عليه وان الصبر من دأب الشجعان والرجال وكثرة الصراخ من دأب المماليك والنسوان ويترك بعد الفراغ من المكتب يلعب لعبا جميلا ليستريح من تعب المكتب ولايدعه يتعب فى اللعب ويعلمه طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه ومن هو اكبر منه سنا وينظر اليهم بعين التعظيم ولا يلعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز لايسامح فى ترك الطهارة والصلاة ويأمر بالصوم فى بعض الايام فى رمضان ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام والكذب والخيانة والفحش ـ فاذا قارب البلوغ يذكر أن الاطعمة ادوية فى ان يتقوى الانسان بها الى عبادة الله تعالى والنعيم كله ينقطع بالموت وان الدنيا دار ممر لادار مقر وان العاقل من عمل للآخرة حتى يعظم عند الله درجته ويتسع فى الجنان نعمته ـ قال سهل التستري كنت اشاهد

قيام خالى محمد بن سوار فى الليالى وانا ابن ثلاث سنين فقال لى خالى يوما ألا تذكر الله الذى خلقك قلت كيف اذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك من غير أن تحرك به لسانك ثلاث مرات الله معى ، الله ناظر الى، الله شاهدى ، فقلت ذلك ليالى فقال قل سبع مرات فقلتها ليالى قال قل احدى عشرة مرة فقلتها فوقع فى قلبى حلاوة الذكر وبعد سنة قال لى خالى احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك فى الدنيا والآخرة فلم ازل على ذلك سنتين فوجدت حلاوته فى سرى ثم قال لى خالى يوما يا سهل من كان الله معه وشاهده وناظرا اليه أيعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو بنفسى حتى شرطت المعلم ان اذهب اليه ساعة فأتعلم ثم ارجع حتى حفظت القرآن وانا ابن ست اوسبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة فوقعت لى مسألة وانا ابن ثلاث عشرة سنة حتى اتيت البصرة وسألت علماءها فلم يشق احد عنى شيئا فخرجت الى ابى حبيب حمزة بن عبد الله العبادانى بعبادان فأجابنى عنها فأقمت عنده مدة انتفعت بكلامه وادبه ثم رجعت الى تستر فجعلت اشترى فرقا من الشعير بدرهم واكتفيت به سنة ثم عزمت على ان اطوى ثلاث ليالى ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ومرت على ذلك عشرون سنة ثم خرجت اسيح فى الارض سنين ثم رجعت الى تستر فكنت اقوم الليل كله ـ

المطلب السادس

فى شرائط السلوك

اعلم ان المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان والمانع من الايمان عدم الهداة الذكرين المنبهين على حقارة الدنيا وعظم الآخرة والسد بين الحق والمريد اربعة ـ اولها حجاب المال ويرتفع ذلك بتفريقه الا قدر الضرورة ومن له درهم واحد يلتفت اليه قلبه فهو محجوب عن الله تعالى ـ وثانيها حجاب الجاه ورفعه بالبعد عن موضع الجاه وبايثار الخمول واعمال تنفر الخلق ـ ثالثها حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب

ويدفع

ويدفع كل معبود سوى الله سيما الهوى(١) وبعد رفع هذه الحجب يتحصن باُمور اربعة احدها الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفى بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفيه رقته ورقته مفتاح المكاشفة ومتى نقص دم القلب ضاق مسلك العدو - وثانيها السهر فانه يجلى القلب ويصفيه وينوره واذا انضاف اليه صفاء الجوع يصير القلب كالكوكب الدرى والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات والسهر نتيجة الجوع فانه مع الشبع غير ممكن والنوم يقسى القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب - وثالثها الصمت ويسهله العزلة ولايتكلم الابقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشر الكلام للقلب عظيم وانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر - ورابعها الخلوة وفائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر الا قدر الضرورة واذا سد الحواس يتفجر ينابيع الغيب من حياض الملكوت وينصب الى القلب فلابد فى الجلوس فى مكان مظلم والا فليلف رأسه فى الجيب فعند ذلك يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية وبعد التحصن بهذه الامور يشتغل بعده بسلوك الطريق وذلك بقطع عقبات القلب التى سببها الالتفات الى الدنيا واذا حصل قلبه مع الله وتجلى له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله مالا يجوز أن يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا فعند ذلك اعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا فليحذرمنه فانه من اعظم حبائل الشيطان فى قطع الطريق الا ان يكون محركه على ذلك هو الحق فحينئذ ينبغى ان يعظم فرحه الا انه عزيز الوجود جدا فينبغى ان يكون المريد على حذر منه - هذا الذى ذكرناه فى هذين الاصلين معالجة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق واما تفصيلها فيأتى فى الاصول الباقية ان شاء الله تعالى -

الاصل الثالث

فى كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج وفيه مطالب

---

(١) كذا وترك الرابع وهو المعصية - كما فى الاحياء - ح -

المطلب الاول

فضيلة الجوع لاتخفى على اولى الابصار وقد كثر ذكرها فى الاخبار - قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر الماء - وقال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه وحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لابد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس - ثم ان فى الجوع عشر فوائد الاولى صفاء القلب ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة بالابخرة المتصاعدة الى الدماغ ويعمى القلب، الثانية رقة القلب وصفاؤه الذى به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر، الثالثة الانكسار والذل وزوال الفرح والبطر والاشر الذى هو مبتدأ الطغيان والغفلة عن الله ولاتنكسر النفس ولاتذل كما تذل بالجوع فان عنده يتمسكن لربه ويخشع له ويقف على عجزه وذله لما ضاقت حيلته بلقمة طعام فاتته واظلمت عليه الدنيا بشربة ماء تأخرت عنه، الرابعة ان لاينسى بلاء الله وعذابه فيتذكر عذاب الآخرة وبلاءها، الخامسة وهى اكبر الفوائد كسر شهوات المعاصى فان منشأ المعاصى كلها الشهوات وتندفع به شهوة الكلام وآفاته من الكذب والغيبة والفحش والنميمة وشهوة الفرج والجوع يكفى شرها وغير ذلك من الشهوات للاعضاء الخمسة الباقية من الاعضاء السبعة، السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ومن كثر نومه ضاع عمره وتبلد طبيعته وقسا قلبه - السابعة تيسر المواظبة على العبادة فان الأكل والمرض يمنع منها - الثامنة صحة البدن فان سبب الامراض كثرة الأكل والمرض ينغص العيش ويمنع من الذكر والفكر - التاسعة خفة المؤنة لأن من تعود الشبع يتقاضاه بطنه فيقول ماذا تأكل اليوم فتدخل المداخل من الشبهات والحرام اويتعب فى الحلال ويمد يد الطمع الى الخلق العاشرة ان يتمكن به من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة الى اليتامى والمساكين -

المطلب

المطلب الثانى

طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن والمريد فيه اربع وظائف

الوظيفة الاولى ان لا يأكل الاحلالا اذ العبادة مع أكل الحرام كالبناء على امواج البحر ـ الوظيفة الثانية ان يقال الطعام على التدريج اذ النقص دفعة ربما يؤدى الى اختلال المزاج مثلا ان كان يأكل رغيفين كل يوم ربع رغيف وهو اما جزء من ثمانية وعشرين جزءا اومن ثلاثين جزءا فيرجع الى رغيف فى شهر ولايتضرر به ثم فى نقص القوت اربع درجات ـ الدرجة الاولى ان يرد نفسه الى القدر الذى لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التسترى وقال استعبد الله الخلق بثلاث بالحياة والعقل والقوة فإن خاف العبد على الاولين أكل وافطر ان كان صائما ويكلف الطلب ان كان فقيرا وان خاف على القوة فقط فينبغى ان لا يبالى ولوضعف حتى صلى قاعدا ورأى صلاته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلاته قائما مع قوة الأكل ـ الدرجة الثانية ان يرد الى نصف مد فى اليوم والليلة وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا مقدار ثلث البطن فى حق الاكثر كما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لأنها جمع قلة لما دون العشرة وكان ذلك عادة عمر رضى الله عنه اذ كان يأكل سبع لقم اوتسع لقم ـ الدرجة الثالثة ان يرد نفسه الى مقدار مد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن فى حق الاكثرين ويكاد ينتهى الى ثلثيه ويبقى ثلث للشراب ولايبقى شيء للذكر ـ وفى بعض الرواية ثلث للذكر بدل النفس ، الدرجة الرابعة ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ماوراء المن اسرافا فى حق الاكثرين ـ وههنا طريق خامس وهو ان يأكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد لكنه غلط اذ قد يشتبه الشهوة الكاذبة بالصادقة لان التميز بينهما مشكل ـ وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها ان لاتطلب النفس اداما بل تأكل الخبز وحده بشهوة اى خبز كان ومهما طلب خبزا بعينه اواداما فهو ليس بجوع صادق ـ وقيل ان يبصق فلايقع عليه الذباب

اذلا تبقى فيه دهنية ودسومة الا ان معرفة هذه العلامات مشكلة فالصواب للمريد ان يعمل بما ذكرناه من التقدير -

الوظيفة الثانية - فى وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه ايضا درجات - الاولى ان يطوى ثلاثة ايام فما فوقها ومن المريدين من رد الرياضة الى الطى لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين واربعين يوما وقع ذلك عن كثير من السلف وكان أبوبكر رضى الله عنه يطوى ستة ايام وعبد الله بن الزبير سبعة ايام - قال بعض العلماء من طوى اربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت اى كوشف ببعض الاسرار الالهية - الدرجة الثالثة ان يطوى يومين اوثلاثة وهذا قريب الوصول وممكن الحصول - الدرجة الرابعة وهى ادناها ان يقتصر على أكلة واحدة فى اليوم والليلة وماجاوز ذلك اسراف مذموم - روى ابو سعيد الخدرى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذاتعشى لم يتغد - قيل ومن اقتصر على أكلة واحدة فى اليوم فيستحب ان يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلاتنازعه قبل وقته فان كانت نفسه تنازعه بالطعام فيأكل نصفه بعد المغرب ونصفه بعد التهجد - ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس ان يأكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر -

الوظيفة الثالثة - فى نوع الطعام وترك الادام - واعلى الطعام مخ البر وان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غيرلحم - وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الادام على الدوام لئلا تأنس انفسهم باللذات فيكرهوا الموت ولقاء الله - وينبغى ان يعلم ههنا ان ما ورد من مدح الجوع تارة والامر بالاعتدال اخرى لايتضادان بل الطبع المعتدل الا ليق به الجوع المفرط ليتعود الاعتدال والافالجوع المفرط فى نفسه مذموم وانما يمدح لترضى

النفس

النفس بالاعتدال وما وقع فى الشرع من الاختلاف فبالنظر الى اختلاف الطبائع - ولهذا يأمر الشيخ المريد بالافراط فى الجوع والاحتماء عن اللذائذ وهو الجوع ويتلذذ بالفواكه ، ومما ينبغى ان يحترز عنه ان يشتهى شيئا ويخفيه عن الناس بل الاحب ان يظهرها اذ الكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمتقين ولايرضى منه الابتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين لأن سره لكفره كفرا آخر استخف بنظر الله الى قلبه وعظم نظرا لمخلوقين وان يحترز ان يفرح بترك الشهوة ويشتهر بذلك لأنه قد خالف شهوة الأكل واطاع شهوة هى اشد منها وهى شهوة الجاه وذلك كمن هرب عن عقرب الى حية وشهوة الرياء بكثير من شهوة الطعام -

المطلب الثالث

فى شهوة الفرج ولها فائدتان

احداها ان يقيس للذتها لذة الآخرة فيرغب فيها وثانيتها بقاء النسل ودوام الوجود وفيها آفات ان لم تعتدل اما افراطها بان يجر الى اقتحام الفواحش اوبان يصرف همته التمتع بالنساء والجوارى فيحرم عن سلوك طريق الآخرة وقد ينتهى بطائفة الى تناول المقويات فيؤدى الى التنعم وبطائفة اخرى الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع ويستسخر عقله لخدمة الشهوة وهو مخدوم لها لاخادم والعشق مرض قلب فارغ لاهمة له واذا عرفت ذلك فينبغى للمريد فى ابتداء امره ان لايشتغل نفسه بالتزويج ليأمن الآفات المذكورة ولايترخص بكثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لايشغل قلبه جميع ما فى الدنيا عن الله تعالى وكيف لا وكان قد يخشى احيانا ان يسرى احتراق قلبه من حب الله تعالى الى قالبه ويقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه كما انه لايطيق الصبر عن الله اذا جالس الخلق وكان يقول اذا ضاق صدره لذلك ارحنا يا بلال - وهذا الذى ذكرناه اذا لم تغلبه الشهوة وان غلبته فليكسرها بالجوع الطويل وان كان مع ذلك لايقدر على حفظ العين وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى وكذا

ان لم يقدر على حفظ النظر عن الصبيان بل ذلك اكثر فى الشر من النساء اذ يمكن استباحتهن دونهم والنظر الى الامرد حرام مالم يحصل الفرق بين نظر الامرد ونظر الخضرة والازهار فى اللذة اذلو مال اليهم اكثر منها صار النظر للشهوة لا للحسن -

الاصل الرابع

فى آفات اللسان وفيه مطلب

المطلب الفذ

فى آفات الكلام فيما لا يعنيك

وهو ان تتكلم بكل مالو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر فى حال او مآل كما اذا حكيت قوما اسفارك وما رأيت فيها من جبال وانهار ومشايخ البلاد واحوالهم فانك فى ذلك مضيع اوقاتك واوقات المستمعين ومحاسب على عمل لسانك وان مزجت بحكاياتك زيادة او نقصان وتزكية نفس فأنت آثم وكذا صاحبك مثلا اذا سألت رجلا انت صائم فان سكت تأذيت وان قال لا كذب وان قال نعم استبدل سرا عمله جهرا فدخل عليه الرياء - ومن آفات فضول الكلام وهو ان تزيد على قدر الحاجة وهو ايضا مذموم وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر - ومن الآفات الخوض فى الباطل وهو الكلام فى المعاصى كحكايات احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك واحوالهم المذمومة وكل ذلك حرام لا يحل الخوض فيه - واما الكلام فيما لا يعنى او اكثر فيما يعنى فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه الا انه يكره اذ لا يؤمن عليه الخوض فى الباطل مثل حكاية البدع والمذاهب الفاسدة ومحاربات الصحابة على وجه يوهم الطعن فى بعضهم ومن الآفات المراء والمجادلة وذلك منهى عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تواعده موعدا فتخلفه ونظائر ذلك كثيرة فى الاخبار - والمراء اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه وتركه الانكار والاعتراض والخلل اما فى اللفظ اوفى المعنى او قصد المتكلم فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدقه وان

كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه ثم الخلل فى اللفظ تارة يكون قصور (١) المعرفة وتارة بطغيان اللسان وكيف ماكان فلا وجه لاظهار خلله واما فى المعنى بان يقول اخطأت فيه واما فى قصده بان يقول الكلام حق ولكن قصدك منه ليس بحق وهذا الجنس ان جرى فى مسئلة علمية خص باسم الجدال وهو ايضا مذموم يجب السكوت او السؤال فى معرض الاستفادة لا المجادلة والعناد والعنف وآية ذلك ان يكون تنبهه للحق من جهة اخرى مكروها عنه فالجواب ان يسكت عن كل ما لا يأثم بتركه والباعث على ذلك اظهار الفضل وهى من دعوى العلو والكبرياء وتنقيص الغير وهو مقتضى طبع السبعية واشد ذلك ماوقع فى المذاهب والعقائد اذيظن عليه ثوابا فيتأكد الطبع بالشرع وذلك خطأ محض بل ينبغى للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة بل اللائق ان يتلطف فى نصحه على خلوة بل ربما تستمر البدعة فى قلبه بالجدل اللهم الا ان يعرف ان النصح لا ينفعه اشتغل بنفسه وتركه - ومن الآفات الخصومة وهى ايضا مذمومة وهو وراء المراء والجدال فالمراء طعن فى كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة - والجدال عبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها - والخصومة لجاج فى الكلام يستوفى به مالا او حقا مقصودا وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق - اللهم الا ان يخاصم لاظهار الحق بالشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاجة على قدر الحاجة ففعله ليس بحرام لكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا اذ الخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب وبقى الحقد بينهما واقل مافيه تشويش خاطره حتى فى صلاته وكذا الحال فى المراء والجدال ومن اقتصر على الواجب فى خصومته سلم عن الاثم الا انه عسير جدا فلهذا تكون تارة كاللآلى (٢) - ومن الآفات التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وهو التكلف الممقوت ومنه التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة والاسجاع المتكلفة وانما مقصود الكلام تفهيم الغرض ووراء ذلك تصنع مذموم

---

(١) كذا ولعله - لقصور (٢) كذا -

الا ان يقصد الوعظ و تأثير القلوب فيأتى بالالفاظ الرشيقة - و من الآفات الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو منهى عنه ومذموم و مصدره الخبث واللؤم(١) مثل الكناية فيما يقبح ذكره كالوقاع واللمس وكذا قضاء الحاجة فى الكناية عن التغوط والبول ونحو أن يذكر زوجته بان يقول قالت ام الاولاد كذا او قال من بالحجرة او من وراء الستر كذا، وكذا يقول الداء الذى يشكوه فى الجذام والبرص ونحوهما - و من الآفات اللعن(اما لانسان) اولحيوان او لجماد وكل ذلك مذموم واللعن طرد وابعاد عن رحمة الله و ذلك غير جائز الاعلى من يتصف بصفة تبعد من الله وهو الكفر والظلم بان يقول ألا لعنة الله على الظالمين أو على الكافرين - وامر اللعنة خطر وله ثلاث مراتب ، الاولى اللعن بالوصف الاعم كاللعن على الكافرين والمبتدعة والفسقة ، والثانية اللعن باوصاف اخص منه كاللعن على اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والخوارج والروافض والزناة وآكلى الربا والظلمة ونحو ذلك وكل ذلك جائز الا ان فى المبتدعة نظر لان معرفة البدعة غامضة ، والثالثة اللعن على الشخص و ذلك لا يجوز الا من ثبتت لعنته شرعا كفرعون وابى جهل ، واما اللعن على يهودى معين بان يقال لعنه الله ان مات على الكفر فجائز ، واما اللعن مطلقا فذلك مردد بين التقييد المذكور وعدمه ففيه خطر لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله تعالى فلا يكون ملعونا و لا يقاس هذا بقولك رحمه الله لمسلم لان معناه ثبته الله على الاسلام الذى هو سبب الرحمة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على الكفر الذى هو سبب اللعنة واذا عرفت هذا فى الكافر فهو فى زيد الفاسق وعمرو المبتدع اولى الا ان يقع اللعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبى جهل واضرابه ، وعلى الجملة ففى لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر فى السكوت عن لعنة ابليس فضلا عن غيره ، واما لعن يزيد فلا سلم عدمه اذلم يثبت انه قتله او امربه او رضى به او فرح به وان ثبت ذلك

(١) كأن هنا سقطا وحاصل ما فى الاحياء انه ينبغى الكناية عما يستقبح ، وذكر الامثلة الآتية - ح -

علم

فلم يثبت انه مات بلاتوبة نعم ان قال قاتل حسين رضي الله عنه ان مات بلاتوبة لعنه الله - ومن الآفات الشعر لأنه كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم نعم انشاده ونظمه ليس بحرام ما لم يكن فيه كلام مكروه اوكذب واما المبالغة فمن صنعة الشعر وقد انشدبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مافيه مبالغة ، ومن الآفات المزاح واصله مذموم منهي عنه الاقدرا يسيرا يستثنى منه وهو المداومة لانها اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة واما الافراط فيه فانه يوجب كثرة الضحك المميت للقلب ويورث الضغينة احيانا ويسقط المهابة والوقار فمايخلو عن هذه الامور لايذم ، وهوالذى يقع عن(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال انى لأمزح ولا اقول الاحقا الا ان غيره ان فتح عليه هذا الباب كان غرضه ان يضحك الناس كيف ما كان فيذم - ومن الآفات السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا ومعناها الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون بالمحاكاة فى الفعل وفى القول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة ، ومنها الضحك على خطه وعلى كلامه وصنعته وصورته وخلقته ، اما اذا كان المستهزأ به ممن جعل نفسه مسخرة لا يتأذى به بل يفرح يكون من قبيل المزاح وفى حكمه - ومن الآفات افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولؤم اذا لم يكن فيه اضرار - ومن الآفات الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد والنفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق - ومن الآفات الكذب فى القول واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب الا فيما لا يمكن التوصل الى امر محمود الا به فان الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود امكن التوصل اليه بالصدق والكذب معا فالكذب فيه حرام وان (كان) التوصل اليه بالكذب فقط فالكذب مباح ان كان المقصود مباحا وواجب ان كان واجبا مثلا اذا كان فى

(١) كذا -

الصدق سفك دم مسلم مظلوم فالكذب واجب وان لم يكن اصلاح ذات البين الا بالكذب فهو مباح الا انه لا يفتح هذا الباب الا بقدر الضرورة لئلا تتعود النفس بذلك ، وايضا فيه غرور كثير اذ قد يكون الباعث حظه وغرضه فليعلم ان المقصود هل هو أهم فى الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا فالحزم فى تركه الا ان لا يجد رخصة فى تركه اصلا ، ومن ذلك القبيل خطأ من ظن جواز وضع الاحاديث فى الترغيب والترهيب وهذا خطأ عظيم اذ هذا الغرض لا يقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله وسلم لان ذلك من اكبر الكبائر لا يقاومها شىء ثم ان السلف قالوا إن فى المعاريض مندوحة عن الكذب روى ذلك عن ابن عباس وغيره وكذا عن عمر رضى الله عنه اذا دعاه حاجة والا فلا يجوز التصريح والتعريض معا ولكن التعريض اهون كقولك الله يعلم ما قلت من ذلك من شىء فكلمة ما عندك للابهام ويتوهم المستمع جرف النفى وكان ابراهيم اذا طلبه فى الدار من يكره قال للجارية قولى له اطلبه فى المسجد وكان لا يقول ليس هو ههنا كيلا يكون كاذبا ، وكان الشعبى يخط خطا ويقول للجارية ضعى اصبعك فيها وقولى ليس هو ههنا وهذا كله فى موضع الحاجة والا فهو مكروه لأنه تفهيم الكذب الا ان الحاجة فى المعاريض خفيفة كتطييب قلب الغير بالمزاح كما قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الجنة عجوز وفى عين زوجك بياض ونحملك على ابن البعير وما اشبهه ، واما صريح الكذب مطايبة فليس بفسق ولكنه يترك كما يلاعب الناس الحمقاء بتغريرهم بان امرأة رغبت فى تزوجك فان كان فيه ضرر وايذاء قلب فهو حرام ، ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق قولهم طلبتك مائة مرة اذ لا يريد تفهيم المرات بل الكثرة فان طلبه كثيرا لم يأثم ومن ذلك القبيل قولهم لا اشتهيه اذا قيل له كل الطعام وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح ، ومن الآفات الغيبة وقد نص الله تعالى على ذمها وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة وقد ذمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى أن تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا فى بدنه اوفى نسبه اوفى خلقه

اوفى

او فى فعله و قوله او فى دينه و دنياه حتى فى ثوبه و داره و دابته ثم انها لا تقتصر على اللسان بل التعريض فيه كالتصريح و الفعل فيه كالقول و الاشارة و الايماء و الرمز و الغمز و الحركة و الكناية و كل مايفهم المقصود و كل ذلك حرام - و من ذلك ذكر المصنفين شخصا معينا و تهجين كلامه اللهم الالعذر محوج الى ذلك - و من اخبث انواعها قول القراء المرائين الحمدلله الذى لم يبلنا بالدخول على السلطان و التبذل فى طلب الحطام عند ذكر شخص حاله كذلك - اويقول نعوذبالله من قلة الحياء فان فى ذلك ذم الغير مع الرئاء - وكذلك ربمايقول ماحسن فلانا لولا تقصيره فى العبادات ولكنه ابتلى بما ابتلينا فيذم غيره ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين فى ذم انفسهم فيغتاب و يرآئى و يزكى نفسه - وكذلك يقول ذلك المسكين قدابتلى بكذا تاب الله عليه و علينا فيظهر الدعاء و يدعى الاغتمام - واسباب الغيبة احد عشر احدها تشفى الغيظ بذكر مساويه - و ثانيها موافقة الاقران ومساعدتهم و يرى ذلك من حسن المعاشرة - و ثالثها ان يستشعر من انسان انه سيقصده و يطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم فيبادره و يطعن فيه ليسقط اثر شهادته - ورابعها ان ينسب الى شيء فيذكرأن الذى فعله فلان و تبرأ منه مع ان التبرأ يحصل بان لايذكر الغير بشخصه - و خامسها ان ينسب النقص الى غيره و يقصد بذلك اثبات فضل نفسه - و سادسها ان يقدح عند من يحب ذلك الشخص حسدا لاكرامهم و محبتهم - و سابعها ان يقصد اللعب و الهزل و المطايبة و يضحك الناس عليه - و ثامنها السخرية و الاستهزاء استحقارا له فى الغيبة - و تاسعها ان يتعجب من فعله المنكر و هذا من الدين لكن ادى الى الغيبة بذكر اسمه فصار مغتابا من حيث لايدرى - و عاشرها ان يغتم لسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمنى امره و ما ابتلى به و غمه و رحمته خير لكن ساقه الى شر و هو الغيبة من حيث لايدرى - و الحادى عشر منها الغضب لله على منكر قارفه انسان فيظهر غضبه و يذكر اسمه ، و كان الواجب ان يظهر غضبه على فاعله و لا يظهر على غيره بل يستر اسمه - و هذه الاسباب الثلاثة الاخيرة مما يغمض على العلماء فضلا عن

العوام - اذا عرفت اسباب الغيبة فاعلم ان علاجه على الجملة ان يتذكر مضرة الغيبة وانها تحط حسناته وتثقل حسنات غيره وتنقل اليه من سيئاته فيدخل النار وهذا بعد المطالبة والسؤال والحساب وعلاجه على التفصيل ان ينظر فى اسبابها ويعالجه بما مر من معالجات الاخلاق الذمية من الغضب والحسد والرئاء وغير ذلك واعلم ان من انواع الغيبة الغيبة بالقلب وهى سوء الظن اى عقد القلب والحكم بالسوء وذلك حرام واما الخواطر وحديث النفس بل الشك فمعفو عنه ايضا وامارة سوء الظن وتميزها عن حديث النفس ان يتغير القلب معه عما كان فيتفر عنه نفورا ويستثقله ويفتر عن مراعاته واكرامه - ومن ثمرات سوء الظن التجسس فيطلب التحقيق وهو منهى عنه واعلم ان للغيبة اعذارا مرخصة وهى ستة - الاول التظلم وذلك لايمكن بدون ذكر مساوى من ظلمه - والثانى الاستغاثة لتغيير المنكر ورد العاصى الى منهج الحق - الثالث الاستفتاء حيث يقول ظلمنى فلان وما حكمه الا ان الاولى ان يقول ما تقول فيمن ظلم احدا بكذا وكذا - الرابع تحذير المسلمين من شر أحد فلابد من ذكره باسمه - الخامس ان يكون اسمه يعرب عن ابيه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول نعم لو امكنه التعريف بغير ذلك فهو اولى وربما يقولون للاعمى البصير عدولا به عن اسم النقص - السادس ان يكون مجاهرا بالفسق ولا يستنكف عن ذكره ولايكره ذلك فلا اثم فى ذكره بذلك - واما كفارة الغيبة ان يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغى ان يتحلله وهو حزين متأسف نادم على فعله - واما الذى يستحل بلا ندم فهو مراء وذلك معصية أخرى وما قيل العرض لا عوض له كالمال فلا يجب الاستحلال كلام ضعيف اذ وجب فى العرض حد القذف - ثم المراد بتحليل الغيبة العفو عن المظلمة لاان ينقلب الحلال حراما كما ظن وقيل ان التحليل غير ممكن - ومن آفات اللسان النميمة وهى ان ينم قول الغير الى المقول فيه وقيل كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف

الكشف بالقول او بالكنية او بالرمز او بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الافعال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصانا فى المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما يراه الانسان من احوال الناس فينبغى ان يسكت عنه الاما فى حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية فان كان ما ينم نقصانا وعيبا فى المحكى عنه فهو غيبة ونميمة معا - والباعث على النميمة إما ارادة السوء بالمحكي عنه او اظهار الحب للمحكى له او التفرج بالحديث او الخوض فى الفضول ونحو ذلك - واما الذى نم اليه فعليه ستة امور - الاول ان لايصدقه لأنه فاسق وهو مردود الشهادة - الثانى ان ينهاه عن ذلك وينصحه - الثالث ان يبغضه فى الله لانه بغيض عندالله فلايحب من ابغضه الله - الرابع ان لاتظن بأخيك الغائب سوءا - الخامس ان لايحملك كلامه على التجسس والبحث - السادس ان لا ترضى لنفسك مانهيت عنه النمام فلاتحكى نميمته - ومن آفات الكلام كلام ذى اللسانين الذى يتكلم لكل من المتعادين بكلام يوافقه وذلك عين النفاق وان نقل كلام واحد الى الآخر فهو نمام وان نقل كلام كل منهما الى الآخر فهو ذو اللسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بان ينصره او اثنى على كل واحد فى معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغى ان يسكت او يثنى على المحمود فى حضوره وغيبته وبين يدى عدوه - ومن الآفات المدح وله ست آفات اربع فى المادح واثنتان فى الممدوح الاولى قديفرط فينتهى به الى الكذب - الثانية انه قديدخله الرياء اذلايكون قلبه كذلك - الثالثة انه قد يقول مالايتحققه ولاسبيل له الى الاطلاع عليه - الرابعة انه قد يمدح الظالم والفاسق - الخامسة ان يحدث فى الممدوح كبرا واعجابا وهما مهلكان - السادسة ان اثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضى عن نفسه فيقل تشمره للعمل لانه يظن انه قدادرك النهاية - ومن آفات الكلام الغفلة عن دقائق الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته كقولك ما شاء الله

وشئت والصواب ماشاءالله ثم شئت لان الواو يفيد التسوية بين الله تعالى وعبده وكقولك من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى والصواب ومن يعص الله ورسوله ضمير التثنية تسوية وجمع ونحو ذلك ومن الآفات سؤال العوام عن الله تعالى وصفاته لأنه يؤدى الى الكفر وانما شأن العوام الاشتغال بالعبادة والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسول من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء ادب يستحقون به المقت ويتعرضون لخطر الكفر -

الاصل الخامس

في ذم الغضب والحقد والحسد وفيه مطالب.

المطلب الاول

في الغضب وقد ذمه الله تعالى ورسوله والصحابة والتابعون وحقيقته ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا (للفساد - ١) والموتان انعم عليه بما يحميه من الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل مسمى - ثم الفساد إما من الداخل وهو أن في داخله حرارة ورطوبة والحرارة تفني الرطوبة فأمدالله تعالى الرطوبة بالاطعمة فخلق لأجلها شهوة الطعام وإما من خارج كالسيف والسنان وسائر المهلكات فخلق الله لدفعها الغضب من النار وعجنه بطينته واذا اشتعلت نار الغضب وثار ثورانا يغلي بها دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن ثم ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين، والبشرة بصفائها تحكي لون ماوراءها من حمرة الدم - هذا اذا غضب على من دونه وقدر عليه - اما اذا غضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى باطن القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون، وان كان على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب ويسمى فوت مقتضى هذه القوة الانتقام - ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلاث لانه اما مفرط وذلك مذموم ويقال فيه انه

(١) من الاحياء -

لاحمية له و قد وصف الله تعالى الصحابة بالشدة والرحمة وقال سبحانه (اشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار — واما مفرط وهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعتهما وذلك قد يكون طبيعية وقد تكون مكتسبة بأن يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية وانما الاعتدال وهو احسن الدرجات أن ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث يجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم وهو الوسط الذي كلف الله عباده به وهو الصراط المستقيم وهو أدق من الشعر وأحد من السيف فان عجز فليطلب القريب منه اذ بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض — وأثر هذا الغضب في البصيرة انه يعمى صاحبه ويصم عن كل موعظة بل زاد(١) بالموعظة ويتصاعد دخان مظلم الى دماغه بل الى معادن الحس فتظلم عينه وتسود عليه الدنيا بأسرها وربما تقوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التي بها الحياة فيموت صاحبه غيظا واما اثره في الصورة تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنفتح المناخر ولو رأى الغضبان قبح صورته لسكن غضبه حياء منه — واما اثره في اللسان فالشتم والفحش وقبائح الكلام الذي يستحي (منه) ذووا العقول بل قائله ايضا عند فتور غضبه — واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة وان عجز عن التشفي ربما يمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه ويعتريه مثل الجنة وربما يضرب الجمادات والحيوانات — اما اثره في القلب فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءة وغير ذلك هذه آثار الغضب — واما آثار عدم الحمية قلة الانفة من التعرض للحرم واحتمال الذل من الاختياء وصغر النفس ونحو ذلك —

المطلب الثاني

في علاج الغضب

واعلم ان الغضب لأخذ محبوبه او لقصد مكروه له ومحبوب الانسان ثلاثة —

---

(١) كذا —

الاول ما هو ضروری للكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن كما قال صلى الله عليه صلى الله عليه وسلم من اصبح آمنا فی سربه معافی فی بدنه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها والغضب على من يتعرض هذا جائز لانها ضرورته - الثانی ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه صارت محبوبة بالعادة او الجهل بمقاصد الامور فالغضب على هذا ليس بضروری لان حبه ليس بضروری الا ان الجهال يحبون هذه ويتألمون لفوتها فاذا استكثارهم من الغم والحزن(١) اذ الدنيا بمعرض الآفات - الثالث ما يكون ضروريا للبعض دون الآخرين كالكتاب للعالم اذ هو مضطر اليه فيحبه ويغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات فی حق المكتسب فان ما هو وسيلة الى القوت الضروری فلا يمنع من الغيظ استغناء غيره عنه وانما الكلام فی القسم الثانی اذ يجب اخراج حبه عن قلبه بان الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك وبال عليه فی وطنه ومستقره فيزهد فی الدنيا ويمحی حبها عن قلبه - فان قلت لا يلزم من كون القسم الاول ضروريا جواز الغضب عليه بل يكتفی بالتألم ولا يغضب والتألم غيره (١) كالفصد يتألم به ولا يغضب على الفصاد وايضا من غلب عليه التوحيد ورأى الاشياء كلها من الله لا يغضب على احد من خلقه مثلا اذا وقع الملك بضرب رقبة احد وهو لا يغضب على القلم الذی وقع الملك به وكذا يندفع بأن الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة - قلت ما ذكره من الاكتفاء بالتألم حسن جدا لكن الكلام فی ان الغضب هنالك معفو عنه وصاحبه معذور - واما غلبة التوحيد فذلك كالبرق الخاطف ثم يرجع القلب الى الوسائط وكذا الكلام فی ان الخير ما قدر له -

المطلب الثالث

فی معرفة اسباب الغضب ليعالج بازالتها

واسبابه الزهو والعجب والفخر والمزح والهزل والتعيير والمماراة والمضارة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهی بأجمعها اخلاق رديئة

(١) كذا -

يجب

يجب ازالة كل منها بما ذكرناه فى مواضعها - وانما معالجة الغضب بعد وقوعه بستة امور - الاول ملاحظة الاخبار الواردة فى فضيلة كظم الغيظ - الثانى ان يخوف نفسه بعقاب الله سبحانه ويقول قدرة الله على اعظم من قدرتى على هذا الانسان - الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقاتلته والسعى فى هدم اغراضه والشماتة لمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب وبالجملة يسلط قوة الشهوة على قوة الغضب - الرابع ان يتفكر فى قبح صورته عند غضبه ومشابهته للكلب الضارى والسبع العادى ومشابهة الحليم الهادئ بالانبياء والحكماء والعلماء - السادس ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الامور على وفق مراد الله تعالى فكيف يقول مرادى اولى من مراد الله - ثم معالجة الغضب بطريق العمل ان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وتقول اللهم رب النبي محمد اغفرلى ذنبي وارحمني واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن - هكذا علم النبي صلى الله عليه وسلم عائشة عند غضبها - وان لم يزل بذلك فليجلس ان كان قائما او يضطجع ان كان جالسا ويقرب من الارض التى منها خلق ليعرف بذلك ذل نفسه واطلب بالاضطجاع والجلوس السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة وان لم يزل فليتوضأ بالماء البارد او يغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء كذا ورد فى الحديث - ثم الناس فى الغضب اربعة بعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو اجودهم ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة - وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهو شرهم -

المطلب الرابع

فى الحقد والعفو والرفق

اعلم ان الغضب اذا عجز صاحبه عن التشفي فى الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقي والحقد يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو أن يحملك الحقد أن تتمني

زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين وستعرف ذمه - الثانى ان تريد فى اضمار الحسد فى الباطن فتشمت بما اصابه من البلاء - الثالث ان تقطعه وتصارمه وان اقبل عليك - الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له - الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر أو هتك ستر وغيره - السادس ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه - السابع ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه - الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين اورد مظلمة وكل ذلك حرام - ثم للحقود ثلاثة احوال عند القدرة ، احدها ان يستوفى حقه الذى يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل وهو اختيار الصالحين ، ثانيها ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل واختيار الصديقين ، وثالثها ان يظلمه بما لا يستحقه وهو اختيار الاراذل ثم ان العفو هو ان تستحق حقا فتسقطه وتتبرأ عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم ، وكظم الغيظ فضيلته لا تخفى على احد سيما وقد ورد فى مدحه الآثار والاخبار حتى مدحه الشعراء والحكماء بل المتقيدون بحكم الطبيعة وبالجملة لم ينكر فضيلته احد من الطوائف - واما الرفق فهو نتيجة حسن الخلق والسلاسة كما ان ضده هو العنف ، والحدة نتيجة الغضب والفظاظة ، والرفق نتيجة اعتدال قوة الشهوة والغضب ولذلك ورد فى الحديث ياعائشة من اعطى حظه من الرفق فقد اعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ثم ان الرفق هو التوسط بين العنف واللين ثم ان المشكل تمييز موضع العنف عن موضع الرفق واذا لم يقدر احد على التمييز فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه فى الاكثر -

المطلب الخامس

فى الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه

اعلم ان الحسد فرع الحقد وهو فرع الغضب وليس الحسد الا على نعمة فاما ان تريد زوالها عن المنعم عليه وهو حرام الا نعمة لفاسق اوظالم جعلها آلة للشر لكن لا تريد زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث انها آلة الفساد ، اولا تريد زوالها

ولكن

ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذا يسمى غبطة وهذه ليست بحرام بل ربما تكون واجبة كما في نعمة العلم او مندوبة كما في نعمة التصدق او مباحة كما في النعم المباحة ومذمة الحسد في الآثار والاخبار بل في الطباع شهيرة لا تحتاج على تفصيلها واما مراتبه فاربعة - احدها ان يحب زوال النعمة عنه وان كانت لا تنتقل اليه وهو غاية الخبث وانه مذموم محض - وثانيها ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او ولاية نافذة وهذا ايضا مذموم - وثالثها ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها وهذا ايضا مذموم الا انه اخف من الثاني - رابعها ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها منه وهذا هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين - ثم ان للحسد اسبابا - الاول العداوة والبغضاء وهذه اشد اسبابه - الثاني التعزز وهو أن يثقل عليه ان يرتفع عليه غيره ولا يريد التكبر بل غرضه ان يدفع كبره وهذا اذا نال بعض اقرانه ولاية أو علما او مالا وهو لا تحتمل نفسه صلفه وتفاخره فيتعزز عليه - الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشرف على مساواته او الى ان يترفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه - الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا (ما انتم الا بشر مثلنا) فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النعمة عنهم جزعا عن ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة واسباب اخر - الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد وذلك مثل الضرات عند زوجهن والتلامذة عند الاستاذ - السادس حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كتحاسد العلماء فان واحدا منهم لو سمع نظيره(١) في اقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته وزوال نعمته من غير عداوة ولا تعزز ولا تكبر بينهما ولا خوف من فوات مقصود - السابع خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله

---

(١) كذا والظاهر - بنظيره -

واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذونها من ملكه وخزانته ويختص مثله باسم الشحيح وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها اوجميعها فى شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك والاكثر اجتماع الاسباب وقلما ينفرد واحد منها ولما كان الحسد اقتضى سابقة الارتباط بين الشخصين كثر بين الامثال والاقران والاخوة وبنى العم والاقارب دون شخصين فى بلدتين متباعدتين ثم لما اشترط فى الحسد التزاحم حسد العالم العالم دون التاجر، والشجاع الشجاع دون الاسكاف ونحو ذلك نعم من احب الصيت ربما يزاحمه من فى اقصى العالم فى هذا دون الغرض فيحسده واما ابناء الآخرة فلا يقع بينهم التحاسد اذ لا مزاحمة بينهم ولا ضيق فيها وكذا العلم اذ المعلوم الواحد يعرفه الف انسان ـ

المطلب السادس

دواء الحسد

وهو أن تعرف اولا انه ضرر عليك فى الدين والدنيا ولا ضرر به على المحسود فى الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما جميعا أما ضرره فى الدين لانه سخط لقضاء الله وكراهة لنعمه وهذا قذى فى عين الايمان وانضم اليه غش المسلم وترك نصحه ومشاركة ابليس وهذه خبائث فى القلب تأكل الحسنات وتمحوها ـ واما فى الدنيا فهو أنه الالم الحاضر والعذاب الدائم وانت تريد الالم لعدوك فتنجزت فى الحال ـ واما انه لاضرر على المحسود فى دينه ودنياه فواضح لان النعمة لاتزول بحسدك واما منفعته فى الدنيا فهو أن اهم مقاصد ابناء الدنيا ايصال الهم الى اعدائهم وهو حاصل بالحسد وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم فأنت عدو لنفسك وصديق لعدوك ومع هذا كله قد أدخلت السرور فى ابليس وهو اعدى عدوك واذا عرفت فعليك ان تكلف نفسك نقيض الحسد اذ كل مرض يعالج بضده مثلا يكلف لسانه بمدحه وثنائه ويتكلف للتواضع له والاعتذار اليه ويلزم نفسه الانعام عليه ان قدر وهذه الافعال تطيب قلب المحسود ويحب الحاسد ومهما ظهر حبه

احبه

احبه الحاسد و يتولد منه الموافقة و يصير ما يتكلفه او لا طبعا آخر و لا يصد نك عن ذلك قول الشيطان ان هـذا عجز ونفاق و خوف لأن ذلك من خدع الشيطان و مكايده وهنا دواء الحسد الا انه مر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء ثم ان لك فى اعدائك ثلاثة احوال - احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كان لك حيلة فى ازالة ذلك الميل منك وهـذا معفو عنه لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه - الثانى ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور - الثالث و هو بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد وهذا محل الخلاف - والظاهر أنه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله المستعان -

الاصل السادس

فى ذم الدنيا وفيه مطلبان

المطلب الاول

على ان مذمة الدنيا لا تخفى على اولى الالباب واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف النفس عنها وكذا ما فى الاحاديث والآثار كثير لا يخفى على اولى الالباب وحقيقة الدنيا وقسمتها الى المذمة وغير المذمة - واعلم ان لقلبك حالتين فالقريب الدانى منها وهى ما قبل الموت وتسمى دنيا والمتأخر المترانى وهو ما بعد الموت ويسمى آخرة - ثم ان الدنيا ثلاثة اقسام - الاول يصحبك فى الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت كالعلم الذى هو لذة دنيوية عاجلة وكذا العبادة لمن يلتذ بها وهما مع ذلك ليسا من الدنيا اذ ينفعان فى الآخرة - الثانى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة كالتلذذ بالمعاصى والمباحات - الثالث وهو متوسط بينهما كل حظ عاجل معين على اعمال الآخرة كالقوت من الطعام وما يستر العورة ويقى من الحر والبرد من اللباس ونحوهما وهذا متردد بين القسمين لأنه ان جعله وسيلة الى الثانى صار من

اعمال الدنيا ولايبقى مع العبد بعد الموت الاصفاء القلب وطهارته وذلك بالكف عن الشهوات والانس بالله وذلك لكثرة ذكر الله والمحبة لله وذلك لايحصل الا بالمعرفة وهي تتولد من الفكر - واعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة للانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور - اما الاعيان فهي الارض وماعليها من المعادن والنبات والحيوان - اما المعادن فللآلات والاواني كالنحاس والرصاص او للنقد كالذهب والفضة وغير ذلك - واما النبات فللباس وللتداوي والغذاء واما الحيوان فللأكل والركوب والزينة واما الانسان فللخدمة كالغلمان وللاستمتاع كالجواري والنسوان وايضا لطلب قلوب الآدميين للعز والجاه ومجموع هذه هي الدنيا ثم ان للعبد معها علاقتان علاقته بالقلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد ويتفرع عن هذه العلاقة الاخلاق الذميمة كالكبر والحسد والرئاء والسمعة وحب الثناء والتكاثر والتفاخر وعلاقته بالبدن وهو اشتغال باصلاح هذه الاعيان وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها وتفصيله ان الانسان مضطر الى ثلاث، القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء ولبقاء النوع، والملبس لستر العورة ولدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ودفع اسباب الهلاك عن الاهل والمال فحدثت الحاجة الى خمس صناعات هي الاصول الفلاحة لتحصيل النبات، والرعاية لحفظ الحيوانات واستنتاجها، والاقتناص لتحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن او حشيش اوحطب، والحياكة وما يحصلها من الغزل، والخياطة فللملبس ثم هذه الصناعات تفتقر الى ادوات وآلات وهي إما ان تؤخذ من النبات وهي الاخشاب اومن المعادن كالرصاص والحديد اومن جلود الحيوانات فاحتيج الى ثلاثة انواع من الصناعات، النجارة وهي العمل في الخشب، والحدادة وهي العمل في المعدن، والخرز وهي العمل في جلود الحيوانات فهذه هي امهات الصناعات - ثم لما كان الانسان مدنيا بالطبع احتاج الى معاشرة الزوجية لبقاء النسل والى المعاونة في الصناعات إذ لايتولاها واحد من الناس والالبطلت المصالح اذ الطعام يحتاج الى حراث وطحان

وخباز

وخباز واللباس الى حراثة القطن والغزل والنسج وهكذا وحدثت من هذا الاجتماع صناعات اخر منها صناعة الحكم وفصل الخصومة بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة حدود الله تعالى - ثم ان اهل الحرب لو اشتغلوا بطلب القوت فاتهم حراسة الملك فمست الحاجة الى امدادهم بالاموال كمال الجزية والخراج فاحتيج الى من يدبر تلك الاموال الى الجباة والخزان والكتاب والعمال والحساب ثم هؤلاء ايضا يحتاجون الى معيشة فاحتيج الى صرفهم من مال الخراج شيئا يكفيهم فصاروا افرعا لاهل الحرب فانحصر الناس فى صنائعهم فى ثلاث، الاولى الفلاحون والرعاة والمتحرفون، والثانية الجندية الحماة لهم بالسيوف، والثالثة المترددون بين الطائفتين فى الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتدأ الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا ينفتح منها باب الا وينفتح بسببه ابواب الى ما لا يتناهى كأنها هاوية لا قعر لها من وقع فى مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالى هذه هى الاصول ولا يتم كل منها الا بفروع لا تحصى كثرة كالبقر آلة للحرث والفرس آلة الحرب الى غير ذلك من الآلات ولما كان بين الناس مظالم بحكم النفس الامارة احتاجوا الى حاكم عدل يصلح بينهما لئلا يختل النظام بسبب المنازعات الواقعة بينهم -

المطلب الثانى

فى الحرف الجارية بين الناس باحتيا لهم

منها اللصوص والطرار والسلال وانواع ذلك كثيرة - ومنها المكدى وهم لحبهم البطالة يتكلفون العمى والعرج او نحوهما ويتكففون الناس - منها ارباب السخرية والمحاكاة واصحاب الشعوذة والافعال المضحكة وصاحب الاشعار واصحاب القرعة والفال ونحو ذلك وكلهم استنبطوا الحيل بدقيق الفكر لاجل معاشهم ولكن ضيعوا انفسهم - ثم ان فهم الناس فى تصور الكمال على طبقات

فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فيأكلون ليكسبون ويكسبون ليأكلون(١) كما هو حال الفلاحين والمتحرفين وليس لهم التنعم لافى الدنيا ولا فى الآخرة بل يتعبون نهارا ليأكلوا ليلا ويأكل ليلا ليتعب(١) نهارا ومثاله سير السوانى فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطائفة اخرى زعموا ان الكمال قضاء الوطر من الشهوات كشهوة البطن والفرج فيصرفون هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة يأكلون كما يأكل الانعام وبذلك شغلوا عن الله واليوم الآخر - وطائفة ظنوا ان الكمال فى جمع المال فأسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم فى جمعه ويتعبون فى الإسفار ويترددون فى الاخطار طول الليل والنهار ولا يأكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص الى ان يدركه الموت وهو كذلك وكنوزه تحت الارض او فى يدمن يصرفه ويسرفه فى الشهوات وعليه تعبها ووبالها وللآكل لذتها - وطائفة ظنوا ان السعادة فى حسن الاسم وكثرة الثناء عليه والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون فى الكسب ويضيقون على انفسهم فى المطعم والملبس ويصرفون مالهم الى الثياب الفاخرة والدواب النفيسة ويزخرفون ابواب دورهم وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غنى وذو ثروة فهمتهم فى تعهد موقع نظر الناس، وطائفة ظنوا ان السعادة فى الجاه وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير لهم فيطلبون الولايات وتقلد الاعمال السلطانية ويرون انهم بذلك سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذه الطوائف ووراءها طوائف لايمكن حصرها تزيد على نيف وسبعين طائفة كلهم ضلوا وأضلوا لكثرة الاشغال وتداعى البعض الى البعض فيهلك فى اودية الدنيا ولو اكتفى بالقدر الضرورى اندفعت اشغاله وفرغ قلبه وغلب عليه ذكر الآخرة - ثم ان طائفة تنبهت لهذه الآفات فظن بعضهم ان الدنيا دار البلاء وان الآخرة دار السعادة سواء تعبد فيهما اولا فرأوا ان الصواب فى ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طائفة من اهل الهند حتى انهم يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا - وبعضهم ظن ان القتل لايخلص بل لابد اولا

(١) كذا -

من

من اماتة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية فاقبلوا على المجاهدة و شددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وبعضهم مرض وانسدت عليه طرق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية وانه محال نظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع فى الالحاد - وبعضهم ظن ان هذا التعب كله لله وانه مستغن عن عبادتنا لا ينقصه العصيان ولا يزيده العبادة فسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع - وبعضهم ظن ان المقصود معرفة الله والعبادة وسيلة اليها وبعد الوصول يستغنى عنه فتركوا السعي والعباذة وانما التكليف على العوام ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ان تبلغ نيفا وسبعين فرقة والناجى منها ما عليه الصحابة وهم اهل السنة والجماعة وهم على المنهج القصد والصراط المستقيم -

الفصل السابع

في ذم المال وكراهية حبه وذم البخل وفيه مطالب

المطلب الاول

اعلم ان الله تعالى ذم المال فى مواضع كثيرة ومدحه فى بعض المواضع وسماه خيرا وقال (ان ترك خيرا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح فلابد من التوفيق بينهما ولا يمكن ذلك الا ببيان آفات المال وفوائده ، اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق فمن عرف فوائدها وغوائلها امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها - أما الفوائد فاما دنيوية يعرفها كل احد ولهذا يتهالكون عليها واما الدينية فثلاثة انواع - الاول ما ينفقه على نفسه اما فى العبادة كالحج والجهاد وهما من امهات القربات او فى الاستعانة على العبادة كالمطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة وما لا يتوصل الى العبادة الابه فهو عبادة - واما حظوظ الدنيا ما يزيد عليها من التنعم والتلذذ - الثانى ما يصرفه الى الناس وهى اربعة، احدها الصدقة وقدعرفت ثوابها، وثانيها المروءة كالضيافة والهدية والاعانة وهذا ايضا من الفوائد الدينية اذبه يكتسب الاخوان والاصدقاء

وصفة السخاء والجود والمروءة والفتوة ففيها مثوبات ايضا - وثالثها وقاية العرض كدفع هجو الشاعر وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم وفائدتها دينية واخروية لأن وقاية العرض صدقة لأن فيها منع المغتاب ودفع آفة الانتقام بينهما - ورابعها الاستخدام اذ الانسان اذا تولى جميع مصالحه لضاعت اوقاته كشراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذى يحتاج اليه فلابدله من مال يدفع امثال هذه الحوائج - النوع الثالث الخير للعامة كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودارالمرضى ونصب الجباب فى الطرق وامثال ذلك وهى من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين وناهيك به خيرا وهذه هى الفوائد الدينية مع مافى المال من الحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والكرامة والوقار ونحو ذلك - واما الآفات فاما دينية وهى ثلاثة - الاول ان الانسان اذا استشعر من نفسه القدرة على المعصية انبعثت داعية المعاصى فان اقتحم ذلك هلك وان صبر وقع فى شدة - الثانى ان يجر الى التنعم فى المباحات ثم يألفه ثم يجر البعض الى البعض حتى لا يفيه المال الحلال فيقتحم الشبهات ويتبعه ان يصانع الناس بالرئاء والمداهنة والكذب والنفاق لان حاجة الناس تؤدى الى هذه الاخلاق - الثالث وهو الذى لا ينفك عنه احد وهو أنه يلهيه عن ذكر الله تعالى وانه خسران عظيم وهو الداء العضال ، واما آفاته الدنيوية فالخوف والحزن والهم والغم والتعب فى دفع الحساد وتجشم المصاعب فى حفظ الاموال وكسبها فاذا ترياق المال اخذ القوت منه وصرف الباقى فى الخيرات وما عداه سموم وآفات -

المطلب الثانى

فى الحرص والطمع ومدح القناعة

واعلم ان الانسان اذا تشوف الى ما فوق القوت فاته عزالقناعة وتدنس بذل الحرص وجره ذلك الى مساوى الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت فلابد من علاج الحرص والطمع وملكة القناعة وذلك مركب من خمسة امور

الاول

الاول وهو العمل الاقتصاد فى المعيشة والرفق فى الانفاق ويرد نفسه الى مالا بدله منه ويطلب الاقتصاد فى نفسه وفى عياله - الثانى ان لايضطرب للاستقبال ويثق بوعد الله سبحانه ويعرف ان شدة الحرص ليست سبب الرزق ولا يبالى بمايعده الشيطان من الفقربانك ربما تمرض وتعجز وتحتاج الى ذل السؤال وتقاسى ذل التعب فى الحال لتوهم الذل فى الاستقبال مع الغفلة عن الله تعالى ، الثالث ان يعرف مافى القناعة من عز الاستغناء وما فى الطمع والحرص من الذل وليس فى القناعة الا الم الصبر عن الفضول والشهوات وهذا الالم لايطلع عليه احد وفيه ثواب الآخرة ، واما الطمع فألم لا نهاية له مع الوبال والمآثم وربما تلزمه المداهنة ويهلك دينه ، الرابع ان يتأمل فى عيش اعداء الله من اليهود والنصارى وارذال الناس والى احوال الانبياء والاولياء وعامة الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين - الخامس ان يفهم مافى جمع المال من الآفات مع مايفوته من المدافعة عن باب الجنة خمسمائة عام -

المطلب الثالث

فى السخاء

اعلم ان المال إن كان مفقودا فينبغى ان يقنع ولايحرص وان كان موجودا فينبغى ان يختار الايثار والسخاء والتباعد من الشح والبخل فان السخاء من اخلاق الانبياء سيما الايثار فانه ارفع درجات السخاء وهو أن يجود بالمال مع الحاجة اليه كما ان اعلى البخل ان يبخل على نفسه مع احتياجه اليه وليس بعد الايثار درجة فى السخاء وقد اثنى الله تعالى على الصحابة قال(ويؤثرون على انفسهم ولوكان بهم خصاصة) واما البخل فقيل هو منع الواجب فكل من ادى مايجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من رد الخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصفها فانه يعد بخيلا بالاتفاق - وقيل هو الذى يستصعب العطية - وهذا ايضا قاصر إذ كم من بخيل لايستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها وإن اراد بعض العطية مما من جواد الا ويستصعب بعضها - وإما الجود فقيل عطاء بلا من

واسعاف بلا رؤية - وقيل على رؤية ان المال لله والعبد لله فيعطى عبدالله مال الله على غير رؤية الفقر - وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه الاقل فهو صاحب جود - ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل فاعلم ان هذه التفاسير لا تفي بالمقصود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود فامساكه في محل البذل بخل وبذله في محل الامساك تبذير والوسط المحمود فالسخاء والجود عبارة عنه ولكن يشترط ان يكون ذلك بطيب القلب - ثم تمييز قدر الواجب عسير جدا وجملة الكلام فيه انه قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة فمن منع واجبا منها فهو بخيل ومانع واجب الشرع ابخل كمانع اداء الزكاة او نفقة العيال او يؤديها بمشقة وكلفة - وواجب المروءة كتقتير نفقة اولاده واهله وله مراتب اذلا يقبح من الفقير مايقبح من الغنى ويستقبح مع الاقارب مالا يستقبح مع الاجانب ويستقبح مع الجار مالا يستقبح مع الاباعد ونحو ذلك فمن ادى واجب الشرع والمروءة فقد تبرأ من البخل ولكن لايتصف بصفة الجود والسخاء مالم يبذل زيادة على ذلك ولكن بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولاعن مطمع ورجاء مكافأة اوشكراً وثناء أوخوف من الهجاء اوملامة الخلق لأن من اعطى لما ذكر من الاحوال معتاض لاجواد وانما الجود البذل من غير عوض ولهذا لا يوجد الجود الا في حق الله تعالى وفي الآدمي مجاز نعم من فعله لغرض الثواب وتطهير النفس عن رذالة البخل يسمى جوادا في بني آدم -

المطلب الرابع

في علاج البخل

اعلم ان البخل سببه حب المال وحب المال له سببان ، احدهما حب الشهوات التي لايتوصل اليها الابالمال مع طول الامل وان كان قصير الامل قام الاولاد مقام طول الامل فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوى البخل لامحالة ، وثانيهما ان يحب عين المال حتى لايخرج زكاته ولايداوى نفسه

عند

عند المرض بل يحب المال ويلتذ بوجوده وهو مرض من من لا يرجى علاجه سيما فى كبر السن - واذا عرفت هذا فاعلم ان علاجه بمضادة سببه فيعالج حب الشهوات بالقناعة والصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر فى موت الاقران ويعالج الالتفات الى الولد بان الذى خلقه خلق رزقه وكم من ولد حسن حاله ولم يرث شيئا وكم من ولد ورث مالا عظيما وهو فى شدة - ويعلم انه يترك ولده بخير وهو ينقلب الى ربه بشر وأن ولده إن كان تقيا فيكفيه الله وان كان فاسقا يعين بماله على فسقه ويرجع مظلمته اليه - ويعالج ايضا بكثرة التأمل فى الاخبار الواردة فى ذم البخل وفى قبائح البخلاء - ومن علاجه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والشهرة بالسخاء فيبذل رئاء حتى يكون البذل طبعا وبعد ذلك يبدله الى الاخلاص والاعتدال، والصفات الذمية قد يسلط بعضها على بعض ويكسر سورة بعض ببعض -

المطلب الخامس

فى وظائف العبد فى ماله

وهى خمس - الاول ان يعرف مقصود المال حتى لا يحفظ الا قدر الحاجة، الثانى ان يراعى جهة الدخل فيجتنب الحرام وما يقدح فى المروءة، الثالث ان لا يستكثر على القدر الواجب وقد عرفته ويراعى القصد فى الواجب ايضا، الرابع ان يراعى جهة الخرج ويقتصد فى الانفاق ويضعه فى محله - الخامس ان يصلح نيته فى الاخذ والترك والانفاق والامساك ولذلك قال على رضى الله عنه لو أن رجلا اخذ جميع مافى الارض وأراد به وجه الله فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد - قال بعضهم ان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة فاذا كان قصدك بهما التهيؤ للعبادة صار ذلك عبادة -

المطلب السادس

مدح الفقر وذم الغنى

اختلفوا فى ذلك، قال بعضهم الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر وعكس البعض

الا ان المختار عند المحققين الفقير الصابر افضل سيما وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل صعاليك المهاجرين الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام واعلم ان الكلام فى هذا المقام طويل لايمكن حصره فى هذا النزر الحقير فليطلب فى مواضع اخر وانما جعل غرضنا فى هذا الكتاب التجافى عن دار الغرور وذلك فى جانب الفقر اولى قال الشاعر :-

لست بنظار الى جانب الغنى　　اذا كانت العلياء فى جانب الفقر

وايضا من راقب احوال الانبياء والاولياء واقوالهم وماورد من آثارهم واخبارهم لم يشك فى ان فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات، والله المستعان وعليه التكلان -

الاصل الثامن

فى ذم الجاه والرئاء وفيه مطالب --

المطلب الاول

فى ان حب الجاه اشد من حب المال

وذلك لأن كلامنها للتوصل الى المطالب الا ان المال لما ان لم يأمن عن الآفات من السرقة والغصب وطمع الظلمة وكان الجاه الذى هو تسخير القلوب وتعظيمها له وطاعتها له مأمونا عن الآفات المذكورة صار الجاه احب عند الناس وايضا لما كان التوصل بالمال اصعب من التوصل بالجاه الى المال صار الجاه احب عنده وايضا ان ملك القلوب يسرى وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة بخلاف المال فان قلت النفوس مجبولة على حب الجاه اذ لايتوصل الى المحبوب الابه كاتساع الجاه وانتشار الصيت قلت هذا الحب له سببان احدها وهو الجلى ان الانسان وان كان مكتفيا فى الحال فانه طويل الامل والمال فى معرض الآفات وفى الجاه امن عن هذا الخوف، وثانيها وهو الخفى الاقوى ان الروح امر ربانى به وصفه الله تعالى وقال (قل الروح من امر ربى) ولذلك كان محبا بطبعه التفرد بالكمال ولما فيه من الامر الربانى صار طبعه على حب صفات الربوبية من الكبر والعز

والجبر

والتجبر والاستعلاء الا انه لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة ومشتهية له ثم ان الكمال الحقيقي للوجود ان يكون وجود غيره منه وان لم يكن كذلك فلا اقل من ان يكون مستوليا عليه لأنه نوع كمال ولما كان الموجود منقسما الى مالايدخل تحت اختيار الانسان كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحتهما والى ما يدخل تحتها كالارض وما عليها من المعادن والنبات والحيوان وقلوب نوع الانسان وكان طبع الانسان الاستيلاء على الكل احب ان يستولى على القسم الاول بالعلم والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم محاط والعالم محيط به فكذلك احب ان يعرف الله والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وعجائب البحار والجبال وغيرها -
واما القسم الثانى - فأحب ان يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجسام كالدراهم والدنانير وما في حكمهما فيحب ان يتصرف فيها كيف يشاء لان محبوب النفس صفات الربوبية وما ذكر من التصرف منها فكذلك احب الدراهم والدنانير ولذلك ايضا احب استرقاق العبيد واستعباد الاحرار ، والقسم الآخر ارواح كنفوس الآدميين وقلوبهم وهي انفس ما على الارض فيحب الاستيلاء عليها تحقيقا لما في طبعه من محبة صفات الربوبية لما فيه من الامر الربانى - ثم اعلم ان الكمال الحقيقي لله تعالى وما عدا هذا الكمال وهمى لا حقيقة له وذلك من وجوه ثلاثة ، احدها من حيث كثرة المعلومات اذلا نهاية لها ، وثانيها من حيث كون معلوماته مكشوفة له تعالى بأتم انواع الكشف على ما هي عليه ، ثالثها من حيث بقاء العلم ابد الآباد مصونا عن التغير والعبد متى كان علمه بمعلومات كثيرة اومنكشفة اوباقية كان اقرب الى الله تعالى ثم المعلومات إما متغيرات وهي التى يمكن انقلابها ، وإما ازلية وهي جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ابدية ازلية ثابتة - ومن هذا القبيل معرفة الله وما يجب له ومايستحيل فى صفاته ويجوز فى افعاله وحكمته فى ملكوت

السماء والارض وترتيب الدنيا والآخرة وهذا القسم هو الكمال الحقيقى يقرب به من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ويكون نورا يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا - وينطوى فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات لانها من افعاله تعالى وهذه الكمالات وان كانت كمالات فى رتبة الانسانية ليست كمالات حقيقية بالنسبة الى علمه تعالى لما عرفت وكذا القدرة فليس فيها كمال حقيقى وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب قدرته وارادته وحركته فهى حادثة باحداث الله تعالى - وكمال العلم يبقى للعبد بعد الموت ويوصله الى الله تعالى واما كمال القدرة فلا - نعم له كمال من جهة قدرته على اسباب العلم كسلامة اطرافه وحواسه لكن فى الحال وبالاضافة الى الجهال وانما الكمال الحقيقى للعبد القرب من الله تعالى ومن الملائكة وهو اما بالعلم وقد ذكرناه او بالحرية وهى الخلاص عن اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة فاذا الكمالات ثلاثة العلم والقدرة والحرية وان كمال القدرة بالمال والجاه ظنى لا اصل له الاقدر ما يصل الى الكمال -

المطلب الثانى

ما يحمد من حب الجاه وما يذم منه

اعلم انه كما يلزم للانسان من ادنى مال يتوسل به الى الآخرة كذلك لابد له من ادنى جاه يتوصل به اليها كخادم يعينه واستاذ يرشده ويعلمه وسلطان يدفع عنه الشر وحبه قدرا من الجاه الذى يتوسل به الى هذه الامور الثلاثة ضرورى لايذم عليه واما الذى يذم ان يجعل القصد الاصلى هذا الجاه ويجعل ما يتوسل بالجاه اليه وسيلة اليه كحب نفس المال وجعل العلم والدين وسيلة اليه وهو حرام واليه يؤول حرمة الرئاء - ثم الجاه فى الامور المذكورة اما باعتقاد هم صفة هى موجودة فيه كقول يوسف عليه السلام (اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم) او باخفاء عيب من عيوبه او معصية من معاصيه وذلك جائز لانه

ليس

ليس بتلبيس بل سد لطريق العلم بما لا فائدة فى العلم به كمن يخفى انه يشرب الخمر ولكن لايظهر أنه ورع لان الاخفاء جائز واما اظهار الورع رئاء - اوبان يدعى صفة ليست هى فيه بان يظهر انه عالم او ورع او علوى وذلك حرام قطعا لانه رئاء محض -

المطلب الثالث

فى اسباب حب المدح والثناء وبغض الذم والنفرة منه وهى اربعة

الاول وهو الاقوى شعور النفس بكمالها فان كان ذلك الكمال جليا ظاهرا كانت اللذة اضعف كطول القامة وبياض اللون وان كان خفيا مشكوكا فيه كانت اللذة اعظم كالعلم والورع سيما اذا صدر الثناء بهذا الكمال ممن هو خبير بذلك لايجازف فى القول كثناء الاستاذ على تلميذه ويعرف من لذة المدح بغض الذم عند الانسان -

الثانى ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح ومسخر تحت مشيئته ولهذا يعظم فى قلبه مدح الملوك والاكابر ويصغر عنده مدح الادانى ولهذا يتألم القلب من ذم الاكابر -

الثالث ان المدح سبب لاصطياد القلوب سيما اذا كان ممن يعتد بشأنه ولهذا يعظم اللذة فى مدح الاكابر فى الجمع الكثير ويعظم التألم من الذم فى الملأ -

الرابع ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه إما عن طوع او عن قهر وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لايعتقد فى الباطن مامدح به ولكن يتلذذ به القلب لما فيه من الاستيلاء والقهر -

ثم ان هذه الاسباب كلا اوبعضا ربما تجتمع فى مدح مادح واحد فلا لذة فوقه واما علاج هذه الاسباب اما الاول فبأن يعلم انه غير صادق فى مدحه فتزول اللذة وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه ثم ان علم ان المادح لا يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثانية وتبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على الاضطرار فان اعتقد أن ذلك عن خوفه وانه يلعب به بطلت اللذات كلها -

المطلب الرابع

فى علاج حب الجاه

اعلم ان من غلب على طبعه حب الجاه وكان مقصور الهم على مراعاة الخلق والمراءاة لأجلهم ولا يزال ملتفتا الى مايعظم جاهه عنده ويجر ذلك الى التساهل فى العبادات ومراعاة القلوب وعلاج الجاه من حيث العلم ان الجاه وان صفا وسلم لك لكن آخره الموت بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة اوستين سنة لايبقى الساجد ولا المسجود له فلاينبغى ان يترك له الدين الذى هو الحياة الابدية ، واما من حيث العمل فبمباشرة فعل يسقط جاهه به عند الناس حتى ان بعضا من الملامتية اقتحموا صور الفواحش كذلك لكنه لايجوز لمن يقتدى به والاسلم ان يسقط فى صورة المباح كالاكل الكثير ان عرف بقلة الاكل وكالدوران فى الاسواق ان عرف بالعزلة الى غير ذلك وهذا وامثاله وان كان ممنوعا فى الفقه لكن ارباب القلوب يعالجون قلوبهم تارة بالمكروهات وتارة بالمحرمات ليسلموا مما هواشد منه لأن بعض الشر أهون من بعض ثم يتداركون ذلك بعلاج آخر ثم ان ههنا موضع غرور وهو أن الانسان ربما يعتزل ويزعم انه يترك الجاه ولكن غرضه تحصيل الجاه بذلك وهو لا يعرفه فعليه ان يمتحن نفسه بذلك اولا فان جزع فليتدارك ذلك بالعلاج ولا يمكن ان لايطلب المنزلة عند الناس ما طمع فى الناس فعليه ان يدفع الطمع اولا بما بيناه فى موضعه ـ

المطلب الخامس

فى وجه العلاج فى حب المدح وبغض الذم

اعلم ان أكثر الخلق هلكوا لرجائهم من الناس المدح وتوقيهم عن ذمهم ـ فلابد من معالجة ذلك المرض ـ ولنقدم اولا اسبابه ثم لنبين علاجه ـ السبب الاول استشعار الكمال بسبب قول المادح وعلاجه ان صفة المدح ان لم تكن فى الممدوح فالفرح

فالفرح بها من غاية الجهل وان كانت فيه فاما ان يكون من قبيل الجاه والاغراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض - قال القائل -

اشد الغم عندی فی سرور ، تيقن عنه صاحبه انتقالا -

وان جاز الفرح بها ، لا ينبغي الفرح بالمدح بهابل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها ايضا لأن الخاتمة غير معلومة - السبب الثانی دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر وذلك راجع الى حب الجاه وقد عرفت علاجه - السبب الثالث الحشمة التى اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا راجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها سيما وآفة المدح على الممدوح عظيمة واما علاج كراهية الذم فقد سبق ان العلة فيها ضد العلة فی حب المدح فعلاجه يفهم منه وحاصله ان من ذم اما ان يكون صادقا وقصده النصح فينبغي ان تتقلد منته واما ان يكون صادقا وقصد الاذى والتعنت فانت قد انتفعت بقوله اذ أرشدك الى عيبك ان كنت جاهلا او ذكرك عيبك ان كنت غافلا وقصده التعنت جناية على دينه ولا عليك من ذلك - واما ان يفترى عليك بما انت برىء منه عند الله فعليك ان تتفكر فی ثلاثة امور - احدها ان خلوت من ذلك فلا تخلو عن امثاله وما يستر الله من عيوبك اكثر - وثانيها ان ذلك كفارة لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بذنب وطهرك عن ذنوب - وثالثها ان المسكين جنى على نفسه ودينه وتعرض لعقاب الله فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله عزوجل فتشمت الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه ومن جملة ما يهون عليه الذمة قطع الطمع فان من استغنى عنه لا يعظم عنده الذم والمدح -

المطلب السادس

في احوال الناس فی المدح والذم وهی اربع

الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام

وهى غاية درجات المعصية - الثانية إن يمتعض ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته وهذا ناقص فى نفسه كامل بالاضافة الى ما قبله - الثالثة وهو اول درجات الكمال ان يستوى عنده ذامه ومادحه الاان ههنا موضع غرور وهو أن بعضهم يظنه من نفسه فعليه ان يمتحن هل يستثقل جلوس الذام عنده اكثر مما يجده فى المادح وهل يجد فى نفسه زيادة هزة ونشاط فى قضاء حوائج المادح فوق ما يجده فى قضاء حوائج الذام وهل يكون موت المادح المطرى له اشد نكاية فى قلبه من موت الذام وهل يكون زلة المادح اخف على قلبه وفى عينه من زلة الذام فمن استويا عنده فى هذه الامور فقد نال تلك الرتبة والا فقد ابعد عنها غاية البعد - الرابعة وهو الصدق فى العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر والذام مهد اليه عيبه ومرشد الى مهمه، ثم ان درجات المدح هو أن من الناس من يتمنى المدحة فيتوصل الى نيلها بكل ممكن حتى يرائى بالعبادات ولايبالى بمقارفة المحظورات وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك لكن يطلبه بالمباحات وهذا على شفا جرف هار إذ يوشك ان يقع فيما لايحل ومنهم من لايريد المدحة ولا يطلبها اصلا ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه وان جاهد ازالته فهو فى خطر المجاهدة فتارة يكون له واخرى عليه ومنهم من لايسر به ولا يغتم وهذا على خير إن قارنه الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذاسمعه لكن لاينتهى به الى الغضب على المادح وينكر عليه لكن بشرط الصدق فى غضبه والاصار نفاقا وهذه افضل الدرجات -

المطلب السابع

فى الرثاء -

اعلم ان الرثاء حرام والمرائى عند الله ممقوت وقد شهد لذلك الآيات والآثار والاخبار واما حقيقته فهى انه الرثاء مشتق من الرؤية والسمعة من السماع وانما الرثاء اصله طلب المنزلة فى قلوب الناس برؤيتهم خصال الخير ويخص بحكم العادة بطلب المنزلة فى القلوب بالعبادات واظهارها وحاصله ارادة العباد بطاعة الله وذلك

خمسة

خمسة اقسام —

الاول الرثاء فى الدين من جهة البدن كاظهار النحول والصفار ليدل بالنحول على قلة الأكل وبالصفار على السهر ودوام الحزن وكشعث الرأس ليدل على استغراق الهم بالدين وخفض الصوت وغؤور العينين وذبول الشفتين ليدل على الصوم —

الثانى الرثاء بالزى والهيئة كشعث الرأس وحلق الشارب وغلظ الثياب وقصر الاكام ليظهر من نفسه اتباع السنة واقتداء بعباد الله الصالحين ثم منهم من يرى لبس الخشن والمرقعات ليظهر الزهد عند الصلحاء ومنهم من يريد الجمع بين قبول الصلحاء وقبول الملوك ولايلبسون الثياب الفاخرة لئلايراهم الصلحاء ولاالخرقة لئلايراهم الملوك بل يلبسون الاكسية الرفيعة من الاصواف والمرقعات المصبوغة وقيمة ثوبهم ثوب الاغنياء —

الثالث الرثاء بالقول كالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاظهار غزارة العلم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات وترقيق الصوت بقراءة القرآن واظهار الحزن والخوف واظهار انه محدث حتى ينكر على من يبدل لفظا بمرادفه وهذا باب لا تنحصر جزئياته —

الرابع — الرثاء بالعمل كطول وتطويل الركوع والسجود واطراق الرأس وكذلك سائر العبادات حتى انه يرائى فى مشيه ايضا من اطراق الرأس والخشوع فى حركته —

والخامس — المراياة بالاصحاب والزائرين والمخالطين كاستزارة العلماء والزهاد والملوك وعمال السلاطين ليقال انهم يعظمونه ويتبركون به لعظم رتبته فى الدين ثم ان من ارباب الرثاء من لا يطلب من الناس المال بل يقنع منهم بحسن الاعتقاد كالرهبان الساكنين فى الجبال فان الجاه امر لذيذ فى نفسه كما عرفت ومنهم من يريد مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد الصيت فى العالم ليكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته ليقوم له به جاه عنده

العامة ومنهم من يتوسل به الى جمع حطام الدنيا ولو من الاوقاف وهؤلاء اشر طبقات المرائين ثم اعلم ان الرئاء منها (١) ماهو مباح كطلب قليل من الجاه ليسلم به من الآفات بشرط ان لا يرتكب المحظور فى تحصيله واما الجاه الكثير الواسع من غير حرص منه على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلاضرر فيه اذلا اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ومنها ما هو مكروه كطلب الجاه بالمباحات اذا احتمل ان يباشر به مباشرة مالا يجوز ومنها ما هو حرام كطلب الجاه بالعبادات وجعلها وسائل الى الدنيا وسيجيء تفصيله آنفا ثم ان الرئاء بالعبادات اما بأن يقصد الرئاء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لأن الاعمال بالنيات بل يعصى بذلك ويأثم بل هذا من كبائر المهلكات وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر ووجه ذلك ان الغرض من الركوع والسجود تعظيم الله تعالى حتى لو فعلهما لغيره تعالى صار مشركا شركا جليا واذا فعلهما لله صورة وأراد بهما تعظيم الخلق لقصده التقرب اليهم كان معظما لغير الله تعالى صورة فيصير شركا خفيا اى شركا لم يطلع عليه احد ولم تجر عليه احكام الكفر وكيف والغرض من العبادة طاعة القلب، والبدن وسيلة اليه وكون عبادة البدن لغير الله تعالى كفرا انما هو لكونه عنوانا ودليلا على حال القلب لاأن حاله بانفراده معتبر فى نفسه فهذا حال الرئاء وهو اصعب المعاصى ولا يخلو قلب عنها الا الاقلين من عباد الله المخلصين ومع كثرته فعلاجه اصعب من علاج سائر المعاصى -

ربنا لا تكلنا الى انفسنا طرفة عين ولا اقل من ذلك انك انت التواب الرحيم والآيات والاخبار فى شأن الرئاء اشهر من ان تذكر -

المطلب الثامن

فى درجات الرئاء وهى اربع

الاولى وهى اغلظها ان لايكون مراده الثواب اصلا فهو الممقوت عند الله عزوجل - الثانية ان يقصد الثواب قصدا ضعيفا بحيث لو كان فى الخلوة لا يفعله فهذا قريب

(١) كذا -

مما قبله وشائبة قصد الثواب لاينفى عنه الاثم والمقت ـ
الثالثة ان يكون قصد الثواب والرئاء متساويين بحيث لوخلا كل منهما عن الآخر لم يبعثه على العمل ولما اجتمعا انبعثت الرغبة فيرجى ان يسلم رأسا برأس لاله ولا عليه وظواهر الاخبار تدل على انه لايسلم ـ
الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولولم يكن لكان لم يترك العبادة ولوكان قصد الرئاء وحده لما اقدم على العمل فالذى يظن والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكن ينقص منه اويعاقب على مقدار قصد الرئاء ويثاب على مقدار قصد الثواب ـ

المطلب التاسع

فى الرئاء باصول العبادات واوصافها وفيه درجات

الاولى وهو اغلظ الرئاء بأصل الايمان نعوذ بالله من ذلك وصاحبه مخلد فى النار والمراد بالمنافقين المذكورين فى القرآن هو هذا ـ .
الثانية باصول العبادات بعد الايمان وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول كمن يترك العبادة كسلا وينشط عند اطلاع الخلق وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن اصل الايمان ـ
الثالثة ان يرائى بالنوافل والسنن بأن يكسل عنها فى الخلوة ويبعثه الرئاء على فعلها خوفا من المذمة اوطلبا للمحمدة وهذا ايضا عظيم لكنه دون ما قبله وهذا هو الرئاء باصول العبادات ـ واما الرئاء باوصافها فعلى ثلاث درجات ايضا ـ
الاولى ان يرائى بفعل ما فى تركه نقصان العبادة كالذى غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولايطول القراءة فاذا رآه الناس احسن هذا فهذا ايضا محظور لأن فيه ايضا تقديم الخلق على الخالق ـ
الثانية ان يرائى بما لا نقصان ان تركه بل فعله للتكلة والتتمة كمد القيام وتحسين الهيئة فى رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى ـ الثالثة ان يرائى بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضور الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول

وتوجهه الى يمين الامام ونحو ذلك وهذا دون ما قبله الا انه مذموم ايضا ـ

المطلب العاشر

في المرايا لاجله وله ايضا درجات ثلاث

الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده بالتقوى والورع والامتناع عن الشهوات التمكن من المعصية كالقضاء وتولية الاوقاف ومنهم من يظهر زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة وقصده التحبب الى امرأة او غلام وهؤلاء ابغض المرائين الى الله عزوجل اذ جعلوا طاعة ربهم سلما الى فسقهم وشهواتهم ـ

الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال مباح اونكاح امرأة جميلة اوشريفة اوبنت عالم اوعابد فهذا محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه ـ

الثالثة ان يظهر عبادته خيفة ان لايعد من الخاصة والزهاد كمن يظهر الصوم واذا غلب عليه العطش يقول افطرت تطييبا لقلب فلان او يقول ان امي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن انى لوصمت يوما مرضت فلاتدعني ان اصوم واما المخلص فلايبالي كيف نظر الخلق اليه ـ

المطلب الحادي عشر

في بيان الرياء الذي هو اخفى من دبيب النمل

واعلم ان الرياء اما جلي كما عرفت واما خفي وهو لايؤثر في العمل ولافي التسهيل والتخفيف ولكنه يسر باطلاع الناس عليه ويرتاح له ويروح عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي في القلب مستكن استكنان النار في الحجر فان لم يقابل ذلك السرور بكراهية يصير ذلك قوة وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك حركة خفية حتى يتكلف ان يطلع عليه الناس بالتعريض دون التصريح وقديخفى فلايدعو الى التعريض بل الى الاظهار بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال

على

على طول التهجد - واخفى من ذلك ان لا يريد اطلاع احد عليه ولا يسر بذلك لكن يحب ان يبدأ بالسلام والبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وينشطوا القضاء حوائجه وأن يوسعوا له فى المكان كأنه نفسه يتقاضى منه الاحترام على الطاعة التى اخفاها حتى لو لم تسبق منه طاعة لما استبعد نفسه تقصير الناس فى حقه فلم يزل المخلصون على خطر عظيم من الرئاء الخفى حتى كان بعضهم يحرص على اخفاء اعماله الصالحة اخفاء الناس فواحشهم خوفا من الرئاء الخفى اذ لا يجازى الله تعالى بالاعمال الا اذا خلص له تعالى - واعلم ان السرور الحاصل من ظهور العبادة ربما يكون محمودا وهو أربعة -

الاول ان يعرف ان الله تعالى اظهر طاعاته واخفى معاصيه وهذا لطف عظيم من الله عزوجل على عباده فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس -

الثانى ان يستدل باظهار الله الجميل وبستره القبيح عليه فى الدنيا انه يفعل كذلك فى الآخرة -

الثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به فى الطاعة فيتضاعف بذلك اجره اجر العلانية بما ظهر آخرا واجر السر بما قصده اولا -

الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله فى مدحهم ومحبتهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة اخلاصه فى هذا النوع ان يكون فرحه بمدحهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه -

المطلب الثانى عشر

بيان ما يحبط العمل من الرئاء الخفى او الجلى وما لا يحبط

واعلم ان العمل اما ان ينعقد على الاخلاص ثم ورد وارد الرئاء او ينعقد على الرئاء ، والاول اما ان يرد الرئاء بعد الفراغ او قبله والاول سرور مجرد بالظهور دون الاظهار فهذا لا يحبط الاعمال اذا لعمل قد تم على نعت الاخلاص فما يطرأ بعده نرجو أن لا ينعطف عليه اثره لاسيما اذا لم يتكلف اظهاره ولم يتمن ذلك - نعم لو ظهرت له رغبة فى الاظهار بعد تمام العمل على الاخلاص فهذا مخوف ، وفى

الاخبار والآثار مايدل على انه محبط لكن القياس ان يثاب على عمله ويعاقب على مراياته بعد ذلك واما اذا ورد الرئاء قبل الفراغ فاما ان يكون مسرورا لايؤثر فى العمل اويكون باعثا على العمل والاول لايفسد العمل اذا لم ينعدم اصل نيته والثانى يحبط عمله ان ختم العبادة به، والقسم الثانى وهوما ينعقد العمل على الرئاء فان تم عليه فلاخلاف انه يعصى وان ندم عليه فى اثناء صلاته واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه احدها ان صلاته لم تنعقد فليستأنف وثانيها ان التحريمة عقد والرئاء خاطر فى القلب لايفسد العقد فليستأنف الركوع والسجود وسائر الافعال، وثالثها لايلزمه الاعادة اصلا بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والختم على الاخلاص كالابتداء عليه، واعلم ان مذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس الفقه وانما القياس ان يقال ان كان الباعث فى ابتداء العقد مجرد الرئاء لم ينعقد افتتاحه ولم يصح مابعده اذ النية اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة، واما اذا كان باعث الدين ثم تجدد له الرغبة لأجل الناس فها هنا باعثان فهذا اما ان يكون فى صدقة اوقراءة وماليس فيه تحريم وتحليل يثاب بباعث الدين ويعاقب بقصده الفاسد ولا يحبط احدهما الآخر، وان كان فى صلاة اوحج يقبل الفساد بتطرق وخلل الى النية فان كان نفلا فحكمه حكم الصدقة واما ان كان فرضا وانبعث بمجموع الباعثين فهذا لا يسقط عنه الواجب لأن الايجاب لم ينتهض بمجرده باعثا ويحتمل انه صلى لوجه الله تعالى وقد اقترن غيره به فلما وجد الاول سقط عنه الفرض واقتران غيره به لايمنعه كالصلاة فى الارض المغصوبة، واما ان كان الرئاء فى المبادرة دون اصل الفرض بانه ان خلا كان يصلى ولكن فى آخر الوقت اووسطه فهذا مما يقطع بصحة صلاته لان اصل الصلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت هذا كله فى رئاء يكون باعثا على العمل، فاما مجرد السرور بظهور العمل فبعيد بان يفسد الصلاة والمسألة غامضة اذ الفقهاء لم يتعرضوا لها اصلا والذين تعرضوا لها حكموا ببطلان الصلاة بادنى خاطر ولعل القصد ما ذكر.

المطلب الثالث عشر

في بيان دواء الرثاء لأنه من كبائر المهلكات وانه قد انغرس في قلبه وهو في الصبا لأنه يرى في الناس التصنع فيغلب عليه حب ذلك وفي علاجه طريقان -

الاول قلع عروقه واستئصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه واصله ثلاثة حب لذة المحمدة والفرار من ألم المذمة والطمع فيما في ايدى الناس واصلاح كل هذه قد مر ولكنا نذكر الآن مايخص الرثاء وهو أن رغبة العاقل في شيء لظنه انه خير له ونافع ولذيذ حالا ومآلا فان علم انه لذيذ حالا وضار مآلا سهل عليه قطع الرغبة عنه كما اذا علم ان في العسل سما ولايخفى ان في الرثاء آفة عظيمة مآلا لأنه يحرم في الدنيا من التوفيق وفي الاخرى من المنزلة عندالله بل يستحق البغض والمقت عندالله ولو لم يكن فيه الا احباط طاعة واحدة كان كافيا في معرفة ضرره عند العاقل مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب رضا الناس مع انه غاية لاتدرك اذ كل مايرضى به فريق يسخط به فريق مع ان الله تعالى مسخر لقلوبهم بالمنع والاعطاء اذ لا رازق الا الله على ان في الطمع ذلا لا يتناهى لايفى حاصله بذله على انه اى خير لك في مدحهم وانت عند الله مذموم واى شر لك في ذمهم وانت عند الله محمود هذه هي الادوية العلمية واما الادوية العملية فهو أن يعود نفسه اخفاء العباذات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به - ثم ان الرثاء اذا عرض في اثناء العبادة فطريق دفعه مجموع ثلاثة امور - المعرفة والكراهة والإباء مثلا يجب ان تعرف ان الله تعالى اذا كان عالما بحالك فاى فائدة في علم غيره فتثمر هذه المعرفة اذا رسخت في قلبه كراهة الرثاء بسبب تفكره في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم فتنازع هذه الكراهة الشهوة الكامنة في القلب من حب المدح وبغض الذم ثم تثمر هذه الكراهة إذا رسخت في القلب الاباء عن الرثاء - وأصل ذلك كله حب الدنيا وهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب -

فان نازع طبعه بعد تحقق الكراهة والاباء في قلبه الى حب الرثاء ومال طبعه اليه

فذلك لا يكون من المرائين لان الطبع لا يدخل تحت الاختيار ولم يكلف الله عبدا الاماني وسعه وهذا كله حال المتوسطين - واما المخلصون عن الرئاء فلهم فى دفع خواطر الرئاء اربعة طرق - احدها ان يطيل الجدال مع الشيطان وذلك فى الحقيقة نقصان لأنه اشتغال عن مناجاة الله تعالى وعن الخير الذى هو فيه وانصراف الى قتال قطاع الطريق وهذا نقصان فى السلوك - وثانيها ان يقتصر على تكذيبه ودفعه وهذا وقفة فى الطريق - ثالثها ان يقرر فى قلبه كراهة الرئاء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه - ورابعها ان يعزم انه مهما نزع الشيطان الى اسباب الرئاء زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله تعالى واخفائه الصدقة والعبادة وذلك هو الذى يغيظ الشيطان - ثم اعلم ان ارباب القلوب اختلفوا فى طريق دفع مكايد الشيطان فلا حاجة بهم الى الحذر ومنهم من قال وهم اهل الشام ان التصرف بالنفع والضر انما هو لله تعالى لا شريك له فى تدبيره وان الشيطان ليس اليه امر فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر - ومنهم من قال من اهل العلم لابد من الحذر من الشيطان وقد امرنا الله تعالى به ولا يسلم احد من الشيطان وما ذكره البصريون من استغنائهم عن الحذر فهو غرور اذ الانبياء لم تسلم من نزعات الشيطان فكيف غيرهم - قال تعالى (ما ارسلنا من رسول ولانبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته) ثم المشتغلون بالحذر فرقتان فرقة يقولون لا اهم علينا منه فلا نشتغل الابه وفرقة يقولون اشتغال الهم كله بالحذر منه هو مراد الشيطان ليصدنا بذلك عن ذكر الله بل لا بد من الجمع بين الامرين وقال المحققون كلا الفريقين غلطا ما الاولى فلأنه نسى ذكر الله تعالى وانما امرنا بالحذر لئلا يصدنا عن ذكر الله ثم يؤدى ذلك الى خلو القلب عن النور ومن خلا عن النور لا يمكنه الحذر عن الشيطان اصلا ، واما الفرقة الثانية فقد جمع بين ذكر الله وذكر الشيطان وبقدر مايشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله تعالى وقد امر الله تعالى الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس اوغيره والتحقيق ان يقرر الانسان اولا عداوة الشيطان ووجوب الحذر منه ثم يشتغل بذكر الله

عزوجل

عز وجل ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان بعد ذلك لأن هذا يستكن في قلبه فيتنبه في اثناء الذكر فيشغل به عن ذكر الله لأن الانسان اذا استكن في قلبه ان يتيقظ في وقت الصبح لاجل مهم له ربما يتنبه اثناء نومه مرات وهو غافل عنه بالنوم ولا يخفى ان ذكر الله يحيى قلبه بنور العلم والعقل ويميت الهوى والشهوات فكفاه ذلك امر الحذر من الشيطان ــ

المطلب الرابع عشر

في الرخصة في اظهار الطاعات

كما ان في الاسرار فائدة الاخلاص كذلك في الاظهار فائدة الاقتداء به وآفة الرثاء والاظهار قسمان احدهما اظهار نفس العمل كالتصدق في الملأ لترغيب الناس في الصدقة وكذا سائر الاعمال كالصلاة والحج لكن بشرط ان لا يكون فيه شوائب الرثاء وبشرط ان لا يؤذى اظهاره الخلق كما هو الاكثر في التصدق ــ ثم الناس اختلفوا بعد اتفاقهم على جواز الاظهار للقدوة وعدم جواز الاظهار بدون قدوة ان السر افضل ام الاظهار للقدوة والحق ان الاظهار ليقتدى به افضل مالم يشبه الرثاء واذا خاف من شوب الرثاء فالاسرار افضل ــ ثم من يظهر العمل له وظيفتان احداهما ان الاظهار بنية انما يصح فيمن يقتدى به الناس كالعلماء دون غيرهم ــ ثانيتها ان يراقب قلبه حتى لا تظهر نية ان يقتدى به انما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذه حال كل من تظهر اعماله الا الاقوياء المخلصين وقليل ماهم والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان تعرض (على) نفسك ان تخفى العمل حتى يقتدى الناس بعابد آخر من اقرانك ويكون لك في ذلك مثل اجر الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون المظهر نفسه فباعثه الرثاء ــ

وثانيهما الاخبار عن العمل والخطر فيه اشد لأن النطق يخف على اللسان وربما يزيد اظهار الدعوى لأن لذة النفس فيه عظيمة ــ واما من جهة ان الرثاء الثاني لا يفسد العمل السابق فهو اهون الا ان من قوى قلبه واستوى عنده مدح الناس وقدحهم وصفت النية وسلمت من جميع الآفات يجوز حكاية اعماله لأنه ترغيب

فى الخير والترغيب فى الخير خير - قال بعض العارفين ينبغى ان لايسد باب اظهار الاعمال لأن ذلك سبب لاتباع الناس واقتدائهم بمن يظهرها اذا لم يعرفوا رثاءه ففى ذلك خير كثير للناس وان كان شرا للرائى وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر -

المطلب الخامس عشر

فى الرخصة فى كتمان الذنوب

اعلم ان كتم الذنوب ليس برثاء بل اظهار الورع والتقوى حتى يجوز الاغتمام باطلاع الناس عليه من ثمانية وجوه - الاول ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم وخاف ان يهتك ستره فى القيامة وهذا غم ينشأ من قوة الايمان - الثانى انه قد علم ان الله يكره ظهور المعاصى ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وهذا ايضا من قوة الايمان - الثالث ان يكره ذم الناس له لانه يشغل القلب عن الطاعة كما ان الحمد يكره ايضا لأنه ايضا يشغله عن الله وهذا ايضا من حب الطاعة لله تعالى - الرابع ان يكره ذم الناس لتألم قلبه وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصى اذا جزعت نفسه ودعته الى ما لايجوز حذرا من ذمهم نعم كمال الصدق فى ان يستوى ذامه ومادحه لعلمه ان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا الا ان بعضا من الذم يحب التألم به كما اذا صدر من اهل البصيرة فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله فكيف لانغتم به وانما المذموم الغم بالذم بفوات الورع كأنه يحب ان يحمد بالورع فيرجع الى الرثاء واما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك - الخامس ان يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله به وهذا من الايمان - السادس ان يستر ذلك كى لا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم - السابع مجرد الحياء فانه نوع الم وراء الم الذم وهو خلق كريم يحدث فى اول الصبا مهما اشرق عليه نور العقل فيستحيى من القبائح وهو وصف محمود - وفى الحديث الحياء خير كله - وفيه الحياء شعبة من الايمان

ثم

ثم ان الحياء قد يعقبه الرئاء كمن لايريد اقراض اخيه ولكن يستحيي من رده. فحينئذ ان اعطاه لينتشر اسمه بالسخاء اولا ينسبوه الى البخل فقد اعقب الحياء الرئاء وان اعطاه للثواب فى الاقراض اولادخال السرور على قلب اخيه فقد اعقبه الاخلاص وان اعطاه لا لأجل المحمدة ولا خوف المذمة ولارجاء للثواب. فقد اعطاه لمجرد الحياء ويعلم بانه اوطلبه بالمراسلة لمنعه - الثامن ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجرئ عليه غيره ويقتدى به وبهذه العلة ينبغى ان يخفى العاصى معصيته عن اهله وولده لئلايتعلمونه (١) منه واعلم انحبك محبة الناس لك قد يحمد اذا اردت حبهم على حجك وغزوك وصلاتك فانه طلب عوض على طاعة الله عاجلا. وقد يباح اذا اردت ان يحبوك بصفات محمودة سوى الطاعات -

المطلب السادس عشر

ترك الطاعات خوفا من الآفات وهذه اقسام.

الاول الطاعات اللازمة للبدن الذى لايتعلق (١) بالغير ولالذة فى عينها كالصلاة والحج والغزو فخطرات الرئاء فيها ثلاث - احدها الرئاء الباعث على العمل فينبغى ان يترك العمل عند ذلك اويدفع الرئاء، وثانيها ان يعقد العبادة على الاخلاص ثم يعرض الرئاء فينبغى ان يدوم على العمل ويجاهد فى دفع الرئاء ولايترك العمل. ثالثها ان يعقد على الاخلاص فى اولها ويعرض الرئاء فى اثنائها فيدوم على العمل ايضا ولكن يجاهد فى ان يرجع الى الاخلاص وربما قال الشيطان لافائدة لك فى هذا العمل واتركه وهذا غرور منه لأن مالايدرك كله لا يترك كله - وترك العمل لأجل ذلك يجر الى البطالة وما نقل عن السلف من ترك العمل للرئاء فذلك محمول على النوافل اوالعلاج لانفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف -

القسم الثانى - مايتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال، اما الخلافة والامارة فهى من افضل العبادات اذا كانت مع العدل والاخلاص مع ما فيها من عظيم الخطر اذ يغلب فيه على النفس حب الجاه ونفاذ الامر وهواعظم ملاذ الدنيا ولهذا ورد فى الاخبار

---

(١) كذا -

والآثار الترغيب فيها والتنفير عنها فيجب ان لايمنع منها الخواص والا قوياء وهم الذين لا تميلهم الدنيا ولا يستفزهم الطمع ولا يأخذهم فى الله لومة لائم وسقط الخلق من اعينهم ولكن لايدور حولها الضعفاء فيهلكون لأنهم وان صبروا عن(١) الحق كافة انفسهم عن الشهوات فى غير الولاية لكن لا امن لهم من ان يتغير اذا ذاقوا لذة الولاية وان يستحلوا لذة الولاية ونفاذ الامر وأن يكرهوا العزل فيداهنوا خيفة من العزل ، ولهذا تمنع الضعفاء من تقلد الولاية عند الاكثرين ، قال بعضهم يجوز التقلد اذا امن فى الحال عن اتباع الهوى ولا يمنعه عنه الخوف عن امر فى المستقبل ، والصحيح القول الاول وهو عدم التقلد لأن النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلايعتمد عليها ثم ان الامتناع عن قبول الولاية اهون عند النفس من العزل لأنه كما قيل طلاق الرجل والنفس لاتسمح به فيميل الى المداهنة واهمال الحق فهوى به فى قعر جهنم الا ان يعزل قهرا ففيه عذاب عاجل واما القضاء ففيه ثواب عظيم مع اتباع الحق وعقاب اليم مع العدول عنه فهو كالامارة والولاية وفى معناها وان كان فى الحكم دونها فينبغى ان يتركه من يخاف عن العزل ولا يفرح بدونه اذ يلتزم خوفا من العزل اتباع الهوى فهوى مع الظلمة فى الدرك الاسفل من النار واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته ايضا عظيمة مثل آفة الولايات فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلوم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق قلت اما النهى فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم مع ما فى عدم السلطنة والامارة من الفتن والفساد ما لايخفى ومع ذلك النهى لم تتعطل تلك الولايات لكون النفوس مجبولة على حب الرياسة وكذلك حب الرياسة لايترك العلوم تندرس فعلى هذا تعدد الواعظ فى البلد فليس فى النهى الامتناع البعض اذ ترك الكل لذة الرياسة فى حد الامتناع ولو انحصر فى واحد وكان وعظه نافعا للناس فلا نمنعه وان قال لا املك نفسى لأنه لو ترك اهلك الناس بل يقال له اشتغل وجاهد ايضا لو كان غرضه الجاه وفى الاشتغال يهلك هو وحده

(١) كذا ـ

وفى.

وفى الترك يهلك الناس كلهم فنجعله فداء للقوم فيدخل فيمن قال له النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لاخلاق لهم ثم ان الواعظ هو الذى يرغب فى الآخرة ويزهد فى الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته واما ما احدثه الوعاظ من الكلمات المزخرفة والمسجعة المقرونة بالاشعار فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان يجب اخلاء البلاد منهم وبالجملة فضل العلم عظيم الا ان خطره كثير وذلك ليس لنفس العلم بل لاظهاره والتوسل به الى الرئاء فالأحب ان لايترك لآفته بل يحصله و يدفع الآفات بالمجاهدة ، ثم فى الواعظ علامات يعرف بها صدقه واخلاصه ، احدها انه لوظهر عالم هواغزر منه علما والناس اشد له قبولا يفرح به ولم يحسده وان فعل فالغبطة ، وثانيها ان لايتغير كلامه اذا حضروا مجلسه وثالثها ان لايحب اتباع الناس له فى الطريق ومما ينبغى ان يعلم ان العبد ربما يقع بين اظهر قوم يقومون للتهجد فيوافقهم ففيه امران احدهما انه موافقته لهم ان كان بسبب رفع الثقلة بمشاهدة عبادتهم ودفع الاشغال الواقعة فى بيته اولمفارقته النوم لاستنكاره الموضع اولسبب آخر فيغتنم زوال النوم فهذا وامثاله من الاسباب ليس من الرئاء بل هوتجدد النشاط واما اذا فعل ذلك لأجل رؤيتهم وخوفا من مذمتهم لاسيما اذا اعتقد أنهم يظنونه يقوم بالليل فليتركه فانه من الرئاء وربما يكون فعله لباعث الدين مقرونا بحب الحمد فلا يترك ايضا ويمتحن نفسه بانه لولم يروه هل يترك العمل اويستثقله ام لا فان كان الاول فهو من الرئاء والافلا واصل العلاج فى هذا الباب القناعة بعلم الله تعالى فى جميع طاعاته واذا خطر جانب العباد يتذكر عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامها ابد الآباد وعظم غضب الله ومقته الا انه لاينبغى ان ييأس بان يقول لا ينجو من الرئاء الا الاقوياء فيترك المجاهدة فى الاخلاص اذ لايأس عن صفاء الماء بعد كدره من الجهل بحقيقة الماء وخلو جوهره عن المكدرات وصفائها عن الملوثات ومثال النفس مثال الماء واعلم ان الله تعالى كريم رحيم لوشاء لأغنى عباده عن التعب والنصب ولكن اراد أن يبلوهم ايهم احسن عملا ثم انه لايضيع سعى الراجى ولا يخيب امل المحب

وقد قال من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتانى يمشى اتيته هرولة وقال لقد طال شوق الابرار الى لقائى وانا الى لقائهم اشد شوقا فليظهر العبد جده وصدقه واخلاصه فلايجوزه ما هواللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته ـ

الاصل التاسع

في ذم الكبر والعجب وفيه مطالب

المطلب الاول

فى ذم الكبر والاختيال وفضيلة التواضع

واعلم ان الله تعالى ذم الكبر والاختيال ومدح التواضع فى مواضع كثيرة من كتابه بحيث لا يخفى على احد ذلك وكذلك وقع فى الاحاديث مايوافق القرآن اخبار كثيرة لايمكن حصرها مع شيوعها عند الناس واعلم ان الكبر صفة فى النفس ومافى الظاهر من اماراتها وهو أن يرى نفسه فوق الغير فى صفات الكمال فيحصل فى قلبه اعزاز(١) وهزة وفرح وركون الى رؤية نفسه ـ ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم اعوذبك من نفخة الكبر ـ واما العجب فلايشترط فيه رؤية الغير بل لو خلق وحده يحصل العجب ـ واما الكبر فيشترط فيه ذلك واما الآثار الظاهرة منه ويسمى تكبرا ان يحقر(٢) من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته وربما يشتد الكبر فيستنكف عن خدمته ايضا بل عن خدمة عتبته وادنى مراتبه ان يأنف عن مساواته فيأنف ان يرد عليه ان ناظره ثم انه ربما ينظر الى العامة كأنهم الحمير ويستحقرهم الى غير ذلك من الاحوال القبيحة فقلما ان ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن العوام ـ

المطلب الثانى

فى اقسام الكبر باعتبار المتكبر عليه وهى ثلاثة

الاول التكبر على الله كما فعله نمروذ وفرعون وهو من افحش انواع الكبر واقبحها

---

(١) كذا وفى الاحياء ـ اعتداد (٢) كذا ـ

والعياذ

والعياذ بالله - الثانى التكبر على الرسل والانبياء صلوات الله عليهم وسلامه من حيث ترفعه عن الانقياد لبشر وذلك تارة مع الجهل بحقيته حيث يصرف الكبر عن الفكر فيه وتارة يعرف حقيته ولكن لا تطاوعه نفسه بالانقياد - الثالث التكبر على العباد بان يترفع عليهم ويستصغرهم ويزدريهم وهذا وان كان دون الاول لكنه عظيم ايضا من وجهين احدهما ان العز والكبر لا يليق الا بالملك القادر والعبد بمعزل من ذلك ثانيهما انه يدعوا الى مخالفة الله عز وجل لأنه ربما يسمع الحق من عبد فيأنف عن قبوله ويتشمر لجحده كما تشاهده فى المناظرين فى مسائل الدين كما فعله ابليس حيث جره كبره الى مخالفة أمر الله تعالى -

المطلب الثالث

فى اقسام ما به الكبر وهى سبعة

الاول العلم وما اسرع الكبر الى العلماء لأنهم يرون انفسهم كمال العلم وجماله فيستعظمون انفسهم ويستحقرون من عداهم ويتوقعون منهم الخدمة ويستسخرونهم فى حوائجهم بمنزلة عبيدهم هذا لعمر الدنيا، واما فى الآخرة فيرون انفسهم عند الله خيرا منهم فيرجون لانفسهم اكثر مما يرجون لهم ويخافون عليهم اكثر مما يخافون على انفسهم مع ان العلم الحقيقى ان يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وان حجة الله على العلماء اعظم من حجته على الجاهل وذلك يقتضى ان يرى كل احد خيرا منه والكبر فى العالم اما باشتغاله بما ليس هو بعلم كالطب والحساب واللغة والشعر والنحو وطريق فصل الخصومات والمجادلات وهذه صناعات وانما العلم الحقيقى ما يورث الخشية والتواضع، واما بان يشتغل بالعلم لكن هو خبيث الدخلة ردىء النفس سيئ الاخلاق لأنه لم يشتغل اولا بتهذيب نفسه فاذا خاض فى العلم اى علم كان صادف من قلبه منزلا خبيثا فلم تطب ثمرته ولم يظهر فى الخير اثره وانما العلم كالغيث تشربه الاشجار فيزيد المر مرارة والحلو حلاوة وكذا العلم يزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا - وما اعز على بسيط الارض عالم لم يحركه عز العلم ولو عرفنا ذلك باقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسرى الينا سيرته

وسجيته ولكنه هيهات أنى يسمح آخر الزمان بمثلهم - اثنا فى العمل والعبادة بان يروا غيرهم بزيارتهم اولى من انفسهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بحوائجهم وتوقيرهم والتوسيع لهم فى المحافل وذكرهم بالورع والتقوى وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق وكذا فى الدين يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا الا انه هو الهالك تحقيقا - وان منهم من يظن انه اكرم على الله من الانبياء حيث انتقم له من اعدائه اذا اصابهم مكروه ويزعم ان ذلك من كراماته وكثير من اعداء الانبياء امهلهم الله فى الدنيا وربما اسلم فسلم فى الإخرة ايضا ثم الكبر فى العلماء اما ان يستكن فى قلبه ويتواضع ظاهرا ويظهر على افعاله ايضا واشد منها من يظهر فى اقواله بان يدعى بالمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الاعمال والمقامات والتبشر بغلبة فى العلم والعمل - الثالث التكبر بالحسب والنسب وذلك عرق دفين فى النفس قلما ينفك عنه نسيب وان كان عاقلا وصالحا الا انه يطفئ ذلك بنور بصيرته - الرابع التفاخر بالجمال واكثر ما يجرى ذلك بين النساء ويدعو ذلك الى الغيبة وذكر عيوب الناس - الخامس الكبر بالمال وذلك يجرى بين الملوك فى الخزائن والتجار فى بضائعهم وبين الدهاقين فى اراضيهم وبين المتجملين فى لباسهم وخيولهم ومراكبهم وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى وفضل الفقر - السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف - السابع التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان والعشيرة والاقارب والبنين ومن ذلك المكاثرة بالمستفيدين بين العلماء والجنود بين الملوك -

المطلب الرابع

فى اسباب الكبر وهى اربعة

احدها العجب وانه يورث الكبر الباطن وهو يثمر التكبر - ثانيها الحقد لأنه اذا رسخ فى القلب تأنف النفس ان تطاوع ذلك وان تتواضع له فكم من رذل لا تطاوع نفسه ان يتواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه - وثالثها الحسد وهو ايضا يبعثه على ان يعامله باخلاق الكبر وان لم ير نفسه فوقه فى باطنه - ورابعها الرئاء فان كثيرا

من

من الناس يتكبر على آخر ولايستفيد منه العلم لئلا يقول الناس انه افضل منه - واما آثار المتكبر فى الشمائل صفر الوجه والنظر شزرا واطراق الرأس والجلوس متربعا ومتكئا وفى اقواله تغير فى صوته ونغمته وصيغته فى الايراد - وربما يظهر فى مشيه وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته الى غير ذلك وربما يجتمع الكل فى شخص وربما يتكبر شخص فى بعضها ويتواضع فى غير ذلك -

المطلب الخامس

فى طريق معالجة الكبر

وهى اما باستئصاله او دفع العارض منه - اما الاول فاما علمى وهو ان يعرف نفسه وربه اذ عند ذلك يعرف ان له الذل ولربه الكبرياء ويعرف ان بدنه من اى شيء خلق والى اى شيء سيؤول فى القبر وعند الحشر واهواله ثم هو اما الى الجنة واما الى النار - واما عملى وهو التواضع لله ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين ويتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل كما يأكل العبيد - واما الثانى فبدفع الاسباب السبعة المذكورة - اما الكبر بالنسب فيدفعه بانه الاعتزاز بكمال غيره وان النسب الحقيقى نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل فمن اين جاءت الرفعة لولده واصله توطأ بالاقدام وفضله يغسل عنه الابدان - فاما الكبر بالجمال فبأن ينظر الى ما فى باطنه من الاقذار والنجاسات وجرياته اولا من الذكر ثم قراره فى الرحم ثم خروجه من مجرى القذر - واما علاج الكبر بالقوة فبأن ينظر الى ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق من بدنه لصار اعجز من كل عاجز وان دخلت بقة فى انفه او نملة فى اذنه قتلته وان شوكة لو دخلت فى رجله لأعرجته وان الحمار والثور والجمل يفوقك فى هذا فأى فضل لك فيها - واما علاج الكبر بالغنى والمال والاتباع والانصار فعلاجه ان هذه الامور فى معرض الآفات ولو زالت عنك لبقيت وحدك فأى فخر لك فى ذلك واما علاج الكبر بالعلم فمن اصعب الامور وأشدها لأن قدره عظيم عند الله وعند الناس ففيه طريقان احدهما ان يعرف ان حجة الله تعالى على العالم اوكد لأن

عصيانه اخش من عصيان الجاهل وثانيها ان يعلم ان الكبر لا يليق الا بالله عزوجل، وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا — قال تعالى للعالم ان لك عندنا قدرا مالم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندنا — وايضا ان العالم اذا تكبر فهو جاهل فكيف يتكبر بالعلم وهو جاهل فلا بد أن يصغر نفسه حتى يعظم عند الله فاذا انه اذا نظر الى جاهل يقول انه قد عصى الله بجهل وقد عصيته بعلم فهو خير مني وان نظر الى عالم يقول انه يعلم مالا اعلم وان نظر الى كبير يقول هو اكبر مني سنا واطاع الله قبلي وان نظر الى صغير يقول انه عصى الله بعدى وان نظر الى مبتدع اوكافر يقول ما يدريني لعل الله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن — ولكن ينبغي ان لا يؤدى هذا التواضع الى مداهنة الفساق واطفاء نور الغضب لله اذ عليك عند غضبك لله ملاحظة ماسبق من ذنوبك وتميزك عنه بالعلم والعمل انما هو نعمة من الله تعالى وملاحظة ابهام عاقبتك فبملاحظة هذه الامور لا يؤدى الغضب لله الى الكبر فيجتمع عند ذلك مع التواضع فيكون باعث الغضب رضا مولاك لا نفسك بان ترى نفسك ناجيا وذلك هالكا — واما علاج التكبر بالورع والعبادة فطريقه طريق معالجة الكبر بالعلم ولا ينافي ذلك فضل العابد على الفاسق عند الله لأنه وان كان كذلك عند الله لكن لا شعور له بالختم على العبادة والورع فلايتكبر على الفاسق فضلا عن المستور — ثم ان معرفة الكبر من النفس قد يصعب اذ قد يستكن في القلب فلايشعر به صاحبه فله امتحانات — اولها ان يذعن للحق ان ظهر في واحد من اقرانه ويشكر له على تنبيهه للحق والا ففيه الكبر وعلاجه ان يذكر خسة نفسه وان الكبر لا يليق الا بالله عزوجل وأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق ويشكره على الاستعاذة منه ويقول جزاك الله خيرا قد كنت غافلا عنه وان لم يثقل ذلك في الخلوة بل في الملأ ففيه رئاء فليعالجه وان ثقل فيهما معا ففيه الكبر والرئاء جميعا — وثانيها ان يقدم الاقران على نفسه في المحافل فليواظب عليه ان ثقل ذلك عليه حتى يسقط ثقله ويذهب كبره الا ان هاهنا مكيدة

الشيطان

الشيطان وهو أن يقدم اقرانه ويجلس هو فى صف النعال اويجعل بينه وبين اقرانه بعض الارذال وليس هذا تواضعابل هوعين الكبر اذ يوهم بذلك انه ترك مكانه تفضلا فيكون تكبرا فى صورة التواضع بل التواضع حقيقة ان يجلس تحت اقرانه ولا ينحط عنهم الى صف النعال ايضا - وثالثها ان يجيب دعوة الفقير ويمر فى حاجات الرفقاء والاقارب الى السوق فان ثقل ذلك عليه فهو كبر - وعلاجه ما مر من المواظبة على دفعه مع المعارف التى تزيل داء الكبر - ورابعها ان يحمل حاجة نفسه واهله واقاربه ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه فهو كبر إن خلا الطريق ورئاء عند مشاهدة الناس يجب علاج كل منهما بما مر - وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد تفنى البتة والقلوب لاتدرك السعادة الابالسلامة عن الآفات - وخامسها ان يلبس ثيابا بذلة فان نفر عنها فى الملأ فرئاء وفى الخلاء فكبر وقد يجتمعان فاعرف الامراض اولا حتى تمكن مداواتها ثم اعلم التواضع واسطة بين الكبر والمذلة وهما مذمومان وخير الامور اوساطها فمن يتقدم على اقرانه فهو متكبر ومن يتأخر عن اسكاف مثلا واجلسه مجلسه ثم يسوى نعله وعدا الى باب الدار خلفه فهو تذلل وتخسيس بل يكفيه البشر فى الكلام والتعظيم بالقيام والرفق فى السؤال واجابة دعوته وغير ذلك وليحذر عن الطرفين وليطلب الوسط مهما امكن -

المطلب السادس

فى العجب وذمه مثل ذم الكبر وقد كثر ذمه فى الآيات والاحاديث وقد ذكرنا حقيقته والفرق بينه وبين الكبر ولنذكر آفاته وهى كثيرة لأنه يدعو الى الكبر وآفاته قد مرت - ومن آفاتها (١) انه ينسى ذنوبه ويظن انه يستغنى عن تفقدها ويستصغرها ولا يتداركها وربما يظن انها تغفر له وايضا يستعظم عباداته ويمن بها على الله تعالى وينسى نعمة الله تعالى بالتوفيق والتمكين منها ويعمى عن آفاتها ويغتر بنفسه وربه ويأ من مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان ويخرجه العجب الى ان يثنى على نفسه ويحمدها ويزكيها فيستبد برأيه وإن كان خطأ ويستنكف

(١) كذا -

عن سؤال من هو اعلم منه ولا يستمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر غيره بعين الاستجهال ـ وان كان خطأه فى اصول العقائد يهلك ابدا ـ واعلم ان الانسان ان كان خائفا على زوال نعمه من علم ومال فهذا ليس بعجب ـ وان كان خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله سبحانه عليه لا من حيث اضافته لنفسه وهذا ايضا ليس بعجب ـ وان كان غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه من حيث انه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة وبالجملة يكون فرحه من حيث نسبته الى نفسه لا الى الله تعالى فهو عجب لامحالة وان انضاف الى ذلك انه مستحق لهذه الكرامة فى الدنيا لان له على الله تعالى حقا حتى استبعد أن يجرى عليه مكروه وسمى هذا إدلالا بالعمل فكأنه يرى نفسه على الله دالة ـ وايضا ان اعطى غيره شيئا فاستعظمه ومن عليه يكون معجبا ـ وان استخدمه واقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه فلا دلال وراء العجب فلايدل الا وهو معجب ورب معجب لايدل فان توقع اجابة الله دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله وهو من مقدمات الكبر ـ

المطلب السابع

فى علاج العجب والعجب جهل وعلاجه المعرفة مثلا الورع انما يعجب به من حيث انه محله ومجراه اومن حيث انه منه ولقدرته وقوته ـ والعجب بالاول جهل محض اذ لا فخر بما ليس أمره اليه وبالثانى ايضا كذلك فيتأمل فى قدرته وارادته وسائر الاسباب التى بها يتم عمله انه من اين كان له ذلك فإن كان جميع ذلك من نعمة من الله من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلى بها فينبغى ان يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله فكل كمال وعلم وجمال من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضله وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله فان ادعيت ان كل ذلك اعمالى حتى ارجوها ثوابا فاعلم انك وقدرتك وارادتك وحركتك كل ذلك من خلق الله واختراعه فاعملت اذعملت كما قال تعالى (ومارميت اذرميت ولكن الله

رمى)هذا هو الحق الصريح الذى انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين - واما كيفية الثواب فيسجيء فى كتاب الشكر وايضا مفاتيح الاعمال القدرة والارادة والعلم وهذه بيد الله تعالى لامحالة فتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب ليس شيء اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولاتعجب بمن اليه الأمر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه فى ايثاره اياك على الفساق من عباده وسيأتى ما يستبين به انه لافاعل الاهو ولاخالق سواه ومن غفل عن ذلك ربما يقول يارب لم افقرتنى ولنا العاقل لكنه كلام جاهل غافل اذلو جمع بينهما لقال الفقير الجاهل يارب لم جمعته(١) بينهما وحرمتنى عنهمافاذا اقتضت الحكمة ان العلم متى ازداد نقص من المال اللهم الاناد را لايسأل عما يفعل وهم يسألون - ثم ان اقسام العجب اقسام الكبر بعينها وعلاجها علاجها فاعتبر كل ذلك هاهنا والأمر ظاهر لمن له بصيرة تامة والله اعلم بالصواب -

الاصل العاشر

في ذم الغرور وفيه مطالب

المطلب الاول

قد ذم الله تعالى ورسوله الغرور بحيث لاحاجة الى ذكرها واما حقيقته فهو من انواع الجهل وهو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل الى الطبع من شبهة وخدعة من الشيطان ومن اعتقد أنه على خير عاجلا اوآجلا من شبهة اومخيلة فاسدة فهو مغرور فاكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت اصنافهم ودرجاتهم مثل ان يقال الدنيانقد والآخرة نسيئة والنقد خير من النسيئة وان يقال لذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلايترك اليقين بالشك - وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس فى قوله انا خير منه ولا يخفى فساد هذه الاقيسة اذ النقد خير من نسيئة هى مثله واليقين خير من شك هو مثله لا مطلقا - وايضا الآخرة ليست شكا بل هى يقين عند المؤمنين هذا غرور الكفار - واما غرور

---

(١) كذا -

العصاة من المؤمنين فقولهم ان الله كريم نرجو عفوه ويسمون تمنيهم هذا رجاء وانه محمود في الدين وان رحمة الله واسعة للمؤمنين وانا مؤمنون موحدون الا انه قياس مموه اذ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وما ذكروه هو التمني غير الشيطان اسمه الى الرجاء وخدع به الجهال ـ وايضا ربما يتمنون بصلاح الآباء كاغترار العلوية الا ان آباءهم مع غاية الورع والتقوى خائفين فما بالهم يأمنون مع فجورهم وفسقهم فكأنهم اكرم على الله من آبائهم فيغرهم الشيطان ويقولون من احب انسانا احب اولاده مع ان نبينا صلى الله عليه وسلم اذن له في زيارة قبر امه ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر امه لرقته لها ـ والتقوى فرض عين على كل احد فلا يجزى والد فيه عن ولده شيئا وكل ذلك غرور باطل وانما موضع الرجاء من تاب من المعاصي ورجا قبول التوبة ويتذكر أن الله كريم يقبل التوبة عن عباده ومن اقتصر بالفرائض من الاعمال ورجا نعيم الآخرة وما وعد الله به الصالحين فالواجب ملاحظة ان الله غافر الذنب شديد العقاب وانه الغفور والمنتقم ـ وايضا هو المبتلي عباده في الدنيا بانواع المحن والآلام مع انه قادر على ازالتها ـ فاذا كانت سنة الله تعالى على هذا المنوال فكيف يغتر به عباده فالرجاء والخوف قائدان يبعثان على العمل ومالا يبعث على العمل فهو غرور وتمن باطل ـ

المطلب الثاني

في اصناف المغترين

منهم العلماء وهم ستة اصناف الاول من احكم العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واهملوا محافظة الجوارح عن المعاصي والزامها الاعمال الصالحة وظنوا انهم بعلمهم عند الله بمكان وهم مغرورون لان العلم اما علم مكاشفة ويسمونه علم المعرفة وعلم التصفية وهم بمعزل عنها واما علم المعاملة الذي سموه علم الشرائع فذلك لأجل العمل فلو لم يعمل به لم يكن لـه قيمة لا عند الله ولا عند الخواص اذ العلم بالدواء لا يزيل المرض ما لم يستعمله ـ الثاني الذين احكموا العلم والعمل وتركوا المعاصي الا

انهم لم يفتقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة من الكبر والحسد والرئاء وطلب الجاه ونحوها وهؤلاء ايضا مغرورون اذ لاينجو فى الآخرة الا من أتى الله بقلب سليم ، الثالث الذين علموا مذمومية هذه الاخلاق الاانهم لعجبهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام وربما يعتذر من كبره ويقول ان هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم وهؤلاء ايضا مغرورون اذ العجب من اشد الصفات المهلكات وايضا يداخل السلاطين ويقول غرضى نفع المسلمين واذا اخذ من اموالهم يقول مال لا مالك له وانا امام المسلمين وعالمهم ويحل لى الاخذ بقدر الحاجة وفى ذلك غرور ان احدها انه لامالك له وكيف لا انهم يأخذون اموال المسلمين وهم أوورثتهم احياء وخلطها بالحلال لا يجعله حلالا وثانيها قوله انا امام وكيف لا ومن انتهى جرأته فى اخذ الحرام الى هـذه الرتبة فهو دجال الدين وقوام مذهب الشياطين، الرابع الذين اظهروا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات وجاهدوا انفسهم فى التبرى من ذمائم الاخلاق الا انهم مغرورون اذ بقيت فى زوايا القلب خفايا من مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس فتراه يسهر ليله ويتعب نهاره فى التصانيف حرصا على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفى طلب الذكر وانتشار الصيت فى الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الاكناف وهذا المسكين لو تغيرت عليه القلوب فعساه يتشوش عليه قلبه ويختلط اوراده ووظائفه - الخامس الذين اقتصروا على علم الفتاوى فى الحكومات والخصومات وخصصوا علم الفقه بها وضيعوا الاعمال الظاهرة والباطنة ولم يمنعوا ألسنتهم عن الغيبة وبطونهم عن الحرام ورجليهم عن المشى الى السلاطين ولم يزكوا قلوبهم عن الكبر والرئاء والحسد وامثال ذلك فهؤلاء مغرورون اما من حيث العمل فانه اشتغل بفرض الكفاية ان صحت نيته قبل الفراغ من فرض العين لانه اشتغل بالفتاوى وهى فرض كفاية وترك فرض العين وهو اصلاح نفسه واما من حيث العلم فانه ظن علم الفتاوى علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله وربما طعن على المحدثين

بأنهم نقلة اخبار وحملة اسفا رلا يفقهون - السادس الذين اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة فى الاهواء واعتقدوا ان العمل لايصح الا بالايمان والايمان لايصح الا بمناظراتهم ومجادلاتهم ثم انهم اما ضالة وهم الذين يدعون الى غير السنة واما محقة وهم اهل السنة والجماعة وكلهم مغرورون اما الاولى فلضلالهم ورؤيتهم الشبهة دليلا واما الثانية فلظنهم الجدال من افضل القربات فى الدين واما من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير فليس بمؤمن ولا بكامل الايمان ولا بمقرب عند الله الا انهم لالتذاذهم بالغلبة والافحام والانتماء الى الذب عن الدين عميت بصيرتهم فلم يلتفتوا الى القرن الاول حيث ارشدوا الضال وهجروا المصرين على الضلال ورأوا من الدين ترك الجدال ثم الاكياس قالوا انا نهينا عن الجدال ولم ننته عنه فلا ينفعنا يوم القيامة مع ان المبتدع لايترك بدعته بالجدال بل يزيده التعصب والخصومة فالاولى بنا ان نتفقد انفسنا ونتنزه عما يبغضه الله من الصفات ونتمسك بما يحبه - ومنهم الوعاظ واعلاهم رتبة من يتكلم فى اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والاخلاص والصدق ونظائر ذلك وهم مغرورون بان من تكلم بهذه الصفات يصير موصوفا بها وانهم ما تبحروا فى علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدر واعلى تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون والمسكين يرى انه خائف من الله وهو آمن ويرى انه من الراجين وهو من المغترين ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين وهم يحسنون بأنفسهم الظنون فاذا كشف عنهم الغطاء يفتضحون بل تندلق اقتابهم فى النار فيدوربها احدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر، وانما سبب غرورهم مصادفتهم فى قلوبهم شيئا ضعيفا من اصول هذه المعانى من حب الله والخوف منه والرضا بفعله فظنوا انهم اتصفوا بها فهيهات هيهات ولا يخلوعن القدر احد من المؤمنين الصالحين وانما الكمال امر آخر يعرفه اهله ، وصنف منهم عدلوا عن المنهاج الواجب الى الشطح والطامات وتلفيق كلمات مخالفة للشرع للاغراب ، وصنف آخر منهم شغفوا بتسجيع الالفاظ وذكر الفراق والوصال ليكثر فى مجلسهم التواجد والزعقات

فهؤلاء

فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل فيزيد كلا مهم جرأة على المعاصي ورغبة فى الدنيا لاسيما اذاتزين بالثياب والخيول ، وصنف منهم حفظوا كلام الزهاد فى ذم الدنيا ويؤدونها فى المساجد والمنابر ويظنون انهم قد افلحوا بهذا وصاروا آمنين من عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ، وصنف منهم استغرقوا اوقاتهم فى علم الحديث وطلب الاسانيد الغريبة العالية ولهم غرور من وجوه احدها انهم حملة الاسفار يظنون انذلك يكفيهم ، وثانيها اذا لم يفهموها لم يعملوا بها ، وثالثها انهم يتركون ما هوفرض عين وهو معالجة القلب ، ورابعها انهم لا يراعون شروط السماع ايضا وهى السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر والبيان وهم يقتصرون على السماع ويقصرون فى السماع ايضا اذربما يحضر الصبى والشيخ والصبى يلعب والشيخ ينام والبالغ الحاضر ربما يغفل ولا يصغى ثم يكتب الشيخ اسم الكل فى الاجازة ويتصدى كل منهم لرواية كل ما قاله الشيخ ولم يسمع بعضه الا ان للمحدثين فى ذلك جاها فخاف المساكين ان اشترطوا ذلك ان يقل جمعهم ــ

ومنهم المشتغلون باللغة وغريبها والشعر والنحو واغتروا به وزعموا انهم علماء الامة اذقوام الكتاب والسنة بما ذكرنا فنى (هؤلاء) اعمارهم فى دقائق النحو وغرائب اللغة وفى حكمهم من ضيع العمر فى تصحيح مخارج الحروف فى القرآن واقتصر عليه لأنهم اتخذوا القشر مقصودا فاغتروا به ــ

ومنهم المغرورون بوضع الحيل فى الاحكام الشرعية فى دفع الحقوق وتأويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطأوا فيها وهذا غرور لايجدى فى الآخرة يوم الفصل والقضاء ــ

ومنهم من اهملوا الفرائض واشتغلوا بالنوافل وربما تعمقوا فى الفضائل حتى غلبت عليهم الوسوسة فى الطهارة وفى نية الصلاة ويظنون انهم على خير عندربهم وربما يغلب عليه الوسوسة فى اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها كالفرق بين الضاد والظاء والاحتياط فى التشديدات حتى لايفكر فى الصلاة

الافيما ذكر ، وربما يوسوس احدهم فى ختم القرآن فى اليوم والليلة مرة فألسنتهم تجرى وقلوبهم فى اودية الامانى وهومغرور به اذ يظن ان المقصود من التلاوة الهمهمة بالقرآن مع الغفلة عن الانزجار بزواجره والاتعاظ بمواعظه والاعتبار بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك وربما يكون له صوت طيب ويلتذبه وهويظن بغروره انه يلتذ بمنا جاة الله تعالى وسماع كلامه -

ومنهم المغترون بصوم الدهر اوصوم الايام الشريفةوربما يصلى فى اليوم والليلة مائة ركعة اوالف ركعة ويفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل ونحوذلك مع ان ألسنتهم فى الغيبة وخواطرهم فى الرئاء وافطارهم من الحرام وذلك غاية الغرور ومكيدة الشيطان -

ومنهم المغترون بالحج مع مال حرام ومع الرفث والخصام وترك الصلاة والصيام ومع عدم دفع المظالم واسترضاء الوالدين وامثال ذلك ، وربما يغترون بمجاورة مكة مع تلوث ظاهرهم وباطنهم بالقبائح وقلبه معلق ببلاده ولكنه يختارة ليقال انه قد جاور بمكة سنين كثيرة -

ومنهم المغترون بالحسبة من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يأمر الناس بالبر وينسى نفسه ويطلب الرياسة ويغلظ فى القول وينكر من خالفه للرياسة والعز ، وربما يغتربعضهم بأن يقال له مؤذن المسجد الفلانى اوامام الجامع الفلانى -

ومنهم من زهد فى المال ويسكن فى المساجد ليظن انه ادرك رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب فى الرياسة والجاه اما بالعلم اوبالوعظ او بمجرد الزهد وترك المال وهو اهون واخذ اطم الامرين اعنى الجاه حتى انه ربما يتطاول على الاغنياء وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله وربما لايقبل المال خوفا من ان يقال بطل زهده وكل ذلك غرور وخدعة من الشيطان -

ومنهم متصوفة اهل الزمان اغتروا بالزى والهيئة والمنطق من الالفاظ والاصطلاحات وفى احوالهم من الطهارة والصلاة والرقص والسماع وادخال الرأس فى الجيب وخفض الصوت وتنفس الصعداء الى غير ذلك ولم يتعبوا انفسهم

فى

في المجاهدة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية بل تراهم يتكالبون على الحرام والشبهات ويتحاسدون على النقير والقطمير. وغرور هؤلاء اظهر من ان يخفى - وبعض منهم من يغير الزى لا الى الخشن ولا إلى الخز والابريسم بل الى المرقعات النفيسة والسجادات المصبوغة ولباس هو ارفع قيمة من الخز والابريسم وهؤلاء اشد شرا من الاولين إذ يظهرون ان التصوف يجتمع مع شهوات النفس وربما يقتدى بهم العوام فيتعدى شرهم اليهم. ومنهم من يدعى علم المعرفة ومشاهدة الحق والوصول الى القرب والملازمة في عين الشهود ولا يدرى هذه الامور الابالاسامى وهو ينظر الى العباد بعين الازراء ويقول للعباد انهم اجراء متعوبون وللعلماء انهم بالعلم لمحجوبون حتى ان منهم من وقع فى الاباحة وطوى بساط الشرع ويقولون اعمال الجوارح وسيلة الى محبة الله تعالى ونحن والهون فى حبه عاكفون فى حضرة الربوبية فلاحاجة بنا اليها وهؤلاء مغرورون حرموا الاغتنام بخدمة شيخ صالح عالم فوقعوا فى حزب الشيطان وامثال هؤلاء كثيرة - ثم ان بعضا من هؤلاء تجاوز واحدهم واحسنوا الاعمال وطلبوا الحلال واشتغلوا بتفقد القلب وصارت تدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها - وان منهم من يخيل فى الله خيالات هى بدعة او كفر فيدعى حب الله قبل معرفته -

ومنهم من يخوض فى البرارى من غير زاد لتصحيح التوكل وذلك بدعة اذ السلف كانوا يأخذون الزاد ويتوكلون - وبعض هؤلاء ضيقوا على انفسهم فى أمر القوت واهملوا تفقد القلب والجوارح - وفرقة اخرى ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا الخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكفلوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال حتى من السلاطين - واخرى منهم اشتغلوا بتهذيب الاخلاق والفحص عن عيوب النفس وآفاتها ويقولون هذه عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشتغلون بكلمات

مسلسلة تضييع الاوقات فى تلفيقها - ومثاله من فاته الحج لاشتغاله بعوائقه وآفاته وفرقة تجاوزوا عن حد هؤلاء انفتح لهم باب المعرفة فتعجبوا منها وفرحوا بها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فى كيفية انفتاح بابها عليهم فيحرم بذلك عن المقصد - وفرقة اخرى جاوزوا حد هؤلاء حتى قاربوا او وصلوا الى حد القربة فظنوا انهم وصلوا الى الله عز وجل فوقفوا وغلطوا - فان لله سبعين حجابا من نور لا يصل السالك الى واحد منها الا ويظن انه وصل الى المقصد وهذا غرور عظيم -

ومنهم المغترون من ارباب الاموال كأن بعضا منهم يبنون المساجد والرباطات ليتخلد ذكرهم الا ان لهم غرورين احدهما بناؤهم من المال الحرام او الشبهات وثانيهما انهم يظنون الاخلاص وليس كذلك اذ لا يرضى باتفاق دينار اذا لم يذكر اسمه وربما ينفق الحلال لكن يطلب الثناء والرئاء ولذلك يصرف الى المساجد لأن بانيها مذكور عند الناس - وايضا يزخرفها ويزينها بالنقوش الشاغلة لقلوب المصلين وهو مع ذلك يغتربه ويرى انه من الخيرات ويرى المنكر معروفا - وان بعضا منهم ينفقون الاموال على الفقير لكن فى المحافل ليذكر وليشكر به الناس(١) وبعض من الاغنياء يمسكون الاموال عن مصارفها ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التى لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن ولو قلعوا صفة البخل عنهم وهم اليه احوج لكان خيرا لهم - ومن قبائحهم الحيل فى الزكاة والتوسل بها الى الاغراض الفاسدة -

ومنهم غرور العوام من الاغنياء والفقراء بحضورهم مجالس الذكر وانه يغنيهم ويكفيهم من غير عمل واتعاظ، مريض يحضر مجالس الاطباء ولا يتداوى وهذا ايضا من الغرور -

المطلب الثالث

اعلم ان مداخل الغرور اذا عرفتها فلعلك تستحيل الخلاص عنها وتحكم باستحالته لكن لا يخفى عليك ان الانسان اذا فترت همته فى شيء اظهر اليأس منه واستعظم الامر

(١) كذا -

الامر واستوعر الطريق واما اذا صح منه الجد وقوى العزم اهتدى بالحيل الى مطلوبه حتى انه يقتنص الوحوش المنطلقة فى البرارى ويستخرج الحيتان من البحار والذهب والفضة من تحت الجبال ويستسخر الفيلة ويعبث بالافاعى ويستخرج منها الترياق ويعرف مقادير الكواكب وعرضها وطولها وهو على الارض الى غير ذلك فلا يصعب عليه اصلاح قلبه ان كان همه هذا الهم فقط - واذا عرفت هذا فاعلم ان اسباب الخلاص من الغرور ثلاثة - احدها العقل وهو الفطرة الغريزية وصفاؤه وهذا نعمة من الله تعالى فى اصل الفطرة فان فاتت بيلادة وحماقة فلا تداركها والعقل اصل كل خير ولا يربى بدونه الخير اصلا شهدت بذلك الاخبار والآثار، الثانى المعرفة اعنى معرفة اربعة امور يعرف نفسه بالعبودية والذل واجنبيا عن هذه الشهوات وانما يوافق طبعه معرفة الله والنظر الى وجهه الكريم ويعرف ربه ولا يمكن ذلك الا بمعرفة نفسه ولقد اسلفنا ما يبعثك الى هذه ويعرف الدنيا والآخرة بما مر فى كتاب ذم الدنيا وفى كتاب ذكر الموت ثم ان العبد بعد ما وقع(١) عن نفسه شوائب الغرور وبان يهذب اخلاقه وراقب القلب حتى صفا عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وضوت الدنيا فى عينه ولم يبق الاهم واحد وهو الله تعالى ربما يخاف عليه ان يأتيه الشيطان من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة الى خلق الله فيراهم فى دينهم سكارى وفى امورهم حيارى صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون فقدوا مع ذلك الطبيب واشرفوا على العطب انبعث من ذاته الاشتغال بنصحهم ثم يدعوه الى الزيانة دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك دأبه حتى دعاه الى التصنع والتزين بتحسين الالفاظ والنغمات والتصنع فى الزى والهيئة حتى اقبل الناس يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه مثل الملوك بل ازيد اذا رأوا شافيا لدائهم من غير طمع فصار احب اليهم من آبائهم وامهاتهم وهادوا(١) له خولا كالخدم والعبيد وحكموه على السلاطين فعند ذلك ارتاحت نفسه وذاقت لذة يالها من لذة حتى يغضب على من يرد عليه خطأه ثم يخيل اليه الشيطان ان ذلك غضب لله تعالى

---

(١) كذا -

وربما يقع فى الوقيعة فيمن رد عليه وهكذا يسوقه الشيطان ويوقعه فيما هرب عنه قليلا قليلا وهو لا يشعر ، واما علامة صدقه فى النصح للناس ان يود أن يوجد اخذ يهتدون به ولا يطمع فى ثنائهم واموالهم واستوى عنده مدحهم وذمهم اذ لا ينفعه مدحهم اذا لم يحمد الله ولا يضره ذمهم اذا اقترن به حمد الله وينظر الى الناس كما ينظر الى السادات من حيث يرى كلهم خيرا من نفسه وكما ينظر الى البهائم من حيث قطع طمعه عن طلب المنزلة فى قلوبهم فان قلت من بلغ هذه الرتبة فى الخلق اعز من الكبريت الاحمر فاذا منع الناس عن الوعظ لانسد باب النصح قلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذم باب الدنيا ولم يمتنع الناس عنها لشدة الدنيا فى قلوبهم محبة وميلا وكذا رياسة الوعظ ليست امرا يتركها الناس بهذا القدر من التقبيح فان الله عز وجل يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم ، فان قلت اذا فعل ما ذكرت من الامور وترك النصح او فعله وراعى طريق الصدق والاخلاص يبقى بين يديه اخطار الاغترار ؟ قلت نعم قول الشيطان قد اعجزتني وافلت مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدوت على جملة من الاولياء والكبراء ، وما اعظم عند الله محلك اذ قواك على قهري فعند ذلك يعجب بنفسه من فرارد من الغرور كله والعجب اعظم من كل ذنب ، فان قلت فاذا خلص من العجب المذكور فأى شئ يخاف عليه ؟ قلت يخاف عليه من الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة فى المستقبل ويأمن من مكر الله والامن من مكره تعالى خسران عظيم بل اللائق ان يرى التكل من فضل الله ولا يأمن من مكر الله ولا يغفل عن خطر الخاتمة وهذا خطر (لا) محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط فنسأل الله حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها والسلام —

الشعبة الرابعة

فى ربع المنجيات وفيها عشرة اصول ايضا

الاصل

الاصل الاول

في التوبة وفيه مطالب

المطلب الاول

في التوبة ووجوبها

اعلم ان التوبة مجموع امور ثلاثة احدها معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب، وثانيها الحال وذلك معرفة فوات المحبوب يورث الما للقلب والالم على الماضي يسمى ندما ثم ينبعث منه حالة أخرى تسمى ارادة وقصدا، وثالثها الفعل وذلك لأن الندم المثمر للارادة على الفعل اما في الحال فبترك الذنب او بالاستقبال فبالعزم على الترك او بالماضي فبتلافي ما فات، ثم هذه الامور الثلاثة اعني المعرفة والندم والعزم تسمى توبة ثم ما ذكر في حد التوبة اكثرها قاصر عن الاشارة الى هذه الامور فالحد الجامع ما يجمع هذه الامور ثم فضيلة التوبة لا تخفى على احد وما ذكر في فضلها من الاخبار والآثار اكثر من ان يحصى واشهر من ان يخفى - واما كيفية وجوبها فهي انه لا مبعد عن الله الا اتباع الشهوات ولا مقرب اليه تعالى الا الانقطاع عن الذنوب ولا يمكن الانقطاع عنه(١) الا بالمعرفة والندم والعزم المعبر عن مجموعها بالتوبة فان قلت مرجع التوبة الى الالم وهو لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب قلت سبب الالم الحاصل من الندم وهو المعرفة التي لها اسباب اختيارية فان قلت أليس للعبد اختيار في الفعل والترك قلت نعم للعبد اختيار مع ان الكل مخلوق له تعالى وذلك لان الله تعالى لا يخلق حركة اليد بكتابة ما لم يخلق فيها صفة القدرة والحيلة والارادة والارادة المجزومة متفرعة على الداعية وهي على العلم وله ايضا اسباب اخر مترتبة وكل هذا من اختراع الله تعالى ولكن بعض هذه الشرط (١) للبعض والعبد يجري تحت هذه الحوادث المترتبة في قضاء الله الذي

---

(١) كذا -

هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لايتغير انما ظهورها على التفصيل مقدرة بقدرفاذا ظهرت من باطن الملكوت الامور المذكورة على جسم عبد مسخر تحت قهر التدبير سبق اهل عالم الملك والشهادة الى ان العبد قد تحرك فحينئذ ينادى من وراء سرادقات الملكوت ايها العبد(ما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وعند هذا تحير عقولهم فمن واحد قال بالجبر ومن آخر قال بالاختراع ومن متوسط بينهما مائل الى الكسب الا انهم لو نظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد من الطرائق المذكورة صادق فى مذهبه الا انه لم يحط علمه بجوانبه الا ان القاصرين يفهمون من هذا الكلام صدق الاقوال المتضادة ويقولون انه باطل جزما الا ان تحقيق هذا المقام يناطح علوم المكاشفة ويحرك امواجها ولسنا نتكلم فيها ههنا ـ

المطلب الثانى

فى وجوب التوبة على الفور

واعلم ان الايمان اما بعلوم المكاشفة كمعرفة الله تعالى وصفاته وكتبه ورسله اوبعلوم المعاملة كمعرفة الطاعات والمعاصى فمن فقد هذا الايمان ربما ينفى عنه اسم الايمان كقوله صلى الله عليه وسلم لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن اى ينفى عنه الايمان بكون الزنا مبعدا عن الله تعالى والا لما فعله العاقل لا ان الايمان بعلوم المكاشفة منفى عنه فالعاصى بالضرورة ناقص الايمان بمعنى عدم التصديق بعلوم المعاملة والألما فعل ذلك الفعل ومع ذلك فهو قريب من ان تنقلع شجرة ايمانه عند مقدمة قدوم ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة ـ واذا كانت المعاصى بمنزلة السموم المهلكة وكان العاقل يتجنبها فى الحال كذلك يجب على العاقل ان يتجنب عن المعاصى على الفور بل ذلك اولى لانها هلاك الأبد ـ ولايخفى ان وجود الاصل وان لم يتوقف على وجود الفرع لكن ربما يتوقف بقاؤه عليه فلاينبغى الاهمال فى شان الاعمال ايضا ـ ثم ان عموم الناس محتاجون الى التوبة اذ الشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة وبينهما قتال دائما

الا

الا ان قوة جنود العقل بعد الاربعين والى زمان قوته تقوى جنود الشياطين. واذا قوى جنود العقل يكون اول عملهم قمع الجنود الشيطانية وليس ذلك الا بالتوبة الواجبة لكل آدمى نبيا كان اوغبيا بل هو حكم ازلى مكتوب على جنس الانس لايمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية التى لامطمع فى تبديلها ولما لم يخل كل انسان عن الخطأ والنسيان فى كل وقت وان وجبت عليه المواظبة على التوبة فى كل زمان اذلا يتم حاله بعدم الذنب فى الاستقبال بل عليه ان يزيل آثار المعاصى فى الزمان الماضى فليس ذلك الا بالمواظبة على التوبة ، واما وجوبها فليس بمعنى الوجوب الشرعى اى الواجب فى فتوى الشرع بل الوصول الى المقام المحمود فى جوار رب العالمين واجب لكل عاقل بحكم التقوى والتوبة فما لا يتم ذلك الابه فيكون واجبا نظير ذلك وجوب الطهارة لمن يريد صلاة التطوع فانه لايوصل اليها الابها ، واما من رضى بالنقصان والحرمان فلايجب عليه لاجلها فمن يريد التوبة فعليه بأمرين احدهما ان يعجل حتى لاتصير المعاصى دينا وطبعا لايقبل المحو والثانى يعاجله قبل مبادرة الموت اوالمرض -

المطلب الثالث

فى ان التوبة المستجمعة لشرائطها مقبولة لامحالة

لا يشك فيه ارباب البصائر لانهم علموا بنور البصيرة ان كل قلب خلق سليما ثم اغبر بالذنوب وعلموا ايضا ان ماء الدموع وحرقة الندم يزيل وسخ القلب وان كل قلب طاهر زكى مقبول لامحالة ، فمن توهم ان التوبة تصح ولا تقبل كمن توهم ان الشمس تطلع والظلام لايزول - وهذا كلام مقبول عند ذوى البصائر مع مايعضده من الآيات والاخبار والآثار مابلغت كلها حد الشهرة ولكن ليس هذا الوجوب ما يقوله المعتزلة من الوجوب على الله بل ما ذكرناه وجوب بموجب ارادته ومقتضى تقديره واما الشك فى قبول التوبة فلاينافى وجوب القبول لان ذلك شك فى استجماعه الشرائط -

المطلب الرابع

فى اقسام الذنوب

وتنحصر اصولها فى اربع صفات ربوبية وشيطانية وبهيمية وسبعية وقدمر تفصيلها وايضا الذنوب اما بين العبد وبين الله اوبين العباد - والاول اما شرك اوغيره والشرك لايغفر وكذا مابين العباد واما غيره فيرجى ان يغفر - وايضا الذنوب اما كبائر او صغائر واختلف فى حدودها وعدد الكبائر اختلافا شديدا والحق ان ذلك مما لا يعلم الا من جهة الشرع ولم يرد فيه حد الكبيرة وعددها فلامطمع فى معرفتها وربما قصد الشرع ابهامه لتكون العباد منه على وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم جد الناس فى طلبها سيما اذا لم يتعلق به حكم الدنيا بل يعلم حكمها فى الاخرة فيجوز أن يتطرق اليه الابهام الاحدود اعينها بأساميها من الزنا والسرقة وشرب الخمر ونحو ذلك من الحدود -

المطلب الخامس

فى كيفية توزع الدركات والدرجات فى الآخرة الى السيآت والحسنات فى الدنيا واعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الملكوت والغيب وعالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك لم يتكلم الانبياء مع الخلق الابضرب الامثال اذ النائم لاينكشف له امر الابمثل ومن التكلم بطريق المثل اصابع الرحمن وصورته وامثال ذلك فيوصلون المعانى الى افهامهم بالامثلة حكمة من الله ولطفا لعباده وتيسيرا لادراكه واذا عرفت هذا فاعلم ان تعريف توزيع الدرجات والدركات على الحسنات والسيآت لا يمكن الابضرب مثال وذلك ان الملك اذا استولى على اقليم يقتل من يجحد فى اصل ملكه ويخلى من لا يجحده ولا يخدم ويخلع من ينصره ويخدمه - والنعم ايضا متفاوتة بتفاوت درجات خدمتهم فكذلك الناس فى الآخرة اما هالكون اومعذبون اما سنة اوالف سنة الى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار اوناجون منها اوفائزون اما الى جنات

عدن او جنات المأوى او جنات الفردوس وهذه اربع رتب - اولها الهالكون وهم الآئسون من رحمة الله كالجاحدين والمكذبين بالله ورسوله وكتبه والمتجردين للدنيا واعظم العذاب عند اهل البصائر نار الحجاب من الله تعالى وهي احرمن نار الجحيم ولا بعد في ذلك اذالصبي ربما يعد البعد عن السلطان اهون من البعد عن الكرة والصولجان - وثانيتها رتبة المعذبين وهم الموحدون القاصرون فلهم نار ان نار الفراق عن الكمال الذى قصروا عنه ونار جهنم ويتفاوت لهم العذاب شدة وخفة وطولا وقصرا بحسب قوة الايمان وضعفه وكثرة اتباع الهوى وقلته - واضعف درجات العذاب المناقشة في الحساب وفوقه الورود على النار كبرق خاطف ثم اللحظة الى ان يبلغ سبعة آلاف سنة وههنا درجات لا تتناهي ولا يخرج من النار الا موحد وهو من لا يرى الامور كلها الا من الله وعلامته ان لا يغضب على احد من الخلق اذ لا يرى الوسائط وانما يرى مسبب الاسباب - وهذا التوحيد له مراتب امثال الجبال والمثقال والخردلة والذرة - وثالثتها رتبة الناجين من العذاب فقط كالصبيان والمجانين والبله ومن ليس لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية فهم ينزلون في منزلة بين المنزلتين وهي الاعراف الا ان كون الصبيان من اهلها شك ولا يعلم يقينا الا من مشكاة النبوة والاخبار فيهم متعارضة - ورابعتها الفائزون وهم المقربون السابقون ولا يمكن التعبير عن حالهم ومقامهم قال تعالى (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين) وقوله اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر - وهم لا يقنعون بالحور والقصور واللبن والعسل ونحو ذلك ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجهه الكريم فهى غاية السعادة ونهاية اللذات -

المطلب السادس

فيما تعظم من الصغائر، منها الاصرار والمواظبة كالقطرة تؤثر في الحجر إن دام ولا يؤثر السيل كما ان خير الاعمال ادومها وان قل - وايضا الكبائر قلما تقع من غير سوابق ومقدمات من الصغائر مثلا الزاني يقدم على الزنا المراودة والقبلة

والمس ونحوها ولو وقعت الكبيرة بغتة لربما يرجى عفوه اذ هو حينئذ بالخطأ اشبه - ومنها ان يستصغر الذنب اذ الذنب كلما استعظم اصغر عند الله - وكلما استصغر عظم عند الله لان استعظامه لنفور القلب واستصغاره لالف القلب به - ومنها السرور بالصغيرة وذلك كثير كقول بعضهم اما رأيتني كيف مزقت عرضه وكيف فضحته ونحو ذلك - ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله له ولا يدرى انه يمهل مقتا ليزداد اثما فيأمن مكر الله ويجهل مكان الغرور بالله - ومنها ان يظهره بان يذكره بعد اتيانه او يأتيه بمشهد غيره فان ذلك جناية على ستر الله الذى اسبله عليه وتحريك للشر فيمن اسمعه او اشهده سيما اذا رغب الغير فيه - ومنها ان يكون المذنب عالما يقتدى به كلبس العالم الابريسم ودخوله على السلاطين واشتغاله بعلوم يقصد بها الجاه كالجدل والمناظرة فاذا ذنب العالم ضعف كما ان عبادتهم ضعف بسبب اقتداء الغير بهم -

المطلب السابع

فى تمام التوبة وشروطها وآدابها

اما العلم فمن اسباب التوبة وستعرفه واما الندم فعلامته طول الحسرة والحزن والدمع الدائم وان تتمكن مرارة الذنب من قلبه بدلا عن حلاوتها(١) كمن علم ان عسلا فيه سم كيف يكرهه بعد أن كان مشتهى عنده بل يكره كل عسل بعد ذلك فكذا التائب يدوم ندمه على كل ذنب - واما القصد الذى ينبعث منه فيوجب ترك كل محظور هو ملابس له واداء كل فرض هو متوجه عليه فى الحال ويتدارك ما فرط بالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت - وشرط صحته فى الماضى ان يتأمل فى كل طاعة تركها او قصر فيها فيقضيها فى الحال وان شك فى قدره فيأخذ بغالب ظنه وكذا يتأمل فى كل معصية فعلها فى ساعات عمره فيتوب عنها بالندم والتحسر عليها ويحسب عددها ويعمل مكان كل سيئة حسنة لتمحوها لكن حسنة من جنسها وتضادها - وكذا فى مظالم العباد يفعل فى مكان ظلم منها حسنة لصاحبها كالاعتاق مكان القتل والغيبة بالثناء له ونحو ذلك - واما

(١) كذا - القصاص

القصاص وحد القذف فيعمل فيهما بحكومة عدل وان كان مظلمة مالى يرده على صاحبه وان لم يمكن وجدانه يستكثر من الحسنات حتى يقتص منه او يتصدق مقدار ذلك المال ويستحل من مظالم العرض صاحبه وان لم يجد فيكثر من الحسنات لتكون عوضا ومن وجده فليذكر خصوص جنايته ولا يبهم لان الابهام لا يكفى وان لم يقدر على بيانه كزناه بجاريته او اهله فليستحله مبهما ثم يجبر بالحسنات. واما العزم بان لا يعود اصلا الى الذنوب ولا الى امثالها ولا يتم ذلك الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال - واما الندم والتوبة على بعض الذنوب ولمن افاد قلة الذنوب لكن لا يبلغه رتبة التائبين ما لم يتب عن جميع الذنوب - اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فممكن ذلك اذ الصغائر اقرب الى العفو وكذا يمكن التوبة عن بعض الكبائر لغلظتها بالنسبة الى آخر وقد يندم على صغيرة او صغائر دون الكبائر لغلبة شهوته هناك على خوف من الله تعالى - فان قلت نسيان التائب ذنبه افضل ام المجاهدة فيه اوسكون نفسه عن النزوع اليه افضل ام المجاهدة فيه ؟ قلت اختلف فيه فمنهم من رجح الاولين ومنهم من رجح الاخريين الا ان الحق ان السكون والنسيان ان كانا من التأدب بادب الشرع فهما افضل وان كانا من الطبع فالمجاهدة افضل -

المطلب الثامن

فى طبقات التائبين وهى اربع

الاولى الذين يستقيمون على التوبة الى آخر العمر ولا تحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التى لا ينفك عنها البشر عادة سوى الانبياء ومن يقرب من رتبتهم وهذه هى التوبة النصوح وهذه النفس هى النفس المطمئنة ولهؤلاء ايضا رتب من حيث النزوع الى الشهوات كثرة وقلة وطول زمان وقصره - الثانية الذين سلكوا طريق الاستقامة فى امهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها الا انه لا ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وصمد وتجديد قصد بل كلما اقدم عليها لام نفسه وجدد عزمه على اسباب الاحتراز وهذه النفس اللوامة وهذه ايضا رتبة عالية وان

كانت دون الاولى وهي اغلب احوال التائبين - الثالثة ان يستمر على الاستقامة مدة ثم تختطفه الشهوة المعينة لعجزه عن قهرها الا انه مواظب على الطاعات ومجتنب عن الشهوات الباقية وهو مع ذلك يندم على فعلها ويجاهد فى قهر نفسها لكنه تسوف نفسه توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد يوم وهذه تسمى النفس المسولة. وهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما يتعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته مخطرة لاحتمال ان يختطف بالتسويف قبل التوبة ويقع امره فى المشيئة فان تداركه الله بفضله وجبره بكسيره التحق بالسابقين وان غلبت شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه فى الخاتمة ماسبق عليه من القول فى الازل على ان كل نفس فهو خاتمة اذ يمكن اتصال الموت فليراقب ذلك وليدراركه بالتوبة والا دامت الحسرات - الرابعة ان يستقيم مدة ثم يعود الى مقارفة الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله وهذه هى النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير - ويخاف عليها سوء الخاتمة وامره فى مشيئة الله فان ختم له بالسوء يشقى شقاء الابد وان ختم له بالحسنى وهو التوحيد يرجى له الخلاص ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفى لا نطلع عليه الا ان العجب كل العجب من يقول الله كريم ويتقاعد عن كسب فضائل الاعمال - ثم اذا قيل الله كريم فاقعد عن كسب المال يحمق من يقوله ويقول سنة الله تعالى ان يرزق بالكسب ولا يدرى هذا الاحمق الغافل ان رب الدنيا والآخرة واحد وسنته فيهما واحدة فما باله يغتر بكرمه فى الآخرة دون الدنيا فما هذا الا انتكاس على ام الراس وفى ظلمات الجهل انغماس فنعوذ بالله من دواعى الجهل والارتياب الى سوء المنقلب وعسر المآب -

المطلب التاسع

فى تدارك التائب اذا جرى عليه ذنب اما عن قصد او باتفاق

واعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضادها فان لم تساعده نفسه على العزم على الترك فقد فاته احد الواجبين فلاينبغى ان يفوته الواجب

الواجب الآخر وهو محوها بالحسنة ليكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا وتلك الحسنات اما بالقلب فالتضرع الى الله تعالى وطلب العفو والمغفرة ويتذلل تذلل العبد الآبق بحيث تظهر ذلته لسائر العباد - واما باللسان وهو الاعتراف بالظلم والاستغفار لكن لا باللسان فقط فانه توبة الكذابين بل بالقلب، وقد مر في كتاب الدعوات كيفية الاستغفار، واما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وانواع العبادات وذكر في الآثار ثمانية اعمال يرجى بها العفو اربعة للقلب وهي التوبة والعزم على الترك وحب الاقلاع عنه وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له، والاربعة من اعمال الجوارح وهي ان يصلي عقب الذنب ركعتين يستغفر الله بعده سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما وفي بعض الآثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الاخبار اربع ركعات -

المطلب العاشر

في طريق حل الاصرار على الذنوب من القلب وله علاجان

احدها العلم بان الذنوب مضر(١) يجب تركها وذلك اربعة انواع الاول ان يذكر انذارات القرآن والاخبار للعصاة، الثاني حكايات الانبياء والسلف وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم، الثالث خوف تعجيل العقوبة في الدنيا ونفوس العوام اكثر انزجارا بعقوبة الدنيا حتى ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وكذلك الفقر والمرض، الرابع ان ينهى كل صنف من الذنب بنوع من العقوبة من العلماء اطباء الارواح فعليهم ان يخوفوا كل ذنب بنوع عقوبة ويوصيهم بنوع وصية تكون سببا لزوالها، ثانيها الصبر وذلك لان الذنب اما بسبب الغفلة وطريق علاجه العلم وقد ذكرناه - اوبسبب غلبة الشهوة وطريق علاجه الصبر وقد ذكرناه في رياضة النفس فترك الذنب بالصبر وهو بمعرفة الخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم بضرر الذنب فاصل الكل العلم، واعلم ان سبب وقوع الذنب امور احدها ان العقاب الموعود غيب وليس بحاضر والنفس تأثرها بالحاضر قوي

---

(١) كذا -

وبالموعود ضعيف ، الثانى ان الشهوات لذاتها ناجزة والنزوع عن لذة العاجل لخوف الآجل شديد على النفس ، الثالث انه مامن مسلم مذنب الاوهو عازم على التوبة غالبا الا ان النفس تسوف بما يغلب على طبعه من طول الامل - الرابع انه مامن مؤمن الاوهو معتقد أن الذنب لايوجب العقوبة أيجابا لايمكن العفوعنها فهو يذنب وينتظر العفو اتكالا على فضل الله تعالى - وهنالك قسم خامس لكنه كفر وهو الشك فى صدق الرسل ، اذا عرفت هذه الاسباب فاعلم ان علاج السبب الاول بآن يلاحظ ان كل مـاهوآت آت وان الموت اقرب من شراك نعله وعلاج التسويف التذكر بان اكثر صياح اهل النار من التسويف ولعله لايبقى الى الغدوإن بقى لعله لا يقدر اذ بعجزه فى الحال لغلبة الشهوة والشهوة لا تفارقه غدا بل تتأكد بالاعتياد وان الايام متشابهة فى مشقة ترك الشهوات ، واماعلاج الانتظار الى رحمة الله تعالى ان كان بعد العمل فحسن وان كان بلاعمل فحمق وهو كمن لايلقى البذر وينتظر الزرع وهذا وان كان ممكنا لكنه لكونه خرقا للعادة يعد حمقا وخرقا اذ الاعتماد على امرممكن خارق للعادة فى مثل هـذا الامر الخطير العظيم الذى لا يمكن تداركه ثانيا مما لا يقبله العقلاء ، واما علاج الخامس وهو الكفر فما عرفته من اسباب صدق الرسل ولكن هذا امر الزامى يكفى فى دفعه وهو أن رجلاقد جربت كذبه مرارا اذا اخبرك بان هذا الطعام قد ولغ فيه الحية والقى فيه سمها ، فلعلك تقول هذا الرجل وان كان كاذبا اكثريا لكن الكذوب قد يصدق ، وعلى الجملة فالشك حاصل فى خبره هذا وانى ان تركت هذا الطعام ليس لى الا الصبر عن شهوة الطعام وان اكلت ذلك فالهلاك محتمل فالفرار عن الشهوة الحقيرة لاجل الهلاك الموهوم احسن ثم انك كيف لاتذهب هذا التعلل فى اخبار الأنبياء لم تجرب كذبهم بل جربت صدقهم مرارا لكن لاتدعك عصبيتك الى الاذعان بالحق والله يهدى من يشاء ويضل من يشاء انه هو القادر على كل شيء قال على بن أبى طالب فى بعض من كان شاكا ان صح ما قلت فقد تخلصنا - جميعا والافقد تخلصنا وهلكت -

وقاله

وقال ابوالعلاء المعرى

قال المنجم والطبيب كلاهما لاتحشر الموتى فقلت اليكما

ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولى فالخسار عليكما

ثم اعلم ان ما ذكر من الامور وان كانت جلية لكن النفس لا تتفكر فيها لامرين احدهما ان فكرها يؤلم القلب وفكر الدنيا لها فتميل اليه ـ وثانيهما ان هذا الفكر يمنعه عن لذائذ الدنيا اذ الانسان لايخلوعن شهوات الدنيا ساعة اصلا ـ فعلاج الامر الاول فانت تتألم من ملاحظته فكيف الالم اذا وقع وانت عاجز عن تداركه ـ والامر الثانى ان يتذكر عظم ثواب الآخرة وحقارة لذات الدنيا وسرعة زوالها وترك العظيم والباقى لاجل الحقير والزائل لايصدر عن عاقل ـ

الاصل الثانى

في الصبر والشكر وفيه مطالب

المطلب الاول

في فضيلة الصبر وحقيقته

اما فضيلته فقد وردت فى الآيات والاخبار والآثار بحيث لا يحتاج الى ذكرها واما حقيقته ومعناه فهو مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وذلك معرفة تتبعها حالة ثم تثمر كلاهما المسمى بالصبر عملا وتفصيل ذلك ان للبهائم شهوة بلاعقل وللملائكة عقل بلا شهوة وللانسان كلاهما معا والصبر مقاومة العقل الشهوة فهو مخصوص بالانسان دون البهائم لنقصانها ودون الملائكة لكما لهم فالصبر ثبات القوة المضادة للشهوة فى مقاومتها ثم ان الصبر نصف الايمان لأن التصديق بالمعارف والاعمال هو الايمان وحاصل التصديق بالمعارف اليقين وحاصل التصديق بالاعمال الصبر اذ لا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الابالصبر فهو نصف الايمان بهذا الاعتبار ، ايضا ربما يطلق الايمان على الاحوال المثمرة للاعمال لاالمعارف والاعمال اما ضار فى الدنيا والآخرة اونافع فيهما وله الصبر فى الاول والشكر فى الثانى ، ولهذا قال ابن مسعود الايمان نصفان

نصف صبر ونصف شكر ، وقد يرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وايضا لما كان الصبر مقاومة بواعث الهوى وكان الهوى قسمين الشهوة والغضب وصار الصوم دافعا للشهوة دون الغضب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر فيكون الصوم ربع الايمان فهكذا ينبغى ان يفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال والحدود ليس تلك التقديرات مما يرمى به جزافا كما توهمه الجهلة ارباب الضلال ثم ان الصبر يسمى بأسام ، مختلفة فيظن الجهال اشياء متغايرة مثلا الصبر عن شهوة الفرج يسمى عفة وعن مصيبة يخص باسم الصبر ويضاده الجزع والهلع وعن الغنى يسمى ضبط النفس ويضاده البطر وعن القتال والحرب يسمى شجاعة ويضاده الجبن وعن الغضب حلما ويضاده التكبر وعن افشاء الكلام يسمى كتمان السر وعن فضول العيش يسمى زهدا ويضاده الحرص وعن العيش اليسير يسمى قناعة ويضاده الشره فاكثر اخلاق الايمان داخل فى الصبر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الايمان هو الصبر وذلك لأنه اكثر اعماله واعزها ، وقد جمع الله تعالى هذه الاقسام وسماها صبرا فقال (والصابرين فى الباساء) اى المصيبة والضراء اى الفقر (وحين البأس) اى المحاربة (اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) ـ

المطلب الثانى

فى اقسام الصبر بحسب القوة والضعف وهى ثلاثة

احدها ان يقهر داعى الهوى ويسقط بالكلية منازعة باعث الدين فتسلم نفسه الى جند الشيطان وهؤلاء هم الغافلون وهم الذين غلبت عليهم شقوتهم واسترقتهم شهواتهم ، وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالامانى وهو غاية الحمق ، وثالثها(١) ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين لا من الفائزين وهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ـ واقسامه باعتبار عدد مايصبر عنه ثلاثة ايضا لأنه اما ان يغلب جميع الشهوات اوبعضها دون بعض او لا يغلب شيئا منها وهذا كالانعام بل هم اضل ـ واقسامه

(١) كذا ـ

باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق على النفس ولا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى تصبرا والى خلاف ماذكر يسمى صبرا ، قال بعض العارفين اهل الصبر ثلاث مقامات اولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين ، وايضا الصبر اما فرض كالصبر عن المحرم ، ونفل كالصبر عن المكاره ومكروه وهو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة فى الشرع ومحرم كالصبر على الاذى المحظور .

المطلب الثالث

فى ان العبد لا يستغنى عن الصبر فى كل حال

وذلك لأن الصبر اما على ما يوافق الهوى وهو الصحة والمال والجاه واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار ، ما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور اذ لو ارسل نفسه الى الملاذ المباحة اخرجه ذلك الى البطر والطغيان ، واما على ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك اما مختار للعبد كالمعاصى والطاعات اوليس مختارا له كالمصائب والنوائب اولا يكون اوله مختارا ولكن يقدر على ازالته كالتشفى بالانتقام ، والضرب الاول ان كان طاعة يحتاج العبد الى الصبر عليها لأن النفس تنفر عن العبودية وتشتهى الربوبية حتى قيل ما من نفس الا وهى مضمرة ما اظهره فرعون الا انه لا يجد مجالا وقبولا ـ ثم الصبر على الطاعة اما قبلها وذلك فى تصحيح النية وتحصيل الاخلاص وذلك من اشد الصبر ، واما حالة العمل فيلازم الصبر عن دواعى الفتور وعن كونها لغير الله ، واما بعد الفراغ عن العمل بان يصبر عن افشائه والعجب ، ثم الطاعات اما فرض اونفل ويحتاج الى الصبر عليها ، والضرب الثانى المعاصى وما احوج العبد الى الصبر عنها سيما التى صارت مألوفة بالعادة ـ والضرب الثالث ما لا يكون هجومه باختياره ولكن له اختيار دفعه كما لو اوذى فصبر عليه وهذا الصبر يكون واجبا تارة وفضيلة اخرى ، والضرب الرابع ما لا يدخل تحت الاختيار اوله وآخره مثل موت الاعزة

وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض والعمى فالصبر على هذه الامور من اعلى المقامات الا ان الصبر على المصائب بترك الجزع وشق الجيوب وضرب الخدود واظهار الكآبة والمبالغة فى الشكوى وهذه داخلة تحت اختياره ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب وفيضان العين بالدمع فان ذلك مقتضى البشرية فظهر مما ذكر أن الانسان لايخلو عن الصبر فى حال من احواله —

المطلب الرابع

فى معالجات مؤدية الى الصبر

ولنورد مثالين ثم قس بواقيها عليها مثلا باعث الجماع يعالج بامور ثلاثة قطع مادتها كالاغذية المهيجة لشهوة الوقاع فيتركها سيما اللحم وثانيها قلع اسبابه المهيجة له فى الحال كالنظر الى الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية وثالثها تسلية النفس بالمباح الذى تشتهيه كالنكاح وملك اليمين — وايضا من اشد انواع الشهوات حديث النفس ووسواس الشيطان وانما يشتد ذلك على من تفرغ لقطعه ولا علاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة ثم لا يمكن له ذلك الا بان يجعل هومه هما واحدا وهو الله ومع ذلك اذا غلب على القلب لايكفى ماذكر ملكه الفكر والسير الباطن فى ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله وسائر ابواب معرفة الله وان لم يكن له سير فى الباطن فلاينجيه الا الاوراد المتواصلة المترتبة فى كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج الى تكلف القلب الحضور واذا انتظم كل ذلك لايسلم له من الاوقات الا بعضها —

المطلب الخامس

فى الشكر

وفضيلته فى الآيات والاخبار والآثار لا تخفى على اولى الابصار واما حقيقتها (١) فتعلم من علم يورث حالا وحال يورث عملا — اما العلم فبمعرفة النعمة والمنعم

(١) كذا —

والمنعم

والمنعم عليه، هذا فى غيرالله تعالى واما فى حقه تعالى فلايتم الابان يعرف ان النعم كلها من الله والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة تتبع التوحيد اذ لاموجود الامنه تعالى فتنحصر النعمة فيه ايضا كما ان التوحيد يتبع التقديس اذلا مقدس الاواحد ولامقدس غيره - وعن هذه الامور عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لااله الاالله فله عشرين حسنة ومن قال الحمدلله فله ثلاثون حسنة الاان المراد تأثير هذه الكلمات بالقلب لامجرد تحريك اللسان بها ثم ان المعرفة المذكورة تستثمر حالا وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو شكر كما ان المعرفة شكر لكن كونه شكرا مشروط بان يكون الفرح بالمنعم لابالنعمة والاحسان والانعام وبالجملة الفرح بالنعمة من حيث انها مال ليس من الشكر اصلا والفرح بها من حيث يستدل به على عناية المنعم ونيل المحل والقبول عنده وهذا شكر الصالحين الذين يعبدون الله تعالى ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه - واما الفرح بالنعمة من حيث ان له محلا عند الملك لكن لايقنع بهذا القدر بل يفرح من حيث يتدرج به الى القرب منه ولكون(١) محل نظر المنعم ويتوسل بذلك الى النظر الى وجه المنعم والنزول فى جواره فهى المرتبة العليا للشكر وامارته ان يفرح من الدنيا لكونها مزرعة للآخرة ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله - ثم الفرح المذكور له عمل بموجبه وذلك العمل اما بالقلب وهو قصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله فى طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان يستر كل عيب يراه لمسلم وشكر الاذنين ان يستر كل عيب يسمعه والشكر باللسان اظهار الرضا عن الله وهو مامور به وهكذا فى كل عضو فهذه هى حقيقة الشكر واما الحدود الواقعة فيه فاكثرها قاصر عن اداء مجموعه مثلا قول من قال الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى فعل اللسان وبعض احوال القلب - وقول حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيها طفيليا اشارة الى ان المعرفة

---

(١) كذا -

معنى من معانى الشكر فقط - وقول الجنيد أن لا ترى نفسك اهلا للنعمة اشارة الى حال من احوال القلب على الخصوص - والحد الاقرب الى جمع اكثر المعانى قول القائل الشكر الاعتكاف على بساط الشهوة بادامة حفظ الحرمة وانما يشذ من ذلك عمل اللسان فقط -

المطلب السادس

فى الشكر فى حق الله

قال بعضهم الشكر محال فى حقه تعالى لوجهين احدهما انه منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والثناء وتكثير سواد الخدم من الراكعين والساجدين - وثانيهما ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا من جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر اسباب حركاتنا من خلق الله ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة - واذا كان طريق الشكر نعمة اخرى تحتاج الى شكر آخر واذا احتاج الشكر الى شكر فى كل مرتبة تؤدى الى ان يكون الشكر محالا فى حق الله من هذين الوجهين وقد خطر هذا الخاطر لداود وموسى عليهما السلام فقال كل منهما يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفى لفظ آخر وشكرى لك نعمة اخرى منك توجب على الشكر لك فاوحى الله عزوجل اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتنى - وفى خبر آخر اذا عرفت ان النعم منى رضيت منك بذلك شكرا - اذا عرفت ذلك لعلك تفهم استحالة الشكر لله عزوجل وتعجز عن دركـ كون العلم باستحالة الشكر شكرا فنقول ان من نظر بعين التوحيد المحض يعرف انه الشاكر والمشكور والمحب والمحبوب ونظر من لم يبلغ هذه الرتبة وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الاوجود انفسهم فانكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء العميان المنكوسون وهؤلاء جاحدون وقسم ليس بهم عمى ولكن بهم عور يبصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق ولا يرى بانحراها فناء ما سواه وبالحقيقة هذا مشرك اذ اثبت موجودا يماثل وجود الحق لكن لما الاول (١) بانه رب والآخر بانه عبد دخل بهذا التفاوت فى

(١) كذا -

حد التوحيد لكن لاتخلو عينه عن عمش لكن ان كل بصره بانوار الحق يظهر له نقصان ماعداه وهكذا تتفاوت الدرجات الى ان يرى ماسواه فانيا ولا يرى في الوجود الا الله تعالى - ثم هذا قد يلوح لبعضهم كالبرق الخاطف ومنهم من يثبت له ذلك ولكن لايدوم والدوام فيه عزيز -

وكل الى شأو العلى حركاته ولكن عزيز في الرجال ثباته

ولما امر صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقيل له واسجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك حيث لم ير الا الله وافعاله واستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب وقال اعوذ برضاك من سخطك حيث ترقى من مشاهدة الافعال الى مشاهدة الصفات ثم اقترب وقال اعوذ بك منك حيث ترقى من مشاهدة الصفات الى الفرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة لكنه رأى نفسه ثم اقترب حتى فني عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال لا أحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك - فقوله لا أحصي ثناء عليك تعبير عن فناء نفسه وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه المثني والمثنى عليه وان الكل منه بدأ واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه فكان اول مقامه نهاية مقامات الموحدين ومع ذلك كان يرى كل مرتبة بعدا بالقياس الى ما بعده ولذلك قال انه ليغان على قلبه وكان اول امر الله آخر مقامات الموحدين هذا نظر التوحيد - واما نظر غيره ففيه الشاكر والمشكور والشكر ثم ان نعم الله تعالى آلات ان استعملها في الطاعة شكر لموافقته محبة مولاه وان لم يستعملها في الطاعة واستعملها في المعصية كفر للنعمة للتضييع وكل ما في الدنيا خلق آلة للعبد يتوصل به الى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله فالمعصية والطاعة تشتملها المشيئة ولكن لاتشتملها المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه - واذا عرفت هذه المقامات فقد ظهر لك توجيه الاشكالين المذكورين وذلك لأن المراد بالشكر ليس الا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله فاذا انصرفت في جهة المحبة بفعل العبد لفعل الله فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله - ومن حيث انه فعله فقد اثنى عليك وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي

اعطى وهو الذى اثنى وصار أحد فعليه سببا لانصراف فعله الثانى الى جهة محبة الله فله الشكر على كل حال ـ وانت موصوف بانك عالم وعارف ولا بمعنى انك خالق علم وموجد بل بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات مشيئة ، فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا وكل ميسر لما خلق له ـ يريد به ان الخلق مجارى قدر الله ومحل افعاله وان كانوا هم ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله محل لبعض ، وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو فعل من افعال الله عزوجل وهو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وان عليهم فعل من افعال الله والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة الى الحركة بالطاعة وانبعاث الداعية ايضا من فعل الله وهو سبب لحركة الاعضاء وهى ايضا من افعال الله ولكن بعض افعاله كان سببا لبعض افعاله اى الاول شرط للثانى اى انه لا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق يرتقى الى درجة التوحيد الذى ذكرناه واعلم ان هذا التمهيد مما لا تجده فى كتب احد فلا تغفل عن تحصيله واذ عانه ثم انك اذا عرفت ذلك لعلك تتبع شيطان الوهم ، وتقول واذا لم يكن الينا شىء بل رجع الكل الى الله فلا نذم اصلا فلا حاجة الى الطاعة فنقول اعلم ان قول الله تعالى اعملوا سبب لحصول اعتقاد فينا بوجوب العمل وذلك سبب لهيجان الخوف وهو سبب لترك الشهوات والتجافى عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى جوار الله والله مسبب الاسباب ومرتبها فمن سبق له فى الازل السعادة يسرت له هذه الاسباب حتى تعوده بسلسلتها الى الجنة ، ويعبر عن مثله بان كل ميسر لما خلق له ومن لم يسبق من الله له الحسنى بعد سماع كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقى فى حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين واذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من احد الا وهو

مقود

مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والا من والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار ، وعنه معاينة هذا يسمع نداء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار و ذلك كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلون لايسمعونه الا ذلك اليوم على الخصوص نعوذ بالله من الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك والعياذ بالله ـ

المطلب السابع

واعلم انه لابد فى تحصيل الشكر من معرفة ما خلق كل شىء له وطريقه الآيات والاخبار وذلك ظاهر واما النظر بعين الاعتبار وهذا عسير جدا ولهذا احتيج الى ارسال الرسل مثلا كل شىء فى العالم له حكمة اما جلية كالضياء من الشمس والمطر من الغيم اودقيقة كالحكمة من الكواكب السيارة وغيرها ـ ثم كل ذرة لا تخلو عن حكم كثيرة من واحد الى عشر بل الى الف فمن استعمل شيئا فيما خلق له من الحكمة صار شكرا والاصار كفرا مثلا اليد خلقت ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد وكذا لو استنجى باليمين فقد كفر ما خلقت له اليمين من استعمالها فى اشرف الامور وكذا البصر مثلا انها خلقت العينان لينظر بهما ما ينفعه فى دينه ودنياه ويتقى بهما ما يضره فيهما فمن نظر الى وجه غير المحرم فقدا ستعملهما فى غير ما اريدتا له فكفر نعمة الابصار وهكذا فى سائر الاعضاء ـ فان قلت اذا كان الكل راجعا الى فعل الله تعالى فكيف يكون العبد موصوفا بالشكر والكفران فاعلم ان تمام تحقيق هذا المقام لايعرفه الا من علم منطق الطير ولا يجهله الا من عجز عن الايضاع فى السير واجمال هذا هو ان صفات الله تعالى اجل واعلى من ان يلحقها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها فانخفضت عن ذروتها ابصارهم فاستعاروا من حضيض البشرية امورا لها مناسبة معها تناسبا ضعيفا جدا فاستعاروا

لها اسم القدرة مثلا - وكذا المشيئة مع قصورا الفطين عن كنه جلال ذينك الوصفين ثم الافعال الصادرة عن القدرة اما ان ينساق الى غاية حكمتها او يقف دونها ثم ان هذين من حيث نسبة المشيئة الى الاول يسمى محبوبا والى الثانى مكروها - ثم تعلق صفة المشيئة فى الازل الى بلوغ شخص نهاية حكمته بتسليط دواعيه عليه قهرا يسمى رضى وتعلقها فى الازل الى وقوفه دون نهايتها باستيقاف دواعيه عن ذلك قهرا يسمى غضبا - ثم اذا ظهر هذا التقدير الازلى فى الشخص اما فى الاول فيسمى الشكر ويردفه بالثناء واما فى الثانى فيسمى بالكفران ويتبعه نقمة اللعن والمذمة زيادة فى النكال فحاصله ان اعطى الجمال فاثنى عليه واعطى النكال فقبحه كملك اعطى لمملوكه الثياب النفيسة وكسى هواياه ثم وصفه الملك بالجمال وكذا فى ضده فهوا لمثنى والمثنى عليه بكل حال فكأنه اثنى على نفسه من حيث المعنى وليس العبد الاحرف الثناء من حيث الظاهر والصورة هكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولما لم يكن ذلك عن اتفاق وبخت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم استعير له لفظ القضاء فهو كلمح البصر ثم استعير لترتيب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فالقضاء اجمال وامر واحد كلى والقدر تفصيل ذلك - واما اذا خطر ببالك ان القسمة لماذا يكون على هذا فتلجم عنه ذلك لسانك بلجام المنع ويقال لكم اسكتوا لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ويقال اذا ذكر القدر فامسكوا وتأدبوا بأدب الله عز وجل فان للحيطان آذانا وغاية خطاك انك تقول فعلى واضفت ذلك الى نفسك بل هو الذى صرف داعيتك ثم جعله على وجه العدل حيث خص الفعلة المحبوبة بالشخص المحبوب والمكروه بالمكروه انما مثلك مثل صبى يرى المشعوذ فيرى حركة الصور فى الليل المظلم من الصور لا من المشعوذ وظهر بما مر ان شكر العباد احبهم وذلك كالملائكة فى السماء والانبياء فى الارض واعلى الملائكة اسرافيل واعلى الانبياء محمد صلوات الله عليهم اجمعين اذ اعطى له الدين والملك والسلطنة ولم يعط هذه كلها الا له صلى الله عليه وسلم - وايضا اكمل

الله

الله الدين به وختم به النبيين، ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فانهم صلحوا وصلح بهم الناس، ثم يليهم السلاطين بالعدل لان صلاح الدنيا بهم كما ان صلاح الآخرة بالعلماء، ثم يليهم الذين اصلحوا انفسهم فقط من الصلحاء غير العلماء، ومن عداهؤلاء الطوائف فهمج رعاع — واعلم ان السلطان لكونه قوام الدين والدنيا لا ينبغي ان يستحقر وان كان ظالما فاسقا — وفي الحديث سيكون عليكم امراء يفسدون وما يصلح الله بهم اكثر — فان احسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان اساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر — قال سهل من انكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل —

المطلب الثامن

في حقيقة النعمة واقسامها

اعلم ان كل لذة وخير وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر نعمة وسعادة وان كانت نافعة في الدارين فهي النعمة حقيقة كالعلم وحسن الخلق وان كان ضارا فيهما فهو البلاء تحقيقا كالجهل وسوء الخلق وان (كان) نافعا في الحال ضارا في المآل فهو البلاء عند ذوي الابصار، والنعمة عند ذوي الجهل كالشهوات وان كان بالعكس فبالعكس كمخالفة الشهوات ثم ان الامور الدنيوية اما نفعه اكثر من ضره كقدر الكفاية من المال اوبالعكس كالمال الكثير والجاه الواسع واما ضرره يكافئ نفعه وهذا يختلف بالاشخاص اذ رب انسان لايتضرر بالاموال العظيمة وبعض منهم يتضرر بأقل منها واعلم ان الخيرات اما ان تؤثر لذاتها اولغيرها اولهما معا والاول النظر الى وجه الله تعالى — والثاني كالدراهم والدنانير فانها وسائل فقط والافهي والحصى سواء — الثالث كالصحة والسلامة واعلم ايضا ان الخيرات اما نافعة اوجميلة اولذيذة فاللذيذ هو الذي يستحسن في سائر الاحوال، وكذا الشرور اما ضار اوقبيح اومؤلم ثم انه قد يجتمع هذه الاوصاف اما في الخير فكالعلم والحكمة فانها نافعة ولذيذة وجميلة عند اهلها وكذا ضده وهو الجهل في جميع الاوصاف الثلاثة للشر فانه ضار ومؤلم وقبيح وقد يجتمع بعض هذه مع بعض كقطع الاصبع

المتآكلة والسلعة الخارجة من البدن فان هذا نافع مؤلم - وقد يكون شيء نافعاً من وجه وضاراً من وجه آخر كالقاء المال فى البحر لنجاة صاحبه وايضا النافع اما ضرورى كالايمان وحسن الخلق اوغير ضرورى كالسكنجبين فى تسكين الصفراء اذربما يقوم غيره مقامه - ثم ان اللذة اما عقلية كلذة العلم والحكمة وهى اشرف اللذات عند من يعرفها كما عرفت عند ذكرنا فضيلة العلم والحكمة واظهر شرفها انه الباقى فى ابد الآباد ولايمتد اليها ايدى الغاصبين ولا ينالها السن السلاطين بالعزل واما بدنية وهى اما مشتركة مع بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود فى الاسد والنمر وغيرهما اومع جمعها كلذة البطن والفرج وهذا اكثرها واخسها ولذلك شارك الكل فيها - ثم شهوة البطن والفرج مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لايقوى على قهرها الصديقون حتى قيل آخرما يخرج من قلوب الصديقين الرياسة فقمع شهوة الرياسة بالكلية لايقع وان وقع ففى بعض الاحوال عند غلبة لذة معرفة الله تعالى - ثم اعلم ان القلوب اربعة - قلب لايحب الاالله تعالى وهذا فى غاية الندرة - وقلب لايلتذ الابالرياسة والشهوات ولايدرى غيرها وهذا كثير - وقلب يغلب عليه التلذذ بالصفات البشرية ، وقلب يغلب عليه التلذذ بمعرفة الله تعالى وهذان فى غاية الندور ومع ندرتهما تتفاوت قلة وكثرة لأن ذلك يقل اذا بعدت الاعصار عن عصر النبوة ويزداد قلة الى ان تقرب الساعة ويقضى الله امرا كان مفعولا وسبب قلة هذا القلب ان عالم الشهادة مرآة لعالم القلب وتابع له كما ان الصورة فى المرآة تابعة للشخص وثانية له فى رتبة الوجود الا انها متقدمة عليه فى المعرفة كذلك عالم الشهادة متقدم على عالم الغيب فى المعرفة وان كانت تابعا له فى الوجود فلذلك كان اكثر الناس مقصود النظر على ما هو مقدم فى المعرفة وقريب منه اعنى عالم الشهادة وقليل منهم يعبر منه الى عالم الغيب ويستدل بالصورة على الاصل وهذا الذى يسمى عبرة عند العلماء - واعلم ان النعمة تنقسم ايضا الى نعمة هى غاية الغايات وذلك سعادة الآخرة وهى اربعة - بقاء لافناء له ، وسرور بلاغم ، وعلم لاجهل معه ، وغنى لافقر معه ،

وهى

وهي النعمة الحقيقية والى وسائل هي اربعة انواع، احدها الاقرب والاخص كالفضائل النفسانية وهي الايمان وحسن الخلق والاول علوم المكاشفة والثاني علوم المعاملة وهي اما ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه الفقه واما مراعاة العدل في الكف عن الشهوات حتى لايخسر الميزان ولاتطغى فيه واسمه العفة فهذه اربعة — علم مكاشفة، وعلم معاملة، وعفة، وعدالة — وثانيها الفضائل البدنية وهي متممة للنوع الاول وهي ايضا اربعة، الصحة والقوة والجمال وطول العمر، وثالثها وهي النعم الخارجة عن البدن وهي ايضا اربعة ومتممة للنوع الثاني، المال والاهل والجاه وكرم العشيرة — ورابعها الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي اربعة ايضا، هداية الله، ورشده، وتسديده، وتأييده — ثم انك قد عرفت فوائد المال والاهل فيما مر وكذا العز والجاه يمكن ان تستعان(١) به النفس الى طريق الآخرة اذ يدفع عن الانسان الظلم والضيم الشاغلين عن المعرفة ولذلك كان علماء الدين طلبوا الجاه قدر ما يستعان به في امره ومطلبه — واما ذم المال والجاه في الاحاديث والاخبار فلا ينافي ما ذكرنا اذ الحية فيها ترياق وسم فكذا المال والجاه ولعلك قد نبهت على التمييز بين القدر النافع والقدر الضار فيما سبق وكذا كرم العشيرة ولذلك جعلت الائمة من قريش لكن المراد عشيرة الانبياء والعلماء والصلحاء لاعشيرة الملوك والظلمة وكذلك لاخفاء في الحاجة الى الصحة والقوة وطول العمر — واما الجمال فانه اقرب الى الاجابة وجاهه في الصدور اوسع فصار بمنزلة الجاه والمال وايضا الجمال في الاكثر دال على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان وعلى هذا يبتني علم الفراسة — واما التوفيق فلا يستغني عنه احد لانه عبارة عن التأليف بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره من حيث وصوله الى السعادة له —

اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده

واما الهداية فلاسبيل لأحد الى طلب السعادة الابها اذ الانسان لايقدر على تمييز الصلاح من الفساد الا بالهداية وهي ثلاث مراتب الاولى معرفة طريق الخير

(١) كذا —

والشر قال تعالى (وهديناه النجدين) وقد انعم الله تعالى بهذه الهداية على كافة عباده بالعقل تارة وبالسمع اخرى - الثانية التي يمدا لله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) الثالثة التي وراء الثانية وهي النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي به الى ما يهتدى اليه بالعقل وهو الهدى المطلق - واما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تتعين للانسان عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة لكن بشرط ان تحرك داعيته اليها ولو اهتدى الى تلك الجهة ولم يتحرك اليها يسمى مهديا لا رشيدا فالرشد اكمل من مجرد الهداية وذلك نعمة عظيمة - واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليتسدد في صوب الصواب في اسرع وقت فان الرشد ايضا لا يكفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية ليتحرك والتسديد عناية ونصرة تتحرك الاعضاء في صوب السداد - واما التأييد فكانه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية امره بالتبصرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله عز وجل (اذ أيدتك بروح القدس) ويقرب منه العصمة وهي عبارة عن جود الهي يسنح في الباطن يقوى به الانسان على تحرى الخير ويجتنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس وهي المراد بالبرهان في قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) فهذه هي مجامع النعم - ولن يستبد بها الا من خوله الله من الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته، القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفلة السفهاء وظلم الاعداء وتستدعي كل واحدة من هذه الاسباب الى ستة عشر اسبابا وتستدعي تلك الاسباب اسبابا الى ان ينتهي بالآخرة الى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين - وذلك

وذلك رب الارباب ومسبب الأسباب ولو أردت ان تستقصى اسباب نعمة واحدة من النعم كنعمة الاكل مثلا وكسرت (١) عليها المجلدات لبقى ذهنك فى خيز الحيرة حسيرا لانها تتوقف على معرفة قوة الشهوة والغضب المتوقفتين على الآلات البدنية لايفى بذكر شمة منها ومقدارما يمكن ان يحيط العقول بها كثير من المجلدات وكذا كيفية تولد البدن عن المنى فى رحم الام واطوار خلقه الجنين هناك لاتفى لذكرها المجلدات وكذا كيفية تكون الاغذية النباتية والحيوانية وترتيبها بالآباء العلوية والامهات السفلية لا تتم فى عدة مجلدات - وكذا كيفية طبعها واصلاحها واحتياجها الى آلات من الحديد والحطب والنار واحتياج هذه الآلات الى الصناع المحتاجين الى آلات اخر لاتتناهى لا يمكن ذكر شمة منها الاف كثير من المجلدات، وكذا مضغ الاطعمة وكيفية تولد الريق المعين لازلاق اللقمة المتولد من تحت اللسان وكيفية جذب المعدة ذلك ثم طبخها فى المعدة ثم فى الكبد ثم وصولها الى البدن وانقسام فضلاتها الى طريق آخر لايمكن تفصيلها فى مجلدات ولو ارتقيت الى معرفة الحواس المعينة الى معرفة مضار الاطعمة ومنافعها وكيفية تحصيلها ومن جملتها البصر وان جرمها الذى هو مقدار جوزة عشر طبقات مركبة بعضها رطوبات وبعضها اغشية وبعض تلك الاغشية كالمشيمة وبعضها كأنها نسج العنكبوت وبعض تلك الرطوبات كانها بياض البيض وبعضها كأنه الجمد - وكذا احوال سائر الحواس بحيث لايمكن للعقل احاطة جملها ولا للسان بيان قدر ما احاط منها كما هو حقها ولا للبنان كتابة ما جرى منها على اللسان - وهكذا يتوقف على اسباب واسباب الى حيث يعجز العقل عن ضبط انواع اسباب فعل واحد، عن الأكل فضلا عن ضبط افرادها واسباب سائر الافعال وعند ذلك تفهم معنى قوله عز وجل (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) الا انك ايها المسكين لاتعرف من النعم الا نفس الأكل وهو اخسها ثم لاتعرف منها انك تجوع فتأكل وتتعب وتنام ثم تشتهى وتجامع وتستريح وهذا ايضا حال الحمار وانت فى رتبتها فلا تغفل ايها المسكين عن التظر فى ملكوت الله سبحانه وعجائب صنعه وحكمة تصنيفه لأن

---

(١) كذا -

العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذى صنفه بواسطة قلوب عباده الا انك تغفل غفلة البهائم مع انك من زمرة الملائكة لكن القى الى هذه الرتبة جهلك وحمقك وعجزك فسبحان من ألحق ذوى الابصار بالعميان جل جلاله وعم نواله، ولنترك استقصاء هذا الباب فانه طمع فى غير طمع (١) -

المطلب التاسع

فى السبب الصارف عن الشكر وعلاجه

واعلم ان سببه الجهل والغفلة عن معرفة النعم وان عرفها فيظن ان شكرها ان تقول بلسانك الحمد لله الشكر لله، وايضا سببه بعد معرفتها غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب احدها عموم النعمة للخلق كافة كأنهم لايعدونها نعمة ألا تراهم لا يشكرون الهواء مثلا وهو من اعظم النعم ولايمكن التعيش بدونها ولو ساعة وهذا جهل عظيم حيث لا يعدون النعمة الدائمة نعمة ويعدون ماينقطع ساعة ثم يعود نعمة مع ان الدائم احق بالشكر من المنقطع احيانا وطريق معرفة النعمة فرض انقطاعها فحينئذ يظهر لاهل الغفلة حالها روى ان ابن السماك قال لبعض الخلفاء وفى يده ماء يشربه وقال عظنى، لو لم تعط هذه الشربة الابنصف ملكك فهل تبذله قال نعم قال وان لم تخرج من بدنك بعد شربها هل تترك نصفه الآخر قال نعم قال فلا تفرح بملك لايساوي شربة ماء ولا دفعها عن بدنك، وبهذا تبين ان شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الارض كله على ان كل احد يظن الله يخص من بين الناس بعقل لايشاركه فيه الناس ويظن انه على خلق كريم لا يشوبه العيب بخلاف سائر الناس وايضا يعتقد فيه علما امتاز به عن الناس ثم ان كان هذا الظن واقعا فى نفسه يلزمه الشكر لا محالة وان لم يكن واقعا الا ان الله تعالى ستر قبيحه عن الناس واظهر لهم الجميل من العقل والخلق والعلم فكذلك يلزمه الشكر، ثم نقول ان كل احد رزقه الله تعالى امورا لو اعطى ماخصص به غيره لكان لا يرضى به من صورته او شخصه او اخلاقه او صفاته او اهله او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه او عزه او جاهه او سائر محابه فاذا لله عليه نعمة ليست على

---

(١) كذا والمعروف - مطمع - احمد.

احد من عباده سواه فينبغي ان يشكرها وايضا من النعم ما فيه عموم ولكن لو تبدلت باضدادها لم يرض بها مثل ان جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لاجمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لامعيبا ، وايضا عدد المغبوطين عنده اقل من غيره بكثير فكيف لاينظر من هو من دونه حتى لايزدرى نعم الله كما انه ينظر الى من دونه فى الدين ويتعذر بكثرة الفساق مع ان دنياه لا تساوى دينه فعليك ان تتأمل كلام افصح من نطق بالضاد حيث قال صلى الله عليه وسلم - من اصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها سيما زمرة العلماء فان نعمة العلم اعظم النعم حتى ان بعضا منهم لوبدل نصف علمه بل عشر اعشار علمه بملك الارض من الشرق الى الغرب لأنف من ذلك وانكر على قائلها ولا تظنن ان المعرض عن الدنيا فى الم الصبر عنها فان ذلك ليس باكثر من الم الصبر عليها فان آلام الاغنياء اضعاف اضعاف الم الفقراء ولكن لايشعرون بسبب خدر حاصل فى طبيعتهم فاذا زال ذلك بالموت يشعرون ذلك لكن حين لاينفعهم العلم - ثم ان علاج القلوب الفاقدة للشكر فان كان بصيرا فعلاجه التأمل فيما ذكرناه من اصناف النعم وان كان غير ذلك فبالنظر الى من دونه وكان بعضهم يحضر كل يوم دار المرضى ليعرف نعمة الصحة ويحضر المقابر ليعرف قدر الحياة ويحضر موضع العقوبات ليعرف قدر العصمة من الجنايات ، ومما ينبغى ان يعالج به القلوب الغير الشاكرة ان تعرف ان النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد - قال عزوجل (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وفى الخبر ماعظمت نعمة الله على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال قال الفضيل عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر -

المطلب العاشر

فيما يشترك فيه الصبر والشكر

اعلم ان لله تعالى فى كل شيء نعمة يجب عليها الشكر وكذا فى كل شيء بلاء

اذا البلاء فقد النعمة ثم ان النعمة اما مطلقة وهى فى الآخرة سعادة العبد بالنزوله فى جوار الله وفى الدنيا الايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما - واما مقيدة وهى نعمة من وجه دون وجه كالفقر والخوف والمرض فانها نعمة دينا وبلاء فى الدنيا وكذا البلاء اما مطلق كالكفر والمعاصي واما مقيد كالفقر والمرض كما ذكر فالشكر للنعم واجب - واما الصبر فعلى البلاء المقيد واما البلاء المطلق فلايجوز الصبر عليه بل يجب ازالته مهما امكن وانما الصبر على الم ليس للعبد ازالته مثلا لو تألم بطول العطش حتى عظم الم لايصبر عليها بل يزيلها ان قدر - ثم ان النعمة يجوز أن تصير بلاء وبالعكس ولهذا يمكن ان يجتمع الصبر والشكر فى مادة واحدة مثلا الفقر نعمة فى حق من اذا استغنى وكثر ماله بطر وطغى مع انه بلاء ايضا فى نفسه فيشكر من حيث كونه نعمة ويصبر من حيث كونه بلاء - ثم ان المعرفة التى هى نعمة مطلقة يمكن ان تكون بلاء فى حق بعض الناس فتكون النعمة فى ضدها مثلا معرفة الانسان اجله بلاء ينغص عيشه ويطيل غمه فيكون جهله به نعمة وكذلك معرفة احوال قلوب الناس بلاء اذ لو رفع الستر لطال امله وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام بسبب اطلاعه على ما يضمره الخلق فيكون الجهل بها نعمة وكذلك جهله بالخصال المحمودة فى غيره نعمة اذ ربما يضطر الى ايذائه واهانته وفعل ذلك بعد المعرفة اثم عظيم - ومنها الجهل بالقيامة وليلة القدر وساعة الجمعة وبعض الكبائر لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد - وهذه وجوه نعم الله فى الجهل فكيف فى العلم - وان اخطرت ببالك ان جمع الصبر والشكر جمع بين الضدين اذ الاول يستلزم الفرح والثانى الشكر(١) وهما ضدان يجوز جمع الفرح والغم من وجهين اذ فى كل فقر ومرض وخوف وبلاء فى الدنيا امور خمسة يجب الفرح بها عند العاقل عدم كونها زائدا على ماوقع وعدم كونها فى الدين وتعجيل عقوبتك فى الدنيا فلاتعاقب فى الآخرة ثانيا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا فأصابته شدة اوبلاء فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا -

(١) كذا وفى الاحياء - والصبر على البلاء يستدعى الما والشكر يستدعى فرحا -

وايضا

وايضا هذه العقوبة كانت مكتوبة فى ام الكتاب فقد وقعت وانقضت وهذه ايضا نعمة وايضا ان ثوابها فى الآخرة اكثر من هذه العقوبة فى الدنيا ثم انك بعد ما سمعت فضل البلاء فاياك ان تجوز طلب البلاء لان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك وقال سلوا الله العافية فما اعطى عبد افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية البدن ـ ونظير ذلك فى الاحاديث والآثار اكثر من ان يحصى اما ما صدر من اهل المحبة من طلب البلاء فانما نشأ من فرط المحبة لأن من شرب من كأس المحبة سكر ومن سكر توسع فى الكلام ولو زايله سكره علم ان ما غلب عليه كانت حالة لا حقيقة لها وكلام العشاق يستلذ سماعه ولكن لا يعول عليه ويحكى ان فاختة قالت لزوجها ما الذى يمنعك عنى ولو اردت ان اقلب قصر سليمان ظهرا لبطن لفعلته لأجلك فسمعه سليمان وعاتبه فقال يانبى الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال ـ

المطلب الحادى عشر

قال بعضهم الصبر افضل من الشكر وقال بعضهم بالعكس وقال آخرون هما سيان وقال آخرون يختلف باختلاف الاحوال واعلم ان المفهوم من الاحاديث والاخبار والآثار فضيلة الصبر على الشكر لأن الصبر حال الفقر والشكر حال الغنى وفى ذلك مقنع للناس كافة الا ان اهل التحقيق منهم ربما يكشفون حقيقة الحال بتفصيل ذلك وهو أن العلوم الظاهرة تراد للاحوال والاحوال للاعمال واما العلوم الباطنة فانما تراد الاحوال لاجلها والاعمال لأجل الاحوال فافضل الكل معرفة الله تعالى وانما يتوسل اليها باحوال القلب فى تصفيته عن المكدرات ثم الاعمال اما ان تجلب ظلمة القلب وهى المعاصى اوصفاءها وهى الطاعات ثم ان المعاصى والطاعات متفاوتة ومختلفة بحسب اختلاف الاحوال مثلا من غلبه الشح فليس له صوم النافلة بل اخراج درهم واحد له افضل من صوم النافلة وكذا من غلبه شهوة البطن فله الصوم دون اخراج المال ، واما ما ورد فى الشرع من فضل الصدقة

على الاطلاق وفضل الصوم على الاطلاق فذلك لأنه لو قيل الصدقة لمن ابتلى بمرض الشح والصوم لمن ابتلى بمرض الشهوة البطنية او الفرجية لربما قالت النفس ليس فيّ هذا المرض لان شأن النفس انكار امراضها فيترك معالجتها فتهلك ، انظر الى رحمة الشارع على العباد وحذاقتها (١) في معالجة امراض قلوبهم ثم ان الصبر والشكر قد يجتمعان في محل واحد كما بيناه فهنالك لا يتصور فضيلة احدهما على الآخر واما اذا تغاير محلهما فان كانت النعمة ضرورية كالعينين مثلا فمن فقدهما فصبره بان لا يظهر الشكوى ويضمر الرضا بقضاء الله تعالى - والبصير اما ان يستعملهما في طاعة الله تعالى فقد شكر وصبر ايضا على الطاعة وكذا ان كفهما عن الحرام فقد شكر (وصبر) ايضا عن الحرام ولا يخفى ان الاعمى فيه فضيلة الصبر فقط وفي البصير المتقي عن الحرام او المستعمل في الطاعة فضيلة الصبر والشكر معا فالبصير المذكور افضل من الاعمى المذكور والاعمى المذكور افضل من البصير الغير الغاض بصره عن الحرام، وان كانت النعمة غير ضرورية ولم تكن فاضلة على الحاجة ففي الصبر عن الزيادة مجاهدة وهذا الصبر اتم واقوى من صبر الغني على الاقتصار على المباح ويمسك ماله على الفقراء ، واما الغني الذي يصرف ماله الى الخيرات ولا يستعملها في المعصية ففيه الشكر والصبر ولا يخفى ان مجموع الامرين افضل من احدهما وان كان صبر الفقر افضل من جهة صبر هذا الغني ايضا وبالجملة الفقير الصابر افضل من الغني الصابر فقط ومن الغني الشاكر فقط وان كان الغني الصابر الشاكر افضل من الفقير الصابر فقط وما قيل الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر فذلك لعدم انفكاك الشكر عن الصبر وما ورد في الاخبار من فضيلة الصبر على الشكر فانما فضيلته على الشكر بحسب متفاهم عرف العامة وهو أن النعمة عندهم المال فقط والمتبادر من الشكر عندهم قولهم الحمد لله الشكر لله الا ان التفصيل الكاشف للشبهة هو ما ذكرناه والله اعلم -

الأصل الثالث

في الرجاء والخوف وفيه مطالب

(١) كذا -

المطلب الاول

فى حقيقة الرجاء

واعلم ان كل ما يلاقيك من مكروه او محبوب اما موجود فى الحال او فى الماضى او فى الاستقبال فاذا خطر ببالك الاول سمى ذكرا واذا خطر الثانى يسمى وجدا او ذوقا او ادراكا وانما سمى وجدا لوجودها فى نفسه ـ واذا خطر الثالث وغلب على قلبك يسمى انتظارا او توقعا ثم ان كان المنتظر مكروها حصل منه الم يسمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل منه شوق يسمى رجاء ان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه وغرورا ان كان مع انخرام اسبابه واضطرابها وان لم يعلم وجود اسبابها (١) وانتفائها يسمى تمنيا ـ فاسم الرجاء والخوف لا يطلق الا على ما يتردد فيه اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس واخاف غروبها بل ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه ـ اذا عرفت هذا فاعلم ان انتظار المغفرة انما سمى رجاء اذا تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد من بث بذر الايمان وسقيه بماء الطاعات وتطهير القلب من شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى الثبات عليه الى الموت وحسن الخاتمة عند الموت ان كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا فى نفسه وان خالف ما ذكر من الشرائط ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور ـ

المطلب الثانى

فى فضيلة الرجاء ـ قال الله تعالى (لا تقنطوا من رحمة الله) وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل، انا عند ظن عبدى بى فليظن ماشاء، وقال، لايموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله، وغير ذلك من الآيات والاخبار والآثار ـ واعلم ان الرجل اما ان يغلب عليه اليأس فترك العبادة او غلب عليه الخوف فأسرف فى المواظبة على العبادة حتى اضر نفسه فهما مائلان الى طرفى الافراط والتفريط فيحتاجان الى دواء ـ واما العاصى المغرور المتمنى على الله مع الاعراض عن العبادة فأدوية الرجاء فى حقه سموم مهلكة بل لا يبرئه من مرضه الا ادوية الخوف ـ فمن كان

---

(١) كذا ـ

واعظا ينبغي ان يراعي الامراض المذكورة ويدبر علاجها بحسب الامراض والا يؤدي الى الاهلاك وعليه ان يقتدي كتاب الله وسنة رسوله حيث اشتملا على الرجاء والخوف جميعا - وبالجملة الجمع بينهما هو الوسط وهو الجادة فمن مال عنها يرد الى الجادة لا الى الطرف الآخر - ثم ان طريق العلاج اما استقراء الآيات والاخبار وذلك معلوم عند المسلمين كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق، ان رحمتي تغلب غضبي - وفى الحديث، لولم تذنبوا لخلق الله تعالى خلقا يذنبون فيغفر لهم ، وفى الخبر ، ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ماخطر قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه ونحو ذلك من الاخبار والآثار - واما اعتبار العقل وذلك ان من اعد للانسان كل ماهو ضروري له فى دوام وجوده كآلات الغذاء وماهو محتاج اليه كالاظفار والاصابع وماهو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف الوان العينين ونحو ذلك مما لاينثلم بفقده غرض مقصود وانما يفوت به مزيد جمال فما ظنك باعداد ماهو أهم الامور عنده وغاية الغايات وأصل كل السعادات اعني سعادة الآخرة فالعناية الالهية اذا لم ترض لعباده بفوات امثال هذه فكيف ترضى بسياقتهم الى الهلاك المؤبد واذا كان حال اكثر الخلق فى الدنيا الغالب عليها الخير والسلامة فسنة الله لاتجدلها تبديلا فالغالب ان امر الآخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم - وايضا من نظر فى حكمة الشريعة ووجه الرحمة بها على العباد حتى انزل آية طويلة لبيان المداينة ليهتدى بها الى حفظ دينه فمن هداهم طريق حفظ دينهم فكيف لا يحفظ لهم طريق دينهم الذي لاعوض لهم منه -

المطلب الثالث

فى الخوف

وقد عرفت حقيقته وهي تألم القلب بسبب توقع مكروه فى الاستقبال فالخوف من الله تارة يكون بمعرفة الله ومعرفة صفاته وانه لواهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه

مانع

مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد وتارة يكون بهما جميعا فأخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه وكذلك قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله وقال الله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) ثم اذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثره على البدن والجوارح والصفات - اما فى البدن فالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنفتق به المرارة فيفضى الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط واليأس - واما فى الجوارح فيكفها عن المعاصى ويقيدها بالطاعات - واما فى الصفات فيقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصى المحبوبة عنده مكروهة وتتأدب الجوارح ويحصل فى القلب الذل والخشوع ويفارقه الكبر والحسد والحقد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر فى خطر عاقبته ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس فى الخطرات والخطوات والكلمات وهذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين - واقل درجات الخوف مما يظهر اثره فى الاعمال ان يمنع من المحظورات ويسمى ورعا فان زادت قوته حتى كف عما لا يتيقن حرمته يسمى تقوى وهو ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يزاد عليه فيترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس فهو الصدق فى التقوى فاذا انضم اليه التجرد فى الخدمة بان لا يصرف الى غير الله من المأكل والملبس نفسا من انفاسه بان لا يلتفت الى غير الله اصلا فهو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقا والصديق يتضمن التقوى والورع والعفة - ثم ان الخوف ليس كلما كان اقوى كان احمد قدر ما يسوق العبد الى العلم والعمل - واما ما خرج الى حد اليأس فيسمى القنوط لا الخوف وقد يخرج الى المرض والضعف والوله والدهشة وزوال العقل بل الموت وكل ذلك مذموم - وايضا الخوف القاصر الذي يعقبه الغفلة قليل الجدوى ضعيف النفع كمن يسمع آية ويخاف منها ويرق رقة النساء ثم يعود الى الغفلة ومثل ذلك يسمى حديث النفس دون الخوف فان قلت من مات من الخوف يكون شهيدا فكيف يذم قلت محمودية الشهادة بالاضافة الى ان لو مات

بلا شهادة واما بالاضافة الى ما لو عمر ووصل بواسطة الخوف المحمود درجات الولاية فكلا بل له فى كل لحظة رتبة شهيد وشهداء - ثم الخوف اما من المكروه لذاته كنفس النار اولغيره كالموت قبل التوبة اوخوف نقض التوبة وزوال الرقة من القلب اوخوف ان يكله الله الى حسناته اوخوف الاستدراج بتواتر النعم اوخوف الخاتمة وان كان حال العارفين خوف السابقة لان الخاتمة تبع لها وهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد منها طريق الحذر - وايضا الخوف اما من المعصية وهذا خوف الصالحين اومن الله تعالى وهذا خوف الموحدين والصديقين لان هذا الخوف لا يزول عند الطاعة ايضا لان من عرف ان الطاعة والمعصية كلاهما بقضاء الله وقدره وانه تعالى خالق هؤلاء للجنة ولايبالى وخالق هؤلاء للنار ولايبالي وهو الذي خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة للطيع والعاصى ولم يعرف ما الذى اوجب تخصيص هذا بارادة الطاعات وتخصيص ذاك بتسليط دواعي المعصية عليه ولم يعرف كيفية احالة ذلك على العبد فاذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلى من غير جناية ولاوسيلة فالخوف ممن يقضي بما شاء ويحكم مايريد جزم على كل حال ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لايجوز افشاؤه - ثم ان الخوائف(١) من نفس المكروه من احوال الموت والقبر واهوال المطلع والحشر والوقوف بين يدي الله والخوف من السؤال والصراط والميزان والخوف من الحرمان عن الجنان ونحو ذلك وهذا خوف العابدين والزاهدين واعلى ما ذكر من المخاوف هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين -

المطلب الرابع

اعلم ان فضيلة الخوف ثابتة بالنقل والعقل اما النقل فمن حيث انه تعالى جمع للخائفين مجامع مقامات اهل الجنان الهدى والرحمة والعلم والرضوان، قال عزوجل (هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) وقال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) فوصفهم بالعلم لخشيتهم وقال عزوجل (رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى

(١) كذا -

ربه) وروى ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم برواية الفضيل وقيل هو موقوف على الفضيل ؟ من خاف الله خافه كل شيء ومن خاف غير الله خاف من كل شيء ، واما العقل فلأن فضيلة الشيء بقدر اعانته فى الافضاء الى سعادة لقاء الله عز وجل ولا شيء انفع فى الوصول الى هذه السعادة الا بمحبته تعالى والانس به فى الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل هى الا بدوام الفكر وايضا حصول الانس بالمحبة ودوام الذكر ولا يمكن المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوات بشيء كما تنقمع بنار الخوف فاذا هو أصل لاسباب السعادة وايضا كل ما ورد فى مذمة الأمن فهو فضيلة الخوف واعلم ان الناس اختلفوا فى ان الافضل غلبة الخوف او غلبة الرجاء اومساواتهما ؟ والجواب الحق فيه ان الخوف والرجاء دواء وفضل الدواء بحسب الداء الموجود فان كان الغالب داء الأمن فالخوف افضل فى حقه وان كان الغالب هو اليأس فالرجاء افضل ، وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل واما العبد التقى الذى ترك ظاهر الاثم وباطنه خفيه وجليه فالاصلح له ان يعتدل خوفه ورجاؤه ويمكن ان يقال الخوف افضل مطلقا لكن بتأويل ان مرض المعصية والاغترار فى ... (١) غلب فى الناس واما ان نظر الى ان مطلع الخوف بحر الغضب ومطلع الرجاء بحر الرحمة يقال الرجاء افضل لأن من نظر الى صفات الرحمة واللطف يعقبه المحبة التى هى منتهى المقامات ولا كذلك النظر الى صفات القهر والغضب ولكن لا تتوهم من ذلك ان الافضل غلبة الرجاء للعبد إذ لا يلزم من فضل الرجاء فى نفسه فضيلته للعباد المبتلين بالامراض بل اللائق بهم الخوف لئلا يقعوا فى الغرور فيهلكوا اذ الرجاء للعصاة غرور واما الصالحون وان كان ظاهر حالهم الرجاء لكن دقائق الصفات الذميمة الدفينة فى القلب وجهالة حال العاقبة يعارض ظاهر احوالهم فيتساوى لهم الخوف والرجاء فالخوف غالب للعصاة والخوف والرجاء متساويان للصالحين ولا يمكن غلبة الرجاء بحال

---

(١) بياض ـ

اصلا الا عند الموت اذ لاحاجة له الى سوط يبعثه على العمل لانقطاع احتمال العمل عنه وايضا لايطيق اسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته فاذا يضره دواء الخوف بل الدواء له الرجاء فانه يقوى قلبه ويحبب اليه ربه ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه لأن غاية السعادة ان يموت العبد وهو محب لله تعالى ـ

المطلب الخامس

فى دواء يستجلب الخوف

واعلم ان اول مقامات الدين اليقين وهذا يهيج خوف النار ورجاء الجنة وهما يقويان على الصبر فان الجنة حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ثم يؤدى الصبر المستفاد من الخوف والرجاء الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر فيه على الدوام ويؤدى دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة ويؤدى كمال المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات ثم ان الخوف يحصل بطريقين اضعفها الخوف من النار ورجاء الجنة بالايمان التقليدى ولا يدرى وجه الخوف والرجاء واعلاها ان يخاف البعد والحجاب عن الله عزوجل ويرجوا القرب منه وهذا الخوف هو خوف العلماء وارباب القلوب ـ وقد تقدم كيفية الخوف من الله تعالى بان الله سبحانه خلق للعذاب اسبابا وللثواب اسبابا وخلق لكل اهلا يسوقهم القدر المتفرع عن القضاء الجزم الالهى الى ماخلقوا له وسخروا لأسبابها شاؤا ام ابوا فهذه مخاوف العارفين بسر القدر وكان خوف نبينا صلى الله عليه وسلم اكثر من غيره وهو سيد الاولين والآخرين ـ وايضا حكايات الصحابة فى باب الخوف مذكورة فى كتب المناقب حتى ان بعضا منهم صاح صيحة ومرض عدة وبعضا منهم شهق شهقة حتى مات ثم ان اكثر خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببه امور مقدمة منها البدع ومنها المعاصى ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن جملة ذلك وان ظن انه قد خلا عن ذلك فهو نفاق اذ قيل من امن النفاق

فهو منافق ـ اما سوء الخاتمة فلها رتبتان احدهما وهى الاصل وهو اعظمها ان يغلب على القلب عند سكرات الموت اما الشك واما الجحود فتقبض الروح فى تلك الحال فيكون حجابا بينه وبين الله ابدا وذلك يقتضى البعد الدائم والعذاب المخلد وثانيها ان يغلب عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها ويستغرق قلبه ولا يبقى متسع لغيره فيتفق قبض روحه فى تلك الحالة فيكون قلبه به منكسا رأسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها فيحصل له الحجاب فينزل عليه العذاب اذ لا يمكن اكتساب صفة اخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف فى القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فلا مطمع فى عمل ولا فى رجوع الى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله اذا كان قد رسخ فى القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التى عرضت له عند الموت فان كان ايمانه قويا يخرجه من النار فى زمان اقرب وان كان اقل من ذلك طال مكثه وان كان مثقال حبة فلابد أن يخرجه ولو بعد آلاف سنين ثم ان هذا العذاب لا يؤخر الى الحشر بل يعذب فى القبر بما هو مذكور فى الاخبار ثم فى الحشر وعند السؤال وعند الصراط الى غير ذلك ـ واما محل الايمان فهو الروح لا يفنى فيعاد اليه الاجزاء الاصلية للبدن ثم يحشر ويعذب الى ان يغلب حكم الايمان ـ ثم انهم حصروا اسباب سوء الخاتمة فى نوعين احدهما الختم على الشك والجحود وان كانت اعماله صالحة وذلك نوعان احدهما اما بأن يعتقد بدعة اما بعقله القاصر واما بتقليد مبتدع فاذا وقع سكرات الموت بدا له بطلان اعتقاده وربما ظن ان جميع عقائده باطلة او مشكوك فيها فان ختم قبل ان يتثبت ويعود الى اصل الايمان ختم بالسوء العياذ بالله ـ ولهذا منع السلف من البحث والنظر فى علم الكلام والبله بمعزل عن هذا الخطر ولهذا قيل ان اكثر اهل الجنة البله لان البحث عن الصفات عظيم وعقباتها كؤدة ومسالكها وعرة والعقول عن درك جلال الله متحيرة ـ وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة سيما فى هذا الزمان

قد استرخى العنان وفشا الهذيان واكتفى كل احد بظن وحسبان ويعتقد أن ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان ويظن ان ما قنع به من حدس وتخمين هو علم اليقين ولتعلمن نبأه بعد حين - وينبغي ان ينشد فى هؤلاء عند كشف الغطاء قول الشاعر -

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى واغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وثانيهما ضعف الايمان فى الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب اذ يورث ذلك الانهماك فى الشهوات حتى يظلم القلب ويسود ويقسو ولا يزال يطفى نور الايمان حتى يصير طبعا ودينا فاذاجاء الموت واستشعر فراق الدنيا وهى المحبوب الاغلب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ماقدر عليه من الموت وكراهته من حيث انه من الله فيخشى ان يثور من باطنه بغض الله بدل الحب فان اتفق زهوق روحه فى تلك اللحظة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا فالسبب فى ذلك حب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة وهو الداء العضال الذى عم أصناف الخلق من الجهال -

النوع الثانى

من انواع سوء الخاتمة التى هى دون الاول وليست مقتضية للخلود فى النار فلها ايضا سببان احدهما كثرة المعاصى وان قوى الايمان والآخر ضعف الايمان وان قلت المعاصى وذلك لأن القلب الى مألوفه اميل فان كان مألوفه المعاصى يتقيد بذلك ويصير محجوبا عن الله تعالى وهذا الميل يتفاوت بقلة المعاصى وكثرتها وبتواتر المعاصى ساعة فساعة وبفصلها بزمان كثير - وقد ظهر لك بهذا ان الأمن من سوء الخاتمة بان يرى الاشياء كما هى عليه من غير جهل ويربى جميع العمر فى طاعة الله من غير معصية ومع ذلك فاعمال العمر كلها ضائعة ان لم تسلم فى النفس الأخير الذى عليه خروج الروح فان سلامته مع اضطراب امواج الخواطر مشكل جدا فاشتغل بالاستعداد لذلك وواظب على ذكر الله وأخرج من قلبك

حب

حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز من مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها جهدك واياك ان تسوف وتقول سأستعد له اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس خاتمتك يمكن ان تختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل تطريفة واذا نمت فاياك ان تنام الاعلى طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الابعد غلبة ذكر الله على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم انه لايغلب على قلبك عند النوم الا ما كان غالبا قبله ولا يغلب في النوم الا ما كان غالبا عنده فالموت والبعث شبه النوم واليقظة ولايموت المرء الاعلى ما عاش عليه ولايحشر الاعلى ما مات عليه فاياك ان تغفل عن الله طرفة عين وانت اذا لم تغفل عنه ساعة ففي خطر عظيم فكيف اذا غفلت عنه يوما اواياما ولايمكن ذلك الابان تكتفي من الدنيا بقدر الضرورة وتترك الفضول من المآكل والملابس والمساكن نسأل الله ان يتوب علينا ويختم لنا بالخير ويقينا سوء الخاتمة انه كريم رحيم -

الاصل الرابع

في الفقر والزهد وفيه مطالب

المطلب الاول

في حقيقة الفقر

اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه واما فقد ما لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه مقدورا عليه موجودا لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج اليه في دوام الوجود في ثاني الحال (والله الغني وانتم الفقراء) الا ان المبحوث عنه في هذا الباب هو الفقر في المال - واعلم ان فاقد المال له خمسة احوال احدها الزهد وهو أن يتأذى بوجود المال ويهرب من اخذه يبغضه ويتحرز من شغله وثانيها الرضاء لا يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى به ولكن يزيد فيه لواتاه وثالثها

القناعة وهي ان لا ينهض لطلبه وان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به - ورابعها الحرص وهو ان يرغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه لطلبه ولو بالتعب خامسها الاضطرار وهو ان يكون مضطرا الى ما فقده من المال كالجائع الفاقد للخبز وقلما ينفك هذا عن الرغبة اما الضعيفة او القوية - واعلى هذه الدرجات الزهد سيما اذا انضم اليه الاضطرار فهو اقصى الدرجات ووراء هذه الدرجات مرتبة اعلى من جميعها ويخص باسم المستغنى وهو الغنى عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده فانه ليس يتأذى به ليحتاج الى اخراجه وليس يفرح به ليحتاج الى بقائه وليس فاقدا له ليحتاج الى الدخول في يده فهو الى الغنى الذى هو وصف الله تعالى اقرب ولانسميه غنيا بل مستغنيا اذ الغنى المطلق هو الغنى عن كل شيء وهو يختص بالله سبحانه وتعالى واما هذا العبد فانما يستغنى عن المال وجودا وعدما ، لاعن اشياء اخر سيما توفيق الله الذى زين هذا في قلبه وهكذا كانت حال عائشة رضى الله عنها اذ أتاها مائة الف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها في يومها فقالت لها خادمتها لو اشتريت لنا لحما بدرهم فقالت لو ذكرتنى لفعلت - فمن هذا حاله لو كانت الدنيا في يده وخزانته لم تضره اذهو يرى الاموال في خزائن الله لافي يدنفسه فلا يفرق بين ان يكون في يدنفسه او في يدغيره الا انه ينبغى ان لاينظر الى الدنيا اصلا لابنظر المحبة وذلك ظاهر اذلايجتمع في القلب محبتان ولابنظر البغض لأن ذلك ايضا التفات عن المحبوب الى غيره بل الكمال ان لايلتفت الى غيره بغضا وحبا فانه كمالا يجتمع حبان في قلب واحد كذلك لايجتمع حب وبغض اذ المشغول ببغض الدنيا غافل عن الله تعالى كالمشغول بحبها وانما الفرق ان الغافل بحبها سالك طريق البعد والغافل ببغضها سالك طريق القرب اذ يمكن ان يتوسل بذلك الى ان تتبدل هذه الغفلة بالشهود وانما الكمال في امر المال ان يستوى عندك الماء والمال اذلايؤذيك كثرة الماء في جوارك بان تكون على شاطئ البحر ولاقلته الا في قدر الضرورة مع ان المال محتاج اليه كالماء فلايكن قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء وتبغض الماء الكثير بل تقول

أشرب

أشرب منه بقدر حاجتى وأسقى منه عباد الله بقدر حاجتهم ولا ابخل به على احد - واذا عرفت الله عز وجل ووثقت بتدبيره الذى دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك من الخبز يأتيك لامحالة ما دمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء وانت لاتضطرب للماء فلاى شيء تضطرب للقوت مع ان المدبر فى كليهما واحد - ثم انك لعلك تقول ان مذمة الدنيا فى الآيات والاخبار توجب البغض والفرار لمن يخاف عليه ان يخدعه المال ويدعوه الى الشهوات كما هو حال الضعفاء وهم الاكثرون والا فالاقوياء لا يلزمهم الفرار ولا يجب عليهم البغض فمن يكون اقوى من النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فأخذوها ووضعوها فى مواضعها وما هربوا منها ولم يكن عندهم حبها ولا الاشتغال ببغضها وانما استوى عندهم الماء والمال والذهب والحجر وما نقل من الفرار عن الاقوياء فانما ذلك لئلا يقتدى فى الاخذ الضعفاء فيهلكوا - فظهر مما سبق ان المراتب ست وان اعلاها المستغنى ثم الزاهد ثم الراضى ثم القانع ثم الحريص - واما المضطر فيتصور فى حقه ايضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته مختلفة باختلاف هذه الاحوال -

المطلب الثانى

فى فضيلة الفقر

اما بالآيات والاخبار فاكثر من ان يحصى - واما فضيلته على الغنى مطلقا فقد لايستريب فى ذلك احد ممن قرأ الاخبار والآثار لكن لابد فيه من تفصيل وهو ان الشك ههنا فى مقامين احدهما فقير صابر قانع وغنى منفق ماله فى الخيرات ليس حريصا على امساك ماله - واما الغنى المتمتع بالمباحات فلا يتصور أن يفضل على الفقير القانع اصلا - ثم الناس اختلفوا وقال بعضهم ان الغنى افضل لأنهما متساويان فى ضعف الحرص ويفضل الغنى بالخيرات - وقال آخرون الفقير افضل لأنهم لاينفكون فى القدرة على المال عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة فى بذلها والعبد بقدر استئناسه بصفة من صفاتها سوى صفة المعرفة بالله ينتهى حتى

من الله ومن حبه ، مهما انقطعت اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها الى محبة الله تعالى اذ لا يتصور قلب فارغ وليس فى الوجود الا الله عزوجل وغيره فيكون اقبال القلب الى احدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من احدهما بحسب بعده عن الآخر - فاذا المانع عن محبة الله تعالى هو محبة الدنيا والمحبة قد تكون مع وجودها كما فى محبة الغنى الدنيا وقد تكون مع فقدها كما فى محبة الفقير الدنيا فاذا الفقر قد يكون من الشواغل اذ قد يطلبها ويشتغل بطلبها كما ان الغنى من الشواغل لأجل طلبها - فاذا ان فرضت فارغين عن حب المال احدهما فاقد والآخر واجد فهما متساويان اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة الا ان هذا المفروض نادر فى الوجود - وانما الاكثر افتتان الفقر بالضراء والغنى بالسراء - فقد ذكر المحققون ان الفقر ابعد عن الخطر اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء وقالوا ان من العصمة ان لا يقدر ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك الفاذ النادر زجر عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه - فاذا عرفت ان الفضل بينهما بحسب تعلق القلب بالمال وعدمه حتى ان تساويا فيه تساوت درجتهما - فاعلم ان ههنا منزلة قدم وموضع غرور وهو أن الغنى ربما يظن انه منقطع القلب عن حب المال ويكون حبه دفينا فى باطنه وهو لا يشعر به فليجرب نفسه بتفريقه اواذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا وهذا حال كل الاغنياء سوى الانبياء والاولياء فظهر منه ان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل ولهذا ورد فضل الفقر فى الاخبار والآثار وكلمات المشايخ -

المقام الثانى فى نسبة الفقير الحريص الى الغنى الحريص فان كان مطلوبهما قدر الحاجة فى ان يستعين بذلك على طريق الدين فالواجد افضل لان الفقد يشغله بالطلب وان كان مطلوبهما فوق الحاجة اوكان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على طريق الدين فحالة الفقر افضل واصلح لأنهما وان استويا فى الحرص وحب المال وفى عدم الاستعانة على الدين وفى عدم التعرض للمعاصى بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا فى ان الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه فى قلبه

ويطمئن

ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده مثل السجن الذى ينبغي الخلاص منه وانس الواجد اكثر من انس الفاقد وان كان حريصا فاذا الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا لمثل عائشة رضي الله عنها حيث استوى عندها الغنى والعدم والا للفقير عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد أن يكون كفرا ـ

المطلب الثالث

فى آداب الفقير فى فقره

أما باطنا فأن لا يكره الفقر من حيث انه فعل الله وان كان يكره الفقر كمن يكره الحجامة ويتقلد على الحجام منة على فعلة وارفع من هذا ان لا يكره الفقر ايضا وارفع منه ان يطلبه ويفرح به لعلمه بغوائل الغنى ويتوكل فى باطنه على الله واثقا فى قدر ضرورته وأنه يأتيه لا محالة ويكره الزيادة على الكفاف ، وأما ظاهرا فأن يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر أنه يستره ـ قال تعالى (يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف) وأن لا يتواضع لغنى لغناه بل يتكبر عليه ولا يخالط الاغنياء ولا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا فى العطاء وأن لا يفتر بسبب فقره عن عبادته ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وهو افضل من صدقة عن ظهر غنى وأن لا يدخر ما لا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقى ، وفى الادخار ثلاث درجات درجة الصديقين ان لا يدخر الا ليومه وليلته ودرجة المتقين وهى ان يدخر لاربعين يوما وما زاد عليه داخل فى طول الامل وقد فهموا ذلك من ميعاد موسى عليه السلام حيث فهموا الرخصة فى امل اصل الحياة اربعين يوما ، ودرجة الصالحين وهو أن يدخر لسنة ومن زاد فى الادخار على السنة فهو واقع فى غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية ، واما آدابه فى قبول المال بغير سؤال فاما فى نفس المال فينبغي ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات واما فى المعطى فان كان غرضه تطييب قلبه وهى الهدية اوطلب الثواب وهى الصدقة او الزكاة اوالذكر والرئاء والسمعة ، اما مجردا اوممزوجا ببقية

الأغراض ، اما الهدية فلابأس بقبولها فان ذلك سنة الا ان يكون فيها اوفى بعضها منة فيترك ذلك اوقدر مافيه منة ، واما الثواب فان كان زكاة فلينظر أنه مستحق لذلك ام لا وفيه شبهة وقد مراحكامه فى كتاب الزكاة وان كان صدقة ويعطيها المتصدق لدينه فلينظر أن فيه امرخفى لوعلمه المتصدق لنفر عنه فهذ احرام اخذه ، واما الرئاء والسمعة فينبغى ان يرده عليه - واما آدابه فى الاخذ فبأن ينظر أنه محتاج اليه فالافضل له الاخذ ان سلم من الآفات المذكورة فى المعطى اوزائد على قدرحاجته فان كان الآخذ مشتغلا بنفسه فلاوجه لأخذه وامساكه ان كان طالبا لطريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى ، ثم هوإما ان يأخذ علانية ويرد سرا وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لايطيق الامن اطمانت نفسه بالرياضة وإما ان يترك ولا يأخذ لصرفه صاحبه الى من هوا حق منه ويأخذ ويوصله الى من هواحوج منه ثم هوإما ان يفعل كلاهما (١) فى السرا وفى العلانية وقدذكرنا الافضل من هذه الاقسام فى كتاب اسرار الزكاة ، فالامتناع عن القبول هوالزهد واخذه وصرفه الى محتاج هوغاية الزهد ولايقدر عليه الا الصديقون ، واما ان تعهدت جماعة من الفقراء فخذ مازاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء وبادربه الى الصرف اليهم ولاتمسكه ولو ليلة واحدة اذ ربماتستحليه فتمسكه ازمانا كثيرة الى ان تؤدى الى فتنة عظيمة ، وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة وتوسلوا بها الى التنعم فى المطاعم والمشارب وذلك هوالهلاك ويجوز لهم الاستقراض للفقراء طلبا للثواب لكن لا على اعتماد اموال السلاطين الظلمة بل على حسن الظن بالله تعالى فان مات قبل القضاء قضى عنه وارضى غرماءه ولكن بشرط ان يكشف حاله عند المقرض لئلايغره ويخدعه بالمواعيد ودين مثل هذا الرجل يجب ان يقضى من بيت المال اومن الزكوات -

المطلب الرابع

فى تحريم السؤال من غير ضرورة

وقد وردت الاخبار فى تحريمه وجوازه والتوفيق بينهما انه حرام فى الاصل

(١) كذا

مباح

مباح للضرورة او لأمر قريب منها ـ اما حرمته فلامور ، اظهار الشكوى من الله تعالى بالسؤال لأنه اظهار لقصور نعمة الله تعالى عنه وايضا هو اذلال النفس لغير الله وليس للمؤمن ان يذل نفسه وذلك فى الذلة لغير مولاه واما هى فعزة حقيقة وايضا فيه ايذاء المسؤل غالبا وهو حرام اذ ربما لا تسمح نفسه بما يبذله عن طيبة قلب وان بذله رئاء او حياء فأخذه حرام عليه واما وجه اباحته اما اضطرار كسؤال الجائع الخائف عن الموت اوالمرض وسؤال العارى وليس معه ما يوارى بدنه واما احتياجه حاجة مهمة لا تبلغ حد الاضطرار كمن له جبة لكنه يتأذى بالبرد وكمن يريد الكراء وهو قادر على المشى لكن بتعب وهذا المحتاج يحل له السؤال ايضا ولا يكره واما الحاجة الخفيفة كمن يريد ثوبا على ثيابه يريد ستر خروقها عن أعين الناس وكمن يسأل الرجل الادم وله خبز وكمن يكترى الفرس وهو واجد كراء حمار وهذه ان اظهر حاجة غير هذه فهو حرام والا فالسؤال مباح مع الكراهة بشرط ان لا يصحبه المحذورات الثلاث من الشكوى او الذل او الايذاء وان صحبه هذه الامور فيحرم لأن المصلحة المذكورة لا يباح بها هذه المحذورات فان قلت هل يمكن الخلو عن هـذه المحذورات؟ قلت يمكن اما عن الشكوى بان يظهر الشكر لله ويقول انا مستغن حقيقة لكن رعونة النفس تطالبنى بثوب فوق ثيابى هذه وهو فضلة عن الحاجة واما الذل فبأن يسأل قريبه او صديقه او كريما يفرح بمثل هذا ويتقلد منة لقبوله واما الايذاء فبأن يلقى الكلام عرضا او يسأل من لا يستحيى فان الحياء مما يؤذى حتى ان علم انه اعطاه لاجل الحياء فذلك المال حرام بل بمنزلة الاخذ بالضرب لأن سوء الباطن الحياء وخوف الملام وهذا اشد نكاية من ضرب الظاهر بالسياط ورضا الظاهر وان كان عذرا فى القضاء لعدم امكان الاطلاع على البواطن واما الذى يكون القلوب عنده كالالسنة وهو احكم الحاكمين فلا يفيد الظاهر عنده شيئا ويجب رده على صاحبه عنده فلا تنظر فى مثل هذا الا الى قلبك وان افتوك وافتوك ولكن(١) حال القلب خفيا تورع عن السؤال المتقون الا اذا بلغ حدا يحل فيه الخنزير والميتة ـ ومنهم من يثق

---

(١) كذا ولعله ـ ولما كان ـ ح ـ.

ببصيرته فى الاطلاع على قرائن الاحوال فيأخذون من بعض دون بعض ومنهم من لا يأخذ الامن اصدقائه اوعندبلوغ الحال حدالاضطرار وبالجملة الاخذ بالرضا بأن يعلم ان المسؤل لوعلم لابتدأ بالعطاء فلا يكون منك الا اعلام حاجتك فهو حلال والأخذ بالحياء حرام وبينهما امور مشتبهات فاستفت فيها قلبك واعلم ان مقدار الغنى المحرم للسؤال يتوقف على تفصيل وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال لاحق لابن آدم الا فى ثلاث طعام يقيم به صلبه وثوب يوارى عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب هذه اجناسها ـ واما اقدارها فالثوب مثلا يراعى فيه ما يليق بذوى الدين وهو ثوب واحد قميص ومنديل وسراويل ومداس وكذا اثاث البيت لايطلب كون الاوانى من النحاس والصفر فيما يكفى فيه الخزف فيقتصر العدد على واحد ومن النوع على اخس اجناسه مالم يكن فى غاية البعد عن العادة واما الطعام فقدره فى اليوم مدوهو ماقدره الشرع ونوعه مايقتات ولو الشعير والادم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية اضرار وفى طلبه فى بعض الاحوال رخصة واما المسكن فأقله ما يجزى من حيث المقدار وذلك من غير زينة ثم هذه الامور مما يحتاج اليه حقيقة ثم الحاجة اليها اما فى الحال من طعام يوم وليلة او ثوب يلبسه اومأوى يكنه فلاشك فى حل السؤال له ـ واما فى المستقبل فثلاث درجات اما مايحتاج اليه فى غداوبعد اربعين يوما اوخمسين اوبعد سنة فالسائل الذى له ولعياله قوت سنة فسؤاله حرام لان ذلك غاية الغنى واما مادون السنة فلايحل له السؤال ان كان غنيا فى الحال الا ان يخاف فوت الفرصة فى الاستقبال بأن لايجد من يعطيه اذا اخر لأن البقاء سنة ممكن عادة وان كان خوف العجز فى المستقبل ضعيفا وكان مالاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهة وبالحقيقة جانب ترك السؤال اعلى لأن السؤال من ضعف اليقين والاصغاء الى تخويف الشيطان وحال من يسأل الحاجة وراء يومه وحال من ملك مالاموروثا وادخره لحاجة وراء السنة سيآن فى كونهما حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وان كانا مباحين فى الفتوى الظاهرة والله اعلم ـ

المطلب

المطلب الخامس

فى حقيقة الزهد وفضيلته

وهو انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا ، فلابد فى الزهد من مرغوب عنه ومرغوب فيه ويشترط ان يكون المرغوب عنه مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فتارك التراب والحجر مثلا لايسمى زاهدا ويشرط ان يكون المرغوب فيه خيرا من المرغوب عنه عنده فالمشترى خير من المبيع عنده فكل من باع الدنيا بالآخرة وبالعكس فهو زاهد فى وضع اللسان الا ان العرف جرى بتخصيصه بالاول والذى يرغب عن كل ما سوى الله فهو زاهد مطلق والذى يرغب عن الدنيا بل طمع فى الحور والقصور فهو زاهد ايضا ولكنه دون الاول والذى يترك بعضا من حظوظ الدنيا كمن يترك المال دون الجاه فلا يستحق اسم الزهد مطلقا وان جاز اطلاقه عليه كما ان اطلاق التوبة على من يتوب عن بعض المعاصي وان كانت توبة لكن التائب مطلقا من يترك كلها ثم ان المقتصر على ترك المحظورات لايسمى زاهدا بل العرف خصه بترك المباحات فظهر من هذا كله ان الزهد رغبة عن الدنيا الى الآخرة وعن غير الله الى الله عز وجل وهي الدرجة العليا ثم انه يشترط فى المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه كما يشترط فى المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبدالعزيز اتاه الدنيا راغمة فتركها واما انا ففيما ذا زهدت ؟ هذا الذي ذكرناه هو الحال المسمى بالزهد وان هناك علما مثمرا لهذه الحال وعملا يثمره الحال اما العلم فهو معرفة كون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ ولاشك ان ما عند الله باق وان الآخرة هي خير وابقى وهذه المعرفة وان كانت كافية فى نفسها فى كونها مثمرة للزهد لكن قد لا تثمره واما الضعف عمله وبقيته(١) اولاستيلاء الدنيا والشهوة عليه فى الحال بكونه مقهورا فى يد الشيطان واما لاغتراره بالتسويف يوما فيوما ، واما العمل الصادر عن الزهد

---

(١) كذا ولعله – علمه ويقينه –

فهو ترك واخذ واستبدال للذى خير بالذى هو ادنى ، واما اذا لم تقدر على الدنيا لم يتصور منك الزهد لان الترك بعد القدرة الا ان الشيطان ربما يخيل اليك انك زاهد وتارك للدنيا اذا اتاك وهذا غرور باطل فلا تثق بالقدرة قبل التجربة ، ثم ان الزهد تركها لحقارتها لا لأجل السخاء واستمالة القلوب وعلى سبيل الطمع لأن هذه من محاسن العادات ولا مدخل لها فى العبادات بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم وفوات حظ آخر للنفس فتركها خوفا من ان يأنس بها فيكون مشركا فى حب الله او تركها طمعا فى ثواب الآخرة فترك التمتع بملاذ الدنيا طمعا فى طيبات الجنة لئلا يقال له (اذهبتم طيباتكم فى حيوتكم الدنيا) الآية ، واما فضيلة الزهد فمذكورة فى الآيات والاخبار والآثار لا يحتاج الى تفصيلها بل كل فطرة سليمة تحكم بفضيلتها اذا خليت ونفسها -

المطلب السادس

فى درجات الزهد وأقسامه

اذا درجاته فثلاث السفلى منها للتزهدين وهو أن يزهد فى الدنيا وقلبه مشته لها ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا على خطر اذ ربما تغلبه نفسه فيستريح اليها فى قليل او كثير والعليا منها ان يزهد طوعا ويزهد فى زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيئا والدنيا بالاضافة الى الآخرة اخس من الخنفساء بالاضافة الى الجوهرة ومثل ذلك بان القى لقمة الى كلب منعه عن الدخول الى باب الملك وشغله بها ودخل ونال القرب عنده والدنيا اقل من لقمة عند الله فكيف لا تلقيها الى شيطان يمنعك عن القرب الى الله تعالى - واما الدرجة الوسطى فهى ان يرى الدنيا شيئا ولكن يحتقرها بالاضافة الى الآخرة ويتركها لاجلها كالذى يترك الدرهم لدرهمين وان كان منتظرا انتظارا قليلا وهذا الزاهد يرى زهده ويلتفت اليه ويظن نفسه انه ترك ماله قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان - ثم ان للزهد درجات ثلاث بالاضافة الى المرغوب فيه ايضا - الاولى وهو السفلى ان يكون المرغوب فيه

النجاة من النار وسائر الاهوال وهذا زهد الخائفين - والثانية ان يرغب في الثواب والنعيم وهذا زهد الراجين - الثالثة وهي العليا ان يرغب في الله تعالى وفي لقائه ولا يلتفت الى الآلام ليقصد الخلاص منها الا الى اللذات ليقصد نيلها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمه هم واحد وهو الموحد الذي لا يطلب غير الله وهذا زهد المحبين والعارفين - واما اقسامه باعتبار المرغوب عنه فاربعة احدها ان يزهد عن كل ما سوى الله حتى عن نفسه، وثانيها ان يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة من الشهوة والغضب والكبر والجاه ونحوها ، وثالثها ان يزهد في المال والجاه واسبابهما لانهما مرجع جميع الحظوظ، ورابعها ان يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم لان الدينار والدرهم يجمع جميع الاموال وهذا اجمال وتفصيله مما يفوتها الحصر وقد ذكر الله تعالى سبعة منها في آية واحدة فقال (زين للنـاس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا) ثم ردها الى خمسة في آية اخرى فقال (اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفـاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) ثم ردها الى اثنين في آية اخرى فقال (وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو) ثم رد ذلك كله الى واحد في موضع آخر فقال (ونهى النفس عن الهوى) لأن الهوى يجمع الكل - ولا يذهب عليك ان لا مخالفة بين هـذه التفاصيل بل البعض داخل في البعض ولذلك اختلفت فيه عبارات السلف اذ كل منهم ذكر ما عنده في الحـال ولا اجمع مما ذكره ابو سليمان الداراني اذ قال الزهد ترك كل شغل يشغلك عن الله تعالى - واما اقسام الزهد بالاضافة الى احكامه اما فرض وهو الزهد في الحرام او نفل وهو الزهد في الحلال اوسلامة وهو الزهد في الشبهات - واما درجات الزهد ظاهرا وباطنا فلا حصر لها واعلاها زهد عيسى عليه السلام حيث ترك حجرا تحت رأسه وزهد يحيى عليه السلام حيث لبس مسوحا تنقب منهـا جلده وجلس اويس رضي الله عنه في قوصرة للعري - وقال قوم الزهد لا يكون الا في الحلال ولم يبق حلال

فى اموال (١) فلا يتصور الزهد فى الحتال - فان قلت كيف يتصور الزهد مع انك تأكل وتشرب وتلبس وتخالط الناس؟ قلت الغرض من الزهد الانصراف الى الله بكل القلب فالاستعانة بالامور المذكورة للعبادة ليس اشتغالا بغير الله - فان قلت تتلذ ذبها ؟ قلت التلذذ لا يضر إن كان قصدك الاستعانة للعبادة دون التلذذ بالامور المذكورة -

المطلب السابع

فى تمييز قدر الحاجة عن الفضول ليزهد فيها

اعلم ان قدر الحاجة ستة امور -الاول المطعم وله طول وعرض فلابد من قصرهما حتى يتم به الزهد اما طوله بجملة العمر وقصره دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ولايدخر اصلا وهى الدرجة العليا او ان يدخر لشهر اولاربعين يوما وهذه اوسطها او يدخر لسنة فقط وهذه اضعفها وليس وراء السنة شيء من مراتب الزهد - واما عرضه فبالمقدار واقل درجاته فى اليوم والليلة نصف رطل واوسطها رطل واعلاها مد واحد وهو ما قدره الله تعالى فى اطعام المسكين وماوراء ذلك اشباع البطن - واما بالجنس فأقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة واوسطها خبز الشعير والذرة واعلاها خبز البر غير منخول والمنخول والحوارى من التنعم - واما الادم فاقله الملح والبقل والخل واوسطه الزيت ويسير من الادهان اى دهن كان واعلاها اللحم اى لحم كان وذلك فى الاسبوع مرة اومرتين فاذا صار دائما واكثر من مرتين دخل فى التنعم - واما بالاضافة الى الوقت فى اليوم والليلة مرة وهو ان يكون صائما واوسطه ان يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل اويأكل ليلة ولا يشرب واعلاه ان يطوى ثلاثة ايام او اسبوعا وما زاد عليه - الثانى من الامور الستة الملبس واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان - واعلاه يكون معه منديل وسراويل وما زاد عليه فهو خارج عن الزهد ويشترط ان لا يجد آخر اذا غسل واحدا منها فلا يكون صاحب قميصين ومنديلين - اما الجنس فاقله

---

(١) كذا -

المسوح

المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن واعلاه القطن الغليظ ـ واما من حيث الوقت فاقصاه مايستر سنة واقله مايبقى يوما كرقع الثوب بورق الشجر واوسطه ما يتماسك عليه شهرا او ما يقاربه ـ الثالث منها المسكن اعلاها ان لا يطلب لنفسه موضعا خاصا ويقنع بزوايا المساجد كاصحاب الصفة ـ واوسطها ان يطلب موضعا خاصا مثل كوخ مبنى من سعف اوخوص ونحوذلك ـ وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما بشراء اواجارة ـ واما التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد ، واختلاف جنسه بالجص اوالطين اوالقصب واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا اومستأجرا اومستعارا ـ الرابع منها اثاث البيت واقل درجاته الخزف ولا يبالى ان يكون مكسور الطرف اذا حصل به المقصود وكان عيسى عليه السلام يصحبه مشط وكوز فرأى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط ورأى آخر يشرب بكفيه فرمى الكوز ـ واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة بان يستعمل الآلة الواحدة فى مقاصد مثل ان يشرب من قصعة ويأكل الثريد منها ويحفظ المتاع فيها ـ واعلاها ان يكون له آلة بعدد كل حاجة من الجنس الخسيس النازل ـ الخامس المنكح وذلك يختلف باختلاف الاحوال والاصل الاشتغال عن الله تعالى فمنهم من تشغله المرأة عن الله تعالى فيتركها ومنهم من يشغله العزوبة فيتزوج ومنهم من لا يشغله اكثر من واحد فيجوز له كما فعله خير الزاهدين نبينا صلى الله عليه وسلم ـ وكان على كرم الله وجهه ازهد الاصحاب وكان له اربع نسوة بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها وبضع عشرة سرية ـ السادس ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهوالكمال والجاه وقيل لابد من قدر جاه لينتفع به فى عبادته كالجاه عند خادمه واقاربه وغير ذلك وليتمكن به من دفع مضاره الا ان الحق ان طلب الجاه هاوية لا قعر لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه بل الاشتغال بالدين والعبادة يمهد له من المحل فى القلوب ما يدفع به عنه الاذى ولوكان بين الكفار فكيف بين المسلمين ، واما التوهمات والتقديرات المحوجة

الى زيادة فى الجاه فهى اوهام كاذبة -

الاصل الخامس

فى التوكل وفيه مطالب

المطلب الاول

ولا يخفى عليك فضيلة التوكل سيما من تتبع الآيات والاحاديث كقوله تعالى (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) وقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقوله عزوجل (ان الله يحب المتوكلين) واعظم بمقام موسوم بمحبة تعالى صاحبه ومضمون بكفايته وجاء فى الحديث لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا - وفى الاحاديث كثرة يعرفها اهلها وكذا الآثار فى حق التوكل - واما حقيقته فلا يذهب عليك ان التوكل حال ينبعث من علم ثم يثمر عملا اما العلم فهو التوحيد الذى هو اصل الايمان الذى ترجمته قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدر اعنى قولك له الملك وبالجود والحكمة وهو قولك وله الحمد - ثم ان اصل التوحيد من علم المكاشفة ولما كان بعضها يتعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولايتم علم المعاملة الابها وجب التعرض له قدر ما يتوقف عليه علم المعاملة والا فهو البحر الخضم الذى لا ساحل له فنقول مراتب التوحيد اربع لب ولب اللب وقشر وقشر القشر فالمرتبة الاولى قول الانسان لا اله الا الله بلسانه وقلبه عنه غافل اوجاحد وحكمه انه موحد بمجرد اللسان ويعصمه فى الدنيا عن السيف والسنان والثانية ان يصدق بقلبه معنى اللفظ وهو الاعتقاد وهذا حال عموم المسلمين ليس فيه انشراح وانفساح وحكمه انه يحفظه فى الآخرة عن عقاب ان توفى عليه ولم يضعف بالمعاصى عقدتها وتحليلها بالقصد يسمى بدعة وصاحبه مبتدعا وقصد احكامها وشدتها يسمى كلاما وصاحبه متكلما والثالث موحد بمعنى لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذا انكشف الحق على ما هو عليه اذ لافاعل بالحقيقة الا واحد الرابعة موحد بمعنى انه لم يحضر فى شهوده غير الواحد فلايرى الكل الا من حيث انه واحد وهذه هى الغاية القصوى فى التوحيد فالاول

كالقشرة

كالقشرة العليا من الجوز والثانى كالسفلى منه والثالث كاللب منه والرابع كلب اللب منه وهو الدهن من الجوز فان قلت كيف يمكن مشاهدة هذه الكثرة واحدا وهي كثيرة فى نفسها فاعلم ان هذا غاية علوم المكاشفة التى قال العارفون لغسرها وغموضها وبعدها عن مدارك الخلق افشاء سر الربوبية كفر فلايجوز أن تسطر فى كتاب الا قدر سورة استبعادك بان تلاحظ الانسان مع كثرتها من حيث بدنها وروحها وقواها (١) الظاهرة والباطنة لسجهة واحدة هي الانسانية فلا تنافى بين هاتين الجهتين وهذا المثال لأجل التنبيه على مجرد عدم التنافى بين الجهتين لا انه يطابق الممثل من كل وجه فعليك ان تصدق بهذه الحالة وان لم تكن تشاهدها والمشاهدة ايضا لاتدوم لاهلها بل تظهر كالبرق الخاطف والدوام نادر عزيز الوجود ولما كان الرتبة الرابعة بعيدا عن الافهام لاجرم بينا التوكل على الرتبة الثالثة ولنذكر منها قدرما يرتبط التوكل به وهو أنه اذا انفتحت لك ابواب المشاهدة يتضح عندك ان لا فاعل الا الله وان كل فعل من التخليق والترزيق والمنع والاعطاء والاحياء والاماتة وغيرذلك كلها من ابداع فاعل واحد واختراعه وهو الله تعالى لاشريك له فيها وما سواه مسخرون تحت قدرته لا استقلال لهم اصلا فى ملكوت السموات والارض ولو بتحريك ذرة فعند معرفة هذا الامر لم تنظر غيره بل يصير اليه خوفك ورجاؤك وثقتك واتكالك وانما يصدك الشيطان عن هذا فى مقامين احدهما الالتفات الى الجمادات كاشتراط الغيم فى المطر اى بأن يؤثر فيه وهذا شرك فى التوحيد وجهل بحقائق الامور بل المؤثر واحد لاغير وثانيها الالتفات الى اختيار الحيوانات بان هذا الشخص يقدر ان يعطى رزقك ويمنعه ايضا وعند هذا زل اقدام الاكثرين الاعباد الله المخلصين الذين لاسلطان عليهم للشيطان ومن لم ينشرح بنور الله صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قهارا وراء الكل والذين يسمعون من كل ذرة فى السموات والارض تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على انفسها بالعجز بلسان ذلق يتكلم بلاحرف ولا صوت ولا بالسمع الظاهر الذى

---

(١) كذا -

يشاركك فيها الجماد بل مما يدرك به كلام ليس بحرف ولاصوت ولاهو عربي ولاعجمي يشهدون ويشاهدون من كل شيء بالعجز وان لاقدرة الامن مبدع الكل وخالقها وان لم يسمعه ولم يشاهده الذين هم عن السمع معزولون وكيفية المناجاة مع الجمادات في السر أمر لا يمكن كشفها اما لأن افشاء السر غير جائز اذ صدور الاحرار قبور الاسرار اولعدم تناهي تلك الكلمات عن حد الحصر والنهاية و (لوكان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي) ومثال ذلك ان سائلا سأل عن الكاغد ما بال وجهك اسود وقد كان ابيض قال ما فعلته عن نفسي سل عن ذلك الحبر ذلك فانه سود وجهي قهرا وعدوانا قال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال كنت ساكنا في المحبرة وهو وطني عازما أن لا افارقها فاعتدى على القلم وفرق شملي وبددني على صفحات اوراق فالسؤال عليه لاعلى قال صدقت ثم سأل القلم عن ذلك فقال كنت نابتا على شاطيء الانهار ذلك وطني منبتي ومسقط رأسي فجاءني اليدونحاني عن وطني ثم براني وشق رأسي وغمسني في بحر الحبر وامشاني على قنة رأسي فحصل منه هذا الأمر فسل عمن قهرني فقال صدقت ثم سأل اليد عن تعديها على القلم فقالت انامركب مسخر ركبني فارس القدرة واستخدمني كيف شاء فسل القدرة عن شأني فان بيدها عناني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن استخدامها اليد قال دع عنك لومي وقد كنت في نومي حتى جاءني مؤكل الارادة وازعجني وارهقني الى ما تراه مني فقال صدقت ثم سأل الارادة فقالت لاتعجل على فلعل لى عذرا وانت تلوم فاني ماانبعثت ولاكنت عليه بعازم الابحكم قاهر وامر جازم فاني مسخر تحت قهر العلم الوارد من حضرة القلب على لسان العقل فانزعجت بقهر منه فقال صدقت واقبل على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت وقال العلم انما انا نقش في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل فسل قلما ينقشني فلما سمع السائل حديث اللوح والسراج والخط والقلم تحير اذ كان لم يعرف هذه.

هذه الامور الا في الاجسام فعند ذلك رحمه العلم وقال قد تعبت نفسك في السؤال فلا تنقلب خاسرا فالق سمعك الي وانت شهيد واعلم ان العوالم اما عالم الملك والشهادة وقد قطعتها بسهولة واما عالم الملكوت وفيها البحار المغرقة ولا يسلم منها الا الاقلون وهو ورائي - واما عالم الجبروت وهو واسطة بين هذين العالمين وذلك مثل سفينة هي بين المشي على الارض والمشي على الماء فعالم الملك من الحبر الى القدرة ومنها الى القلم الذي يكتب به العلم عالم الجبروت ومنه مبدأ عالم الملكوت ومن جاوز عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالقلم ولذلك صار اول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة القلم، ثم انك السائل جمعت ضوء عينيك وحدقته نحو عالم الملكوت يرجى لك ايضا كشف ذلك واعلم ان الله تعالى كما لا يشبه ذاته سائر الذوات كذلك لا تشبه يده سائر الايدي ولا قلمه سائر الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وانما هذه امور الهية من عالم الملكوت فعند ذلك اشتعل زيت السائل بنور العلم وفتح بصره فانكشف له القلم الالهي فاذا هو لا من خشب ولا من قصب ولا له رأس ولا ذنب وله في كل قلب رأس يكتب ولا رأس له وانه العجب، وقال السائل نعم المعلم انت ايها العلم جزاك الله عني خيرا فعند هذا ودع العلم وشكره ثم سافر الى حضرة القلم وسأله عن نقشه في القلوب فقال ان عالم الملكوت موازن لعالم الملك وان في الثاني صورا دون الاول فكما ان قلم عالم الشهادة مسخرة في يمين الكاتب فكذا انا مسخر ومقهور تحت يمين الملك، قال وما هي قال أما سمعت قوله تعالى (والسموات مطويات بيمينه) فقال هي التي يردوني (١) فسافر الى حضرة اليمين ورأى فيها العجب العجاب بحيث لا تحوي عشر عشر عجائبه مجلدات ورأى انها يمين لا كالأيمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع والقلم في قبضته ثم سأل عن اليمين فاحاله على القدرة فسافر الى عالم القدرة فرأى فيها من العجائب استحقر فيها ما رأى قبلها فسأل عنها ما اشكل عليه فقالت انا صفة فاسأل القادر الموصوف وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالحيرة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي

---

(١) كذا -

من وراء حجاب سرادقات الحضرة (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شأنك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالى الا أن أسألك وأتضرع اليك وأبتهل بين يديك فأقول اشرح لى صدرى لأعرفك واحلل عقدة من لسانى لأثنى عليك فنودى من وراء حجاب العزة اياك ان تطمع في الثناء وقد قال سيد الانبياء سبحانك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فارجع وما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته عنه وما قاله فقله ثم قال السالك الهى ان لم يكن للسانى جرأة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودى اياك ان تتخطى رقاب الصديقين وقد قال الصديق الاكبر العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند ذلك رجع السالك واعتذر عن اسولته ومعاتباته للقلم والقدرة والعلم بانى كنت غريبا ولكل غريب دهشة وما كان انكارى الا عن قصور وجهل والآن قد اتضح عندى عذركم وان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار وهو الاول والآخر والظاهر والباطن اى اول في الوجود وآخر في المشاهدة وباطن للساكنين تحت حجب عالم الشهادة وظاهر لمن تنور بصيرته بانوار عالم الملكوت – اذا عرفت هذا فلعلك التوكل (١) مخصوص فمن (١) يفهم حقيقة التوحيد ولا يوجد في غيره المتوكل – واعلم ان من لا يفهم التوحيد اما جاحد فلا يقبل العلاج وهؤلاء في انكار عالم الملكوت بمنزلة الحشوية المنكرين لعالم الجبروت ايضا حيث حصروا العلم في الحواس الخمس وانكروا العلم والقدرة والارادة كما انكر السوفسطائية الحواس ايضا – واما جاهل غير جاحد فينظر ان كان عين بصيرته صحيحة يعالجون مرضها والا فيتكلمون معهم بقدر عقولهم لأنهم يعرفون ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فيقال لهم على حد عقلهم اله العالم ومدبره واحد لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا.

---

(١) كذا –

فيكون

فيكون ذلك على وفق ما رآه فى عالم الشهادة فينغرس فى قلبه اعتقاد التوحيد بهذا الطريق اللائق بقدر قلبه ثم ان هذا الاعتقاد اذا قوى عمل عمل الكشف فى اثارة التوكل وسائر الاحوال الا انه فى الغالب يضعف ويسارع اليه الاضطراب والتزلزل ولهذا احتيج الى علم الكلام ليحرس به العقيدة التى تلقفها من ابويه او استاذه او اهل بلده — فان قلت كون الاسباب مسخرات ظاهر الا فى حركات الانسان فانه يتحرك او يترك ان شاء. قلت نعم الحركة لازمة للقدرة والقدرة للمشيئة لكن المشيئة تحدث ضرورة فى القلب (وما تشاؤن الا ان يشاء الله) — فالمشيئة ان كانت ضرورية فما بعدها من القدرة والحركة مترتبة عليها ضرورة فهو مضطر فى الجميع ويسمى هذا جبرا لا جبرا محضا كالجمادات بل جبرا فى عين اختيار (١) وتفصيل ذلك ان للانسان فعلا طبيعيا كخرق الماء اذا وقف عليه فانه ينزل بثقله الى قعره فيخرقه وفعلا اراديا كتنفسه وفعلا اختياريا ككتابته ثم ان الاختيارى ربما يكون اضطراريا لبعض الاسباب مثلا طبق الاجفان ارادى فلو قصد عين الانسان بالابرة يكون اضطراريا اذ لا يقدر على فتحه فى تلك الحال فيلتحق بالطبيعى فى تلك الحال وانما موضع الالتباس الفعل الاختيارى كالكتابة والنطق اذ يظن انه ان شاء فعل وان شاء ترك وتارة يشاء وتارة لا يشاء لكن هذا الظن من الجهل بمعنى الاختيار وبيانه ان القدرة تبع للارادة وهى تبع للعلم الذى يحكم بان الشيء موافق لك ثم ان الخيرية قد تعلم بتردد وتوقف كمن اراد سفرا مثلا وقد تعلم بلا تردد كما فى حركة الاجفان عند القصد بالابرة وحركة اليد بدفع السيف اذ تظهر خيرية الحركتين دفعة وهو عين الاختيار المشتق من الخير الا انه ظهر على البديهة لثبوت خيريته بتجارب كثيرة ومشاهدات دائمة ولذلك قيل العقل يحتاج الى التمييز بين خير الخيرين وشر الشرين والاول كمن يتردد بين كتابة كتابين كلاهما خير له والثانى كمن يرمى نفسه من السطح هربا من السيف واما بين الخير والشر فلا يتردد اصلا كمن غمض عينيه للابرة فالحركة فى الانسان مسخرة لقدرته وقدرته لارادته وارادته لداعيته وهى الامر الحاصل من

---

(١) كذا —

العلم بكون شيء خيرا فاذا معنى كونه مجبورا ان جميع هذا الامور حاصلة فيه من غيره لامنه اذ الخالق للكل هوالله عز وجل ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار فى الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض بشرط ان لا يفهم منه ارادة بعد تحير و تردد وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار - فطلب اهل الحق لهذا عبارة ثالثة فسموه كسبا وهو جامع بين الجبر والاختيار عند من فهمه ثم ان ترتب الامور المذكورة بعضها على بعض ليس بأن المتأخر حدث عن المتقدم بالتوليد لان ذلك جهل محض بل حوالة جميع ذلك على القدرة الازلية التى لم يقف على حقيقة معناها الاالراسخون وانما يقف من يقف على مجرد لفظها مع قياسها على قدرتنا القاصرة وهو بعيد عن الحق ولايمكن تفهيم ذلك على وجه الصواب والقدر الممكن من ذلك هو ترتب بعض المقدورات على البعض فى الحدوث انما هو ترتب المشروط على الشرط ودرجات ترتيب الشروط كثيرة لاتظهر للعوام وبعضها لا تظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق - وبالجملة فلايتقدم متقدم ولايتأخر متأخر عبثا واتفاقا بل ذلك بطريق الحق واللزوم وكذلك جميع افعاله تعالى كما قال عزوجل (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق) فكل ما بين السماء والارض حادث عن ترتيب واجب وحق لازم لايتصور أن يكون الا كما حدث وعلى الترتيب الذى وجدفما تأخر متأخر الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لايوصف بكونه مقدورا فاذا لابدمن بيان كونه موقوفا على الشرط مع كونه مقدورا وأن القدرة موجودة ولا يمكن تفهيم ذلك لذوى الافهام الضعيفة الا بمثال وهو أن تقدر انسانا محدثا متغمسا فى الماء الى رقبته فان الحدث لايرتفع عنه الا عند غسل الوجه فقبل غسله تقول لم يرتفع الحدث عن يده ورجله مثلا لتوقفه على غسل الوجه على ملاقاة الماء الذى هو السبب الحقيقى فى رفع الحدث فاذا الماء بمنزلة القدرة الازلية المتعلقة للاشياء ولكن تأثيره فى المقدور متوقف

على

على شرط وهو غسل الوجه فعند حصول الشرط يكون رفع الحدث عن اليد بالماء لا بغسل الوجه - الا ان الجاهل لترتب رفع الحدث عن اليد على غسل الوجه ربما يتوهم ان المؤثر فيه غسل الوجه لا الماء كذلك يتوهم القاصرون من ترتب الافعال الالهية بالشروط تأثير الشروط فيها دون القدرة وليس كذلك كما لا يخفى على ذى خبرة تامة واولى بصيرة نافذة ناقدة فهكذا ينبغى ان يفهم صدور المقدورات عن القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع لباب عالم الملكوت - وهذا من علوم المكاشفات لا يمكن التعبير عنها فلنتركها اذ لا يفى باستيفاء قدر ما امكن منها عمر نوح عليه السلام ولنقتصر على ما هو المقصود وهو التنبيه على طريق التوحيد فى الفعل وهو المقام الثالث من مقامات التوحيد وان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو،عليه التوكل والاعتماد وهذه المعانى كلها منطوية تحت قولك لا اله الا الله وهو خفيف على اللسان سهل اعتقاد مفهومه فى الجنان - واما حقيقته فأعز على العلماء الراسخين اولى الكشف والعيان - فان قلت اذا كانت الافعال مخلوقة لله عزوجل فاما ان يقال انها ليس فعلا للعبد اصلا فيبطل الشرع او يقال انه فعل للعبد ايضا فيلزم مفعول بين فاعلين وانه محال فأقول المفعول بين فاعلين جائز اذا كان للفاعل معنيان كما يقال قتل فلانا الامير والجلاد اذ الجلاد فاعل صورة والامير معنى وكذا الخالق تعالى فاعل لافعال العباد بمعنى انه مخترع وموجد والعبد فاعل لها بمعنى انه محل لخلق الله تعالى فيه القدرة بعد أن خلق فيه الارادة بعدأن خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتباط المعلول بالعلة او ارتباط المخترع بالمخترع وكل ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيف ما كان الارتباط ولاجل تطابق ذلك وتوافقه نسب الله تعالى الافعال فى القرآن الى الملائكة مرة ومرة الى العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الى نفسه كما قال تعالى فى الموت (قل يتوفاكم ملك الموت) - وقال (الله يتوفى الانفس) واما واضع اللغة

فقد وضع اسم الفاعل للمخترع فمن ان المخترع هو العبد يجعله حقيقة فى العبد ويلزمه ان يكون مجازا فى من له الاقدار والتمكين مثل نسبة القتل الى الامير فانه حقيقة فى الجلاد عندهم - واما الذين انكشف الحق لهم عرفوا ان الامر بالعكس وان الصيغة حقيقة فى حقه تعالى لأنه المخترع حقيقة فلا فاعل الاهو فيكون مجازا فى العبد بمعنى انه كاسب ومحل للفعل كما ان من عرف ان حقيقة القتل من الامير يجعل نسبته الى الجلاد مجازا لكونه مظهرا له كما تقرر تحقيق هذا المقام فى علم المعانى ولهذا عرفوا المجاز الحكمى بغير ما هو له عند المتكلم لا مطلقا، فان قلت فاذا ظهر أن الكل فعل نفسه فكيف يغضب عليه ويرضى له فاعلم ان سر ذلك قد مرفى كتاب الشكر فارجع اليه فهذا الذى ذكرناه من بحر التوحيد هو الذى يورث حال التوكل لكنه لايتم الابالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذى يورث الثقة بمسبب الاسباب ولايتم حال التوكل كما سيأتى الابالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه طويل، وحاصله ان الله تعالى لو خلق آحادا مشتملين على جميع انواع الكمال واصناف القدرة التامة ومع ذلك لو تظاهروا على زيادة ذرة واحدة او نقصها فى العالم لما قدروا على ذلك ولما وجدوا فى خلقه تعالى من قصور وان أمعنوا فى ذلك انظارهم ووجعوا فيها ابصارهم، وايضا كل ما قسم الله بين عباده من كمال وفتور وعجز وسرور ورزق واجل واقدام ووجل وطاعة وعصيان وكفر وايمان كله عدل محض لاجور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب والاسلوب الحق والقدر اللائق وليس فى الامكان اصلا احسن منه ولا اتم واكمل ولو كان وادخره مع القدرة لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولولم يكن قادرا لكان عجزا يضاد الالوهية بل كل ضرر وفقر هو نقصان فى الدنيا وزيادة فى الآخرة وكل نقص فى الآخرة بالاضافة الى الشخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذلولا الليل لما عرف

قدر

قدر النهار ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعمة ، وايضا فداء ارواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل ، فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النيران فداء لأهل الايمان باهل الكفر ان عين العدل وما لم يخلق الناقص كالبهائم لم يعرف الكامل كالانسان وكذلك الامر في التفاوت في القسمة بين الخلق في الدنيا والآخرة وكل ذلك عدل لاجور فيه وحق لالعب فيه ، وهذا الآن بحر آخر عظيم غرق فيه الاكثرون قريب في السعة من بحر التوحيد ولا يعقلها الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذى تحير فيه الاكثرون ومنع من افشاء سره المكاشفون . والحاصل ان الخير والشر مقضى به وما قضى الله واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وامره وما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك وانما اطنبنا في هذا المطلب لان هذا الباب غاية كل العلوم واليه ينتهى اصل كل سعادة فلا تتغفل —

المطلب الثاني

في بيان حال التوكل

وما ذكرناه اصل التوكل وهو العلم وهذا حاله وحقيقته ثم نذكر ثمرته وهو العمل فنقول التوكل مشتق من الوكالة وهى تفويض الامر الى الغير والاعتماد عليه فيه ويسمى الموكل اليه وكيلا والمفوض متكلا ومتوكلا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ثم ان التوكل لا يتم في الانسان الا بأن يعتقد في وكيله اربعة امور منتهى الهداية الى المصالح والمفاسد ومنتهى القدرة بان لا يخاف ولا يجبن ولا يستحيي ومنتهى الفصاحة بان لا يكل من الكلام ، ومنتهى الشفقة اذ الامور المذكورة لا تفيد الا اذا قارنت الشفقة ، ثم الموكل ان كان شاكا في هذه الاربعة اوفي واحد منها اوجوز أن يكون خصمه اكمل في هذه الاربعة منه لم تطمئن نفسه الى وكيله وعلى هذا القياس لابد لمن يتوكل على الله ان يعتقد اعتقادا جازما انه لا فاعل غيره واعتقد معه تمام العلم والقدرة

ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد ، فان لم يعتقد بأحد هذه الامور لم يتم توكله وذلك اما لضعف يقينه او ضعف القلب واستيلاء الجبن عليه بسبب الاوهام الغالبة عليه لأن للوهم تأثيرا قويا كما يخاف الانسان من ان يبيت مع الميت فى قبر اوفراش مع انه لايشك انه جماد ولا يحشر الآن على ما جرت عادة الله عليه وانما يتم التوكل بقوة اليقين وقوة القلب معا ـ ثم ان للتوكل بحسب القوة والضعف ثلاث درجات ، الاولى ان يكون حاله مع الله كحال الطفل فى حق امه اذلا يعرف غيرها ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها وان نابه امر فى غيبتها لايسبق الى لسانه الا يا اماه وان غضبت عليه امه لا يفزع الا اليها ، الثانية ان يكون حاله كصبى مميز وثق بكفالة امه وشفقتها ولا يطلب منها شيئا ولا يخطر فى قلبه الا امه دون ضمانها وكفالتها عليه ، الثالثة وهى اعلاها ان يكون بين يدى الله فى حركاته وسكناته مثل الميت بين يدى الغاسل مثاله صبى علم ان امه يتكفلها (١) ولم يطالب منها وهذا المقام يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وينفى التدبير رأسا بل يبقى صاحبه كالمبهوت كما ان المقام (الثانى) يثمر ترك السؤال دون الدعاء وينفى كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله بالدعاء والاول يثمر ترك السؤال من غيره فقط ولا ينفى اصل التدبير بل بعض التدبيرات والمقام الاول يمكن وجوده والثانى والثالث نادر الوجود وان وجد فلا يدوم فظهر من ذلك ان ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل بل يظهر أن ملابسته كل تدبير وعمل ينافى التوكل من حيث انه حول المتوكل وقوته واما مباشرة التدبير بحول الوكيل وقوته وأمره بالتدبير فلا يخل بالتوكل اصلا ـ

المطلب الثالث

فى بيان اعمال المتوكلين

وقد عرفت العلم المثمر لحال التوكل ثم عرفت حال التوكل والآن نذكر عملا يثمره حال التوكل وهو أن عمل العبد اما جلب نافع مفقود أو حفظ نافع موجود او دفع ضار لم ينزل فلنذكر شرط التوكل ودرجاته فى كل من هذه الامور الاربعة ،

(١) كذا ـ

الاول جلب النافع واسبابه ثلاث درجات الدرجة الاولى المقطوع كمد اليد الى الطعام الموضوع بين يديك فانه من الاسباب المقطوع بها بتقدير الله ومشيئته فترك مثل هذه الاسباب منتظر حصول المطلوب جهل وحمق وليس من التوكل في شيء لكن عند مباشرة الاسباب تعلم ان الحول والقوة من الله تعالى لا من يدك واسنانك ، الدرجة الثانية الاسباب المظنون بها كمن سافر في البراري فان الغالب فيها عدم وجود الطعام وان احتمل احتمالا بعيدا فليس ترك حمل الزاد فيها من التوكل المقبول عند المتوسطين وان كان جائزا عند الخواص وحمل الزاد ينبغي أن يعتمد على فضل الله تعالى لا على الزاد فان قلت فكيف يجوزه الخواص وهو القاء النفس في التهلكة قلت ذلك ليس بالقاء النفس في التهلكة لأحد بشخصين احدهما ان يعتاد ترك الطعام مقدار اسبوع من غير ضيق قلب وتشويش خاطر وجاهد نفسه عليه وان تطيب نفسه بالموت ان لم يأته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة في الآخرة وثانيهما ان يقدر على التقوت بالحشائش والاشياء الخسيسة اذ لا تخلو البوادي من ان يلقاه آدمي او حشيش يتقوت به او ينتهي الى قرية في كل اسبوع حتى انهم قالوا الحبل والركوة والابرة والمقراض لا يمنع التوكل اذ يندر وجود هذه في البراري ولا يقوم شيء مقامها مع انها من الضروريات ، الدرجة الثالثة الاسباب الموهومة كالتدبيرات الدقيقة في الاكتساب وان كان بطريق مباح اذ الطريق التي فيها شبهة فذلك داخل في حد الحرص ولا يخفى ان مباشرة مثل هذه الاسباب يخل بالتوكل كالرقية والطيرة والكي وامثال ذلك ـ ثم المتوكلون اما خواص فهم يتركون اكثر الاسباب المقطوعة كما يدورون في البوادي مع ان عدم الزاد مقطوع فيها الامثل مد الايدي الى طعام عنده ليس من التوكل كما عرفت واما المتوسطون وهم القاعدون في الامصار المتقاعدون عن الكسب والاسباب الظاهرة ثقة بكفالة الله عزوجل واما عوام يكتسبون ولكن لا يعتمدون على الكسب بل على الله فيكون مكتسبا ببدنه ومنقطعا الى الله بقلبه حتى قالوا ان المعيل

يترجح له هذا القسم من التوكل على القسم الذى فوقه كما اكتسب الصديق رضى الله عنه بعد ما بويع الخلافة وايضا المتجرد عن العيال ان استشرف نفسه على ما فى ايدى الناس فالكسب افضل ثم ان النفس له موضع غرور اذ يظن انه من المتوكلين ولا اتكال له على بضاعته (١). وامتحان ذلك انه اذا سرق متاعه اوضاع هل يتأسف ام لا فان تأسف فليس له توكل اصلا اذ الرازق كثيرا ما يرزق لعباده بغير بضاعة وان ابتلى احد باتكال على متاعه فعلاجه ان يعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الرحمن واعلم ان توكل المعيل يخالف توكل المنفرد اذ دخول البوادى وترك العيال والقعود عن الاهتمام بأمرهم توكلا فى حقهم حرام وقد يفضى الى هلاكهم فيؤاخذ بهم الا أن التحقيق ان عياله ان ساعدوه على الصبر على الجوع وعلى الموت بالجوع فعليه التوكل وكذا نفسه وعياله فاذا نازعه نفسه ولم تساعده على الامور المذكورة فهو حكم المعيل الذى لا يصبر عياله فيجب له الكسب فلا فرق بين المنفرد والمعيل فى وجوب التوكل -

المطلب الرابع

فى مراتب الادخار

فمن حصل له مال بارث او كسب او غير ذلك فله احوال ثلاثة اما ان يأخذ قدر الحاجة من المأكل والملبس والمسكن ويفرق الباقى فى الحال ولا يدخره الا لمحتاج واما ان يدخر لسنة فما فوقها وهذا خارج عن حد التوكل واما ان يدخر لاربعين يوما فما دونها قيل انه خارج عن التوكل وقيل لا والحق ان اصل الادخار مناف للتوكل واما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له والتقدير باربعين لميعاد موسى عليه السلام لم يكن لطول الامل او قصره بل لسر جرت به وبامثاله سنة الله تعالى فى تدريج الامور - فالتوكل ترك الادخار وذلك لا يتم الا بقصر الامل واقل درجاته يوم وليلة فما دونه واكثره ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها وكل أمر له مراتب له بداية ونهاية وأصحاب النهايات تسمى السابقين

(١) كذا -

وأصحاب البدايات تسمى أصحاب اليمين - وأصحاب اليمين ايضا على درجات فلا يتصور التقدير فوق هذا في امثال هذه المراتب فالافضل ان لا يدخر اصلا - ثم كل ماقل ادخاره كان فضله اكثر ولكن هذا في حق من لا ينزع قلبه بترك الادخار بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق والا فالادخار له اولى لان المقصود تجرد القلوب بذكر الله ورب شخص شغله وجود الدنيا ورب شخص شغله عدمها ولذلك لم يمنع النبي صلى الله عليه وسلم التجار عن تجارتهم بل دعاهم الى التوكل على الله فقط هذا حكم المنفرد - واما المعيل فله ادخار قوت سنة لعيا له جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وما فوق ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين فادخار ما يزيد عليه سببه ضعف القلب والمتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس الى فضل الله واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ليبين ذلك لضعفاء امته وكيف لا وقد نهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال انفق بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اخبر ان الله تعالى يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه تطييبا لقلوب الضعفاء لئلا يتركوا الميسور عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات - ثم ان الناس يختلف حالهم فمن واحد يليق بحاله الرخصة ومن آخر يتضرر بالرخصة وبالجملة الغرض فراغ القلب عما سوى الله تعالى سواء امكن ذلك بالعزيمة اوبالرخصة - واعلم ان الاسباب الدافعة للضرر تجب المباشرة بها ان كانت مقطوعا بها والاحتراز عنها ان كانت موهومة والمظنونة ربما تكون في حكم المقطوع بها بالتجارب وان لم تكن كذلك فالاحتراز عنها ايضا افضل مثلا الصبر على اذى السباع والحيات ليس من التوكل اذلا فائدة فيه فعليك الاحتراز عن امثالها ولا تغتر بمن وضع يده على الاسد ولم يضر به لان ذلك خرق العادة ولكل مقام رجال وان ظن ذلك المقام احد فليجرب بان الكلب الذى في بدنه اعنى القوة الغضبية هل تطاوعه ام لا فان سخر ذلك ترتقى همته الى ان يسخر له كلب داره ثم ترتقى الى تسخير كلب البوادى وايضا

لا تظن ان أخذ السلاح وغلق الباب ينافى التوكل اذا أخذ السلاح وعرف الدفع من الله تعالى واغلق الباب وعرف الحفظ من الله عزوجل اذ كم من صاحب سلاح يقتل وكم من باب مغلق يفتح وينهب ما فى داخله ثم بعد ذلك يكون راضيا بما يقضى الله فى نفسه من القتل والجرح وفى بيته من السرقة والغصب فلا يكون تحصنه وتحفظه الا للجرى على سنة الله تعالى فى ترتيب الاسباب مع الثقة بمسبب الاسباب ولا تتوهم ان ليس للتوكل مال اذ هولا يستغنى عن ضروريات الانسان من القصعة والكوز والعصا وقد يجد مالا ويحفظه ليدفع الى المحتاج ولا تتوهم ان الضروريات يجب ان يتألم بفقدها فكيف يمكن عدم التألم لان الاسباب لتيسير خدمة الحق تعالى وانما يمسكه طلبا لرضاه واذا فقد ينبغي ان يقول الخير لولم يكن فى فقده لما سلط الله عليه اللص فلى عوض ثواب من ذلك فينبغى ان يفرح بفقدها فضلا عن التألم اذ الخير ما اختاره الله ولايدرى الانسان الخير لنفسه فى اى شيء حاصل اذ كم من غنى يبتلى بماله بلاء يكون سببا لهلاكه حتى يقول ياليتني كنت فقيرا وذلك يقع كثيرا ـ

المطلب الخامس

فى آداب المتوكلين

إما فى متاع بيته فانه يغلق الباب ولا يستقصى مثل ان يوصى جاره بالحفظ وان يجمع اغلاقا كثيرة وكان مالك بن دينار يشد بابه بشريط ويقول لولا الكلاب ما شددته ، وان لايترك فى بيته متاعا يحرص عليه السراق فيكون سبب معصيتهم كذا قال مالك بن دينار ـ وقال أبو سليمان هـذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد زهد فى الدنيا فما عليه من اخذها ، وايضا انما يضطر الى تركه فى البيت ينبغى ان ينوى عند خروجه الرضا بما يقضى الله فيه من تسليط سارق ويقول ما يأخذه سارق فهو فى حل منه او هو فى سبيل الله وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى اذ ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه بجعله فى حل ، وايضا يفدى بماله مال مسلم آخر فنيته دفع المعصية عن

مسلم

مسلم اوفداء مال مسلم بمال نفسه نصح للسلمين ثم انه اذا وجد المال مسروقا ينبغى ان لا يحزن بل يفرح ان امكنه و يقول لعل الخير فى تلفه ثم انه اذا وجد ماله الذى جعله فى سبيل الله يترك طلبه فانه قدمه ذخيرة لنفسه الى الآخرة وان قبله جاز فى ظاهر العلم لكنه غير مستحب عند المتوكلين ، وايضا ينبغى ان لا يدعو على السارق والا بطل توكله وزهده وايضا يبطل اجره بالدعاء عليه ، وايضا ينبغى ان يغتم لعصيان السارق لا لماله وان يشكر الله عز وجل اذ جعله مظلوما لاظالما وجعل النقصان فى دنياه لافى دينه ــ

المطلب السادس

فى الاسباب المزيلة

وهى اما مقطوع بها كالماء فى دفع العطش والخبز فى دفع الجوع وترك هذه الاسباب حرام فضلا عن كونه توكلا، اومظنون بها كالفصد والحجامة وسائر اسباب الطب وهذا لا يناقض التوكل ، اوموهومة كالكى والرقية والطيرة فشرط التوكل تركه لان ذلك من غاية التعمق فى ملاحظة الاسباب ، وقد وصف صلى الله عليه وسلم المتوكلين بها ، واما التداوى بالادوية الطبية فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن سائر الانبياء عليهم السلام الا ان بعضا من الادوية الطبية قد يلتحق بالمقطوع بها كالسكنجبين فى دفع الصفراء فحكمها حكمها فى التجربة الا انه لا يحرم تركها اما لان معرفته تختص ببعض الناس وليس مما تدركه الكافة كالخبز فى دفع الجوع والماء فى ازالة العطش اولان لذلك اسبابا باطنة يمكن تخلفها ولا كذلك الخبز والماء ، فان قلت الكى ايضا من الاسباب الظاهرة النفع قلت ليس كذلك والالعرفه فى كل بلدة وذلك لا يعهد الافى الاتراك والاعراب مع ان الكى جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه اذ ما من وجع يعالج بالكى الا وله دواء يغنى عنه بخلاف الفصد والحجامة ، روى ان عمران بن الحصين كان يرى نورا ويسمع صوتا يسلم عليه الملائكة ولما اكتوى زال عنه ما رآه وسمعه ثم تاب منه واناب الى الله عز وجل وقال بعد ذلك فرذ تعالى على ما كنت اجده من امر

الملائكة ، واعلم ان التداوى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن سائر الانبياء ايضا عليهم السلام وأمروا ايضا بالتداوى ، وكذا نقل ترك التداوى عن الصحابة والسلف والتوفيق بين هذه الامور هو أن لترك التداوى اسبابا ولعل من تركه انما تركه لأجلها ولا يلزم من ذلك أفضلية الترك بل الافضل الفعل لما فعله النبى صلى الله عليه وسلم ، وتلك الاسباب ستة احدها ان المريض قد كوشف له دنو أجله وان الدواء لا ينفعه ولعل ما قال أبوبكر رضى الله عنه حين قيل له لو دعوناك طبيبا الطبيب قد نظر الى وقال انى فعال لما اريد من هذا القبيل وكذا قول أبى الدرداء اذ قيل فى مرضه ما تشتكى قال ذنوبى قيل فما تشتهى قال مغفرة ربى قالوا ألا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضنى ، وثانيها ان يشتغل المريض بحال عاقبته فلا يتفرغ قلبه للتداوى وعليه يدل كلام أبى ذر وقد رمدت عيناه وقيل له لو داويتهما فقال إنى عنهما مشغول فقيل لو سألت الله ان يعافيك فقال أسأله فيما هو أهم على منهما ثالثها ان تكون العلة مزمنة والدواء موهوم النفع جاريا مجرى الكى والرقية فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت عادا وثمود وفيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى اى ان الدواء غير موثوق به ، ورابعها ان يترك لينال ثواب المرض بحسن الصبر وقد ورد فى ثواب المرض ما يكثر ذكره — وخامسها ان تكون له ذنوب فيرجو تكفيرها بالمرض — وفى الحديث حمى يوم كفارة سنة قيل لأنها تهدم قوة سنة — وسادسها ان يستشعر من نفسه مبادى البطر والطغيان بطول الصحة فيترك التداوى لئلا يزول المرض قبل استئصال البطر والغفلة وطول الامل من نفسه واذا ظهر لك ان ترك التداوى لهذه الاسباب فلا يخفى عليه انه لا يلزم منه عدم فضيلة التداوى عند انتفاء هذه الاسباب كما فى تداوى رسول الله صلى الله عليه وسلم — وايضا لو كان ترك التداوى من شرط التوكل لما فعله صلى الله عليه وسلم وهو سيد المتوكلين وايضا ان فضل ترك التداوى ان كان فيمن كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه الطغيان من العافية واحتاج الى نيل ثواب الصبر وامثال ذلك ، وهذه الامور

وان كانت كمالا بالاضافة الى بعض الخلق فهى نقصان بالاضافة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان اعلى من هذه المقامات كلها فلهذا لم تضره مباشرة اسباب التداوى ولهذا فعله - وايضا رجوع عمر رضى الله عنه من الطاعون وعدم دخوله الى الشام واتفاق الصحابة عليه وقوله نفر من قدر الله الى قدر الله فى جواب من قال أتفر من قدر الله دليل قوى على ان التداوى لايخل بالتوكل وكيف لا والصحابة لايسامحون فى امر التوكل اصلا سيما عمر وهو فى باب التوكل آية سيما وقد روى عبد الرحمن بن عوف فى هذا الامر حديثا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الوباء فى ارض فلا تقدموا عليه وان وقع فى ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ثم ان نهى الدخول فى بلد الطاعون فسببه ظاهر وهو القاء النفس فى التهلكة مع اسباب مظنون بها واما نهى الخروج للخلاص فلعله لكونه سببا وهميا اذ ربما يستحكم ضرر استنشاق الهواء المتعفن فى بدنه قبل ذلك يكون الخروج الى الهواء الصحيح علاجا وهميا يسبق تأثير الهواء العفن فى البدن سيما وقد انضم الى ذلك امور يكره معها الخروج وهى خروج الاصحاء وفقد المتعهدين للمرضى ممن يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام ويظهر من ذلك انه لو دخل موضع الطاعون لتعهد المسلمين لايأثم لأن الضرر فى حق نفسه موهوم ورجاء دفع الضرر عن بقية المسلمين امر محقق وتسمية الفرار من الطاعون فى بعض الاخبار بالفرار من الزحف لما فيه كسر القلوب بقية المسلمين وسعيا فى اهلاكهم وغلط الزهاد والعباد فى ظواهر الاخبار والآثار كثير وانما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك حيث يحملها على محامل لطيفة دقيقة ويستخرج فى كل منها سبب النهى وعلة الامر مرا تب كل منهما فى الحرمة والوجوب فيرتفع التناقض المتوهم فى ظواهر الاخبار والله اعلم بحقيقة الحال - واعلم ان كتمان المرض والفقر وانواع البلاء من كنوز البر وهو من اعلى المقامات ومع ذلك فالاظهار لابأس به اذا صحت فيه النية والمقصد، وذلك فى ثلاثة احوال، احدها ان يصف للطبيب حكاية لاشكاية وثانيها ان يذكره لمن يتعلم منه حسن الصبر بل الشكر بانه

يراه نعمة وثالثها ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك ممن يرجى منه القوة والشجاعة و يستبعد منه العجز فيذكره دفعا لاحتمال التجلد واظهارا لعجزه وافتقاره ـ

الاصل السادس

في المحبة والشوق والانس والرضا وفيه مطالب

المطلب الاول

في المحبة لله عز وجل

وهي من اعلى المقامات وكل مقام يتقدمها فهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وكل مقام بعدها من ثمراتها كالشوق والانس والرضا واخواتها وسائر المقامات وان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها ـ واما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انكر بعضهم امكانها وقال لامعنى لها الا المواظبة على طاعة الله ـ واما حقيقة المحبة فمحال الامع الجنس والمثل فاز مهم انكار لوازم الحب من الانس والشوق ولذة المناجاة الا ان الامة مجمعون على ان الحب لله ولرسوله فرض فيكون وجودها مجمعا عليه وجعلها مجازا عن الطاعة لاحاجة اليه وكيف لاوالطاعة ثمرة المحبة والقول بالطاعة يستلزم وجود المحبة ـ وايضا محبة الله تعالى في الكتاب والسنة كثير الذكر وكذا في الآثار وكلمات المشايخ بحيث لايمكن الانكار عليها وحمل كلها على المجاز يؤدي الى اللجاج والعناد ـ واعلم ان الحب فرع المعرفة والادراك ولهذا لايتصف الجماد بالحب ثم المدرك ان كان ملذا فهو محبوب وان كان مؤلما فهو مبغوض والا يكون مؤلما ولا ملذا فهو لايكون محبوبا ولا مكروها ـ فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوي يسمى عشقا، والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوي سمي مقتا ـ ثم لما كان الحب تابعا للادراك وكان ذلك منقسما الى الحواس صارت لكل منها لذة مخصوصة فلذة العين في الصور الجميلة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة وهكذا لايخفى ان البصيرة الباطنة اقوى من البصر

الظاهر

الظاهر والقلب اشد إدراكا من العين وجمال المعانى المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار فاذا لذة القلوب فى ادراك الامور الالهية اتم وابلغ ويكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما فى ادراكه لذة كما عرفت فاذا لاينكر حب الله الامن لم يتجاوز ادراكه رتبة البهائم وقعد فى رتبة الحواس ـ

المطلب الثانى

فى اقسام المحبة واسبابها

واعلم ان كل حى يحب دوام وجوده ويكره الموت والقتل ويحب ايضا كمال وجوده ويكره نقصه ولما توقف كمال الوجود ودوامه على سلامة الاعضاء يحبها ايضا ولما كان المال آلة فى دوام وجوده يحبه ايضا وكذلك لما كان الولد يخلفه فى الوجود يحبه ايضا وذلك لفرط حبه لبقاء نفسه لما عجز أن يطمع فى بقاء نفسه طمع فى ان يبقى جزء منه، وكذلك الاقارب والعشائر لما كانوا وسائل الى كماله يحبهم، فاذا المحبوب عند كل حى ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك كله فهذا هو اول الاسباب ـ والسبب الثانى الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وهذا بالحقيقة يندرج فى حب دوام الوجود اوكماله بالمال الا انه سبب بعيد والمالى قريب ـ الثالث ان يحب الشيء لذاته لالحظ ينال منه بل يكون ذاته عين حظه كحب الجمال والحسن من حيث انه كذلك لا لأن ينتفع بصاحبه بقضاء الشهوات ـ السبب الرابع ان الحسن والجمال غير منحصر فى المحسوسات بل هو فى المحسوسات (١) اعظم واقوى كما يقال هذا خلق حسن وعلم حسن وهذه سيرة حسنة واخلاق جميلة ألا ترى ان الانبياء صلوات الله عليهم محبوبون بالطبع عند المؤمنين وكذا الناس يحبون ابا حنيفة والشافعى ومالكا مع انهم لم يروهم وانما حبهم لصفاتهم الباطنة من العلم والدين والتقوى ـ السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذرب شخص (٢) يتأكد المحبة بينهما لابسبب جمال

---

(١) كذا ـ (٢) كذا ولعله شخصين ـ ح ـ

اوحظ بل بمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف - ثم ان هذه الاسباب اذا اجتمعت فى شخص كان حبه اشد واقوى واكمل - وايضا يتفاوت بحسب قوة هذه الخصال وضعفها فيه ثم ان هذه الاسباب كلها مجتمعة فى حق الله تعالى على وجه القوة والكمال فلا محبة فوق محبته عز وجل - وتفصيل ذلك ان الحب لاجل دوام الوجود وكماله وبقائه موجود فى حق الله تعالى على وجه الكمال اذ ليس وجوده ولا دوام وجوده الا من الله وبالله والى الله فهو المخترع والمبقى والمكمل اذ العبد عدم صرف لولا ايجاده تعالى وهالك محض لولا ابقاؤه تعالى وناقص لولا تكميله تعالى وكذا الحب للاحسان فليس الا لله تعالى فانه الذى انعم بخلقك وخلق ملك وخلق قدرتك وارادتك وداعيتك وكذا كل مال يصل اليك فانما هو من الله تعالى بالذات واليد الظاهرة وسيلة مضطرة اضطرار مجرى الماء فى جريان الماء فيه فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان وكذا حب الشخص لذاته واحسانه مثل ان تسمع فى الشرق ملكا عالما عابدا عادلا متلطفا بالناس فانك تميل اليه وهو الحب مع انك آيس من خيره وكذا اذا سمعت ملكا بضد ذلك فانك تنفر عنه وهو البغض مع انك آمن من شره ولا يخفى ان المستحق لمثل هذه المحبة ليس الا الله تعالى اذ هو المحسن الى الكافة المتفضل على اصناف الخلائق اولا بايجادهم ثم بتكميلهم بالاعضاء والاسباب الضرورية ثم بتنعيمهم بخلق الاسباب المحتاج اليها وان لم تكن ضرورية ثم بتجميلهم بالمزايا والزوائد التى هى مظنة زينتهم كالثياب الجميلة والمراكب الحسنة واما محبة شخص لجماله المعنوى من العلم والقدرة فليس احق بتلك المحبة من الله اما العلم فأين علم الاولين والآخرين من الله الذى يحيط بالكل حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات والارض بل نسبة علم الله تعالى الى اعلم اهل الارض اكثر من نسبة اعلم اهل الارض الى اجهل اهل الارض لأن زيادته بقدر متناه وزيادة علم الله غير متناهية واما القدرة فلا قدرة ولا قادر الا وهو أثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور أن

يحب

يحب قادرا لكمال قدرته فلا يستحق ذلك احد سواه، واما التنزه عن العيوب الذى هو أحد موجبات الحب فلا يتصور على وجه الكمال الا للواحد الحق الملك القدوس ذى الجلال والاكرام اذ كل مخلوق وان كان منزها عن النقائص والعيوب فلا يخلو عن نقص من وجه آخر بل عن نقائص ولا اقل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا ولا كمال الا لله وحده ـ واما المحبة لأجل المناسبة والمشاكلة لان شبه الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل اميل والمناسبة اما فى معنى ظاهر وذلك لايخفى وقد يكون لأمر باطن وذلك فى حق الله تعالى اما ممكن التعبير بان يقرب من الله تعالى فى الصفات التى أمرنا بان نتخلق بها حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك مثل العلم والاحسان والبر والرحمة على الخلق وافاضة الخير وارشادهم الى الحق ونحو ذلك، واما غير ممكن التعبير بل يشار اليه بالرمز فقط مثل قوله تعالى (قل الروح من أمر ربى) وقوله (انا جعلناك خليفة فى الأرض) اذ لم يستحق آدم خلافة الله الابتلك المناسبة ـ واليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته، ومن تلك المناسبة ما سموه قرب النوافل بعد كمال الفرائض كما قال النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه عزوجل لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به، وهذا موضع يجب كف عنان القلم فيه اذ الناس تحزبوا حزبين قاصرون مائلون الى التشبيه الظاهر وغالون مسرفون متجاوزون حد المناسبة الى الاتحاد والحلول حتى ضل النصارى وقالوا عيسى عليه السلام هو الاله وقال بعضهم تدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به وقال بعض الناس انا الحق، واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون وهذه المناسبة هى اقوى اسباب الحب واعظمها وابعدها واعزها واقلها وجودا ـ

المطلب الثالث

واعلم ان كل قوة فى الانسان لم تخلق عبثا بل لأجل ادراك مايلائمها وانما لذتها

فى الوصول الى مدركها ـ ثم ان فى الانسان قوة ربانية هى العقل ولذتها ادراك العلوم ولايخفى ان اللذة العلمية اقوى من اللذة الحسية اذ الانسان لا يصبر عن العلم والتمدح به ولو فى الشيء الحقير كالشطرنج مثلا ولو ذكر احدا فى مقابلته لذة الاكل لربما نسب اهله الى البهيمية وعابوه ـ ثم لايخفى ان لذة العلم بحسب شرف المعلوم فمعرفة الله تعالى الذ من جميع المعارف اذلا معلوم اشرف من ذلك وايضا هى ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ محلها الامر الربانى الذى هو باق لا يفنى ولعمرى طلاب العلوم يجدون عند انكشاف المشكلات لذة عظيمة يعرفها اهلها ـ فكيف حالها اذا كان الانكشاف فى جمال الله وجلاله اذ يعرض له حينئذ من الفرح ما يكاد يطير به حتى يتعجب من نفسه فى ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدركه الا من ذاقه ولعل من لم يذقها ينكر ذلك كما ينكر الصبى لذة السلطنة وليت شعرى من لا يفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وليس له صورة ولا شكل مع ان الرؤية اكمل الانكشافات وذلك لان المدركات المتخيلة ادراكها حال الرؤية اتم من ادراكها حال التخيل والدنيا بالنسبة الى الآخرة بمنزلة الخيال ، فاذا ارتفع حجاب البدن فان لم يبق فى النفس كدورات الدنيا يشاهدر به فى الحال ، وان بقى فيه كدورات لا ينفك عنها اصلا فهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابدا لآباد نعوذبالله منه ، ومنهم من يبقى فيه اثر ضعيف فيعرض على النار لتزكيتها بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة واقصاها فى حق المؤمنين سبعة آلاف سنة ، فاذا تطهرت النفس عن الكدورات يتجلى له الحق تجليا يكون تجليه بالاضافة الى علمه كانكشاف المرئيات بالاضافة الى المتخيلات وهذه المشاهدة والتجلى يسمى رؤية لكن (لا) بصورة مخصوصة ولا بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب ولايكون بين المشاهدة فى الآخرة والعلوم فى الدنيا فرق الامن حيث زيادة الكشف والوضوح فيظهر منه ان من لم يعرف الله فى الدنيا كيف يراه فى الآخرة ـ ولما كانت المعرفة على درجات كان التجلى ايضا على درجات متفاوتة إذ تختلف بقلتها وكثرتها وقوتها وضعفها وجنسها

ولذلك

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يتجلى للناس عامة ولأبى بكر خاصة وذلك لانه لما فضل الناس فى الدنيا بسر وقر فى صدره فضل لامحالة بتجلى انفرد به ، فان قلت كيف يقاس لذة النظر الى وجه الله تعالى بلذة المعرفة فى الدنيا وهى ضعيفة فاعلم ان استحقار لذة المعرفة للخلو عن المعرفة والا فلذتها فوق سائر اللذائذ بل للعارفين لذائذ لم يستبدلوا بها فى الدنيا الجنة مع ان هذه اللذة لانسبة لها اصلا الى لذة اللقاء والمشاهدة ، فان قلت فهل محل الرؤية فى الآخرة القلب او العين فاعلم ان ارباب البصائر مطمح نظرهم الرؤية بأى آلة وقعت واما اهل النظر فقد اختلفوا والحق انها بالعين كما هو مذهب اهل السنة والجماعة ليكون لفظ الرؤية والنظر وامثال ذلك مما ورد فى الشرع مجرى على ظاهره اذ لايجوز صرف الالفاظ عن الظواهر الا لضرورة -

المطلب الرابع

فى اسباب محبة العبد لله تعالى

اعلم ان اسعد الناس حالا واكلهم لذة فى فى الآخرة اقواهم حبا لله تعالى وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن اذلا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب المنتهى رتبة العشق فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما طريق تحصيله قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب وكمال الحب فى ان يحبه بكل قلبه فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه - ومنه حب المال والاهل والولد والاقارب والعقار والدواب ونحوذلك ومن جملة طرقه قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلائها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من شواغل الدنيا وعلائقها وهى الكلمة الطيبة التى اصلها ثابت وفرعها فى السماء ولا يوصل هذه المعرفة الا الفكر الصافى والذكر الدائم والواصلون الى هذه المعرفة اما اقوياء يعرفون الله اولا ثم يعرفون غيره به واما ضعفاء يعرفون الافعال اولا ثم يترقون منها الى الفاعل وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثر والاوسع على السالك وذلك يحصل بالتفكر فى عجائب الآفاق والانفس وملكوت السموات والارض اذ لا يبلغ فهمنا الى استقصائها وما بلغ

اليه فهمنا بالنسبة الى ما فى علم الانبياء والاولياء كقطرة من بحر وكذا لا نسبة لعلومهم الى ما استأثر الله تعالى بعلمه فاذا استغرقت فى هذا الفكر ازداد محبتك جدا ثم ان تفاوت الناس فى المحبة لتفاوتهم فى المعرفة واكثر الناس ما يعرفون الله تعالى الا بالصفات والاسماء، ثم ان بعضا منهم آمنوا بها ايمان تسليم وتركوا البحث وهم اهل السلامة، ومنهم من يتخيل لها معانى يتعالى عنها رب الارباب وهم الضالون، والعارفون بحقائقها هم المقربون وحبهم حب لذاته تعالى فلا يتغير فى السراء والضراء، واما من أحبه تعالى لانعامه واحسانه فربما يتغير حبه عند البلاء اوينقص واما من احبه لعجائب صنعه واستدل به على عظمته وجلاله فذلك لا يتغير بل يزداد متى ازداد مطالعته صنع الله تعالى وعجائب قدرته واما قصور الناس فى معرفة الله تعالى فأمران احدهما الانهماك فى الشهوات والاشتغال باحوال نفوسنا اذ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه فمهما اشتغل بذلك غفل عن معرفة الله تعالى، وثانيهما شدة ظهوره تعالى وتناهيه فى وضوحه فيصير ظهوره سبب خفائه وتفصيل ذلك هو أن الادراك وصول المدرك بالمدرك واحاطته به فلابد فى الوصول من غير المدرك عن غيره عنده(١) فمن كان وجوده اخفى يكون تمييزه عسيرا فيتعسر ادراكه كاحوال الزمان مثلا، فان حقيقة الزمان لكون وجوده اخفى بسبب كونه عرضا وغير قار يعسر ادراكه وكذا من كان وجوده اظهر واشد واقوى لا يمكن تمييزه عن غيره ولا احاطة المدرك به فيتعذر ادراكه كالنور مثلا فانه لظهوره عند الحس يعسر ادراكه حتى لو لم يعقب ضده اعنى الظلمة لم يمكن تمييزه اصلا فحينئذ حقيقة الواجب تعالى لما كان فى العقل بمنزلة النور بالقياس الى البصر ولم يمكن له ضد يتبين بسببه لم يمكن للعقل تمييزه عن غيره وايضا لقوته واحاطته بالكل تعذر للعقل احاطته ومعرفته فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره، وقيل ـ

لقد ظهرت فما تخفى على احد   الا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت فما اظهرت محتجبا   فكيف يعرف من بالعزة استترا

---

(١) كذا ـ

فهذا هو السبب فى قصور الافهام عن معرفة ذى الجلال والاكرام الا ان من قويت بصيرته ولم تضعف منته فى حال اعتدال امره لا يرى الا الله ولا يعرف غير الله ويعرف انه ليس فى الوجود الا الله وافعاله اثر من آثار قدرته فهى تابعة له ولا وجود لها بالحقيقة وانما الوجود للواحد الحق فقط ـ فعند ذلك لاتحتاج معرفته الى تمييزه عن غيره اذلاغيرله فلايكون ناظرا الا فى الله ولاعارفا الا بالله ولامحبا الا لله ولا ينظر الى نفسه ايضا بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذى فنى فى التوحيد عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن . واذا عرفت محبة الله تعالى فاعلم ان المحبة مستتبعة للشوق فلعل من انكرها ينكره ايضا واعلم ان المدرك من كل وجه لايشتاق اليه وكذا ما لم يدرك اصلا وانما الشوق لمن ادرك من وجه ولم يدرك من وجه آخر فالله تعالى وان كان مدركا للعارفين لكنه غير مدرك لهم من وجهين احدهما ان الخيال فى هذا العالم لايفتر عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهى مكدرات للمعارف فلاتتضح المعلومات لأجلها غاية الاتضاح ـ ثانيهما ان ما انكشف لكل عبد بعض من الامور والا فالأمور الالهية لانهاية لها فعند ذلك تشتاق كل نفس الى معرفة الله تعالى من جهة الاتضاح ومن جهة الزيادة والشوق الاول يندفع فى الدار الآخرة بالمعنى الذى يسمى رؤية ومشاهدة ولقاء ـ واما الشوق الثانى فيشبه ان لاينتهى فى الآخرة ايضا اذ الامور الالهية لاتتناهى الا ان هذا الشوق لما كان فى عين الوصال لايظهر فيه الم والآيات والاخبار فى اثبات الشوق اكثر واشهر ـ

المطلب الخامس

فى محبة الله تعالى للعبد

وقد ورد ذلك فى الشرع الا ان المحبة فى حق الله تعالى معنى مجازى لها لان المحبة ميل النفس الى ما يوافقها فلابد فيها من عدم ما يوافقها وذلك محال فى حق الله تعالى اذ كل جمال وكمال له تعالى بالفعل بل محبته(١) الا الى ذاته تعالى وافعاله وليس فى الوجود شىء غير ذاته وافعاله فهو لا يحب الا ذاته وما ورد من حبه لعباده

(١) كذا ـ

فمؤول او يرجع معناه الى كشفه الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به فى الازل فحبه لمن احبه ازلى ان نسب الى قدرته الازلية وحادث بحدوث السبب المقتضى له اذا اضيف الى فعله كما قال ولايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه الا انه قرب بالصفة لا بالمكان الا ان هذا التغير على العبد لاعلى الرب والعبد يتقرب بقدر قربه وكماله واذ لا نهاية للكمال فلانهاية فى درجات القرب ثم ان لمحبة الله للعبد علامات قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناؤه قال لم يترك له مالا ولا اهلا فعلامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه فأخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو أن يتولى الله امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض الدنيا فى قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة فى خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته واما علامات محبة العبد لله تعالى فهى كثيرة الا أن وجودها اعز من الكبريت الاحمر وان كثر مدعيها ، منها حب لقائه فى دار السلام واذا علم انه لايمكن بدون الموت فيحب الموت لاجله ومنها حب القتل فى سبيل الله واما من لايحب الموت كما هو حال اكثر الناس فاما لمحبة الاهل والاولاد والمال فذلك القلب خال لامحالة عن محبة الله واما لانه يحب هؤلاء حبا مال بكل قلبه فمحبة الله فيه ضعيفة واما لانه لايحبه لعدم استعداده الآن للقاء الله فذلك من امارات المحبة ومنها ان يؤثر ما احبه الله على ما يحبه فى ظاهره وباطنه فيتجنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولايزال مواظبا على طاعة الله ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات - واما العصيان فان لم يضر اصل المحبة اذ قديأكل المريض ما يضره وان علم ضرره لكن تضعف معرفته فيعجز عن القيام بحق المحبة

المحبة - ومنها حب ذكره لان من احب شيئا اكثر ذكره وحب كلامه وهو القرآن وحب رسوله وكل ما ينسب اليه بل عبادالله الصالحين لأنهم حبيبه(١) بل حب كل الخلق لانهم خلقه ومن احب احدا يحب كل ما في محلته وحب الاشياء المذكورة من حيث نسبتهم الى الله تعالى ليس محبة لغيرالله تعالى بل محبة له تعالى - ومنها ان يتلذذ بالخلوة معه وبمناجاته في الليالي وبتلاوة كتابه ويغتنم بالتهجد وهدوء الليل وصفاء الوقت - ومنها ان لايأسف على مايفوته مماسوى الله ويعظم تأسفه على فوت ساعة خلت عن ذكر الله وطاعته - ومنها ان يتنعم بالطاعة ولايستثقلها ولايسقط عنه تعبها(٢) ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله شديدا على جميع اعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكره الله ولايصرفه عن الغضب لله صارف ومنها ان يكون في حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم، وادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان الجمال يوجب المحبة - وللمحبين مخاوف في مقام المحبة فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه الابعاد الا لانه انما تعظم في قلب الف القرب وذاقه وتنعم به - ثم اهل الخصوص ربما يحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادى اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لايقدر على الاحتراز عنه الا ذوو الاقدام الراسخة - ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى مايتجاوز حدالمعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه في العقبى ويتعجل عليه البلوى في الدنيا الا ان يغلب عليه سكر اضطره الى اظهاره فيعذر وانما يقبح التظاهر بالحب لا اظهاره لما في التظاهر من الدعاوى والاستكبار - وحق الحب(٣) ان تنم على حبه الخفي اعماله واحواله دون اقواله وافعاله بل ينبغي ان يظهر حبه عن غير قصد الى الاظهار وينبغي ان يكون قصده اطلاع الحبيب فقط، اما ارادة اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه الا

---

(١) كذا ولعله - لأنهم احبته - ح (٢) كذا (٣) لعله - المحب - ح

اذا غلب سكر الحب فانطاق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه -

المطلب السادس

فى الانس والرضا والشوق

واعلم ان هذه الامور كلها من ثمرات المحبة الا ان المحب اذا تطلع الى منتهى الجمال من وراء حجاب الغيب واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انزعج قلبه للطلب وهاج اليه فسمى هذه الحالة فى الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وغير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العجز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا واما علامة الانس فضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر حتى انه ان خالط الخلق يكون كمنفرد فى جماعة ومجتمع فى خلوة وغريب فى حضر وحاضر فى سفر وشاهد فى غيبة وغائب فى حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب وبعض المتكلمين انكروا الانس والحب والشوق وظنوا ان هذه تشبيه وذلك لجهلهم ان جمال المدركات بالبصائر اكمل من جمال المبصرات وانكار ذلك من القصور وانكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر وهذا ايضا كلام قاصر مقتصر من المقامات على القشور وهؤلاء معذورون الا ان عذرهم غير مقبول

واعلم ان الانس اذا دام غلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط فى الاقوال والافعال مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم فى مقام الانس ومن لم يقم فيه وتشبه بهم فى الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر يحكى ان موسى عليه السلام خرج يستسقى فى سبعين الفا من بنى اسرائيل فأوحى الله عليه كيف استجيب لهم وهم يدعونى على غير يقين ويأمنون مكرى ارجع الى عبدى برخ وهو عبد اسود حتى استجيب لهم فسأل عنه موسى عليه السلام

فلم

فلم يعرف وقد استقبله عبدا سود وبين عينيه تراب من اثر السجود فى شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور النبوة فسلم عليه وطلب منه الدعاء فقال فى كلامه ما هذا من فعالك ولاهذا من حلمك وما الذى بدا لك أنقصت عليك عيونك ام عاندتك الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين ألست كنت غفارا قبل خلق الخطائين، وامثال ذلك فلم يبرح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالمطر وانبت الله تعالى العشب فى نصف يوم حتى بلغ الركب - قاله برخ كيف رأيت ياموسى حين خاصمت ربى كيف انصفنى فهم به موسى عليه السلام فأوحى الله اليه ان برخا يضحكنى كل يوم ثلاث مرات وامثال ذلك من المحبين كثيرة -

المطلب السابع

فى الرضا

وهى من اعلى المقامات وقد انكرها طائفة لغموضها (١) توقا لوا ان امكن الرضا بكل شيء من افعال الله عزوجل فينبغى ان يرضى بالكفر والمعاصى وانخدع قوم فرأوا التسليم بالفجور والفسق وترك الانكار من باب الرضا وليس كذلك وبيان الحق فيه ان فضيلة الرضا ثابتة بالآيات نحو قوله تعالى:(رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقوله (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) ومنتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عنه ونحو ذلك فى الآيات والاخبار الكثيرة واما حقيقته فان الرضا مما يثمر المحبة وذلك اوجهين اما ان لا يحس الألم ولايدركه لاستغراقه بمشاهدة محبوبه واما ان يحس به ويدرك الألم ولكن يرضى به بل يرغب فيه مريدا بعقله وان كان كارها بطبعه كمن يجد الم الفصد ويرضى به بل يشكر الفصاد وقد يكون ذلك لطلب الاجر والثواب وقد يكون لكون رضا حبيبه مطلوبا ومرادا عنده - واما الفسق والفجور والمعاصى فلها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث ان فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى ملكه ورضا بما يفعله ووجه الى العبد من حيث انه كسبه

(١) كذا -

ووصفه وعلامة كونه ممقوتا وبغيضا عند الله تعالى فهو من هذا الوجه منكر ومذموم فالسكوت عنه وتسميته حسن خلق جهل محض ولا يخفى ان الرضا والكراهة ضدان لا يجتمعان من جهة واحدة ولكن من جهتين بجائز وبهذا يتقرر كيفية الجمع بين الرضا بالقضاء وبين البغض فى الله والحب فى الله والتشديد والتغليظ على الكفار والمبالغة فى مقتهم وبالجملة الخير والشر كلاهما من الله ومن قال الشر ليس منه فهو جاهل وكذا من قال ان كلاهما منه بوجه واحد بل الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى ووراء هذا سر القدر الذى منع عن افشائه ـ واما الدعاء للبلاء مع وجوب الرضا بالقضاء فلأن الدعاء يستخرج منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف فيكون الدعاء من قبيل مباشرة الاسباب ولا يخفى ان الرضا من باب التوكل وقد عرفت ان لا منافاة بين مباشرة الاسباب والتوكل ـ واما الفرار من بلاد تكثر فيها المعاصى فلا يخالف الرضا وليس ذلك فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لابد من الفرار منه ـ واما نهى الفرار عن بلد الطاعون فذلك ليس لحرمة الخروج بل لئلا يهمل امر المرضى فيهلكون هزلا وضرا وقد عرفت تفصيل ذلك ـ

الاصل السابع

فى النية والاخلاص والصدق وفيه مطالب

المطلب الاول

فى النية

اما فضيلتها فبقوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) والمراد بالارادة النية وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات، ونحو ذلك واما حقيقتها فاعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو صفة للقلب واعلم ان الانسان يوافقه بعض الامور ويخالفه بعضها فافتقر اولا الى معرفة الملائم اي النافع والضار اي المنافر فخلق الله فيه الهداية والمعرفة لاجله.

لاجل ذلك وجعل لها اسبابا وهى الحواس الظاهرة والباطنة ، ثم هذه المعرفة فى حصول امر إن لم يشته ذلك الامر فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة اعنى نزوعا فى نفسه اليه وتوجها فى قلبه اليه ثم ذلك لايكفيه ان عجز عن تحصيله فخلق الله له القدرة والاعضاء للحركة فالعضو لا يتحرك الا بالقدرة وهى تنتظر الداعية الباعثة وهى تنتظر العلم والمعرفة اوالظن والاعتقاد فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهى ارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما فى الحال اوفى المآل ، ثم ان انتهاض القدرة للعمل قديكون بباعث واحد وقديكون بباعثين اما بالاجتماع فى التأثير اوتأكيد التأثير فههنا اقسام اربعة ، الاول ان ينفرد الباعث الواحد كهجوم السبع فى الهرب فلا نية له غيره وهذه تسمى خالصة والعمل بموجبها اخلاصا ، الثانى ان يجتمع باعثان كل منهما كاف بالانتهاض لوانفرد كأن يتصدق لقريبه الفقير لفقره وقرابته ويسمى هذا مرافقة البواعث ، الثالث ان يقوى مجموعها على الانتهاض دون كل واحد منهما كالتصدق عندالناس لغرض الثواب والثناء معا حتى لوكان الطالب فاسقا لكان لايعطيه اوكان صالحا وطلبه فى الخلوة لايعطيه ايضا ويسمى هـذا الجنس مشاركة ، الرابع ان يستقل احدهما لوانفرد والآخر لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل مثل ان يتصدق عند الناس ولكن عـلم انه لوكان خاليا لم يفتر عن عمله ولكن صارالفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم ويسمى هذا الجنس المعاونة ، واعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم نية المرء خير من عمله قيل معناه ان النية سر والعمل السر فضل وهـذا صحيح الا انه ليس بمراد اذيقتضى عموم الحديث ان يكون نية ذكر الله خيرا من ذكره بقلبه وقيل ان النية تدوم الى آخر العمر دون العمل وهو ضعيف اذمعناه ان العمل الكثير خير من القليل مع ان النية لم تكن الا فى لحظات فلايكون خيرا وقددل عموم الحديث عـلى خيريته ، وقد يقال ان جهة النية فقط خير من جهة العمل فقط وهو كذلك لكنه بعيد أن يكون مرادا اذالعمل بلا نية لاخير فيه اصلا مع ان المفهوم من الحديث اشتراكهما فى اصل الخيرية

والحق ان المراد ان لكل من النية والعمل اثرا فى الخيرية لكن اثر النية اكثر من اثرا لعمل -

المطلب الثانى

فى تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية

والاعمال ثلاثة - احدها المعاصى وهى لاتتغير عن موضوعها بالنية بل النية بهاشر آخر فالقائل به اما معاند الشرع واما جاهل عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم مثال ذلك من بنى مسجدا اومدرسة بمال حرام وقصده الخير اوعلم علما لمن يجعله آلة شر وفساد وقصد بذلك نشر العلم فان استعمله هوفى الفساد فهوالعاتب لاانا الا انه تلبيس ابليس - وثانيها الطاعات وهى بالنيات فى اصل صحتها وفضل طاعتها فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوى بها خيرات كثيرة مثل ان يقعد فى المسجد للاعتكاف ولانتظار الصلاة ولكف الحواس عن المعاصى وللزوم السر للفكر ودفع الشواغل الدنيوية وللتجرد لذكر الله اواستماعه ولافادة علم ولأن يستفيد اخا لله ولأن يترك الذنوب حياء من الله تعالى فى ان يفعل المعاصى فى بيته - وثالثها المباحات وتصير بالنية من القربات فما اعظم خسران من يغفل عنها مثلا ان يطيب يوم الجمعة للتلذذ فهوحلال الا انه يحاسب عليه وينقص من نعيم الآخرة بقدره واما اذا تطيب لدفع النتن عن عباد الله فتكون عبادة وان تطيب للتفاخر اوللتمكين فى قلوبهم اوتودد الى النساء الاجنبيات يكون معصية فاياك واياك ان تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من شرورها وغرورها وتعد الجواب يوم الحساب فان الله مطلع عليك وشهيد (ما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد) ثم ان النية غير داخلة تحت الاختيار فلاتظن ان قولك نويت ادرس لله اواتجر لله نية بل ذلك حديث نفس اولسان اوفكر اوانتقال من خاطر الى خاطر وانما النية انبعاث النفس وتوجيهها وميلها الى ماظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا او آجلا والميل اذا لم يكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقولك نويت ان اشتهى الطعام واميل اليه بل لاطريق الى اكتسابه الا باكتساب اسبابه وذلك مما

يقدر عليه و قد لا يقدر وذلك يجرى مجرى الفتوح من الله تعالى نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين يتيسر عليه احضار النية فى اكثر الاحوال وذلك اما للخوف اوللرجاء اولذاته تعالى وجلاله لا لأمر سواه –

المطلب الثالث

فى الاخلاص

وفضيلته كثيرة مذكورة فى الآيات والاخبار – قال الله تعالى (مخلصين له الدين) وقال (الا لله الدين الخالص) وقال (ولايشرك بعبادة ربه احدا) والاحاديث والآثار فى هذا الباب كثيرة – واما حقيقة الاخلاص فكل من خلص عن شوب غيره سمى خالصا والفعل اخلاصا ويضاده الاشراك فكما ان الشرك جلى وخفى كذا الاخلاص ثم ان الاخلاص هو النية بشرط كون الباعث واحدا فقط فمن تصدق وغرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص وكذا من تصدق وغرضه محض الرئاء فهو مخلص ايضا لغة الا ان العرف يخصص الاخلاص بالاول – كما ان الالحاد هو الميل مطلقا والعرف خصصه بالميل عن الحق ثم ان من انبعث لقصد القربة ولكن امتزج بخاطر آخر من حظوظ النفس كمن صام للقربة وقصد معه الحمية اوحج للقربة مع قصد صحة المزاج بحركة السفر او تعلم العلم لله مع قصد العز بين العشيرة او كتب مصحفا للقربة وقصد أن يجود خطه بالمواظبة ونحو ذلك من امثال هذه الخطرات التى يخف معها العمل فقد خرج بهذه عن الاخلاص وتطرق اليه الشرك ولما كان الانسان قلما ينفك عن امثال هذه الحظوظ قيل من سلم له فى عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا – ثم ان هذه البواعث اما ان تكون مثل القربة او اقوى منه او اضعف والاخلاص تجرد النية عن هذه البواعث كلها حتى يتجرد فيه قصد القربة عن باعث غيره – وهذا لايتصور الا من محب لله تعالى حتى لايحب الاكل والشرب (الا) ليتقوى بهما على عبادة الله تعالى فلايكون له هم الا الله ومن لم يكن كذلك فباب الاخلاص كالمسدود عليه الا على الندور فعلاج ذلك كسر حظوظ النفس والتجرد للآخرة وغلب(١) ذلك على القلب – ثم ان الانسان ربما يتعب فى

---

(١) كذا –

الاعمال ويظنها خالصة وليس كذلك فههنا موضع غرور وقلما يسلم منه احد وقلما يتنبه له سيما العلماء اذ الباعث للاكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والاستبشار بالحمد والثناء وهو يظن انه غرضه نشر دين الله والنضال عن شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا الحال في الوعظ - وربما يظن العالم ان نشره العلم لوجه الله حتى يظن من نفسه انه لو قام احد مقامه فيه لفرح به ولم يغتم الا انه غرور باطل اذ لا عبرة بوعد النفس قبل نزول الامر فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الاكثرون الا الشاذ النادر والفرد الفذ والكلام في تفسير الاخلاص كثير الا ان البيان الشافي ما وقع عن سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادتك كما امرت وهذه اشارة الى قطع كل ما سوى الله عن النظر وهو الاخلاص حقا ثم بيان درجات الشوائب المكدرة للاخلاص على مراتب جلي وخفي ضعيف مع الجلاء وقوي مع الخفاء واظهر مشوشاتها الرئاء مثل ان يدخل داخل وهو يصلي فحسن صلاته لاجل ان يقول له انه صالح اولا يتبع الشيطان في ذلك الا انه يحسن ليقتدى به ويتاسى غيره به فيكون له مثل ثواب اعمالهم اولا يتبع الشيطان في ذلك ايضا فيحسن في الخلوة والملأ معا وهذا ايضا مكر لان هذه التسوية من النظر الى الخلق اولا يتبع الشيطان في ذلك ايضا الا انه اذا حضر احد وهو في صلاته يقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله واستحي من ان ينظر الله الى قلبك وانت غافل عنه فيظنه المسكين اخلاصا فيتبعه وهو عين المكر والخدع فانه لو كان اخلاصا لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة والفرق بين الخلوة والملأ من شوب الرئاء الخفي - واعلم ان العمل اذا كان محض رئاء يستحق صاحبه المقت والعقاب واذا كان خالصا لوجه الله يستحق الثواب وانما الخلاف في العمل المشوب المفهوم من ظواهر الاخبار ان لا ثواب له اصلا وقد يعارض فيه بعض الاخبار بعضا فالذي ينقدح لنا فيه والعلم عندالله ان ننظر الى قدر الباعث الديني والباعث

النفسي

النفسي فان تساويا تساقطا فالعمل لا له ولا عليه وان قوي الباعث النفسي فالعمل غير نافع بل مقتض للعقاب وان كان اخف من عقاب رئاء لم يمتزج فيه جهة قرب اصلا وان قوي الباعث الديني فله ثواب بقدر زيادته لقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ولقوله تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على الرئاء حبط منه القدر الذي يساويه ويبقى له الفضل ثوابا وان كان مغلوبا محي من الوزر ما كان يساويه ويبقى له الباقي وزرا فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والدواء عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر عن تأثير في انارة القلب وتسويده وفي تقريبه من الله تعالى وتبعيده ـ واما ما ورد في الاخبار من ان الرئاء محبط للعمل مطلقا فالمراد به الرئاء المحض او الغالب على الخير فلا تناقض اصلا ـ

المطلب الرابع

في الصدق

وفضيلته مركوزة في كل طبع ولا حاجة الى التنبيه عليها واما حقيقته ومراتبه فاعلم ان الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وفي النية وفي الارادة وفي العزم وفي الوفاء بالعزم وفي العمل وفي تحقيق مقامات الدين كلها والمتصف بالصدق في جميع ذلك يسمى صديقا لانه مبالغة في الصدق ، الاول اعني صدق اللسان لا يكون الا في الاخبار او فيما يتضمنها فالخبر اما ماض او مستقبل ويدخل فيه الوفاء بالوعد والخلف فيه وهذا الصدق الواقع في اللسان واجب على كل احد ولكمال احدها الاحتراز عن المعاريض لانه في حكم الكذب من حيث انه تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه وان صلح لغيره ايضا الا انه قد يترجح على الصدق في بعض المواضع في تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجرى هؤلاء وفي الحذر من الظلمة وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الغزاة والصدق ههنا يتحول الى النية ـ والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كما في قولك اني وجهت

وجهى للذى فطر السموات والارض فينبغى ان يكون قلبه متوجها اليه عند كلامه وكذا اذا قلت إياك نعبد ينبغى ان لا تشرك احدا فى عبادته - الصدق الثانى فى النية والارداة ويرجع ذلك الى الاخلاص فكل صادق لا بدأن يكون مخلصا - الصدق الثالث صدق العزم مثل ان تقول ان رزقنى الله مالا تصدقت بجميعه او شطره اوان اعطانى الله ولاية عدلت فيها ولم اظلم احدا فصدقها بانه لا يكون تردد عند هذا القول فى عزمه بل يكون عزمه جزما صادقا وان كان مع ميل وتردد وضعف لا يكون عزمه صادقا قطعا - الصدق الرابع فى الوفاء بالعزم اذ النفس قد تسخو فى العزم والوعد اذ لا مؤنة فيه لكن اذا آن اوان تحقيقه قد ينحل عزمه فيكذب او يحقق فيصدق - الصدق الخامس فى الاعمال وهو أن لا تدل اعماله الظاهرة على امر فى باطنه لا يتصف هو به لا بأن يترك الاعمال ولكن بأن يستجر الباطن الى تصديق الظاهر مثلا يتخشع فى الاعمال وقلبه فى السوق وان لم يقصد الرئاء فهذا هو الفرق بينه وبين الرئاء وبالجملة مساواة السر والعلانية من احد انواع الصدق - الصدق السادس وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق فى مقامات الدين والخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل ونحو ذلك فان لهذه الامور مبادى هى ظهورها وغايات هى حقائقها واذا غلب الشيء وتمت(١) يسمى صاحبه صادقا فيه كما يقال الخوف الصادق والشهوة الصادقة مثلا كل مؤمن يخاف من النار لكن صدق ذلك ان يصفر لونه ويتنغص عليه عيشه ويستبدل بالانس وحشة وبالراحة تعبا فالصادق فى جميع المقامات عزيز جدا - ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق فى بعض الامور دون بعض الامور دون آخر(١) فان كان صادقا فى الجميع فصاحبه يسمى صديقا وذلك نادر عزيز الوجود جدا

الأصل الثامن

فى المحاسبة والمراقبة

واعلم ان التاجر يستعين بشريكه فيشارطه اولا ثم يراقبه ثم يحاسبه ثالثا ثم يعاتبه رابعا كذلك العقل هو التاجر فى متاع الآخرة وشريكه النفس فعليه ان يحاسبها

(١) كذا -

لأن

لأن كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنوز لاتتناهى ابد الآباد فيقول للنفس فى صبيحة كل يوم مالى بضاعة الا العمر فمهما فنى فقد فنى رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وهذا اليوم الجديد قد مهلنى الله تعالى فيه وانسأنى اجلى وانعم علىّ به ولو توفانى لكنت اتمنى ان يرجعنى الى الدنيا يوما واحدا اعمل فيه صالحا واحسبى أنى توفيت ثم رددت فاياك ان يضيع هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لا قيمة لها فهذه وصيته لنفسه فى اوقاته ثم يستأنف لها وصيته فى اعضائه السبعة ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها هذه التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لم يحفظ هذه الاعضاء صارت ابوابا سبعة لجهنم اما العين فيحفظها عن المحرمات بل عن الفضول فانها مسؤولة عن الفضول كالكلام ثم يأمر بصرفها الى ما خلقت هى له وكذا اللسان يحفظه عن الغيبة والنميمة والكذب والبهتان وعن فضول الكلام ويأمر له العلم والاذكار وسائر الخيرات وكذا الأذن والبطن واليد والرجل والفرج ثم ان العقل بعد ما شرط للنفس هذه الامور ينبغى ان يراقبها عند العمل ولا يخفى ان المراقبة من مبادى مرتبة الاحسان ففضلها ظاهر واما حقيقتها فهى مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه ولا يتم هذا الا بمعرفة وهى ان الله تعالى مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد (إن ربك لبالمرصاد) واذا استولت على القلب هذه المعرفة لاجرم امالت القلب الى جانب ملاحظة الرقيب والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون المنقسمون الى الصديقين والى صاحب اليمين واما مراقبة الصديقين فهو مراقبة التعظيم والاجلال بأن يستغرق قلبه فى ملاحظة ذى الجلال ويصير منكسرا تحت الهيبة فلا يبقى معه متسع للضر اصلا وتبقى جوارحه متعطلة عن التلفت الى المناجاة فضلا عن الحظورات (١) فلا يحتاج الى مدبر فى حفظها على سنن السداد وهذا هو الذى صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومثل هذا يغفل من الخلق كلهم حتى لا يبصر من عنده وعينه ناظرة اليه ولا يسمع الكلام وليس به صمم وقد يمر على ابنه فلا يكلمه — وقال بعضهم لمن عاتبه على عدم

---

(١) كذا — ولعله — عن المباحات فضلا عن المحظورات — ح

الالتفات اذا مررت فحركني - ومثل هذا لايحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه اذ لايتحرك الا بما هو فيه - واما مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب مطالعة جمال الله على قلوبهم وبواطنهم وظواهرهم ولكن لم يدهشهم ذلك بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال وهم يجمعون بين ممارسة الاعمال والمراقبة بغلبة الحياء من الله تعالى فيتثبت فيه ويفر من الفضاحة فى القيامة فينظر قبل العمل انه لله تعالى فيمضيه اولغير الله فيستحيي من الله فيكف عنه ثم يلوم نفسه على رغبتها فيه وهمها به وميلها اليه وعرفها سوء فعلها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمة وعند الشروع فى العمل فى كيفية العمل ليقضى حق الله فيه ويحسن النية فى اتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له فى جميع احواله من حركة وسكون - فاذا راقب الله فى جميع ذلك قدر على عبادة الله فيها بالنية ومراعاة الادب وحسن الفعل ، فمراقبته فى الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الآداب وحراستها عن الآفات ، وان كان فى معصية فمراقبته بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر - وان فى مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم شهود المنعم فى النعمة وبالشكر عليها - ثم الناس فى حق المطاعم والمشارب على اربع مراتب، قسم ينظرون اليها بعين الاعتبار فينظرون فى عجائب صنعتها وكيفية ارتباط قوام الحيوانات بها وكيفية تقدير الله لأسبابها وخلق الشهوة الباعثة عليها وخلق الآلات المسخرة للشهوة وهذا مقام ذوي الالباب، وقسم ينظرون بعين المقت والكراهة ويودون لو اشتغلوا عنها الاانهم مضطرون اليها وهذا مقام الزاهدين ، وقسم يرون فى الصنعة الصانع وصفاته تتنفتح له ابواب الفكر وهواعلى المقامات وهومن مقام العارفين والمحبين وذلك عزيز جدا، وقسم ينظرون اليها بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على مافاتهم منها ويفرحون بما حضرهم من جملتها ويذمون مالايوافق طبعهم ويعيبون الطبيخ والطباخ مع ان من ذم شيئا من خلق الله بغير اذنه فقد ذم الله تعالى ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر واذا عرفت محاسبة

النفس

النفس ومراقبتها عند العمل فاعلم ان مراقبتها محاسبتها بعد العمل وهي النظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان فضل حاصله شكره والاطالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل ثم ان رأس مال السالك في دينه الفرائض وربحه النوافل وخسرانه المعاصي وموسم التجارة جملة النهار فليطالب نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض ان اداها على وجهها شكر الله عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها مايتدارك به مافرط ثم انه يحاسبها عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لم سكت وعن سكونه لم سكن ثم انه بعد محاسبتها ينبغي ان لايهمل تقصيرها والاعسر فطامها بعد ذلك وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها على ذلك مثلا اذا اكل لقمة بشبهة يعاقبها بالجوع واذا نظر الى غير محرم يعاقب العين بمنع النظر وهكذا واذا كنت عاقبت اهلك وعبدك وامتك وولدك على تقصيرهم في امر يؤدى الى ضرر في الدنيا فلاى شيء لاتعاقب جوارحك وهي اخص بك مما ذكر مع ان ضررها في الآخرة - ثم اذا اتممت امر المحاسبة فعليك بالمجاهدة بان تعاقبها بالعقوبات مثلا ان رآها تتنادى(١) في ورد من اورادها يعاقبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لمافات وتداركا لما فرط ولعمرى ما اعظم حسرة من لايمنع نفسه اياما قلائل عن شهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين ما يشتهيه ابد الآباد نعوذ بالله من ذلك - ثم اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء وامرت بمنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت وجمحت وان عاتبتها كانت نفسك هي النفس اللوامة ورجوت ان تصير مطمئنة فلا تغفل عن وعظها ساعة وقل لها انت تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت احمق واجهل اما تعرفين الجنة والنار وانك صائرة الى احداهما فما لك تشتغلين باللهو أما تعلم ان كل آت قريب وايضا انه يأتي بغتة ولا اقل من ان المرض يأتي بغتة فعند

---

(١) كذا -

ذلك لا ينفعك الندم ، وايضا ما اجرأك على المعاصى ان قلت ان الله لايراك فما اعظم كفرك وان قلت انه يراك فما اشد وقاحتك وان اغتررت بكره وفضله فما لك لا تغترين بهما فى أمر الدنيا وان رب الدنيا والآخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت هيهات هيهات كيف تكذبين انبياء الله فان صدقتهم فما بالك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد فبماذا أمنت استعجال الاجل وما الباعث لك على التسويف فتنظرين يوما لا يعسر فيه مخالفة الشهوات فهذا من اقبح الجهالات اذ الجنة حفت بالمكاره والنار بالشهوات مع ان شجرة الشهوة تقوى وترسخ مهما طال الزمان سيما والقوة مهما تأخرت تكون فى النقصان اذ رياضة الهرم من العناء والقضيب اذا غلظ لا يقبل الانحناء وان لم تصبرى عن مفارقة الشهوات فتأملى ان الم الصبر عنها اعظم ام الم الصبر على النار فاذا عرفت هذا فلعلك لاتتوانين عن النظر لنفسك الالضعف يقينك بيوم الحساب وهو الكفر الخفى اواعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفاتك الى استدراجه ومكره واستغنائه عن عبادتك وهذا هو الحمق الجلى وانما كرم الله تعالى فى تعريف اسباب الخلاص لافى ان يدفع عنك العقاب بدون التحصن بحصنه اعنى التوحيد والطاعات ـ ويحك فاحسبى انك غافلة عن عذاب الله وثوابه اماتعلمين انك تفارق الدنيا بالموت فلا يبقى لك الاحسرة مفارقتها تعمرها وانت ترتحلين عنها وتخربين آخرتك وانت تصيرين اليها ولعلك اسكرك حب الجاه وحاصله ميل قلوب الناس اليك فاحسبى ان كل من على وجه الارض سجد والك واطاعوك فما تعرف انه بعد خمسين سنة لايبقى الساجد ولا المسجود فأف لدنيا ربما يفضلك فيها المجوس واليهود فيا حسرة عليك ان الموتى يتمنون الرجعة الى الدنيا ليشتغلوا بتدارك مافرط منهم وانت فى امنيتهم غافل عنها ذاهل ـ افتظنين انهم دعوا الى الآخرة وانت من الخالدين هيهات هيهات ساء ما تظنين ما انت الا فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك اما تخافين اذا بلغت النفس منك على التراق وتبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم اويقبل منك الحزن اويرحم

منك البكاء . فانظرى بأى قلب تقفين بين يدى الله وبأى لسان تجيبين واعدى للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجى الا اليه ولا معول الا عليه قد ضاقت بك السبل وانقطعت منك الحيل ولا يجيب دعوة المضطر الا هو ولا يغيث الطالب الملتهف الا هو فقولى . يا رحمن يا رحيم يا عظيم يا كريم انا البائس الفقير والضعيف الحقير هنا مقام المتضرع المسكين والذليل المهين فعجل اغاثتى وفرجى وارنى آثار رحمتك واذقنى برد عفوك وشراب مغفرتك وارزقنى توبة عصمتك ولذة النظر الى وجهك الكريم يا ارحم الراحمين .

الاصل التاسع

فى التفكر وفيه مطلبان

المطلب الاول

فى فضيلة التفكر

وذلك شائع فى كتاب الله تعالى والاخبار بحيث لا حاجة الى تفصيل ذلك واما حقيقته فهى احتضار معرفتين فى القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة وهذا اما بالتقليد او بالفكر من عند نفسه اما بالتعلم والممارسة وهو الاكثر او بنور الهى فى الفطرة كما كان للانبياء عليهم السلام وذلك عزيز جدا ، وقد يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا وقد يخص اسم الاعتبار للعبور عن المعرفتين الى معرفة ثالثة ، واسم التذكر بالعثور على معرفتين فقط وكل متفكر متذكر بدون عكس كلى ، ثم ان ثمرة الفكر العلم ويحصل منه فى القلب تغير يسمى حالا ويلزم هذا الحال تغير فى الجوارح يسمى عملا فالفكر هو مفتاح الخيرات كلها ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة ، فههنا خمس درجات اولها التذكر وهو احضار المعرفتين فى القلب مثل ان تعرف ان الابقى اولى بالايثار وان الآخرة ابقى ، وثانيها التفكر وهو طلب المعرفة الثالثة منهما ، الثالث حصول المعرفة المطلوبة

واستنارة القلب بها وهي قولك الآخرة اولى بالايثار ، الرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول المعرفة مثل تغير القلب الى الرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ، والخامسة خدمة الجوارح للقلب ما تجدد له من الحال ، وذلك مثل تغير اعمال الجوارح فى اطراح الدنيا والاقبال على الآخرة ـ

المطلب الثانى

فى مجارى الفكر

اعلم أن الفكر اما فى امر الدين اوفى غيره وانما غرضنا هو الاول والمراد منه المعاملة بين العبد والرب بجميع افكار العبد اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله او بالمعبود وصفاته وافعاله سبحانه وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب اوفيما هو مكروه ولاحاجة الى الفكر فى غيرهما ـ وما يتعلق بالمعبود واما ان يكون نظرا فى ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان يكون نظرا فى افعاله وملكه وملكوته وجميع ما فى السموات والارض ومابينهما وانما انحصر الفكر فيما ذكر لان المحب اذا استغرق فى حبه لم يتسع فكره الاملاحظة محبوبه وملاحظة احوال من نفسه يرضى محبوبه اويسخطه عليه ولامتسع لغيرهما فصار محل التفكر اربعة اقسام ـ القسم الاول التفكر فى صفات نفسه وافعاله ليميز المحبوب منها عن المكروه وطريق الفكر فى امور ثلاثة الاول انه هل هومكروه عندالله ام لااذربما يشتبه جهة الكراهة ـ الثانى جهة الاحتراز عن المكروه ـ الثالث ان المكروه اما فى الحال فيتركه اوفى الاستقبال فيحترز عنه اوفارقه فيما مضى من الاحوال فيتداركه ـ وقسم المحبوب ايضا ينقسم الى هذه الامور ثم هذه الامور اما طاعات اومعاص ظاهرة اما فى الاعضاء السبعة اوغيرها اوصفات منجيات ومهلكات باطنة ـ النوع الاول المعاصى فيحاسبها صبيحة كل يوم اعضاءه السبعة بل جميع بدنه فان كان ملابسا فى الحال يتركها اولابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم اوهو متعرض لها فى نهاره فيستعد لها بالاحتراز والتباعد فيفتش كل عضوعضو على الانفراد ـ النوع الثانى الطاعات فينظر اولا فى الفرائض

كيف

كيف اكملها واجبر نقصانها بالنوافل ثم يفتش كل عضو فيتفكر فى صرفه فيما يحبه الله ـ النوع الثالث فى الصفات المهلكة التى محلها القلب من الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب فيتأمل فى كل ما ذكرنا فى المهلكات فيمتحن قلبه ويستشهد بالعلامات ولا يلتفت الى ادعاء النفس التنزه عنها ثم يباشر علاجه وقد ذكرناه فى موضعه ـ النوع الرابع فى الصفات المنجيات من التوبة والندم والصبر والشكر ونحو ذلك وليتفكر كل يوم فى قلبه وما الذى يعوزه من هذه الصفات المقربة الى الله فاذا افتقر الى شىء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الاعلام وان العلوم لا يثمرها الا الافكار وانفع الامور فى هذا اقراء القرآن بالتدبر والتفكر ويردد الآية التى هو محتاج الى التفكر فيها من بعد اخرى ولو مائة مرة ويتوقف فى التأمل ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة من القرآن لسرارا لا تحصى وكذلك مطالعة الاحاديث لانه صلى الله عليه وسلم قد اوتى جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحار الحكمة ولو تأمله العالم حق تأمله لم ينقطع فيه نظره طول عمره فهذا هو طريق التفكر وينبغى ان يكون المبتدئ مستغرق الوقت فى هذه الافكار حتى يصل الى المقامات الشريفة وهذا التفكر مع انه افضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل هو محجوب عن مطلب الصديقين وهو التفكر فى جلال الله وجماله واستغراقه فيه بحيث يفنى عن نفسه والفناء فى الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين والذى ذكرناه هو عمارة الباطن وهو وسيلة الى الفناء ويروى ان الحسين بن منصور لقى الخواص وهو يدور فى البوادى فقال فيما انت فقال اصحح حالى فى التوكل فقال افنيت عمرك فى عمران باطنك فأين الفناء فى التوحيد وبالجملة تعمير الظاهر بالعبادات لا يثمر الا الجنة دون المجالسة وتعمير الباطن بالصفات المنجيات يثمر الاستعداد للقاء واصل السعادة هو الفناء لانه يثمر اللقاء واعلم ان كل مريد ينبغى ان يكتب الصفات المهلكات والمنجيات فى جريدة فمهما كفى واحدة من المهلكات خط عليها ويدع التفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيه قلبه منها وهكذا حتى يفعل على الجميع ، وكذا يفعل بالمنجيات

والمهلكات والمنجيات وان كانت لا تقبل الاحصاء الا انه يكفى من كل منها عشرة وهى الاصول وهى التى ذكرناها فى هذا الكتاب فتدبر فيها ، وهكذا حال المعاصى والطاعات الظاهرة الا ان كل صنف من الناس مبتلون بنوع من المعاصى فيكفى فى حقهم التفكر فى ذلك النوع —

القسم الثانى — الفكر فى جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان — الاول الفكر فى ذاته وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر الممكن من معرفته انه تعالى مقدس عن الزمان والمكان وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه قد حير عقول اقوام حتى انكروه وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم انهم لا يطيقون نور الشمس اصلا وعقول الصديقين كابصار الانسان حتى يطيقون النظر ولا يطيقون دوامه ولذلك قيل تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته — المقام الثانى — وهو النظر الى افعاله وعجائب صنعه وبدائع امره فى خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وعلى كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فننظر الى صفاته من آثار صفاته فالنظر اليها فى مصنوعاته كالنظر الى الشمس فى الطست فالافعال واسطة فى مشاهدة الفاعل فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله ، فالتفكر فى خلق الله اما فيما نعرف اصلها فلا يمكن اصلا قال تعالى (سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون) واما فيما نعرف اصلها وجملتها ولا نعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر فى تفصيلها ثم هو اما غير مدرك بالبصر كالملائكة والجن والشياطين فمجال الفكر فيه مما يغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهى المدركات بالبصر كالسموات السبع والارضين وما بينهما وكذا الموجودات فى السموات والموجودات على الارض ولكل هذه الاجناس انواع ولكل نوع منها اقسام وللاقسام اصناف ولكل منها صفات وهيآت ومعان ظاهرة وباطنة وجميع ذلك مجال للفكر فلا تتحرك ذرة فى السموات والارض الا وفى حركتها حكمة او حكمتان او عشر او ألف حكمة كل ذلك شاهد

لله

لله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وقد ورد القرآن بالحث على التفكر في هذه الآيات كما قال تعالى (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كثير من المواضع في القرآن قوله (ومن آياته) كل ذلك مشتمل على العبر الكثيرة للمتفكرين ولنضرب لك مثالا امكنك ان تحذو البواقي حذوه وهو ان اقرب الاشياء اليك نفسك وهي مخلوقة من نطفة هي قطرة من الماء اخرجها رب الارباب من بين الصلب والترائب ولاخراجها من صلب الرجل الى رحم المرأة ألقى الالفة والمحبة بينهما وقادها بسلسلة الشهوة الى الاجتماع ثم خلق من النطفة موادا بان جعلها علقة وهي بيضاء مشرقة ثم جعلها مضغة ثم مع تشابه لجزائها قسمها الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم ركب من هذه الاعضاء الظاهرة والباطنة فقدر الرأس وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤوسها بالاصابع وقسمها بالانامل ووضع فيها الاظفار ثم ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص بعمل مخصوص ثم لو ذهبنا نفصل احوال كل منها لفنيت القوى وتحيرت النهى مثلا ابصار العين وطبقاتها وكذلك كيفية السمع والذوق لدهش من عجائبها العقول فانظر الى الحدقة وهي مقدار عدسة كيف تحيط بنصف السماء دفعة مع عظمها وانظر الى السمع كيف يدرك الاصوات ويميز بين الحروف ويفرق بين جهات الصوت مع ان المدخل واحد الى غير ذلك من العجائب مثلا مجموع عظام البدن مائتا عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام الصغار ولو تكلمنا في كل واحد منها لم نقض من حكمة واحدا منها عشر أعشارها فضلا عن سائر حكمها الا ان الذي ذكرناه من النظر في الحكم لسنا نريد به نظر الطبيب في حكم خواص هذه الاجزاء لينكشف وجه العلاج فيها ان زال عن مزاجها الطبيعي بل نريد به نظر اهل البصائر الذي يستدلون بحكمها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين فسبحانه سبحانه ما اعظم شأنه واظهر برهانه

فهذه نبذ من عجائب بدنك التى لايمكن استقصاؤها وانت غافل عنها مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتأكل وتشبع فتنام وتشتهى فتجامع وتغضب فتقاتل ويشاركك فى ذلك البهائم والسباع كلهم وانما خاصية الانسان معرفة الله تعالى بالنظر فى ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق والانفس اذبها يدخل العبد فى زمرة الملائكة المقربين ويحشر فى زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين نسأل الله ان يجنبنا منزلة اقدام الجهال ـ

الاصل العاشر

فى ذكر الموت والبعث والنشور

وفيه مطالب

المطلب الاول

فى ذكر الموت والترغيب فيه

اعلم ان المنهمك فى الدنيا والمحب لشهواتها يغفل قلبه لامحالة عن ذكر الموت وان ذكر به كرهه ونفر منه ـ ثم الناس اما منهمك فلايذكر الموت وان ذكره فيذكره لتأسف على دنياه واما تائب فانه يكثر ذكرالموت لينبعث من قلبه الخوف فيفى بتمام التوبة وربما يكرهه خيفة من ان يختطفه قبل تمام توبته وقبل اصلاح الزاد ولايدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره لقاءه فان هذا لايكره لقاء الله بل يكره فوت لقائه ـ واما عارف يذكرالموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه وهذا فى الاكثر يستبطئ الموت ليتخلص من دار العاصين و ينتقل الى جواررب العالمين ـ وههنادرجة هى مقام التسليم والرضاء وهى اعلى من الكل وصاحبها يفوض امره الى مولاه فلايختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون الأحب اليه ما هوالأحب لمولاه وعلى كل حال ففى ذكرالموت ثواب حتى ان المنهمك ربما يستفيد به التجافى عن الدنيا لانه يكدر عليه اللذات والشهوات فيكون من اسباب النجاة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثروامن ذكرهاذم

اللذات - اى تنغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلون على الله وما ورد فى فضيلة الموت من الاخبار والآثار كثيرة جدا فلا نطول بذكرها الكلام الا ان ذكر الموت انما يؤثر فى القلوب لذكرهم اياه بظاهر قلوبهم وعذبة ألسنتهم والا فلو ذكروه بقلب فارغ عن الشهوات واذعان لحال الاموات والى ماصار حاله بعد طول فرحهم وسرورهم بالدنيا وغرورهم بالجاه والمال والاعوان والانصار حتى ايتموا اولادهم وارملوا نساءهم وتصرف باموالهم اعدى الناس بل ايدى اعدائهم وكيف خلت منهم مجالسهم وبيوتهم وانقطعت آثارهم ونسيت اسماؤهم لاثر ذكر الموت فى قلوبهم وجعلوه نصب اعينهم - ثم ان قصر الامل ديدن العلماء وارباب القلوب وفضيلته مذكورة فى الاخبار والآثار وانه اصل كل سعادة الا ان القلوب مبتلون بطول الامل وعمت هذه البلية الكافة - وله سببان احدهما الجهل حيث يستبعد الموت مع الصحة والشباب ولا يدرى ان مشائخ البلد اقل من شبانه وليس ذلك الا لكثرة الموت فى الشبان والصبيان اكثر فالى ان يموت شيخ يموت الف صبى وخمسمائة شاب وايضا لايدرى ان الموت وان لم يكن بفجاءة لكن المرض بفجاءة غير بعيد وذلك لان الوهم يعرف مالم يألفه فالانسان الف موت غيره ولم ير موت نفسه اصلا فلذلك يستبعده الا ان من له عقل يعرف ان الاجل قدر والانسان كل يوم وساعة فى القرب اليه وكل آت قريب - وثانيهما حب الدنيا فانه انس بشهواتها فيشق عليه مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه ويتمنى مايوافق هواه فلا يزال يتوهم البقاء فى الدنيا واسبابه الى ان يتقرر عنده ذلك ولايخطر بباله الموت واذا خطر بباله الموت يسوفه الى الكهولة ثم الى الشيخوخة ثم الى الرجوع من سفره اوالى الفراغ من تدبير ولده اوجهاز ابنته اوقهر عدوه الى غير ذلك من الامانى الباطلة - وهكذا يفضى به شغل الى شغل آخر اوالى اشغال الى ان تخطفه المنية فى وقت لايحبه فعند ذلك تعظم حسرته وندمه حين لاينفعه الندم والمسكين يقدر انه سيفرغ من امور الدنيا وهيهات مافرغ منها الا من اطرحها ولا يزيد التسويف الا قوة

ورسوخا واكثر حزن اهل النار وصياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف ونعم ما قيل ـ

ولست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لو أني

اذا عرفت ان طول الامل التسويف وسببه الجهل المحض اوحب الدنيا فاعلم ان علاجه ان كان من الجهل يندفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة وان كان من حب الدنيا فعلاجه شديد وهو الداء العضال الذي اعيى الاولين والآخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير يمحو عن القلب حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطى ملك الارض من المشرق الى المغرب فمن كان مستعدا الى الآخرة فقدفاز فوزا عظيما ومن كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا هذا ثم ان الناس متفاوتون في طول الامل منهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك ابدا ، قال الله تعالى (يود احدهم لو يعمر الف سنة) ومنهم من يأمل البقاء الى الهرم وهو اقصى العمر وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا ومنهم من يأمل الى سنة وانما يستعد في الشتاء للصيف وفي الصيف للشتاء واذا جمع مايكفي لسنة اشتغل بالعبادة ، ومنهم من يأمل الصيف فقط اوالشتاء فقط فلا يستعد في احدهما للآخر ـ ومنهم من يرجع امله الى يوم وليلة فلا يستعد لغد ـ قال عيسى عليه السلام لا تهموا(١) برزق غد فان يكن غدا من آجالكم فيأتي فيه ارزاقكم مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لارزاق غيركم ـ ومنهم من يجاوز امله ساعته كما قال صلى الله عليه وسلم يا عبدالله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ـ ومنهم من لا يقدر البقاء ايضا ساعة ـ كان صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضى ساعة ويقول لعلي لا ابلغه ـ ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به وهو ينتظره ويصلي صلاته صلاة مودع كما روى انه صلى الله عليه وسلم

(١) كذا ـ

سال

سأل معاذا عن حقيقة ايمانه قال ما خطوت خطوة الا ظننت انى لا اتبعها اخرى ـ وهذه مراتب الناس فى الامل وليس من امله مقصور على شهر كمن امله شهر ويوم ودرجاتهما عندالله تعالى ايضا متفاوتة فان الله لا يظلم مثقال ذرة (ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ثم إن علامة قصر الامل المبادرة فى العمل قبل حلول الاجل ومن ادعى قصر الامل وهو يعتنى بالدنيا فهو كاذب فى دعواه فالتوفيق علامة ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت الذى يرد عليه فى الوقت فان عاش الى المساء شكرالله على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن قلبه فرغ عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد ـ

المطلب الثانى

دواهى الموت وهى اربع

الاولى شدة النزاع واعلم ان الألم المصيب للبدن انما يدرك بواسطة الروح واذا وصل الألم الى نفس الروح فلا تسل عن كربه وألمه حتى قالوا انه اشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وانما لا يقدر على الصياح مع شدة ألمه لزيادة الكرب حيث تهر كل قوة وضعف كل جارحة فلم يبق له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها حتى ان بقيت فيه قوة سمعت له خوارا وغرغرة من صدره وحلقه حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها وتغلق دونه ابواب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد مالم يغرغر فلاتسل عن عظم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به حتى ان الانبياء لمعرفتهم به يخافون من

ذلك خوفا شديدا - الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع منه على القلب فلو رأى صورته التى يقبض عليها روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته الا ان المطيع يراه فى احسن صورة واجملها - الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار ولن تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين اما ابشر ياعدو الله بالنار او ابشر ياولى الله بالجنة - الرابعة خوف سوء الخاتمة وتقدم ذكره فى الخوف والرجاء فلا نعيده - ثم المستحب للمحتضر عند الموت هو صوت المد والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادتين ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله - قال النبي صلى الله عليه وسلم ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهى من رحمة الله قد نزلت به واذا غط غطيط المخنون واحمر لونه وازبدت شفتاه فهى من عذاب الله قد نطق به واما انطلاق لسانه بالشهادة فهى من علامة الخير الا ان الملقن لا يلح عليه اذ ربما يستثقله لشدة حاله ويخشى ان يفضى الى سوء الخاتمة - واما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل وليس فى قلبه غير الله فان لم يبق غير الله تعالى فهو فى النعيم الدائم وان كان مشغوفا بالدنيا ومتأسفا على لذاتها كان امره الى خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله بالقبول وانما الواجب على العبد حسن الظن فى ذلك الوقت -

المطلب الثالث

فى حقيقة الموت واحوال الميت

اعلم ان للناس فى احوال الموت ظنونا فاسدة ظن بعضهم انه هو العدم ولا حشر ولا نشر بل الموتى كالنبات وجفافها ، هذا رأى الملاحدة وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر - وظن بعضهم انه ينعدم بالموت ولا يتنعم ولا يتألم الى ان يعاد فى وقت الحشر - وقال آخرون الارواح باقية وهى المثاب والمعاقب دون الاجساد وانها لا تبعث ولا تحشر اصلا - وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق والحق الذى نطق به الآيات والاخبار أن الموت تغير حال لا عدم وان الروح

باقية

باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة او متنعمة و معنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها في الجسد ولا يبعد أن تعاد الى الجسد في القبر قدر ما يدرك اللذة والالم ولا يبعد أن يؤخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم به على عباده ، واما نفسه وروحه فهي باقية ، نعم تغير حالها من وجهين احدهما انه بالموت سلب عن امواله واهله وسائر احواله الى عالم آخر لايناسب هذا العالم اما سعيد الحال او شقي البال ـ وثانيهما انه ينكشف له ما يضره او ما ينفعه حسناته وسيئاته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ـ فاما يتنعم او يتألم وهذه احوال تهجم عليه قبل الدفن واما بعد الدفن فقد ترد روحه اما لنوع آخر من العذاب او لنوع آخر من الثواب ولو لم يكن له الا الخزى والافتضاح وهتك السر عند الموت لكفاه ولكن وراءه امور اخر لايكاد يعبر عنه الألسنة واما ان كان من اهل التنعيم ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لايبلغ طرف اقصاه فيه انواع الاشجار والازهار والطيور والثمار فلايشتهي العودة الى السجن المظلم ـ وفي احوال القبر ثلاث مقامات احدها وهو الاسلم ان يصدق بوجودها ولايفتش عن كيفيتها ـ وثانيها ان يفتش عن احواله ويقيس ذلك الى نائم يرى في نومه ما يخافه اويتنعم منه ولايقف عليه من يجاوره ولو في فراش واحد ولايخفى ان النوم اخو الموت ـ وثالثها ان الحية لاتعذب بل السم وكذا السم لايعذب بل المؤلم أثره وخلق الامور بدون اسبابها العادية جائزة في قدرة الله تعالى وكذا الحال في اللذة ثم اهل البصائر قد حكموا بامكان هذه الطرق الثلاث فصدق بهم تقليد (١) واما من يعرف ذلك تحقيقا فيعز على بسيطة الارض وعليك ان لا تشتغل بمعرفة تفاصيل العذاب بل اللائق بك الاشتغال بالتدبير في دفع العذاب ـ وان اردت معرفة كيفيات العذاب فعليك بمطالعة الاخبار والآثار اذ معرفة ذلك في هذا العالم لا يمكن الا بمشاهدة بعين اخرى غير عين تشاهد بها عالم الملك والشهادة ولكن الانسان جعل غشاوة على عينه التي يشاهد بها عالم

(١) كذا ـ

الغيب من شهواته واشغاله الدنيوية فصار لا يبصر بها ولما كانت اعين الانبياء منقشعة عن الغشاوة شاهدوا تلك الاحوال وأخبروا بها فتتبع ذلك من اخبارهم ومن هذه المشاهدة حال الرؤيا التى نراها فى المنام اذ كثير منها توجد صحيحة - والقول فى حقيقة الرؤيا من دقائق علم المكاشفة وهى أمر عظيم لكن الناس غافلون عنها واجمال القول فيها ان النفس كالمرآة ولوح الله تعالى مكتوب فيها جميع ما كان وما سيكون لا على لوح من خشب او حديد بل على شىء مجرد لا بكتابة معهودة بل بنقش معنوى ثم الحواس اذا تعطلت بالنوم ارتفع حجاب النفس اذ لا حجاب لها غير الالتفات الى المحسوسات فحينئذ يتقابل اللوح ومرآة النفس فتنتقش فيها صور اللوح الا ان النوم لا يمنع الخيال عن عمله فيحاكى المعانى بمثال يقارب ذلك المعنى فالمعبر انما يعبر عن الصورة الخيالية الى المعنى المأخوذ من اللوح فيحكم بجلية الحال - ولنذكر مثالا من التعبير وهو ان رجلا ذكر لابن سيرين رأيت كان بيدى خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انت مؤذن تؤذن قبل الصبح فى رمضان فقال صدقت - فانظر ان روح الختم المنع والنفس لما انتقش حاله من اللوح بانه يمنع الناس من الأكل والشرب والجماع ولكن الخيال الف المنع عند الختم بالخاتم مثله به فى الصورة الخيالية ثم لا يبقى فى الحفظ الا هذه الصورة فالمعبر اذا سمعها يعرف المناسبة بين هذه الصورة ومعناها فيعبر عن الصورة الى المعنى فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا التى لا تنحصر عجائبه ثم ان الانسان عند موته ينكشف له الحجاب فيرى نفسه اما محفوفة بالخازى والانكال والفضائح نعوذ بالله من ذلك او مكنونا بنعيم مقيم او بملك كبير لا آخر له فاعلم العلماء واحكى الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات مالم يخطر بباله قط ولا اختلج به ضميره ولو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا التفكر فى خطر تلك الحالة لكان ذلك كافيا فى استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا واسبابنا ودوابنا بل باعضائنا واسماعنا وابصارنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك ولكن اين من ينفث

- روح

روح القدس فى روعه فيقول له ما قال لسيد البشر صلى الله عليه وسلم احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ماشئت فانك مجزى به — فلاجرم لما كان ذلك مكشوفا له صلى الله عليه وسلم بعين اليقين كان فى الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وان حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب — وقد قال صلى الله عليه وسلم لأمته ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله — وانما امته من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فانه مادعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله وبقدر ما سلكت سبيله اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله فيهم (فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى) ولو انصفت من نفسك وانت من حين تصبح الى حين تمسى لا تسعى الا فى الحظوظ العاجلة لم تطمع ان تكون غدا من امته واتباعه فان ظننت هذا وانت مصر على ما فعلت فما أبعد ظنك وما ابرد طمعك (لفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون) فنرجوا الله تعالى ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهله بمنه وسعة جوده انه جواد كريم رؤف رحيم —

الحمدلله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وتبع التابعين ورضى الله عنا وعن آبائنا واستاذينا وعن اصحاب الحقوق علينا وعن اقاربنا وعشائرنا وعن جميع المسلمين اجمعين آمين —

مشقه افقر عباد الله الصمد خصالى حسين بن احمد بن محمد البودينى فى ليلة البراءة من شهور سنة احدى وثلاثين والف —

خاتمة الطبع

الحمد لله الذى خلق لعبادته عباده ، والصلاة والسلام على خاتم انبيائه سيدنا محمد الذى فتح به ابواب السعادة ، وعلى آله واصحابه اولى الفضل والسيادة -

وبعد فقد تم طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة للمولى احمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده المتوفى سنة (٩٦٢) وذلك فى شهر شعبان المكرم سنة ١٣٥٦ بمطبعة الجمعية العلمية الشهيرة (دائرة المعارف العثمانية) بحيدر آباد الدكن ادامها الله تعالى مصونة عن الفتن والمحن فى ظل الملك المؤيد المعان الذى اشتهر فضله فى كل مكان ، السلطان بن السلطان ، سلطان العلوم مظفر الممالك آصف جاه السابع مير عثمان على خان بهادر لازالت مملكته بالعز والبقاء، دائمة التقدم والارتقاء -

وهذه الجمعية تحت صدارة ذى الفضائل السنية ، والمفاخر العلية، النواب السير حيدر نواز جنگ بهادر رئيس الجمعية ورئيس الوزراء فى الدولة الآصفية والعالم العامل، بقية الأفاضل ، النواب محمد يار جنگ بهادر نائب الرئيس، وتحت اعتماد الماجد الاريب، الشريف النسيب ، النواب مهدى يار جنگ بهادر عميد الجمعية ووزير المعارف والسياسة فى الدولة الآصفية ومعين امير الجامعة العثمانية، والماجد الهام النواب ناظر يار جنگ بهادر شريك العميد للجمعية وركن العدلية، وضمن ادارة العالم المحقق والفاضل المدقق مولانا السيد هاشم الندوى معين عميد الجمعية ومدير دائرة المعارف ادام الله تعالى درجاتهم سامية ومحاسنهم زاكية -

وعنى بتصحيحه من افاضل دائرة المعارف وعلمائها مولانا محمد طه الندوى ومولانا محمد عادل القدوسى ومولانا الطبيب السيد احمد الله والحقير عبدالرحمن اليمانى غفر الله ذنوبهم وستر عيوبهم -

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين الى يوم الدين -

النسخة

النسخة الخطية لهذا الجزء

هى النسخة الوحيدة المحفوظة فى خزانة دار حكومة الهند بلندره وقد كان طبع الجزءان الأولان من هذا الكتاب فى جمعيتنا هذه (دائرة المعارف العثمانية) وتم ذلك فى سنة ١٣٢٩ ـ وهما المحتويان على الطرف الأول من الكتاب فان المؤلف ذكر فى المقدمة انحصار تحصيل السعادة فى طريقين طريق النظر وطريق التصفية ثم قال « ولما انحصر كسب السعادة فى طريقين رتبت الرسالة على طرفين الطرف الأول من الرسالة فى الارشاد الى كيفية تحصيل طريق النظر .... » مفتاح السعادة ج ١ ص ٢٧ ـ ثم بسط الكلام على ذلك الطرف مفصلا فى دوحات وشعب وعلوم يذكر فى كل علم المؤلفات المشهورة وأسماء مؤلفيها وشيئا من تراجمهم ، ولم تظفر الجمعية حينئذ بالطرف الثانى ثم وقف الاستاذ الفاضل امتياز على عرشى مدير الخزانة الرامفورية على كتاب ظنه الجزء الباقى من مفتاح السعادة فنبهنا على ذلك لكى نتمم طبعه ولكن عند التحقيق تبين ان ذلك الكتاب هو (مدينة العلوم للارنيقى) وهو ملخص من الجزء الأخير من مفتاح السعادة ثم عثر المستشرق الفاضل سالم الكرنكوى على النسخة المذكورة المكتوبة سنة احدى وثلاثين الف فكتب الى ولاة أمر الجمعية فاستحسنوا استنساخ الطرف الثانى من الكتاب وطبعه فانتسخه المستشرق المذكور بقلمه وقد واجهنا فى النقل شيئا من الخلل كالتصحيف والسقط فأصلحنا الواضح ثم تنبهنا اخيرا الى مراجعة احياء العلوم للامام الغزالى رحمه الله تعالى فاذا بهذا الجزء ملخص منه فاستفدنا من ذلك أصلاح كثير من الخلل ولله الحمد ـ

الصفحة	الابواب
٢	الطرف الثانى من الرسالة
»	المقدمة
٣	الدوحة السابعة فى علوم الباطن
٤	الشعبة الاولى فى العبادات
»	الاصل الاول فى العلم
»	المطلب الاول فى معرفة فضل العلم والتعلم والتعليم
»	المطلب الثانى فى معرفة ما يجب على المسلم من العلم
»	المطلب الثالث فى المحمود العلوم والمذموم منها
١٠	المطلب الرابع فى آداب المعلم والمتعلم ووظائفهما
»	المطلب الخامس فى آفات العلم وبيان علامات علماء الدنيا وعلماء الآخرة
١٥	المطلب السادس فى العقل وشرفه وحقيقته واقسامه
١٧	الاصل الثانى فى قواعد العقائد
١٨	الاصل الثالث علم اسرار الطهارة
٢٤	الاصل الرابع على كل علم اسرار الصلاة
»	المطلب الاول فى مراتب الصلاة
٢٦	المطلب الثانى فى الشروط الباطنة
٣٠	المطلب الثالث فى بيان كيفية احضار القلب
٣٣	المطلب الرابع فى علم وظائف الامامة
٣٤	المطلب الخامس فى فضل الجمعة وآدابها وسننها
٤١	المطلب السادس فى علم نوافل الصلوات
٥٠	الاصل الخامس فى علم اسرار الزكاة
»	المطلب الاول فى مراعاة شروطه الظاهرة
»	المطلب الثانى فى بيان الآداب للزكاة

المطلب

الابواب	الصفحة
المطلب الاول فى الترغيب فيه وعنه	١٦٢
المطلب الثانى فى فوائد النكاح	١٦٣
المطلب الثالث فى آفات النكاح	١٦٥
المطلب الرابع فى شروط العقد	١٦٧
المطلب الخامس فى أحكام المنكوحة	»
المطلب السادس فى آداب المعاشرة	١٦٨
الاصل الثالث فى آداب الكسب والمعاش	١٧٣
المطلب الاول فى فضل الكسب	»
المطلب الثانى فى بيان احوال العقود الاربعة	»
المطلب الثالث فى العدل فى المعاملة	١٧٦
المطلب الرابع فى الاحسان فى المعاملة	١٧٧
المطلب الخامس فى شفقة التاجر على دينه	١٧٨
الاصل الرابع فى الحلال والحرام	١٨٠
المطلب الاول فى فضيلة الحلال	»
المطلب الثانى فى درجات الحلال والحرام	١٨١
المطلب الثالث فى مراتب الشبهات	»
المطلب الرابع فى البحث والسؤال	١٩٠
المطلب الخامس فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية	١٩٢
المطلب السادس فى ادرارات السلاطين	١٩٥
المطلب السابع فى حكم مخالطة السلاطين	١٩٨
المطلب الثامن	١٩٩
الاصل الخامس فى آداب الصحبة والمعاشرة	٢٠٠
المطلب الاول فى فضيلة الاخوة	٢٠١

الصفحة	الابواب
٢٠٤	المطلب الثانى فى اقسام المعاصى واحكام كل منها
٢٠٦	المطلب الثالث فى الصفات المشروطة
٢٠٧	المطلب الرابع فى حقوق الصحبة
٢١٢	المطلب الخامس فى جمل من آداب المجالسة
٢١٤	المطلب السادس فى حق المسلم والرحم والجوار والملك
٢١٧	المطلب السابع فى حقوق الجوار
٢١٨	المطلب العاشر فى حقوق الاقارب
٢١٩	المطلب الحادى عشر فى حقوق الملك
٢٢٠	الاصل السادس فى آداب العزلة
»	المطلب الاول فى فضلها وكراهتها
»	المطلب الثانى فى فوائد العزلة
٢٢٣	المطلب الثالث فى آداب العزلة
٢٢٦	الاصل السابع فى آداب السفر
٢٢٧	المطلب الاول فى الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع
٢٣٠	المطلب الثانى فى آداب السفر من اول النهوض الى آخر الرجوع
٢٣٣	المطلب الثالث فى الآداب الباطنة
٢٣٤	المطلب الرابع فى رخص المسافر
٢٣٥	الاصل الثامن فى آداب السماع والوجد
»	المطلب الاول فى حله وحرمته
٢٤١	المطلب الثانى فى مواضع حرمة السماع
٢٤٣	المطلب الثالث فى آداب السماع وثمراته
٢٤٦	المقام الثالث فى آداب للسماع
٢٤٨	الاصل التاسع فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

المطلب

الابواب	الصحيفة
المطلب الاول في فضائله	٢٤٩
المطلب الثاني في اركانه وشرائطه	٢٤٩
المطلب الثالث في آداب المحتسب	٢٥٤
المطلب الرابع في أمر الامراء والسلاطين	٢٥٦
الاصل العاشر في اخلاق النبوة	«
الشعبة الثالثة في ربع المهلكات	٢٦٤
الاصل الاول في شرح عجائب القلب	«
المطلب الثاني	٢٦٦
المطلب الثالث	٢٦٧
المطلب الرابع	٢٦٨
المطلب الخامس	٢٦٩
المطلب السادس	٢٧٠
المطلب السابع في احوال الشيطان	٢٧٢
المطلب الثامن في القدر المعفو عنه من الوسوسة	٢٧٣
المطلب التاسع في بيان الوسوسة	٢٧٤
المطلب العاشر في بيان سرعة تقلب القلب	٢٧٥
الاصل الثاني في رياضة النفس وتهذيب الاخلاق	٢٧٦
المطلب الاول في تحقيقه	«
المطلب الثاني في قبول الاخلاق التغير بطريق الرياضة	٢٧٧
المطلب الثالث في الاعتدالات المذكورة	٢٧٨
المطلب الرابع	٢٧٩
المطلب الخامس في رياضة الصبيان	٢٨٠
المطلب السادس في شرائط السلوك	٢٨٣

الاصل

تصحيح ما وقع من الخطأ فى طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٦	٢٣	التذكير	والتذكير
٨	١٠	بالحلف	بالخلف
٩	٣	للاستقضاء	للاستقصاء
١٠	٢٢	عل	على
١١	٦	كالشرق	وكالشرق
١٢	١٧	وان	ان
١٤	٣	لا تقع	ولاتقع
»	٢١	حروفه	وحروفه
١٥	١٤	تنصف	تتصف
١٧	١٧	قادراً	قادرا
»	٢٢-٢٣	وانه الا	وانه لاواجب الا
»	٢٤	لاواجب مؤيدة	مؤيدة
١٩	٢٠	سوء	سواء
٢٠	٤	زين	وزين
٢٧	٧	لاظاهره	الاظاهره
٣١	٥	متقدرك	متقلدا
»	٧	ويصفو	ويصفو
»	٢٠	فانه على	فانه اعلى
٣٦	٢١	الاقدام	الاقلام
٤٦	٦	اردان	ازوادان

تصحيح ما وقع من الخطأ فى طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

صحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٧	٢٤	٣٠ ٣١	٣٠ - ٣١
٥١	٢٠	القفير	الفقير
»	٢٤	داخلى	داخله
٥٣	٢	مقيد	مقيدو
٥٥	١٧	لايؤجد	لايوجد
٥٩	٨	اذا الغرض	اذ الغرض
٦٠	٧	صالح	صلح
٦٣	٣	كتب الله (لأغلبن	(كتب الله لأغلبن
»	١١	احرام	الاحرام
٦٤	٢٣	وزده من حجه	وزد من حجه
٧٤	٢١	لوليكثر	وليكثر
»	٢٣	وجدوا	لوجدوا
٧٥	٧	الصلاة	لصلاة
٧٦	١	ويجعله	ولا تجعله
٧٩	١١	معتاه	معناه
»	١٣	تفصد	تقصد
٨٠	١٨	فكما ان القلب	فكما ان القالب
٨٣	٧	تعظيم	تعظم
٩٠	٢٤	والكلام	فى الكلام
١٠٤	٢١	بانجنة	بالجنة

وشرما

تصحيح ماوقع من الخطأ فى طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠٠٦	٢٤	وشرما	وشر
١٠٣٢	٢٣	ينتهن	ينتهين
١٠٣٤	٦	لخروج	لخروج
»	١٠	تقاصيل	تفاصيل
١٠٤٣	٢٠	والدعاء	والدعاء
١٠٥٢	١٦	وبعد	وبعده
١٠٥٣	١٧	والا	ولا
»	١٣	اخذا الكوثر	اخذ الكوثر
١٠٥٥	١٨	الواحدة	الوحدة
١٠٥٦	٦	يجمع	يجمع
١٠٥٧	٢٣	ودد	ورد
١٠٦٢	٩	المطب	المطلب
»	٢٠	لتأهل	للتأهل
١٠٦٥	٤	فان	فان فى
»	٨	تعال	تعالى
١٠٦٦	٢٠	والنكاح	او النكاح
١٠٨٣	٢	لمن	لكن
»	١٨	عند الشك	عندك الشك
١٠٨٤	١٨	علاقة	علامة
١٠٨٥	١٥	انوع	انواع

تصحيح ما وقع من الخطأ فى طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

صحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٨٨	٩	الآخذ	الأخذ
١٩٥	١٢	مصارف	ثم مصارف
١٩٦	١٣	الصحانة	الصحابة
٢٠٥	٣	فالاستجاب	فالاستحباب
٢٠٩	١٧	ومرأى،	ومرأى
٢١٤	١٣	قويث	قويت
٢١٥	١٠	حاجته	حاجة
٢١٨	٧	ويهنئته	ويهنئه
٢٢١	٢٤	واظهاد	واظهار
٢٢٢	٢١	من الصبر والصبراو	من الصبراو
٢٢٨	٩	وزازيناة	وزيارة
٢٢٩	١٢	قن	فمن
٢٣٠	٣	ادب	آداب
٢٣١	١٩	(فليقل اللهم	(فليقل) اللهم
٢٥٨	١٤	اذاالحسبة	اذاالحسبة
٢٥٣	٥	الثالثة	الثالثة
٢٥٥	٦	تضيق	تضييق
٢٥٦	١٥	ولا	ولو
٢٦٥	٢١	وتحقير	وتحقير
٢٨٣	٤	ثقافته	ثقافته

تصحيح ما وقع من الخطأ فى طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

صحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
»	٨	وثالثها	وثالثها
»	٩	المجرد	التجرد
٢٨٧	١٤	همته التمتع	همته الى التمتع
٢٨٩	١٣	دراء	وراء
٣٠٠	٦	ايذاؤ	ايذاؤه
٣٠١	٤	يجب	يحب
»	٢٠	عنه	عند
٣٢٣	٢٢	تشويه	تشريه
٣٣٤	٨	ظاهرا ويظهر	ظاهرا او يظهر
٣٥١	٥	وقت وان	وقت وآن
٣٥٨	٧	بان	بأن
٣٥٩	٦	للذائد	للذائذ
٣٦٠	١٤	والضراء	(والضراء)
٣٦٥	٨	سخنك	سخطك
٣٦٧	٤	وعنه	وعند
»	١٨	نطر	نظر
٣٦٨	٢٠	والمكروة	والمكروه
٣٨٠	٩	وتما	واما
٣٨٤	٢٢	عدة	مدة

تصحيح ما وقع من الخطأ في طبع الجزء الثالث من مفتاح السعادة

صحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٩٠	٢٠	فال	فحال
٣٩١	٩	فعلة	فعله
٣٩٤	٢٣	سيآن	سيان
٣٩٥	١٨	واما	وما
٣٩٥	١٩	الشيطن	الشيطان
٣٩٦	٢٤	وهو	وهي
٤٠٠	٧	بمحبة	بمحبته
٤٠٢	١٠	اوراق	الاوراق
»	١٧	مؤكل	موكل
٤٢٢	٧	انكشاق	انكشاف
٤٣٦	٢٤	القل	العقل
٤٤٢	٢٤	فيتداركها	فيتداركها
٤٤٦	١٦	كره لقاءه	كره الله لقاءه
»	١٩	والرضاء	والرضا
٤٤٧	١٤	يعرف	لا يعرف
٤٤٨	٧	اعي	اعيا
٤٤٩	١٦	الصباح	الصياح
٤٥٢	٢٠	واحكي	واحكم

اصلاح مواضع وقعت خطأ فى النقل الذى طبع عنه الجزء الثالث من مفتاح السعادة وبقيت فى الطبع على حالها آثرنا التنبيه عليها واقتصرنا على الواضح منها

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	٧	الحضورى	الحصولى
٦	٢١	العلماء	الكلام
١٥	٢٥	مجرى الشجر من الثمر	مجرى الثمر من الشجر
٢٧	٧	الأدب تعود	الأدب فى تعود
٣٥	٥	واوله	واقله
٥٤	١٤	مستأهلون	متساهلون
٥٥	١٣	الملاء	الملأ
٥٧	١٢	على الحلال	على الحرام
٥٨	١٣	فاولئك	فاليك
٦١	١٦	اليدين	الدين
٦٢	١٦	بكلمات التامات	بكلمات الله التامات
٦٣	٦	وامانك	واماتك
٦٤	١٣	اغتسال	أغسال
٧٥	١١	الحسن	الحسين
١١٥	١٧	فوقاه سيئات	فوقاه الله سيئات
١٨٠	٢٠	وكذا الحلال	وكذا الحال
[illegible]	٢٤	وجهة	من جهة

إصلاح الخطأ الواقع فى اصل الجزء الثالث من مفتاح السعادة

صحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٨٤	١٠	يحرم	يعلم
١٨٥	١٢	الاحتمال ـ الرابع	الاحتمال الرابع
«	١٣	الاحتمال ـ الخامس	الاحتمال الخامس
١٨٨	٢٤	لا تحكم	لايحكم
١٩٠	١٨	له بدله	لابدله
١٩٢	٤	القيمة	الغنيمة
٢٠٤	١١	التكلف	التكليف
٢١٨	١٠	اذا انابته	اذا نابته
٢٢٣	١٧	وغيمة	وغيبة
٢٣٧	٢١	واشتغاله	واشتعاله
٢٣٨	١٧	على التأسف	عن التأسف
٢٤٨	٨	وجد	ذو وجد
٢٦٨	٢٠	الروح	الروع
٢٧١	٩	وهوانه	وهو يرى انه
٢٧٦	١٥	الضعف	الغضب
٢٧٧	٢٤	اذا	اذ
٢٧٨	٥	التعذيب وتهذيبه	التعذيب تهذيبه
٢٨٧	٥	لمتقين	لمقتين
«	٦	كفرا	كفر
٢٨٨	٢	يحصل الفرق	يحصل عدم الفرق

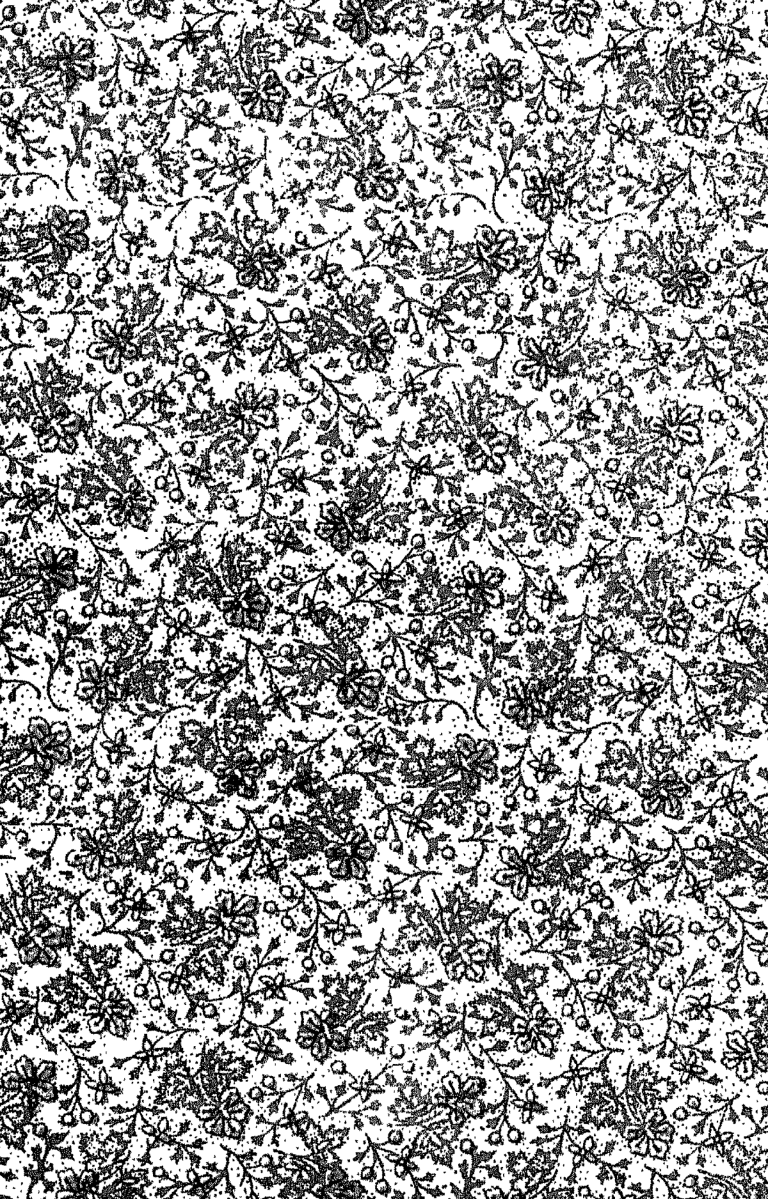
قد

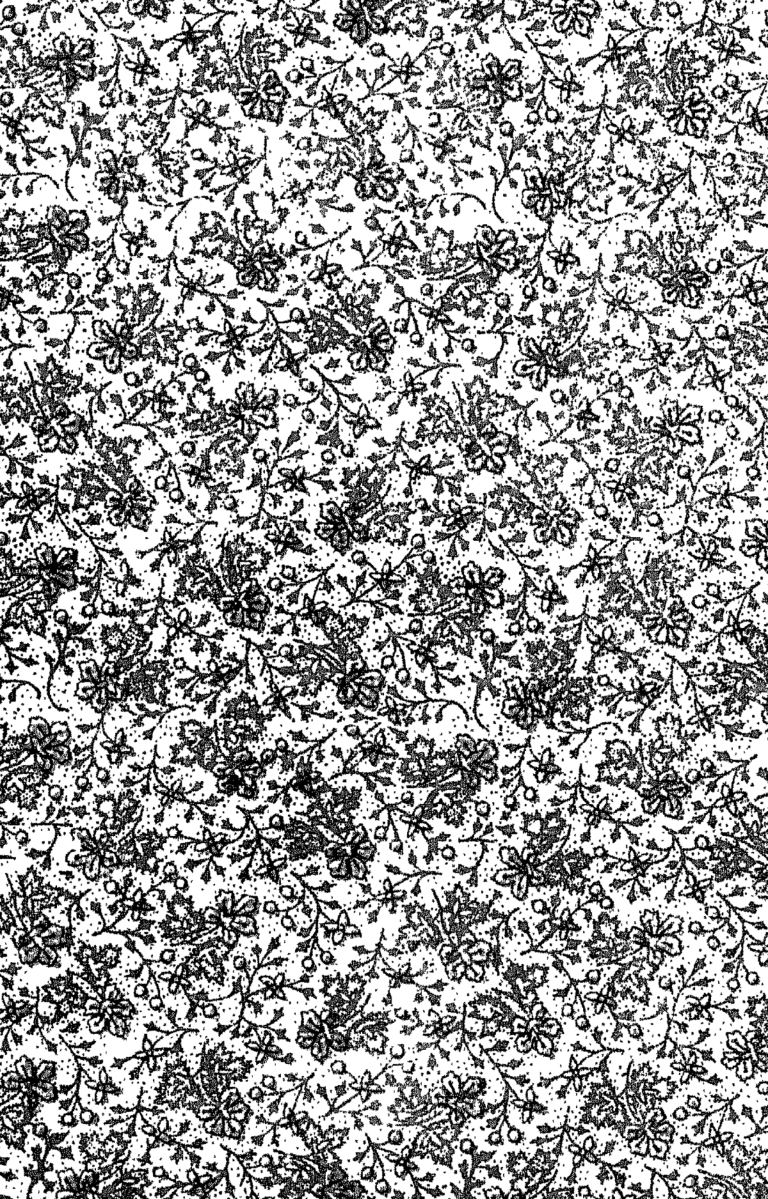
اصلاح الخطأ الواقع فى اصل الجزء الثالث من مفتاح السعادة .

صحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢٩	٧ – ٨	قد يجد اذا	قد يجد ...... اذا
٣٣٣	٢٣	علم	عالم
٣٣٦	٢١	الاستعلافة	الاستفادة
٣٥١	١٢	دينا	رينا
٣٦٤	٣	الشهوة	الشهوات
٣٦٦	٨	عليهم	عليهم
»	١٥	ونقول	وتقوله
»	٣٠	تعوده	تقوده
٣٦٨	٢٣	شكر	اشكر
٣٧٠	٨	جمعها	جميعها
»	١٨	القلب	الغيب
٣٧٤	١٠	اولا	اذلا
٣٩٧	٣	منها الا	منهاولا
٤١٠	٢٤	ضار لم ينزل	ضار نزل اودفع ضارلم ينزل
٤٢٦	٢٣	فان لم يضر	فانه لايضر
٤٣١	٩	المعرفة فى	المعرفة لا تكفى فى
٤٣٧	٢٠	للضر	للغير
٤٤١	٣	مقول	معول
»	١٤	اختصار	احضار
٤٤٣	٧	الاعلام	الاعلوم

اصلاح الخطأ الواقع فى اصل الجزء الثالث من مفتاح السعادة

صحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٢٣	٨	اقراء	قراءة
٤٤٤	١٦	فيما نعرف	فيما لانعرف
٤٤٥	٢٠	واحداً	واحد
٤٤٧	٦	اعدى	ايدى
»	١١	مشائخ	مشايخ
٤٤٨	١٨	غداً	غد
»	٢٠	من يجاوز	من لايجاوز






Bibliotheca Alexandrina
0415095